

تراثنا

# نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

السفر السابع

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
مع استدراكات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتسوماس وشركاه

٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر – ٩٠٠١١٨

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل أفضل صلاة على أفضل خلقك سيدنا محمد وآله وسلم .

وبعد . فقد تم بمعونة الله وحسن توفيقه تصحيح السفر السابع من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب .

وقد بذلنا وسعنا ، وغاية جهدنا ، فى سبيل إظهاره للقراء سليما من التحريف والتصحيف ، اللذين ملئت بهما أصوله التى بين أيدينا ، وهى نسخة واحدة ، مأخوذة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٠ تاريخ — فلم ندع فيه — بحسب الطاقة — لفظا محرفا إلا أصلحناه ، ولا كلاما ناقصا غير متصل الأجزاء إلا رجعنا إليه فى مظانه وأكملناه ولا علما من الأعلام إلا عنينا بتحقيقه وضبطه ، ولا لفظا غريبا إلا فسرناه ، ولا عبارة غامضة المعنى إلا أوضحنا الغرض منها ، ولا بيتا يستغلق فهمه على القارئ إلا شرحناه ونسبناه إلى قائله ، ولا اسم مكان أو بلد إلا نقلنا باختصار ما كتبه العلماء عنه ، ولا لفظا يلتبس على القارئ إلا ضبطناه بما يزيل التباسه .

ومما هو جدير بالذكر والشكر هذه العناية الكبيرة التى كان يبذلها عن طيب نفس ذلك المدير الحازم ، والمربى الفاضل ، حضرة صاحب العزة الأستاذ محمد أسعد بك برادة مدير دار الكتب المصرية ، فقد كان حفظه الله يختلف إلينا

فى أكثر الأيام، ويبذل لنا من نصائحه الغالية وارشاداته القويمة ما يبعث فى نفوسنا الجد فى العمل، والسعى فى إتقانه، ولا يفوتنا فى هذه الكلمة أن نشكر أيضا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير السيد محمد على الببلاوى مراقب إحياء الآداب العربية بالدار لما كان يبذله لنا من الإعانة على عملنا بمعلوماته الثمينة عن البحوث ومراجعها، والكتب وأغراضها ومكان الفائدة منها، والله نسأل أن يجعل عملنا خالصا لوجهه إنه قريب مجيب ؟

مصححه

أحمد الزين

# فهرس

السفر السابع

## من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى

يتضمن ما يشتمل عليه من الأبواب والفصول
ورسائل الكتّاب وخطب البلغاء

---

### البـاب الرابع عشر

صفحة

صفحة

صفحة

## الكتب والمصادر التى رجعنا اليها فى تصحيح هذا الجزء
## وقد رتّبناها على حروف المعجم

إخبار العلماء بأخبار الحكاء للقفطىّ ، أساس البلاغة للزمخشرى ، الأمالى لأبى علىّ القالى، أقرب الموارد، أدب الكتاب للصولى، إرشاد السارى لشهاب الدين القسطلانى .

البيان والتبيين للجاحظ .

تحرير التحبير لابن أبى الإصبع، تاج العروس للسيد محمد مرتضى الزبيدى ، تاريخ ابن جرير الطبرى ، تاريخ أبى الفداء، تهذيب التهذيب فى أسماء الرجال للحافظ ابن حجر، تمام المتون فى شرح رسالة ابن زيدون للصفدى .

الحماسة لأبى تمام، حسن التوسل إلى صناعة الترسل لشهاب الدين محمود الحلبى .

خزانة الأدب لابن حجة الحموى، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال للخزرجى .

دلائل الإعجاز للجرجانىّ، ديوان أبى تمام ، ديوان أبى الطيب المتنبى ، ديوان أبى نواس، ديوان لبيد بن ربيعة، ديوان البحترى ، ديوان امرئ القيس، ديوان أبى فراس الحمدانى، ديوان حسان بن ثابت رضى الله عنه .

الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام .

رسائل بديع الزمان الهمذانى .

زهر الآداب للحصرى .

سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة .

شذور العقود لابن الجوزى ، شرح الباعونية ، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ، شرح رسائل بديع الزمان الهمذانى ، شروح تلخيص المفتاح ، شرح ديوان أبى تمام للخطيب التبريزى ، شرح شواهد المبانى . الشفاء للقاضى عياض ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ، شرح ديوان امرئ القيس للبطليوسى .

صبح الأعشى للقلقشندى ، الصحاح للجوهرى ، الصناعتين لأبى هلال العسكرى .

العقد الفريد لابن عبدربه ، العمدة لابن رشيق القيروانى .

فهرست ابن النديم .

القاموس المحيط للفيروزبادى .

لسان العرب لابن منظور .

المفضليات للضبى ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد بن على التميمى ، المثل السائر لابن الأثير الجزرى ، مجمع الأمثال للميدانى ، المحاسن والأضداد للجاحظ ، المشتبه فى أسماء الرجال للحافظ الذهبى ، المصباح المنير للفيومى ، معاهد التنصيص فى شرح شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسى ، معجم الأدباء لياقوت ، مختار الصحاح مغنى اللبيب لابن هشام ، المقتضب من جمهرة النسب لياقوت ، المضاف والمنسوب للثعالبى ، محاضرة الأبرار لابن العربى ، معلقات العرب .

نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ، نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى .

وفيات الأعيان لابن خلكان ، الوافى بالوفيات للصفدى .

يتيمة الدهر للثعالبى .

---

# الجزء السابع

من

# نهاية الأرب في فنون الأدب

بسم الله الرحمن الرحيم

# الباب الرابع عشر من القسم الخامس من الفن الثانى

## فى الكتابة وما تفرّع من أصناف الكُتّاب

ولنبدأ باشتقاق الكتابة، ولِمَ سُمّيت الكتابة كتابة، ثم نذكر شرفها وفوائدها، ثم نذكر ما عدا ذلك من أخبار المحترفين بها، وما يحتاج كلٌّ منهم إليه، فنقولُ وبالله التوفيق والإعانة :

أصل الكتابة مشتقٌّ من الكَتْبِ وهو الجمع، ومنه سُمّىَ الكتاب كتابا، لأنه يجمع الحروف، وسُمّيت الكتيبةُ كتيبة، لأنها تجمع الجيشَ، وقد ورد فى المعارف: أن حروف المُعجَمِ أُنزلت على آدم عليه السلام فى إحدَى وعشرين صحيفة، وسنذكر من ذلك طَرَفا عند ذكرنا لأخبار آدم عليه السلام فى فنّ التاريخ، فهذا اشتقاقها .

وأما شرفها — فقد نص الكتاب العزيز عليه، فقال تعالى — وهو أوّلُ ما أُنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن بغار حراءٍ[1] فى شهر رمضانَ المعظّمِ — : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2] وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ وقال تعالى فى وَصف الملائكة : ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾، الى غير ذلك من الآى .

---

(١) حراء ككتاب وكرسى، والأخيرة ضعيفة أنكرها بعضهم، ويؤنث فيمنع من الصرف : جبل بمكة فيه غار تحنث أى تعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) فى صحيح البخارى أن الذى أنزل من هذه الآى فى حراء الى قوله تعالى : (اقرأ وربك الأكرم) وما هنا موافق لرواية الحافظ أبى عمر الدانى من حديث ابن عباس كما فى إرشاد السارى ج ١ ص ٨٥ ط بولاق باب كيف كان بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن شرف الكتابة نزولُ الكتبِ المتقدّمة مسطورةً فى الصُّحف كما ورد فى الصحف المنزلة على شيثٍ وإدريس ونوحٍ وابراهيمَ وموسى وداودَ وغيرهم صلى الله عليهم كما أخبر به القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ ﴾ ، وما ورد فى الأخبار الصحيحة والأحاديث الصريحة أنه مكتوب على العرش وعلى أبواب الجنة ما صورته : لا إله إلا الله محمد رسول الله . وكفى بذلك شرفا .

وأمّا فوائدُها : فمنها رسم المصحف الكريم الموجود بين الدَّفّتين فى أيدى الناس، ولولا ذلك لاَختُلف فيه ودخل الغلط وتداخل الوهم قلوبَ الناس .

ومنها رَقْمُ الأحاديث المرويّةِ عن النبي صلى الله عليه وسلم التى عليها بُنِيَت الأحكام، وتَميزُ الحلال من الحرام، وضبطُ كتب العلوم المنقولة عن أعلام الإسلام وتواريخ مَن آنقرض مِن الأنام فيما سَلَف مِن الأيام .

ومنها حفظُ الحقوق، ومنعُ تمرُّد ذوى العقوق، بما يقعُ عليهم من الشّهادات، ويُسطَّرُ عليهم من السِجلّات التى أمر اللهُ تعالى بضبطها بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ .

ومنها المكاتبةُ بين الناس بحوائجهم من المسافات البعيدة، إذ لا ينضبطُ مثلُ ذلك برسول[1] ، ولا تُنالُ الحاجةُ به[2] بمشافَهةِ قاصد، ولو كان على ما عساه عليه يكون مِن البلاغة والحفظ لوجود المشَقّةِ، وبُعْد الشُّقّة .

---

(١) فى الأصل : «لرسول» باللام ، ولعل الظاهر ما أثبتنا .

(٢) لعل قوله : «به» زيادة من الناسخ اذ قوله بعد : بمشافهة قاصد ، يغنى عنه . أو لعلها فيه .

ومنها ضبطُ أحوال الناس، كمناشير الجند، وتواقيع العمّال، وإدرارات أرباب الصِّلات فى سائر الأعمال، إلى ما يجرِى هذا المجرَى، فكان وجودُها فى سائر الناس فضيلةً، وعدمها نقيصةً إلا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنها إحدى معجزاته لأنه صلى الله عليه وسلم أمىٌّ [أتى](١) بما أعجز البلغاءَ، وأخرس الفُصحاءَ، وفلّ حدّ المؤرّخين من غير مدارَسةِ كتب ولا ممارَسةِ تعليم، ولا مراجَعةٍ لمن عُرِف بذلك وٱشتَهر به .

والكتابةُ العربيةُ أشرفُ الكتابات لأن الكتاب العزيز لم يُرْقَم بغيرها خلافا لسائر الكتب المنزّلة . وهذه الكتابة العربية أوّلُ(٢) من ٱخترعها على الوضع الكوفىّ سكّان مدينة الأنبار(٣)، ثم نُقل هذا القلمُ إلى مكة فعُرِف بها، وتعلّمه من تعلّمه، وكثُر فى الناس وتداولوه، ولم تزل الكتابةُ به على تلك الصورة الكوفيّة إلى أيام الوزير أبى علىّ بن مُقلةَ(٤)، فعرّبها تعريبا غير كافٍ، ونقلها نقلا غير شافٍ، فكانت كذلك إلى أن ظهر علىّ بن هلال الكاتبُ المعروفُ بابن البوّاب(٥)، فكمّل تعريبَها، وأحسن تبويبَها، وأبدع نظامَها، وأكمل ٱلتئامَها، وحلّاها بهجةً وجمالا، وأولاها بل أولى بها مِنّةً وإفضالا، وألبسها من رَقْم أنامله حُللا، وجلّاها للعيون فكان أوّلَ من أحسن فى ترصيعها وترصيفها عملا، ولا زال يَتنوّع فى محاسنها، ويتنوّع(٦) فى ترصيع عقود

---

(١) هذه الزيادة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها .

(٢) فى الأصل : « فأوّل » والقواعد تقتضى حذف الفاء، ولعلها زيادة من الناسخ .

(٣) هى مدينة على الفرات غربىّ بغداد، بينهما عشرة فراسخ، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور، وأوّل من عمرها سابور بن هرمز، ثم جدّدها أبو العباس السفاح أوّل خلفاء بنى العباس .

(٤) هو محمد بن على بن الحسين بن مقلة، وأبو على كنيته .

(٥) ويقال له : ابن الستّرى أيضا لأن أباه كان بوابا، والبوّاب يلازم ستر الباب، فلذلك نسب إليه .

(٦) لعله : « ويتنوّق » بالقاف المثناة، أى يجوّد ويبالغ .

ميَامنها ؛ حتى تقرّرت على أجمل قاعدة، وتحرّرت على أكمل فائدة؛ وسنزيد ما قدّمناه من هذه الفصول وضوحا وتبيانا، ونُقيم على تفصيل مُجْمَلِها و بسط مُدْمَجِها أدلّةً و برهانا.

[ ثم الكتابة بحسب من ] يحترفون بها على أقسام[1] : وهى كتابةُ الإنشاء ، وكتابةُ الديوان والتصرّف، وكتابةُ الحُكم والشروط ، وكتابةُ النَّسخ، وكتابةُ التعليم؛ ومنهم من عَدّ فى الكتابةِ كتابةَ الشُّرَطِ[2]، ولم نُرِدْ ذكرَها تنزيها لكتّابنا عنها، ولا حكمةَ فى إيرادها.

ولنبدأ بذكر كتابة الإنشاء وما يتعلّق بها .

## ذكر كتابة الإنشاء وما آشتملت عليه من البلاغة والإيجاز والجمع فى المعنى الواحد بين الحقيقة والمجاز، والتلعبِ بالألفاظ والمعانى والتوصّل إلى بلوغ الأغراض والأمانى

ولنبدأ من ذلك بوصف البلاغة وحَدِّها والفصاحةِ :

فأما البلاغة — فهى أن يَبْلُغ الرجل بعبارته كُنهَ ما فى نفسه . ولا يسمَّى البليغ بليغا إلا إذا جمع المعنى الكثيرَ فى اللفظ القليلِ، وهو المسمَّى إيجازا .

وينقسم الإيجاز إلى قسمين : إيجاز حذف ، وهو أن يُحذَف شيء من الكلام وتدلُّ عليه القرينة، كقوله تعالى : ﴿وَٱسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ والمراد أهلَ القرية وكقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ والمراد ولكن البرَّ برُّ من آتقى، وكقوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ والمراد من قومه، وقوله تعالى : ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ والمراد لا يطيقونه؛ ونظائر هذا وأشباهُه كثير .

---

(١) مكان هذه العبارة مطموس بالأصل تتعذر قراءته ، ولعل ما أثبتناه يلائم الغرض المقصود ويصح به التقسيم الآتى .

(٢) الشرط بضم أوله وفتح ثانيه : جمع شرطىّ كتركىّ و جهنىّ : طائفة من أعوان الولاة سموا بذلك لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها .

وإيجاز قِصَر ، وهو تكثيرُ المعنى وتقليلُ الالفاظ ، كقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مما جُمع فيه شرائطُ الرسالة : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ وسمع أعرابيٌّ رجلا يتلوها فسجد وقال : سجدتُ لفصاحته ، ذكره أبو عُبيد . وقولِه تعالى مما جُمع فيه مكارمُ الأخلاق : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ فجمع في ثلاث كلمات بين العُنوان والكتاب والحاجة ؛ وقوله تعالى : ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فجمع في هذا على لسان النملة بين النداء والتنبيه والأمر والنهي (١) والتحذير والتخصيص والعموم والإشارة والإعذار ؛ ونظير ذلك ما حُكي عن الأصمعيّ أنه سمع جاريةً تتكلّم فقال لها : قاتلك الله ، ما أفصحك ! فقالت : أَوَ يُعَدُّ هذا فصاحةً بعد قول الله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين و بشارتين .

ولما سمع الوليدُ بنُ المُغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم قولَه تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ قال : والله إنّ له لحلاوةً (٢) ، وإن عليه لطَلاوة ، وإن أسفله لَمُغْدِق (٣) ، وإن أعلاه لَمُثْمِر ، ما يقول هذا بَشَر .

(١) في الأصل : «والنص» وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يستفاد من الكشاف ، والنهي في هذه الآية قوله تعالى : (لا يحطمنكم) .

(٢) في الأصل : (إن له حلاوة) بدون لام ، وما أثبتناه عن الشفاء ج ١ ص ٢٢٠ ط الأستانة والطلاوة بضم الطاء وفتحها : الرونق والحسن .

(٣) كذا في الأصل وفي بعض كتب التفسير ، ومعناه الكثير الماء ، وفي رواية : (لغدق) كما في سيرة ابن هشام . والغدق بكسر الدال : الريان الندىّ .

وسمع آخرُ رجلا يقرأ : ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْأَسُوا مِنْـهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ فقال : أشهد أنّ مخلوقا لا يَقْدِر على مثل هذا الكلام .

وقال أبو عثمانَ عمرُو بنُ بحر الجاحـظُ : البيان ٱسم جامعٌ لكل ما كَشَفَ لك من قِناع المعنى، وهَتَك الحجابَ عن الضمير ، حتى يُفضِيَ السامع إلى حقيقة اللفظ ويَهجُمَ على محصوله كائنا ما كان .

وقيـل لجعفر بن يحيي : ما البيان ؟ فقـال : أن يكون اللّفظ مُحيطا بمعناك كاشفا عن مَغزاك، وتخرجَه من الشُّركة ، ولا تسـتعينَ عليه بطول الفكرة، ويكونَ سليما من التَّكلّف ، بعيـدا من سوء الصنعة ، بريئا من التعقيد ، غَنيًّا عن التأمّل .

وقال آخرُ: خير البيان ما كان مصرِّحا عن المعنى ليُسرعَ إلى الفهم تلقِّيه، ومُوجَزا ليخِفّ على اللسان تَعاهدُه .

وقال أعرابيٌّ : البلاغة التقـرُّب من معنى البُغية، والتّبعُّد من وحشيِّ الكلام وقربُ المأخذِ ، وإيجازٌ في صواب، وقصدٌ إلى الحجة ، وحُسنُ الأستعارة. قال علي رضي الله عنه : البلاغة الإفصاحُ عن حكمة مُستَغلِقةٍ (١) ، وإبانةُ علمٍ مُشكِلٍ .

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : البلاغة إيضاح الملتبِسات، وكشفُ عورات الجهالاتِ، بأحسنِ ما يمكن من العبارات .

⁂

وأما الفصاحة — فهي مأخوذةٌ من قولهم : أَفصح اللبَنُ إذا أُخِذت عنـه الرِّغْوة . وقالوا : لا يسمَّى الفصيح فصيحا حتى تخلُص لغتـه عن اللُّكْنة الأعجميّة ولا توجد الفصاحة إلا في العـرب . وعلمـاء العرب يزعمون أن الفصاحةَ في الألفاظ ، والبلاغةَ في المعاني ، ويستدلّون بقولهم : لفظ فصيح، ومعنى بليغ .

(١) في الاصل : « متغلقه » ولم نجده فيما لدينا من كتب اللغة .

ومن الناس من استعمل الفصاحةَ والبلاغةَ بمعنى واحدٍ فى الألفاظ والمعانى (٤) والأكثرون عليه .

## ذكر صفة البلاغة

قيل لعمرو بن عُبَيد : ما البلاغة ؟ قال : ما بلّغك الجنّة ، وعدل بك عن النار؛ قال السائل (١) : ليس هذا أريد؛ قال : فما بصّرك مَواقعَ رُشدك وعواقبَ غيّك؛ قال : ليس هذا أريد؛ قال : من لم يُحسنْ أن يسكتَ لم يُحسنْ أن يَسْمَعَ ، ومن لم يُحسنْ أن يَسمعَ لم يُحسنْ أن يَسألَ ، ومن لم يُحسنْ أن يَسألَ لم يُحسنْ أن يقُولَ؛ قال : ليس هذا أريد؛ قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنّا (٢) معشر النبيّين بِكاءٌ » — أى قليلو الكلام ، وهو جمع بكيء — وكانوا يكرهون أن يزيدَ منطقُ الرجل على عقله؛ قال السائل : ليس هذا أريد؛ قال : فكأنك تريد تخيُّرَ اللفظ فى حُسن إفهام؛ قال : نعم؛ قال : إنّك إن أردت تقريرَ حجّةِ الله فى عقول المتكلمين ، وتخفيفَ المؤونة على المستمعين ، وتزيينَ المعانى فى قلوب المستفهمين بالألفاظ الحسَنة رغبةً فى سُرعة استجابتهم ، ونفيَ الشّواغلِ عن قلوبهم بالمواعظ الناطقة عن الكتاب والسُّنة كنتَ قد أُوتيت فصلَ الخطاب .

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : معرفةُ الوصلِ من الفصلِ . وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : ألّا يؤتَى القائلُ من سُوء فَهم السامع ، ولا يؤتَى السامعُ من سوء بيانِ القائلِ .

---

(١) هو حفص بن سالم كما فى زهر الآداب . ج ١ ص ٩٤ ط المطبعة الرحمانية .

(٢) كذا فى الأصل . ولم نقف على هذه الرواية فيما لدينا من كتب الحديث ولا غيرها ، ونصه فى كتاب النهاية لابن الأثير " نحن معاشر الأنبياء فينا بكاء " وقال فى تفسير البكاء بفتح الباء : أى قلة الكلام إلا فيما يحتاج اليه ، يقال : بكأت الناقة والشاة إذا قل لبنها فهى بكيء وبكيئة .

وقيل للخليل بن أحمدَ : ما البلاغة ؟ فقال : ما قرُب طَرَفَاه ، و بعُـد منتهاه .

وقيـل لبعض البلغاء : من البليغ ؟ قال : الذى إذا قال أسرَع ، و إذا أسرَع أبدَع و إذا أبدع حرّك كلَّ نفْس بمـا أوْدَع .

وقالوا : لا يستحقّ الكلامُ اسمَ البلاغةِ حتى يكونَ معناه الى قلبك أسبقَ من لفظه إلى سمعك .

وسأل معاويةُ صُحَارًا[1] العبدِىَّ : ما هـذه البلاغة ؟ قال : أن تجيبَ فلا تبطئْ وتصيبَ فلا تخطئْ[2] .

وقال الفضـل : قلت لأعرابىّ : ما البـلاغة ؟ قال : الإيجـازُ فى غير عجز والإطنابُ فى غير خَطَل .

وقال قُدَامَةُ : البلاغةُ ثلاثةُ مذاهبَ : المساواةُ وهو مطابَقةُ اللفظ المعنى لا زائدا ولا ناقصـا ؛ والإشارةُ وهـو أن يكون اللفظ كاللّمْحَة الدالّة ؛ والدليـلُ وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ، ليظهرَ لمن لم يَفهمْه ، ويتأكدَ عند من فهِمه .

قال بعض الشعراء :

يَكفِى قليـــلَ كلامِه وكثيرَه * بيتٌ إذا طال النّضالُ مصيبُ

وقال أحمـد بنُ محمد بنِ عبدِ رَبِّهِ صاحب العقد : البلاغة تكون على أربعة أوجه : تكون باللفظ والخط والإشارة والدِّلالة ، وكل وجه منها له حظ من البلاغة والبيان ، وموضعٌ لا يجوز فيه غيره ، ورُبّ إشارة أبلغ من لفظ .

(١) فى الأصل : (لطمار العدى) وهو خطأ من الناسخ ، والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ٤ ١ ٢ ط المطبعة العثمانية . (٢) كذا فى الأصل ؛ وقد وردت هذه القصـة فى البيان والتبيين ج ١ ص ٤ ٤ ط مطبعـة الفتوح الأدبية أكمل مما هنا وأكثر تفصيلا ؛ ولعل المؤلف اختصرها تبعا للعقد الفريد لابن عبد ربه وجريا على عادته فى هـذا الكتاب من اختصار القصص والرسائل بقـدر المستطاع ، ولم نرد إيرادها فى حواشى الكتاب لطولها .

وقال رجل للعتّابىّ : ما البلاغة ؟ قال : كلُّ ما أبلغك حاجتك، وأفهمك معناه بلا إعادةٍ ولا حُبْسةٍ ولا آستعانةٍ فهو بليغ؛ قالوا : قد فهمنا الإعادةَ والحُبسة، فما معنى الآستعانة؟ قال : أن يقول عند مَقاطع الكلام : إسمع منّى، وآفهم عنّى، أو يمسحَ عُثْنونه[1]، أو يفتِلَ أصابعه، أو يكثِرَ التفاتَه، أو يَسعُلَ من غيرِ سُعلة، أو ينبهرَ[2] فى كلامه

قال بعض الشعراء :

مليءَ بِبُهْر والتفاتٍ وسُــعلةٍ * ومَسحةِ عُثنونٍ وفتلِ الأصابع

ومن كلام أحمدَ بنِ إسماعيلَ الكاتبِ المعروف بنِطاحة[3]، قال : البليغ من عرف السقيم من المعتلّ، والمقيّدَ من المطلقِ، والمشتركَ من المفردِ، والمنصوصَ من المتأوّل، والإيماءَ من الإيحاء، والفصلَ من الوصل، والتلويحَ من التصريح .

ومن أمثالهم فى البلاغة قولهم : يُقِلّ الحزَّ[4] ويطبِّق المَفْصل . وذلك أنهم شبهوا البليغ الموجزَ الذى يُقلّ الكلامَ ويصيب نصوصَ المعانى بالجزّار[5] الرفيق الذى يقلُّ حزَّ اللحم ويصيب مفاصله؛ وقولهم : يضع الهِناء مواضع النُّقَبِ، أى لا يتكلّم إلا فيما يجب الكلام فيه . والهِناء : القَطِران . والنُّقَب : الجَرَب . وقولهم : قَرطس[6] فلان فأصاب الغـرّةَ، وأصاب عين القرطاس[7] . كلُّ هذه أمثال للمصيب فى كلامه الموجِز فى لفظه .

(١) هو ما نبت على الذقن من الشعر وتحته سفلا، أو هو ما فضل من اللحية بعد العارضين من باطنهما .

(٢) فى الأصل : (يتهر) بباء موحدة بعدها تاء مثناة؛ ولم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة من معانيه ما يناسب المقام؛ ولعله تحريف صوابه ما اثبتنا كما فى العقد الفريد . وينبهر : مطاوع بهره الحمل يبهره : أوقع عليه البهر بضم، الباء وهو تتابع النفس من الإعياء .

(٣) فى الأصل : (ناطحة) بنون بعدها ألف، وهو خطأ من الناسخ؛ والتصويب عن كتاب الوافى، ومعجم الأدباء ج ١ ص ٣٧٧ ط مطبعة هندية وهو أحمد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الخصيب أبو على الكاتب الانبارى .

(٤) فى البيان والتبيين : (المحز) .

(٥) فى الأصل : « من » والمقام يقتضى الباء كما اثبتنا .

(٦) يقال : قرطس فلان اذا رمى فأصاب القرطاس، ويقال للرمية : مقرطسة .

(٧) هو كل أديم ينصب للنضال؛ وفيه خمس لغات : تثليث القاف، وبجعفر، وكدرهم .

## فصول من البلاغة

قيل : لمـا قدم قُتَيبةُ بن مسلم خُراسانَ واليا عليها، قال : من كان فى يده شىء من مال عبد الله بن حازم فلينبِذْه، ومن كان فى فِيه فليلفِظْه، ومن كان فى صدره فلينفُثْه . فعجِب الناس من حُسن ما فصَّل .

وكتب المعتصم إلى ملك الروم جوابا عن كتاب تهدَّده فيـه : الجواب ما ترى لا ما تسمع ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ(١) لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ .

وقيل لأبى السَّمَّال الأسدىّ(٢) أيام معاوية : كيف تركت الناس ؟ قال : تركتهم بين مظلوم لا ينتصف، وظالم لا ينتهى . وقيل لشبيب بن شبّةَ عند باب الرشيد : كيف رأيت الناس ؟ قال : رأيت الداخل راجيا، والخارجَ راضيا .

وقال حسّانُ بن ثابت فى عبد الله بن عباس رضى الله عنهم :

إذا قال لم يـــترك مقــالا لقائل * بملتقَطات لا ترى بينها فضـــلا(٣)

كفَى وشفَى ما فى النفوس فلم يَدع * لذى إربة فى القول جِدًّا ولا هَزلا

قال سهل بن هارون : البيان ترجُمـان العقول، وروض القلوب ؛ البـلاغةُ ما فهمته العامّةُ، ورضِيَته الخاصّةُ؛ أبلغ الكلام ما سابق معناه لفظَه ؛ خير الكلام ما قلّ وجلّ، ودلّ ولم يُمَلّ؛ خير الكلام ما كان لفظه فحلا، ومعناه بِكرا .

(١) الكافر بالإفراد قراءة الحرميين وأبى عمرو كما فى تفسير الألوسىّ .

(٢) فى الأصل : «ابن السماك الأسدى» ولم نقف عليه فيما بين أيدينا من المظان ، ولعله تحريف صوابه ما أثبتناه كما فى شرح القاموس والشعر والشعراء فى ترجمة النجاشى؛ وفى المشتبه للذهبى : (أبو سمال) بدون تعريف .

(٣) كذا فى الأصل بالضاد المعجمة . وفى رواية (فصلا) بالصاد المهملة كما فى ديوان الشاعر والبيان والتبيين ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

وقال ابن المعتزّ : البلاغة أن تبلُغ المعنى ولم تُطِل سَـفَرَ الكلام ؛ خير الكلام ما أسفر عن الحاجة ؛ أبلغُ الكلام ما يؤنِس مَسمَعه ، و يونِس مضيَّعه(١) ؛ أبلغ الكلام ما حسُن إيجازُه ، وقلّ مجازُه ، وكثر إعجازُه ، وتناسبت صدورُه وأعجازه ؛ البـلاغة ما أشار اليه البحتريّ حيث قال :

ورِكبن اللفـظَ القريبَ فأدرَكن به غاية المـــرادِ البعيـد

## جمل من بلاغات العجم وحِكمها

قال أبرويزُ لكاتبه : إذا فكّرت فلا تَعجل ، و إذا كتبت فلا تستعِنْ بالفضـول فإنها عِلاوةٌ على الكفاية ، ولا تقصّرن عن التحقيق فإنها هُجْنة فى المقالة ، ولا تُلبِسن كلاما بكلام ، ولا تباعدنّ معنى عن معنى ، واجمع الكثير ممـا تريد فى القليل ممـا تقول . و وافق كلامه قولَ ابن المعـتزّ : ما رأيت بليغا إلا رأيت له فى المعانى إطالةً وفى الألفاظ تقصيرا . وهذا حثٌّ على الإيجاز . وقال أبرويزُ أيضا لكاتبه : اعلم أن دعائم المقالات أربع إن التُمِس إليها(٢) خامسةٌ لم توجد ، وإن نقص منهـا واحدةٌ لم تتمّ وهى : سؤالك الشىءَ ، وسؤالُك عن الشىء ، وأمرك بالشىء ، وخَبَرُك عن الشىء ؛ فإذا طلبتَ فأنجِح ، و إذا سألتَ فأوضِح ، وإذا أمرتَ فأحكِم ، و إذا أخبرتَ فحقّق .

وقال بَهرام جُور : الحُكْم ميزان الله فى الأرض . ووافق ذلك قولَ الله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ وقال أنو شِروانُ لابنـه هُرمُز : لا يكون عندك لعمل البِر غايةٌ فى الكثرة ، ولا لعـمل الإثم غايةٌ فى القلّة . ووافق من كلام العرب قولَ الأفوهِ : (٥)

والخير تزداد منه ما لقِيتَ به * والشر يكفيك منه قلّما زادْ

---

(١) وردت هذه العبارة فى الأصل هكذا : «و يونس مصيفه» وهو تحريف ، والتصويب عن زهر الآداب . يريد وصف الكلام بأنه عزيز نادر ، فالذى يضيع منه و يفوت يؤنس طالبه من أن يجد مثله .

(٢) كذا فى الأصل . وكأنه يريد : إن التمس ضمّ خامسة إليها . وفى رواية : «لها» .

وقال أزْدَشير بن بابِكَ : من لم يرض بما قسم الله له طالت معتبتُه، وخَشُن حِرصُه، ومن خَشُن حِرصه ذلّت نفسُه، وغَلَب عليه الحسد، ومن غَلَب عليه الحسدُ لم يزل مغموما فيما لا ينفعه، حزينا على ما لا ينالُه . وقال : من شغل نفسه بالمنى لم يَخْلُ قلبه من الأسى .

وقال بعضهم : الحقوق أربعة : حقٌّ لله ، وقضاؤه الرضا بقضائه، والعملُ بطاعته، وإكرامُ أوليائه؛ وحقٌّ لنفسك ، وقضاؤه تعهُّدها بما يُصلحها ويُصحّحها ويَحسِم موادَّ الأذى عنها؛ وحقّ للنّاس ، وقضاؤه عمومُهم بالمودّة، ثم تخصيصُ كلّ آمرئ منهم بالتوقير والتفضيل والصِّلة؛ وحقّ للسلطان، وقضاؤه تعريفُه بما خَفِيَ عليه من منفعة رعيّة، وجِهادِ عدوّ، وعمارةِ بلد، وسدّ ثغر . وقال بُزُرْجُمِهْر: إلزام الجهول الحجّةَ يسير، وإقراره بها عسير .

## [صفة الكاتب][١] وما ينبغي أن يأخذ به نفسه

قال إبراهيم بن محمد الشيبانيُّ : من صفة الكاتب آعتدالُ القامة، وصغرُ الهامة وخفةُ اللَّهازِم[٢]، وكثافةُ اللحية، وصدقُ الحسّ، ولطفُ المذهب، وحلاوةُ الشمائل وخطفُ الإشارة، وملاحةُ الزّيّ . وقال : من كمال آلة الكاتب أن يكون بهيَّ الملبس، نظيفَ المجلس، ظاهرَ المروءة، عَطِرَ الرائحة، دقيقَ الذهن، صادقَ الحسّ حسَنَ البيان، رقيقَ حواشي اللسان، حلوَ الإشارة، مليحَ الآستعارة، لطيفَ المسلك مُستفرَه[٣] المركَب، ولا يكون مع ذلك فَضْفاضَ الجُثّة، متفاوتَ الأجزاء، طويلَ اللحيـة

(١) موضع هذه العبارة مطموس بالأصل، ولعل ما أثبتناه يطابق ما يأتى فى أول الفصل .

(٢) اللهازم : أصول الحنك، واحده لهزمة . يريد بخفتها قلة الشعر النابت عليها بدليل ما بعده .

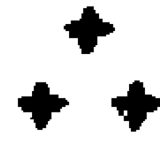
(٣) اسم مفعول من قولهم : فلان يستفره الأفراس، أى يستكرمها .

عظيمَ الهامة؛ فإنهم زعموا أن هذه الصورةَ لا يليق بصاحبها الذكاءُ والفطنةُ .

قال بعض الشعراء :

وشمول كأنما اعتصروها * من معانى شمائلِ الكُتّاب

هذا ما قيل فى صفة الكاتب .



وأما ما ينبغى للكاتب أن يأخذ به نفسه، فقد قال إبراهيم الشيبانىّ :

أوّل ذلك حسنُ الخط الذى هو لسان اليد، وبهجةُ الضمير، وسفيرُ العقول، ووحىُ الفكر، وسلاحُ المعرفة، وأنسُ الإخوان عند الفُرقة، ومحادَثتهم[(١)] على بُعد المسافة ومستودَعُ السرّ، وديوانُ الأمور .

وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ : إنه الخطّ الحسن .

وقد اختلف الكُتّاب فى نَقط الخطّ وشكْلِه، فمنهم من كرِهه

قال سعيد بن حُمَيْد الكاتب :

لَأن يُشكِلَ الحرفُ على القارئ أحبُّ إلىّ من أن يعابَ الكاتب بالشكل .

وعُرِض خطٌّ علىّ عبد الله بن طاهر فقال : ما أحسنه لولا أنه أكثر شُونيزه[(٢)]

ونظر محمد بن عبّاد إلى أبى عُبَيْد وهو يقيِّد البسملة فقال: لو عَرفتَه ما شكَلْتَه.

ومنهم من حمِده فقال : حَلُّوا عواطلَ الكتب بالتقييد، وحصِّنوها من شُبَه التصحيف والتحريف .

وقيل : إعجامُ الكتب يَمنع من استعجامها[(٣)]، وشكلُها يصونها عن إشكالها .

(١) فى الأصل : (محازيتهم) وهو تحريف، والتصويب عن صبح الأعشى ج ٣ ص ٦ ط دار الكتب المصرية . (٢) الشونيز والشينيز : الحبة السوداء، وقيل هو فارسى الأصل . شبه نقط الحروف به .

(٣) فى الأصل : (استعجابها) بالباء وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه المقام .

قال الشاعر (١) :

وكأنّ أحرُفَ خطّه شجرٌ (٢) * والشكلُ فى أغصانه ثمرُه (٣) .

* * *

## وأما ماقيل فى حسن الخطّ وجَودةِ الكتابة ومدح الكُتَّاب والكِتاب .

(١٠) قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : الخط الحسَن يزيد الحقّ وضوحا .

وقال : حُسن الخطّ إحدى البلاغتين .

وقال عُبيد الله بنُ العباس : الخط لسان اليــد . وقال جعفر بن يحيى : الخطّ سِمْطُ (٤) الحكمة ، به تُفصَّل شذورُها ، و يَنتظِم منثورُها ؛ وقال أبو هلال العسكرىّ :

الكَتْبُ عَقْلُ شوارد الكَلِم * والخطّ خيْــط فى يد الحِكَم

والخطّ نَظْم كــلّ منتــثر * منها وفَصّل كــلّ منتظم

والسيفُ وهو بحيث تعرفه * فرضٌ عليــه عبادةُ القــلم .

(١١) وقد آختلف الناس فى الخطّ واللفظ ، فقال بعضهم : الخطّ أفضلُ من اللفظ لأن اللفظ يُفْهِم الحاضرَ ، والخطُّ يُفْهِم الحاضرَ والغائبَ .

قالوا : ومن أعاجيب الخطّ كثرةُ آختلافه والأصلُ فيه واحدٌ ، كاختلاف صور الناس مع آجتماعهم فى الصيغة . قال الصُّولى (٥) : سئل بعض الكتّاب عن الخطّ متى

---

(١) هو أحمد بن اسماعيل نطاحة ، كما فى أدب الكتّاب .

(٢) فى أدب الكتّاب : «أضعافها» .

(٣) فى الأصل : (ثمر) بدون هاء الضمير ، والصواب اثباتها كما فى أدب الكتاب ليوافق البيت قبله وهو : مستودع قرطاســه حكما * كالروض ميز بينه زهره

(٤) السمط بالكسر : خيط النظم ، و جمعه سموط .

(٥) هو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول ؛ وصول هذا رجل من الأتراك اليه ينسب أبو بكر المتقدم لا الى صول البلد المعروف .

يستحق أن يوصف بالجودة ؟ قال : اذا آعتدلت أقسامه ، وطالت ألفه ولامه ؛ وآستقامت سطوره ، وضاهى صعوده حدوره ؛ وتفتحت عيونه ، ولم تشتبه راؤه ونونه ؛ وأشرق قرطاسه ، وأظلمت أنقاسه(١) ، ولم تختلف أجناسه ؛ وأسرع الى العيون تصوره ، والى القلوب ثمره(٢) ؛ وقدرت فصوله ، [وآندمجت وصوله ، وتناسب دقيقه وجليله](٣) ؛ وتساوت أطنابه ، وآستدارت أهدابه ؛ وخرج عن [نمط الوراقين](٤) ، وبعد عن تصنع المحررين ؛ [وقام لكاتبه مقام النسبة والحلية](٥) وكان حينئذ كما قلت فى صفة الخط :

اذا ما تخلل قرطاسه * وساوره القلم الأرقش(٦)
تضمن من خطه حلة * كنقش الدنانير أو أنقش
حروف تكون لعين الكليل * نشاطا ويقرؤها الأخفش(٧)

وقال آبن المعتز :

إذا أخذ القرطاس خلت يمينه * تفتح نورا أو تنظم جوهرا

وقيل لبعضهم : كيف رأيت ابراهيم الصولى؟ فقال :

يؤلف اللؤلؤ المنثور منطقه * وينظم الدر بالأقلام فى الكتب

(١) جمع نقس بالكسر، وهو المداد .

(٢) فى الأصل : ( ثمره ) ولم نجده فيما لدينا من كتب اللغة بالمعنى المناسب لما هنا ، وما أثبتناه عن أدب الكتاب ص ٥٠ ط المطبعة السلفية .

(٣) موضع هذين الفقرتين مطموس بالأصل ، وما نقلناه عن أدب الكتاب .

(٤) موضع هذه العبارة مطموس بالأصل تتعذر قراءته ، وما نقلناه عن أدب الكتاب .

(٥) الزيادة عن أدب الكتاب .

(٦) الأرقش من الأفاعى : ما فيه نقط سواد و بياض ، شبه به القلم فى قوة فعله و بلوغ أثره ؛ أو هو من رقش الكتاب إذا كتبه وزينه .

(٧) الأخفش : الضعيف البصر، وهو من باب فرح .

وقال آخرُ (١) :

أضحكتَ قرطاسَك عن جَنَّةٍ * أشجـارها من حكَمٍ مثـمره
مســودَّة سطحا ومبيضَّة * أرضا (٢) كمثـل الليلة المقمره

وقال آخرُ :

كتبتَ فلَوْلَا أنَّ هذا مُحَلَّلٌ * وذاك حرامٌ قستُ خطَّك بالسحر
فوالله ما أدرى أزهرُ خميـــلةٍ * بطِرْسِـكَ أم درّ يلوح على نحـر
فان كان زهرا فهو صنـع سحابة * وإن كان درّا فهو من لُجَج البحر

وقال آخرُ :

وكاتبٍ يرقُم فى طِرسِه * روضا به ترتع ألحاظُه
فالدرّ ما تنـظِم أقلامُه * والسحر ما تنثِرُ ألفاظُه

وقال آخرُ :

وشادنٍ من بنى الكُتَّاب مقتدر * على البلاغة أحلى الناسِ إنشاءَ
فلا يجاريه فى مَيْـــدانه أحد * يريك سَحبانَ فى الإنشاء إن شاءَ

وقال آخرُ :

إن هزّ أقلامه يوما ليُعْمِلَهَا * أنساكَ كلَّ كَمِىٍّ هزّ عامله (٣) (٧)
وإن أمرَّ على رَقٍّ (٤) أنامله * أقرّ بالرِقّ كتَّاب الأنام له

---

(١) هو أحمد بن اسماعيل المعروف بنطاحة كما فى أدب الكتاب .

(٢) فى أدب الكتّاب : «أيضا» .

(٣) عامل الرمح وعاملته : صدره .

(٤) الصحيفة البيضاء ، وجلد رقيق يكتب فيه .

وقال أبو الفتح كُشاجِمُ :

وإذا نمنمت بنانُك خطًّا * مُعْـرِبًا عن بلاغة وسَـدادِ
عَجِب الناسُ من بياض معانٍ * تُجتنَى من سواد ذاك المِدادِ

وقال المشوق[1] الشامىّ شاعر اليتيمة :

لا يُخْطِر الفكرَ فى كتابتـه * كأنّ أقلامَه لهـا خاطر
القولُ والفعل يجريان معا * لا أوّلٌ فيهـما ولا آخر

قال أبو عثمانَ عمرو بن بحر الجاحظ : الكتاب نعم الذُّخر والعُقْدة[2]، ونعم الجليس والعمدة، ونعم النُّشرة[3] والنُّزهة، ونعم المستَغَل والحِرفة ، ونعم الأنيس ساعة الوُحدة ونعم المعرفة ببلاد الغُرْبة ، ونعم القَرين والدَّخيل، والوزيرُ والنَّزيل ؛ والكتاب وِعاء مُلِئَ علما، وظَرْف حُشِيَ ظَرْفا، وإناء شُحِنَ مُزاحا وجِدّا ،ـ إن شئتَ كان أبْيَنَ من سَحبانِ وائل، وإن شئتَ كان أعيا من باقل، وإن شئتَ ضحكتَ من نوادره وعجِبتَ من غرائب فوائده، وإن شئت ألْهَتْـكَ نوادرُه، وإن شئت شجَتْك مواعظُه ومَنْ لك بواعظ مُلْهٍ، وبزاجر مُغْرٍ، وبناسك فاتك، وناطقٍ أخرسَ، وببارد حارّ ومن لك بطبيب أعرابىّ، وبرومىّ[4] هندىّ، وفارسىّ يونانىّ، وبقديم مُوَلَّد، وبميت مُمتِـع ،ومن لك بشىء يجمع لك الأوّلَ والآخرَ، والناقصَ والوافرَ، والشاهـدَ والغائبَ

(١) كذا فى يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٢٠ و ٢٢١ ط المطبعة الحفنية . وفى الأصل : «المشوق» ، وهو لقب الشاعر ، قال فى اليتيمة : ولم أتحقق اسمه .. والصواب فى نسبة هذين البيتين أنهما لعبد المحسن بن محمد الصورى كما فى اليتيمة ج ١ ص ٢٣٥ .

(٢) هى كل مايستوثق الانسان به لنفسه و يعتمد عليه ، وأصله من العقدة بمعنى الحائط الكثير النخل وكان الرجل اذا جمع ذلك فقد أحكم أمره عند نفسه واستوثق منه .

(٣) النشرة بالضم : الرقيـة التى يعالج بها المجنون والمريض ، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما كان خامره من الداء ، أى يكشف و يزال .

(٤) فى المحاسن والأضداد : (وروى) باسقاط الباء ، ولعله أظهر .

والرفيعَ والوضيع، والغثّ والسمين، والشكلَ وخلافه، والجنس وضدّه؛ وبعد: فمتى رأيت بستانا يُحمَلُ فى رُدْنٍ(١)؟ وروضةً تُقلَّب فى حِجر؟ ينطق عن الموتى، ويترجم كلام الأحيا، ومن لك بمؤنس لا ينام إلّا بنومك، ولا ينطق إلّا بما تهوَى، «آمن من الأرض» وأكتمُ للسر من صاحب السرّ، وأضبطُ لحفظ الوديعة من أرباب الوديعة، وأحفظ لمــا آستُحفِظ من الأمّيين، ومن الأعراب المعْرِبين، بل من الصِّبيان قبل آعتراض الأشغال، ومن العُميان قبـل التمتّع بتمييز الأشخـاص، حينَ العنايةُ تامة لم تُنتَقصْ والأذهانُ فارغة لم تُقتَسَمْ، والإراداتُ وافرة لم تستعتب(٢)، والطينةُ لينـة فهى أقبَلُ ما تكون للطابِـع، والقضيبُ رَطْب فهو أقرب ما يكون للعُلُوق، حينَ هذه الخصالُ لم يُلبَس جديدُها، ولم تتفرّقْ قواها، وكانت كقول الشاعر:

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبى فارغا فتمكّنا

وقال ذو الرُّمّة لعيسى بن عمرَ: أُكتُبْ شعرى، فالكتّاب أعجب إلىّ من الحفظ لأن الأعرابىّ يَنسَى الكلمةَ قد تعبَ فى طلبها يوما أو ليـلةً، فيضع موضعَها كلمة فى وزنها لم يُنشِدْها(٣) الناس، والكتّابُ لا يَنسى ولا يبدّل كلاما بكلام. قال: ولا أعلم جارا أبرّ، ولا خليطا أنصفَ، ولا رفيقا أطوعَ، ولا معلّما أخضَـعَ، ولا صاحبا أظهرَ كفايةً، ولا أقلّ خيانةً، ولا أقلّ إبراما وإملالا، ولا أقـل خلافا وإجراما ولا أقلّ غِيبةً، ولا أكثرَ أعجوبةً وتصرّفا، ولا أقلّ صَلَفاً وتكلّفا، ولا أبعـدَ من مِراء، ولا أتركَ لشَغْب، ولا أزهدَ فى جدال، ولا أكفّ عن قتال من كتّاب؛ ولا أعلمُ شجرةً أطولَ عمرا، ولا أجمـعَ(٤) أمرا، ولا أطيبَ ثمـرةً، ولا أقربَ مُجتَنًى

(١) الردن بالضم: أصل الكم جمعه أردان. (٢) كذا فى الأصل. ولعله: «تتشعب».

(٣) لم ينشدها الناس، يريد أن الكلمة التى يضعها لم تسر فى الناس ولم يرووها، ولم يكن قبـل قد أنشدها إياهم. وفى رواية: "ثم ينشدها" بالثاء المثلثة.

(٤) كذا فى الأصل. ولم ترد هذه العبارة ضمن كلام الجاحظ فى كتابه المحاسن والأضداد.

ولا أسرعَ إدراكا، ولا أوجدَ فى كل إبانٍ (١) من كتاب؛ ولا أعلمُ نتاجا فى حداثة سنّه وقربِ ميلاده، وحضورِ ذهنه، و إمكانِ موجوده، يجمع من التدابيرِ العجيبة، والعلومِ الغريبة، ومن آثارِ العقول الصحيحة، ومحمودِ الأذهان اللطيفة، ومن الأخبار عن القرونِ الماضية، والبلادِ المتراخية، والأمثالِ السائرة، والأممِ البائدة ما يجمع الكتاب؛ وقد قال الله تبارك آسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ فوصف نفسه تعالى جدّه بأن علّم بالقلم، كما وصف به نفسه بالكرم، وآعتدّ بذلك (٨) من نعمه العظام، وفى أياديه الجسام .

## ذكر شيء مما قيل فى آلات الكتابة

قال ابراهيم بن محمد الشَّيبانىُّ فيما يحتاج إليه الكاتب :

من ذلك أن يصلح الكاتب آلته التى لا بدّ منها، وأداتَه التى لا تتمّ صناعتُه إلا بها، وهى دواته، فلْيُنعِم (٢) رَبَّها و إصلاحها، ثم يتخير من أنابيب (٣) القصب أقلّه عُقَدًا وأكثفَه لحما، وأصلبَه قشرا، وأعدلَه آستواءا، ويجعل لقرطاسه سكّينا حادّا لتكون عونا له على برى أقلامه، ويبريها من جهة نبات القصبة، فانّ محلّ القلم من الكاتب كمحلّ الرمح من الفارس. وقد خصَّ الفضلاءُ القلمَ بأوصاف كثيرة، ومزايا خطيرة فلنذكر منها طَرَفا .

---

(١) إبان كل شيء : وقته وحينه الذى يكون فيه .

(٢) أنعم العمل : أجاده، يقال : اذا عملت عملا فأنعمه .

(٣) فى الأصل : من (الأنابيب) بزيادة «ال» والصواب حذفها كما تقتضيه القواعد .

## ذكر شيء مما قيل في القلم

قال الله تعالى : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ وقال : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ .

وقال الحكماء : القلم أحد اللسانين، وهو المخاطِب للعيون بسرّ القلوب . وقالوا : عقول الرجال تحت أسنّة أقلامها . بِنَوْءِ(١) الأقلام يصُوب غيث الحكمة . القلم صائغ الكلام، يُفرِغ ما يجمعه القلب، ويصُوغ ما يسبِكه(٢) اللُّبّ .

وقال جعفر بن يحيى : لم أر باكيا أحسنَ تبسما من القلم .

وقال المأمون : لله درّ القلم كيف يَحُوك وَشْي المملكة ! .

وقال ثُمَامة بن أَشْرَس : ما أَثَّرَته الأقلامُ، لم تطمع في دَرسه الأيام . بالأقلام تُدَبَّرُ الأقاليمُ . كتاب المرء عِنوان عقله، ولسان فضله . عقل الكاتب في قلمه .

وقال ابن المعتزّ : القلم مُجَهِّزٌ لجيوش الكلام، يخدُم الإرادة كأنه يقبّل بِساط سلطان، أو يفتّح نُوَّار بستان .

وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : منها جَودةُ برى القلم وإطالةُ جِلْفَته(٣)، وتحريفُ قطّته، وحُسْنُ التأتِّي لامتطاء الأنامل، وإرسالُ المَدّة بعد إشباع الحروف، والتحرُّزُ عند فراغها من الكسوف، وتركُ الشكل على الخطإ والإعجامِ على التصحيف .

---

(١) النوء : النجم اذا مال للغيب، جمعه أنواء ونوآن كعبد وعبدان . أو هو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه، وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى ذلك .

(٢) في الأصل : «يسيله»، وهو تحريف، والتصويب عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٣٧ ط دار الكتب المصرية؛ وقائل هذه الكلمة أبو دلف العجلي .

(٣) الجلفة بكسر الجيم وتفتح وسكون اللام من القلم : ما بين مبراه إلى سنه .

وقال العَتّابيّ : سألني الأَصْمَعِيُّ في دار الرشيد : أيّ الأنابيب للكتابة أصلَحُ وعليها أَصْبَرُ؟ فقلت له : ما نَشَفَ (١) بالهجير ماؤه ، وستره من تلويحه غشاؤه ؛ من التَّبْرِيَّة القشور ، الدُّرِّيَّة الظهور ، الفضِّيَّة الكسور؛ قال : فأي نوع من البرى أصوبُ وأكتَبُ؟ فقلت : البِرية المستوية القَطّة التي عن يمين سنها برية تؤمن معها المَجّة عند المدة والمطّة ، للهواء في شقّها فتيق ، والريحُ في جوفها خَرِيقٌ (٢) ، والمداد في خُرطومها رقيق . قال العتابيّ : فبقيَ الأصمعيّ شاخصا إليّ ضاحكا ، لا يُحير مسألة ولا جوابا .

وكتب عليّ بن الأزهر إلى صديق له يستدعي منه أقلاما : أما بعد : فإنا على طول الممارَسة لهذه الكتابة التي غَلبت على الاسم ، ولزمت لزومَ الوَسم (٣) ؛ فحلّت محل الأنساب ، وجرت مَجرى الألقاب ؛ وجدنا الأقلام الصُّحْرِيّة (٤) أجرى في الكواغد (٥) وأمرّ في الجلود ، كما أنّ البحرِيّة منها أسلسُ في القراطيس ، وألينُ في المعاطف وأشد لتعريف (٦) الخط فيها ، ونحن في بلد قليلِ القصب رديئه ، وقد أحببتُ في أن نتقدّم في اختيار (٧) أقلام صُحْرِيّة ، ونتنوّق (٨) في اقتنائها قبلك ، وتطلبَها من مظانّها ومنابتها من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن تتيمّن (٩) باختيارك منها الشديدةَ الصُّلبةَ

(١) في الأصل : (يشف) وهو تحريف ، والتصويب عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤١ ط دار الكتب المصرية . (٢) يريد أنها تنفذ فيها وتتخللها .

(٣) الوسم : أثر الكيّ .

(٤) الصُّحْرية بالضم نسبة الى الصُّحرة ، وهي جَوبة تنجاب وسط الحرة ، وتكون أرضا لينة تطيف بها حجارة ، والجمع صحر .

(٥) واحده كاغَد بفتح الغين المعجمة : القرطاس ، وهو فارسي معرّب .

(٦) في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٣ ط بولاق : (لتصريف) وكلاهما يستقيم به الكلام وإن اختلف المراد في كل من الروايتين . (٧) في الأصل : (تخيير) والمقام يقتضي ما أثبتنا كما في صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤١ والعقد الفريد . (٨) في العقد الفريد : (تتأنق) ومؤداهما واحد . (٩) في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٣ : (تتيمم في اختيارك) الخ ، وهي أقرب بقرينة قوله بعد : « وأن تقصد » .

النقيّةَ الجلود، القليلةَ الشحوم، الكثيرةَ اللحوم، الضيقةَ الأجواف [1]، الرزينةَ المَحْمِل فإنها أبقى على الكتابة، وأبعدُ من الحَفَا، وأن تقصد بانتفائك للرقاق القُضبان المقوّماتِ المتون، المُلْسِ المَعاقد [2]، الصافيةِ القشور، الطويلةِ الأنابيب، البعيدةِ ما بين الكعوب، الكريمةِ الجواهر، المعتدلةِ القوام، المستحكِمةِ يَبَسا وهى قائمةٌ على أصولها، لم تُعجَل عن إبّان ينعها، ولم تؤخّر إلى الأوقات المَخُوفة عليها من خَصَر [3] الشتاء وعَفَن الأنداء؛ فإذا استجمعَتْ عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا قطعا رقيقا، ثم عبأت منها حُزَما فيما يصونها من الأوعية، [ووجّهتها مع من يؤدّى الأمانة فى حراستها وحفظها وإيصالها] [4] وتكتب معها بعدّتها وأصنافها بغير تأخير ولا توان، إن شاء الله تعالى.

٩ وأهدى ابن الحَرُون [5] إلى بعض إخوانه أقلاما وكتب إليه:

إنه لما كانت الكتابة — أبقاك الله — أعظمَ الأمور، وقوامَ الخلافة، وعمودَ المملكة أتحفتك من آلتها بما يخف حمله، وتثقُل قيمتُه، ويعظُم نفعُه، ويجلّ خطرُه، وهى أقلام من القصب النابت فى الصحراء الذى نَشِف بحرّ الهجير [فى قشره] [6] ماؤه، وستره من تلويحه غشاؤه؛ فهى كاللآلئ المكنونة فى الصدف، والأنوار المحجوبة فى السَّدَف [7]؛ تبريّةُ القشور، دُرّيةُ الظهور، فضيةُ الكسور؛ قد كستها الطبيعة جوهرا كالوشى المحبّر، ورونقا [8] كالديباج المنيّر [9].

---

(١) فى الأصل: (الاحراف) وهو تحريف، صوابه ما أثبتنا كما فى صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤١.

(٢) فى الأصل: (العاقب) وفيه نقص وتحريف، والتصويب عن صبح الأعشى.

(٣) الخصر: البرد. (٤) الزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٤ طبع بولاق.

(٥) هو محمد بن أحمد بن الحسين بن الأصبغ بن الحرون من أهل بغداد.

(٦) التكملة عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤٢ ط دار الكتب المصرية. (٧) السدف محركة: ظلمة الليل. (٨) فى الأصل: (وفرند الديباج) الخ. وهو تحريف إذ لم نجد من معانى الفرند ما يناسب السياق؛ وما أثبتناه عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤٢ (٩) المنير كمعظم: المعلم المحم.

ومن كتاب لأبي الخطاب الصابي — يصف فيه أقلاما أهداها في جملة أصناف — جاء منه :

وأضفتُ إليها أقلاما سليمةً من المعايب، مبرّأةً من المثالب؛ جمّةَ المحاسن بعيدةً عن المطاعن؛ لم يُرِبها طول ولا قصر، ولم يَنقُصها ضعف ولا خَور؛ ولم يَشِنْهَا لِينٌ ولا رَخاوة، ولم يعبها كَزازة(١) ولا قساوة؛ فهذه آخذةٌ(٢) بالفضائل من جميع جهاتها، مستوفيةٌ للمادح بسائر صفاتها؛ صُلْبةُ المعاجم، لَيِّنةُ المَقَاطع، مُوفيةُ القدود والألوان، محمودةُ المَخْبَر والعِيان؛ قد استوى في الملاسة خارجُها وداخلُها، وتناسب في السلاسة عاليها وسافلُها؛ نبتت بين الشمس والظلّ، واختلف عليها الحَرّ والقُر؛ فلفحها(٣) وَقَدَانُ الهواجر، وسفعتها [سمائم](٤) شهر ناجر(٥)؛ ووقذها الشَّفّانُ(٦) بصَرْده، وقذفها الغمام بِبَرْده؛ وصابتها الأنواء بصَيِّبها، واستهلّت عليها السحائب بشآبيبها(٧)؛ فاستمرّت مرائرُها(٨) على إحكام، واستحصد سَحِيلُها(٩) بالإبرام؛ جاءت شتّى الشِّيات(١٠)، متغايرةَ الهيئات، متباينةَ المحالّ والبُلدان؛ تختلف بتباعد ديارها، وتأتلف بكرم نجارها؛ فمن أنابيبَ ناسبت رماحَ الخطّ في أجناسها، وشاكلت الذهب في ألوانها، وضاهت

---

(١) الكزازة والكزوزة بضم الكاف في الأخيرة : اليبس والانقباض .

(٢) في صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤٢ : (وهي آخذة) ولعله أنسب .

(٣) في الأصل : (فلاحفها) والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه اللغة .

(٤) التكملة عن صبح الأعشى .

(٥) كل شهر في صميم الحر اسمه ناجر، لأن الابل تنجر فيه، أي يشتد عطشها حتى تيبس جلودها .

(٦) الشفان : الريح الباردة مع المطر . والصرد : البرد، وهو فارسي [illegible] .

(٧) واحده شؤبوب : وهو الدفعة من المطر .

(٨) الحبال المفتولة على أكثر من طاقة، واحده مرير ومريرة . شبه بها القصبة في استحكامها وقوتها .

(٩) هو الحبل الذي يفتل على قوة واحدة . والابرام : فتله على طاقتين .

(١٠) مختلفة الألوان والنقوش .

الحرير فى لمعانها؛ بطيئةُ[1] الحفا، نمرةُ القُوَى[2]؛ لا يُشظيها[3] القطّ، ولا يُشعِّث[4] بها الخط؛ ومن مصريّة بيض، كأنها [قُباطيٌّ[5] مصر نقاء، وغِرْقِئُ البَيض صفاء؛ غذاها الصعيد من ثراه بلبّه] وسقاها النيل من نميره وعذبه؛ فجاءت ملتئمةَ الأجزاء، سليمةً من الالتواء؛ تستقيم شقوقُها فى أطوالها، ولا تنكّب عن يمينها ولا شمالها؛ تقترن بها صفراءُ كأنها معها عِقيانٌ[6] قُرِن بلُجَين، أو ورِقٌ خلط بعَين؛ تختال فى صُفر مَلاحفها، وتميس فى مُذهب مَطارفها[7]؛ بلون غياب الشمس، وصِبغ ثياب الوَرْس[8]، ومن منقوشة تَرُوق العين، وتُونِق النّفس، ويهدى حسنُها الأريحيّة إلى القلوب، ويحُلّ الطرب لها حَبْوةَ الحكيم اللبيب؛ كأنها اختلافُ الزهر اللامع، وأصنافُ الثمر اليانع؛ [ومن بحريّة مَوْشيّة الليط[9]] رائقة التخليط[10]؛ كأنّ داخلَها قطرةُ دم، أو حاشيةُ رداء

(١) فى الأصل وفى صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤٣ : (مضابطة) وهو خطأ من الناسخ ولا معنى له. والتصويب عن زهر الآداب ج ٢ ص ٢٠٧ ط الرحمانية. (٢) فى زهر الآداب: «قوية». (٣) فى الأصل: «ينبسطها» وهو تحريف، ولم نر من معانيه ما يناسب المقام. والتصويب عن زهر الآداب. (٤) يشعث: يفرق وينتشر. وعبارة زهر الآداب ج ٢ ص ٢٠٧ ط الرحمانية «ولا يتشعب» بالباء الموحدة، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين. (٥) الزيادة عن صبح الأعشى. والقباطى بضم القاف وفتحها: ثياب رقاق بيضاء تصنع فى مصر. واحده قبطية بضم القاف. والغرقئ كزبرج والغرقئ: القشرة الملتزقة ببياض البيض، أو هو البياض الذى يؤكل. (٦) العقيان بالكسر: ذهب ينبت فى الأرض وليس مما يستذاب من الحجارة، أو هو الذهب الخالص. واللجين بفتح الجيم: الفضة مادامت فى تراب معدنها، وهو مصغر لا مكبر له كالثريا. والورق: الدراهم المضروبة، وفيه لغات: تثليث الراء، وككتف وكقفل. والعين: الدينار. (٧) المطارف: الأردية من الخز ذوات الأعلام، واحده مطرف. (٨) الورس: شىء أصفر يخرج على الرمث بين آخر الصيف وأوّل الشتاء اذا أصاب الثوب لونه. أو هو نبات كالسمسم يزرع فيبقى عشر سنين فى الأرض، فاذا جف عند إدراكه تفتقت خرائطه فينفض فينتفض منه الورس.

(٩) الزيادة عن صبح الأعشى. والليط بالكسر: قشر القصبة، واحده ليطة، أو هو اللون.

(١٠) فى صبح الأعشى: «التخطيط» والمعنى يستقيم على كل من الروايتين.

مُعَلم، وكأنّ خارجها أرقم، أو متنُ واد مُفْعم، تَترت ألوانا تُزرى بورد الخدود، وأبدت قامات تُفْصح بأَود القُدود .

وقد أكثر الشعراء القول فى وصف القلم، فمن ذلك قول أبى تمّام الطائىّ :

لك القلم الأعلى الذى بشَباته * تصاب من الأمر الكُلَى والمفاصلُ
لُعاب الأفاعى القاتلات لُعابُه * وأَرْىُ(1) الجَنَى اَشتارته أيدٍ عواسل
له ريقةٌ طَلٌّ ولكنّ وَقعها * بآثاره فى الشرق والغرب وابل
فصيح إذا آستنطقتَه وهو راكب * وأعجمُ إن خاطبتَه وهو راجل
إذاما امتطى الخمسَ اللطافَ وأُفرغت * عليه شِعابُ(2) الفكر وهى حوافل
أطاعته أطرافُ القنا وتقوّضت * لنجواه تقويضَ الخيام الجحافل
إذا آستغزر الذهنَ الجلىَّ(3) وأقبلت * أعاليه فى القرطاس وهى أسافل
وقد رفدته الخنصران وسدّدت * ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأنامل
رأيت جليلا شأنُه وهو مرهَف * ضنًى وسمينا خَطبُه وهو ناحل

وقال آخر:

قوم إذا أخذوا الأقلام من غضب * ثم آستمدّوا بها ماءَ المنيّات
نالوا بها من أعاديهم وإن بَعُدوا * ما لم ينالوا بحدّ المَشْرَفيّات

وقال آبن المعتزّ :

قلم ما أراه أم فَلَكٌ يجرى بما شاء قاسم ويَسير(4)
خاشع فى يديه يلثِمُ قرطا * سًا كما قبّل البساط شكور

(1) الأرى : عسل النحل، وأصله عمل النحل العسل، وسمى به الشهد كما سمى المكسوب كسبا . واشتارته : استخرجته من الوقبة . (2) هى ما عظم من سواقى الأودية، واحده شعبة .
(3) كذا فى الأصل . وفى رواية : (الذكى) والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .
(4) فى أدب الكتّاب ص ٨٥ ط السلفية : «ويدور» .

ولطيفُ المعنى جليل نحيف * وكبير الأفعـال وهو صـغير
*
كم منايا وكم عطايا وكم حتـفٍ وعيشٍ تضُم تلك السطور
*
نقشتْ بالدجى نهـارا فمـا أدرى أخـطٌّ فيهن أم تصـوير

وقال محمد بن علىّ (١) :

فى كفه صارمٌ لانَتْ مَضاربه * يسوسـنا رَغَبا إن شاء أو رَهَبا
السـيفُ والرمح خُدّام له أبدا * لا يَبلغان له جِـدّا ولا لعبا
تجرى دماءُ الأعادى بين أسطره * ولا يُحَس له صوت إذا ضَربا
فما رأيت مدادا قبل ذاك دما * ولا رأيت حساما قبل ذا قَصبا

وقال ابن الرومىّ :

لعمرك ما السيفُ سيفُ الكمِىّ * بأخوفَ من قلم الكاتب
له شـاهد إن تأملتَـه * ظهرتَ على سـره الغـائب
أداةُ المنيّـة فى جانبيـه * فمِن مثله رهبـةُ الراهب
ألم تر فى صـدره كالسنان * وفى الرِدف كالمرهَف القاضب؟

وقال الرفّاء (٢) :

أخرسُ ينبيك بإطراقـه * عن كل ما شئتَ من الأمر
يُذرى على قرطاسـه دمعَه * يُبـدى لنا السرّ وما يدرى
كعاشق أخفى هواه وقـد * نمّت عليـه عَبرةٌ تجـرى
تبصره فى كـل أحـواله * عُريانَ يكسو الناسَ أو يُعرِى
يُرَى أسـيرا فى دواة وقد * أطلق أقواما من الأسْر

(١) صوابه، نسبة هذه الأبيات إلى أبى بكر محمد بن يحيى الصولى، وهى من قصيدة وجه بها إلى أبى على محمد بن على كما فى أدب الكتاب ص ٨٠ ط السلفية .

(٢) هو أبو الحسن السرىّ بن أحمد بن السرىّ الكندىّ الرفاء الموصلىّ الشاعر المعروف .

وقال آخر :

وذى عفاف راكع ساجد * أخو صلاح دمعه جارى
ملازم الخمس لأوقاتها * مجتهد فى خدمة البارى

وقال ابن الرومىّ :

إن يخدُم القلمَ[(١)] السيفُ الذى خضعت * له الرقابُ ودانت خوفَه الأمم
فالموت والموت لا شىءٌ يغالبه * مازال يَتبع ما يجرى به القلم
كذا قضى الله للأقلام مذ بُرِيَت * أن السيوف لها مذ أرهِفت خَدَم

وقال أبو الطيّب الأزْدىّ :

قلَم قلَّم أظفار العدى * وهو كالإصبع مقصوصَ الظُّفُر
أشبه الحيّة حتى أنه * كلما عُمِّر فى الأيدى قَصُر

وقال أبو الحسن بن عبد الملك بن صالح الهاشمىّ :

وأسمرَ طاوى الكَشحِ أخرسَ ناطق * له زَمَلانٌ[(٢)] فى بطون المَهارق.

---

## [ذكر[(٣)] ما يحتاج الكاتب الى معرفته من الأمور الكلية]

قال شهاب الدين أبو الثناء محمودُ بنُ سليمانَ الحلبىُّ فى كتابه «حسن التوسل» فأوّل مايبدأ به من ذلك حفظُ كتاب الله تعالى، ومداومةُ قراءته، وملازمةُ درسه

---

(١) فى الأصل : (إن يخدم السيف القلم) وهو غير مستقيم الوزن .

(٢) الزملان بفتح أوّله وثانيه : مشى الدابة أو عدوها كأنها تظلع من النشاط ، استعاره للقلم . والمهارق : الصحف ، واحده مهرق بضم الميم ، وهو معرّب .

(٣) هذه التكملة المحصورة بين مربعين لم ترد بالأصل ، وبعد مراجعة هذا الكلام فى مظانه رأينا أنه منقول عن كتاب «حسن التوسل» فأثبتنا عنه هنا ما لايستقيم الكلام بدونه ، والظاهر من قوله فيما سيأتى : قال فهذه أمور كلية الخ ، وقوله : وذكر فى كتابه جملا الخ أنه نبه على هذا النقل فى أوّله .

وتدبُّرُ معانيه حتى لا يزال مصوّرا فى فكره ، دائرا على لسانه ، ممثّلا فى قلبه ، ذاكرا له فى كل ما يرِد عليــه من الوقائع التى يحتاج الى الأستشهاد به فيها ، ويَفتقر الى اقامة الأدلّة القاطعة به عليها ؛ وكفى بذلك معينا له فى قصده ، ومغْنيًا له عن غيره ، قال الله تعالى : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ﴾ ؛

وقد أُخرج من الكتاب العزيز شواهدُ لكل ما يدور بين الناس فى محاوراتهم ومخاطَباتهم مع قصور كل لفظ ومعنى عنه ، وعجزِ الإنس والجنّ عن الاتيان بسورة من مثـــله ؛

ومن ذلك أن سائلا قال لبعض العلماء : أين تجد فى كتاب الله تعالى قولَهم : الجار قبل الدار؟ قال : فى قوله تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِى عِنْدَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ﴾ فطلبَت الجـارَ قبل الدار ، ونظائرُ ذلك كثيرة . وأين قول العرب : «القتلُ أنفَى للقتلِ» لمن أراد الأستشهاد فى هذا المعنى من قوله عزّ وجلّ : ﴿وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ . وأكثر الناس على جواز الأستشهاد بذلك ما لم يحوَّل عن لفظه ، ولم يغيَّر معناه .

فمن ذلك ما رُوِى فى عهد أبى بكر رضى الله عنــه : هذا ما عهد أبو بكر خليفةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخرَ عهدِه بالدنيا ، وأوّلَ عهدِه بالآخرة ، إنى استخلفت عليكم عمرَ بنَ الخطّــاب ، فإن برّ وعَدَل فذلك ظنّى به ، وان جار وبدّل فلا علم لى بالغيب ، والخيرَ أردتُ بكم ، ولكل امرئ ما اكتسب من الإثم ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ .

ورُوى أن عليا رضى الله عنه قال للُمغيرة بنِ شُعْبَةَ لمـا أشار عليه بتولية معاوية : ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ .

وكتب فى آخر كتاب الى معاوية : وقد علمتَ مواقع سيوفنا فى جدّك وخالك وأخيك ﴿وَمَا هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ .

وقول الحسن بن على عليه السلام لمعاوية :﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ الى حِينٍ﴾ ورُوى مثلُ ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما . —

وكتب الحسن الى معاويةَ : أما بعد ، فان الله بعث محمدا صلّى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، ورسولا الى الناس أجمعين ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ .

وكتب محمد بنُ عبد الله بنِ الحسن بنِ الحسن بن على الى المنصور فى صدر كتاب لمّا حاربه :﴿طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ﴾ الى قوله :﴿مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ . ونَقَضَ عليه المنصور فى جوابه عن قوله : «إنه ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم» بقوله تعالى :﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ .

ونُقِل عن الحسن البصرىّ رحمه الله مايدل على كراهية ذلك ، فقال حين بلغه أن الحجاج أنكر على رجل استشهد بآية : أنَسِىَ نفسه حين كتب الى عبد الملك ابن مروان : بلغنى أن أمير المؤمنين عطس فشمّته من حضر فردّ عليهم ﴿يَا لَيْتَنِى كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾؟ واذا صحت هذه الرواية عن الحسن فيمكن أن يكون انكارُه على الحجاج لأنه أنكر على غيره ما فعله هو . وذهب بعضهم الى أن كل ما أراد الله به نفسَه لا يجوز أن يُستشهَد به إلا فيما يضاف الى الله سبحانه وتعالى مثل قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ . وقوله تعالى : ﴿بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ونحو ذلك مما يقتضيه الأدب مع الله سبحانه وتعالى .

ومن شرف الاستشهاد بالكتاب العزيز إقامةُ الحجة ، وقطعُ النزاع ، وارغامُ الخصم كما رُوى أن الحجاج قال لبعض العلماء : أنت تزعم أن الحسين رضى الله عنه من ذرية

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى على ذلك بشاهد من كتاب الله عز وجل، وإلا قتلتك؛ فقرأ : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ الى قوله : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾ وعيسى هو ابنُ بنته؛ فأسكت الحجاج. وقد تقوم الآيةُ الواحدةُ المستشهَدُ بها فى بلوغ الغرض، وتوفيةِ المقاصد ما لا تقوم به الكتب المطوّلة، والأدلةُ القاطعةُ ؛

وأقرب ما اتفق من ذلك أن صلاح الدين رحمه الله كتب الى بغداد كتابا يعدّد فيه مواقفه فى إقامة دعوة بنى العباس بمصر، فكُتب جوابُه بهذه الآية : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾]

وكتب أمير المسلمين يعقوبُ بنُ عبد المؤمن الى الأذْفُونِش(١) مَلِكِ الفرنج جوابا عن كتابه اليه — وكان قد أبرق وأرعد فكتب فى أعلاه — :

﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾

ومما جوّزوا الاستشهاد به ما لا يقصد به إلا التلويحُ الى الآية دون اطّراد الكلام نحو قول القاضى الفاضل مما كَتب به الى الخليفة عن الملك الناصر صلاح الدين فى الاستصراخ [وتهويل أمر الفرنج](٢) : ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي﴾ وهاهى فى سبيلك مبذوله، وأخى وقد هاجر اليك هجرة يرجوها مقبوله . وأما تغيير شيء من اللفظ أو إحالةُ معنى عما أريدَ به فلا يجوز، وينبغى العدل عنه ما أمكن .

ويتلو ذلك الاستكثارُ من حفظ الأحاديث النبوية — صلوات الله وسلامه على قائلها — وخصوصا فى السير والمغازى والأحكام، والنظر فى معانيها وغريبها وفصاحتها

(١) فى الأصل : «الأدفونس» وهو تصحيف، والتصويب عن وفيات الأعيان .

(٢) الزيادة عن حسن التوسل ص ٤ طـ المطبعة الوهابية .

وفقهُ ما لا بدّ من معرفته من أحكامها، ليحتج بها في(١) مكان الحجة، ويستدل بموضع الدليل، فإن الدليل على المقصد إذا استند الى النص سُلِّمَ له، والفصاحةُ اذا طُلبت غايتُها فإنها بعد كتاب الله في كلام من أوتي جوامعَ الكَلِم. وينبغي أن يراعي في الحَلّ لفظ الحديث ما أمكن، وإلا فمعناه.

ويتلو ذلك قراءةُ ما يتفق من كتب النحو التي يحصل بها المقصود من معرفته العربيةَ، فإنه لو أتى الكاتب من البلاغة بأتمّ ما يكون ولَحَن ذهبت محاسن ما أَتَى به وانهدمت طبقةُ كلامه، وألغِيَ جميعُ [ما حسّنه](٢)، ووُقِفَ به عند ماجهِله.

ويتعلق بذلك [قراءة](٣) ما يتهيأ من مختصرات اللغة، كالفصيح، وكفاية المتحفظ وغيرِ ذلك من كتب الألفاظ ليتسعَ عليه مجال العبارة، وينفتحَ له باب الأوصاف فيما(٤) يحتاج الى وصفه، ويضطر الى نعته.

ويتصل بذلك حفظ خطب البلغاء من الصحابة وغيرهم، ومخاطباتِهم ومحاوراتِهم ومراجعاتِهم ومكاتباتِهم، وما ادّعاه كلّ منهم لنفسه أو لقومه، وما نقضه عليه خَصمُه، لما في ذلك من معرفة الوقائع بنظائرها، وتلقّي الحوادث بما شاكلها والاقتداءِ بطريقة من فَلَج(٥) على خصمه، واقتفاءِ آثار من اضطُر الى عذر، أو إبطال دعوى أو اثباتها، والأجوبةِ الدامغة؛ فتأمله في موضعه فإنك ستقف منه على ما تستغني به عن ذلك.

(١) كذا في الأصل. وعبارة حسن التوسل ص ٤ ط المطبعة الوهابيه: «بمكان» الخ مع إسقاط قوله: «بها»، ولعلها أقرب بقرينة ما بعدها.

(٢) موضع هذه العبارة مطموس بالأصل تتعذر قراءته، وما نقلناه عن حسن التوسل.

(٣) الزيادة عن حسن التوسل.

(٤) في الأصل: «مما» وما أثبتناه عن حسن التوسل.

(٥) فلج: ظفر، وبابه نصر وضرب.

ثم النظرُ فى أيام العـرب ووقائعهم وحروبهـم ، وتسميةُ الأيام التى كانت بينهم ، ومعرفةُ يوم كل قبيلة على الأخرى ، وما جرى بينهم فى ذلك من الأشعار والمنافَسات ، لمـا فى ذلك من العلم بما يُستشهَد به من واقعةٍ قديمةٍ ، أو يَرِد عليه فى مكاتبةِ مَنْ ذَكَرَ يوما مشهورا ، أو فارسا معيَّنا . وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى فنّ التاريخ على ما ستقف عليه ، فإن صاحب هذه الصناعة إذا لم يكن عارفا بأيام العرب ، عالمـا بما جرى فيها لم يدر كيف يجيب عمـا(١) يَرِد عليه من مثلها ، ولا مايقول إذا سئل عنها ، وحسبه ذلك نقصا فى صناعته وقصورا .

ثم النظر فى التواريخ ومعرفة أخبارِ الدول ، لمـا فى ذلك من الآطلاع على سِيَر الملوك وسياساتهم ، وذكر وقائعهم ومكايدهم فى حروبهم ، وما آتفق لهم من التجارِب ؛ فإن الكاتب قد يُضطرّ إلى السؤال عن أحوال من سلف ، أو يَرِد عليه فى كتاب ذكرُ واقعة بعينها ، أو يُحتجّ عليه بصورة قديمة فلا يَعرف حقيقتها من مجازها ؛ وقد أوردنا فى فن التاريخ مالا يحتاج الكاتب معه إلى غيره من هذا الفن .

ثم حِفظ أشعار العرب ومطالعة شروحها ، وآستكشافُ غوامضها والتوفُّر على ما آختاره العلماء بها(٢) منها ، كالحماسة ، والمُفَضَّليّات ، والأصمعيّات ، وديوانِ الهُذَليِّين ، وما أشبه ذلك ، لمـا فى ذلك من غزارةِ الموادّ ، وصحّةِ الآستشهاد ، والآطلاع على أصول اللّغة ، ونوادر العربيّـة ؛ وقد كان الصدر الأول يعتنون بذلك غاية الآعتناء ، وقد حكى أن الإمام الشافعى رحمه الله كان يحفظ ديوان هُذَيل ؛ فإذا أكثر (١٢) المترشِّح للكتابة من حفظ ذلك وتدبّر معانيـه سهُل عليه حَلّه ، وظهرت له مواضع

(١) فى الأصل : (بما) وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما تقتضيه اللغة .

(٢) كذا فى الأصل وفى حسن التوسل . ولعل قوله : «بها» زيادة من الناسخ . وعبارة صبح الأعشى ج ١ ص ٢٧١ ط دار الكتب المصرية : (وما توفرت دواعى العلماء بها على اختياره) ولعلها أظهر .

الأستشهاد به، وساقه الكلام إلى إبراز ما فى ذخيرة حفظه منه ، ووضعه فى مكانه ونقله فى الأستشهاد والتضمين الى ما كأنه وضع له ، كما اتفق للقاضى أبى بكر الأرجانى (١) فى تضمين أنصاف أبيات العرب فى بعض قصائده، فقال :

وأهد الى الوزير المدح يجعل * «لك المرباع (٢) منها والصفايا»
ورافق رفقة حلّوا إليه * «فآبوا (٣) بالنهاب وبالسبايا»
وقل للراحلين الى ذراه * «ألستم (٤) خير من ركب المطايا»
ولا تسلك سوى طرق فإنّى * «أنا ابن (٥) جلا وطلاع الثنايا»

وقال بديع الزمان الهمذانى :

أنا لقرب دار مولاى "كما طرب النشوان مالت به الخمر" ومن الارتياح الى لقائه "كما انتفض العصفور بلله القطر" ومن الامتزاج بولائه "كما التقت الصهباء والبارد العذب" ومن الأبتهاج بمزاره "كما اهتز تحت البارح (٦) الغصن الرطب" .

وكما قال ابن القرطبى وغيره فى رسائلهم على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(١) هذه كنيته ، واسمه أحمد بن محمد بن الحسين .

(٢) فى الأصل : «الرباع» بدون ميم ، وفيه نقص ، والتصويب عن اللسان . والمرباع : ما يأخذه الرئيس ، وهو ربع الغنيمة . والصفايا : ما يصطفيه الرئيس منها . وقوله : لك المرباع الخ صدر بيت ، وتمامه : «وحكمك والنشيطة والفضول» . والنشيطة : ما أصاب الرئيس من الغنيمة قبل أن يصير الى مجتمع الحى .

(٣) قوله : فآبوا الخ هو صدر بيت لعمرو بن كلثوم ، وتمامه : «وأبنا بالملوك مصفدينا» .

(٤) هو صدر بيت لجرير من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان ، وتمامه : «وأندى العالمين بطون راح» .

(٥) قوله : أنا ابن جلا الخ ، تمام البيت : «متى أضع العمامة تعرفونى» ، وقائله سحيم بن وثيل . انظر شرح شواهد المبانى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩ م .

(٦) البارح : الريح الشديدة .

وكذلك حفظُ جانب جيّد من شعر المحدَثين، كأبى تمّـام ومسلمِ ابنِ الوليـد والبُحترىّ وابنِ الرومىّ والمتنبىّ، للطف مَآخذهم، ودَوَرانِ الصـناعة فى كلامهم، ودِقّةِ توليـد المعانى فى أشعارهم، وقربِ أسلوبهم من أسلوب الخطابة والكتابة.

وكذلك النظرُ فى رسائل المتقـدّمين دون حِفظها لمـا فى النظر فيها من تنقيح القريحةِ، وإرشادِ الخاطرِ، وتسهيلِ الطرقِ، والنسج على مِنوال المُجيد، والاقتداءِ بطريقةِ المحسنِ، واستدراكِ ما فات القاصرَ، والاحترازِ مما أظهره النقدُ، وردِّ ما بهرجه السبكُ؛ فأمّا النهى عن حفظ ذلك فلئـلا يتّكل الخاطرُ على ما فى حاصله، ويستندَ الفكرُ إلى ما فى مودَعه، ويكتفى بما ليس له، ويتلبّس بما لم يُعطَ "كلابس ثوبَىْ زور"؛ وأمّا من قصد المحاضرةَ بذلك دون الإنشاءِ فالأحسنُ به حِفظُ ذلك وأمثالِه.

وكذلك النّظرُ فى كتبِ الأمثالِ الواردةِ عن العـرب نظما ونثرا كأمثال المَيدانىّ والمفضَّلِ بنِ سلَمةَ الضبىّ وحمزةَ الأصبهانىّ وغيرِهم، وأمثالِ المحْدَثين الواردةِ فى أشعارهم، كأبى العتاهيةِ وأبى تمّام والمتنبىّ، وأمثالِ المُولَّدين؛ وقد أوردنا من ذلك فى باب الأمثال جُملا.

وكذلك النّظرُ فى الأحكامِ السّلطانيّـةِ، فإنه قد يأمر بأمر فيعرفُ منها كيف يخلّص قلمه على حكم الشريعةِ المطهّرةِ من توليةِ القضاءِ والحِسبةِ وغيرِ ذلك؛ وقد قدّمنا فى هذا الكتابِ من ذلك طرَفا جيّدا. قال: فهذه أمور كلّيّة لا بدّ للترشّح لهذه الصناعة من التصدّى للاطلاع عليها، والإكبابِ على مطالعتها، والاستكثارِ منها

(١) فى الأصل: «قال» وهو تحريف، والتصويب عن حسن التوسل.

لِينفِق من تلك المواد، وليسلُكَ فى الوصول إلى صناعته تلك الجوادّ[(١)]، وإلا فليعلم أنه فى وادٍ والكتابةُ فى واد .

قال : وأمّا الأمور الخاصّةُ التى تزيد معرفتُها قدرَه، ويزين العلمُ بها نظمَه ونثرَه، فإنّها من المكمِّلاتِ لهذا الفنّ وإن لم يُضطرَّ إليها ذو الذهن الثاقبِ ، والطبعِ السليمِ، والقريحةِ المطاوعةِ، والفكرةِ المنقّحةِ، والبديهةِ المُجيبةِ، والرويّةِ المتصرّفةِ، لكنّ العالمَ بهـا متمكّن من أزِمّة المعانى، يقول عن عِلْم، ويتصرّفُ عن معرفة، وينتقدُ بحجّة، ويتخيّرُ بدليل، ويستحسنُ ببرهانٍ، ويصوغُ الكلامَ بترتيبٍ ؛ فمن ذلك علم المعانى والبيان والبديع، والكُتبُ المؤلّفةُ فى إعجازِ الكتابِ العزيزِ، ككتب الجرجانىّ والرُّمّانىّ والإمامِ فخرِ الدينِ السكّاكىّ والخفاجىّ وابنِ الأثيرِ وغيرِهم؛ وذكر فى كتابه جُملا بهذه المعانى [ وأورد أيضا أمورا أخرى تتصل بذلك من خصائص[(٢)] ] الكتابة (١٣) وهى الاقتباس والاستشهاد والحلّ، وأتى على ذلك بشواهدَ وأمثلة،وسأذكر فى هذا الكتاب ملخّصَ ما أورده فى ذلك باختصارٍ[(٣)] وزيادةٍ عليه .

فأمّا علوم المعانى والبيانِ والبديعِ ، فمنها : ذكر الفصاحةِ، والبـلاغةِ والحقيقةِ والمجازِ، والتشبيهِ، والاستعارةِ، والكنايةِ، والخبرِ وأحكامِه، والتقـديم والتأخيرِ، والفصـلِ والوصلِ، والحـذفِ والإضمارِ، ومباحثِ إنّ وإنّمـا، والنظم والتجنيسِ، والطباقِ، والمقابلةِ، والسـجعِ، وردّ العجزِ على[(٤)] الصـدر، والإعنات[(٥)]

(١) واحده جادّة، وهى وسط الطريق ومعظمه .

(٢) موضع هـذه العبارة مطموس بالأصل تتعذر قراءته، ولعل ما أثبتناه مكانها يوافق الغرض الذى أراده و يتناسب مع سابق الكلام ولاحقه .

(٣) فى الأصل : «واختصار» والسياق يقتضى الباء إذ لا يستقيم العطف هنا .

(٤) فى الأصل : «عن» وما أثبتناه هو المعروف فى كتب البلاغة .

(٥) فى الأصل : «والإعناق» بالقاف . وهو تحريف، والتصويب عن حسن التوسل .

والمذهبِ الكلاميّ، وحسن التعليلِ، والألتفاتِ، والتمامِ، والأستطرادِ، وتأكيدِ المدحِ بما يشبه الذم، وتأكيدِ الذمّ بما يشبه المدحَ، وتجاهلِ العارفِ، والهزلِ الذي يراد به الجدّ، والكناياتِ، والمبالغةِ، وإعتابِ المرء نفسَه، وحسنِ التضمينِ والتلميحِ، وإرسالِ المثلِ، وإرسالِ مثلين، والكلامِ الجامعِ، واللفِّ والنشرِ والتفسيرِ، والتعديدِ — ويسمّى سياقةَ الأعدادِ — وتنسيقِ الصفاتِ، والإيهامِ — ويقال له: التورية — والتخييل، وحسنِ الابتداءات، وبراعةِ التخليص، وبراعةِ الطلب وبراعةِ المقطعِ، والسؤالِ والجوابِ، وصحةِ الأقسامِ، والتوشيحِ، والإيغالِ، والإشارةِ والتذييلِ، والترديدِ، والتفويفِ، والتسهيم، والأستخدامِ، والعكسِ، والتبديلِ والرجوعِ، والتغايرِ، والطاعةِ والعصيانِ، والتسميطِ، والتشطيرِ، والتطريزِ، والتوشيعِ والإغراقِ، والغلوِ، والقسمِ، والأستدراكِ، والمؤتلفةِ والمختلفةِ، والتفريقِ المفردِ والجمعِ مع التفريقِ، والتقسيمِ المفردِ، والجمعِ مع التقسيم، والتزاوجِ، والسلبِ والإيجابِ والأطرادِ، والتجريدِ، والتكميلِ، والمناسبةِ، والتفريعِ، ونفيِ الشيء بإيجابِه والإيداعِ[(1)]، والإدماجِ، وسلامةِ الأختراعِ، وحسنِ الأتباعِ، والذمّ في معرِض المدحِ والعنوانِ، والإيضاحِ، والتشكيكِ، والقولِ بالموجبِ، والقلبِ، والتنديدِ، والإسجالِ بعد المغالطةِ، والأفتنانِ، والإبهامِ، وحصرِ الجزئي وإلحاقه بالكلّي، والمقارنةِ والإبداعِ، والأنفصالِ، والتصرّفِ، والأشتراكِ، والتهكّمِ، والتدبيجِ، والموجّهِ وتشابهِ الأطرافِ. هذا مجموعُ ما أورده منها، واستشهد[(2)] عليه بأدلّة، وأورد أمثلة سنشرح منها ما يكتفي به اللبيبُ، ويستغني به اللبيب[(3)].

(١) في الأصل: «والابداع» بالباء الموحدة، والتصويب عن حسن التوسل.

(٢) في الأصل: «والاستشهاد» وما أثبتناه أولى بالسياق.

(٣) كذا في الأصل، وهو مكرر مع ما قبله، ولعل صوابه: «الأريب».

أما الفصاحة والبلاغة، فقد تقدّم الكلام فيهما فى أوّل الباب، فلا فائدة فى إعادته .

وأما الحقيقةُ والمجازُ — فالحقيقة فى اللّغة فعيلةٌ بمعنى مفعولة، من حقّ الأمر يُحقّه بمعنى أثبته، أو من حققتُه إذا كنتَ منه على يقينٍ . والمجاز من جاز الشيء يجوزه إذا تعدّاه، فإذا عدل باللّفظ عما يوجبه أصل اللّغة وُصف بأنه مجازٌ على أنهم قد جازوا به موضعَه الأصلىّ، أو جاز هو مكانَه الذى وُضع فيه أوّلا، لأنه ليس بموضع أصلىّ لهذا اللّفظ ولكنّه مجازه ومتعدّاه يقع فيه كالواقف بمكان غيره ثم يتعدّاه [إلى] مكانه الأصلىّ. ولها حدود فى المفرد والجملة، فحدّهما فى المفرد : أن كل كلمة أريد بها ما وضعت له فهى حقيقة، كالأسد للحيوانِ المفترِس، واليدِ للجارحةِ ونحوِ ذلك . وإن أريد بها غيرُه لمناسبة بينهما فهى مجاز، كالأسدِ للرّجلِ الشجاعِ واليدِ للنّعمة أو للقوّة، فإن النعمةَ تُعطَى باليدِ، والقوّةَ تظهر بكمالها فى اليدِ. وحدّهما فى الجملة : أن كلّ جملة(1) كان الحكم الذى دلّت عليه كما هو فى العقل فهى حقيقة كقولنا : خلق الله الخلق؛ وكلّ جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه فى العقل بضرب من التأويل فهى مجاز، كما إذا أضيف الفعل إلى شيء يضاهى الفاعل، كالمفعول به فى قوله عزّ وجلّ : ﴿فِى عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ و﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾؛ أو المصدرِ، كقولهم: شعرٌ شاعرٌ؛ أو الزمانِ، كقول النعمان بن بشير لمعاوية :

* وليلُك عمّا ناب قومك نائم *،

أو المكان، كقولك : طريق سائر؛ أو المسبِّبِ، كقولهم : بنى الأمير المدينة؛ أو السببِ، كقوله تعالى : ﴿وإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ . فمجاز المفردِ

---

(1) فى الأصل : « فهو » والصواب تأنيث الضمير لتأنيث مرجعه وليوافق ما سيأتى .

لغوىّ، ويسمّى مجازا فى المثبَت، ومجاز الجملة عقلىّ، ويسمّى مجازا فى الإثبـات. قال : فالمجـاز قد يكون فى الإثبات وحده، وهو أن يُضيف الفعلَ إلى غير الفاعلِ الحقيقىّ كما ذكرناه، وقد يكون فى المثبَت وحده، كقوله تعالى : ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ جعل خُضرة الأرض ونَضرتها حياة، وقد يكون فيهما جميعا، كقولك : أحيتنى رؤيتـك، تريد سرّتنى، فقـد جَعلتَ المسرّة حياة (١) وهو مجـاز فى المثبَت وأسندتَها إلى الرؤية وهو مجاز فى الإثبات .

قال : وآعلم أنهم تعرضوا فى آعتبار كون اللّفظ مجازا إلى آعتبار شيئين :

الأوّل أن يكون منقولا عن معنى وُضِع اللّفـظ بإزائه، وبهذا يتميّز عن اللّفظ المشـــترك

الثـانى أن يكون هذا النقل لمناسبة بينهما، فلا توصف الأعلام المنقولة بأنّها مجاز إذ ليس نقلها لتعلّق نسبةٍ [بين] (٢) المنقولِ عنه ومن له العلم، وإذا تحقّق الشرطان سمى مجازا، وذلك مثل تسميةِ النعمةِ والقوّةِ باليدِ، لما بين اليد وبينهما من التعلّق وكما قالوا : رعَينا الغيثَ، يريدون النبت الذى الغيثُ سببه، وصابتنا السّماء، يريدون المطر، وأشباه ذلك ونظائره .

وأما التشبيه — فهو الدّلالة على آشتراك شيئين فى وصف هو من أوصاف الشىء فى نفســه، كالشجاعة فى الأســد، والنّورِ فى الشمس . وهو ركن من أركان البلاغة لإخراجِه الخفىّ الى الجلىّ، وإدنائِه البعيد من القريب . وهو حكم إضافىّ لا يوجد إلا بين الشيئين بخلاف الآستعارة .

---

(١) فى الأصل : «حيلة» وهو تحريف صوابه ما أثبتنا .

(٢) الزيادة من حسن التوسل، والسياق يقتضيها .

ثم التّشبيه على أربعة أقسام: تشبيه محسوس [بمحسوس][1]، وتشبيه معقول [بمعقول][2]، وتشبيه معقول بمحسوس، وتشبيه محسوس بمعقول .

فأما تشبيه محسوس بمحسوس فلاشتراكهما إمّا فى المحسوسات الأولى : وهى مدرَكات السمع والبصر والذّوق والشمّ واللّمس، كتشبيه الخدّ بالورد والوجه بالنهار، [وأطيط الرّحل بأصوات الفراريج][3] والفواكه الحلوة بالسكّر والعسل ورائحة بعض الرياحين بالمسك والكافور، واللّين الناعم بالحرير، والخشن بالمسح[4]. أو فى المحسوسات الثانية[5]: وهى الأشكال المستقيمة والمستديرة، والمقادير، والحركات كتشبيه المستوى المنتصب بالرّمح، والقدّ اللّطيف بالغصن، والشّىء المستدير بالكرة والحَلَقة، والعظيم الجثّة بالجبل، والذاهب على الاستقامة بنفوذ السهم. أو فى الكيفيّات الجُسمانيّة، كالصلابة والرخاوة . أو فى الكيفيّات النفسانيّة، كالغرائز والأخلاق . أو فى حالة إضافية، كقولك : هذه حجّة كالشّمس، وألفاظ كالماء فى السّلاسة وكالنّسيم فى الرّقة، وكالعسل فى الحلاوة . وربّما كان التشبيه بوجه عقلىّ، كقول فاطمة بنت الخُرْشُب الأنمارِيّة حين وصفت بنيها الكملة فقالت : هم كالحلقة المفْرغة لا يُدرَى أين طرفاها .

وأما تشبيه المعقول بالمعقول فهو كتشبيه الوجود العارى عن الفوائد بالعدم، وتشبيه الفوائد التى تبقى بعد عدم الشّىء بالوجود، كقول الشاعر :

رب حىّ كميّت ليس فيه * أمل يرتجى لنفع وضرّ
وعظام تحت التراب وفوق الأ * رض منها آثار حمد[6] وشكر

---

(١) التكلة عن حسن التوسل ، وصحة التقسيم تقتضى إثباتها . (٢) التكلة عن حسن التوسل والمقام يقتضى إثباتها . (٣) التكلة عن حسن التوسل . (٤) المسح بالكسر : الكساء من الشعر، جمعه أمساح ومسوح. (٥) فى الأصل : «البانية» وهو تحريف . (٦) فى الأصل : «منها حمد» والتكلة عن حسن التوسل وبها يستقيم البيت .

وأمّا تشبيه المعقول بالمحسوس فهو كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ .

وأما تشـبيه المحسوس بالمعقول فهـو غير جائز ، لأن العـلوم العقليّة مستفادةٌ من الحواسّ ومنتهيةٌ إليها ، ولذلك قيل : من فقد حسّا فقـد علما . فإذا كان المحسوس أصـلا للمعقول فتشبيهه به يكون جعلا للفرع أصلا والأصـل فرعا ولذلك لو حاول محاول المبالغـة فى وصف الشمس بالظهور والمسك بالثناء[1] فقال : الشـمس كالحجّة فى الظّهور ، والمسكُ كالثّناء فى الطّيب ، كان ذلك سَخَفًا من القول (١٤)

فأمّا ما جاء فى الشعر من تشـبيه المحسوس بالمعقول فوجهه أن يقـدّر المعقولُ محسوسا ، ويُجعل كالأصل[2] المحسوس على طريق المبالَغـة ، فيصحّ التشبيه حينئـذ وذلك كما قال الشاعر :

وكأنّ النجوم بين دجاها ⁂ سُنَنٌ لاح بينهنّ ٱبتداع

فإنّه لـمّا شاع وصف السنّة بالبياض والإشراق ، وٱشتهرت البدعة وكلّ ما ليس بحقٍّ بالظلمة[3] تخيّـل الشاعر أن السنن كأنها من الأجناس التى لها إشراق ونور ، وأن البِدع نوع من الأنواع الّتى لها ٱختصاص بالسـواد والظُلمة ، فصار ذلك كتشبيه محسوسٍ بمحسوسٍ ، فجاز له التشبيه ، وهو لا يتمّ إلا بتخيـيل ما ليس بمتلوّنٍ [متلوّنا][4] ثم يتخيّله أصلا فيشبَّه به ، وهذا هو الّذى تُؤوّل فى قول أبى طالب الرَّقّىّ :

---

(١) كذا فى الأصل وفى حسن التوسل . وهو غير مستقيم كما لا يخفى ، ولعل صواب العبارة : «والمسك بالطيب» فإن المسك إنما يوصف به لا بالثناء ، وفى الجملة قبلها وفى ما يأتى من التمثيل ما يؤيده .

(٢) فى الأصل : «ويجعل المعقول محسوسا» وهو مكرر مع ما قبله ، وتصويب العبارة عن حسن التوسل .

(٣) فى الأصل : «كالظلمة» وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

(٤) الزيادة عن حسن التوسل ، ولا يتم المعنى بدونها .

ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يومُ النوى وفؤاد من لم يعشَق

فإنه لمّا كانت الأوقات التى تحدُثُ فيها المكاره توصف بالسواد كما يقال : اسودّت الدنيا فى عينه، جعل يومَ النوى كأنه أشهرُ بالسواد من الظلام، فعرّفه به وشبّهه، ثم عطف عليه فؤادَ من لم يعشَق لأنّ من لم يعشق عندهم قاسى القلب والقلب القاسى يوصَف بشدّة السواد، فأقامه أصلا، فقس على هذا المثال . قال : واعلم أنّ ما به المشابهة قد يكون مقيّدا بالانتساب إلى شىء، وذلك إما الى المفعول به كقولهم : "أخذ القوس باريها" وإلى ما يجرى مجرى المفعول به وهو الجار والمجرور كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد : "كالراقِم على الماء" وإمّا الى الحال، كقولهم : "كالحادى وليس له بعير" وإما الى المفعول والجار والمجرور معا، كقولهم : "هو كمن يجمع السيفين فى غمد" و "كمبتغى الصيد فى عرينة الأسد"، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ فإنّ التشبيه لم يحصل من مجرد الحمل، بل لأمرين آخرين، لأن الغرض توجيهُ الذمّ إلى من أتعب نفسه فى حمل ما يتضمّن المنافعَ العظيمةَ ثم لا ينتفع به لجهله، وكقول لبيد :

وما الناس إلا كالديار وأهلها * بها يوم حلّوها وغَدْوًا[(1)] بلاقع

فإنّه لم يشبّه الناس بالديار، وإنّما شبّه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم بحلول أهل الديار فيها، ووشك رحيلهم منها . قال : وكلّما كانت التقييدات أكثرَ كان التشبيه أوغلَ فى كونه عقليًّا، كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ . فإن التشبيه منتزَع من مجموع هذه الجمل من غير أن يمكن

(1) فى الأصل وفى حسن التوسل : «وعادوا» وهو تحريف، والتصويب عن اللسان مادة غدا . وغدوا : لغة فى غدا .

فصــلُ بعضِها عن بعضٍ ، فإنّك لو حذفت منها جملة واحدة من أىّ موضع كان أخلّ ذلك بالمغزى من التشبيه ، قال :

ثم ما به المشابهة إن كان مركّبا فإنّه على قسمين :

الأوّل ما لا يمكن إفراد أحدِ أجزائه بالذّكر ، كقول القاضى التّنوخىّ :

كأنّمـا المرّيخُ والمشـترِى * قدّامَه فى شـامخ الرِّفعــه
منصرف بالليل من دعوة * قد أُسرِجت قدّامه شمعه

فإنّك لو اقتصرت على قوله : كأنّ المرّيخ منصرفٌ من دعوة ، أوكأن المشترِى شمعةٌ لم يحصل ما قصــده الشاعر ، فإنّه إنّما قصد الهيئة التى يلبَسُها المرّيخ من كون المشترِى أمامه .

الثـانى ما يمكن إفرادُه بالذّكر ويكونُ إذا أزيل منــه التركيب صحيحَ التشبيه فى طرفيه إلّا أن المعنى يتغيّر، كقول أبى طالب الرّقّىّ :

وكأنّ أجرامَ النجوم لوامعا * درر نُثِرن على بساط أزرق

فلو قلت : كأن النجوم دررٌ ، وكأن السماء بساط أزرق ، وجدت التشـبيه مقبولا ولكن المقصود من الهيئة المشبَّه بهـا قد زال . قال : وربّما كان التشبيه فى أمور كثيرة لا يتقيّد بعضها ببعض ، وإنّمـا يكون مضموما بعضها إلى بعض وكلّ واحد منها منفرد بنفســه ، كقولك : زيد كالأسد بأسا ، والبحرِ جُودا ، والسيفِ مَضاءً والبــدر بهاءً ، وله خاصيتان : إحداهما أنه لا يجب فيــه الترتيب ، والثانية أنّه إذا سقط البعض لم يتغيّر حكم الباقى .

ومن المتأخّرين من ذكر فى التشبيه سبعة أنواع :

الأوّل التشبيه المطلق ، وهو أن يشبّه شيئا بشىء من غير عكس ولا تبديل كقوله تعالى : ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ وقوله تعالى :

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنْشَآتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَامِ﴾ وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ وقول النّبي صلّى الله عليه وسلم : "الناس كأسنان المُشْطِ" .

الثّاني التّشبيه المشروط، وهو أن يشبّه شيئا بشيء لو كان بصفة كذا، ولولا أنّه بصفة كذا، كقوله : أُشَـبِّهُ وجهَ مولانا بالعيدِ المقبـلِ لو كان العيد تبقَى ميامنه وتدوم محاسـنه، وكقوله : وجه هو كالشمسِ لولا كسوفها، والقمرِ لولا خسوفه

وكقول البديع :

قد كان يحكيك صَوبُ الغيثِ منسكبا * لو كان طَلْقَ المحيّا يُمطِر الذهبا
والدهرُ لو لم يخُن والشمسُ لو نَطَقت * والليثُ لو لم يُصَدْ والبحرُ لو عذُبا

وكقول الآخر(1) :

عَزَماته مثلُ النجوم ثواقبًا * لو لم يكن للثّاقبات أُفول.

الثالث تشبيه الكناية، وهو أن يشبّه شيئا بشيء من غير أداة التّشبيه، كقول المتنبّي :

بدت قمرًا وماست خُوطَ بانٍ * وفاحت عنبرا ورَنَتْ غزالا

وقول الواوا الدِّمَشقيّ(2) :

فأمطرت لؤلؤا من نرجسٍ فسقت * وَردا وعَضَّت على العُنّاب بالبَرَدِ.

الرابع تشبيه التسوية، وهو أن يأخذ صفة من صفات نفسه، وصفة من الصفات المقصودة، ويشبّههما بشيء واحد، كقوله :

---

(1) هو رشيد الدين الوطواط .

(2) فى الأصل : ألولو . وفى حسن التوسل : الواو؛ وهو تحريف فى كليهما ، والتصويب عن شرح القاموس . والوأوا : لقبه، واسمه محمد بن أحمد الغسانى، وكنيته أبو الفرج .

صُدغُ الحبيب وحالى * كلاهمـا كالليالى
وثغـــره(١) فى صَـــفاء * وأدمُعى كاللآلى.

الخامس التشبيه المعكوس، وهو أن تشبِّه شيئين كلَّ واحد منهما بالآخر كقول الشاعر :

الخمر تفاح جرى ذائبـا * كذلك التفاح خمر جَمُد
فاشرب على جامدٍ ذَوبَهُ(٢) * ولا تَبِـعْ لذّة يومٍ بغـد

وكقول الصّاحب بن عبّاد :

رَقَّ الزّجاجُ و راقت الخمر * فتشابَهَا فتشاكَلَ الأمر
فكأنّه خمـــرٌ ولا قـــدح * وكأنّه قـــدحٌ ولا خمـــر

(١٨) وكقول بعضهم فى النثر : كم من دمٍ أهرقناه فى البرّ، وشخصٍ أغرقناه فى البحر، فأصبح البرّ بحرا من دمائهم، والبحر برّا بأشلائهم .

السادس تشبيه الإضمار، وهو أن يكون مقصودَه التّشبيهُ بشيء فيدلّ ظاهر لفظه أنّ مقصودَه غيرُه، كقول المتنبّى :

ومن كنتَ جارا له يا علىّ * لم يقبـل الدرّ إلّا كبارا

فيدلّ ظاهرُه على أنّ مقصودَه الدرّ، و إنّما غرضه تشبيهُ الممدوح بالبحر .

السابع تشبيه التفضيل، وهو أن يشبِّه شيئا بشىء ثمّ يرجع فيرجّح المشبَّه على المشبَّهِ به، كقوله :

حسبت جماله بدرا مضيئا * وأين البدر من ذاك الجمال

(١٦)

(١) فى الأصل : «ثغوره» والتصويب عن حسن التوسل .

(٢) فى الأصل : «ذا» وفيه نقص، والتصويب عن حسن التوسل .

وكقول ابن هندو (١) :

مَن قاس جَدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين شيئين
أنت إذا جدت ضاحك أبدا * وذاك إن (٢) جاد دامع العين .

قال : وقد تقدّم تشبيه شىء بشىء .

فأمّا تشبيه شىء بشيئين فكقول امرئ القيس :

وتَعطو (٣) برَخْص غيرِ شَثْنٍ كأنّه * أساريعُ رملٍ (٤) أو مساويك إسْحِلِ . (١٧)

وأمّا تشبيه شىء بثلاثة أشياءَ فكقول البحترىّ :

كأنّما يبسِم عن لؤلؤ * منضَّدٍ أو بَرَدٍ أو أَقاح .

وأمّا تشبيه شىء بأربعة أشياءَ فكما قال المولى شهاب الدّين أبو الثناء محمود الحلبىّ الكاتبُ :

يفتَرُّ طرسك عن سطور جادَها الـ * ـفكر السليم بصوب مِسكٍ أذفرِ
فكأنّما هو روضةٌ أو جدول * أو سِمْطُ درّ أو قلادةُ عنبرِ .

وأمّا تشبيه شىء بخمسة أشياءَ فكقول الحريرىّ :

يفتَرُّ عن لؤلؤ رطب وعن بَرَد * وعن أَقاحٍ وعن طَلْع وعن حَبَبِ .

وأمّا تشبيه شيئين بشيئين فكقول امرئ القيس :

كأنّ قلوب الطّير رَطبا ويابسا * لَدَى وكرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالى

(١) كذا فى معجم الأدباء لياقوت ج ٥ ص ١٦٨ ط مطبعة هندية . وفى الأصل : «بن هند» ولم نقف عليه فيما بين أيدينا من كتب اللغة ومعاجم الأعلام . (٢) فى الأصل : «اذا» والتصويب عن حسن التوسل . (٣) تعطو : تتناول . والرخص : اللين الناعم . والشثن : الغليظ الكز . والأساريع : دود أحمر يكون فى البقل والأماكن النـدية ، تشبه به أنامل النساء . والإسحل بكسر أوله : شجر من شجر المساويك . (٤) المشهور فى روايته : (ظبى) كما فى معلقة الشاعر . وظبى بفتح فسكون : اسم بلد قريب من ذى قار ، وهو أحسن بلاد الله أساريع .

وأمّا تشبيه ثلاثة بثلاثة فكقول الآخر :

لَيلٌ وبدرٌ وغصن * شعرٌ ووجهٌ وقـدٌ

خمـر ودرّ وورد * ريق وثغــر وخد .

وأمّا تشبيه أربعــة بأربعة فكقول آمرئ القيس :

له أيطَــلا[(١)] ظَبْيٍ وساقا نعــامةٍ * وإرخاءُ سِرحان وتقريبُ تَتْفُلِ

وكقول أبى نواس :

تبكى فتُذرى الدرّ من نرجس * وتلطِــم الـــورد بعُنــاب .

وأمّا تشبيه خمسة بخمسة فكقول أبى الفرج الواوا الدمَشقىّ[(٢)] :

قالت متى البين يا هٰذا فقلت لها * إمّا غدا زعمــوا أو لا فبعــد غد

فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضّت على العُنّاب بالبَرد

وشبّه قاضى القضاة نجم الدين بن البارزىّ سبعة أشياءَ بسبعةِ أشياءَ وهى :

يُقَطِّعُ بالسّكّين بِطّيخةً ضحى * على طبقٍ فى مجلسٍ لان صاحبه

كشمسٍ ببرق قَدّ بدرا أهــلّةً * لدى هالة فى الأفق شتّى كواكبه .

قال : والغرض من التشبيه قد يكون بيانَ إمكان وجود الشىء عند آدعاء ما لا يكون إمكانُه بيّنا، كقول آبن الرومىّ :

وكم أب قد علا بابن ذُرى شرفٍ * كما عَلَتْ برسول الله عدنانُ

وكقول المتنبّى :

فإن تفُق الأنام وأنت منهم * فإنّ المسك بعضُ دم الغزال

(١) واحده أيطل، وهو الخاصرة. والإرخاء : شدّة العدو. والتقريب : وضع الرجلين مكان اليدين فى العدو. والتتفل : ولد الثعلب.

(٢) موضع هذا الاسم مطموس بالاصل، وما أثبتناه عن حسن التوسل.

أو بيـانَ مقداره ، كما إذا حاولْت نفى الفائدةِ عن فعل إنسان قلت : هـذا كالقابض على المـاء ، لأن خلوّ لفعل عن الفائدة مراتبَ مختلفةَ فى الإفراط والتفريط والوسط ، فإذا مُثِّل بالمحسوس عرِفت مرتبته ، ولذلك لو أردت الإشارة إلى تنافى الشيئين فأشرْت إلى ماء ونار فقلت : هذا وذاك هل يجتمعان؟ كان تأثيره زائدا على قولك : هل يجتمع المـاء والنار؟ وكذلك إذا قلت فى وصف طول يوم : كأطول ما يُتوهَّم ، أو لا آخرله ، أو أنشدت قوله[1] :

فى ليل صُولٍ[2] تناهَى العَرض والطول * كأنّمـا ليـله بالليـل موصول

لم تجد فيه من الأنس ما تجده فى قوله[3] :

ويومٍ كظـلّ الرمح قصَّر طُولَهَ * دمُ الزِقّ عنا واصطفاقُ المزاهر

وما ذاك إلّا للتشبيه بالمحسوس ، و إلّا فالأوّل أبلغ ، لأنـ طول الرمح متناهٍ (١٨) وفى الأوّل حَكمتَ أنّ ليـلَه موصول بالليل ، وكذلك لو قلت فى قصر اليومِ . كأنّه ساعة ، أو كلمح البصر ، لوجدته دون قوله :

ظللنا عنـد دار أبى أُنيس * بيوم مثـل سالفةِ[4] الذُّباب

وقوله

ويومٍ كإبهام القطاةِ مُزيَّن * إلىّ صِباه غالبٌ لِىَ باطله .

قال : وقد يكون غرض التشبيه عائدا على المشبه به ، وذلك أن تقصد على عادة التخييل أن توهِم فى الشىء القاصرِ عن نظيرِه أنه زائد ، فتشبهَ الزائد به ، كقوله .

---

(١) فى الأصل : «وأنشدت» والسياق يقتضى العطف بأو كما فى حسن التوسل .

(٢) البيت لحندج ابن حندج المرى . وصول : مدينـة فى بلاد الخزر فى نواحى باب الأبواب . أنظر معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٤٣٥ ط المدرسة المحروسة بمدينة غتنغة .

(٣) فى الأصل : «منه» أثبتناه عن حسن التوسل إذ هو المناسب لقوله بعد : (فى قوله) .

(٤) السالفة : صفحة العنق ، أراد هنا العنق كله .

وبدا الصـــباح كأن غرّته[(١)] * وجه الخليفة حين يُمتَــدح

وهذا أبلغ وأحسن وأمدح من تشبيهِ الوجه بالصباح، لأن تشبيه الوجه بالصباح أصل متّفق عليه لا يُنكر ولا يُستكثَر، وإنمـا الذى يستكثر تشبيه الصباح بالوجه.

قال: ثم الغرض بالتشبيه إن كان إلحاقَ الناقصِ بالزائدِ امتنع[(٢)] عكسه مع بقاء هـذا الغـرض، وإن كان الجمعَ بين شيئين فى مطلقِ الصورةِ والشكلِ واللونِ صحّ العكس كتشبيه الصبح بغرّة الفرس الأدهم لا للمبالغـة فى الضياء، بل لوقوع منيرٍ فى مظلم وحصولِ بياضٍ قليلٍ فى [سوادٍ] كثيرٍ.

قال: والتشبيه قد يجيء غريبا يحتاج فى إدراكه الى دقّة نظر، كقول ٱبن المعتزّ:

* والشمس كالمرآة فى كفّ الأشلّ *

والجامع الٱستدارة والإشراق مع تواصل الحركة التى تراها للشمس إذا أنعمت التأمّل فى ٱضطراب نورِ الشمس، ويقرب منه قول الآخر:

كأن شعاعَ الشمس فى كلّ غُدوة * على ورق الأشجـار أوّلَ طالع
دنانيرُ فى كفّ الأشـلّ يضمّها * لقبض[(٣)] وتهوِى [من][(٤)] فروجِ الأصابع

وكقول المتنبىّ:

الشمس من مشرقها قد بدت * مشرقةً ليس لهـا حاجب
كأنهـا بُودَقـةٌ[(٥)] أُحْمِيَتْ * يجول فيهـا ذهب ذائب

(١) البيت لمحمد بن وهيب الحميرى من قصيدة يمدح بها المأمون.

(٢) فى الأصل: «مقنع» وهو تحريف، والتصويب عن حسن التوسل.

(٣) كذا فى الأصل وفى حسن التوسل. ولعله «بقبض» بالباء.

(٤) الكلمة الموضوعة بين مربعين ساقطة من الأصل، وقد نقلناها عن حسن التوسل، وبها يستقيم الوزن والمعنى.

(٥) فى الأصل: «بوطقة» وهو تحريف، والتصويب عن حسن التوسل. والبودقة: مولد معرب بوته، وهى ما يصفى فيه الذهب والفضة معروفة عند الصاغة، ويقال فيه: بوتقة.

ومن لطيف ما جاء فى هــذا المعنى من التشبيه قول الأخطل فى مصلوب :

أو قائمٌ من نعاس فيه لُوثته (١) ✻ مُواصل لتمطِّيه من الكسل

شبّهه بالمتمطّى (٢)، لأنّ المتمطّى يمدّ يديه وظهره ثم يعود إلى حالته الأولى، فزاد فيه أنّه مواصل لذلك، وعلّله بالقيام من النعاس لمـا فى ذلك من اللُّوثة والكسل .

قال : والتشبيه ليس من المجاز، لأنه معنى من المعانى، وله ألفاظ تدلّ عليه وضعا فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه ، وإنّما هو توطئة لمن يسلك سبيل الاستعارة والتمثيل، لأنه كالأصل لهما وهما كالفرع له ، والذى يقع منه فى حيّز المجاز عند أهل هذا الفنّ هو الذى يجىء على حدّ الاستعارة، كقولك لمن يتردّد فى الأمر [بين] (٣) أن يفعله أو يتركه : « أراك تقــدّم رجلا وتؤخّر أخرى » والأصل فيه أراك فى تردّدك كمن يقدّم رجلا ويؤخر أخرى .

وأما الاستعارة — فهى ادّعاء معنى الحقيقة فى الشىء للمبالغة فى التشبيه مع طرح ذكر المشبّه من البين (٤) لفظا وتقديرا . وإن شئت قلت : هو جعل الشّىء الشّىء [أو جعل الشىء للشىء] (٥) لأجل المبالغة فى التشبيه .

فالأوّل كقولك : لقيت أسدا وأنت تعنى الرجل الشجاع .

والثانى كقول لبيد :

✻ إذ أصبحتْ بيد الشَمال زمامُها (٦) ✻

أثبت اليد للشَمال مبالغةً فى تشبيهها بالقادر فى التصرف فيه على ما يأتى بيانُ ذلك .

---

(١) اللوثة بالضم : الاسترخاء . (٢) فى الأصل : (بالتمطى) وما أثبتناه عن حسن التوسل .
(٣) الزيادة عن حسن التوسل . (٤) كذا فى الأصل وحسن التوسل . وهو غير ظاهر، ولعل صوابه : «من الشيئين» ، يريد الطرفين . (٥) التكملة عن حسن التوسل، والتمثيل الآتى يقتضى إثباتها .
(٦) فى معلقة الشاعر : « قد » والمعنى يستقيم على كل منهما . وصدر البيت : «وغداة ريح قد وزعت وقــرة» . يريد أنه رب غداة ريح و برد قد دفعتها عن العفاة بنحر الجزور لهم والإطعام، وإذكاء النار لدفئهم وقراهم . وإنمـا خص الشمال لأنها أبرد الرياح .

وحدّ الرمّانيّ الأستعارة فقال : هي تعليق العبارة على غير ما وُضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل للإبانة .

وقال ابن المعتزّ : هي أستعارة الكلمة من شيء قد عُرِف بها الى شيء لم يُعرف بها . وذكر الخفاجيّ كلامَ الرمّانيّ وقال : وتفسير هذه الجملة أن قوله عزّ وجلّ : (١٩) ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ استعارة(١)، لأن الأشتعال للنار، ولم يوضع في أصل اللغة للشيب فلما نقِل اليه بان المعنى لما آكتسبه من التشبيه ، لأن الشيب لما كان يأخذ في الرأس شيئا فشيئا حتى يحيله إلى غير لونه الأول كان بمنزلة النار التي تسري في الخشب حتى تحيلَه إلى غير [حالته](٢) المتقدّمة ؛ فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان ، ولا بدّ من أن تكون أوضحَ من الحقيقة لأجل التشبيه العارضِ فيها لأن الحقيقة لو قامت مقامها لكانت أولى بها(٣) ، لأنها الأصل ، وليس يخفى على المتأمّل أن قوله عزّ وجلّ : ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ أبلغ من كثُر شيبُ الرأس ، وهو حقيقة هذا المعنى .

ولا بدّ للأستعارة من حقيقة هي أصلها ، وهي مستعار منه ، ومستعار ، ومستعار له ، فالنار مستعار منها ، والأشتعال مستعار ، والشيب مستعار له . قال : وأمّا قولنا مع طرح ذكر المشبِّه ، فآعلم أننا اذا طرحناه كقولنا : رأيت أسدا ، وأردنا الرجل الشجاع فهو استعارة بالأتفاق ، وإن ذكرنا معه الصيغةَ الدالّةَ على المشابَهة كقولنا : زيد كالأسد أو مثلُه أو شِبهُه فليس باستعارة ؛ وإن لم نذكر الصيغة وقلنا : زيد أسد فالمختار أنه ليس بآستعارة إذ في اللفظ ما يدلّ على أنّه ليس بأسد فلم تحصل

---

(١) في الأصل : (الاستعارة) وفيه تحريف وزيادة هاء ، والسياق يقتضي ما اثبتنا كما في حسن التوسل .

(٢) الزيادة عن حسن التوسل ، ولايستقيم الكلام بدونها . وعبارة الأصل : (كان بمنزلة النار التي تسري في الخشب حتى تحيله الى غير لونه الأوّل كان بمنزلة النار حتى تحيله الى غير لونه المتقدّمة) . وفيها تكرار ونقص .

(٣) بها أي بالعبارة .

المبالغة ، فاذا قلت : زيد الأسد فهو أبعد عن الاستعارة ، فإنّ الأوّل خرج بالتنكير عن أن يحسُن فيه كاف التشبيه ، فإنّ قولك : زيد كأسد كلامٌ نازل بخلاف الثانى .

قال ضياء الدين بنُ الأثير : وهذا التشبيه المضمر الأداة قد خلطه قوم بالاستعارة ولم يفرّقوا بينهما ، وذلك خطأ محض .

قال : وسأوضح وجه الخطإ فيه وأحقق القول فى الفرق بينهما فأقول : أمّا التشبيه المظهَر الأداة فلا حاجة بنا إلى ذكره لأنّه لا خلاف فيه ، ولكن نذكر التشبيه المضمَرَ الأداة فنقول : إذا ذكر المنقول والمنقول اليه على أنّه تشبيهٌ مضمر الأداة قيل فيه : زيد أسد ، أى كالأسد ، فأداة التشبيه فيه مضمَرة مقدّرة ، و إذا أظهرت حسُن ظهورها ، ولم تقدح فى الكلام الذى أظهرت فيه ، ولم تُزِل عنه فصاحته ؛ وهذا بخلاف ما إذا ذُكر المنقول اليه (١) دون المنقول فإنه لا يحسُن فيه ظهور أداة التشبيه ، و إذا ظهرت زال عن ذلك الكلام ما كان متّصفا به من الحسن والفصاحة .

قال : ولنضرب لذلك مثالا يوضحه فنقول : قد ورد هذا البيت لبعض الشعراء وهو :

فرعاءُ (٢) إن نهضت لحاجتها * عجِل القضيب وأبطأ الدعص

وهذا لا يَحسن تقدير أداة التشبيه فيه ، فلا يقال : عجل [قدّ] (٣) كالقضيب وأبطأ [رِدف] (٣) كالدِّعص ؛ فالفرق إذن بين التشبيه المضمرِ أداةُ التشبيه فيه و بين

(١) كذا فى الأصل وحسن التوسل والمثل السائر ص ٥ ٢ ١ ط بولاق ؛ وهو غير مستقيم ، فان الذى يذكر فى الاستعارة هو لفظ المشبه به ، وهو المنقول دون المنقول اليه ، ولعل صواب العبارة : «وهذا بخلاف ما اذا ذكر المنقول دون المنقول اليه» وفى التمثيل الآتى ما يؤيده .

(٢) الفرعاء : الطويلة الشعر . (٣) عبارة الأصل : «عجل كالقضيب وأبطأ كالدعص» بدون هاتين الزيادتين ، وما أثبتناه عن حسن التوسل والمثل السائر .

الأستعارة أن التشـبيهَ المضمر الأداةِ يحسن إظهار أداة التشبيه فيـه ، والأستعارة لايحسن ذلك فيها . والأستعارة أخصّ من المجاز إذ قصد المبالغة شَرطٌ فى الأستعارة دون المجاز ، وأيضا فكلّ أستعارة من البديع وليس كلّ مجاز منه . والحقّ أن المعنى يعار أوّلا ثم بواسطته يعار اللّفظ ، ولا تحسن الأستعارة إلا حيث كان التشبيه مقرّرا بينهما ظاهرا ، وإلا فلا بدّ من التصريح بالتشبيه ، فلو قلت : رأيت نخلة أو خامة وأنت تريد مؤمنا إشارة إلى قول النّبى صلّى الله عليه وسلم : «مثل المؤمن كمثل النخلة»(١) أو «كمثل الخامة»(٢) لكنت كالملْغز التارك لمـا(٣) يُفهم . وكلّما زاد التشبيه خفاء زادت الأستعارة حسنا بحيث تكون ألطف من التصريح بالتشبيه ، فإنّك لو رمت أن تظهر التشبيه فى قول آبن المعتزّ :

أثمرت أغصان راحتِه * لجُنـاةِ الحسن عُنّـابا

آحتجت أن تقول : أثمرت أصابع راحتِه التى هى كالأغصان لطالب الحسن شِبهَ العُنّاب من أطرافها المخضوبة ، وهذا ممّـا لاخفاء بغثاثته .

وربّمـا جُمع بين عدّة آستعارات إلحاقا للشكل بالشكل لإتمـام التشبيه فتريد الأستعارة به حُسنا ، كقول آمرئ القَيْس فى صفة اللّيل :

فقلت له لمّـا تمطّى بصُلبه * وأردف أعجازا وناءَ بكَلكَل

## فصل فيما تدخله الاستعارة ومالا تدخله

قال : الأعلام لا تدخلها الأستعارة لمـا تقدّم فى المجاز . وأما الفعل فالأستعارة ٣٠
تقع أوّلا فى المصدر ، ثم تقع بواسطة ذلك فى الفعل ، فإذا قلت : نطقت الحال بكذا

(١) فى رواية : (كمثل النحلة) بالحاء المهملة ، يريد نحلة العسل ، وما هنا هو المشهور .

(٢) نصه فى كتاب النهاية هكذا : "مثل المؤمن كمثـل الخامة من الزرع تفيئها الرياح" والخامة : الطاقة الغضة الناعمة من الزرع .

(٣) فى الأصل : «فلا» والتصويب عن حسن التوسل .

فهذا إنّما يصحّ لأنّك وجدت الحال مشابهة للنطق فى الدلالة على الشىء، فلا جَرَمَ [ أنك ] [١] آستعرت النطق لتلك الحالة ثم نقلته إلى الفعل. والأسماء المشتقّة فى ذلك كالفعل؛ فظهر أنّ الآستعارة إنّما تقع وقوعا أوّليّا فى أسماء الأجناس. ثم الفعل إذا كان مستعارا فآستعارته إمّا من جهة فاعله، كقوله: نطقت الحال بكذا ولعبت بى الهموم، وقول جرير:

تحيي الروامسُ [٢] رَبْعَها فتُجِدّه * بعد البِلى وتميته الأمطار

وقولِ أبى حيّة:

وليلةٍ مرضت من كل ناحية * فما تضىء لها شمس ولا قمر

أو من جهة مفعوله، كقول آبن المعتز:

جُمِــع الحقّ لنا فى إمامٍ * قتل الجــوعَ [٣] وأحيى السَماحا

أو من جهة مفعوليه، كقول الحريرى:

وأَقرِى المسامعَ إمّا نطقتُ * بيانا يَقُود الحَرُون الشَموسا

أو من جهة أحد مفعوليه، كقول الشاعر [٤]:

نَقْريهِــمُ لَهذميّاتٍ نَقُـدّ بها * ما كان خاطَ عليهم كلُّ زرّاد

أو من جهة الفاعل والمفعول، كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾.

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، واللغة تقتضى إثباتها .

(٢) فى الأصل: «الروامن أرضها» وهو تحريف، والتصويب عن حسن التوسل . والروامس الرياح التى تنقل التراب من بلد الى بلد . يريد أن الرياح تكشف التراب المغطى لآثار الربع فتظهر و بصوب المطر عليها فيعفوها وتخفى على الناظر .

٢ (٣) فى حسن التوسل : (الجور) والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين، وما هنا أقرب الى قوله : السماح .

(٤) هو القطامى .

قال : ويتصل بهذا ترشيح الاستعارة وتجريدها، أما ترشيحها فهو أن ينظر فيها إلى المستعار، ويراعي جانبه، ويوليه مايستدعيه، ويضم إليه ما يقتضيه، كقول كثير :

رمتني بسهم ريشه الهدب لم يصب * بظاهر[1] جسمي وهو في القلب جارح

وكقول النابغة :

وصدر أراح الليل عازب همه * تضاعف فيه الحزن من كل جانب

فالمستعار في كل واحد منهما وهو الرمي والإراحة منظور إليهما في لفظ السهم والعازب، وكما أنشد صاحب الكشاف[2] :

ينازعني ردائي عند عمرو * رويدك ياأخا عمرو بن بكر

لي الشطر الذي ملكت يميني * ودونك فاعتجر منه بشطر

أراد بردائه سيفه، ثم نظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار. وأما تجريدها فهو أن يكون المستعار له منظورا إليه، كقوله تعالى : ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ فإن الإذاقة لما وقعت عبارة عما يدرك من أثر الضرر[3] والألم تشبيها له بما يدرك من الطعم المر البشع، واللباس عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قال : فأذاقها الله ما غشيها من ألم الجوع والخوف، وكقول زهير :

لدى أسد شاكي[4] السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم

فلو نظر الى المستعار لقال : أسد دامي المخالب أو دامي البراثن، ونظر زهير في آخر البيت الى المستعار أيضا، ومنه قول كثير :

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

---

(١) هذه الباء ساقطة من الأصل، وبها يستقيم الوزن. (٢) في الأصل : (الكتاب) والتصويب عن حسن التوسل. (٣) في الأصل : (الضرورة) وما أثبتناه عن حسن التوسل. (٤) شاكي السلاح وشائكه وشاكه : حديده. والمقذف : الذي يقذف به كثيرا في الوقائع. مبالغة في التقذ[illegible]

استعار الرداء للعروف لأنه يصون عِرض صاحبه صونَ الرداء لمـا يُلقَى عليـه ووصفَه[١] بالغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لاوصفُ الرداء .

قال : ويقرب من ذلك الأستعارة بالكناية، وهى أن لايصرّح بذكر المستعار بل بذكر بعض لوازمه تنبيها به عليـه ، كقولهم : شجاع يفترس أقرانه، وعالم يغترف منه الناس .

وكقول أبى ذؤيب :

وإذا المنيّة أنشبت أظفارَها * ألفيتَ كلّ تميمة لاتنفع

تنبيها على أنّ الشجاع أسـد ، والمنيّة سبع ، والعالِم بحر[٢]، وهذا وإن كان يشبه الأستعارة المجرّدة إلّا أنّه أغرب وأعجب، ويقرب منه قول زهير : (٢١)

ومن يعصِ أطراف الزِجاج[٣] فإنه * يطيع العوالى رُكّبت كلّ لهـذم

أراد أن يقول : من لم يرض بأحكام الصلح رضىَ بأحكام الحـرب ، وذلك أنهم كانوا اذا طلبوا الصلح قلبوا زِجاج الرماح وجعلوها قدّامها مكانَ الأسنّة ، واذا أرادوا الحرب أشرعوا الأسنّة، وقد يسمّى هذا النوع المماثلة أيضا .

قال : وقد ينزلون الاستعارة منزلة الحقيقة ، وذلك أنهم يستعيرون الوصف المحسوس للشىء المعقول ويجعلون كأنّ تلك الصفةَ ثابتةٌ لذلك الشىء فى الحقيقة ، وأنّ الأستعارة لم توجد أصلا ، مثاله آستعارتهم العلوّ لزيادة الرجل على غيره فى الفضل والقدر والسلطان ثم وضعُهم الكلام وضعَ من يذكر علوّا مكانيًّا[٤]، كقول أبى تمّـام :

(١) فى الأصل : (ووصف) بدون هاء، وما أثبتناه عن حسن التوسل .

(٢) مقتضى ماسبق من التمثيل تقديم هذه العبارة على ماقبلها إن لوحظ الترتيب كما فى حسن التوسل .

(٣) واحده زج بالضم ، وهو حديدة تكون فى أسفل الرمح .

(٤) فى الأصل : «مكانا» وما أثبتناه عن حسن التوسل .

ويَصعَد حتى يظنَّ الحسود * بأنّ له حاجةً فى السماء

وكقوله أيضا :

مكارم لجّت فى علوّ كأنما * تحاول ثأرا (١) عند بعض الكواكب

ولذلك يستعيرون آسم شىء لشىء من نحو شمس أو بدر أو أسد ويَبلُغون الى حيث يُعتقد أنه ليس هناك آستعارة، كقول آبن العميد :

قامت تظلّلنِى من الشمس * نفس أعزّ علىّ من نفسى

قامت تظلّلنِى ومن عجبٍ * شمس تظلّلنى من الشمس

وكقول آخر :

أيا شمعا يضىء بلا آنطفاءِ * ويابدرا يلوح بلا مُحاق

فأنت البدر ما معنى آنتقاصى؟ (٢) * وأنت الشمع ما معنى آحتراقى؟ (٢)

[ فلولا (٣) أنه أنسى نفسه أن هاهنا آستعارةً لما كان لهذا التعجب معنى، ومدار هذا النوع على التعجب ]

وقد يجئ على عكسه، كقول الشاعر (٤) :

لا تعجبوا من بِلى غلالته * قد زرّ أزرارَه على القمر .

## فصل فى أقسام الاستعارة

قال : وهى على نوعين :

الأوّل أن تعتمد نفسَ التشبيه، وهو أن يشترك شيئان فى وصف وأحدهما أنقص من الآخر، فتعطِى الناقصَ آسم الزائدِ مبالغةً فى تحقّق ذلك الوصف له

---

(١) فى الأصل : «نارا» بالنون؛ وهو تحريف . (٢) فى الأصل : (إنتقاص) و(إحتراق) بحذف ياء المتكلم فيهما ، والمقام يقتضى اثباتها كما فى حسن التوسل . (٣) الزيادة عن حسن التوسل ؛ والمقام يقتضيها . (٤) هو أبو الحسن بن طباطبا العلوى .

كقولك : رأيت أسدا وأنت تعني رجلا شجاعا ، وعنّت لنا ظبيةٌ وأنت تريد آمرأةً .

والثانى أن تعتمد لوازمه عند ما تكون جهة الاشتراك وصفا ، و إنما ثبت كماله فى المستعار منه بواسطة شيء آخر فتثبت ذلك الشيء للمستعار له مبالغة فى إثبات المشترك ، كقول لبيد :

وغداةِ ريح قد كشفتُ وقِرّةٍ(١) * إذ أصبحت بيد الشَّمال زمامُها

وليس هناك مشار اليه يمكن أن يُجرَى آسمَ اليد عليه كما جرى الأسد على الرجل لكنّه خَيّل الى نفسه أن الشمال فى تصريف الغداة على حكم طبيعة الإنسان المتصرّف فيما زمامُه ومَقادتُه بيده ، لأن تصرف الإنسان إنما يكون باليد فى أكثر الأمور فاليد كالآلة التى تَكْمُل بها القوة على التصرف ، ولما كان الغرض إثباتَ التصرف — وذلك مما لا يَكْمُل إلا عند ثبوت اليد — أثبت اليد للشّمال(٢) تحقيقا للغرض ، وحكم الزمام فى آستعارته للغداة حكم اليد فى آستعارتها للشَّمال ، وكذلك قول تأبّط شرّا :

اذا هزّه فى عظم قِرن تهلّلت * نواجذُ(٣) أفواه المنايا الضواحك

لمّا شبّه المنايا عند هزّة السيف بالمسرور — وكمال الفرح والسرور إنما يظهر بالضحك الذى تتهلّل فيه النواجذ — أثبته تحقيقا للوصف المقصود ، و إلّا فليس للنايا ما يُنقل اليه آسمُ النواجذ ، وهكذا الكلام فى قول الحماسيّ :

سقاه الردى سيف إذا سُلّ أَومضت * إليه ثنايا الموت من كلّ مَرقَبِ (٣٣)

---

(١) فى الأصل : «وقرة» بالواو ، وهو تحريف . والقرّة بالكسر : ما أصاب الإنسان من البرد .

(٢) هذه اللام ساقطة من الأصل ، والمقام يقتضى إثباتها .

(٣) فى الأصل : «نواجذه» والهاء زيادة من الناسخ .

ومن هذا الباب قولهم : فلان مُرْخَى العنان ، ومُلْقَ الزمام .

قال : ويسمّى هــذا النوع آستعارة تخييليّة ، وهو كإثبات الجناح للذّل فى قوله تعالى : ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ . قال : إذا عُرف هــذا فالنوع الأوّل على أربعة أقسام :

الأوّل — أن يستعار المحسوس للمحسوس ، وذلك إما بأن يشتركا فى الذات و يختلفا فى الصفات ، كاستعارة الطيران لغير ذى جناح فى السرعة ، فإن الطيران والعدو يشتركان فى [الحقيقة وهى][1] الحركة الكائنــة[2] إلّا أن الطيرانَ أسرعُ . أو بأن يختلفا فى الذات و يشتركا فى صفة إما محسوسةٍ كقولهم : رأيت شمسا و يريدون إنسانا يتهلّل وجهه ، وكقوله تعالى : ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ فالمستعار منه النارُ ، والمستعار له الشيبُ ، والجامعُ الانبساطُ ، ولكنّه فى النار أقوى ، و إمّا غيرِ محسوســة كقوله تعـالى : ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ المستعار له الريحُ ، والمستعار منــه المرءُ والجامعُ المنْعُ من ظهور النتيجة .

الثانى — أن يستعار شىء معقولٌ لشىء معقولٍ لاشتراكهما فى وصف عدمىّ أو ثبوتىّ وأحدهمــا أكمَلُ فى ذلك الوصف ، فيتنزّل النــاقص منزلة الكامل كاستعارة اسم العــدم للوجود إذا اشتركا فى عدم الفائدة ، أو استعارة آسم الوجود للعدم إذا بقيت آثاره المطلوبة منه ، كتشبيه الجهل بالموت لاشتراك[3] الموصوف بهما فى عدم الإدراك والعقل ، وكقولهم : فلان لقِىَ الموت اذا لقِى الشدائد ، لاشتراكهما فى المكروهيّة ، وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ والسكوت والزوال أمران معقولان .

(١) التكلة عن حسن التوسل . (٢) كذا فى الأصــل . وفى حسن التوسل : (المكانية) ولعلها أظهر . (٣) فى الأصل : (الوصف) والسياق يقتضى ما أثبتنا كما فى حسن التوسل .

الثالث — أن يستعار المحسوسُ للمعقولِ كاستعارة النور الذى هو محسوس للحجّة ، واستعارةِ القِسطاسِ للعدلِ ، وكقوله تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ فالقذف والدمغ مستعاران ، وقولُه تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ استعارةٌ لبيانه عما أوحى اليه كظهور ما فى الزجاجة عند انصداعها ، وكلُّ خوضٍ فى القرآن العزيز فهو مستعار من الخوض فى الماء ، وقولُه تعالى : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ جعل لهما طاعة وقولا .

الرابع — أن يستعار اسمُ المعقولِ للمحسوسِ على ما تقدّم ذكره فى التشبيه كقوله تعالى : ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ فالشهيق والغيظ مستعاران ، وقولِه تعالى : ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ والأقوال فى الاستعارة كثيرة ، وقد أوردنا فيها ما يُستدلُّ به عليها .

وأما الكناية — قال : اللفظة إذا أطلقت وكان الغرض الأصلىّ غيرَ معناها فلا يخلو : إما أن يكون معناها مقصودا أيضا ليكون دالّا على ذلك الغرضِ الأصلىّ وإما أن لا يكون كذلك .

فالأوّل هو الكناية ، ويقال له : الإرداف أيضا .

والثانى المجاز .

فالكناية عند علماء البيان أن يريد المتكلّم إثباتَ معنى من(١) المعانى لا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة ، ولكن يجىء الى معنى هو تاليه وردفُه فى الوجود فيُومِى به اليه ، ويجعله دليلا عليه ، مثال ذلك قولُهم : طويل النِجادِ وكثير رَمادِ القدرِ ، يعنون به أنه طويلُ القامةِ ، كثيرُ القِرى ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ كنى بنفى قبول التوبة عن الموت على الكفر .

(١) فى الأصل : (تأكيد) وهو تحريف ؛ والتصويب عن حسن التوسل .

وقول الشاعر[١] :

بعيدة مهوى القُرط إما لنوفلٍ ... أبوها و إمّا عبد شمسٍ وهاشمْ

أراد ذكر طُول جِيدها [فأتى بتابعه وهو بُعد مهوى القرط][٢]، وكقول ليلى الأخيلية :

ومخـرّقٍ عنه القميصُ تخاله ... وسطَ البيوت من الحياء سقيا

كَنَتْ عن جـوده بخرق القميص من جذب العُفاة له عند آزدحامهم لأخذ العطاء، وأمثالِ ذلك . قال

والكناية تكون فى المثبت كما ذكرنا ، وقد تكون فى الإثبات وهو ما إذا حاولوا إثبات معنى من المعانى لشيء فيتركون التصريح بإثباته له ، ويثبتونه لما له به تعلّق، كقولهم : المجدُ بين ثوبيه، والكرم بين برديه، وقول الشاعر[٣] :

إن المـروءةَ والسماحةَ والندى ... فى قُبّةٍ ضُربت على آبن الحَشْرَجِ .

(٣٣) قال : وآعلم أن الكناية ليست من المجـاز لأنك تعتبر فى ألفاظ الكناية معانيها[٤] الأصليةَ، وتفيد بمعناها معنى ثانيا هو المقصود، فتريد بقولك : كثيرُ الرماد حقيقتـه[٥] وتجعل ذلك دليلا على كونه جوادا ، فالكناية ذكر الرديف و إرادةُ المردوف .

وأما التعريض — فهو تضمين الكلام دِلالةً ليس لها ذكر، كقولك : ما أقبحَ البخلَ! لمن تُعرّضُ ببخله ، وكقولِ محمد بنِ عبد الله ابنِ الحسن : لم يُعرق فى أمّهات الأولاد، يعرّض بالمنصور بأنه آبن أمةٍ ، وأمثالِ ذلك .

وأما التمثيل — فإنما يكون من باب المجاز اذا جاء على حدّ الآستعارة ، مثاله قولك للتحيّر[٦] : فلان يقـدّم رجلا و يؤخّر أخرى ، فلو قلت : إنه فى تحيّره كمن يقدّم

---

(١) هو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى . (٢) التكملة التى بين مربعين عن حسن التوسل .

(٣) هو زياد الأعجم . والبيت من قصيدة قالها فى عبد الله بن الحشرج وكان قد وفد عليه وهو أمير على نيسابور . (٤) فى الأصل : «معناها» والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٥) فى الأصل : «حقيقة» بدون ها . وما أثبتناه عن حسن التوسل . (٦) فى الأصل : «قول المخبر» وفيه نقص وتحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

رجلا و يؤخر أخرى لم يكن من باب المجاز، وكذلك قولُك لمن أخذ فى عمل لا يتحصّل منه مقصودٌ : أراك تنفخ فى غير ضَرَم، وتخُطّ على الماء .

قال : وأجمعوا على أنّ للكناية مزيّةً على التصريح لأنك اذا أثبتّ كثرة القِرى بإثبات شاهدها ودليلِها فهو كالدعوى التى [ معها ](١) شاهد ودليل، وذلك أبلغ من إثباتها بنفسها .

* * *

وأما الخبر وأحكامه — فقد قال : الخبر هو القول المقتضِى تصريحُهُ نسبةَ معلوم الى معلوم بالنفى أو الإثبات . وتسمية أحد جزئيه بالخبر مجازيّة . ثم المقصود من الخبر إن كان هو الإثبات المطلق فيكون بالاسم، كقوله تعالى : ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ و إن لم يتمّ ذلك إلا بإشعار زمانه فيكون بالفعل، كقوله تعالى : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فإن المقصود لا يتمّ بكونه معطيا للرزق [بل بكونه معطيا للرزق](٢) فى كل حين وأوان، والإخبار بالفعل أخصّ من الإخبار بالاسم ، واذا أنعمت النظر وجدت الاسم موضوعا على أن تثبت به المعنى للشىء من غير إشعارٍ بتجدّدِه شيئا فشيئا، بل جعلِ الانطلاق أو البسط مثلا صفة ثابتة ثبوتَ(٣) الطول أو القِصر فى قولك : زيد طويل أو قصير، بخلاف ما إذا أخبرت بالفعل فإنه يشعر بالتجدّد وأنه يقع جزءا بجزء، واذا أردت شاهدا على ذلك فتأمل هذا البيت :

لا يألَفُ(٤) الدرهم المضروب صُرّتَنا * إلا(٥) يمرّ عليها وهو منطلق

---

(١) الزيادة عن حسن التوسل، وصحة العبارة تقتضيها . (٢) الزيادة عن حسن التوسل، والمقام يقتضى إثباتها . (٣) فى الأصل : «بثبوت» والباء زيادة من الناسخ . (٤) البيت للنضر ابن جؤية بن النضر . (٥) فى تلخيص المفتاح ومعاهد التنصيص ص ٩٠٦ طـ بولاق : «لكن» .

لجاء بالاسم، ولو أتى بالفعل لم يَحسن هـذا الحسنَ . والفعل المتعدى الى جميع مفعولاته خبر واحد، حتى اذا قلت : ضرب زيد عمرا يوم الجمعة خلف المسجد ضربا شـديدا تأديبا له كان الخبر[١] شيئا واحدا وهو إسـناد الضرب المقيَّد بهذه القيود الى زيد، فظهر من ذلك [أن][٢] قولك : جاءنى رجل مغاير لمـا دلّ عليه قولك : جاءنى رجل ظريف، و إنك لست فى ذلك [إلاّ][٣] كمن يضمّ معنى الى معنى . وحكم المبتدإ[٤] والخبر أيضا كذلك، فقول بشّار :

كأن مُثار النَّقع فوق رءوسنا * وأسيافَنا ليل تَهاوَى كواكبه

خبر واحد . واذا قلت : الرجل خير من المـرأة فاللام فيـه قد تكون للعموم أو للخصوص بأن ترجع الى معهودٍ، أو لتعريف الحقيقة مع قطع النظر عن عمومها وخصوصها . واذا قلت : زيد المنطلق، أو زيد هو المنطلق أفاد آنحصار المخبَرِ به فى المخبَرِ عنه، فان أمكن الحصر تُرِك على حقيقته، و إلاّ فعلى المبالغة . واذا قلت : المنطلق زيد فهو إخبار عما عُرِف بمـا لم يُعرَف، فكأن المخاطَب عَرَف أن انسانا آنطلق ولم يعرف صاحبه، فقلتَ : الذى تعتقد أنه منطلق زيد .

وأما الذى — فهـو[٥] للإشارة الى مفرد عنـد محاولة تعريفـه بقضية معلومة كقولك : ذهب الرجل الذى أبوه منطلق، وهو تحقيق قولهم : إنه يُستعمل لوصف المعارف بالجُمل . والتصديق والتكذيب يتوجهان الى خبر المبتدا لا إلى صفته، فاذا

---

(١) فى الأصل : (الجر) وفيه تحريف ونقص .

(٢) هذه الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها كما فى حسن التوسل .

(٣) هذه الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها .

(٤) فى الأصل : (الابتداء) وما أثبتناه عن حسن التوسل .

(٥) فى الأصل : «وأما الذى هو» بدون فاء، والصواب اثباتها كما تقتضيه القواعد .

كذّبت القائل فى قوله : زيد بنُ عَمرٍو كريم ، فالتكذيب لم يتوجه الى كونه آبنَ عَمرٍو بل الى كونه كريما .

وأما التقديم والتأخير — قال : اذا قُـدّم الشىء على غيره فإما أن يكون فى نيّة التأخير، كما اذا قدّم الخبر على المبتدإ؛ وإما أن يكون فى نيـة التأخير ولكن آنتقل الشىء من حكم الى آخر، كما اذا جئت الى آسمين جاز أن يكون كلٌّ واحد منهما مبتدأً بجعلت أحدهما مبتدأ ، كقولك : زيد المنطلق، والمنطلق زيد . قال الجرجانىّ : قال صاحب الكتاب : كأنهم يقـدّمون الذى بيانُه أهمّ لهم وهم بشأنه أعنَى ، وإن كانا جميعا يهمّانِهم ويعنيانهم ، مثاله : أن الناس اذا تعـلق غرضهم (٣٤) بقتلِ خارجىّ مفسدٍ ولا يبالون مَن صَدَرَ القتل منه، وأراد مريدٌ الإخبار بذلك فإنه يقدّم ذكر الخارجىّ [فيقول](١) : قتل الخارجىَّ زيد، ولا يقول : قتل زيد الخارجىَّ لأنه يعلم أن قتل الخارجىِّ هو الذى يَعنيهم ، وإن كان قد وقع قتل من رجل يبعُد فى آعتقاد الناس وقوعُ القتل من مثله قدّم المخبِرُ ذكرَ للفاعل فيقول : قتل زيد رجلا لآعتقاد الناس فى ٱلمذكور خلافَ ذلك . آنتهى كلام الجرجانىّ .

قال : ولنذكر ثلاثة مواضعَ يُعرف بها ما(٢) لم يُذكر :

الأوّل الاستفهام — فإذا أدخلته على الفعل وقلت : أضربت زيدا؟ كان الشكّ فى وجود الفعل، وإذا أدخلته على الأسم وقلت : أأنت ضربت زيدا؟ كان الفعل محقّقا والشكّ فى تعيين الفاعل . وهكذا حكم النكرة، فإذا قلت : أجاءك رجل؟ كان المقصود : هل وُجد المجىء من رجل؟ فإذا قلت : أرجل جاءك؟ كان ذلك سؤالا عن جنس من جاء بعـد الحكم بوجود المجىء من إنسان؛ وقس عليـه

(١) الزيادة عن حسن التوسل ، والمقام يقتضيها .
(٢) فى الأصل : « بها لم تذكر» بإسقاط «ما» والمقام يقتضى اثباتها كما فى حسن التوسل .

الخبر في قولك : ضربت زيدا ، وزيدا ضربت ، وجاءني رجل ، ورجل جاءني ؛ ثم الاستفهام قد يجيء للانكار ، فإن كان [في][(١)] الكلام فعل ماض وأدخلت الاستفهام عليه كان لانكاره ، كقوله تعالى : ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾ وإن أدخلته على الاسم فإن لم يكن الفعل مترددا بينه وبين غيره كان لانكار أنه الفاعل ، ويلزم منه نفي ذلك الفعل ، كقوله تعالى : ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ أى لو كان إذنٌ لكان من الله ، فلمّا لم يوجد منه دلّ على أن لا إذنَ ، كما تقول : متى كان هذا ، في ليل أم[(٢)] نهار؟ أى لو كان لكان في ليل أو نهار ، فلما لم يوجد في واحد منهما لم يوجد أصلا ، وعليه قوله تعالى : ﴿آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ . وإن كان مردّدا بينه وبين غيره كان إما للتقرير والتوبيخ ، وعليه قوله تعالى حكاية عن قول نمرود : ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ . وإمّا لانكار أنه الفاعلُ مع تحقيق الفعلِ ، كقولك لمن انتحل شعرا : أأنت قلت هذا؟ .

وان كان الفعل مضارعا ، فإن أدخلت حرف الاستفهام عليه كان إمّا لانكار وجودِه ، كقوله تعالى : ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ . أو لانكار أنه يقدر على الفعل ، كقول امرئ القيس :

أيقتـلني والمشرفيُّ مُضاجعي * ومسنونةٌ زُرقٌ كأنياب أغوال .

أو لإزالة طمَع من طَمِع في أمر لا يكون ، فيُجَهِّلُهُ في طمعه ، كقولك : أيرضى عنك فلان وأنت على مايكره؟ . أو لتعنيف من يضيِّع الحق ، كقول الشاعر :

أتترك[(٣)] إن قلّت دراهم خالد * زيارتَه إنى إذن للئـيم

(١) في الأصل : «فان كان الكلام» والزيادة عن حسن التوسل .

(٢) في الأصل : «أو» والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه القواعد .

(٣) كذا في الأصل . والذى في حسن التوسل ودلائل الإعجاز ص ٨٧ ط المنار «أأ ترك» والبيت لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير في خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني .

أو لتنديم الفاعل، كما تقول لمن يركب الخطَرَ : أتخرج فى هذا الوقت ؟ .

وإن أدخلتَه على الاسم فهو لإنكار صدور الفعل من ذلك الفاعلِ إما للاستحقار كقولك : أأنت تمنعنى ؟ . أو للتعظيم كقولك : أهو يسأل النــاسَ؟ . أو للمبالغة إما فى كرمه، كقولك : أهو يمنع سائلَه ؟ ،وإما فى خساسته، كقولك : أهو يسمح بمثل هذا؟ . وقد يكون لبيان ٱستحالة فعلٍ ظُنَّ ممكنا، كقوله تعالى : ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ ﴾ وكذلك إذا أدخلته على المفعول، كقوله تعالى : ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ و ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ﴾ و ﴿ أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ ﴾ .

الثانى فى التقديم والتأخير فى النفى — إذا أدخلتَ النفىَ على الفعلِ فقلتَ : ما ضربتَ زيدا فقــد نفَيت عن نفسِك ضربا واقعا بزيدٍ ، وهــذا لا يقتضى كونَ زيدٍ مضروبا .

وإذا أدخلتَــه على الاسم فقلتَ : ما أنا ضربتُ زيدا ٱقتضى من باب دليــل الخطاب كونَ زيدٍ مضروبا، وعليه قول المتنبى :

وما أنا وحدى قلت ذا الشعرَ كلَّه * ولكن لشِعرى فيك من نفسه شِعرُ

ولهذا يصح أن تقولَ : ما ضربتُ إلا زيدا، وما ضربتُ زيدا ولا ضربه أحد من الناس، ولا يصح أن تقولَ: ما أنا ضربت إلا زيدا، وما أنا ضربت زيدا ولا ضربه أحد من الناس .

أما الأول فلأنّ نقضَ النفى بإلّا يقتضى أن تكون ضربته، [وتقديمك(١) ضميرَك وإيلاءه حرفَ النفى يقتضى ألّا(٢) تكون ضربته ] فيتدافعان .

(١) التكلة عن حسن التوسل . والمقام يقتضيها . (٢) فى حسن التوسل : «أن تكون» بحذف لا النافية، والسياق يقتضى اثباتها كما يستفاد من دلائل الإعجاز ص ٩٣ ط مطبعة المنار .

(٣٥) وأما الثانى فلأن أوّلَ الكلام يقتضى أن يكون زيدٌ مضروبا ، وآخرَه يقتضى ألا يكونَ مضروبا فيتناقضان . إذا عُرِف هذا فى جانب الفاعل فإنه مثلُه فى جانب المفعول، فإذا قلتَ : ما ضربتُ زيدا لم يَقتضِ أن تكون ضاربا لغيره، وإذا قلتَ : ما زيدا ضربتُ اقتضى ذلك، ولهــذا صحّ ما ضربتُ زيدا ولا أحدا من الناس ولا يصح [ما](١) زيدا ضربتُ ولا أحدا من الناس .

وحكمُ الجـــار والمجرور حكمُ المفعول، فإذا قلتَ : ما أمرتُك بهذا لم يقتض أن تكون قد أمرته بشىء غيرِ هذا، وإذا قلت : ما بهذا أمرتك اقتضاه .

وإذا قدّمتَ صِيغةَ العموم على السلب وقلتَ : كلُّ ذا لم أفعلْه، برفع كلّ كان نفيا عامّا، ويناقضه الإثباتُ الخاصُّ، فلو فعلتَ بعضَه كنتَ كاذبا .

وإن قدّمتَ السلب وقلتَ : لم أفعــل كلَّ ذا كان نفيا للعموم ولا ينافى الإثباتَ الخاصَّ، فلو فعلت بعضه لم تكن كاذبا، ومن هذا ظهر الفرق بين رفعِ كلٍّ ونصبِه فى قول أبى النجْم :

قد أصبحت أمُّ الخيار تدّعى ⁂ علىّ ذنبــا كلُّه لم أصنع

فإن رفعتَه كان النفى عامّا، واستقام غرضُ الشاعر فى تبرئة نفســه من جملة الذنوب، وإن نصبتَه كان النفى نفيا للعموم، وهو لا ينـافى إتيانَ بعضِ الذنب فلا يتم غرضه .

الثالث فى التقــديم والتأخير فى الخبر المثبَت — ما تقدّم فى الاستفهام والنفى قائم هنا، فإذا قدّمتَ الاسم وقلتَ : زيد فعل وأنا فعلت فالقصد الى الفاعل، إما لتخصيص ذلك الفعل به، كقولك : أنا شفعت فى شأنه مدّعيا الانفرادَ بذلك

(١) الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ وصحة التمثيل تقتضى اثباتها كما فى حسن التوسل .

أو لتأكيد إثباتِ الفعل له لا للحصر، كقولك : هو يعطى الجزيل، تمكّن فى نفس السامع أن ذلك دأبُه دون نفيه عن غيره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ فإنه ليس المراد تخصيصَ المخلوقية بهم، وقولُه تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾

وكقول دُرْنَى بنتِ عبعبةَ (١) :

هما يَلبَسان المجدَ أحسنَ لِبسةٍ * شحيحان ما آسطاعا عليه كلاهما

وقولِ الآخر :

هموا يفرِشون اللِّبدَ كلَّ طِمِرَّةٍ (٢) * وأجردَ سبّاحٍ يبُذُّ (٣) المُغالبا

قال : والسبب فى هذا التأكيد أنك إذا قلت مثلا : زيد، فقد أشعرتَ بأنك تريد الحديثَ عنه فيحصل للسامع تشوّق إلى معرفته ، فإذا ذكرتَه قبِلتْه النفس [قبول العاشق معشوقه] (٤) فيكون ذلك أبلغَ فى التحقيق ونفيِ الشكّ والشبهة ، ولهذا تقول لمن تَعِدُه : أنا أُعطيك أنا أَكفيك، أنا أَقوم بهذا الأمر، وذلك إذا كان من شأن من يَسبِقُ له وعدٌ أن يعترضَه الشك فى وفائه ، ولذلك يقال فى المدح : أنت تعطِى الجزيل ، أنت تجود حين لا يجود أحد ، ومن هاهنا تعرف الفخامة فى الجمل التى فيها ضميرُ الشأن والقصّةِ كقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ وقولِه تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾ وأن فيها ما ليس فى قولك : فان الأبصار لا تَعمَى ، وإن الكافرين لا يفلحون ، وهكذا

---

(١) فى الأصل وفى حسن التوسل : «عثعثة» بثاءين مثلثتين، وهو تحريف، والتصويب عن القاموس. (٢) هى الطويلة القوائم الخفيفة من الأفراس. (٣) فى الأصل : «يبد المعاليا» وفى حسن التوسل : «يسد المعاليا» وهو تحريف فى كليهما ، والتصويب عن دلائل الإعجاز ص ٩٥ ط المنار . ويبذ بالذال المعجمة : يغلب . (٤) التكملة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن حسن التوسل اذ بها يتم التعليل ، فإن مجرد قبول النفس لا يكفى فى تعليل هذا التأكيد .

فى الخبر المنفىّ، فإذا قلتَ : أنت لا تُحسِنُ هــذا ، كان أبلغَ من قولك لا تُحسِــن هذا، فالأوّل لمن هو أشدّ إعجابا بنفسه وأكثر دعوى بأنه يُحسن .

قال : واعلم أنه قد يكون تقديمُ الأسم كاللازم نحوُ قوله :

يا عاذلى دعنِىُ من عذلكا * مِثلِىَ لا يقبَـل من مثلكا

وقولِ المتنبي :

مِثلُك يَثْنى الحُزنَ عن صَوبه * ويسـتردّ الدمعَ عن غَرْبه

وقولِ الناس[1] : مِثلُك يرعى الحق والحرمة، وما أشبه ذلك ممــا لا يُقصَد فيــه إلى إنسان سوى الذى أُضيف اليه وجىء به للمبالغة ، وقد عبّر المتنبي عن هذا المعنى فقــال :

ولم أقل مِثلُك أعنِي به * سواك يا فردًا بلا مُشبِه.

وكذلك حكم «غير» اذا سُلك فيه هذا المسلك، كقول المتنبي :

غيرى بأكثرِ هــذا الناسِ ينخدع * إن قاتلوا جَبُنوا أو حَدّثوا شَجُعوا.

أى لستُ ممن ينخدع ويغترّ، ولو لم يقدّم[2] مثلا وغيرا فى هــذه الصور لم يؤدِّ هذا المعنى .

قال : ويقرب من هذا المعنى تقديمُ بعض المفعولات على بعض فى نحو قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ فإن تقــديمَ شركاءَ على الجن أفاد أنه ما ينبغى لله شركاءُ لا من الجنّ ولا من غيرهم ، لأن شركاءَ مفعولٌ ثان لجعــلوا. ولله متعلّق به والجنّ مفعوله الأوّل، فقد جعل الإنكار على جعل الشريك لله على الإطلاق من غير اختصاص بشىء دون شىء، لأن الصفة إذا ذكرت مجرّدة عن مَجراها على شىء كان

(١) فى الأصل : «الناس» . وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «يقل» . وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما فى حسن التوسل .

الذى تعلق بها من المنفى(١) عاما فى كل ما يجوز أن تكون له تلك الصفةُ ، فإذا قلتَ : ما فى الدار كريم ، كنتَ نفيتَ الكينونةَ فى الدار عن كل شىء يكون الكرم صفةً له ، وحكمُ الإنكار(٢) أبدا حكمُ النفى ، وأما إذا أخرتَ شركاءَ فقلت : وجعلوا الجنَّ شركاءَ [لله فيكونُ جَعْـلُ الشركاء مخصوصا غيرَ مطلق فيحتمل أن يكون المقصودَ بالإنكار(٣) جعلُ الجنّ شركاء] لا جعلُ غيرهم ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فقدّم شركاء نفيا لهذا الاحتمال .

## فصل فى مواضع التقديم والتأخير

قال : أما التقديم فيحسن فى مواضعَ :

الأول : أن تكون الحاجةُ إلى ذكره أشدَّ ، كقولك : قطع اللِّصَّ الأميرُ .

الثـانى : أن يكون ذلك أليقَ بما قبله من الكلام أو بما بعده ، كقوله تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ فإنه أشكَلُ بما بعده وهو قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ وبما قبله وهو : ﴿مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ .

الثـالث : أن يكون من الحروف التى لها صــدر الكلام ، كحروف الاستفهام والنفى ، فإن الاستفهامَ طلبُ فهم الشىء ، وهو حالةٌ إضافية فلا تستقلُّ بالمفهوميـة فيشتدّ اتصاله بما بعده .

الرابع : تقديم الكلىّ على جزئياته ، فإن الشىء كلما كان أكثرَ عموما كان أعرفَ فإن الوجود لمـا كان أعمَّ الأمور كان(٤) أعرفَها عند العقل .

الخامس : تقديم الدليل على المدلول .

(١) فى حسن التوسل : «من النفى» ، وهو أظهر .
(٢) فى الأصل : «الاكثار» ؛ وهو تحريف .
(٣) التكملة عن حسن التوسل ؛ ولا يستقيم المعنى بدونها .
(٤) فى الأصل : «كلما أعم» ؛ وهو غير مستقيم ، والتصويب عن حسن التوسل .

وأما التأخير فيحسُن[1] فى مواضعَ :

الأوّل : تمـام الأسم كالصلة والمضاف اليه .

الثـانى : توابع الأسماء .

الثالث : الفاعل .

الرابع : المضمَر، وهو أن يكون متأخرا لفظا وتقديرا، كقولك : ضرب زيدٌ غلامَه أو مؤخَّرا فى اللفظ مقدَّما فى المعنى كقوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ ﴾ أو بالعكس كقولك : ضرب غلامَه زيد ؛ وإن تقدّم لفظا ومعنى لم يجز كقولك : ضرب غلامُه زيدا .

الخامس : ما يُفضِى إلى اللَّبس، كقولك : ضرب موسى عيسى، أو أكرم هذا هذا، فيجب فيه تقديم الفاعل .

السادس : العامل الذى هو ضعيف عملُه، كالصفة المشبّهة والتمييز وما عمل فيه حرف أو معنى، كقولك : هو حسنٌ وجها، وكريم أبا، وتصبب عَرَقا، وخمسة وعشرون درهما، وإن زيدا قائم، وفى الدار سعد جالسا . ولا يجوز الفصل بين العامل والمعمول بما ليس منه، فلا تقول : كانت[2] زيدا الحمّى تأخذ إذا رفعتَ الحمّى بكانت للفصل بين العامل وما عَمِل فيه، فإن أضمرت الحمّى فى كانت صحت المسألة .

وأما الفصل والوصل — فهو العلم بمواضع العطف والأستئناف، والتهدّى إلى كيفيّة إيقاع حروف العطف فى مواقعها، وهو من أعظم أركان البلاغة، حتى إن

(١) أراد بالحسن هنا ما يعم الوجوب .

(٢) فى الأصل : «فكانت» بالفاء وهو تحريف .

بعضهم حدّ البلاغةَ بأنها معرفة الفصل والوصل . وقال عبد القاهر : إنه لا يكمُل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كَمُل لسائر معانى البلاغة .

قال : اعلم أن فائدة [العطف] (١) التشريكُ بين المعطوف والمعطوف عليه ، ثم من الحروف العاطفة مالا يفيد إلا هذا القدْرَ (٢) وهو الواو ، ومنها ما يفيد فائدة زائدة كالفاء وثمّ وأو ، وغرضنا ها هنا متعلق بما لا يفيد إلا الاشتراك فنقول : العطف إما أن يكون فى المفردات ، وهو يقتضى التشريكَ فى الإعراب ، وإما أن يكون فى الجمل ، وتلك الجملة إن كانت فى قوّة المفرد كقولك : مررت برجل خَلْقه حَسَنٌ وخُلُقه قبيح ، فقد أشركتَ بينهما فى الإعراب [والمعنى] (٣) لاشتراكهما فى كون كل واحد منهما تقييدا للوصوف ، ولا يُتصور أن يكون اشتراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الاشتراكُ فيه ، وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين ، وبحيث إذا عرف السامع حالَه الأوّلَ عساه يعرف حاله الثانىَ ، يدلك على ذلك أنك اذا عطفت على الأول شيئا ليس منه بسبب ولا هو مما يُذكَر بذكره لم يستقم ، فلو قلتَ : خرجت اليوم من دارى ، وأحسنَ الذى [يقول] (٤) بيتَ كذا قلتَ ما يُضحَك منه ، ومن هاهنا عابوا على أبى تمّام قوله :

لا والذى هو عالم أن النوى * صَبِرٌ وأن أبا الحسين كريم

وإن لم تكن فى قوّة المفرد فهى على قسمين :

الأوّل أن يكون معنى إحدى الجملتين لذاته متعلقا بمعنى الأخرى (٥) كما إذا كانت كالتوكيد لها أو كالصفة ، فلا يجوز إدخال العاطف عليه ، لأنّ التوكيد والصفة

(١) الكلمة التى بين مربعين عن حسن التوسل ، واستقامة الكلام تقتضى اثباتها .
(٢) فى الأصل : «ما لا يفيد» وهو غير مستقيم ، والصواب حذف اللام كما فى حسن التوسل .
(٣) الزيادة عن حسن التوسل ، والمقام يقتضيها . (٤) الزيادة عن حسن التوسل ، وصحة التمثيل تقتضيها . (٥) فى الأصل : «الآخر» وصوابه ما أثبتنا .

متعلقان بالمؤكَّد والموصوف لذاتهما، والتعلق الذاتىّ يغنى عن لفظ يدل على التعلق، فمثال التوكيد قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فلا ريب فيه توكيد لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ كأنه قال: هو ذلك الكتاب، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ تأكيد ثان أبلغ من الأوّل، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ ولم يقل: ويخادعون، لأن المخادعة ليست شيئا غيرَ قولهم: آمنّا مع أنهم غيرُ مؤمنين، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ ولم يقل تعالى: وكأن، وأمثال [ذلك] فى القرآن العزيز كثيرة .

القسم الثانى ألا يكون بين الجملتين تعلق ذاتىّ، فإن لم يكن بينهما مناسَبة فيجب ترك العاطف أيضا، لأن العطف للتشريك ولا تشريكَ، ومن ها هنا أيضا عابوا على أبى تمّام البيتَ المتقدِّمَ، لا والذى هو عالم... ، إذ لا مناسبة بين مرارة النوى وبين كرم أبى الحسين، ولذلك لم يحسُن جوازُ العاطف .

وإن كان بينهما مناسَبة فيجب ذكر العاطف .

ثم إن كان المحدَّث عنه فى الجملتين شيئين فالمناسَبة بينهما إما أن تكون بالذى أخبر بهما، أو بالذى أخبر عنهما، أو بهما كليهما، وهذا الأخير هو المعتبَر فى العطف . قال: ونعنى بالمناسَبة أن يكونا متشابهين، كقولك: زيد كاتب وعمرو [شاعر][1] [أو متضادّين تضادّا على الخصوص، كقولك زيد طويل وعمرو][2] قصير، وكقولك: العلم حسن والجهل قبيح، فلو قلت: زيد طويل والخليفة قصير لا ٱختل معنى عند

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ومن حسن التوسل، وتمام التمثيل يقتضى إثباتها .

(٢) هذه التكملة التى بين مربعين ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها كما فى حسن التوسل .

ما لا يكون لزيد تعلق بحديث الخليفة، ولو قلتَ : زيد طويل وعمرو شاعر لاختل لفظًا، إذ لا مناسَبة بين الطويل القامة والشاعر .

وإن كان المحدَّث عنه فى الجملتين شيئا واحدا، كقولك : فلان يقول ويفعل ويضرّ وينفع ، ويأمر وينَهى ، ويسىء ويحسن ، فيجب إدخال العاطف فإن الغرض جعلُه فاعلا لأمرين، فلو قلتَ : يقول يفعل بلا عاطف لتُوهِّم أن الثانىَ رجوع عن الأول .

وإذا أفاد العاطف الاجتماعَ آزداد الاشتراكُ(١)، كقولك : العجَب من أنك أحسنت وأسأت، والعجَب من أنك تنهىَ عن شىء وتأتى مثله ، وكقوله :

لا تَطمَعوا أن تُهينونا ونكرِمكم * وأن نكفَّ الأذى عنكم وتؤذونا

فإن المعنى جعلُ الفعلين فى حُكم واحد، أى لا تطمَعوا أن تروا إكرامنا إياكم يُوجَد مع إهانتكم إيانا .

قال : وقد يجب إسقاط العاطف فى بعض المواضع لاختلال المعنى عند إثباته كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ فقوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ كلام مستأنَف، وهو إخبار من الله تعالى، فلو أُتِى بالواو لكان إخبارا عن اليهود بأنهم وصفوا أنفسَهم بأنهم يُفسِدون فيختل المعنى، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ ٱلسُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَاءُ﴾ وأمثالُ ذلك كثيرة؛ وإذا كان كذلك فلا حاجة الى العاطف بخلاف قوله تعالى : ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ فإن كل واحدةٍ من الجملتين خبرٌ من الله تعالى .

---

(١) فى الأصل : «اشتباك» وهو تحريف .

قال : ومما يجب ذكره هاهنا الجملةُ اذا وقعت حالا فإنها تجيء مع الواو تارة وبدونها أخرى فنقول: الجملة اذا وقعت حالا فلا بدّ أن تكون خبريّة تَحتمل الصدقَ والكذبَ(١)، وهو على قسمين :

الأوّل وله أحوال :

الأولى : أن يُجمع لها بين الواو وضمير صاحب الحال، كقولك : جاء زيد ويدُه على غلامه، ولقيتُ زيدا وفرسُه سابقُه، وهذه الواوُ تسمّى واوَ الحال .

الثانية : أن تجيء بالضمير من غير واو، كقولك : كلمتُه فوه الى فيّ، وهو فى معنى مُشَافِها ، والرابط الضمير ، فلو قلتَ : كلّمتُه الى فيّ فوه، ولقيتُه عليه جبةُ وشْيٍ لم يكن من باب وقوع الجملة حالا ، لأنه يمكننا أن نرفع فُوهْ وجبّة بالجار والمجرور فيرجع الكلام الى وقوع المفرد حالا ، والتقدير كلّمتُه كائنا الى فيّ فوه، ولقيتُه مستقرّةً عليه جبّة وشيٍ، وعليه قول بشّار :

اذا أنكرتنى بَلدة أو نكِرْتُها * غدوت مع البازى على سوادُ.

الثالثة : أن تجيء الواو من غير ضمير وهو كثير، كقولك : لقيتُك والجيشُ قادم وزرتنا والشتاءُ خارج . ويجوز أن يُجمع بين حالين مفردٍ وجملةٍ اذا أجزنا وقوع حالين كقولك : لقيتُك راكبا والجيشُ قادم، فالجملة حال من التاء أو من الكاف، والعامل فيها لَقيتُ، أو من ضمير "راكبا" و"راكبا" هو العامل فيها .

القسم الثانى الجملة الفعلية ، ولا بدّ أن تكون ماضيا أو مضارعا أما الماضى فلابدّ معه من الإتيان بالواو وقد أو بأحدهما، كقولك : تكلمت وقد

(١) كذا فى الأصل وحسن التوسل بتذكير الضمير . وهو عائد على الحال لا على الجملة ؛ والحال يذكر ويؤنث . أنظر المصباح مادة «حال» .

عجلت، وجاء زيد قد ضرب عمرا، وجئت وأسرعت فى المجىء، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ ولم يُجز البصريّون خلوّه عنهما، وقالوا فى قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ وفى قول أبى صخر الهذلىّ:

وإنى لتعرونى لذكراك هِزّة * كما انتفض العصفور بلّله القطر:

إنّ قد مقدّرةٌ فيهما، فإنّ الشيء اذا عُرِف موضعُه جاز حذفه .

وأما المضارع فإن كان موجبا فلا يؤتَى معه بالواو (١)، فتقول: جاءنى زيد يضحك، ويجيء عمرو يسرع، واجلس تحدّثُنا بالرفع أى محدّثا لنا، لأنه بتجرده عما يغير معناه أشبهَ اسمَ الفاعل اذا وقع حالا .

وإن كان منفيا جاز حذف الواو مراعاةً لأصل الفعل الذى هو الإيجابُ وجاز إثباتها، لأن الفعلَ ليس هو الحالُ، فإن معنى قولك: جلس زيد ولم يتكلّم جلس زيد غيرَ متكلّم، يجرى مجرى الجملة الإسمية، فالحذف كقولك: جاء زيد ما يفُوهُ ببنت شفة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ فقوله: لا يمسّنا فى موضع نصبٍ على الحال من ضمير المرفوع فى أحلّنا، والإثبات كقولك: جلس زيد ولم يتكلّم، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾. قال: وشبهوا به الفعلَ الماضيَ فقالوا: جاء زيد ما ضرب عمرا، وجاء زيد وما ضرب عمرا .

وأما الحذف والإضمار — فقد قال: الأفعالُ المتعدّيةُ التى تُرِك ذكر مفعولاتها على قسمين:

الأوّل: ألا يكونَ له مفعول مبيَّن، فقد يُترك مفعوله لفظا وتقديرا ويُجعل حاله كحال غير المتعدّى، كقولهم: فلان يَحُلّ ويعقِد، ويأمر وينهَى، ويضرّ وينفع

(١) فى الأصل: «إلا بالواو» وقوله: «إلا» زيادة من الناسخ، إذ هى تفيد خلاف المراد .

والمقصود إثباتُ المعنى فى نفســه للشيء من غير التعرّض لحديث المفعول، فكأنك قلت: بحيث يكون منه حَلّ وعَقد وأمر ونهى ونفع وضرّ، وعليه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أى هل يستوى من له علم ومن لا علم
(ص ٣٩) له من غير أن ينص على معلوم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ الى
قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ وبالجملة فمتى كان الغرض بيانَ حال الفاعل فقط فلا تُعدِّ الفعلَ، فإنّ تعديتَه تنقُض الغرض . ألا ترى أنك اذا قلت: فلان يُعطِى الدنانيرَ كان المقصود بيانَ جنس ما يتناوله الإعطاءُ لا بيانَ حالِ كونه معطيا ؟ .

الثانى: أن يكون له مفعول معلوم إلا أنه يُحذَف فى اللفظ لأغراض:

الأوّل: أن يكون المراد بيانَ حالِ الفاعلِ وأنّ ذلك الحالَ[1] دأبه لا بيانَ المفعول كقول طُفَيـــل:

جزى الله عنا جعفرا حين أُزْلِقَتْ * بنـا نعلُنا فى الواطئين فزَلَّتِ
أبَوا أن يَمَلُّونا ولو أنّ أمنا * تُلاقِى الّذى لاقَوْه منـا لَمَلَّتِ
هُمُ خلطــونا بالنفوس[2] وألجؤا * الى حُجُرات أدفأت وأظلّت

والأصل أن تقول: لَمَلَّتنا وألجؤونا وأدفأتنا وأظلّتنا، فحذَف المفعولَ المعيّنَ من هذه المواضع الأربعة، وكأنه[3] قد أبهم ولم يَقصِد قصدَ شيء يقع عليه، كما تقول: قد ملّ فلان، تريد قد دخل عليــه المَلاَلُ من غير أن تخصّ شيئا بل لا تزيد على أن تجعل

(١) فى حسن التوسل: «الفعل» والمعنى يستقيم على كليهما .

(٢) فى الاصل: «من النقوش» بقاف مثناة وشين معجمة، وهو تحريف، والتصويب عن دلائل الإعجاز وغيره من كتب البلاغة والأدب .

(٣) كذا فى الأصل وحسن التوســل . وعبارة دلائل الإعجاز ص ١١٥ طبع المنار: «وكأن الفعل قد أبهم أمره ولم يقصد به قصد شيء يقع عليه» وهي أظهر .

المَلَال من صفته ، فلذلك الشاعرُ جعل هذه الأوصافَ من دأبهم ، ولو أضاف الى مفعول معيّن لبطَل هذا الغرض ، وعليه قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ الى قوله تعالى : ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ فقد حذف المفعول فى أربعة مواضعَ ، فإن ذكره ربما يُخل بالمقصود ، فلو قال تعالى مثلا : تذودان غنمهما لَتُوُهِّمَ أنّ الإنكارَ إنما جاء من ذَوْدِهما الغَنَمَ لا من مطلق الذَّوْد ، كقولك : مالك تمنع أخاك ؟ فإنّ الإنكار من منع الأخ لا من مطلق المنع .

الثانى : أن يكون المقصود ذكره إلا أنك لا تذكره إيهاما بأنك لا تقصد ذكره كقول البحترى :

شَجْوُ حسّاده وغيظُ عِداه * أن يرى مبصر ويسمعَ واع

المعنى أن يرى مبصرٌ محاسنَه ، أو يسمعَ واعٍ أخبارَه ، ولكنه تغافل عن ذلك إيذانا بأن فضائله يكفى فيها أن يقع عليها بصرٌ أو يَعِيهَا سمع حتى يُعلَمَ أنه المتفرد بالفضائل ، فليس لحسّاده وعِداه أشجى من علم بأن هنا مبصرا وسامعا .

الثالث : أن يُحذَف لكونه بيّنا ، كقولهم : أصغَيت اليك ، أى أذنى ، وأغضَيت عليك ، أى جَفنى .

## فصل فى حذف المبتدإ والخبر

قال : قد يحسُن حذف المبتدإ حيث يكون الغرض أنه قد بلغ فى استحقاق الوصف بما جُعِل وصفا له الى حيث يُعلَم بالضرورة أن ذلك الوصفَ ليس إلا له سواء كان فى نفسه كذلك ، أم(1) بحسب دعوى الشاعر على طريق المبالغة ، فذكره

(1) فى الأصل : «أو» والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه القواعد ؛ قال فى مغنى اللبيب ص ٢ ، ط الحلبى : إذا عطفت بعد الهمزة بأو فان كانت همزة التسوية لم يجز قياسا ، وقد أولع الفقهاء وغيرهم بأن يقولوا : سواء كان كذا أو كذا ، وهو نظير قولهم : يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا ؛ والصواب العطف فى الأوّل بأم ... الخ .

يُبطِل هـذا الغرضَ، ولهذا قال الإمام عبدُ القاهرِ : ما من آسم يُحذَف فى الحالة التى ينبغى أن يُحـذَفَ فيها إلا وحذفُه أحسن مِن ذِكره ، فمن حذف المبتـدإ قوله تعالى : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾ أى هذه سورة، وقول الشاعر :

لا يُبعِـد الله التلبُّب[1] والـغـارات إذ قال الخميس نَعَم

أى هـذه نَعَم . قال عبدُ القاهرِ : ومن المواضع التى يَطَّرِد فيها حذف المبتدإ بالقطع والاستئناف أنهم[2] يبـدءون بذكر الرجل و يقدّمون بعض أمره ، ثم يَدَعون الكلام الأوّل و يستأنفون كلاما [ آخر ][3] واذا فعلوا ذلك أتَوا فى[4] أكثر الأمر بخبر من غير مبتدإ، مثال ذلك قوله :

وعلمتُ أنّى يوم ذا * ك مُنَازِلٌ كَعبا ونَهْدا
قوم إذا لبسوا الحديـ * ـد تَمَرَّوا خَلَقا[5] وقِدّا

وقال الحُطَيئة :

هُمُ حَلُّوا من الشرف المعـلّى * ومن حَسَبِ العشيرة حيث شاءوا
بُنـاة مكـارم وأُسـاة كَلْمٍ * دماؤهُمُ من الكَلَبِ[6] الشفاء (٣٠)

وأمثلة ذلك كثيرة .

---

(١) التلبب : التحزم بالسلاح ، يريد التهيؤ للحرب . (٢) كذا فى الاصل . وعبارة دلائل الإعجاز ص ١٠٦ ط المنار : «القطع والاستئناف يبدءون» الخ بسقوط الباء وقوله : «أنهم» ، والمعنى يستقيم على كلتا العبارتين . (٣) الزيادة عن دلائل الإعجاز . (٤) فى الأصل : «فى ذلك» وقوله «فى» زيادة من الناسخ . (٥) كذا فى الأصل بالخاء المعجمة . وفى دلائل الإعجاز ص ١٠٧ ط المنار : «حلقا» بالحاء المهملة ، والمعنى يستقيم على كل من الروايتين ، والقدّ بكسر القاف : الجلد . (٦) الكلب بالتحـريك : داء يعرض للانسان من عض الكلب الكلب فيصيبه شبـه الجنون فلا يعض أحدا إلا كلب ، وتعرض له أعراض رديئة ، و يمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشا . وأراد الحطيئة بهذه العبارة وصف من يمدحهم بالشرف والسيادة ، قال اللحيانى : إن الرجل الكلب يعض إنسانا فيأتون رجلا شريفا فيقطر لهم من دم أصبعه فيسقون الكلب فيبرأ .

ومن حذف الخبر قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ أى لولا أنتم مضلونا وقولُ عمرَ بنِ الخطاب رضى الله عنـه : لولا علىٌّ لهلَكَ عمر ، أى لولا علىٌّ حاضر أو مُفْتٍ .

## فصـــل

الإضمـار على شريطة التفسير كقولهم : أكرمنى وأكرمت عبدَ الله أى أكرمنى عبدُ الله وأكرمت عبدَالله ، ومما يشبه ذلك مفعول المشيئة اذا جاءت بعد لو ، فإن كان مفعولها أمرا عظيما أو غريبا فالأَولى ذكرُه ، كقوله :

ولو شئتُ[1] أن أبكى دَما لبكَيتُه * عليه ولكن ساحةُ الصبر أوسع

فإن بكاءَ الإنسان دما عجيبٌ ، وإن لم يكن كذلك فالأَولى حذفه ، كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ والتقدير لو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم ، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ و﴿مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

قال : واعلم أنه قد تُترك الكنايةُ الى التصريح لمـا فيه من زيادة الفخامة كقول البحترىّ :

قد طَلَبْنا فلم نَجد لك فى السُّؤ * دَدِ والمجـــد والمكارم مِثلا

المعنى قد طلبنا لك مِثلا ، ثم حُذف ، لأن هذا المدحَ إنما يتم بنفى المِثل ، فلو قال : قد طلبنا لك مِثلا فى السُّودَدِ والمجد فلم نجـده لكان قد أوقع نَفْىَ الوجود على ضمير المِثل ، فلم يكن فيه من المبالغة ما اذا أوقعه على صريح المِثل ، فإن الكناية لا تبلُغ مبلَغ

(١) البيت للخزيمى ، وهو إسحاق بن حسان ، ويكنى بأبى يعقوب ، وكان من العجم ، وكان مولى ابن خزيم الذى يقال لأبيه خزيم الناعم . وهـذا البيت من قصيدة يرثى بها أبا الهيذام ، وهو عامر بن عمارة الخزيمىّ ، وهو والد موسى بن عامر المحدّث . أنظر معاهد التنصيص ص ١١٣ و١١٦ ط بولاق .

الصريح ، ولهذا لوقلت : وبالحق أنزلناه وبه نزل ، وقل هو الله أحد وهو الصمد لا تجدُ من الفَخامة ما تجدُه فى قولِه تعالى : ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ وعلى ذلك قول الشاعر :

لا أرى الموتَ يسبِق الموتَ شىءٌ * نَغَّص المــوتُ ذا الغنى والفقيرا .

وأما مباحث إنّ وإنما — فإنه قال : أما إنّ فلها فوائد :

الأُولى أن تربُط الجملةَ الثانيةَ بالأُولى ، وبسببها يحصل التأليف بينهما حتى كأن الكلامين أُفرِغا إفراغا واحدا ، ولو أسقطْتَها كان الثـانى نائيا عن الأول ، كقوله تعـالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ وقوله تعـالى : ﴿أَقِمِ ٱلصَّـلَاةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ . وقوله تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ وقد تتكرر فى كلام واحد ، كقوله تعالى : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . ثم متى أسقطْتَ « إنّ » من الجملة التى أدخلتها عليها ، فإن كانت الجمـلةُ الثانيةُ إنمـا تذكَر لإظهار فائدةِ ما قبلها كما فى الآيات المذكورة آحتجتَ إلى الفـاء ، وإلا فلا ، كما فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ فلو قلت : فالمتقون لم يكن كلاما ، وكذلك قوله تعـالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّابِئِينَ وَٱلنَّصَارَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾ فقوله تعـالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ فى موضع خبر إنّ ، فدخول الفاء يوجب عطفَ الخبر على المبتدإ ، وهو غير جائز عند أكثر النحويين .

الثانية : أنك ترى لضمير الشأن والقصة فى الجملة الشرطيّة مع «إنّ» من الحسن واللطف مالا تراه إذا هى لم تدخل عليها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وقوله تعالى : ﴿أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وقوله تعالى : ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

الثالثة : أنها تهيّئ النكرة وتُصلحها لأن يحدَّث عنها، كقوله[1] :

إنّ شِوَاءً ونَشْـوَةً ✽ وخَبَبَ[2] البازلِ الأَمُونِ

فلولا هى لم يكن كلاما ؛ وإن كانت النكرة موصوفةً جاز حذفها ولكن دخولُها أصلحُ، كقول حسّانَ :

(٣١) إنّ دهرا يَلُفُّ شملى بجُمْلٍ ✽ لَزمانٌ يَهُمُّ بالإحسانِ .

الرابعة : أنها قد تُغنِى عن الخبر، كما اذا قيل لك : الناس إِلْبٌ[3] عليكم فهل لكم أحد؟ فقلتَ : إنّ زيدا وإنّ عمرا، أى لنا، قال الأعشى[4] :

إنّ محَلًّا وإنّ مُرتحَلا ✽ وإنّ فى السَّفْرِ[5] إذ مضَوا مَهَلا .

---

(١) البيت لسلمى بن ربيعة .

(٢) الخبب هو المراوحة بين اليدين والرجلين فى السير، أو هو نقل الأيامن جميعا والأياسر جميعا فيه . والأمون : الناقة الوثيقة الخلق، المأمونة العثار والإعياء، جمعه أُمن ككتب .

(٣) الإلب بكسر الهمزة، وتفتح فى لغة : الجماعة .

(٤) هو الأعشى الأكبر واسمه ميمون بن قيس بن جندل بفتح الجيم .

(٥) كذا فى الأصـل وحسن التوسل . والذى فى معاهد التنصيص ص ٩٢ ط بولاق : (وإن فى شعر من مضى مثلا) وكلتا الروايتين تؤدّى معنى صحيحا ؛ ورواية اللسان مادة «حلل» : «وإن فى السفر ما مضى مهلا» ، وقال فى تفسيره : أراد بالسـفر الذين ماتوا فصاروا فى البرزخ ، والمهل : البقاء والانتظار .

الخامسة : قال المُبَرّد : اذا قلت عبد الله قائم، فهو إخبار عن قيامه، فاذا قلتَ : إنّ عبـد الله قائم، فهو جواب عن إنكارِ مُنكِرٍ لقيامه، سواء كان المنكر هو السائل أو الحاضِرين؛ والدليل على أنّ(١) إنّ إنما تذكر لجواب السائل أنهم ألزموها الجملةَ من المبتدإ والخبر، نحو : والله إنّ زيدا لمنطلق، فالحاجة إنمـا تدعو الى « إنّ » اذا كان السامع ظنّ يخالف ذلك، ولذلك تراها تزداد حسنا اذا كان الخبر بأمر يَبعُد(٢)، كقول أبي نواس :

عليك باليأس من الناس * إنّ غِنَى نفسِك فى الياس.

ومن لطيف مواقعها أن يُدّعَى على المخاطَب ظنٌّ لم يظنّه ولكن [صدر](٣) منه فعلٌ يقتضى ذلك الظنَّ، فيقال له : حالك تقتضى أن تكون قـد ظننت ذلك، كقول الشـاعر(٤) :

جاء شَقِيقٌ عارضا رمحَه * إنّ بنى عمّك فيهم رماح

أى مجيئك هـذا مُدِلًّا بنفسك مجىءُ من يَعتقِد أنه ليس مع أحد رمحٌ غيره . وقد تجىء اذا وُجِد أمر كان المتكلّم يظنّ أنه لا يُوجد، كقولك للشيء الذى يراه المخاطَب ويسمعه : إنه كان من الأمر ما ترى ، إنه كان منى إليه(٥) إحسان فقابلنى بالسـوء كأنك تردّ على نفسك ظنّك الذى ظننتَ، وعليه قوله عز وجل حكايةً عن أمّ مريمَ : ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾ وحكايةً عن نوح : ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ .

---

(١) فى الأصل : « بأن » ؛ والباء زيادة من الناسخ .

(٢) فى الأصل : « بيفد » ، وفى حسن التوسل : « متعد » وهو تحريف فى كليهما .

(٣) الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ واستقامة الكلام تقتضى اثباتها . انظر حسن التوسل ص ٣٩ ط الوهابية .

(٤) هو جحل بن نضلة .

(٥) كذا فى حسن التوسل ص ٣٩ ط الوهابية . والذى فى الأصل : « له » .

وأما إنما — فتارة تجيء للحصر بمعنى أنّ هذا الحكم لا يوجد فى غير المذكور وهى بمنزلة ليس إلا، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ وقوله : ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴾ .

وتارة[1] تجيء لبيان أن هذا الأمر ظاهر عند كلّ حدّ، سواء كان كذلك أم فى زعم المتكلّم، ومنه قول الشاعر[2] :

إنما مُصْعَب شِهاب من اللّـ * ـه تجلّت عن وجهه الظّلماء

مدّعيا أنّ ذلك مما لا يُنكِره أحد من الناس. قال : وأعلم أنه يُستعمل للتخصيص ثلاثُ عبارات :

الأولى : إنما جاء زيد؛

الثانية : جاءنى زيد لا عمرو، والفرق أنّ فى الأولى يُفْهَم إيجابُ الفعل من زيد ونفيهُ عن غيره دَفعة واحدة، ومن الثانية دَفعتين، ثم إنهما كلتيهما[3] يُستعمَلان لإثبات التخصيص لا لنفى التشريك؛ وفيه نظر .

الثالثة : ما جاءنى إلا زيد، وهى بأصل الوضع تفيد نفيَ التشريك، ولهذا لا يصحّ ما زيد إلّا قائمٌ لا قاعد، لأنك بقولك : إلا قائم نَفيتَ عنه كلّ صفة تنافى القيامَ، فيندرج فيــه نفيُ القعود ، فاذا قلتَ بعــده : لا قاعد كان تَكرارا لأن لفظة «لا» موضوعةٌ لأن يُنفَى بها ما أُوجب الأوّلُ لا لأن يعاد[4] بها نفيُ ما نُفِيَ أوّلا، ويصح إنما زيد قاعد لا قائم، لأن صيغةَ «إنما» بأصل وضعها تدُلّ على تخصيص الحكم بالمذكور،

---

(١) فى الأصل : «أو» ؛ والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه القواعد، انظر مغنى اللبيب ص ٤٢ ط الحلبي .

(٢) هو عبد الله بن قيس الرقيات، قاله فى مصعب بن الزبير، وكان منقطعا اليه كثير المدح له .

(٣) فى الأصل : « كلاهما » بالالف، واللغة تقتضى ما أثبتنا .

(٤) فى حسن التوسل ص ٣٩ ط الوهابية : «يفاد» بالفاء الموحدة، والمعنى يستقيم على كلتيهما .

وأما نفى الشَّرْكة فهو لازمٌ من لوازمها ، فليس له من القوّة مَا لمَـا يدلّ عليه بوضعه ، ولهذا يصحّ : زيد هو الجانى(١) لا عمـرو ، فثبت أنّ دَلالة الأوليَّين على التخصيص أقوى ، ودَلالة الثالثة على نفى التشريك [أقوى](٢) ، لكن الثالثةُ قد تقام مُقامَ الأوليَّين فى إفادة التخصيص ، كما اذا آدعى واحد أنك قلتَ قولا ثم قلتَ بخلافه ، فقلتَ له : ما قلتُ الآن إلا ما قلتُه قبلُ ، وعليه قولُه تعالى حكايةً عن عيسى عليه السـلام : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ ليس المعنى أنى لم أَزِدْ على ما أمرتَنى به شيئا ، ولكن المعنى أنّى لم أَدَعْ مما أمرتَنى به [أن](٣) أقولَه شيئا .

قال : وحكم «غير» حكم «إلّا» فاذا قلتَ : ما جاءنى غيرُ زيد آحتمل أن يكون المرادُ نفىَ أن يكون جاء معه إنسان آخرُ ، وأن يكون المراد تخصيصَ الحكم بالمذكور لا نفيَه عما عداه .

## فصـــــل (٣٢)

إذا دخل ما وإلّا على الجملة المشتمِلة على المنصوب كان المقصـود بالذكر(٤) ما آتصـل بإلّا متأخرا عنها ، فاذا قلتَ : ما ضرب عمرا إلا زيد ، فالمقصود المرفوع ، واذا قلتَ : ما ضرب زيد إلا عمرا ، فالمقصود المنصوب ، واذا قلتَ : ما ضرب [إلا](٥) زيد عمرا ، فالاختصاص للضارب ، واذا قلتَ : ما ضرب إلا زيدا عمرو ، فالاختصاص للضروب ، فاذا قلتَ : لم أَكْسُ إلا زيدا جبّةً ، فالمعنى تخصيصُ

(١) فى الأصل : «الجانى» وهو تحريف .

(٢) الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن حسن التوسل ، والمقام يقتضى إثباتها .

(٣) عبارة الأصل : « به أقوله » بسقوط لفظة « أن » ؛ وما أثبتناه عن حسن التوسل من نسخته المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٧ أدب .

(٤) فى الأصل : « من الذكر » ؛ والسياق يقتضى الباء كما أثبتنا .

(٥) الكلمة الموضوعة بين مربعين عن حسن التوسل ، وصحة التمثيل تقتضيها .

زيد من بين الناس بكسوة الجبة، وإن قلتَ : لم أَكْسُ إلا جبةً زيدا، فالمعنى تختصّ كسوةُ الجبةِ من بين الناس بزيد؛ وكذلك الحكم حيث يكون بدلَ أحد المفعولين جارٌّ ومجرورٌ، كقول السيد الحِمْيَرِىّ :

لو خيِّرَ المنبرَ فُرسانُه * ما آختار إلّا منكمُ فارسا.

وكذلك حكم المبتدإ والخبر والفعل والفاعل، كقولك : ما زيد إلا قائم، وما قام إلا زيد .

وأما إنما فالاختصاص فيها يقع مع المتأخر، فاذا قلتَ . إنما ضرب زيدا عمرو فالاختصاص فى الضارب، وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فالغرض بيانُ المرفوع وهو أن الخاشِين هم العلماءُ، ولو قُدّم المرفوعُ لصار المقصود بيانَ المخشىّ منه، والأوّل أتمّ، ومنه قول الفرزدق :

أنا الذائد الحامى الذِّمارَ وإنما * يدافِع عن أحسابكم أنا أو مِثلى

فإن غرضه أن يحصر المدافِعَ بأنه هو لا المدافَعَ عنه، ولو قال : إنما أنا أدافع عن أحسابكم، توجّه التخصيص الى المدافَع عنه؛ [وحكم المبتدا والخبر](١) اذا أدخلتَ عليهما إنما، فإن قدّمت الخبر فالاختصاص للمبتدا، وإن لم تقدّمه فللخبر، فاذا قلتَ : إنما هذا لك فالاختصاص فى "لك"(٢)، بدليل أنك بعده تقول : لا لغيرك، فاذا قلتَ إنما لك هذا فالآختصاص فى "هذا"، بدليل أنك بعده تقول : لا ذاك، وعليه قوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ فالآختصاص فى الآية الأولى للبلاغ والحساب، وفى الثانية فى الخبر الذى هو على الذين دون المبتدإ الذى هو السبيل .

---

(١) هذه التكملة الموضوعة بين مربعين ساقطة من الأصل ومن حسن التوسل؛ وسياق الكلام يقتضيها .

(٢) فى الأصل : «فذلك» وهو تحريف .

و إذا وقع بعدها الفعل فالمعنى أن ذلك الفعلَ لا يصح إلا من المذكور، كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ﴾؛ ثم قد يجتمع معه حرف النفى، إما متأخرا عنه كقولك، إنما يجيء زيد لاعمرو: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ وقال لَبيــد :

فإذا جوزيت قــرضا فاجزه * إنمــا يجزى الفتى ليس الجَمَل (١)

و إما مقدّما عليه (٢)، كقولك : ما جاءنى زيد و إنمـا جاءنى عمرو، فها هنا لو لم تقل : إنمـا، وقلت : ما جاءنى زيد وجاءنى عمرو لكان الكلام مع من ظَنّ أنهما جاءاك جميعا، وإذا أدخلْتَها فإن الكلام مع من غلِط فى الجائى أنه زيد لا عمرو .

قال: واعلم أنّ أقوى ما تكون «إنّما» اذا كان لا يراد بالكلام الذى بعدها نفسُ معناه، ولكن التعريضُ بأمر هو مقتضاه، فإنا نعلم أنه ليس الغرض من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ﴾ أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يذُمّ الكفّار ويقال لهم: إنهم من فرط العناد فى حكم من ليس بذى عقل، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ و ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ والتقدير إنّ من لم تكن له هذه الخشيةُ، فهو كمن لم تكن له أذنٌ تسمع وقلبٌ يعقِل، فالإنذار معه كلا إنذار، وهذا الغرض لا يحصل دون «إنمـا» لأن من شأنها تضمينُ الكلام معنى النفى بعد الإثبات، فإذا أُسقطتْ لم يبق إلا إثبات الحكم للذكورين، فلا يدلّ على نفيه [عن] (٣) غيرهم إلا أن يُذكَرَ فى معــرِض مدح الإنسان بالتيقّظ والكرم وأمثالها، كما يقــال : كذلك يفعل العاقل، هكذا يفعل الكريم .

---

(١) عجز هذا البيت يضرب مثلا فى المكافأة، والمراد : إنمـا يجزيك من فيه إنسانية لا بهيمية .

(٢) فى الأصل : «وما تقدّم» وهو تحريف . (٣) عبارة الأصل وحسن التوسل : «فى غيرهم» وفيها نقص لا يستقيم به المعنى . وما أثبتناه تقتضيه صحة العبارة، وما قبله يؤيده .

تنبيه — قال : كاد تقرِّب الفعل من الوقوع، فنفيُها ينفِي القُربَ، فإن لم يكن في الكلام دليل على الوقوع فيفيد نفيَ الوقوع ونفيَ القرب منه، كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ [أى لم يرها][1] ولم يقارب رؤيتها، وكقول ذى الرمّة :

(٣٣)

إذا غيّر النأىُ المحبّين لم يكَدْ[2] * رَسيسُ الهوى من حبّ ميّة يبرح

المعنى أن بَراح حبها لم يقارب[3] الكَونَ فضلا عن أن يكون .

وأما النظم — فهو عبارة عن توخى معانى النحو فيما بين الكَلِم، وذلك أن تضَعَ كلامك الوضعَ الذى يقتضيه علم النحو بأن تنظر فى كل باب إلى قوانينه والفروقِ التى بين معانى اختلاف صِيَغه[4]، وتضعَ الحروف مواضعَها وتراعىَ شرائط التقديم والتأخير، ومواضعَ الفصل والوصل، ومواضعَ حروف العطف على اختلاف معانيها، وتعتبرَ الإصابة فى طريق التشبيه والتمثيل .

وقد أطبق العلماء على تعظيم شأن النظْم، وأن لا فضل مع عدمه ولو بلغ الكلام فى غرابة معناه إلى ما بلغ، وأن سببَ فساده [تركُ][5] العمل بقوانين النحو واستعمالُ الشىء فى غير موضعه .

ثم قال : الجُمَلُ الكثيرة إذا نُظِمت نظما واحدا فهى على قسمين :

الأوّل : أن لا يتعلّقَ البعض بالبعض ولا يحتاج واضعه إلى فكر ورويّة فى استخراجه، بل هو كمن عَمَد إلى اللآلئ ينظمها فى سلك، ومثاله قول الجاحظ

---

(١) التكلمة الموضوعة بين مربعين عن حسن التوسل؛ والمقام يقتضى إثباتها .

(٢) فى الأصل : « ما » والتصويب عن حسن التوسل وغيره . ورسيس الهوى : بقيته وأثره، أو هو الثابت الذى قد لزم مكانه ولم يبرحه .

٢ (٣) فى الأصل : «مقاربتها» وهو تحريف؛ والتصويب عن حسن التوسل .

(٤) فى الأصل : « صنعته » ؛ وهو تحريف .

(٥) الكلمة الموضوعة بين مربعين عن حسن التوسل ؛ واستقامة الكلام تقتضي إثباتها .

فى مصنّفاته : جنّبك الله الشُبهةَ، وعصمك من الحيْرةِ، وجعل بينك و بين المعروف نَسَبا، و بين الصدق سـببا، وحبّب اليك التثبُّت، وزيّن فى عينك الإنصاف وأذاقك حلاوةَ التقوى، وأشعر قلبك عِزّ الحقّ، وأودع صدرك بَرْدَ اليقين، وطرد عنك ذلَّ الطمع، وعرّفك مافى الباطل من الذِّلّة، وما فى الجهل من القِلّة . وكقول النابغــة للنُّعمان وتفضيلِه إياه على ذى فائش يزيدَ بنِ أبى جَفْنةَ(١)، وكقول حسّان ابن ثابت للحارث الجَفْنىّ يفضّله على النعمان بن المنذر، وكقول ضِرارِ بنِ ضَمْرةَ لمعاوية فى وصف علىّ؛ وقد تقدّم شرح أقوالهم فى الباب الأوّل من القسم الثالث من هذا الفن فى المدح، وهو فى السِفْر الثالث فلا حاجة بنا الى إعادته. وهذا النظْم لا يستحق الفضل إلا بسلامة معناه وسلامة ألفاظه(٢)، إذ ليس فيه معنًى دقيقٌ لايُدرَك إلا بثاقب الفكر .

قال : وربما ظُنّ بالكلام أنه من هذا الجنس ولا يكون منه، كقول الشاعر:

سالت عليهِ شعابُ الحىّ حين دعا * أنصـارَه بوجوه كالدنانير

فإن الحسن فيه ليس مُجرّدَ الاستعارة(٣)، بل لما فى الكلام من التقديم والتأخير، ولهــذا لو أزلْتَ ذلك وقلتَ : سالت شِعابُ الحىّ بوجوه كالدنانير عليــه حين دعا أنصاره، فإنه يذهب بالحسن والحلاوة .

(١) كذا فى الأصل . وصوابه سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يعصب بن مالك؛ وكان النابغة منقطعا اليه قبل اتصاله بالنعمان، كما فى السفر الثالث من هذا الكتاب الذى أحال عليه . وفائش : موضع باليمن كان يحميــه سلامة بن يزيد كما فى شرح القاموس . وقال ياقوت فى معجم البلدان ج ٣ ص ٨٤٩ ط المدرسة المحروسة بمدينة غتنغة : « وفائش واد فى أرض اليمن »، وبه سمى سلامة بن يزيد بن [illegible] بن تريم بن مرثد : ذا فائش .

(٢) فى حسن التوسل ص ١٤ ط الوهابية : «وسلاسة» بالسين المهملة، والمعنى يستقيم على كلتيهما .

(٣) فى الأصل : «الكتاب» وهو تحريف .

الثـانى : أن تكون الجمل المذكورة يتعلّق بعضها ببعض ، وهناك تَظْهَـر قوّةُ الطبع ، وجَودةُ القريحة ، وآستقامةُ الذّهن .

ثم [ليس](١) لهذا الباب قانون يُحفَظ ، فإنه يجىء على وجوه شتّى :

منهـا الإيجاز ، وهو العبارة عن الغرض بأقلّ ما يمكن من الحروف ، وهو على ضربين : إيجاز قَصر ، و إيجاز حَذف ، وقد تقدّم الكلام على ذلك وذكرُ أمثلته عند ذكر الفصاحة .

ومنها التأكيـد — وهو تَقوِيَةُ المعـنى وتقريرُه ، إما بإظهار البرهان ، كقول قابوس :

يا ذا الذى بصُروف الدهر عيّرنا * هل عاند الدهرُ إلا من له خَطَر
أما ترى البحر تعلو فوقه جِيَف * وتَسـتقِرُّ بأقصى قعـره الدّرر
وفى السماء نجـوم ما لهـا عَدد(٢) * وليس يُخسَف إلا الشمس والقمر

و إما بالعزيمة ، كقوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ وكقول الأَشْتَر النَّخَعىّ :

بَقَّيتُ وَفْرِى وآنحرفتُ عن العلا * ولقيتُ أضيافى بوجهِ عَبوس
إن لم أَشُنّ على آبن حَرب غارةً * لم تَخْلُ يوما من نِهاب نفوس

يريد معاويةَ بنَ أبى سُفيانَ ، وكقول أبى نُوَاس .

لا فرّج الله عنّى إن مَددت يدى * إليـه أسأله من حبّـك الفرجا

(١) الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها . انظر حسن التوسل ص ٤١ ط الوهابية .

(٢) فى الأصل و فى حسن التوسل : « غير ذى عدد » ، وهو غير مستقيم ؛ والتصويب عن الذخيرة لابن بسام المحفوظ منها بعض أجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣٤٨ أدب .

وكقول أبى تمـام :

حُرِمتُ مُناى منك إن كان ذا الذى * تقوَّله الواشـون حقًّا كما قالوا .

أو بالتَّكرار، كقولهم : اللهَ اللهَ، والأسدَ الأسدَ، وكقول الحادرة[1] :

أظاعنـةٌ وما تودِّعنا هنـدُ * وهند أتى من دونها النأىُ والبعد

وهذا فى التنزيل كثير، والعَلَم فيه سورة الرحمٰن .

وأما التجنيس — فهو يتشعّب منه شُعب كثيرة :

فمنه المستوفِى التامّ — وهو أن يجىء المتكلّم بكلمتين متفقتين لفظا، مختلفتين معنى، لا تفاوتَ فى تركيبهما، ولا اختلافَ فى حركاتهما، كقول الغَزِّى :

لم يَبقَ غيرُك إنسانٌ يلاذُ به * فلا بَرِحتَ لعين الدهر إنسانا

وقولِ عبدالله بن طاهر :

وإنِّى للثَّغر المَخُوف لكالئٌ * وللثغر يَجرى ظَلْمُه[2] لَرشـوف

وكقول البُستىّ :

سما وحَمى بنى سامٍ وحامٍ * فليس كمثـله سام وحامى

وذكر التِّبريزىّ أن التجنيس المستوفِى كقول أبى تمّام :

ما مات من كرم الزمان فإنه * يحيا لدى يحيى بن عبد الله

وقال : وإنمـا عُدّ من هذا الباب لاختـلاف المعنيين، لأن احدَهما فعـل، والآخر اسم .

---

(١) هو قطبة بن أوس الثعلبىّ، والحادرة لقبه .

(٢) الظلم بفتح الظاء المعجمة : ماء الأسنان وبريقها .

ومنه المختلف — ويسمّى التجنيسَ الناقصَ — وهو مثل الأوّل فى اتفاق حروف الكلمتين إلا أنه يخالفه : إما فى هيئة الحركة، كقوله صلى الله عليه وسلم "اللهم كما حسّنت خَلْقِى فحسّن خُلُقِى"؛ وكقول معاذ رضى الله عنه : الدَّين يهدم الدِّين؛ وكقولهم : جُبَّة البُرد جُنّة البَرد؛ وكقولهم : الصديق الصدوق أوّل العَقْد وواسطة العِقْد؛ وكقول المعرّى :

لغيرى زكاة من جمال فإن تكن * زكاةُ جمال فاذكرى ابنَ سبيل

أو بالحركة والسكون، كقولهم : البِدعة شَرَك الشِّرْك. أو بالتخفيف والتشديد كقولهم : الجاهل إما مفرِط وإما مفرّط .

ومنه المذيَّل — ويقال له : التجنيس الزائد والناقص أيضا — وهو أن تجىء بكلمتين متجانستى اللفظ متّفقتى الحركات، غير أنهما يختلفان بحرف، إما فى آخرهما كقولك : فلان حامٍ حاملٌ لأعباء الأمور، كافٍ كافلٌ لمصالح الجمهور؛ وقولهم :[(١)] أنا من زمانى فى زَمانه، ومن إخوانى ذِى خانه؛[(٢)] وقولهم : فلان سالٍ عن إخوانه، سالم من زمانه؛ ومن النظم قول أبى تمّام :

يمدُّون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ * تصول بأسياف قواضٍ قواضبِ

وقولُ البحترىّ :

لئن صَدفتْ عنّا فرُبَّتَ أنفس * صَوادٍ إلى تلك النفوس الصوادف

. إما من أولها، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ ومن النظم ما أنشده عبد القاهر .

وكم سبقتْ منه إلىّ عوارف * ثنائى من تلك العوارف وارفُ

وكم غُررٍ من برّه ولطائفٍ * لشكرى على تلك اللطائف طائفُ .

(١) كذا فى الأصل وحسن التوسل . ووجه التمثيل بها خفىّ، و الظاهر أن محل التمثيل أوّل العبارة .

(٢) كذا فى الأصل وخزانة الأدب للحموى ص ٣٤ ط بولاق؛ والذى فى حسن التوسل : «من أحزانه» .

ومنه المركب وهو على ضربين :

الأول : ما هو متشابه لفظا وخطا ، كقولهم : هِمّتك الهِمّة الفاتره ، وفى صميم قلبك ألفاتره ، ومن النظم قول البُسْتىّ :

إذا ملِك لم يكن ذاهبه * فدعه فدولته ذاهبـــه

وقولُ الآخر :

عضّنا الدهر بنـابه * ليت ما حَلّ بنـابه (٣٥)

وقولُ طاهر البَصرى :

ناظـراه فيما جنى ناظـراه * أودَعانى رهنا بمـا أودَعانى .

الثـانى : ما هو متشابه لفظا لا خطا و يسمّى التجنيس [ المفروق ](١) ، كقوله : كنتُ أطمع فى تجريبك ، ومطايا الجهل تجرى بك ؛

ومن النظم قول الشاعر :

لا تَعرِضنّ على الرواة قصيــدة * ما لم تكن بالغتَ فى تهذيبهـا
فإذا عرضتَ القَوْلَ غيرَ مهذَّب * عَدُّوه منك وساوسا تهذى بهـا

وأمثالُ ذلك كثيرة .

ومن أنواع المركّب المرفُوّ ، وهو أن تجمع بين كلمتين إحداهما أقصر من الأخرى ، فتضمّ الى القصيرة حرفا من حروف المعانى أو من حروف الكلمة المجاورة لها حتى يعتدلَ ركنا التجنيس ، كقولهم :

يامغرور أمسِك ، وقِس يومك بأمسك ؛

و يقرُب منه قول الهمذانىّ :

إن لم يكن لنا حَظٌّ فى دَرَّك دَرّك ، فخَلّصنا من شَرّك شرّك ؛

(١) الكلمة التى بين مربعين عن حسن التوسل ص ٤٤ ط الوهابية ، واستقامة الكلام تقتضى إثباتها .

وقول الحريرىّ :

إن أخليتَ منّا مَبارِكَ مباركِ، تخلّصنا من مَعارك مَعارِكَ ؛

ومن النظم قول البُستىّ :

فهِمتُ كتابك ياســيّدى * فهِمتُ ولا عَجَبٌ أن أهيما

ومنه قول الآخر :

ذو راحةٍ وَكَفَتْ ندًى وكفتْ ردًى * فقضت بِهُلْك عُــداته وعِداته

كالغيث فى إروائه ورُوائه * والليث ى وثبـاته وتبـاته .

ومنه المزدوِج — ويقال له التجنيس المردّد والمكرر أيضا — وهو أن يأتى فى أواخر الأسجـاع وقوافى الأبيـات بلفظتين متجانستين إحداهما ضميمة الأخرى وبعضها، كقولهم : الشراب بغير النَّغَم غمّ، وبغير الدَّسم سمّ ؛

وقول البستىّ :

أبا العباس لا تَحسَب لشَيْنى (١) * بأنّى من حُلَى الأشعار عارى

فلى طبــع كسَلسال مَعين * زُلال من ذُرَى الأحجار جارى

اذا ما أكبت الأدوار زَندا * فلى زَند على الأدوار وارى .

ومن أجناس التجنيس المصحَّف — ويقال له تجنيس الخط أيضا — وهو أن تأتىَ بكلمتين متشابهتين خطّا لا لفظا، كقوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالأبكار فإنهنّ أشدُّ حُبّا وأقلّ خِبّا » وقول [النبىّ صلى الله عليه وسـلم] (٢) لعلىّ رضى الله عنه : قَصّر من ثيابك فإنه أبقى وأنقى وأتقى .

(١) فى حسن التوسل : « لشيبى » بالباء، وهو تحريف . (٢) عبارة الأصل وحسن التوسل : « وقول سى » وفيها نقص ؛ والتكملة عن خزانة الأدب للحموى ص ٤٤ ط بولاق .

وكقول أبى فراس :

من بحر شـعرك أغترف ※ و بفضل علمك أعترف .

ومنه المضارِع — ويسـمّى المطمَع — وهو أن يُجاء بالكلمة ويُبدأ بأختها على مِثل أكثر حروفها، فتطمع فى أنها مِثلُها ، فتخالفها بحرف ؛ ويسـمى المُطرَّف وهو أن تجمع بين كلمتين متجانسـتين لا تَفاوتَ بينهما إلا بحرف واحد من الحروف المتقارِبة ، سواء وقع آخرا أوحشوا ، كقوله صـلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود بنَواصيها الخير » ومنه قول الحطيئة :

مَطاعينُ فى الَهيجا مَطاعيمُ فى الدّجى ※ بنى لهُمُ آباؤهـــم و بنَى الجَـــدّ

وقولُ البحترىّ :

ظَلِلتُ أرجّم فيك الظنون ※ أحاجمُه أنت أم حاجبُه؟

و إن كان التفاوت بغير المتقارِبة سمّى التجنيسَ اللاحقَ (١) ، كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ ٱلْأَمْنِ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ وقولِ البحترىّ :

هل لمـا فات من تَلاقٍ تَلافٍ ※ أم لشاكٍ مِن الصبابة شافٍ .

ومنـه المشوَّش (٢) — وهو كل تجنيس يتجاذبه طرَفان من الصنعة فلا يمكن إطلاق آسم أحدهما عليه ، كقولهم : فلان مليح البلاغة، صحيح البراعة (٣)

---

(١) فى الأصل : « الالتفات » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه السياق .

(٢) فى الأصل وحسن التوسل : (الصيغة) بياء مثناة بعدها غين معجمة ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن شرح الباعونية المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٣ بلاغة ، وهو شرح على بديعيتها الموسومة بالفتح المبين فى مدح الأمين .

(٣) كذا ورد هـذا المثال فى الاصل وحسن التوسل . ووجه التمثيل به خفىّ ، ولم نقف عليـه فيما لدينا من المراجع .

ومنه تجنيس الاشتقاق — ويسمّى الاقتضابَ أيضا، ومنهم من عدّه أصلا برأسه، ومنهم من عدّه أصلا فى التجنيس — وهو أن يجىء بألفاظ يجمعها أصل واحد فى اللغة، كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ وقولِه تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ وقولِ النبي صلى الله عليه وسلم: «ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها» وقولِه: «الظلم ظُلُمات يوم القيامة» ومن النظم قول أبي تمّام:

عَمَّتَ الخلق بالنَّعماء حتى * غدا الثقلان منها مُثْقَلَين

وقولُ المُطَرِّزى:

وإنى لأستحيِي من المجد أن أُرَى * حَلِيفَ غَوانٍ[1] أو أليفَ أغانى

وقولُ الصاحب بنِ عبّاد:

وقائلةٍ لِمْ عَرَتْكَ الهمومُ * وأمرك ممتثَل فى الأمم

فقلت ذرِينى على غُصّتى * فإنّ الهموم بقدر الهمم

وقولُ آخرَ:

إن ترى الدنيا أغارت * ونجومَ السعد غارت

فصُروف الدهر شتّى * كلّما جارت أجارت

ومما يشبِه المشتقّ[2] — ويسمّيه بعضهم المشابِه، وبعضهم المغايِرَ[3] — قولُه تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ وقولُه تعالى: ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾

---

(١) فى الأصل: «غوانى»؛ وهو تحريف.

(٢) فى الأصل: «المشتقق»؛ وهو تحريف.

(٣) فى الأصل: «المشابهة والمغايرة»، بتأنيث اللفظين؛ والتصويب عن حسن التوسل.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾

ومن النظم قول البحترى:

وإذا ما رياح (١) جودك هبّت * صار قول العذّال فيها هباءَ.

ومن أجناس التجنيس تجنيس التصريف — وهو ما كان كالمصحّف [إلا] (٢) فى اتحاد الكتابة، ثم لا يخلو من أن تتقارب (٣) فيه الحروف باعتبار المخارج أو لا تتقارب فإن تقاربت سُمّى مضارعا، وإن لم تتقارب سُمّى لاحقا.

مثال الأول قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ وقوله تعالى ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ وقول قُسّ بن ساعدة الإيادى: "من مات فات"

وقولُ الشاعر:

فيالك من حزم وعزم طواهما * جديدُ البِلى تحت الصفا والصفائح

وهذا البيت يشتمل على المضارع والمتمّم؛

ومثال الثانى قول على رضى الله عنه: الدنيا دار ممَرّ، والآخرة دار مقَرّ، وقول عبد الله بن صالح وقد وصف اليمن: ليس فيه إلا ناسج بُرد، أو سائس (٤) قرد.

(١) فى الأصل: «رماح» بالميم، وهو تحريف.

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد نقلناها عن حسن التوسل ليستقيم بها التعريف ويصح بها التمثيل الآتى، فإنه ليس بين قوله: «ينهون» و «ينأون» اتحاد فى الكتابة. وعبارة ابن أبى الإصبع فى تحرير التحبير المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٥ بلاغة فى تعريف هذا النوع: «وهو اختلاف صيغة الكلمتين بإبدال حرف من حرف إما من مخرجه أو من قريب منه».

(٣) عبارة الأصل: «من أن تتفاوت فيه الحروف باعتبار المخارج أو لا تتفاوت، فإن تفاوتت» الخ. بفاء موحدة فى الكلمات الثلاث وواو وتاء مثناة فوقية، وهو تصحيف لا يستقيم به المعنى.

(٤) فى الأصل: «سامر»، وما أثبتناه عن حسن التوسل.

ومنها التجنيس المخالِف — وهو أن تشتمل كلُّ واحدة من الكلمتين على حروف الأخرى دون ترتيبها، كقول أبي تمّام :

بِيضُ الصفائح لا سُودُ الصحائف فى * متونهنّ جَلاء الشـك والريَب

وقولِ البحتريّ :

شَواجرُ أرماح تُقطِّع بينهم * شواجِرَ أرحام مَلُومٍ قَطوعُها

وقولِ المتنبيّ :

مُمنَّعــةٌ منعّـمةٌ رَداحٌ * يكلِّف لفظُها الطيرَ الوُقوعا (٣٧)

فإن آشتملت كل كلمة على حروف الأخرى، وكان بعض هذه قلْبَ حروف هذه خُصّ باسم جناس العكس، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يقال لصاحب القرآن يوم القيامة آقرأ وآرقَ» وقولِ عبد الله بنِ رَواحةَ يمدح [النبي](١) صلى الله عليه وسلم:

تَحمِـله الناقة الأَدْماءُ معتجِرا * بالبُرد كالبدر جلَّى نُورُه الظُّلَما.

ومنها تجنيس المعنى — وهو أن تكون إحدى الكلمتين دالّةً على الجناس بمعناها دون لفظها، وسبب آستعمال هذا النوع أن يقصد الشاعر المجانَسةَ لفظا ولا يوافقه الوزن على الإتيان باللفظ المجانِس فيعدل إلى مُرادفه، كقول الشاعر يمدح المهلَّب ويذكر فعله بقَطَرِيّ بن الفُجاءة، وكان قَطَرِيّ يُكنَى أبا نَعامةَ :

حدا بأبي أم الرِّئال فأجفلتْ * نَعامتُه من عارض متلبب(٢)

أراد أن يقول : حدا بأبي نَعامةَ فأجفلتْ نعامته أى روحه ، فلم يستقم له فقال : بأبى أمّ الرِّئال، وأمّ الرِّئال هى النعامة، وكقول الشّماخ :

---

(١) التكملة عن حسن التوسل. (٢) فى الأصل: «متهلب» ، وما أثبتناه عن حسن التوسل إذ هو المناسب لما هنا ، ولعل ما فى الأصل مقلوب عن متلهب، أى متوقّد غيرة وحميّة . والمتلبّب : المتحزم بالسلاح، يريد المتهيّئ للقتال

وما أرْوَى وإن كَرُمتْ علينا * بأدنى من موقَّفــة حَرونِ [١]

أَرْوَى : اسم امرأة . والموقَّفة الحرون من الوحش : أَرْوَى ، وبها سميت المرأة فلم يمكنه أن يأتىَ باسمها فأتى بصفتها ، وقد صرح بذلك المَعَرّى فى قوله :

أَرْوَى النِّياق كأَرْوَى النِّيق يَعصِمها [٢] * ضرب يظــلّ له السِّرحان مبهوتا

وبعضهم لا يُدخل هذا فى باب التجنيس . قال : وإنما يحسُن التجنيس إذا قلّ ، وأتى فى الكلام عفوا من غير كَدّ [٣] ولا استكراه ، ولا بُعد ولا مَيل إلى جانب الرِّكّة ولا يكون كقول الأعشى .

وقد غدوت إلى الحانوت يَتبَعُنِي * شاوٍ مِشَــلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ [٤]

ولا كقول مسلم بن الوليد :

سُلّت وسُلّت ثم سُلّ سليلُها * فأتى ســليل سليلها مســلولا

ولا كقول المتنبى :

فقَلْقلْتُ بالهمّ الذى قَلقل الحشا * قَلاقلَ عيش كلّهن قَلاقلُ

وأما الطِّباق — قال : المطابقة أن تجمع بين ضدّين مختلفَين ، كالإيراد والإصدار والليل والنهار ، والسواد والبياض ؛ قال الأخفش وقد سئل عنه : أجد قوما يختلفون

---

(١) الموقفة من الوقف ، وهو الخلخال أو السوار من العاج وغيره ، وأراد به هنا : الأروى التى فى رجليها أو يديها بياض تشبيها لها بلابسة الخلخال أو السوار .

(٢) النيق بالكسر : أرفع موضع فى الجبل ، جمعه نياق وأنياق ونيوق .

(٣) فى الأصل : « كدر » براء زائدة فى آخره ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) قال فى اللســان مادة شل : الشاوى : الذى شوى . والشلول : الخفيف . والمشل : المطرد . والشلشل : الخفيف القليل . وكذلك الشول . والألفاظ متقاربة أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة .

فيه، فطائفة — وهم الأكثر — يزعمون أنه الشيء وضدُّه، وطائفة تزعم أنه اشتراك المعنيين فى لفظ واحد، كقول زِياد الأعجم :

ونبِّئتهم يَستنصِرون بكاهل * وللُّؤمُ فيهم كاهلٌ وسَنام

ثم قال : وهذا هو التجنيس بعينه، ومن ادعى أنه طباق فقد خالف الأصمعى والخليل، فقيل له : أوَ كانا يعرفان ذلك؟ فقال : سبحان الله ! وهل أعلم منهما بالشعر وتمييز خبيثه من طيِّبه؟ . ويسمونه المطابقةَ والطِّباقَ والتضادَّ والتكافؤَ وهو أن تَجمع بين المتضادَّين مع مراعاة التقابل، فلا تجىء باسم مع فعل ولا بفعل مع اسم، مثاله قوله تعالى : ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ وقولُه تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ وقولُه تعالى : ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ وقولُه تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ إلى قوله : ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم للأنصار : « إنكم لَتكثُرون عند الفزع وتَقِلّون عند الطمع » ومن النظم قولُ جرير :

وباسط خير فيكمُ بيمينه * وقابض شرّ عنكمُ بشماليا

وقولُ البحترى :

وأمّة كان قبح الجَور يُسخِطها * حِينا فأصبح حسن العدل يرضيها

وقولُه أيضا :

تبسّمٌ وقُطوبٌ فى ندًى ووغًى * كالبرق والرعد وَسْطَ العارض البرِدِ

(٣٨) وقولُ دِعبِل :

لا تَعجبي يا سَلْمُ من رجل * ضَحِكَ المَشيب برأسه فبكى

وقول ابن المعتز :

مَها الوحش إلا أنّ هاتا أوانس * قَنا الخَطّ إلا أنّ تلك ذوابل

فإنّ هاتا للحاضر، وتلك للغائب، فكانتا متقابلتين؛ وقد تجيء المطابقــة بالنفى [والإثبات](١) كقول البحترىّ :

تُقيِّض(٢) لى من حيث لا أعلم النــوى * ويَسرى إلىّ الشوق من حيث أعلم.

وقال الزكىّ بنُ أبى الإصبَع المصرىّ فى الطباق: وهو على ضربين : ضرب يأتى بألفاظ الحقيقة ، وضرب يأتى بألفاظ المجاز ، فمـا كان بلفظ [الحقيقة](٣) سمّىَ طباقا وما كان بلفظ المجاز سمّىَ تكافؤا، فمثال التكافؤ قول أبى الأشعث العبسىّ من إنشادات قُــدامةَ :

حلو الشمائل وهو مرّ باســل * يحمى الذّمارَ صبيحة الإرهاق

لأنـ(٤) قوله : حلو ومرّ خارج مَخرجَ الاستعارة، إذ ليس الإنسانُ ولا شمائلُه ممـا يذاق بحاسّة الذوق .

ومن أمثلة التكافؤ قول ابن رَشيق :

وقد أطفأوا شمس النهار وأوقدوا * نجــومَ العــوالى فى سمـاء عَجاج

وقد جمع دِعبِل فى بيته المتقدّم بين الطباق والتكافؤ، وهو :

لا تَعجَبى يا سَـــلْم من رجل * ضَحِــكَ المشيب برأســـه فبكى

لأن ضحكَ المشيب مجاز، وبكاءَ الشاعر حقيقة .

قال : هكذا قال ابن أبى الإصبَع، وفيه نظر، لأنه إذا كان الطباق عنده هو التضادّ من حقيقتين ، والتكافؤ التضادّ من مجازين، فليس فى البيت ما شرَطه .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ومن حسن التوسل؛ والمقام يقتضى إثباتها .

(٢) فى الأصل : «يقتص» وهو تحريف .

(٣) التكلة عن حسن التوسل ص ٤٨ ط الوهابية؛ واستقامة الكلام تقتضيها .

(٤) فى الأصل : «لما كان» وما أثبتناه عن حسن التوسل، إذ به يستقيم الكلام .

قال : ومما جمع بين طباق السلب والإيجاب قولُ الفرزدق من إنشادات ابن المعتزّ :

لعن الإله بنى كُليب إنّهم * لا يَغْدُرون ولا يفون لجار
يستيقظون إلى نهيق حميرهم * وتنام أعينهم عن الأوتار.

وذكر فى آخر الباب طباقَ الترديد، وهو أن يردّ آخر الكلام المطابَق إلى أوّله فإن لم يكن الكلام مطابَقا فهو ردّ الأعجاز على الصدور، ومثاله قول الأعشى :

لا يَرقع الناس ما أَوهَوا وإن جَهَدوا * طُولَ الحياة ولا يُوهون ما رَقعوا.

وأما المقابلة[(١)] — وهى أعم من الطباق، وذكر بعضهم أنها أخص، وذلك أن تضع معانىَ تريد الموافقة بينها وبين غيرها أو المخالفة، فتأتى فى الموافِق بما وافق، وفى المخالِف بما خالف أو تشرُط شروطا وتعُدّ أحوالا فى أحد المعنيين فيجب أن تأتىَ فى الثانى بمثل ماشرطتَ وعددتَ [فى الأوّل][(٢)]، كقوله عزّ وجلّ : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ ومثاله من النظم قولُ الشاعر :

فيا عَجَبا كيف آتفقنا فناصح * وفىٌّ ومطوىٌّ على الغِلّ غادر !

وقولُ آخر :

تَقاصَرن وآحْلَوْلَين لى ثم إنه * أتت بعدُ أيامٌ طوالٌ أمرّتِ

(١) عنوان هذا الفصل ساقط من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباته .
(٢) التكملة عن حسن التوسل .

وقولُ زهيرِ بنِ أبى سُلْمى :

حُلَماءُ فى النـادى إذا ما جئتَهم * جُهـــلاءُ يومَ عَجاجةٍ ولقـاء.

ومن فساد ذلك أن يقابَل الشىءُ بمـا لا يوافقه ولا يخالفـه ، كقول أبى عدىّ القـــرشىّ :

يا آبن خير الأخيار من عبد شمس * أنت زين الدنيـا وغيثٌ لجُـــود

(٣٩) فليس قوله : غيث لجود موافقا لقوله : زين الدنيا ولا مخالفا له

وكقول الكُميت :

وقد رأينا بهـا حورا منعَّــمةً * بِيضا تكامَل فيها الدَّلّ والشَّنَب

فالشنب لا يشاكل الدَّلّ .

وقولِ آخرَ :

رُحَمـاءُ بذى الصلاح وضــرّابون قِـدما لهـامة الصِّنديد.

قال : وقد ذكر بعض أئمة هذا الفن تفصيلا فى المقابلة فقال :

فمن مقابلة آثنين بآثنين قوله تعالى : ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ وقولُ النـابغـــة :

فتًى تمّ فيـــه ما يَسُرّ صديقه * على أنّ فيـه ما يسـوء الأعاديا ؛

ومن مقابلة ثلاثة بثلاثة قول الشاعر(١) :

ما أحسن الدينَ وآلدنيا إذا آجتمعا * وأقبحَ آلكفرَ وآلإفلاسَ بالرجل

وقولُ أبى نُواس :

أنا آسـتدعَيت عفوك من قريب * كما آستعفَيت سُخطَك من بعيـــد ؛

(١) يعزى هذا البيت لأبى دلامة .

ومن مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ المقابل بقوله تعالى : « اسْتَغْنَى » قوله تعالى : «وَاتَّقَى» لأن معناه : زهد فيما عند الله واستغنى بشهوات الدنيا عن نعم الآخرة، وذلك يتضمّن عدمَ التقوى، ومنه قول النابغة :

إذا وَطئا سهلا أثارا عَجاجةً * وإن وَطئا حَزْنًا تَشَظَّى الجنادلُ

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول المتنبّي :

أزورهم وسواد الليـــل يَشفَع لى * وأنثنى وبيـاض الصبح يُغرِى بى

قابَل ا ور بأنثنى ، وسـواد ببيـاض، والليـل بالصـبح ، ويَشفع بيُغرِى ، ولى بقوله : بى .

وأما السجع — فهو أن كلماتِ الأسجاع موضوعةٌ على أن تكون ساكنة[(1)] الأعجاز موقوفا عليها ، لأن الغرض أن يجانس بين قرائنَ ، ويزاوج بينها ، ولا يتمّ ذلك إلا بالوقف ، ألا ترى الى قولهم : «ما أَبعَد ما فات ، وما أقربَ ما هو آت» فلو ذهبتَ تصـل لم يكن بُدّ من إعطاء أواخر القرائن ما يقتضيه حكم الإعراب ، فتختلف أواخرُ القرائن ، ويفوت الساجعَ غرضُه ، واذ رأيناهم يخرجون الكلمة عن أوضاعها للازدواج فيقولون : أتيتك بالغدايا والعشايا ، وهنَانى الطعام ومَرَأنى ، وأخذه ما قدُم وما حدُث ، « وانصرفن مأزوراتٍ غيرَ مأجورات » ، يريد الغَـدَوات ، وأمرأنى وحدَث ، وموزورات ، مع أن فيه ارتكابا لمخالفة اللّغة [(2)] [فما الظنّ بأواخر الكلم المشبّهة بالقـــوافى ] .

---

(١) فى الأصل : «سالفة» ؛ وهو تصحيف .

(٢) التكلة عن حسن التوسل ص ٤٩ ط الوهابية .

قال : والسجع أربعة أنواع وهى : الترصيع والمتوازى والمطرّف والمتوازن .

أما الترصيع — فهو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متّفقة الأعجاز، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم : "اللهم اقبل توبتى، واغسل حوبتى" وقولهم : فلان يفتخر بالهمم العاليه، لا بالرمم الباليـه ؛ وقولهم : عاد تعريضك تصريحا، وتمريضك تصحيحا ؛

ومن النظم قولُ الخنساء :

حامى الحقيقة محمودُ الخليقة مهـــــدىّ الطريقة نفّاعٌ وضرّار
جوّاب قاصية جزّاز ناصية * عقّاد ألوية للخيـــل جرّار

وقد يجىء مع التجنيس، كقولهم :

اذا قلّت الأنصار، كلّت الأبصار ؛ وما وراءَ الخلْق الدّميم، إلا الخُلُق الذميم ؛

ومن النظم قولُ المطرّزى[(١)] :

وزَنْدُ ندى فواضله ورِىٌّ * ورَنْدُ رُبا فضائله نَضير
ودُرّ جلاله أبدا ثمينٌ * ودَرّ نواله أبدا غــــزير.

وأما المتوازى — فهو أن يراعَى فى الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزنُ (٤٠)
مع اتفاق الحرف الأخير منهما، كقوله عزّ وجلّ : ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ .

---

(١) فى الأصل : « المطرز » بدون ياء، والتصويب عن حسن التوسل ؛ وهو ناصر بن أبى المكارم عبد السـيد بن على ، ويكنى أبا الفتح ؛ وكانت وفاته سـنة عشر وستمائة ه . انظر وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٢٤ ط دار الطباعة المصرية .

وقولِ الحريرىّ : ألجأنى حكمُ دهرٍ قاسط، الى أن أنتجعَ أرضَ واسط (١) .

وقوله : وأَودَى الناطق والصامت، ورثى لنا الحاسد والشامت .

وأما المطرّف — فهو أن يراعَى الحرفُ الأخيرُ فى كلمتى قرينتيـه من غير مراعاة الوزن، كقوله تعـالى : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ وقولِهم : جنابه مَحطّ الرحال، ومُخيّم الآمال .

وأما المتوازن — فهو أن يراعَى فى الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزنُ مع آختلاف الحرف الأخير منهما، كقوله تعالى : ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ وقولِهم : اصبر على حرّ القتال، ومَضَض النّزال (٢)، وشدّةِ المِصاع، ومداومَةِ المِراس؛ فإن راعى الوزنَ فى جميع كلمات القرائن أو أكثرِها، وقابَل الكلمة منها بمـا يعادِلها وزنا كان أحسنَ، كقوله تعالى : ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وقولِ الحريرىّ : اسـودّ يومى الأبيض، وآبيضّ فَودى الأسوَد؛ ويسمَّى هذا فى الشعر الموازَنة، كقول البحترىّ :

فقف مُسعِدا فيهنّ إن كنت عاذرا * وسِر مُبعِدا عنهنّ إن كنت عاذلا

---

(١) قال فى معجم البـلدان ص ٨٨١ ج ٤ ط المدرسة المحروسـة بمدينة غتنغه : واسـط فى عدّة مواضع : نبدأ أوّلا بواسط الحجاج لأنه أعظمها وأشهرها ثم نتبعها الباقى . فأوّل ما نذكر لم سميت واسطا ولم صرفت ؟ فأما تسميتها فلأنها متوسـطة بين البصرة والكوفة لأن منها إلى كل واحدة منهما خمسـين فرسخا الخ . ثم ذكر بعد ذلك نقلا عن أبى حاتم أنه مصروف لأنه مذكر، فإنهم أرادوا به بلدا واسطا أو مكانا واسـطا، وأنه قد يذهب به مذهب البقعة أو المدينـة فيمنع من الصرف للتأنيث حينئذ . وقد ابتدأ الحجاج فى عمارتها سنة أربع وثمانين وفرغ منها سنة ست وثمانين .

(٢) كذا فى الأصل وحسن التوسل . ومحل التمثيل هذه القرينة مع القرينتين اللتين بعدها دون التى قبلها لاتفاق الحرف الأخير فيهما .

قال : ومما هو شرطُ الحسْن فى هذا المحافظةُ على التشابه ، وهو آسم جامع للملاءمة والتناسب .

فالملاءمة : تأليف الألفاظ الموافيةِ بعضُها لبعض على ضرب من الاعتدال كقول لَبِيد :

وما ٱلمرء إلا كالشهاب وضَوئِه * يعود رَمادا بَعْدُ إذ هو ساطع
وما ٱلمال والأهلون إلا وديعةٌ * ولا بدّ يوما أن تُرَدّ الودائع

و بعضهم يَعُدُّ التلفيق من باب الملاءمة ، وهو أن تضمّ الى ذكر الشيء مايليق به ويجرى مَجراه ، أى تجمع الأمورَ المناسِـبة ، و يقال له : مُراعاة النظير أيضا ، كقول آبنِ سَمْعُون للمهلّبيّ (١) :

أنت أيها الوزير إبراهيميّ الجُود ، إسماعيليّ الوعد ، شعَيبيّ التوفيق ، يوسفيّ العفو ، محمديّ الخلُق .

وكقول أبى الفوارس الحَمْدانيّ (٢) :

أأخا الفوارس (٣) لو رأيتَ مواقفى * والخيلُ من تحت الفوارس تَنحِط (٤)
لقرأتَ منهـا ما تخُطّ يد الوغى * والبيض تَشكُل والأسنّة تَنقُط

---

(١) فى الأصل : «ابن شمعون المهلبى» بالشين المعجمة وسقوط اللام ؛ وفى حسن التوسـل : «ابن سمعون المهلبى» بالمهملة ، ولم نقف على هذه النسبة لكلا الشخصين فيما بين أيدينا من كتب التراجم ومعاجم الأعلام ؛ ولعل صواب العبارة ما أثبتنا ؛ والمهلبى هو الوزير أبو محمـد الحسن بن محمد بن هارون يتصل نسبه بالمهلب بن أبى صفرة ؛ وكان وزيرا لمعز الدولة بن بويه ، وكانت وفاته سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠١ ط دار الطباعة المصرية . وابن سمعون هو أبو الحسين محمد بن أحمد ابن اسماعيل الواعظ البغدادى ؛ وتوفى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة هـ وفيات الأعيان ج ١ ص ٧٠١

(٢) كذا فى الأصل . والذى فى حسن التوسل : (أبو العشائر) وكلاهما من آل حمدان ، ولم نعثر فيما بين أيدينا من المظان على ما يرجح إحدى الروايتين ، كما أننا لم نقف على هذين البيتين فى شعر أبى فراس الحمدانى كما يتوهم تحريف ما هنا عنه .

(٣) فى الأصل : « أأجاد » وهو تحريف .

(٤) تنحط : من النحط ، وهو صوت الخيل من الثقل والإعياء ، يكون بين الصدر الى الحلق .

وكقول آخَر :

وكم سـائلٍ بالغيب عنك أجبتُه * هناك الأيادى الشَّفْعُ والسُّودَدُ الوِتر
عطاءٌ ولا منٌّ وحُكم ولا هوًى * وحِلم ولا عجز وعزٌّ ولا كِبر

وقولِ ابن حَيُّوس[1] :

يقينُك والتقوى وجُودُك والغنى * ولفظُك والمعنى وسيفُك والنصر

والتناسب : هو ترتيب المعانى المتآخيةِ التى تتلاءم ولا تتنافر، كقول النابغة :

والرفق يُمْن والأَناةُ سـعادة * فاستأنِ فى رزق[2] تنال نجاحا
واليأس عمّا فات يُعقِب راحةً * ولَرُبَّ مَطمَعة تعـود ذُباحا

ويسمّى التشابهَ أيضا، وقيل : التشابه أن تكون الألفاظ غيرَ متباينة بل متقاربة فى الجَزالة والرِّقة والسَّلاسة، وتكونَ المعانى مناسِبة لألفاظها من غير أن يُكسُو[3] اللفظَ الشريفَ المعنى السخيفَ، أو على الضدّ، بل يصاغان معا صياغةً تناسُب وتلائم .



## فصل فى الفِقَر المسجوعة ومقاديرها

قال : قِصَر الفقَرات يدلّ على قوّة التمكّن وإحكام الصناعة . وأقلّ ما تكون كلمتان، كقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ وأمثالُ ذلك فى الكتاب العزيز كثيرة، لكنّ الزائد على ذلك هو الأكثر، وكان بديع الزمان يُكثِر من

(١) هو محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس، ويكنى أبا الفتيان، ويلقب بصفىّ الدولة .

(٢) فى الأصل : «ورازرق» بالزاى المعجمة، وهو تحريف، والتصويب عن حسن التوسل .

(٣) فى الأصل : «يكثر» بالثاء المثلثة والراء المهملة، وهو تحريف .

ذلك فى رسائله ، كقوله : كُمَيْتٌ نَهْد (١) ، كأنَّ راكبَه فى مَهْد ، يَلطِم الأرضَ بزُبَر ويترل من السماء بخبَر . قالوا : لكن التذاذُ السامع بما زاد على ذلك أكثرُ لتشوقه الى ما يَرِد متزايدا على سمعه .

فأما الفقَر المختلفة فالأحسن أن تكون الثانيـة أزيَدَ من الأولى ولكن لا بقدر كثير لئلا يبعد على السامع وجودُ القافيـة فيقلّ الالتذاذُ بسماعها ، فإن زادت القرائن على اثنين فلا يضرّ تساوى القرينتين الأُولَيَيْن وزيادةُ الثالثـة عليهما وإن زادت الثانيـة عن الأولى يسيرا ، [والثالثةُ على الثانيـة] (٢) فلا بأس ، لكن لا يكون أكثرَ من المِثل ، ولا بدّ من الزيادة فى آخر القرائن ، مثاله فى القرينتين : ﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ ومثاله فى الثالثة قوله تعالى : ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ وأقصرُ الطِّوال ما كان (٣) من إحدى عشرةَ لفظـةً وأكثرُها غيرُ مضبوط ، مثاله من إحدى عشرةَ لفظةً : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ والتى (٤) بعدَها من ثلاثَ عشرةَ كلمةً ؛ ومثاله من عشرين لفظةً قوله تعالى : ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ .

---

(١) الكميت من الخيل يستوى فيه المذكر والمؤنث ، ولونه الكمتة ، وهى سواد تشوبه حمرة تكون فى الإبل والخيل . والنهد من الخيل : الحسن الجسم المشرف .

(٢) التكملة عن حسن التوسل .

(٣) فى الأصل : «فى» وما أثبتناه عن حسن التوسل .

(٤) فى الأصل : «وأنى» وهو تحريف .

وأما ردّ العَجُز على الصدْر — فهو كل كلام منثور أو منظوم يلاقى آخره أوّلَه بوجه من الوجوه، كقوله تعالى : ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ وقولِه تعالى : ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ وقولهم : "القتل أنفَى للقتل" و"الحيلة تركُ الحيلة" وقولهم : طَلَبَ مُلْكَهم فسَلب ما طَلب، ونَهب مالَهم فوَهب ما نَهب .

وهو فى النَّظم على أربعة أنواع :

الأوّل : أن يَقعا طَرَفين، إما متفقين صورة ومعنى، كقوله :

سريع إلى ابن العم يشتم عِرضه * وليس إلى داعى الندى بسريع

وقــوله :

سُكْران سُكْرُ هوًى وسُكْرُ مُدامة * أنّى يُفيق فتًى به سُكران؛

أو متفقين صورةً لا معنًى، وهو أحسن من الأوّل، كقول السَّرِىّ :

يَسارٌ من سجيّتها المنايا * ويُمْنى من عطيّتها اليسار

وقولِ الآخَرِ :

ذَوائبُ سُودٌ كالعناقيد أُرسلت * فمن أجلها منّا النفوسُ ذَوائبُ؛

أو معنًى لا صورة(1)، كقول عمرَ بنِ أبى ربيعةَ :

واستَبَدّت مرّة واحــدة * إنمـا العاجزمن لا يَسْـتَبِد

وقولِ السَّرِىّ :

ضرائبُ أَبْدَعْتَها فى السَّماح * فلسنا نرى لك فيها ضريبا

---

(1) فى الأصل : «لا صورة له» وقوله : «له» زيادة من الناسخ .

وقولِ الآخَر :

ثَلْبُك أهلَ الفضل قد دلَّنى * أنك منقوص ومثـــلوب (٤٢)

أو لا صورةً ولا معنًى ولكن بينهما مشابَهة اشتقاق، كقول الحرِيرى :

ولاحَ يلحَى على جَرْى العِنان الى * مَلْهًـا فسُحقا له من لائحٍ لاحِى

الثانى : أن يقعا فى حَشو المِصراع الأوّل وعَجُز الثانى؛ إما متفقين صورةً ومعنًى كقول أبى تمّـام :

ولم يَحفظ مُضاعَ المجد شىءٌ * من الأشياء كالمـال المُضَاع

وقولِ آخَر :

أمّا القبـور فإنهن أوانس * بجِوار قبرك والديارُ قبور

أو صورةً لا معنًى، كقول الثعالبىّ :

وإذا البلابل أَفصحت بلُغاتها * فانفِ البلابل باحتساءِ بلابِل

فالأوّل جمعُ بُلْبُل ، والثانى جمعُ بَلْبَلة وهى الهمّ [والثالث جمعُ بُلْبُلة الإبريق](١)

وقولِ الزمخشرىّ :

وأخّرنى دَهرى وقدّم معشرا * لأنهـم(٢) لا يعلمون وأعلم

فمذ أَفلح الجُهّال أعلم(٣) أننى * أنا الميم والأيام أَفلحُ أعـلمُ(٤)

---

(١) التكملة عن حسن التوسل ، وتمام الكلام يقتضى إثباتها . والذى فى كتب اللغة : ان البلبلة بضم الباءين وسكون اللام بينهما : كوز فيه بلبل الى جنب رأسه .

(٢) كذا فى الأصل . والذى فى حسن التوسل ص ٥٣ ط الوهابية : «على أنهم» ؛ وكلتا الروايتين تؤدى معنى صحيحا .

(٣) فى حسن التوسل : «أيقنت» ؛ ولا شاهد فيه على هذه الرواية .

(٤) الأفلح : المشقوق الشفة السفلى . والأعلم : المشقوق الشفة العليا ؛ يريد تشبيه الأيام فى جهلها قدره بالأفلح الأعلم الذى لا يستطيع النطق بالميم .

أو معنًى لا صورةً، كقول امرئ القيس :

إذا المرء لم يَخزُن عليه لسانَه * فليس على شيء سواه بخزّان

وقولِ أبى تمّـام :

دِمَن أَلَمّ بهـا فقال سـلام * كم حَلّ عُقدةَ صبره الإلمـامُ

وقولِ أبى فِراس :

وما إن شبتُ من كِبَرٍ ولكن * لقيتُ من الأحبّـة ما أشابا؛

أو فى الآشتقاق فقط، كقول أبى فِراس :

منحناها الحَرائبَ[1] غيرَ أنّا * إذا جُرنا مَنحناها الحِرابا؛

الثالث : أن يقعا فى آخر المِصراع الأوّل وعَجُزِ الثـانى، إما متّفقَين صورةً ومعنًى كقول أبى تمّام .

ومن كان بالبِيض الكواعب مغرما * فما زِلتَ بالبِيض القواضب مُغرما؛

أو صورةً لا معنًى، كقول الحرِيرىّ :

فمشغوف بآيات المثانى * ومفتون برنّات المثـانى؛

أو معنًى لا صورةً، كقول البحترىّ :

فِعلُك إن سُئلتَ لنامطيع * وقولُك إن سألتَ لنا مطاع؛

الرابع : أن[2] يقعا فى أوّل المِصراع الثانى والعَجُز؛ إما متّفقَين صورةً ومعنًى كقول الحَماسىّ :

---

(١) واحده حريبة، وهو المال الذى يعاش به، أو هو المال المسلوب؛ يريد : رددنا عليها ما سلبه فرساننا من أموالها فيما سلف .

(٢) فى الأصل : «يتفق»؛ وما أثبتناه عن حسن التوسل، وهو أنسب ليوافق ما قبله .

فإلا يكن إلا مُعَلِّل(١) ساعةٍ * قليــلا فإنى نافعٌ لى قليلُها

أو صورةً لامعنًى، كقول أبى دؤاد :

عهِدتُ(٢) لها مَنزِلا داثرا * وآلًا على المــاء يَحملن آلا

فالأول الأتباع(٣)، والثانى أعمدة الخِيام، وكقول آخر :

رماك زمانُ السُّوء من حيث لاترى * فرامى ولم يَظفَر بمـا هو راما

أو معنًى لا صورةً، كقول أبى تمّام :

ثَوَى فى الثرى من كان يحيا به الثرى * ويغمُر(٤) صَرفَ الدهر نائلُه الغَمْر

وقد كانت البِيضُ البَواترُ فى الوغى * بَوَاترَ فهى الآنَ من بَعـده بُتْر

(٤) قال : ومن نوادر هذا الباب بيتا الحريرى اللذان سمّاهما المطرِّفَين، وهما :

سِمْ سِمَةً تحسُن آثارُها * وآشكُرلمن أعطى ولو سِمسِمه

والمَكرُ مهما آستطعتَ لا تأته * لتبتغى السُّودَد والمَكرُمَه.

قال : فإن لم يقع فى العَجُز فليس من هذا الباب، كقوله :

ونُبِّئتُهم يَستنصِرون بكاهل * ولِلُّؤْمُ فيهم كاهلٌ وسَنام

---

(١) فى ديوان الحماسة ج ٢ ص ١٣٥ ط التوفيق : « معرّج » بفتح الراء المهملة مع التشديد والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) فى اللسان مادة أول : « عرفت » وكلاهما يستقيم به المعنى . وداثر كدارس وزنا ومعنى، والأخيرة رواية اللسان . (٣) فسر فى اللسان آ لآن الأول بأنه عيدان الخيمه، والثانى بأنه الشخص .

(٤) كذا فى الأصل وديوان أبى تمام ص ٣٣١ ط الأدبية ببيروت . والذى فى حسن التوسل :

* ويأمن صرف الدهر جاهله الغمر * ومؤدى الروايتين مختلف . والغمر بفتح الغين على رواية الأصل والديوان : الكثير . وبالضم على رواية حسن التوسل : من لا خير فيه ولا غناء عنده فى عقل ولا رأى ولا عمل .

وكقول الأَفْوَه الأَوْدىّ :

وأَقطع الهَوْجل مستأنِسا * بِهَوْجل عَيْرانةٍ (١) عَنترِيس

فالهَوْجَل الأوّل : الفَلاة، والثانى : الناقة السريعة .

وأما الإعنات — ويقال له التضييقُ والتشديدُ ولزومُ ما لا يلزم — فهو أن يعنِت نفسه فى ٱلتزام رِدْف أو دَخيل أو حرف مخصوص قَبْلَ حرف الروىّ، أو حركةٍ مخصوصة ، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، وقولِ النبى صلى الله عليه وسلم : «اللهم بك أُحاول، وبك أُصاول» وقولِه عليه الصلاة والسلام « شرّ ما فى المرء شُحٌّ هالع، أو جُبْنٌ (٢) خالع » وقولِه عليه الصلاة والسلام : « زُرْ غِبّاً تزدد حُبّا » وقولِ عمرَ رضى الله عنه : لا يكن حبُّك كَلَفا، ولا بُغضُك تَلَفا ؛ وقولِ المَعرّى :

ضحكنا وكان الضِّحك منا سفاهةً * وحَقَّ لسُكّان البسيطة أن يبكوا

يُحطِّمنا صَرف الزمان كأننا * زُجاج ولكن لا يعادُ لَهُ السَّبك

وقولِ آخرَ :

يقولون فى البستان للعَين لذّة * وفى الخمر والماء الذى غيرُ آسن

إذا شئتَ أن تلقَى المحاسن كلَّها * ففى وجه من تهوَى جميعُ المحاسن

وقد التزم ٱبن الرومىّ الفتحَ قَبْلَ حرف الروىّ — وكان أولع الناس بذلك فقال :

لِمَا تؤذِن الدنيا به من صُروفها * يكون بُكاءُ الطفل ساعةَ يولد

(١) العيرانة من النياق : الناجية فى نشاط . والعنتريس : الغليظة الوثيقة .

(٢) قال فى النهاية مادة خلع فى تفسير هذه الكلمة : أى شديد، كأنه يخلع فؤاده من شدّة خوفه .

وإلا فما يُبكيه فيها وإنّها * لَأَوْسَعُ ممّا كان فيه وأرغد(١)
إذا أبصر الدنيا استهلّ كأنه * بما سيلاقى من أذاها يُهدَّد

وأمثالُ ذلك فى الشعر كثيرة .

وأما المذهب الكلامىّ — فهو إيراد حُجّة للمطلوب على طريقة أهل الكلام نحو قوله عز وجل : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ومنه قولُ النابغة يعتذر إلى النُّعمان :

حلفتُ فلم أترك لنفسك رِيبةً * وليس وراءَ الله للمرء مَذهب
لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنّى جناية * لَمُبلغُك الواشى أغشّ وأكذب
ولكنّنى كنت امرءا لىَ جانب * من الأرض فيه مُستَراد ومذهب
ملوك وإخوان اذا ما مدحتُهم * أحكَّمُ فى أموالهم وأقرَّب
كفعلك فى قوم أراك اصطنعتَهم * فلم تَرَهُمْ فى مدحهم لك أذنبوا

يقول : أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك، وأنا أحسن إلىّ قوم فمدحتُهم، فكما أنّ مدح من أحسنتَ إليه لا يعدّ ذنبا فكذا مدحى لمن أحسن إلىّ لا يُعَدّ ذنبا .

قال ابن أبى الإصبع، ومن شواهد هذا الباب قولُ الفرزدق :

لكلّ امرئ نفسان نفْسٌ كريمةٌ * ونفْس يعاصيها الفتى ويطيعها
ونفسُك من نفسَيْك تَشفَع للندَى * إذا قلّ من أحرارهنّ شفيعها

يقول : لكُلّ إنسان نفْسان : نفس مطمئنّة تأمره بالخير، ونفس أمّارة تأمره بالشرّ، والإنسان يعاصى الأمّارة مرّة ويطيعها أخرى، وأنت إذا أمرتْك الأمّارة

(١) فى رواية : « منها » .

بترك النّدى شفَعت المطمئنّة إليها فى النّدى فى الحالة التى يَقلّ فيها الشفيع فى النّدى من النفوس، فأنت أكرم الناس . (٤٤)

وأما حسن التعليل — فهو أن يُدَّعَى لوصف عِلّةٌ مناسبةٌ له باعتبارٍ لطيف وهو أربعة أضرب : لأنّ الصفة إمّا ثابتةٌ قُصِد بيانُ علّتها، أو غيرُ ثابتةٍ أريد إثباتُها

فالأُولى إمّا لا يَظهر لها فى العادة علّة، كقوله :

لم يَحكِ نائلَك السحابُ وإنّما * حُمّتْ به فصبيبُها الرُّحَضاءُ (١)

أو يَظهر لها علّة، كقوله :

ما به قتلُ أعاديه ولكن * يتّقى إخلافَ ما ترجو الذئاب (٢)

فإنّ قتلَ الأعداء فى العادة لدفع مضرّتهم لا لما ذكره .

والثانية إما مُمْكنةٌ (٣)، كقوله :

يا واشيا حسُنت فينا إساءتُه * نجّى حِذارُك (٤) إنسانى من الغرق

فإن آستحسان إساءة الواشي ممكن، لكن لمّا خالف الناس فيه عقّبه بما ذكر.

أو غيرُ مُمْكنة، كقوله :

لو لم تكن نيّةُ الجوزاء خدمتَه * لما أتت وعليها عَقدُ منتطِق (٥).

---

(١) البيت لأبى الطيب المتنبي ؛ والرحضاء بضم الراء وفتح الحاء المهملة : العرق أثر الحمى .

(٢) البيت لابى الطيب المتنبي كسابقه؛ انظر معاهد التنصيص ص ٣٥٨ ط بولاق .

(٣) فى الأصل : «بركة» ؛ وهو تحريف، ولا معنى له .

(٤) فى الأصل : «جدواك» وهو تحريف ؛ والتصويب عن معاهد التنصيص ص ٣٥٩، والبيت لمسلم بن الوليد .

(٥) فى معاهد التنصيص ص ٣٦٧ ط بولاق أن هذا البيت مترجم من الفارسية ولم يسم قائله .

قال . وأُلحِقَ به ما بُنِىَ على الشكّ، كقول أبى تمّـام :

رُبَّما شفعت ريح الصَّبا لرياضها * إلى المُزْن حتى جادها وهو هامع
كأنّ السحابَ الغُرَّ غيَّبن تحتها * حبيبا فما ترقا لهنّ مدامع

وقد احسن ابن رشيق فى قوله :

سألتُ الأرض لِمْ كانت مصلًّى * ولِمْ كانت لنا طُهــرا وطِيبـا
فقـالت غــيرَ ناطقــةٍ لأنّى * حوَيتُ لكلّ إنســان حبيبـا.

وأما الآلتفات — فقـد فسّره قدامة بأن قال : هو أن يكون المتكلّم(١) آخذا فى معنى فيعترضه إما شكٌّ فيه وإما ظنٌّ أنّ رادّا يردّه عليـه، أو سائلا له عن سببه فيلتفت إليه بعد فراغه منه، فإما أن يُجَلِّىَ الشكّ، أو يؤكّده، أو يَذْكرَ سببه، كقول الرمّاح بن ميّادة :

فلا صَرمُه يبدو ففى اليأس راحة * ولا وصلُه يصفو لنـا فنكارمُه

كأنه توهّم أن فلانا يقول : ما تصنع بصَرمه ؟ فقال : لأن فى اليأس راحة .
وأما آبن المعتزّ فقال : الآلتفات آنصراف المتكلّم عن الإخبار إلى المخاطَبة ، ومثاله فى القرآن العزيز الإخبار بأنّ الحمدَ لله رب العالمين، [ثم قال](٢) : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ومثاله فى الشعر قول جرير :

متى كان الخيـامُ بذى طُلوح(٣) * سُـقيتِ الغيث أيّتها الخيـام ؛

(١) عبارة قدامة : « أن يكون الشاعر » ، كما فى كتابه نقد الشعر ص ٥٣ ط الجوائب ؛ وما هنا أعم .

(٢) التكملة عن حسن التوسل ص ٥٦ ط الوهابية .

(٣) ذو طلوح : موضع فى حزن بنى يربوع بين الكوفة وفيد .

أو آنصراف المتكلّم عن المخاطبة [إلى الإخبار](١)، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ ومثال ذلك فى الشعر قول عنترة:

ولقـــد نزلتِ فلا تظنّى غيرَه * منّى بمـــنزلة المُحَبّ المكرَم

ثم قال مخبرا عنها:

كيف المَزار وقـــد تربّع أهلها * بعُنَيزتين(٢) وأهلنـا بالغَيـلم؛

أو آنصراف المتكلّم من الاخبار إلى التكلّم، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ﴾؛

أو آنصراف المتكلّم من التكلّم إلى الإخبار، كقوله تعـالى: ﴿إِن نَّشَأۡ(٣) نُذۡهِبۡكُمۡ وَنَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ وقد جمـع آمرؤ القيس الآلتفاتات الثلاثة فى ثلاثة أبيات متواليات، وهى قوله:

تَطـاوَلَ ليـــلُكَ بالإثمِـــد(٤) * ونام الخـــلىّ ولم ترقـــد
وبات وباتت له ليـــلة * كليـــلة ذى العـائر(٥) الأرمد
وذلك من نبإ جاءنى * وخُبّرتُه عن أبى الأســـوَد

(١) الزيادة عن حسن التوسل. وصحة العبارة تقتضى إثباتها.

(٢) عنيزتين تثنية عنيزة، وهو بمعناه: موضع بين البصرة ومكة، أوهو من أودية اليمامة؛ والغيلم: موضع ذكره ياقوت ولم يعينه.

(٣) كذا وردت هذه الآية بالنون فى الكلمات الثلاث فى خزانة الأدب للحموى ص ٧٤ ط بولاق وعليه يستقيم التمثيل، وقال الحموى بعد إيراد الآية: «والقراءة فى الكلمات الثـلاث بالنون شاذة نقلها صـاحب البحر الزاخر». والذى فى الأصـل وحسن التوسـل وشرح الباعونيـة: «إن يشأ يذهبكم و يأت» بالياء المثناة فى الكلمات الثلاث؛ والتمثيل بها على هذه القراءة غير مستقيم.

(٤) الإثمد: موضع ذكره ياقوت فى معجمه ولم يعينه.

(٥) العائر: كل ما أعل العين، أوهو بثر فى الجفن الأسفل منها.

(٤٥) يخاطِب فى البيت الأوّل ، وآنصرف إلى الإخبار فى البيت الثـانى ، وآنصرف عن الإخبار الى التكلّم فى البيت الثالث على الترتيب .

وأما التّمام — وهو الذى سماه الحاتمىّ التتميم ، وسمـاه آبن المعتز آعتراض كلام فى كلام لم يتم معناه ، ثم يعود المتكلّم فيتمّمه ، وشرَح حدّه بأنه الكلمة التى إذا طُرِحت من الكلام نقَص حُسنُ معناه ومبالغتُه ، مع أن لفظه يوهم بأنه تامّ ؛ وهو على ضربين : ضرب فى المعانى وضرب فى الألفاظ ، فالذى فى المعانى هو تتميم المعنى والذى فى الألفاظ هو تتميم الأوزان ، والأوّل هو الذى قُدّم حدُّه ، ومثاله قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ فقوله تعالى: ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ [تتميم ، وقوله : ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾] (١) تتميم ثان فى غاية البلاغة ، ومن هذا القسم قول النبى صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد مسلم يصلى لله كل يوم آثنتى عشرة ركعة من غير الفريضة إلا آبتنى الله له بيتا فى الجنة » فوقع التتميم فى هذا الحديث فى ثلاثة مواضعَ : قوله عليه السلام : مسلم ، ولله ، ومن غير الفريضة ، ومن أناشيد قدامة على هذا القسم قولُ الشاعر (٢) :

أناس إذا لم يُقبَـــل الحقّ منهـــمُ * ويعطَوْه عادوا (٣) بالسيوف ا

وأما الذى فى الألفاظ فهو الذى يُؤتى به لإقامة الوزن بحيث لو طُرِحت الكلمة آستقلّ معنى البيت بدونها ؛ وهو على ضربين : أحدهما مجىء الكلمة لا [illegible] غير إقامة

---

(١) التكملة عن حسن التوسل . واستقامة الكلام تقتضيها .

(٢) هو نافع بن خليفة الغنوى ؛ انظر نقد الشعر لقدامة ص ٩٤ ط. الجوائب .

(٣) كذا فى الأصل وحسن التوسل بالدال المهملة . وفى نقد الشعر لقدامة : [illegible] المعجمة ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

الوزن فقط، والثانى مجيئها تفيد مع إقامة الوزن نوعا من الحسن، فالأول من العيوب والثانى من المحاسن؛ قال : والكلام هنا فى الثانى، ومثاله قول المتنبى :

وخُفوق قلبٍ لو رأيتِ لهيبه * يا جنّتى لظننتِ فيه جهنّما

فإنه جاء بقوله يا جنتى لإقامة الوزن، وقصَدَ بها دون غيرها مما يسدّ مسدّها أن يكون بينها وبين قافية البيت مطابقةٌ لا تحصل بغيرها .

وأما الاستطراد — وهذه التسمية ذكرالحاتمى فى حلية المحاضرة أنه نقلها عن البحترى، وقيل : أن البحترى نقلها عن أبى تمّام، وسماه ابن المعتز : الخروج من معنى إلى معنى، وفسّره بأن قال : هو أن يكون المتكلّم فى معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط أو الإخبار أو غير ذلك إلى معنى آخَر يتضمن مدحا أو قدحا أو وصفاما، وغالب وقوعه فى الهجاء، ولا بد من [ ذكر ](١) المستطرَد به بآسمه بشرط أن لا يكون تَقدّم له ذكر .

فمن أوّل(٢) ما ورد فى ذلك من النظم قولُ السَموءل بن عادياء :

وإنّا لَقوم ما نرى القتل سُبّةً * إذا ما رأته عامر وسلول

ومنه قول حسّان :

إن كنتِ كاذبةَ الذى حدّثتِنى * فنجوتِ منجا الحارث بن هشام

تركَ الأحبّة لم يقاتل دونهم * ونجا برأس طِمِرّةٍ(٣) ولجام

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن حسن التوسل إذ لا يستقيم الكلام بدونها .

(٢) فى الأصل : «فمن أوّلها» والسياق يقتضى حذف الهاء .

(٣) الطمرّة من الأفراس : المستعدّة للعدو . وقد أشار حسان فى هذين البيتين الى فرار الحارث ابن هشام بن المغيرة يوم بدر : انظر سيرة ابن هشام وغيرها من كتب السيرة .

وقولُ أبى تمّـام فى وصف حافر الفرس بالصلابة[1] :

أيقنتَ إن لم تَثبَّت أنّ حافرَه * من صخر تَدْمُرَ[2] أو من وجه عثمانِ

ومن أحسن ما قيـل فى ذلك قولُ ابنِ الزَّمَكْدَمِ أربعةَ ٱستطرادات متواليـة :

وليـلٍ كوجه البَرْقَعيدىّ[3] ظُلمةً * وبَردِ أغانيـه وطولِ قـرونه

سَرَيت ونومى فيه نومٌ مشرَّدٌ * كعقل سليمانَ بن فهد[4] ودِينه

على أولَق[5] فيـه ٱلتفاتٌ[6] كأنه * أبو صالح[7] فى خبطـه وجنونه

إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه * سنا وجهِ قِرْواش[8] وضوءُ جبينه

وقولُ البحترىّ فى الفَرَس أيضا :

ما إن يَعاف قَذًى ولو أَوردتَه * يوما خلائقَ حَمدَويهِ الأحول

وممـا جمع المدح والهجاء قول بَكر بن النَّطّاح :

فتًى شَقيَتْ أموالُه بنواله * كما شَقيَتْ بَكر بأرماح تَغلِب

(١) فى الأصل : «جاء فى الفرس» وما أثبتناه عن حسن التوسل وهو أنسب بقوله بعد : «بالصلابة» .

(٢) فى الأصـل : « اقيت » بالقاف الموحدة بعدها ياء مثناة ، وهو تصحيف . وتدمر : مدينة قايمة فى برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام ياقوت . ويريد بعثمان المذكور فى البيت : عثمان بن إدريس الشامى ؛ انظر ديوان أبى تمـام ص ٢٠١ ط الوهبية .

(٣) البرقعيدى : نسبة الى برقعيد ، وهى بليدة فى طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين .

(٤) فى الأصـل : « وهب » وهو تحريف ؛ والتصويب عن معجم ياقوت ج ١ ص ٥٧٢ ط المحروسة بمدينه غتنغه والوافى بالوفيات للصفدى .

(٥) فى الأصل : «أوقل» وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما فى المعجم ، والأولق : الجنون ، يريد : على فرس ذى أولق . (٦) كذا فى الأصل . ولعله يريد وصف الفرس بأنه يلتفت فى سيره يمنة ويسرة فلا يستقيم فى وجهـة واحدة ، بل يخبط فى سيره كما يدل عليـه عجز البيت . وفى معجم البلدان : «الهباب» ؛ والهباب بكسر الهاء : النشاط والسرعة . (٧) فى معجم ياقوت : « أبو جابر» .

(٨) هو قرواش بن مقلد أمير بنى عقيل .

ومما جاء به على وجه المجون قولُ بعضهم .

اِكشفى وجهك الذى أوحلتنى * فيه من قَبل كشفه عيناكِ

غلطى فى هواكِ يشبه عندى * غلطى فى أبى علىّ بن زاكى

ومما جاء فى النسيب على وجه التشبيه (٢) قولُ امرئ القيس .

عُوجا على الطلل المُحيل (٣) لعلّنا (٣) * نبكى الديار كما بكى ابن حمام (٣)

وأما تأكيد المدح بما يشبه الذمّ — فهو ضربان : أفضلهما أن يستثنى من صفة ذمّ (٤) منفيّة عن الشىء صفةَ مدح (٤) بتقدير دخولها فيها، نحو قوله تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ فالتأكيد فيه من جهة أنه كدعوى الشىء ببيّنة ، وأن الأصل فى الاستثناء الاتصال، فذكرُ أداته قبل ذكر ما بعدها يوهم إخراجَ الشىء مما قبلها، فإذا وليَها صفةُ مدح جاء التأكيد .

والثانى : أن يُثبت لشىء صفة مدح ويعقَّب بأداة استثناء تليها صفةُ مدح أخرى له، كقوله صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب بَيْدَ أنّى من قريش » وأصل الاستثناء فى هذا الضرب أيضا أن يكون منقطعا، لكنه باق على حاله لم يقدَّر

---

(١) به ، أى بالاستطراد . وعبارة حسن التوسل : « ومما جاء على وجه » الخ .

(٢) فى الأصل : «التشبيه» ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا فى الأصل وحسن التوسل ، والذى فى شرح ديوان امرئ القيس للوزير أبى بكر عاصم ابن أيوب ص ١٤٤ ط الخيرية : « لأننا » يهمز بعده نون، وهى لغة فى « لعلنا » حكى الخليل أن بعض العرب يقول : إيت السوق أنك تشترى لنا سويقا ؛ أى لعلك . وابن حمام : شاعر يقال له : امرؤ القيس أيضا كما فى الشرح؛ ولم نقف على ضبطه ؛ ورواية الديوان « ابن حذام » بالذال المعجمة ، ولم يسمه شارحه الوزير أبو بكر المتقدم ؛ وروى أبو عبيدة : « ابن حزام » بالحاء المهملة والزاى المعجمة ؛ وليس هو عروة بن حزام العذرى كما يتوهم . (٤) فى الأصل : « أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشىء صفة ذم » والصواب العكس كما يقتضيه التمثيل .

متصلا فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثانى من الوجهين المذكورين، ولهذا كان الأوّل أفضل .

ومن أمثلة الأوّل قولُ النابغة الذّبيانى :

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سيوفَهم * بهنّ فُلول من قِراع الكتائب

ومن أحسن ما قيل فى ذلك قولُ حاتم الطائىّ :

ولا تشتكينى جارتى غيرَ أننى * إذا غاب عنها بعلها لا أزورها

ومن الثانى قولُ النابغة الجَعْدىّ :

فتًى كَمُلت أخلاقه غيرَ أنه * جواد فما يُبقِى من المال باقيا

ومن أحسن ما ورد فى هذا الباب قولُ بعضهم (١) :

ولا عيب فينا غير أنّ سماحَنا * أضرَّ بنا والبأسَ (٢) من كلّ جانب

فأفنى الردى أعمارنا غيرَ ظالم * وأفنى الندى أموالَنا غيرَ عاتب .

وأما تأكيد الذمّ بما يشبه المدح — فهو ضربان :

أحدهما أن يُستثنَى من صفة مدح منفيّة عن الشىء صفةَ ذمّ بتقدير دخولها فيها كقولك : فلان لاخير فيه إلّا أنه يسىء (٣) إلى من أحسن اليه .

والثانى : أن تُثبت للشىء صفة ذمّ وتعقّب بأداة آستثناء تليه صفة ذمّ له أخرى كقولك : فلان فاسق إلّا أنه جاهل، وتحقيق القول فيها على قياس ماتقدّم .

---

(١) هو أبو هفان . انظر معاهد التنصيص ص ٣٨٩ ط بولاق .

(٢) فى الأصل وحسن التوسل ص ٥٨ ط الوهابية : « والناس » بالنون، وهو تحريف ؛ والتصويب عن معاهد التنصيص . وصدر البيت الثانى يدل عليه أيضا .

(٣) فى الأصل : « لا يسىء » ؛ وصحة التمثيل تقتضى حذف اللام .

وأما تجاهل العارف — فهو سؤال المتكلّم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه ليُخرج كلامه مُخْرَج المدح أو الذمّ، أو ليدُلّ على شدّة التدلّه فى الحبّ، أو لقصد التعجّب أو التوبيخ أو التقرير[1]؛ وقال السكاكىّ: هو سَوق المعلوم مَساقَ غيره لنكتة كالتوبيخ، كما فى قول الخارجيّة وهى ليلى بنت طَرِيف:

أيا شجر الخابور[2] مالك مُورقا ＊ كأنك لم تجزَع على ٱبن طَرِيف

والمبالغة فى المدح، كقول البحترىّ:

ألمْعُ برق سرى أم ضوءُ مصباح ＊ أم ٱبتسامتُها بالمَنظَـر الضاحى

أو الذمّ، كما قال زُهير:

وما أدرِى ولست[3] إخال أدرِى ＊ أقـومٌ آلُ حِصن أم نسـاء (٤٧)

أو التدلّه فى الحبّ، كقوله:

بالله يا ظَبيات[4] القاع قلن لنـا ＊ ليلاى منكنّ أم ليلَى من البشر

وقولِ البحترىّ:

بدا فراع فؤادى حسنُ صُورته ＊ فقلت هل ملِكٌ ذا الشخصُ أم ملَك

---

(١) فى الأصل: «لكنه»؛ وهو تحريف.

(٢) الخابور: نهر كبير، بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة ولاية واسعة وبلدان جمة غلب عليها اسمه فنسبت اليه، وأصل هذا النهر من العيون التى برأس عين، وينضاف اليه فاضل الهرماس ومدّ وهو نهر نصيبين فيصير نهرا كبيرا. انظر معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٣ ط جوتنجن.

(٣) فى معاهد التنصيص ص ٤١٧ ط بولاق: «وسوف» والبيت يستقيم على كلتا الروايتين.

(٤) نسب هذا البيت الى ذى الرمة والمجنون والعرجى، وأكثرهم على أنه للأخير؛ انظر معاهد التنصيص الصفحة المتقدّمة الذكر.

وأما الهزل الذى يراد به الجدّ — فهو أن يقصد المتكلّم ذمّ إنسان أو مدحه فيُخرجَ ذلك مُخرَج المُجون، كقول الشاعر :

إذا ما تميمىٌّ أتاك مُفاخرا * فقل عدِّ عن ذا كيف أكلُك للضبّ.

وأما الكنايات — فهى أن يُعبِّر المتكلّم عن المعنى القبيح باللفظ الحسَن وعن الفاحش بالطاهر وقد تقدّم الكلام على ذلك فى باب الكناية والتعريض وهو الباب الرابع من القسم الثانى من هذا الفنّ، وهو فى السِّفر الثالث من كتابنا هذا.

وأما المبالغة — وتسمّى التبليغَ والإفراطَ فى الصفة — فقد حدّها قُدامةُ بأن قال : هى أن يذكر المتكلّم حالا من الأحوال لو وَقف عندها لأجزأت فلا يقف حتى يزيد فى معنى ما ذكره ما يكون أبلغَ فى معنى قصْده، كقول عُمَيْر[٢] بن كريم التغلبىّ :

ونُكرِم جارنا ما دام فينا * ونُتبِعه الكرامة حيث مالا

ومن أمثلة المبالغة المقبولة قولُ امرئ القيس يصف فرسًا :

فعادَى عِداءً[٣] بين ثورٍ ونعجة * دِراكا ولم يُنضَح بماء فيُغسَلِ

يقول : انه أدرك ثورا وبقرة فى مضمار واحد ولم يَعرَق .

وقولُ المتنبى

وأصرَعُ أىَّ الوحش قفَّيتُه به * وأنزِل عنه مثلَه حين أركَب

(١) هو أبو نواس، والبيت من قصيدة يهجو بها تميما وأسدا و يفتخر بقحطان؛ انظر معاهد التنصيص ص ٤١٣ ط بولاق .

(٢) كذا ورد هذا الاسم فى الأصل وحسن التوسل ص ٥٩ وخزانة الأدب للحموى ص ٢٧٩ ط بولاق . والذى فى معاهد التنصيص ص ٣٤٤ ط بولاق عمرو بن الأهتم . قال : ولم أقف على ترجمة ابن الأهتم التغلبى قائل البيت . وفى الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ٢٨٨ ط الاستانة : عميرة ابن الأهتم، ولم نقف فيما بين أيدينا من المراجع على ما يرجح إحدى هذه الروايات الثلاث .

ولا يعاب فى المبالغة إلا ما خرج عن حدّ الإمكان، كقوله :

وأَخَفْتَ أهلَ الشركِ حتى إنه * لَتخافك النُّطَف التى لم تُخلَق (١)

وأما إذا كان كقول قيس بن الخطيم :

طعنتُ ٱبنَ عبد القيس طعنةَ ثائر * لها نَفَذٌ لولا الشُّعاعُ أضاءها
ملكتُ بها كَفّى فأَنهرتُ (٢) فَتقَها * يُرَى قائمًا من دونها ماوراءها

فإنّ ذلك من جيّد المبالَغة إذ لم يكن قد خرج مَخرج الاستحالة مع كونه قد بلغ النهاية فى وصف الطعنة، ومن أحسنِ ذلك وأبلغه قولُ أحد شعراء الحماسة :

رَهنتُ يدى بالعجز عن شكر بِرّه * وما بعد (٣) شكرى للشكور مَزيد
ولو كان مما يستطاع ٱستطعتُه * ولكنّ مالا يستطاع شديد.

وأما عتاب المرء نفسَه — فهو من أفراد ٱبن المعتزّ، ولم يُنشِد عليه سوى بيتين ذكر أن الآمدىّ (٤) أنشدهما عن الجاحظ وهما :

عصانىَ قومى فى الرشاد الذى به * أَمرتُ ومن يعصِ المجرِّب يندم
فصبرا بنى بكر على الموت إننى * أرى عارضا ينهلّ بالموت والدم

قال : ولا يصلح أن يكون شاهدا لهذا الباب إلا قولُ أحد شعراء الحماسة :

أقول لنفسى فى الخلاء ألومها * لكِ الويلُ ما هذا التجلّد والصبر

---

(١) البيت لأبى نواس من قصيدة يمدح بها الرشيد انظر معاهد التنصيص ص ٣٤٥ ط بولاق .

(٢) أنهرت : وسعت .

(٣) فى الحماسة : «وما فوق» ومعنى البيت يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) كذا فى الأصل وحسن التوسل . والذى فى تحرير التحبير لابن أبى الإصبع المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٥ بلاغة وخزانة الأدب للحموى ص ١٨٠ ط بولاق . « الأسدىّ » ولم نقف فيما بين أيدينا من المظان على ما يرجح إحدى الروايتين .

وقولُ الآخَرِ

فَقَـدتُكِ من نفس شَعاعٍ فإننى * نَهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميع (١) (٤٨)

وما ناسب ذلك من الأمثلة .

وأما حُسن التضمين — فهو أن يضمّن المتكلّم كلامَه كلمةً من آية أو حديث أو مَثلٍ سائر أو بيت شعر ؛

ومن إنشادات ابن المعتزّ عليه :

عَـوَّذَ لمـا بتّ ضيفا له * أقراصَــه منّى بياسينِ

فبتُّ والأرض فراشى وقد * غنّت قِفا نَبْكِ مَصـارينى

فضمّن بيتَه الأوّلَ كلمةً من السورة بتوطئة حسَنة ، وبيتَه الثانىَ مَطلعَ قصيدة امرئ القيس .

ومما ضُمِّن معنى حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم قولُ الآخَر :

وأخٍ مسّـــه نزولى بقَـــرْحٍ (٢) * مِثلَمـا مسّـــنى من الجوع قَرْح

بتُّ ضـــيفا له كما حـكم الدهـــ * ـــر وفى حكمه على الحـرّ قبـح

قال لى مذ نزلتُ وهـو من السكـ * ـــرة بالهـمّ طافح ليس يصـحو :

لِمْ تغرّبتَ؟ قلت : قال رسول اللـ * ـه والقولُ منــه نُصــحٌ ونُجْح :

« سافروا تغنموا » فقال : وقد قـ * ـــال تمامَ الحديث : «صوموا تصِحّوا»

ومن تضمين الشعر قولُ بعضهم :

وقفنا بأنضاء حكّتنا (٣) لواغب * «على مِثلها من أربُعٍ ومَلاعب»

وهو مطلع قصيدة لأبى تمام ،

---

(١) الشعاع من النفوس : ما تفرقت همومها . والجميع : المجتمعة . (٢) فى الأصل : «داح» وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل . (٣) فى الأصل : «حكينا» بالياء المثناة التحتية ، وفى حسن التوسل . «حنينا» بنون موحدة بعدها ياء مثناة ، وهو تحريف فى كليهما .

ومنه قولُ الغَزِّى :

طُولُ حيـاة ما لهـا طائـل * نَغَّص عنـدى كُلَّ ما يُشْتهى
أصبحتُ مثلَ الطفل فى ضعفه * تَشـابَه المبـدأ والمنتهى
فلا تـلم سمعى إذا خاننى * « إنّ الثمانين وبُلِّغْتَهـا »

المراد من التضمين هاهنا تمامُ البيت : * قد أحوجَتْ سمعى إلى تُرْجُمان * وإنما تركه لأن أوّل البيت يدُلّ عليه لاشتهاره، وهذا قد أكثر المتأخرون من استعماله فى أشعارهم، وضمّنوا البيت الكامل بعد التوطئة له .

وأما التلميح — وهو من التضمين، وإنما بعضهم أفرده — فهو أن يشير فى فحوى الكلام إلى مَثَلٍ سائر، أو بيت مشهور، أو قضية معروفة من غير أن يذكُره، كقول الشاعر :

المستغيثُ بعمرو عند كُربته * كالمستغيث من الرمضاء بالنار

أشار إلى قضيّة كُليب حين استغاث بعمرو بن الحارث ؛ ومنهم من يسمّى ذلك اقتباسا، وإيرادَ المثل كما هو تضمينا .

وأما إرسال المَثَلِ — فهو كقول أبى فِراس :

تَهُون علينا فى المعالى نفوسُنـا * ومن يخطب العلياء لم يُغْـلِه(١) المهر

وكقول المتنبى :

تُبَكِّى عليهنّ البطاريقُ فى الدجى * وهنّ لدينـا مُلقَيات كَواسـد
بذا قضت الأيامُ ما بين أهلِها * مصائبُ قوم عنـد قوم فوائد

(١) لم يغله المهر : أى أن مهرها لم يجعل من يخطبها غاليا عليها ، يريد أن مهرها نفس خاطبها وفى حسن التوسل وغيره : «لم يغلها» بتأنيث الضمير ، والمعنى عليه أن المهر الذى يدفع لها لا يصيرها غالية عليه أيا كان نوعه وقيمته .

وأما إرسال مَثَلين — فهو الجمع بين مَثَلين، كقول لَبيد :

ألا كلُّ شيء ما خلا اللهَ باطل * وكلُّ نعيم لا مَحالةَ زائـل

وأبيات زهير بن أبي سُلمى التي فيها ومَن ومَن ، وقـد تقدّم ذكر ذلك مستوفى في باب الأمثال، وهو الباب الأوّل من القسم الثاني من هذا الفنّ، وهو في السِّفر الثالث .

وأما الـكلام الجامع — فهو أن يكون البيت كلُّه جاريا مَجرى مَثـل واحد كقول زهير :

ومن يك ذا فَضْلٍ ويبخَلْ بفضله * على قومه يُستغنَ عنـه ويُذمَمِ

(٤٩) ومن لا يصانِع في أمور كثيرة * يُضَرَّس بأنيـاب ويُوطأ بمَنْسِمِ(١)

ومهما تكن عند آمرئ من خَليقة * وإن خالها تَخفى على الناس تُعـلَمِ

وكقول أبي فراس :

إذا كان غيرُ الله في عُدّة الفـتى * أتتـه الرزايا من وجوه الفوائد

وكقول المتنبيّ :

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفتُـه مِن الفهـم السـقيم

وقـوله :

ومن نَكَد الدنيا على الحرّ أن يَرَى * عدوّا له ما من صداقته بـدّ

وقـوله :

ومن البليّـة عَذلُ من لا يرعوِى * عن جهله وخطابُ من لا يَفهمُ

وقـوله :

إنا لفي زمن تركُ القبيـح به * مِن أكثرِ الناس إحسانٌ وإجمال .

---

(١) المنسم : خف البعير .

وأما اللّفّ والنشر — فهو أن يذكُر آثنين فصاعدا ثم يأتى بتفسير[(١)] ذلك جملة مع رعاية الترتيب ثقةً بأن السامع يردّ إلى كل واحد منها ما له، كقوله تعالى : ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾؛

ومن النظم قولُ الشاعر :

ألستَ أنت الذى من وَرْد نعمته * ووِرد راحتــه أَجنِى وأغترِف

وقد لا يراعَى فيه الترتيبُ ثقةً بأن السامع يردّ كل شىء إلى موضعه سواء تقدّم أو تأخر، كقول الشاعر :

كيف أسلو وأنتَ حِقْفٌ[(٢)] وغصن * وغزال لحــظا وقَــدًّا ورِدفا

وأما التفسير — وهو قريب منه — فهو أن يذكُر لفظا ويَتوهّم أنه يحتاج إلى بيانه فيعيده مع التفسير، كقول أبى مُسْهِر :

غيثٌ وليثٌ [فغيث][(٣)] حين تسأله * عُرفا وليثٌ لدى الهيجاء ضِرغام

ومنه قول الشاعر :

يُحيِى ويُردِى بجَــدواه وصارمِه * يُحيِى العُفاةَ ويُردِى كلَّ من حَسدا

ومن ذلك أن يذكر معانىَ ويأتىَ بأحوالهــا من غير أن يزيد أو ينقُص، كقول الفرزدق :

لقد جئتَ قوما لو لجأتَ إليهمو * طريدَ دم أو حاملا ثِقْــل مَغْرَم
لأَلفيتَ فيهم معطيــا ومُطاعنا * وراءك شَزْرا بالوشِــيج[(٤)] المقوَّم

لكنه لم يراع شرط اللّفّ والنشر

(١) فى الأصل : «يرى تفسير» وفيه نقص وتحريف، والتصويب عن حسن التوسل .

(٢) الحقف بالكسر : الرمل المعوجّ . (٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد نقلناها عن حسن التوسل إذ بها يستقيم الوزن والمعنى . (٤) أراد بالوشيج الرماح .

قولِ آخر :

فوا حسرتا حتى متى القلبُ مُوجَعٌ * بفقد حبيب أو تعــذّرِ إفضال
فراقُ حبيب مِثلِه يورث الأَسى * وخَــلّة حرّ لا يقــوم بهــا مالى (١)

ومنه قول ٱبن شَرَف :

سل عنه وٱنطق به وٱنظر إليه تجِدْ * مِلءَ المسَامع والأفواه والمُقَــل

ومن أحسن ما فى هذا الباب قول ابن الرومىّ :

آراؤكم ووجوهــكم وســيوفكم * فى الحــادثات إذا دَجَون نجوم
منهــا مَعــالِمُ للهــدى ومصابح * تجــلو الدجى والأخرَياتُ رُجوم

وفسادُ ذلك أن يأتى بإزاء الشىء بما لا يكون مقابِلا له ، كقول الشاعر :

فيأيها الحــيران فى ظُــلَمَ الدجى * ومن خاف أن يلقاه بغىٌ من العدا
تعالَ إليــه تلَق من نور وجهه * ضياءً ومن كفّيْه بحرا من الندى

فأتى بالنــدى بإزاء بَغْى العدا ، وكان يجب أن يأتىَ بإزائه بالنصر أو العصمة أو الوَزَرِ وما جانسه ، أو يذكُرَ فى موضع البغى الفقرَ والعُدْمَ وما جانس ذلك .

وأما التعديد — ويسمّى ســياقةَ الأعداد — فهو إيقاع أسماء مفردة على ســياق واحد ، فإن روعى فى ذلك ٱزدواج أو جناس أو تطبيــق أو نحو ذلك كان غايةً فى الحسْن ، كقولهم : وضع فى يده زمام الحَلّ والعَقْد ، والقبولِ والردّ ، والأمرِ والنهى ، والبَسْطِ والقبض ، والإبرامِ والنقض ، والإعطاءِ والمنع ؛ ومن النظم قول المتنبىّ :

الخيــلُ والليــلُ والبَيْداءُ تعرفنى * والضربُ والطعنُ والقرطاسُ والقلمُ

(١) فى الأصل : « يالى » بالياء المثناة ، وهو تحريف ؛ والخلّة : الحاجة .

وأما تنسيق الصفات — فهو أن يذكر الشيء بصفات متوالية، كقوله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَامُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وقولِ النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأحبِّكم إليّ وأقربكم منّى مجالسَ يوم القيامة؟ أَحاسنُكم أخلاقا، الموطَّئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون"؛

ومن النظم قولُ أبى طالب فى النبي صلى الله عليه وسلم:

وأبيضَ يُستسقَى الغمامُ بوجهه * ثِمالُ اليتامى عِصمةٌ للأرامل

وقولُ المتنبيّ:

دانٍ بعيدٌ مُحِبٌّ مبغضٌ بَهِجٌ * أغرُّ حُلْوٌ مُمِرٌّ لَيِّنٌ شرِس.

وأما الإيهام — ويقال له التورية والتخييل — فهو أن يذكر ألفاظا لها معانٍ قريبة وبعيدة، فإذا سمعها الإنسان سبق إلى فهمه القريبُ، ومرادُ المتكلّم البعيدُ مثاله قول عمرَ بنِ أبى ربيعةَ:

أيها المنكِح الثريّا سُهيلًا * عَمرَكَ اللهَ كيف يلتقيان
هى شاميّة إذا ما آستقلّت * وسُهيلٌ إذا استقلّ يمانى

فذكَر الثريا وسهيلا ليوهم السامعَ أنه يريد النجمين، ويقول: كيف يجتمعان والثريّا من منازل القمر الشاميّة، وسهيل من النجوم اليمانيّة؟ ومرادُه الثريّا التى كان يتغزّل بها لمّا زُوّجت بسهيل؛ ومن ذلك قولُ المعرّى:

إذا صدق الجَدّ آفترى العمّ للفتى * مَكارمَ لا تَخفى وإن كَذَب الخال

فإنّ وهم السامع يذهب إلى الأقارب، ومراده بالجَدّ : الحظُّ، وبالعَمّ : الجماعةُ من الناس وبالخال : المَخيلةُ، ومن ذلك قولُ الحريرىّ فى [1] [ وصف الإبرة والمِيلِ فى] المقامة الثامنة :

وقولُه أيضا :

يا قـــوم كم من عاتقٍ[2] عانسٍ * ممدوحةِ الأوصافِ فى الأنديه
قتلتُهـا لا أتّـــقى وارثا * يَطلب منّى قودا أو ديه

يريد بالعاتق العانس : الخمر، وبقتلها : مَزْجَها، كما قال حسّان :

إن التى عاطَيْتَنِى فـــرددتُها * قُتلتْ قُتلتَ فهاتها لم تُقتَلِ

وأمثالُ ذلك كثيرة .

وعنـــد علماء البيان : التخييل تصوير حقيقة الشىء للتعظيم، كقوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ والغرض منـه تصوير عظَمته والتوقيفُ[3] على كُنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهةِ حقيقةٍ أو مجاز، وكذلك قوله صـلّى الله عليــه وسلم : " إنمـا نحن حَفْنةٌ من حَفَنات ربّنـا " قال الزمخشرى : ولا يُرَى باب فى علم البيان أدقّ ولا ألطفَ من هذا الباب .

(١) هذه التكملة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن حسن التوسل لاقتضاء المقام إثباتها .

(٢) العاتق : الجارية التى أدركت وبلغت فى بيت أبيها فخدرت فيه ولم تتزوج ، سميت بذلك لأنها عتقت من الصبا ومن خدمة أبويها ولم يملكها زوج بعد ، والجمع عواتق . والعانس التى كبرت فى بيت أبيها ولم تتزوج .

(٣) كذا فى حسن التوســل وغيره . والذى فى الأصـــل : « والتوقف فى كنه » وما أثبتناه أظهر فى المراد وأدلّ على الغرض .

وأما حُسن الابتداءات — قال: هذه تسمية ابن المعتز، وأراد بها ابتداءات القصائد، وفرّع المتأخرون من هذه التسمية براعةَ الاستهلال، وهو أن يأتىَ الناظم أو الناثر فى ابتداء كلامه ببيت أو قرينة تدلّ على مراده فى القصيدة أو الرسالة أو مُعظَمِ مراده، والكاتب أشدّ ضرورةً إلى ذلك من غيره ليَبْتَنِىَ كلامه على نَسَق واحد دَلّ عليه من أوّل عِلْمٍ بها مقصده[1]، إما فى خُطبة تقليد، أو دعاء كتاب، كما قيل لكاتب: اكتب إلى الأمير بأن بقرة ولدت حيوانا على شكل الإنسان، فكتب: أما بعد حمد الله خالق الإنسان فى بطون الأنعام

وكقول أبى الطيّب فى الصلح الذى وقع بين كافور وبين ابن مولاه:

حَسَم الصلحُ ما اشتهته الأعادى * وأذاعته ألسُنُ الحسّاد

وأمثال ذلك.

قال: وينبغى أن لا يَبتدئَ بشىء يُتطيَّر منه، كقول ذى الرّمة:

* ما بال عينِك منها الماء ينسكب *

وقولِ البحترىّ:

* لكَ الويل من ليل تَقاصَر آخرُه *

وكقول المتنبىّ:

كفى بك داءً أن تَرى الموت شافيا * وحسبُ المنايا أن يكنّ أمانيا

وكقوله:

مُلِثَّ[2] القَطْرِ أعطشْها رُبوعا * وإلّا فاسقِها السّمّ النقيعا

---

(١) كذا فى الأصل. وهو غير ظاهر، والذى يلوح لنا أن فى هذه العبارة تقديما وتأخيرا وزيادة هاء، والأصل فيها هكذا: «دل على مقصده من أول علم به» أخذا من عبارة حسن التوسل ص ٦٥ ط الوهابية، ونصها: «فيبنى كلامه على نسق يستدل منه على مقصده من أوّل وهلة».

(٢) الملث: من اللث، وهو دوام المطر.

قال : وينبغى أن يراعَى فى الابتداءات ما يقرُب من المعنى إذا لم تتأتّ له براعةُ الاستهلال، وتسهيلَ اللفظ وعذوبتَه وسلاسةَ ألفاظه، وقيل : إن أحسن ابتداء ابتدأت به العرب قولُ النابغة :

كِلينى لهمّ يا أُمَيمـــة ناصب * وليلٍ أقاسيه بطىء الكواكب

ومن أحسن ما ابتدأ به مولَّدٌ قول إسحاق بنِ إبراهيم المَوْصِلىّ :

هل إلى أن تنام عينى سبيـــل * إنّ عهدى بالنوم عهد طويل

ويحسن أن يبتدئ فى المديح بمثل قول أَرَّزُون العُمانىّ :

على مِنبر العلياء(١) جَدُّك يَخطب * ولِلبلدة العذراء سَـيفُك يَخطب

وقولِ المتنبىّ :

عدوّكَ مــــذموم بكلّ لسانٍ * وإن كان من أعدائك القمَران

وقولِ التِّيفاشى :

ما هزّ عطفيه بين البِيض والأَسَل * مِثْلُ الخليفة عبـدِ المؤمن بنِ على

وفى التشبيب كقول أبى تمّام :

على مِثلِها من أربُعٍ وملاعب * أُذيلت مصُوناتُ الدموع السواكب

وفى النسيب كقول المتنبىّ :

أتراها لكثرة العشّـاق * تحسَب الدمع خِلْقةً فى المآقى

وفى المَراثى كقول أبى تمّام :

كذا فَلْيجِلّ الخطب ولْيَفدَح الأمر * وليس لعين لم يَفض ماؤها عذر .

---

(١) فى الأصل : «العلماء» وهو تحريف .

وأما براعة التخليص — فهو أن يكون التشبيب أو النسيب ممزوجا بما بعده من مدح وغيرِه غيرَ منفصل عنه، كقول مسلم بن الوليد :

أجِدَّكِ هل تَدرِين أن ربّ ليـلةٍ * كأنّ دجاها من قرونِكِ تُنشَر
نَصبتُ لهـا حتى تجلّت بغُــرّة * كغرّة يحيي حين يُذكَر جعفر

وكقول المتنبّي : (٥٣)

نودّعهم والبين فينا كأنه * قَنا ابنِ أبي الهيجاء فى قلب فَيلَق.

وأما براعة الطلب — قال : وهو أن تكون ألفاظ الطلب مقترنة بتعظيم الممدوح، كقول أميّةَ بنِ أبي الصلْت :

أأذكر حاجتى أم قـد كفانى * حياؤك إنّ شيمتَـك الحياء
إذا أثنى عليـك المـرء يوما * كفاه مِن تعرّضِـه الثنـاء

وكقول المتنبي :

وفى النفس حاجاتٌ وفيـكَ فَطانةٌ * سكوتى بيـانٌ عندها وخطاب.

وأما براعة المَقطع — فهو أن يكون آخرُ الكلام الذى يقف عليـه المترسِّل أو الخطيب أو الشاعر مستعذَبا حَسَنا، لتبقَى لذّته فى الأسماع، كقول أبى تمّـام :

ابقت بنى الأصفَر المصفرَ كاسمهِم * صُفرَ الوجوه وجلّت أوجهَ العرب

وكقول المتنبي :

وأُعطيتَ الذى لم يُعطَ خَلقٌ * عليك صلاة ربّك والسلام

وكقول الغَزّى :

بقِيتَ بقاءَ الدهر يا كهفَ أهله * وهــذا دعاء للبريّة شامل .

وأما السؤال والجواب — فهو كقول أبي فِراس :

لك جسمى تعله * فـدمى لِمْ تَطُلُّه؟[(١)]

قال إن كنتُ مالكا * فلىَ الأمر كلُّه

وأمثال ذلك . وقد أوردنا منه فى باب الغزل ما فيه كفاية .

وأما صحة الأقسام — فهو عبارة عن استيفاء أقسام المعنى الذى هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيئا ؛

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ وليس فى رؤية البرق إلا الخوفُ من الصواعق ، والطمعُ فى المطر ؛

وقولُه تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ فلم يُبقِ قسما من أقسام الهيئات حتى أتى به ؛

وقولُه تعالى : ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ ، ومن ذلك قولُه صلّى الله عليه وسلم : "ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت" ولا رابع لهذه الأقسام ؛

ووقف أعرابىّ على حَلْقة الحسن البَصرى فقال : رحم الله من تصـدّق من فَضل ، أو واسى من كَفاف ، أو آثر من قوت ؛ فقال الحسن . ما ترك الأعرابىّ منكم أحدا حتى عمّه بالمسألة ؛

ومن أمثلة هذا الباب فى الشعر قولُ بشّار :

فراح فريق فى الإسار ومثلُه * قتيل ومِثلٌ لاذ بالبحر هارِبه

(١) فى حسن التوسل : «تحله» ومعنى البيت يستقيم على كلتا الروايتين فتطله : من طل دمه إذا أهدر ولم يؤخذ بثأره .

وأصله قول عمرو بن الأهتم :

إشـــربا ما شربتما فهُـــذَيلٌ * من قتيـــل وهارب وأســـير

ومن جيد صحة الأقسام قولُ الحماسىّ :

وهبْها كشىء لم يكن أو كنازح * به الدار أو من غَيّبتـــه المقابر

فاستوفَى جميع أقسام المعدوم ؛

وقولُ أبى تمّـام فى الأَفْشِين لمّـا احترق بالنار :

صلّى لهـا حيّا وكان وَقودَها * ميـــتا ويدخلها مـــع الفجّار

ومن قديم ما فى ذلك من الشعر قولُ زهير :

وأعلم ما فى اليوم والأمس قَبله * ولكننى عن علم ما فى غدٍ عَمِى

ومن النادر فى صحة الأقسام قولُ عمَرَ بنِ أبى ربيعة :

تهيم إلى نُعْم فلا الشّـمل جامعٌ * ولا الحبل موصول ولا أنت مُقصِر (٥٣)

ولا قُربُ نُعْمٍ إن دنت لك نافعٌ * ولا بُعدها يُسلِى ولا أنت تصبر.

وأما التوشيح — فهو أن يكون معـنى الكلام يَدُلّ على لفظ آخره، فيَتنزل المعنى منزلة الوِشاح ، ويتنزّل أوّل الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح .

وقال قُدامةُ : هو أن يكون فى أوّل البيت معنى إذا عُلم عُلمتْ منه قافية البيت بشرط أن يكون المعنى المقدَّمُ بلفظه(١) من جنس معنى القافيـة بلفظه ، كقول الراعى النُّمَيْرِىّ :

(١) كذا ورد هذا التعريف فى الأصل وحسن التوسل فى النسخة المخطوطة منه المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٧ أدب ؛ وعبارة قدامة فى كتابه نقد الشعر ص ٦٣ ط الجوائب : «هو أن يكون أوّل البيت شاهدا بقافيته ومعناها متعلقا به حتى أن الذى يعرف قافية القصيدة التى البيت منها إذا سمع أوّل البيت عرف آخره وبانت له قافيته».

فإن وُزِن الحصى فوزنتْ قومى * وجدت حصى ضريبتهم رزينا (١)

فإن السامع إذا فهم أن الشاعر أراد المفاخرة برزانة الحصى ، وعَرف القافيــة والروىّ ، عَلِم آخر البيت ؛ ومن أمثلته ما حُكِىَ عن عمر بن أبى ربيعة أنه أنشد عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما :

* تَشُطّ غدا دار أحبابنا *

فقال له عبد الله :

* وللدارُ بعــد غد أبعَدُ *

فقال له عمر : هكذا والله قلتُ ، فقال له عبد الله : وهكذا يكون

وأما الإيغال — فمعناه أن المتكلّم أو الشاعر إذا انتهى إلى آخر القرينة أو البيت آستخرج سجعةً أو قافيــةً تفيد معنى زائدا على معنى الكلام ، وأصـله من أوغل فى السير إذا بلغ غاية قصده بسرعة .

وفسّره قُدامةُ بأن قال : هو أن يَستكمل الشاعر معنى بيته بتمـامه قبــل أن يأتىَ بقافيته ، فإذا أراد الإتيان بها أفاد معنى زائدا على معنى البيت ، كقول ذى الرُّمة :

قِف العِيسَ فى آثار ميّةَ واسألِ * رسوما كأخلاق الرداء المسلسَلِ (٢)

فتمّم كلامه قبل القافية ، فلما آحتاج إليها أفاد بها معنى زائدا ، وكذلك صَنع فى البيت الثانى فقال :

أظنّ الذى يُجدِى عليك سؤالُها * دموعا كتبذير الجمـان المفصّل

فإنه تمّم كلامه بقوله : كتبذير الجمـان ، وآحتاج إلى القافيــة ، فأتى بهـا تفيد معنى زائدا لو لم يؤتَ بها لم يحصل .

---

(١) الضريبة : السجية والطبيعة ، يصفهم برجاحة الحلم وسكون الطبع .

(٢) الثوب المسلسل : الردىء النسج .

وحكى عن الأصمعىّ أنه سئل عن أشعر الناس فقال : الذى يأتى إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كثيرا ، وينقضى كلامه قبل القافية، فإن آحتاج إليها أفاد بها معنى ، فقيل له : نحوُ من؟ فقال : نحوُ الفاتحِ لأبواب المعانى آمرئ القيس حيث قال :

كأنّ عيونَ الوحش حول خبائنا * وأرحُلنا الجَـزْعُ(١) الذى لم يثقّبِ

ونحوُ زُهير حيث يقول :

كأنّ فُتاتَ العِهن فى كلّ منزل * نزلن بـه حَبُّ الفَنا(٢) لم يحطَّمِ

ومن أبلغ ماوقع فى هذا الباب قولُ الخنساء :

وإنّ صخرا لتأتمّ العُفاةُ(٣) به * كأنه عَلَمٌ فى رأسـه نار

ومنه قول آبن المعتزّ لآبن طَباطَبا العَلَوى :

فأنتم(٤) بنوا بنته دوننـا * ونحن بنوا عمّه المسلم

ومن أمثلة ذلك من شعر المتأخّرين قولُ الباخَرْزىّ :

أنا فى فؤادكَ فارم طرْفكَ نحوَه * ترنى فقلت لها وأين فؤادى

وقولُ آخر :

تعجّبتْ من ضنى جسمى فقلت لها * على هواكِ فقـالت عندىَ الخبر

---

(١) الجزع بفتح الجيم وتكسر : الخرز اليمانىّ فيه سواد وبياض تشبّه به الأعين .

(٢) ألفنا بالقصر : عنب ثعلب ، الواحدة فنة . وفى الأصل : «القنا» بالقاف المثناة؛ وهو تحريف .

(٣) فى رواية : «الهداة» كما فى حسن التوسل وغيره ، ومعنى البيت يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) فى الأصل : «فنحن بنوا بنته» وهو تحريف لايستقيم به معنى البيت ، والتصويب عن حسن التوسل وغيره من كتب الأدب .

وأما الإشارة — فهى أن يشتمل اللفظ القليل على معان كثيرة بإيماء إليها، وذكر لمحة تدلّ عليها، كقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾، ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾.

وكقول امرئ القيس:

(٥٤) فإن تَهلِك شَنوءة أو تُبَدَّل (١) * فسيرى إنّ فى غَسّان خالا

بعزّهمو عَزَزتِ وإن يَذلّوا * فذلّهمـو أنالك ما أنالا

وكقوله أيضا:

فظلّ لنا يوم لذيذ بنَعْمة * فقل فى نعيم نحسه متغيّب.

وأما التذييل — وهو ضدّ الإشارة — فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكّد عند من فهمه، كقوله:

إذا ما عقـــدنا له ذمّـةً * شددنا العِناج (٢) وعقد الكَرَب

وقول آخرَ:

ودعَوا نَزالِ فكنتُ أوّل نازل * وعلام أركبـه إذا لم أنزِلِ

ويقرب منه التكرار، كقول عبيد:

هل لا سألت جموع كِنـدةَ يوم ولّوا أين أينـا؟

---

(١) يريد أزد شنوءة؛ قال ياقوت: شنوءة بالفتح ثم الضم وواو ساكنة ثم همزة مفتوحة وهاء: مخلاف باليمن بينها وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخا، تنسب اليها قبائل من الأزد يقال لهم: أزد شنوءة. ثم قال: والنسبة اليهم شنائىّ؛ قال ابن السكيت: ربما قالوا أزد شنوّه بالتشديد بغير همزة، ينسب اليهم: شنوىّ.

(٢) العناج: حبل يشد فى أسفل الدلو العظيمة ثم يشد فى العراقىّ. والكرب بالتحريك حبل يشد فى وسط العراقى ليلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير.

وكقول آخر :

وكانت فزارةُ تَصلى بنا * فأَولى فَزَارةُ أَولى فزارا

وأما الترديد — فهو أن تعلّق لفظة فى البيت بمعنى ، ثم تردّها فيه بعينها وتعلّقَها بمعنى آخر ،

كما قال زهير :

من يَلقَ يوما على عِلّاته هَرِما * يلقَ السماحة منه والندى خُلُقا

وكقول آخر :

وأَحفظ مالى فى الحقوق وإنه * لَجَمٌّ وإنّ الدهر جَمٌّ عجائبه

وكقول أبى نواس :

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتَها * لو مسّها حَجَر مسّته سرّاء ،

وأما التفويف — فهو مشتق من الثوب المفوَّف ، وهو الذى فيه خطوط بيض ، وهو فى الصناعة عبارة عن إتيان المتكلم بمعانٍ شتّى من المدح أو الغزل أو غير ذلك من الأغراض ، كلُّ فنّ فى سجعة منفصلة عن أختها مع تساوى الجمل فى الوزنيّة ، وتكون فى الجمل الطويلة والمتوسّطة والقصيرة ؛

فمثال ما جاء منه فى الجمل الطويلة قولُ النابغة الذُّبيانىّ :

فلله عينا من رأى أهلَ قُبّةٍ * أضرَّ لمن عادى وأكثرَ نافعا

وأعظمَ أحلاما وأكبرَ سيّدا * وأفضلَ مشفوعا إليه وشافعا

ومثال ما جاء منه بالجمل المتوسطة قولُ أبى الوليد بن زيدون :

تِهْ أَحتملْ ، وآستطِلْ أصبِرْ ، وعِزَّ أَهُنْ * ووَلِّ أُقبِلْ ، وقُلْ أَسمَعْ ، ومُرْ أُطِعِ

ومثال ما جاء منه بالجمل القصيرة قولُ المتنبىّ :

أَقِلْ أَنِلْ أَقطِعِ آحمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ * زِدْ هَشِّ بَشِّ تَفَضَّلْ أَدنِ سُرَّ صِلِ .

وأما التسهيم — فهو مأخوذ من البُرد المسهَّم، وهو المخطَّط الذى لا يتفاوت ولا يختلف، ومنهم من يجعل التسهيم والتوشيح شيئا واحدا، ويُشرك بينهما بالتسوية، والفرق بينهما أنّ التوشيح لا يدلّك أوّله إلا على القافية فَحَسْب، والتسهيم تارة يدلّ على عَجُز البيت، وتارة على ما دون العجز؛

وتعريفه أن يتقدّم من الكلام مايدلّ على ما يتأخر، تارة بالمعنى، وتارة باللفظ، كأبيات جَنوب أختِ عمرو ذى الكلْب، فإن الحذّاق بمعنى الشعر وتأليفه يعلمون أن معنى قولها :

* فأُقسم ياعمرو لو نبّهاك *

يقتضى أن يكون تمامه :

* إذن نبّها منكَ داءً عُضالا *

دون غيره من القوافى، كما لو قالت مكانَ «داء عضالا» : ليثا غَضوبا، أوأفعَى قَتولا، أو سمّا وَحِيّا، أو ما يناسب ذلك، لأن الداء العضال أبلغُ من جميع هـذه الأشـياء وأشد، إذ كلٌّ منها يمكن مغالبته أو التوقّى منه، والداء العُضال لادواء له، فهذا مما يُعرَف بالمعنى؛

وأما ما يدلّ فيه الأوّل على الثانى دِلالة لفظيّة فهو قولها بعده (١) :

إذن نبّها ليثَ عِرّيسة * مُفِيتا مُفيدا نفوسا ومالا

فإن الحاذق بصناعة الكلام إذا سمع قولها : « مفيتا مفيدا » تحقّق أن هذا اللفظ يقتضى أن يكون تمامه : « نفوسا ومالا »؛ وكذلك قولها :

* فكنتَ النهار به شمسه *

(١) فى الأصل : «من قولها»، وقوله «من» زيادة من الناسخ .

يقتضى أن يكون [بعده](١) :

* وكنتَ دجى اللّيل فيه الهلالا *

ومن ذلك قولُ البحترىّ :

* وإذا حاربوا أذلّوا عزيزا *

يحكُمُ السامع بأن تمامه :

* وإذا سالموا(٢) أعزّوا ذليلا *

وكذلك قوله :

أَحلّت دمى من غير جرم وحَرّمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامى

* فليس الذى حلّلته بمحلَّل *

يعرف السامع أن تمامه :

* وليس الذى حَرّمته بحرام * .

وأما الاستخدام — فهو أن يأتىَ المتكلّم بلفظة لها معنيان، ثم يأتى بلفظتين يستخدم كلّ لفظة منهما فى معنى من معنيي(٣) تلك اللفظة المتقدّمة، وربما آلتبس الآستخدام بالتورية من كون كل واحد من البابين(٤) مفتقرا إلى لفظة لها معنيان، والفرق بينهما أن التورية آستعمالُ أحد المعنيين من اللفظة، وإهمالُ الآخَر، والآستخدام آستعمالهما معا، ومن أمثلته قولُ البحترىّ :

فسقَى الغَضَى والسّاكنيه وإن هُمو * شَبّوه بين جوانح وقلوب

---

(١) هذه الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل، والسياق يقتضى إثباتها أخذا من عبارة حسن التوسل ص ٧١ ط الوهابية وغيره، فإن عبارته : « يقتضى أن يتلوه » .

(٢) فى الأصل : «وان» وهو تحريف .

(٣) عبارة الأصل : « من معانى ذلك » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) فى الأصل : «الناس» ؛ وهو تحريف .

فإن لفظة الغضى محتملةٌ للموضع والشجر، والسُّقيا صالحة لهما، فلمّا قال: «والسبا كشبه» استعمل أحد معنيي اللفظ، وهو دَلالته بالقرينة على الموضع، ولمّا قال: «شَبُّوه» استَعمل المعنى الآخر، وهو دِلالته بالقرينة على الشجر؛ ومن ذلك قولُ الشاعر (١):

إذا نزل السماء بأرض قوم * رعَيناه وإن كانوا غِضابا

أراد بالسماء الغَيثَ، وبضميره النَّبتَ.

وأما العكس والتبديل — فهو أن يقدِّم فى الكلام أحدُ جزئيه ثم يؤخَّر، ويَقعُ على وجوه:

منها أن يقع بين طرَفَى الجملة، كقول بعضهم: عادات السادات، ساداتُ العادات؛

ومنهـا أن يَقع بين متعلَّقَ فعلين فى جملتين، كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ ومنه بيت الحماسة:

فردَّ شعورَهن السود بِيضا * وردَّ وجوهَهن البِيض سُودا؛

ومنها أن يَقع بين كلمتين فى طرَفَى جملتين، كقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ وقـــولِ أبى الطيِّب:

ولا مجدَ فى الدنيـا لمن قَلَّ ماله * ولا مالَ فى الدنيـا لمن قَلَّ مجده.

وأما الرجوع — فهو أن يعود المتكلِّم على (٢) كلامه السـابق بالنقض لنكتة كقول زهير:

قف بالديار التى لم يَعفُها القِـدَم * بَلى وغيَّرها الأرواحُ والدِّيَم

(١) هو جرير بن عطية الخطفى.

(٢) فى الأصل: «من» وما أثبتناه عن حسن التوسل.

كأنه لمّا وقف على الديار عَرته رَوعة ذَهَل بها عن رؤية ما حصل لها من التغيّر فقال : «لم يَعفُها القِدم» ثم ثاب إليه عقله وتحقّق ماهى عليه من الدروس، فقال: بلى عَفَتْ وغيّرها الأرواح والدِّيَمُ ؛

ومنه بيت الحماسة :

أليس قليــــلا نظرةٌ إن نظرتُها (١) * إليكِ وكَلّا ليس منكِ قليـــل.

وأما التغاير — فهو أن يغاير المتكلّم الناسَ فيما عادتهم أن يمدحوه فيذمّه أو يذمّوه فيمدحَه ؛

فمن ذلك قولُ أبى تمّام يغاير جميع الناس فى تفضيل التكرّم على الكرم :

قد بَلَونا أبا سَعيدٍ حديثـا * وبلَونا أبا سَــعيدٍ قديمـا
فـــوردناه سائحـا وقَليبـا (٢) * ورَعَينـاه بارِضـا وجَميما
فعلمنا أنْ ليس إلا بشِـقّ النـفس صارالكريم[يدعى] (٣) كريما

وهو مغاير لقوله على العادة المألوفة : (٥٦)

لا يُتعب النائل المبــذول هِمّتَه * وكيف يُتعب عينَ الناظر النظر

ومنه قول ابن الرومىّ فى تفضيل القلم على السيف :

إن يخدُم القلمَ السيفُ الذى خَضَعت * له الرقابُ ودانت خوفَـــه الأُمم
فالمـوتُ والمــوتُ لا شيءٌ يعادِله * ما زال يَتبَع ما يَجــرِى به القـــلم

---

(١) البيت ليزيد بن الطثرية .

(٢) البارض : أوّل ما يظهر من نبات الأرض ، والجميم : النبات الكثير ، أو هو ما نهض وانتشر منه . وفى الأصل : «سنيا» وفى حسن التوسل : «هشيما» ، وهو تحريف فى كلتيهما ، والتصويب عن ديوان أبى تمام ص ٣٦٠ ط الأدبية .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن ديوان أبى تمام إذ بها يستقيم البيت .

كذا قضى الله للأقلام مـذ بُرِيَت * أنّ السيوف لهـا مذ أُرهِفت خَدَم

وغايره المتنبىّ على الطريق المـألوف فقال :

حتى رجعتُ وأقلامى قـوائلُ لى * المجـد للسيف ليس المجـد للقلم
اكتب بها أبدا قبل الكُتّاب بنـا * فإنما نحن للأسـياف كالخَدَم.

وأما الطاعة والعصيان — فإنه قال : هذا النوع آستنبطه أبو العلاء المَعَرّى عند نظره فى شعر أبى الطيّب، وسمّـاه بهـذه التسمية، وقال : هو أن يريد المتكلّم معنى من المعانى التى للبديع (١) فيَستعصِى عليه لتعذّر دخوله فى الوزن الذى هو آخذ فيـه فيأتى موضعَه بكلامٍ غيرِه يتضمّن معنى كلامه، ويقوم به وزنُه، ويحصل به معنى من البديع غير الذى قصَده (٢)، كقول المتنبىّ :

يرُدّ يدا عن ثـوبها وهو قادر * ويَعصِى الهوى فى طَيفها وهو راقد

فإنه أرادَ (٣) أن يقول : يردّ يدا عن ثوبهـا وهو مستيقظ، حتى إذا قال :

* ويَعصِى الهوى فى طَيفها وهو راقد *

يكون فى البيت مطابقة، فلم يطعه الوزن، فأتَى بقادر فى مَوضـع مستيقظ لتضمّنه معناه، فإن القادر لا يكون إلا مستيقظا وزيادة، فقـد عصاه فى البيت الطباق وأطاعه الجناس بين قادر وراقد، وهو جناس العكس ؛

(١) كذا فى الأصل وحسن التوسـل وشرح الباعونية المحفوظ منـه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٣ بلاغة ؛ وعبـارة ابن أبى الإصبع فى تحرير التحبير المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٥ بلاغة : «أن يريد المتكلم معنى من معانى البديع» .

(٢) كذا فى تحرير التحبير وحسن التوسل . والذى فى الأصل : «عن» .

(٣) كذا فى حسن التوسل ص ٧٣ ط الوهبية وتحرير التحبير لابن أبى الإصبع . وعبارة الأصل : «فإنه لو أراد» ؛ وقوله : «لو» زيادة من الناسخ بدليل قوله فيما سيأتى «فلم يطعه» بإثبات الفاء ؛ على أنه يؤخذ مما سبق فى تعريف هذا القسم من قوله : «أن يريد المتكلم» أن التمثيل لا يتم إلا بأن يكون الشاعر قد أراد ذلك بالفعل .

وأنكر ابن أبي الإصبع أن يكون هذا الشاهد من باب الطاعة والعصيان ، لأنه كان يمكنه أن يقول عوض قادر : ساهر ، وإنما المتنبيّ قصد أن يكون فى بيته طباقٌ معنوىّ ، لأن لقادر ساهر وزيادة ، إذ ليس كلّ ساهر قادرا ، وأن يكون فيه جناس العكس .

وقال : إن شاهد الطاعة والعصيان عنده أن تعصيَه إقامةُ الوزن مع إظهار مراده ، فتطيعه لفظة من البديع يتمّ بها المعنى وتزيده حسنا ، كقول عوف بن مُحلِّم :

إن الثمانين وبُلِّغتَها * قد أحوجت سمعى إلى تَرجُمان

فإنه أراد أن يقول : إن الثمانين قد أحوجت سمعى إلى ترجمان ، فعصاه الوزن وأطاعه لفظة من البديع وهى التتميم ، فزادته حُسنا وكَمَّلتْ مرادَه ، وكلّ التتميم من هذا النوع .

وأما التسميط — فهو أن يجعل المتكلّم مقاطيعَ أجزاء البيت أو القرينة على سجع يخالِفُ قافيةَ البيت أو آخرَ القرينة ، كقول مروانَ بنِ أبى حفصة :

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا * أجابوا وإن أَعطَوا أطابوا وأَجزلوا

فإن أجزاء البيت مسجّعة على خلاف قافيته فتكون القافية بمنزلة السمط ، والأجزاء المسجّعة بمنزلة حبّ العقد .

وأما التشطير — فهو أن يَقسِم الشاعر بيته شَطرين ، ثم يُصرِّع كلّ شَطر من الشطرين ، ولكنه يأتى بكلّ شَطر من بيته مخالفا لقافية الآخر ، كقول مسلم ابن الوَليد :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يومِ ذى رَهَجٍ * كأنّه أَجَلٌ يَسعى إلى أمل

وكقول أبى تمّام :

تدبيرُ معتصِمٍ بالله منتقِمٍ * لِله مرتقِبٍ فى الله مرتغِب .

وأما التطريز — فهو أن يبتدئ الشاعر بذكر جُمَل من الذوات غير مفصَّلة ثم يُخبِر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب تَعداد جُمَل تلك الذوات تَعدادَ تَكرار واتحاد، لاتَعدادَ تغاير، كقول ابن الرومىّ :

أموركمو [بنى](١) خاقانَ عندى * عُجابٌ فى عُجابٍ فى عُجابِ

قُرونٌ فى رءوس فى وجوه * صِلابٌ فى صِلابٍ فى صِلابِ (٥٧)

وكقوله :

وتَسقينى وتشرب من رَحيقٍ * خَليقٍ أن يُشبَّهَ بالخَلُوق

كأنّ الكأسَ فى يدها وفيها * عَقيقٌ فى عقيقٍ فى عقيقِ.

وأما التوشيع — فهو مشتقّ من الوَشيعة، وهى الطريقة فى البُرْد، وكأنّ الشاعر أهمل البيت كلّه إلا آخره، فأتى فيه بطريقة تُعدُّ من المحاسن؛ وهو عند أهل هذه الصناعة أن يأتى المتكلّم أو الشاعر باسم مثنًّى فى حَشو العَجُز، ثم يأتى بعده باسمين مفردين هما عينُ ذلك المثنّى، يكون الآخِرُ منهما قافيةَ بيتـه، أو سجعةَ كلامه كأنهما تفسيرٌ لما ثنّاه(٢)، كقول النبى صلّى الله عليه وسلّم: "يَشيب ابن آدم وتشِبّ فيه خصلتان : الحرصُ وطولُ الأمل"

ومن أمثلة ذلك فى النظم قولُ الشاعر :

أمسِى وأُصبِح من تذكاركم وصِبًا * يَرثِى لىَ المُشفِقان الأهلُ والولد

قد خَدّد الدمعُ خدّى من تذكُّركمُ * واعتادنى المُضنِيان الوجدُ والكَمَد

وغاب عن مقلتِى نومِى لغَيبتـكم * وخاننى المُسعِدان الصبرُ والجَلَد

لم يَبقَ غيرُ خفىِّ الرُّوح فى جسدى * فِدًى لك الباقيان الرُّوحُ والجَسَد.

(١) الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل، وقد نقلناها عن حسن التوسل وغيره، إذ بها يستقيم الوزن والمعنى. (٢) فى الأصل : «بناه» بالباء الموحدة، وهو تحريف.

قال ابن أبى الإصبع : وما بما قلته فى هذا الباب من بأس، وهو :

بى محنتان مُلامٌ فى هَوًى بهما * رَثى لىَ القاسيان الحُبُّ والهَجر[(١)]
لولا الشفيقان من أمنية وأُسًا[(٢)] * أودى بىَ المُرديان الشوقُ والفِكَرُ

قال : ويحسن أن يسمَّى ما فى بيتيه مطرَّف التوشيع، إذ وقع المثنّى فى أول كل بيت وآخره .

وأما الإغراق — وهو فوق المبالغة ودون الغُلوّ، ومن أمثلته قولُ ابن المعتزّ :

صَبَبنا عليها ظالمين سِياطَنا * فطارت بها أيدٍ سِراعٌ وأرجُلِ

فموضع الإغراق من البيت قولُه : ظالمين، يعنى أنها استفرغت جُهدَها فى العَدْو فما ضربناها إلا ظلما، فمن أجل ذلك خرجت من الوَحشيّة إلى الطَّيريّة ؛ ولو لم يقل : «ظالمين» لما حسُن قوله : «فطارت» ولكنه بذكر الظلم صارت الاستعارة كأنها حقيقةٌ، وقد عُدّ من الإغراق لا المبالغة قولُ امرئ القيس :

تنوّرتُها من أذرعاتٍ[(٣)] وأهلُها * بيثربَ أدنى دارِها نظرٌ عالى .

وأما الغُلوّ — فمنهم من يجعلُه هو والإغراقَ شيئا واحدا ، ومن شواهده قولُ مُهلهِل :

فلولا الريحُ أُسمِعَ من بحُجْرٍ[(٤)] * صَليلُ البِيضِ[(٤)] تُقرَع بالذُّكور[(٤)]

---

(١) فى الأصل وحسن التوسل : «لى» باللام ؛ وما أثبتناه عن تحرير التحبير لابن أبى الإصبع .

(٢) الأسى بضم الهمزة وكسرها : جمع أسوة بالضم والكسر أيضا ، بمعنى القدوة ، يريد اقتداءه بغيره ممن [illegible] من العشق ما أصابه ، فهو يتأسى بهم فيما ناله منها .

(٣) أذرعات : بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء [illegible] والنسبة إليه أذرعىّ .

(٤) حجر بفتح أوله : مدينة اليمامة وأم قراها . والبيض بكسر الباء واحده بيضة ، وهى الخوذة التى تلبس على الرأس فى الحرب ، سميت بذلك لأنها تشبه بيضة النعامة . وأراد بالذكور : السيوف ؛ والذكر من الحديد : أيبسه وأشدّه وأجوده .

ومِثلُه قولُ المتنبي في وصف الأَسَد :

وَرْدٌ(١) إذا وَرَد البُحَيرة شاربا * بَلغ الفراتَ زئيرُه والنِّيــــلا

قالوا : ومن أمثلة الغُلو قولُ النَّمِر بن تَولَب فى صفة السيف :

تَظَلّ تَحفِر عنه إن ضَربتَ به * بُعدَ الذِّراعَيْن والساقَيْن والهادى .

وأما القسَم — فهو أن يريد الشاعر الحلِف على شيء فيأتى فى الحلف بما يكون مدحا [له](٢) وما يُكسِبه فخرا، أو يكون هجاءً لغيره، أو وعيدا، أو جاريا مَجرى التغزّل والترقّق ؛

فمثال الأوّل قولُ(٣) مالك بن الأَشتَر النَّخعيّ : * بقّيتُ وَفْرِى وانحرفتُ عن العُلا *

وقد تقدّم الاستشهاد بهما فى النظْم ، فإنها تَضمّنت فخرا له، ووعيدا لغيره، وكقول أبى علىّ البصير يعرّض بعلىّ بن الجَهْم :

أَكذبتُ أَحسنَ ما يَظنّ مؤمّلى * وعَدِمتُ ما شادته لى أســــلافى

وعَدِمتُ عاداتى التى عُوّدتُهـــا * قِـــدْما من الإخلاف والإتلاف

وغَضضتُ من نارى لِيَخفَى ضوءها * وقَرَيتُ عذرا كاذبا أضـــيافى (٣٨)

إن لم أَشُنَّ عـلى علىّ (غارةً)(٤) * تُضحِى قـــذًى فى أعين الأشراف

وقد يُقسم الشاعر بما يزيد الممدوح مدحا، كقول القائل :

إن كان لى أملٌ سواك أَعُدّه * فكفرتُ نعمتَــــك التى لا تُكفَر

---

(١) الورد من الأسود : ما أشبه لونه لون الورد .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، وقد نقلناها عن حسن التوسل إذ السياق يقتضى إثباتها .

(٣) فى الأصل : « كقول » ، والكاف زيادة من الناسخ .

(٤) كذا فى شرح الباعونية المحفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٠٥ بلاغة ؛ والذى فى الأصل وحسن التوسل : « خلة » بخاء معجمة بعدها لام، ولم نجد من معانيها ما يلائم معنى البيت، ولعله محرف عن « حملة » بحاء مهملة بعدها ميم .

ومما جاء من القَسَم فى النسيب قولُ الشاعر :

فإن لم تكن عندى كعينى ومسمَعى * فلا نَظرَتْ عينى ولا سَمِعتْ أُذْنى

ومما جاء فى الغزل قولُ الآخَر :

لاوالذى سَلّ من جفنيه سيفَ ردًى * قُـدّت له من عذارَيه حمائلُه
ما صارمَت مقلتى دمعا ولا وَصلَت * غمضـا ولا سالمَتْ قلبى بلابلُه.

وأما الاستدراك — فهو على قسمين : قِسم يتقدّم الاستدراكَ فيه تقريرٌ لمـا أَخبر به المتكلّمُ وتوكيدٌ، وقِسمٌ لا يتقدّمه ذلك؛ فمن أمثلة الأوّل قولُ القائل :

وإخوانٍ تخِـذتُهمو دروعا * فكانوها ولكن للاعادى
وخِلتهمو سهاما صائبـاتٍ * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قـد صفت منّا قلوبٌ * لقد صدقوا ولكن من ودادى

وقولُ الأَرَّجانىّ :

غالطتْنى إذ كست جسمِى ضَنًى * كُسـوةً أعرت من الجلد العظاما
ثم قالت أنت عنـدى فى الهوى * مِثـلُ عينى صدقتْ لكن سَقاما

وأما القسم الثانى الذى لا يتقدّم الاستدراكَ فيه تقرير ولا توكيد فكقول زهير :

أخو ثقة لا يُهلِكُ الخمرُ مالَه * ولكنه قد يُهلك المـالَ نائلُه .

وأما المؤتلفة والمختلفة — فهو أن يريد الشـاعر التسويةَ بين ممدوحَين فيأتى بمعان مؤتلفة فى مدحهما ، ويروم بعد ذلك ترجيحَ أحدهما على الآخَر بزيادة لا يَنقُص بها الآخر ، فيأتى لأجل الترجيح بمعان تخالف التسوية، كقول الخنساء فى أخيها وأبيها — وراعت حقّ الوالد بما لم يُنقص الولدَ —

جارَى أَباه فأقبَلا وهما * يتعاقبان مُلاءةَ الحُضْرِ[1]
وهُما وقد بَرَزا كأنهما * صَقران [قد][2] حَطّا الى وَكْرِ
حتى اذا نَزت القلوب وقد * لُزّت هناك العُذْرُ[3] بالعذر
وعَلا هتافُ الناس : أيُّهما * قال المجيب هناك : لا أدرى
بَرَقت صحيفة وجهِ والده * ومضى على غُلَوائه يجرى
أَولى فأَولى أن يساويَه * لولا جلالُ السنّ والكِبْرْ

وأول من سبق الى هذا المعنى زهير[4] حيث قال :

هو الجواد فإن يَلحَق بشأوهما * على تكاليفه فِمثلُه لَحِقا
أو يسبِقاه على ما كان من مَهَل * فِمثلُ ما قدّما من صالح سَبقا

وتداوله الناس، فقال أبو نواس :

ثم جرى الفضلُ فانثَنى قَدَمًا * دون مَداه بغير ترهيق
فقيل راشًا سهما تُراد به الـ * ـغايةُ والنَّصْلُ سابقُ الفُوق[5].

وأما التفريق المفرد — فهو كقول الشاعر :

ما نَوال الغمام يوم ربيع * كنوال الأمير يوم سخاء (٥٩)
فَنوال الأمير بَدرةُ عَين * ونَوالُ الغمام قَطرةُ ماء.

---

(١) الحضر : الارتفاع فى العدو .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، وقد نقلناها عن كتب الأدب إذ بها يستقيم الوزن .

(٣) العذر : جمع عذار، وهو السير الذى يكون على خدّ الدابة من اللجام .

(٤) عبارة الأصل : «قول زهير»، وكلمة «قول» زيادة من الناسخ، والصواب إسقاطها كما يقتضيه ما قبله وما بعده من الكلام . وعبارة حسن التوسل : وأول من سبق الى هذا المعنى زهير بقوله .

(٥) الفوق بضم الفاء، موضع الوتر من السهم، والجمع أفواق .

وأما الجمع مع التفريق[1] — فهو أن يشبّه شيئين بشيء ثم يفرّق بين وجهي الأشتباه، كقول الشاعر :

فوجهك كالنار فى ضوئها * وقلبى كالنار فى حرّها .

وأما التقسيم المفرد[2] — فهو أن يذكُر قسمة ذات جزأين أو أكثر، ثم يضمّ الى كلّ واحد من الأقسام ما يليق به، كقول ربيعة الرّقّى :

يَزيدُ سُلَيم سالمُ المال والفتى * فتى الأزْد للأموال غيرُ مسالِم
لَشتّان ما بين اليزيدَين فى الندى * يَزيدِ سُلَيم والأغرّ بنِ حاتم
فهمُّ الفتى الأزدىّ إتلافُ ماله * وهمُّ الفتى القيسىّ جمعُ الدراهم
فلا يَحسَب التمتام[3] أنّى هجوته * ولكننى فضّلت أهل المكارم

وكقول ابن حيّوس :

ثمانيــة لم تفــترق إذ جمعتَهــا * فلا افترقت ماذبّ عن ناظرٍ شُفْر
يقينُك[4] والتقوى، وجودك والغنى * ولفظك والمعنى، وسيفك والنصر

---

(١) فى الأصــل : «بالتفريق» وما أثبتناه هو المعبر به فى جميع كتب البلاغة، كما أنه هو الموافق لما سيأتى من قوله : «وأما الجمع مع التقسيم» . وقال صاحب التجريد ج ٢ ص ٢٣٨ ط الأميرية نقلا عن عبد الحكيم ما نصه : «أورد كلمة : «مع» إشارة الى أن الحسن اجتماعهما» .

(٢) فى الأصل : «بالمفرد» والباء زيادة من الناسخ اذ لا مقتضىَ لها فى هذه العبارة، فإن قوله : «المفرد» صفة للتقسيم، يريد التقسيم المنفرد الذى ليس معه جمع كما يدل عليه ما سبق من قوله : «وأما التفريق المفرد»، أى التفريق الذى ليس معه جمع أيضا . وعبارة حسن التوسل وغيره من كتب البلاغة : «التقسيم المفرد» بدون باء .

(٣) تمتم الرجل تمتمة اذا تردّد فى التاء فهو تمتام بالفتح . وقال أبو زيد : هو الذى يعجل فى الكلام ولا يفهمك .

(٤) فى الأصل : «يمينك» وهو تحريف .

وقولِ آخَر :

لِلمتمِسى الحاجات جمعٌ ببابه * فهـذا له فنٌّ وهـذا له فنّ

فللخامل العَليا، ولِلعدِم الغنى * ولِلمذنب الرُّحمى، ولِلخائف الأمن

ويجوز أن يُعَدَّ هذا من الجمع مع التقسيم .

وأما الجمع مع التقسيم — فهو أن يَجمع أمورا كثيرة تحت حُكم، ثم يقسِّم بعد ذلك، أو يقسِّمَ[1] ثم يَجمع، مثال الأوّل قولُ المتنبّى :

حتى أَقام على أَرباض خَرْشَنة[2] * تَشقَى به الروم والصُّلبانُ والبِيَعُ

لِلسَّبْيِ ما نكحوا، والقتلِ ما وَلدوا * والنهبِ ما جمعوا، والنارِ ما زَرعوا

فجمَع فى البيت الأوّل أرض العـدو وما فيها من معنى الشقاوة، وذكر التقسيم فى البيت الثانى .

ومثال الثانى قولُ حسّان :

قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوّهمو * أوحاولوا النفعَ فى أشياعهم نَفَعوا

سجيّـةٌ تلك منهم غيرُ مُحـدثة * إنّ الحوادث فاعلم شرُّها البِدَع .

وأما التزاوج — فهو أن يزاوِج بين معنيَيْن فى الشرط والجزاء، كقول البُحتُرىّ :

إذا ما نَهى الناهى ولَجَّ بىَ الهوى * أصاخت إلى الواشى فلَجّ بها الهجر .

وأما السلب والإيجاب — فهو أن يُوقِع [الكلام][3] على نفيِ شئ و إثباته فى بيت واحد، كقوله :

(١) فى الأصل : «و يقسم» ، والمقام يقتضى العطف بأو .

(٢) خرشنة بفتح الخاء وسكون الراء : بلد قرب ملطية من بلاد الروم .

(٣) الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

وننكِرُ إن شئنا على الناس قولَهم * ولا يُنكِرون القولَ حين نقول

وكقول الشّمّاخ :

هَضيمُ الحشى لا يَملأ الكفَّ خَصرُها * ويُملأ منها كُلُّ حِجْلٍ(١) ودُمْلُج .

وأما الاطّراد — فهو أن يَطرُد الشاعر أسماءً متتاليةً يزيد الممدوحَ بها تعريفا ، لأنها لا تكون إلا أسماءَ آبائه تأتى منسُوقةً غيرَ منقطعة من غير ظهور كُلْفة على النَّظْم كاطّراد الماء وانسجامه(٢) ، وذلك كقول الأعشى :

أقيسُ بنَ مسعودِ بنِ قيس بنِ خالدٍ * وأنت الذى ترجو حِباءَك وائلُ

وكقول دُرَيد :

قَتلنا بعبد الله خيرَ لِداته * ذؤابَ بنَ أسماءَ بنِ زيدِ بنِ قارِب

وهذا أحسنُ من الأوّل، لأطّراد الأسماء فى عَجُزِ البيت . (٦٠)

وقال ابن أبى الإصبع : وقد أربى على هؤلاء بعض القائلين حيث قال :

من يكن رام حاجة بعُدت عنـ * ـه وأعيتْ عليه كلُّ العياء

فلها أحمدُ المرجَّى ابنُ يحيى بـ * ـنِ معاذِ بنِ مُسلِمِ بنِ رَجاء

لو لم يقعْ فيه الفصلُ بين الأسماء بلفظة المرجَّى .

ومنه ما كتب الشيخ مجدُ الدين بنُ الظَّهير الحنفىّ على إجازة :

أجاز ما قد سألوا * بشرط أهل السَّنَد

محمد بن أحمدَ بـ * ـنِ عمرَ بنِ أحمد

فلم يفصل(٣) بين الأسماء فى البيت بلفظة أجنبيّة

(١) الحجل : الخلخال . والدملج والدملوج : المعضد من الحلىّ .

(٢) فى الأصل : «وانسحابه» ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «يدخل» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ثبوت الباء فى قوله بعد : «بلفظه» وقوله فيما سبق : «لو لم يقع فيه الفصل» .

وأما التجريد — فهو أن ينتزع الشاعر أو المتكلّم من أمر ذى صفة أمرا آخر مثله فى تلك الصفة مبالغةً فى كمالها فيه، وهو أقسام: منها نحوُ قولهم: لى [من][1] فلان صديقٌ حميم، أى بلغ من الصداقة حدّا صحّ معه أن يُستخلص منه صديقٌ آخر؛

ومنها نحو قولهم: لئن سألتَ لتسألنّ به البحرَ، ومنه قولُ الشاعر:

وشوهاءَ تعدو بى إلى صارخ الوغى * بمستلئمٍ مثلِ الفَنيق المُرحَّل

أى تعدو بى ومعى من آستعدادى للحرب لابسُ لأْمة؛

ومنها نحوُ قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ لأن جهنم — أعاذنا الله منها — هى دار الخلد، لكن آنتزع منها مثلها وجعل فيها مُعَدّا للكفار تهويلا لأمرها؛

ومنها نحوُ قولِ الحماسىّ:

فلئن بقيتُ لأرحلنّ بغزوة * نحوَ الغنائم أو يموتَ كريم

وعليه قراءة من قرأ: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةٌ كَالدِّهَانِ﴾ بالرفع، بمعنى فحصلتْ سماءٌ وردةٌ، وقيل: تقدير الأوّل أو يموتَ منّى كريم، والثانى: فكانت منها وردةٌ كالدّهان، وفيه نظر؛

ومنها نحوُ قوله:

يا خيرَ من يركبُ المطىّ ولا * يَشربُ كأسا بكفّ مَن بخلا

ونحوُ قولِ الآخر:

إن تلقنى — لا ترى غيرى بناظره — * تنسَ[2] السلاحَ وتعرفْ جبهة الأسد

ومنها مخاطَبة الإنسان غيرَه وهو يريد نفسه، كقول الأعشى:

ودّعْ هُريرةَ إنّ الرّكْبَ مرتحل * وهل تُطيق وداعاً أيها الرجل

(١) الزيادة تقتضيها صحة التمثيل.

(٢) فى الأصل: «بين»، وهو تحريف؛ والتصويب عن حسن التوسل.

وقولِ المتنبيّ :

لاخيلَ عندكَ تُهديها ولا مالُ * فليُسعِدِ النُّطقُ إن لم تسعدِ الحالُ

ومنه قول الحَيْصَ بَيْص :

إلام يراكَ المجد فى زِيّ شاعرٍ * وقد نَحَلَت شـوقا فروع المنابرِ
كَتَمْتَ بِصيتِ الشِّعرِ علماوحكمة * ببعضهما ينقاد صـعبُ المَفاخرِ
اما وأبيكَ الخير إنك فارس الـ * ـكلام ومُحيِي الدّارسات الغـوابرِ

وأما التكميل — فهو أن يأتىَ المتكلّم أو الشاعر بمعنًى من مدح أو غيره من فنون الكَلِم وأغراضه ، ثم يَرَى مدحَه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غيرَ كامل ، كمن أراد مدح إنسان بالشجاعة ، ثم رأى الاقتصارَ عليها دون مدحه بالكرم مثلا غيرَ كامل أو بالبأس دون الحِلم ، ومثال ذلك قولُ كعب بن سعد الغَنَوىّ :

حَلِيمٌ إذا ما الحِـلم زَيَّن أهلَه * مع الحِلم فى عين العـدوّ مَهِيب

قوله : " إذا ما الحِلم زَيّن أهلَه " احتراس لولاه لكان المدح مدخولا ، إذ بعض التغاضى قد يكون عن عَجْزٍ وإنما يزين الحِلمُ أهلَه اذا كان عن قدرة ، ثم رأى أن(١) يكون مدحه بالحلم وحدَه غير كامل ، لأنه اذا لم يُعرَف منه إلا الحِلمُ طَمِع فيـه عدوّه فقال : «فى عين العدوّ مَهِيب» ؛ ومنه قولُ السَّموءل بنِ عادياء :

وما مات منّا سيّد فى فراشه * ولا طُلّ منّا حيث كان قتيل

لأنّ صـدر البيت [وإنْ](٢) تَضمّن وصفَهم بالإقدام والصبر ربّمـا(٣) أُوهِم العَجز (٦١)

---

(١) كذا فى الأصل . يريد : ثم اعتقد كون مدحه الخ وعلى هذا التفسير لا يحتاج فعل « رأى » الى مفعول ثان . وعبارة حسن التوسل : «ثم رأى أن مدحه» الخ والمعنى عليه يستقيم أيضا .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، واستقامة العبارة تقتضى إثباتها ؛ انظر حسن التوسل .

(٣) عبارة الأصل : « فما أوهم الفخر » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

[لأن][1] قتـلَ الجميع يدلّ على الوَهن والقِلّة فكمَّله بأخذهم للثأر ، وكمّل حسنَه بقوله : "حيث كان" فإنه أبلغ فى الشجاعة ؛ ومن ذلك فى النسيب قولُ كُثَيِّر :

لو أن عَزّة حاكمت شمسَ الضحى * فى الحسن عند مُوَفَّق لقضَى لهـا

لأن قوله : "عند موفّق" تكميل للمعنى ، إذ ليس كلّ من يحاكَم إليـه موفّقا ؛ ومنه قولُ المتنبّى :

أشَدُّ من الرياح المُوج بطشا * وأسرَعُ فى الندى منها هُبوبا .

وأما المناسَبة — فهى على ضربين : مناسَبةٍ فى المعنى ، ومناسَـبةٍ فى الألفاظ فالمعنويّة أن يبتدئ المتكلّم بمعنًى ، ثم يتمّم كلامه بما يناسبه معنًى دون لفظ ، كقوله تعـالى : ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ فقال تعالى فى صدر الآية التى الموعظةُ فيها سمعيّة : ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ وقال بعد ذكر الموعظة : ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ وقال فى صـدر الآية التى موعظتُها مرئيّـة : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ وقال بعد الموعظة : ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ .

ومن أمثلة المناسَبة المعنويّة قولُ المتنبى :

على سـابحٍ مَوْجُ المنـايا بنحره * غداةَ كأنّ النَّبْلَ فى صدره وَبْل

فإنّ بين لفظة السِّباحة ولفظتَى المَوْج والوَبْل تناسـبا صار البيت به متلاحما ؛ وقولُ ابنِ رَشيق :

أصَحُّ وأقوى ما رويناه فى الندى * من الخبرِ المأثور منذ قديم

(١) التكلمة عن حسن التوسل ، واستقامة العبارة تقتضى إثباتها .

أحاديثُ ترويها السيولُ عن الحيى * عن البحر عن جُـود الأمير تميم

فإنه وَفّى المناسَبةَ حقّها فى صحة العَنعنة برواية السيول عن الحيى عن البحر، وجَعَل الغاية فيها جُودَ الممدوح .

والمناسَبة اللفظيّة : تَوخّى الإتيان بكلمات متّزِنات، وهى على ضربين : تامّة وغير تامّة

فالتامّة : أن تكون الكلمات مع الاتّزان مقفّاة، فمن شواهد التامّة قولُه تعالى : ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ ومن الحديث النبوى — صلاة الله وسلامه على قائله — قولُ النبي صلى الله عليه وسلم للحسن والحسين — رضى الله عنهما — : " أعيذُكما بكلمات الله التامّه ، من كل شيطان وهامّه ، ومن كل عين لامّه " ولم يقل : «ملمّه» وهى القياس لمكان المناسَبة اللفظيّة التامّة ؛

ومن شواهد الناقصة قولُه صلى الله عليه وسلم : « ألا أُخبِركم بأحبّكم إلىّ وأقربِكم منّى مجالسَ يوم القيامة؟ أحاسنُكم أخلاقا، الموطّئون أكنافا »

ومما جَمع بين المناسَبتين قولُه صلّى الله عليه وسلّم : «اللّهُم إنى أسألك رحمة تَهدى بها قلبى، وتَجمع بها أمرى، وتَلُمّ بها شَعَثى، وتُصلح بها غائبى، وتَرفَع بها شاهدى، وتزكّى بها عملى، وتُلهمنى بها رُشدى، وتَرُدّ بها أُلفتى، وتَعصمنى بها من كلّ سوء، اللهـم إنى أسألك العَونَ فى القضاء، ونُزُلَ الشهداء، وعَيشَ السعداء، والنصرَ على الأعداء" فناسب صلى الله عليه وسلم بين قلبى وأمرى، وغائبى وشاهدى مناسبة غير تامّة، لأنها فى الزِّنة دون التقفيَة ، وناسب بين القضاء والشهداء والسعداء والأعداء مناسَبة تامّة فى الزِّنة والتقفية ؛

ومن أمثلة المناسَبتين قولُ أبي تمّام :

مَهَا الوَحشِ إلّا أنّ هاتا أَوانسٌ * قَنا الخَطِّ (١) إلا أنّ تلك ذوابِلُ

فناسب بين مَهَا وقَنا مناسَبة تامّة ، وناسب بين الوحش والخطّ ، وأوانس وذوابل مناسَبة غيرَ تامّة .

وأما التفريع — فهو أن يُصدِّر المتكلّمُ أو الشاعر كلامَه باسم مَنفيّ بـ«ما» خاصّــة ، ثم يصف الاسمَ المنفيّ بمُعظَم أوصافه اللائقة به في الحسن أو القبح ، ثم يجعله أصلا يُفرِّعُ منه جملةً من جارٍّ ومجرورٍ متعلّقةً [به] (٢) تعلّقَ مدحٍ أو هجــاء أو فخرٍ أو نسيب أو غيرِ ذلك ، يُفهِـم من ذلك مساواةَ المذكور بالاسم المنفيّ الموصوف كقول الأعشى :

ماروضةٌ من رياض الحَزْنِ مُعشِبةٌ * خضراءُ جادَ عليها مُسبِلٌ هطِـــل

يضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ (٣) شَرِقٌ * مــؤزَّرٌ بعميم النبت مكتهِل

يوما بأطيبَ منها نشرَ رائحـــةٍ * ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأُصُل

وقول عاتكةَ المرّيّة :

وما طعـــم ماء أيّ ماء تقــوله (٤) * تحــدَّرَ من غُرٍّ طِوال الذوائب

بمنعـرَجٍ مِن بطْن وادٍ تقابلت * عليه رياحُ الصيف من كل جانبِ

---

(١) يريد خط عمان ، وهو الذى تنسب اليه الرماح الخطية ، قال ابن سيده : الخط سيف البحرين وعمــان .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن حسن التوسل ص ٨٠ ط الوهبية .

(٣) كوكب الروضة : نورها . قال في التهذيب : الكوكب معروف من كواكب السماء ، ويشبه به النور فيسمى كوكبا . انظر اللسان مادة كوكب .

(٤) كذا في الأصــل وزهر الآداب ج ١ ص ١٦٧ ط الرحمانيــة ؛ وعبارة حسن التوسل : « بمنزلة » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

نَفتْ جَرْيَةُ المـاء القذى عن مُتونه * فليس بـــه عيبٌ تـــراه لعائب
بأطْيَبَ ممن يَقصِر الطـرفَ دونه * تقى الله وآستحياءُ بعض العواقب

وقد وقع الأصل والفرع لأبي تمّام في بيت واحد، وهو :

ماربع ميّــةَ معمورا يُطيف بـــه * غَيْلانُ أبهى ربًا من ربعها الخرب
ولا الخدودُ و إن أُدمين من خَجَل * أشهى إلى ناظِري من خدّها الترب

ومما ورد في النثر رسالةُ آبنِ القُمّيّ التي كتبها إلى سبإ بن أحمد صاحبِ صنعاءَ:

وأمّا حال عبده بعد فراقه في الجلد، فما أم تسعة من الولد؛ ذكور، كأنهم عِقبانُ وُكور؛ اختُرِم منهم ثمانيه، فهي على التاسع حانيه، فنادى النذير في الباديه، ياللعادية ياللعاديه؛ فلما سَمعتْ الداعي[(1)]، ورأت الخيــل سَواعي؛ أقبلت تنـادي ولدَها : الأَناة الأَناه، وهو ينادِيها : القَناة القَناه

بَطَــلٌ كأن ثيابـــه في سَرحة[(2)] * يُحذَى نعالَ السِّبْتِ[(3)] ليس بتوأم

فلما رَمَقته يختال في غُضون الزَّرَد المَوْضون[(4)] أنشأت تقول :

أَسَــد أَضبَطُ يمشي * بين طَرْفاء[(5)] وغيل
لِبسُـــه من نسج داو * دَ كضَحْضاح[(6)] المَسِيل

---

(١) في الأصل : «الكراعى»؛ وهو تحريف .

(٢) السرحة : واحدة السرح، وهو ماعظم وطال من الشجر، يريد وصفه بطول القامة وضخامة الجسم والبيت لعنترة العبسي .

(٣) السبت بكسر السين : الجلد المدبوغ، وفي المصباح أنه يقال : نعل سبتية : أى لا شعر فيها

(٤) الموضون : المنسوج حلقتين حلقتين، أو هو المقارب النسيج .

(٥) الطرفاء : من العضاه، وله هدب كهدب الأثل، وليس له خشب، و إنما يخرج عصيا سمحة في السماء، وقد تتحمض به الإبل اذا لم تجد حمضا غيره . والغيل بكسر الغين وتفتح : الشجر الكثير الملتف، أو هو جماعة القصب والحلفاء .

(٦) الضحضاح والضحضح : الماء الذي لا غرق فيه، شبه الدرع به في بريقه واطراد متنه .

عَرَضَ له فى البادية أَسَدٌ هَصُور، كأنّ ذراعه مَسَدٌ معصور

فتطاعَنا وتواقفتْ خَيْلاهما * وكلاهمـا بَطلُ اللقاء مقنَّع

فلمـا سمعَت الرَّعيل، بَرزتْ من الصِّرم[١] بصبرٍ قد عِيـل؛ فسألت عن الواحد فقيل: لَحَدَه اللاحد[٢]

فكَرَّتْ تبتغيه فصادفَتْـهُ * على دمِه ومَصرَعِه السباعا

عبَثن به فلم يَترُكـن إلا * أديما قد تمزق أو كُراعا

بأشدّ من عبده تأسّفا، ولا أعظم كمدا وتلهّفا.

قال: وذكر ٱبن أبى الإصبع فى التفريع قسما ذَكَره فى صدر الباب، وقال: إنه هو الذى ٱستخرجه، وهو أن يبتدئ الشاعر بلفظة هى إما ٱسم أو صفة، ثم يكرّرُها فى البيت مضافة إلى أسماء وصفات تتفرع عليها بجملةٍ من المعانى فى المدح وغيره، كقول المتنبي:

أنا ٱبن اللقاء أنا ٱبن السخاء * أنا ٱبن الضِّراب أنا ٱبن الطِّعان

أنا ٱبن الفيـافى أنا ابن القوافى * أنا ٱبن السُّروج أنا ٱبن الرِّعان[٣]

طَويلُ النِّـجاد طَويلُ العماد * طَويلُ القناة طويل السِّـنان

حَديدُ اللِّحاظ حديد الحِفـاظ * حَديدُ الحسام حديد الجَنان.

---

(١) الصرم بكسر الصاد: الجماعة.

(٢) فى الأصل: «اللاحد»، والميم زيادة من الناسخ.

(٣) الرعان: أنوف الجبال المتقدمة منها، واحده رعن؛ يريد أنه لكثرة قطعه للجبال وسلوكه فيها ومعرفته بشعابها كأنه ابن لها.

وأما نفى الشىء بإيجابه — فهو أن يُثبت المتكلّم شيئا فى ظاهر كلامه وينفى ما هو [من](١) سببه مجازا، والمنفىّ فى باطن الكلام حقيقة هو الذى أثبته كقول آمرئ القيس :

على لاحب لا يُهتَدَى بمَناره * إذا سافَه(٢) العَودُ النُّباطىّ جَرجَرا

فظاهر هذا الكلام يقتضى إثبات منار لهذه الطريق، ونفىَ الهداية به(٣) مجازا وباطنه فى الحقيقة يقتضى نفىَ المَنار جملة، والمعنى أن هذه الطريقَ لو كان لها منار ما آهتُدِىَ به، فكيف ولا مَنارَ لها، كما تقول لمن تريد أن تَسلُبه الخير : ما أقلّ خيرك ! فظاهر كلامك يدل على إثبات خير قليل، وباطنه نفىُ الخير كثيره وقليله .

وقول الزبير بن عبد المطلب يمدح عُمَيلة(٤) بنَ عبد الدار — وكان نديما له — :

صَحِبتُ بهم طَلْقا يَراح الى النَّدى * اذا ما آنتشى لم تَحتضِره مَفاقِرُه
ضعيف بحَثّ الكأس قَبضُ(٥) بنانه * كَليل على وجه النديم أظافره

فظاهر هذا أن للممدوح مَفاقرَ لم تحتضره إذا انتشى، وأنّ له أظافرَ يَخمُش بها وجه نديمه خَمْشا ضعيفا، وباطن الكلام فى الحقيقة نفىُ المفاقر جملة، والأظافرِ بتّة .

(١) فى الاصل : «ما هو سببه» بسقوط «من» وقد أثبتناها عن حسن التوسل وغيره .

(٢) فى الأصل : «ساقه» بالقاف المثناة، وهو تحريف، ولا معنى له يناسب السياق، والتصويب عن شرح ديوان آمرئ القيس . وسافه : شمه . والعود : الجمل المسنّ . وجرجر : رغا، وإنما يرغو الجمل لمعرفته ببعد الطريق .

(٣) وردت هذه العبارة فى الأصل هكذا : «ونفى بد الهداية» وفيها قلب وتحريف لا يستقيم بهما المعنى؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا . انظر تحرير التحبير لابن أبى الإصبع المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٤٦٥ بلاغة .

(٤) هذه نسبة إلى جده، أما أبوه فهو السباق بن عبد الدار . انظر المقتضب من جمهرة النسب لياقوت المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٨٥ تاريخ .

(٥) فى الأصل : «بحيث الكأس فضل»؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى، والتصويب عن حسن التوسل . وفى تحرير التحبير : «فيض» بفاء موحدة بعدها ياء مثناة؛ وهو تحريف .

وأما الإيداع — قال : وأكثرُ النــاس يجعلونه من باب التضمين ، وهو منــه إلّا أنه مخصوص بالنثر، وبأن يكون المُودَع نصفَ بيت، إما صدرا أو عَجُزا

فمنه قول علىّ رضى الله عنه فى جواب كتاب لمعاوية :

ثم زَعَمتَ أنّى لكلّ الخلفاء حَسَدت، وعلى كلهم بَغَيت، فإن يكن ذلك كذلك فلم تكن الجناية عليك، حتى تكون المعذرة إليك * وتلك شَكاةٌ ظاهرٌ عنكَ عارُها *

وأما الإدماج — فهو أن يُدمِج المتكلم غرضا له فى جملة معنًى من المعانى قد نحاه ليُوهِم السامعَ أنه لم يقصــده ، و إنمـا عَرض فى كلامه لتتمّة معناه الذى قصده، كقول عبيد الله بن عبد الله لعبيد الله بن سليمانَ بنِ وهب حين وَزَرَ للمعتضــد — وكان آبن عُبيد الله قد آختلّت حاله — فكتب الى آبن سليمان :(1)

أَبَى دهرُنا إسعافَنا فى نفوسنا * وأَســعفنا فيمن نُحِبُّ ونكرِم

فقلتُ له نُعماك فيهـــم أَتِمَّهـا * ودع أمرَنا إن المهمّ المقــدَّم

فأدمج شكوى الزمانـ فى ضمن التهنئة، وتلطّفَ فى المسألة مع صيانة نفســه عن التصريح بالسؤال .

وأما سلامة الآختراع — فهو أن يَختَرِع الشاعر معنًى لم يُسبَق اليــه ولم يَتبعه أحد فيه، كقول عنترة فى الذباب :

هَزِجا يَحُــكُّ ذراعَه بذراعه * قَدْحَ(2) المُكِبِّ على الزِّناد الأجذمِ

وكقول عدىّ بن الرِّقاع فى تشبيه ولد الظبية :

تُزجِى أَغَنَّ كأن إبرة رَوْقِه * قلمٌ أصاب من الدواة مدادَها

---

(١) عبارة الأصــل : « كقول عبد الله بن عبيد الله لعبد الله » الخ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر معاهد التنصيص ص ٤٠٢ ط بولاق، ووفيات الأعيان ترجمة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر .

(٢) فى الأصل : « كقدح » ، والكاف زيادة من الناسخ .

وكقول النابغة فى وصف النسور :

تَراهنّ خلف القوم زُوراً(١) عيونها * جلوسَ الشيوخ فى مُسوك(٢) الأرانب

وكقول أبى تمّـام :

لا تنكرى عَطَل الكريم من الغِنى * فالسّيل حربٌ للمكانِ العالى

وقــوله :

ليس الحجاب بمُقْصٍ عنكَ لى أملا * إنّ السماء تُرَجّى حين تحتجب

وقول ٱبن حجّاج :

وإنّى(٣) والمولى الذى أنا عبده * طَرِيفان(٤) فى أمرٍ له طَرَفان

بعيدا ترانى منه أَقربَ ما تَرَى * كأنّىَ يومُ العيد فى رمضان.

وأما حُسن الاتّباع — فهو أن يأتىَ المتكلّم إلى معنًى قد ٱخترعه غيره (٦٤) فيتّبعه فيه ٱتباعا يوجب له ٱستحقاقه ، إما بٱختصار لفظه ، أو قِصر وزنِه أو عذوبة نَظْمِه ، أو سهولة سَبْكه(٥) ، أو إيضاح معناه ، أو تميم نقصه ، أو تحليته بما توجبه الصناعة ، أو بغير ذلك من وجوه الاستحقاقات ؛

كقول شاعرٍ جاهلىّ فى صفة جَمَل :

وعَوْدٍ قليلِ الذنْب عاودتُ ضربه * إذا هاج شوقى من مَعاهدها ذِكَر

(١) كذا فى تحرير التحبير لابن أبى الإصبع . وهو جمع أزور ، والأزور الناظر بمؤخر عينيه . والذى فى الأصل : « زرقا » ؛ وهو تحريف .

(٢) المسوك : الجلود ، واحده مسك بفتح الميم .

(٣) فى الأصل وحسن التوسل : « ترانى » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد : «طريفان» بإثبات الألف ؛ وانظر تحرير التحبير لابن أبى الإصبع .

(٤) فى الأصل : «ظريفان» بالظاء المعجمة ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : «مسكه» ؛ وهو تحريف .

وقلت له ذلفـاءُ ويحكَ سُبّبتْ * لك الضربَ فاْصبر إن عادتك الصبر

فأحسن ٱبن المعتز ٱتّباعه حيث قال يصف خيلَه :

وخيلٍ طواها القَوْدُ(١) حتى كأنها * أنابيبُ سمرٌ من قنا الخَطّ ذُبّلُ

صَبَبنا عليها ظالمين سِياطَنا * فطارت بها أيدٍ سِراعٌ وأرجل

وٱتّبع أبو نُواس جريرا فى قوله :

إذا غضِبت عليك بنو تميم * حسِبتَ الناس كلَّهمُو غضابا

فقال أبو نواس — ونَقل المعنى من الفخر إلى المدح — :

وليس على الله بمستنكَرٍ * أن يجمعَ العالَمَ فى واحد

وقول النُّمَيرىّ فى أخت الحجّاج :

فهنّ اللواتى إن بَرزن قتلننى * وإن غِبن قَطَّعن الحشى حَسَرات

فٱتّبعه ٱبن الرومىّ فقال :

ويلاه إن نَظَرتْ وإن هى أَعرضتْ * وَقْـعُ السهام ونزعُهنّ ألـيم .

وأما الذمّ فى معرِض المدح — فهو أن يقصد المتكلّم ذمّ إنسان فيأتىَ بألفاظ موجَّهة ، ظاهرُها المدح ، وباطنُها القَدح ، فيُـوهِم أنه يمدحه وهو يهجوه كقول بعضهم فى الشريف بن الشَّجَرىّ :

يا سيّدى والذى يعيذك من * نَظْمٍ قريضٍ يَصْدا به الفكْر

ما فيك من جَدّك النبىِّ سوى * أنك لا ينبغى لك الشـعر .

وأما العُنوان — فهو أن يأخذ المتكلّم فى غرض له من وصف أو فخـر أو مدح أو هجاء أو غير ذلك ، ثم يأتى لقصـد تكميله بألفاظ تكون عُنوانا لأخبار متقدّمة ، وقِصص سالفة ، كقول أبى نُواس :

(١) كذا فى الأصل . وفى حسن التوسل : «السير» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

يا هاشم بنَ حُدَيج ليس فخركمو * بقتلِ صهر رسول الله بالسَّدَد
أَدرجتمو فى إهاب العَير جُثّتَه * لبئس ما قدّمت أيديكمو لغد
إن تقتلوا آبنَ أبى بكر فقد قتلتْ * حُجْرا بدارة مَلْحُوب[1] بنو أَسَد
و يوم قلتم لعمرو وهو يقتلكم * قتل الكلاب لقد أَبرحتَ من ولَد
وربَّ كِندِيّة قالت لجارتها * والدمع ينهلّ من مَثْنَى[2] ومن وَحَد
أَلْهَى آمرأ القيس تشبيبٌ بغانية * عن ثأره وصفاتُ النُّؤى والوَتَد

فقد أتى أبو نواس فى هـذه الأبيـات بعـدّة عُنوانات : منها قصة قتلِ محمد بن أبى بكر، وقتل حُجْرٍ أبى آمرئ القيس، وقتلِ عمرو بن هندٍ كِنْدَةَ فى ضمن هجو من أراد هجوَه، وعيرِ[3] المهجوّ بما أشار اليه من الأخبار الدالّة على هجاء قبيلته ؛

ومثل ذلك قولُ أبى تمام فى آستعطاف مالك بن طَوق على قومه :

رفَدوك فى يوم الكُلاب[4] وشَقَّقوا * فيـه المَزاد بجحفـل غَلّاب[5]
وهمو بعَين أُباغَ[6] راشـوا للعِدا * سَهمَيك عند الحـارث الحَرّاب

(١) فى الأصل : «مكحون» ؛ وهو تحريف . وملحوب : اسم ماء لأسد بن خزيمة .
(٢) فى الأصل : «شتى» ؛ وهو تحريف .
(٣) فى الأصل : « ومعرة الهجو » وهو غير مستقيم ؛ والتصويب عن حسن التوسل .
(٤) الكلاب بضم الكاف : واد يسلك بين ظهرى شهلان ، وفيه كان الكلاب الأوّل والكلاب الثانى من أيام العرب المشهورة ؛ فأما الكلاب الأوّل فقد كان بين شرحبيل بن الحارث وأخيه سلمة ، ومع شرحبيل بكر بن وائل و بنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، ومع أخيه سلمة بنو قيس . وأما الكلاب الثانى فكان بين بنى سعد والرباب و بين بنى الحارث بن كعب . وقال فى اللسان مادة « كلب » نقلا عن أبى عبيد : كلاب الأوّل وكلاب الثانى : يومان كانا بين ملوك كندة و بنى تميم . وأشار بقوله : «وشققوا فيه المزاد» الى ما فعله السفاح فى هذا اليوم ، وهو أنه ظمأ خيله وسفح ما فى أسقية أصحابه ، وقال : «لا ماء لكم دون الكلاب ؛ والسفاح ، هو مسلمة بن خالد بن كعب من بنى حبيب بضم الحاء المهملة بن عمرو بن غنم بن تغلب .
(٥) فى الأصل : « كلاب» بالكاف ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن ديوان أبى تمام .
(٦) عين أباغ بضم الهمزة وفتحها : واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشأم ، وكان عندها فى الجاهلية يوم لهم بين ملوك غسان ملوك الشام ، وملوك لخم ملوك الحيرة ، قتل فيه المنذر بن المنذر بن آمرئ القيس اللخمى ؛

وليـالىَ الثَّرثار (١) والحَشّاك قـــد * جَلبوا الجيـاد لواحقَ الأَقراب (٢) ٦٥
فمضت كُهولهمو ودَبّر أمرَهم * أحداثُهـــم تدبيرَ غيرِ صـواب

وقال بعد ذلك :

لك فى رسول الله أعظمُ أُسوة * وأَجلُّهـا فى سُـــنّة وكتاب
أَعطى المؤلَّفة القلوب رضاهمو * [كَمَلًا] (٣) وردّ أَخائذَ الأحزاب (٣)
والجعفريّون آستقلّت ظُعْنُهم * عن قومهم وهمو نجوم كلاب
حتى إذا أَخذ الفراقُ بقسطه * منهم وشَطّ بهم عن الأحباب
ورأوا بلاد الله قـد لفَظتهمو * أكنافُها رجعوا إلى جـوّاب
فأتوا كريمَ الخيم مثلَك صافحًا * عن ذكر أحقاد وذكر ضِباب (٤)

فانظر الى ما أتى به أبو تمّـام فى هـذه الأبيات من العُنوانات من السيرة النبوية وأيام العرب ، وأخبـار بنى جعفر بن كلاب ، ورجوعهم الى آبن عمهم جَوّاب ؛ وكقوله أيضا لأحمد بن أبى دؤاد :

(١) الثرثار : واد عظيم بالجزيرة يمدّ اذا كثرت الامطار ، فأما فى الصيف فليس فيه إلا مناقع ومياه حامية وعيون قليلة ، وهو فى البرية بين سنجار وتكريت ، وكان فى القديم منازل بكر بن وائل واختص بأكثره بنو تغلب . والحشاك : هو تل عبده ، كانت فيه وقعة تغلب على قيس .

(٢) لواحق الأقراب : أى ضمر الخصور .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الاصل . وقد أثبتناها عن ديوان أبى تمام ، وبها يستقيم الوزن . والأخائذ : جمع أخيذة ، وهو فعيلة بمعنى مفعولة ، ولم يرد بالأحزاب هنا من شهدوا غزوة الخندق من المشركين واليهود كما هو المعنى المشهور لهذا اللفظ ، فإنه لم يروَ أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قد أخذ منهم أخائذ ثم ردها ولكنه ردّ أخائذ هوازن يوم حنين ، وإذن فمراده بلفظ «الأحزاب» المعنى العام ، وهو كل من تحزّب على الإسلام ، كما يستفاد ذلك من شرح ديوان أبى تمـام للخطيب التبريزىّ وغيره من كتب السيرة .

(٤) فى الديوان : « مضت » ؛ ومعنى البيت يستقيم على كلتا الروايتين . والضباب : الأحقاد واحده ضب بفتح الضاد وتكسر .

تَثَبَّتْ إنّ قـولا كان زُورا * أتى النعمانَ قَبلَك عن زياد
وأَرَّث[١] بين حىّ بنى جُلاح * لظى حرب وحىّ بنى مَصاد
وغادَرَ فى صدور الدهر قتْلَى * بنى بدر على ذات الإصـاد[٢]

فأتى بعنوان يشير به الى قصة النابغـة حين وُشِىَ به الى النعمان، بجرّ ذلك من الحروب ما تضمّنتْ أبياته .

وأما الإيضاح — وهو أن يذكر المتكلّم كلاما فى ظاهره لَبْسٌ، ثم يوضحه فى بقيّة كلامه، كقول الشاعر :

يذكّرُنيك الخـيرُ والشرُّ كلُّه * وقِيلُ الخنا والعلمُ والحلمُ والجهلُ

فإن الشاعر لو آقتصر على هذا البيت لأشكل مراده على السامع بجمعه بين ألفاظ المدح والهجاء، فلما قال بعد :

فألقـاكَ عن مكروهها متنزِّها * وألقاكَ فى[٣] محبوبها ولك الفضل

أَوضح المعنى المرادَ، وأزال اللَّبس، ورَفع الإشكالَ والشك .

وأما التشكيك — فهو أن يأتىَ المتكلّم فى كلامه بلفظة تشكِّك المخاطَب هل هى فَضلةٌ أو أصليّة لا غِنى للكلام عنها؟ مِثلُ قوله تعالى: ﴿يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ﴾ فإن لفظة بِدَيْنٍ تُشكِّك السامع هل هى فَضلةٌ أو أصليّة ؟ فالضعيف النظر يظنّها فَضلةً لأن لفظة تداينتم تغنِى عنها ، والناظر فى علم البيان يعلم أنها أصليّة

---

(١) أرّث النار : أوقدها .

(٢) هو اسم ماء لطم عليه داحس فرس قيس بن زهير، فكان من ذلك حرب داحس والغبراء ، أو هو ردهة فى ديار عبس وسط هضب القليب ياقوت .

(٣) فى الأصل : «عن» ، وهو تحريف .

لأن لفظة الدَّين لها مَحامل، تقول: داينتُ فلانا المودّةَ، يعنى جازيتُــه، ومنه: «كما تَدِين تُدان» ومنه قولُ رُؤبة:

داينتُ أَرْوَى والدُّيون تُقضَى * فمَطَلتْ بعضا وأدّت بعضــا

وكلّ هــذا هو الدَّيــن المجازى الذى لا يُكتَب ولا يُشهَد عليه، ولـمّـا كان المراد من الآية تمييزَ الدَّينِ المــالى الذى يُكتَب ويُشهَد عليه، وتيسيرَ (١) أحكامه، أوجبت البلاغة أن يقول: «بدَين» ليُعلَم حكمُه.

وأما القول بالموجب — فهو ضربان:

أحدهما أن تقَع صفةٌ فى كلامٍ مدّعٍ شــيئًا يَعنِى به نفسَه، فتَثبُت تلك الصفة لغيره من غير تصريح بثبوتها له، ولا نفيها عنه (٢)، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنهم كنَوْا بالأعزّ عن فريقهم، وبالأذلّ عن فريق المؤمنين، فأثبت الله عزّ وجلّ صفةَ العِزّة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرّض لثبوت حُكم الإخراج بصفة العزّة ولا لنفيه.

والثانى حَمْلُ كلام المتكلّم مع تقريره على خلاف مراده مما يَحتملُه بذكر متعلَّقــه كقول الشاعر (٣):

(١) كذا فى الأصل. والذى فى حسن التوسل: «وتبيين»؛ والمعنى يستقيم على كليهما.

(٢) كذا ورد هذا التعريف فى الأصل وحسن التوسل. وهو غير ظاهر، إذ أن الذى لا يصرح بثبوته ولا بنفيه إنما هو الحكم الذى ثبت بواسطته تلك الصفة، لا نفس الصفة، كما يفهم مما يأتى بعد الآية الكريمة. وعبارة التلخيص: «أحدهما أن تقع صــفة فى كلام الغير كناية عن شىء أثبت له حكم فتثبتها لغيره من غير تعرض لثبوته له أو نفيه عنه». وقال فى الإيضاح فى شرح قوله: «من غير تعرض لثبوته له» ما نصه: «أى ثبوت ذلك الحكم لذلك الغير» الخ.

(٣) هو ابن حجاج.

قلتُ[1] : ثقّلتُ إذ أتيتُ مِرارا * قال[1] : ثقّلتَ كاهلِي بالأيادى

قلتُ : طَوّلتُ قال : [لى] بل تَطوّلــ[2]ــتَ : وأبرمتُ قال : حبلَ الوداد (٦٦)

ومنه قولُ الأَرَّجانىّ : * غالطَتْنى إذ كست جسمى ضَنًى * البيتين، وقد تقدم الآستشهاد بهما فى الآستدراك .

وللولى شهاب الدين محمود الحلبىّ الكاتبِ فى ذلك :

رَأتنى وقد نال منّى النُّــحول * وفاضت دموعى على الخدّ فَيضا

فقــالت : بعينىّ هذا السَّقام * فقلتُ : صدقتِ، وبالخصر أيضا

وقولُ مَحاسن الشَّوّاء :

ولمّــا أتانى العاذلون عدمتُهم * وما فيهمو إلا لِلحمىَ قارِض

وقد بُهتوا لمّــا رأَونىَ شاحبــا * وقالوا : بهِ عَينٌ فقلتُ : وعارِض .

وأما القلب . — فهو أنَ يكون الكلام أو البيتُ كيفما آنقلبَتْ حروفه كان بحاله لا يتغيّر، ومنه فى التنزيل قولُه تعالى : ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ﴾ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ وقولُهم : ساكِبُ كاس ،

ومنه قولُ العِماد الأَصْفِهانىّ للقاضى الفاضل : سِرْ فلا كَبا بك الفَرَس، وجوابُ القاضى الفاضل له : دام عُلا العماد، وهى أوّل قصيدة للأَرَّجانىّ، مَطلَعها : «دام عُلا العماد» ، ومن ذلك قولُ الأَرَّجانىّ :

مَودّتُه تدوم لكلّ هَول * وهــل كلٌّ مَودّتُه تدوم

---

(١) كذا فى الأصل وحسن التوسل . والذى فى خزانة الأدب لابن حجة ص ١٤٥ طـ بولاق : «قال ثقلت» فى صدر البيت الأوّل، وفى عجزه : «قلت» وكذلك فى البيت الثانى؛ وكلتا الروايتين تؤدى معنى صحيحا .

(٢) فى الأصل : «قال بل» بإسقاط «لى»؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل إذ بها يستقيم الوزن .

وأما التنذير — فهو أن يأتىَ المتــكلّم بنادرة حلوة ، أو نكتة مســتظرَفة يُعرّض فيها بمن يريد ذمّه بأمر[(١)]، وغالب ما يقع فى الهَزْل، فمنه قول أبى تمّام فيمن سَرق له شعرا :

مَن بنُو بَحْدَلٍ، مَن ٱبْنُ الحُباب[(٢)] * مَن بنُو تَغلِب غَداة الكُلاب
مَن طُفَيلٌ، مَن عامرٌ، أم مَن الحا * رثُ ، أم مَن عُتَيبةُ بن شِهاب
إنمــا الضَّيغم الهَصُور أبو الأشـ * ـبال هَتّــاكُ كلِّ خِيس[(٣)] وغاب
مَن عدت خيلُه على سَرْح شِعرى * وهو لِلحَين راتعٌ فى كتاب
ياعَذارى الكلام صرتنّ من بعـ * ـدى سبايا تُبَعن فى الأعراب
لو ترى مَنطِق أســيرا لأصبحـ * ـتَ أســيرا ذا عَبْرة وٱكتئاب
طال رَغْبى إليك ممــا أقاسيـ * ـه ورُهبى يارَبّ فاحفظ ثيابى

ومن ذلك ما قاله شهابُ الدين بنُ الخِيَمى يُعرِّض بنجم الدين بنِ ٱسرائيلَ لمــا تنازعا فى القصيدة المعروفة لابن[(٤)] الخِيَمى التى أولهــا :

* يامَطلَبا ليس لى من غيره أَرَب *

فقال من قطعة منها :

هُمُ العُرَيبُ بنجــد مذ عرفتُهمو * لم يَبقَ لى معهــم مالٌ ولا نَشَب
فمــا ألَمُّوا بحىٍّ أو ألمّ بهــم * إلا أغاروا على الأبيــات وٱنتهبوا
لم يُبــقِ مَنطِقه قولا يروق لنــا * لقد شكت ظلمه الأشعار والخطب .

(١) أراد به محمد بن يزيد الأموى . انظر شرح ديوان أبى تمام للخطيب التبريزى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش .

(٢) أراد عمير بن الحباب السلمى انظر شرح ديوان أبى تمام المتقدم .

(٣) فى الأصل : «جيش» بجيم فوقية وشين معجمة ، وهو تصحيف . وخيس الأسد : عرينه .

(٤) فى الأصل « باين » بالباء ، وهو تحريف ، والسياق يقتضى اللام .

وأما الإسجال بعد المغالَطة — فهو أن يقصد الشاعر غرضًا من ممدوح فيَشترط لحصوله شرطا ، ثم يقدِّر وقوعَ ذلك الشرط مغالَطة ليُسجِّل به ٱستحقاقَ مقصوده ، كقول بعضهم :

جاء الشتاء وما عندى لقِرّته ⁂ إلا ٱرتعادى وتصفيق بأسنانى
فإن هَلَكتُ فمولانا يكفِّننى ⁂ هَبنِى هَلَكتُ فهَبنى بعض أكفانى .

وأما الآفتنان — فهو أن يأتىَ الشاعر بفنَّين متضادَّين من فنون الشعر فى بيت واحد ، مثلِ التشبيب والحماسة ، [والمديح](١) والهجاء ، والهناء والعزاء

فأما ماجُمِع فيه بين التشبيب والحماسة فكقول عنترة :

إن تُغْدِفى دونى القِناع فإننى ⁂ طَبٌّ(٢) بأخذ الفارس المستلئم

وكقول أبى دُلَف — ويُروَى لعبد الله بن طاهر — :

أُحبِّك ياجَنانُ وأنتِ منّى ⁂ محَلَّ الرُّوح من جسد الجبان ١٧
ولو أنى أقول محلَّ روحى ⁂ لخِفتُ عليك بادرةَ الطِّعان .

وأما ماجُمِع فيه بين تهنئة وتعزية فقد تقدّم ذكرذلك فى بابَى التهانى والتعازى ومنه فيما لم نورده هناك ما كتب به المولى شهاب الدين محمود الكاتبُ تهنئة وتعزية لمن رزق ولدا ذكرا فى يوم ماتت له فيه بنت :

ولا عَتْب على الدهر فيما ٱقترف ، فقد أَحسن الخَلَف ، واعتذرَ بما وَهَب عما سَلب ، فعفا الله عمّا سلف .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وصحة التمثيل تقتضى إثباتها .

(٢) أغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها . والطب بفتح أوله : الماهر الحاذق .

وأما الإبهام — بباء موحّدة فهو أن يقول المتكلّم كلاما مبهَمًا يحتمل معنيين متضادّين ، كقول بعضهم فى الحسن بن سهل لما تزوج المأمون بابنته بُوران :

بارك الله للحسَن * ولبُوران فى الخَتَن
يا إمام الهدى ظَفِر * تَ ولكن ببنت مَن

فلم يُعرَف مرادُه «ببنت من» هل أراد به الرفعة أو الضعة ؟

ومنه قولُ بشّار فى خياط أعورَ اسمه عمرو :

خاط عمرو لى قَباء * ليت عينيه سواء

فأبهم المعنى فى الدعاء له بالدعاء عليه .

وأما حصر الجزئىّ وإلحاقه بالكلىّ — فهو كقول السّلامىّ :

إليك طوى عَرضَ البسيطة جاعلٌ * قُصارى المطايا أن يلوح لها القَصر
فكنتُ وعزمى فى الظلام وصارمى * ثلاثةَ أشباه(١) كما اجتَمع النّسر
وبَشّرتُ آمالى بمَلْك هو الورى * ودارٍ هى الدنيا، ويومٍ هو الدهر.

فأما حَصرُ أقسام الجزئىّ فإن العالَم عبارةٌ عن أجسامٍ وظروفِ زمانٍ وظروفِ مكانٍ، وقد حَصَر ذلك ؛

وأما جعلُه الجزئىّ كليّاً فإن الممدوح جزء من الورى، والدار جزء من الدنيا، واليوم جزء من الدهر .

---

(١) كذا فى يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٦٣ ط الحفنيــة ، وخزانة الأدب للحموى ص ٤٥٤ ط بولاق ، وتحرير التحبير لابن ابى الإصبع المحفوظ منـه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٤٦٥ بلاغة . وفى الأصل : أشياء؛ وما أثبتناه أقرب الى معنى البيت، وأظهر فى المراد .

وأما المقــارَنة — فهى أن يَقرِن الشــاعر الآستعارةَ بالتشبيه أو المبالَغــةِ أو غير ذلك بوَصل يَخفَى أثره إلّا على مُدْمِن النظر فى هذه الصناعة، وأ كثرُ ما يقع ذلك بالجُمَل الشرطيّة، كقول بعض شعراء المَغرِب[1] :

وكنتَ إذا آستُنزِلتَ من جانب الرضى * نزلتَ نزولَ الغيث فى البــلد المَحْل
وإن هَيّج الأعداء منــك حَفيظةً * وقعتَ وُقوعَ النار فى الحطب الجَزْل

فإنه لاءم بين الآستعارة والتشبيه المتروعِ الأداةِ[2] فى صدرَىْ بيتَيه وعَجُزيهما .

وأما ما قُرِنتْ به الآستعارةُ من المبالَغة فمثاله قولُ النابغةِ الذُّبيانىّ :

وأنتَ رَبيع يُنعِش الناسَ سَيبُهُ * وسيف أُعِيرتْه المنيّــة قاطِــع

فإن فى كل من صدر البيت وعجزه آستعارة ومبالغة ، و إنما التى فى العجز أبلغ .

ومما آقترَن فيه الإرداف بالآستعارة قولُ تَميم بن مُقْبِل :

لدن غُدْوة حتى نَزَعنــا عشيّـــة * وقدماتَ شَطرُ الشمس والشَّطرُ مُدْنَف

فإنه عَبّر بموت شَطر الشمس عن الغروب، وآستعار الدَّنَف للشطر الثانى .

وأما الإبداع — فهو أن يأتى فى البيت الواحد من الشِّعر، أو القرينــةِ الواحدةِ من النثر بعِدّة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جُمَله ، وربما كان فى الكلمة الواحدة المفردة ضربان من البــديع ، ومتى لم تكن كلّ كلمة بهذه المثابة فليس بإبداع

قال آبن أبى الإصبَع : وما رأيتُ فيما آستقرَيتُ من الكلام كآية آســتخرجْتُ (الآية)
منها أحدا وعشرين ضربا من المحاسن، وهى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِى مَاءَكِ

(١) هو إدريس بن اليمان كما فى تحرير التحبير لابن أبى الإصبع .

(٢) فى الأصل : «الإرادة» ؛ وهو تحريف .

و يا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾ : وهى المناسبة التامة فى «ابلعي» و «أقلعي»؛ والمطابقة بذكر الأرض والسماء؛ والمجاز فى قوله : «يا سماء»، فإن المراد — والله أعلم — يامطر السماء؛ والاستعارة فى قوله تعالى: «أقلعي»؛ والإشارة فى قوله تعالى : «وغيض الماء» فإنه عبر بهاتين اللفظتين عن معان كثيرة؛ والتمثيل فى قوله تعالى : «وقضي الأمر» فإنه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بغير لفظ المعنى الموضوع له؛ والإرداف فى قوله : «واستوت على الجودي» فإنه عبر عن استقرارها بهذا المكان استقرارا متمكنا بلفظ قريب من لفظ المعنى؛ والتعليل، لأن غيض الماء علة الاستواء؛ وصحة التقسيم إذ استوعب الله تعالى أقسام أحوال الماء حالة نقصه، إذ ليس إلا احتباس ماء السماء، واحتقان الماء الذى ينبع من الأرض، وغيض الماء الحاصل على ظهرها؛ والاحتراس فى قوله تعالى : «وقيل بعدا للقوم الظالمين» إذ الدعاء عليهم يشعر أنهم مستحقو الهلاك احتراسا من ضعيف العقل يتوهم أن العذاب شمل من يستحق ومن لا يستحق، فتأكد بالدعاء كونهم مستحقين؛ والإيضاح فى قوله : «للقوم» ليبين أن القوم الذين سبق ذكرهم فى الآية المتقدمة حيث قال: ﴿وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه﴾ هم الذين وصفهم بالظلم ليعلم أن لفظة القوم ليست فضلة وأنه يحصل بسقوطها لبس فى الكلام؛ والمساواة لأن لفظ الآية لا يزيد على معناها؛ وحسن النسق، لأنه تعالى عطف القضايا بعضها على بعض بحسن ترتيب؛ وائتلاف اللفظ مع المعنى، لأن كل لفظة لا يصلح موضعها غيرها؛ والإيجاز، لأنه سبحانه وتعالى اقتص القصة بلفظها مستوعبة حيث لم يخل منها بشيء فى أقصر عبارة؛ والتسهيم، لأن أول الآية الى قوله : «أقلعي»

يقتضى آخرها؛ والتهذيب، لأنّ مفرداتِ الألفاظ موصوفةٌ بصفات الحسن، عليها رونق الفصاحة، سليمةٌ من التعقيد والتقديم والتأخير؛ والتمكّن، لأن الفاصلة[1] مستقرّةٌ فى قرارها، مطمئنّةٌ فى مكانها؛ والانسجام، وهو تحدّر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء؛ وما فى [ مجموع ][2] الآية من الإبداع، وهو الذى سُمّى به هذا الباب. فهذه سبع عشرة لفظةً تضمّنتْ أحدا وعشرين ضربا من البديع غيرَ ما تكرر من أنواعه فيها.

وأما الانفصال — فهو أن يقول المتكلّم كلاما يتوجّه عليه فيه دَخَلٌ لو اقتصر عليه، فيأتى بما يفصله عن ذلك الدَّخَل، كقول أبى فراس:

ولقد نُبِّيتُ إبليـ * ـس إذا راكَ يَصُدّ
ليس مِن تقوى ولكن * ثِقَلٌ فيك وبَرْدُ

والفرقُ بين هذا وبين الاحتراس خلوُّ[3] الاحتراس من الدّخل عليه من كلّ وجه.

وأما التصرف — فهو أن يتصرّف المتكلّم فى المعنى الذى يقصده، فيُبرزه فى عِدّة صور: تارة بلفظ الاستعارة، وطورا بلفظ التشبيه، وآونة بلفظ الإرداف وحِينا بلفظ الحقيقة، كقول امرئ القيس يصف الليل:

وليلٍ كموج البحر مُرخٍ سُدُولَه * علىّ بأنواع الهموم ليَبتلى
فقلتُ له لمّا تَمطّى بصُلْبه * وأردَفَ أعجازا وناءَ بكَلكَلِ

فإنه أبرز المعنى بلفظ الاستعارة، ثم تصرّف فيه فأتى بلفظ التشبيه فقال:

(١) فى الأصل: «نقيض»؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى.
(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل. واستقامة الكلام تقتضى إثباتها. انظر تحرير التحبير لابن أبى الإصبع.
(٣) فى الأصل: «عموم»؛ وهو تحريف.

فيالك من ليل كأنّ نجومَه * بكلّ مُغار الفتل شُدّت بيَذْبُل (١)

ثم تَصَرّف فيه فأخرَجَه بلفظ الإرداف فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا آنجلى * بصبح وما الإصباح منك بأَمثَل (٢)

وأما الآشتراك — فمنه ما ليس بحَسَن ولا قبيح، وهو الآشتراك فى الألفاظ مثل آشتراك الأُبَيْرِد وأبى نواس فى لفظة الآستعفاء، فإن الأُبَيْرِد قال فى مَرثية أخيـــه :

وقد كنتُ أَستعفى الإلهَ إذا آشتكى * من الأجر لى فيه و إن عَظُم الأجر

وقال أبو نواس : (٦٩)

ترى العين تستعفيك من لمعانها * وتَحسِر (٣) حتى ما تُقِلّ جفونَها

ومنه الحسَن، وهو الآشتراك فى المعنى، كقول آمرئ القيس :

كبِكْر المُقَاناة (٤) البياضَ بصُفرة * غَذاها نَمير المـاء غيرُ المُحَلَّل (٤)

وقولِ ذى الرُّمّة :

كَحلاءُ فى بَرَجٍ (٥) صفراء فى دَعَجٍ (٥) * كأنها فضّة قد مسّها ذهب.

---

(١) يذبل : جبل بنجد فى طريقها يا قوت .

(٢) فى الأصل : «فيك» ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «وتحسن» ؛ بالنون ؛ وهو تحريف . وهذا البيت فى صفة الخمر ؛ يريد أن العين تكلّ عن النظر إليهـا من شدّة لمعان هـــذه الخمر و بريقها حتى إن العين تستعفى الناظر من أن يكلفها النظر إليها ، أى تطلب منه أن يعفيها من ذلك .

(٤) المقاناة من قانيت بين الشيئين : أى خلطت أحدهما بالآخر . والمحلل : الذى لم يكثر حلول الناس عليـــه فيكدرونه بكثرة وروده ؛ يريد تشبيه محبوبته ببيضة النعامة التى يخالط بياضها صفرة ، وهو من الألوان التى تحمد عند العرب ؛ وأن غذاءها المـاء العذب الصافى الذى لم يكدره الواردون .

(٥) البرج بفتح أوّله وثانيه فى العين : نقاء بياضها وصفاء سوادها ، أو هو اتساعها . والدعج : شدّة سواد العين .

فوقع[1] الآشتراك بينهما فى وصف المرأة بالصُّفرة ، غيرَ أنّ الأوّل شبّه الصفرة ببَيضة النعامة ، والآخر وصفها بالفضّة المُمَوَّهة ؛

ومن الآشتراك المعنوىّ ما ليس بحسَن ولا معيب ، كقول كُثيّر :

وأنتِ التى حبّبتِ كلّ قصيرة * إلىّ وما تدرى بذاك القصائر

عَنَيتُ قَصيراتِ الحِجال ولم أُرِد * قِصارَ الخُطَا ، شرُّ النساء البحاتر[2]

فإن لفظة قصيرة مشتركة ، فلو آقتصر على البيت الأوّل لكان الآشتراك معيبا لكنه لما أتى بالبيت الثانى زال العيب ، ولم يبلُغ رتبة الحسن لما فيه من التضمين .

وأما التهكّم — فالفرق بينه وبين الهزل الذى يراد به الجِدّ أن التهكّم ظاهره جِدّ وباطنه هزل ، والهزل الذى يراد به الجِدّ على العكس منه ، فمن التهكّم قولُ الوَجيه الذرْوىّ فى آبن أبى حصينة من أبيات :

لا تَظنَّنّ حَدْبة الظّهر عيبا * فهى فى الحُسن من صفات الهلال

وكذاك القِسىّ مُحْدَوْدِباتٌ * وهى أنكَى من الظُّبا والعَوالى

وإذا ما علا السَّنام ففيه * لقُروم الجِمال أىُّ جَمال

وأرَى الآنحناء فى مِخلَب البا * زِى ولم يَعْدُ مِخلَبَ الرِّئبال

كوّن الله حَدْبة فيك إن شئـ * ـتَ من الفضل أو من الإفضال

فأتت رَبْوةً على طَود علم * وأتت مَوْجةً ببحر نوال

ما رأتها النساء إلا تمنّت * أنها حِليةٌ لكلّ الرجال

(١) فى الأصل : « فوقوع » ؛ والواو الثانية زيادة من الناسخ .

(٢) البحاتر : القصار من النساء ، واحده بحترة .

ثم ختمها بقوله :

وإذا لم يكن من الهجر بُدٌّ (١) * فعسى أن تزورنا فى الخيال

وكقول ابن الرومىّ :

فيـاله مِن عمـل صالح * يرفعــه الله إلى أســفل .

وأما التدبيج — وهو أن يذكر الشاعر أو الناثر ألوانا يقصد بها الكناية أو التورية بذكرها عن أشياءَ من وصف أو مدح أو هجاء أو نَسِيب أو غيرِ ذلك من الفنون ، فمن ذلك قولُ الحريرىّ فى بعض مقاماته : فمذ ازورّ المحبوبُ الأصفر، واغبرّ العيش الأخضر ، اسودّ يومى الأبيض (٢) ، وابيضّ فَوْدِى الأسودَ ، حتى رَثَى لى العدوّ الأزرق ، فحبّذا الموتُ الأحمر .

وهذا التدبيج بطريق التورية . وقال بعض المتأخِّرين يصف موقف السلطان الملك النـاصر بمَصاف شَقْحَب (٣) الكائن بينه وبين التتار فى شهر رمضان سنة اثنتين وسبعمائة :

وما زال بوجهه الأبيض ، تحت عَلَمه الأصفر ، يكابِد الموت الأحمر ، تجاه العدوّ الأزرق ، الى أن حال بينهما الليل الأسود ، وبكّر فى غُرّة نهار الأحد الأشعل وامتطَى السبيل الأحوَى الى أن حلّ بالأبلَق . يريد بالأبلق : القصرَ الظاهرىّ الذى بالمَيْدان (٤) الأخضر بظاهر مدينة دِمَشق ؛ ومن أمثلة هذا الباب قولُ ابن حَيُّوس الدِّمشقى : [٧٠]

(١) فى الأصل : «تزورينى» ؛ والياء زيادة من الناسخ .

(٢) فى الأصل : «يومى» ، وهو تحريف .

(٣) قال فى القاموس شقحب كجعفر : موضع قرب دمشق . والذى يستفاد من تاريخ أبى الفداء ج ٤ ص ٥٠ ط القسطنطينية أن هذا الموضع فى طرف مرج الصُّفَّر .

(٤) فى الأصل : «البيت» ؛ وهو تحريف .

إن تُرد عِلْم حالهم عن يقين * فالْقَهم يوم نائل أو قتال

تلقَ بِيضَ الوجوه سُودَ مُثار النَّـ * ـقع خُضرَ الأكناف حُمرَ النِّصال .

وأما الموجّه — فهو الذى يَمدح[(١)] بشىء يَقتضى المدح بشىء آخَر، كقول المتنبي :

نَهَبتَ من الأعمار مالو حَوَيتَه * لهُنِّئت الدنيا بأنك خالد

وكقوله أيضا :

عُمْر العدوّ إذا لاقاه فى رَهَج * أقلُّ مِن عُمْر ما يَحوى إذا وَهبا

فأوّل البيتين وصفٌ بفرط الشجاعة، وآخر الأوّل بعلوّ الدرجة ، وآخر الثانى بفرط الجــود .

وأما تَشابه الأطراف — فهو أن يَجعل الشاعر[قافيةَ][(٢)] بيته الأوّلِ أوّلَ البيت الثانى، وقافيةَ الثانى أوّلَ الثالث، وهكذا إلى انتهاء كلامه، ومِن أحسنِ ما قيل فيه قولُ ليلى الأَخْيَلِيّة تمدح الحجّاج :

إذا نزل الحجّاج أرضا مريضة * تَتَبّعَ أقصى دائها فشَفاها

شَفاها مِن الداء العُضال الذى بها * غلام اذا هَزّ القناة سقاها

سقاها فرَوّاها بشُرب سِجالها * دماءَ رجال يَحلُبون صَراها[(٣)] .

هذا ما أَورده فى حسن التوسّل من علوم المعانى والبيان والبديع، وقد أَتينا على أكثره بنَصّه لِمَا رأيناه من حسن تأليفه ، وبديع ترصيفه ، وأنّ اختصاره لا يمكن

---

(١) كذا فى الأصل . والذى فى حسن التوسل : « هو أن يمدح » ؛ وهو أظهر، فإن التعريف عليه يكون لنفس هـذا النوع من الكلام؛ ومقتضى عبارة الأصل أن التعريف لنفس المتكلم ، وهو غير ما سار عليه فى تعريف سائر الأنواع .

(٢) هذه الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن حسن التوسل ، إذ بها يستقيم التعريف .

(٣) الصرى : اللبن الفاسد المتغير الطعم ، استعارته هنا للدماء .

إلا عند الإخلال بفائدة لا يُستغنَى [ عنها ](١) فلم نحذف منه إلا ما تكرّر من الأمثلة والشواهد ، لاستغنائنا بما أوردناه عمّا حذفناه ؛ فالنِّسبةُ فيه إلى فضائله وفضله والعُمدةُ على شواهده ونقله ؛ فلقد أحسن التأليف ، وأجاد التعريف ، واحتمل التوقيف ، وحرّر الشواهد ، وأوضح السبيل حتى صار الغائبُ عن هذه الصناعة إذا طالع كتابه كالشاهد ، وأبدع فى صناعة البديع ، وبيّن علم البيان بحسن الترصيف والترصيع ، واعتنَى بألفاظ المعانى فصرّف أعنّتها ببنانه ، وأبان مُشكلها فأحسن فى بيانه ، وحلّ من التعقيد عِقالها الذى عجز غيرُه عن حلّه ، وسهّل للأفهام مقالها فأبرزته الألسنة من مُحرَّم اللفظ إلى حِلّه ؛ فله المِنّةُ فيما ألّف ، والفضلُ بما صنّف .

وأما ما يتصل بذلك من خصائص الكتابة — فالاقتباس والاستشهاد والحل :

[ فالاقتباس ](١) هو أن يُضمّن الكلام(٢) شيئا من القرآن أو الحديث ، ولا يُنبّه عليه للعِلم به ، كما فى خُطَب ابن نُباتة ، كقوله : فيا أيها الغَفَلةُ المُطرِقون ، أما أنتم بهذا الحديث مصدِّقون ؟ مالكم لا تُشفقون ؟ ﴿ فوربِّ السّماءِ والأرضِ إنّهُ لحقٌّ مِثلَ ما أنّكم تنطِقونَ ﴾ . وكقوله أيضا : يوم يبعث الله العالمين خَلقا جديدا ، ويجعل الظالمين لجهنّم وَقُودا ، يوم تكونون "شُهداءَ على النّاسِ ويكونَ الرّسولُ عليكم شهيدًا" ﴿ يومَ تجدُ كلُّ نفسٍ ما عمِلتْ مِنْ خيرٍ مُحضرًا وما عمِلتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لو أنَّ بينَها وبينَهُ أمدًا بعيدًا ﴾ .

ومن ذلك ما أورد المولى شهابُ الدين محمود فى تقليد عن الإمام الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بالسلطنة ، جاء منه : وجمع بك شمل الأمة بعد أن "كادَ يَزِيغُ

(١) هذه الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل . والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) كذا فى حسن التوسل . والذى فى الأصل : « الكاتب » .

قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ" ، وعضّدك لإقامة إمامته بأولياء دَوْلتك الذين رَضِىَ الله عنهم؛ (٧١) وخصّك بأنصار دينه الذين نَهضوا بما أُمِروا به من طاعتك وهم فارهون ، وأظهرك على الذين " ابْتَغَوُا الْفِتْنَـةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ" وأمثال ذلك .

وأما الاستشهاد بالآيات — فهو أن ينبّه عليها ، كقول الحريرى : فقلتَ وأنت أصدق القائلين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ ونحو ذلك .

وفى الأحاديث بالتنبيه عليها أيضا ، كقول المولى شهاب الدين محمود فى خُطبة تقليد حاكمىّ : ونصلى على سيدنا محمد الذى استخرجه الله من عُنْصُر أهله وذويه ، وشرّف قدر جدّه بقوله فيه : " إنّ عمّ الرجل صِنْوُ أبيه" وسرّه بما أسرّ إليه من أنّ هذا الأمر فُتِح به ويُختَم ببنيه . وأمثالُ ذلك [لا تُحصَر] (١) .

[وأما الحَلّ] (١) — وهو باب مُتّسِع المجال ، ومَلاك أمر المتصدّى له أن يكون كثير الحفظ [للأحاديث النّبويّة والآثار والأمثال والأشعار ليُنفِقَ منها وقت الاحتياج إليها] (١) .

قال : وكيفيّة الحَلّ أن يتوخّى هَدمَ البيت المنظوم ، وحَلّ فرائده من سِلكه ، ثم يرتّب تلك الفرائدَ وما شابهها ترتيبَ متمكّن لم يَحْصُرْه الوزن ، ويُبرِزَها فى أحسن سلك ، وأجملِ قالَب ، وأصحّ سَبْك ، ويكمّلها بما يناسبها من أنواع البديع إن أمكن ذلك من غير كُلْفة ، ويتخيّر لها القرائن ، واذا تم معه المعنى المحلول فى قرينة واحدة يَعْزِم له من حاصل فكره ، أو من ذخيرة حفظه ما يناسبه ، وله أن ينقُل المعنى إذا لم يُفسِده إلى ما شاء ، فإن كان نَسيبا وتأتّى له أن يجعله مديحا فليفعل ، وكذلك غيره

(١) هذه التكلة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن حسن التوسل .

من الأنواع ؛ واذا أراد الحَلّ بالمعنى فلتكن ألفاظه مناسبةً لألفاظ البيت المحلول غيرَ قاصرة عنها، فمتى قَصُرت عنها ولو بلفظة واحدة فســد ذلك الحلّ وعُدّ معيبا ؛ واذا حَلّ باللفظ فلا يَتصرّف بتقديم ولا تأخير ولا تبديل إلا مع مُراعاة نظام الفصاحة فى ذلك ، واجتنابِ ما يَنقُص المعنى ويَحطّ رتبته ؛ وهذا الباب لا تنحصر المقاصد فيه، ولا تَحْجُرَ على المتصرِّف فيه .

قال : ومما وقع التصرّف فيه بزيادة على المعنى قولُ ضياء الدين بنِ الأثير الجَزَرىّ فى ذكر العصا التى يَتوكّأ عليهــا الشــيخ الكبير : وهذه لمبتدا ضَعفى خَبَر، ولقَوس ظهرى وَتَر، واذا كان إلقاؤها دليلا على الإقامة فإنّ حَمْلَها دليل على السَّفر .

والمحلول فى ذلك قولُ بعضهم :

كأنّنى قَوسُ رامٍ وهى لى وَتَرُ ٭

وقولُ الآخر :

فألقت عصاها وآستقَرّت بها النوَى ٭ كما قَرّ عَينــا بالإياب المسافرُ

وأما ما يحتاج فيه الى مؤاخاة القرينة المحلولة بمثلها أو ما يناسبها فكما قال المولى شهاب الدين محمود فى تقليد :

فكم مَلّ ضَوءُ الصبح ممــا يُغيره، وظَلامُ النَّقْع مما يُثيره ؛ وحديد الهند مما يلاطمه والأجَلُ مما يسابقه الى قَبْض الأرواح ويزاحمه .

والقرينتان الأوليان نِصْــفا بيتين للتنبّى ، فأضــاف الى كل قرينة ماينـاسبها ، وهذا مِن أكثرِ ما يستعمل فى الكتابة، ولا يَنبغى للكاتب أن يعتمــد فى جميع كتابته على الحَلّ، فيتّكِلَ خاطره على ذلك، ويذهب رَوْنَقُ الطبع السليم، وتَقِلّ مادّة الانسجام بل يكون آستعمال ذلك كاستعمال البديع اذا أتى عفْوا من غير تكلّف ليكون كالشاهد

على صحــة الكلام ، والدالّ على الأطلاع ، وكالرَّقم فى الثوب ، والشَّذْرة فى القِلادة والواسطةِ فى العِقد ، إذ لا ينبغى للكاتب أن يُخْلِىَ كلامه من نوع من أنواع المحاسن .

و يقرُب من هــذا النوع التلميح ، وقد تقدّم ذِكره فى بعض أبواب البديع ، والذى يقع فى بعض ٱستعماله فى مِثل ذلك مِثلُ قول الحَريرىّ : وإنّى والله لطالمــا لقيت الشتاء بكافاته ، وأعددتُ الأُهْبةَ له قبْل مُوافاته . يشير الى بيتَى ٱبنِ سُكَّرة :

جاء الشتاء وعندى من حوائجه *

وهى مشهورة .

فإذا عرف الكاتب هــذه العلوم ، وأتى الصناعة من هذه الأبواب تعين عليه أمورٌ أُخَرُ نذكرها الآن .

## ذكر ما يتعين على الكاتب ٱستعماله والمحافظة عليه والتمسّك به وما يجوز فى الكتابة وما لا يجوز (٧٣)

قال إبراهيم بنُ محمد الشَّيْبانىّ : فإن ٱحتجتَ الى مخاطَبة الملوكِ والوزراءِ والعلماءِ والكُتّابِ والأدباءِ والخطباءِ والشعراءِ وأوساطِ الناس وسُوقتهم ، فخاطِبْ كلًّا على قدر أُبّهته وجلالته ، وعلوّه وٱرتفاعه ، وفطنتــه وٱنتباهه ، ولِكلّ طبقة من هذه الطِّباق مَعانٍ ومذاهبُ يجب عليك أن ترعاها فى مراسلتك إيّاهم فى كتبك ، وتزنَ كلامك فى مخاطَبتهم بميزانه ، وتعطِيَه قِسمته ، وتُوفِّيَه نصيبه ، فإنك متى أهملتَ ذلك وأضعتَه لم آمن عليك أن تعدِل بهم عن طريقهم ، وتَسلُك بهم غير مَسلكهم ، وتُجرىَ شعاع بلاغتك فى غير مجراه ، وتَنظِمَ جوهرَ كلامِك فى غير سلكه ، فلا تعتدّ بالمعنى الجَزْل ما لم تُلبِسه لفظا [لائقا بمن كاتبتَه ، وملامسا لمن راسلتَه](١) ، فإنّ إلباسَك المعنى

(١) التكملة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٦ ط العثمانيــة ؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها وموضعها بالأصل جملة مكررة مع ما سيأتى ، وهى قوله : « مختلفا على قدر المكتوب اليه » .

— وإن صحّ وشَرُف — لفظا مختلِفا عن قدر المكتوب اليه لم تَجرِ به عادته تهجينٌ للمعنى وإخلالٌ بقدْره، وظلم يلحق[1] المكتوب اليه[2]، ونقصُ ما يجب له؛ كما أنّ فى آتباع تعارُفِهم، وما آنتَشرت به عادتهم، وجرت به سُنّتهم، قَطعا لعذرهم، وخروجا من حقوقهم، وبلوغا إلى غاية مُرادهم، وإسقاطا لحُجّة أدبهم .

وقال أحمد بنُ محمد بن عبد ربّه : فآمتثلْ هـذه المذاهبَ، وآجر [على هـذا][3] القِوام، وتحفّظْ فى صـدور[4] كتبك وفصولهـا وآفتتاحها وخواتمها، وضَع كلّ معنى فى موضع يليق به، وتخيّر لكلّ لفظـة معنى يشـاكلها، وليكن ما تختم به فصولك فى موضع ذكر البلوى بمثل : « نسأل الله دَفْعَ المحذور، وصَرْفَ المكروه » وأشباه ذلك؛ وفى موضع ذكرِ المصيبة : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾؛ وفى موضع ذكر النعمة : « الحمد لله خالصا، والشكر لله واجبا » وما يشاكل ذلك، فإن هذه المواضع ممـا يتعيّن على الكاتب أن يتفقّده ويتحفّظ منه، فإن الكاتب إنمـا يصير كاتبا بأن يضعَ كلّ معنى فى موضعه، ويعلّق كلّ لفظة على طَبَقتها فى المعنى .

قال : واعلم أنه لايجوز فى الرسائل آستعمال ما أتت به آىُ القرآن من الآختصار والحذف، ومخاطَبـة الخاصّ [بالعامّ][5] والعامّ بالخاصّ، لأن الله تعالى إنمـا خاطب

(١) كذا فى الأصل . والذى فى العقد الفريد : «بحق المكتوب» الخ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) فى الأصل : « عليه »؛ وهو تحريف، والتصويب عن العقد الفريد .

(٣) فى الأصل : « واجر عليها القوم »؛ وفيه نقص، والزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٨ ط العثمانيـة، والذى فى العقد : « هذه »؛ وهو غير مستقيم كما لا يخفى، والقوام بكسر القاف : نظام الأمر وملاكه وعماده .

(٤) كذا فى العقد الفريد . والذى فى الأصل : « فى صدرك »؛ وهو تحريف .

(٥) الزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٨ ط العثمانية؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها .

بالقرآن قوما فُصَحاء فَهِموا عنـه — جلّ ثناؤه — أمرَه ونهيَه ومراده، والرسائل إنما يخاطَب بها قوم دُخلاء[1] على اللغة لاعلم لهم بلسان العرب؛ وكذلك ينبغى للكاتب أن يتجنّب اللفظ المشترَك، والمعنى الملتبِس، فإنه إن ذهب ليكاتِب على معنى قول الله تعـالى : ﴿ وَٱسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَـا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِى أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ وكقوله تعالى ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْـلِ وَٱلنَّهَـارِ ﴾ آحتاج أن يبيّن أن معناه : آسأل أهلَ القرية، وأهل العِير، و بل مكرُكم بالليل والنهار؛ قال : وكذلك لا يجوز أيضا فى الرسائل والبلاغات المنثورةِ ما يجوز فى الأشـعار الموزونة، لأن الشاعر مضطرّ، والشعر مقصور مقيَّد بالوزن والقوافى، فلذلك أجازوا لهم صرْف ما لا ينصرف من الأسمـاء، وحذْف ما لا يُحذف منها، واغتَفَروا[2] فيه سوء النّظم، وأجازوا فيه التقديم والتأخير، والإضمار فى موضع الإظهار، وذلك كله غيرُ سائغ فى الرسائل، ولا جائز فى البلاغات؛

فما أجيز فى الشعر من الحذف قولُ الشاعر :

* قَواطِنا مكّةَ من وُرقِ الحَمَا *

يريد الحَمَام، وكقول الآخر :

* صفْرِ الوِشاحَين صَمُوت الخَلْخَلِ *

يريد الخَلْخَال، وكقول الحُطَيئة :

فيها الرماح وفيها كلُّ سابغة * جَدْلاءَ مَسرودةٍ من فعْلِ[3] سلّامِ

يريد سليمان، وكقول الآخر :

وسائلةٍ بثَعلبةَ بنِ سَـير * وقد عَلِقَت بثعلبةَ العَلُوقُ[4]

(١) كذا فى العقد الفريد . وعبارة الأصل : « جهلاء عن » الخ، وهو تحريف .
(٢) فى الأصل : « واعتبروا » ؛ وهو تحريف .
(٣) كذا فى الأصل . والمشهور فى روايته : « من نسج » .
(٤) العلوق بفتح العين : المنيّة .

يريد ثعلبة بن سيار (١)، وكقول الآخر :

فلستُ بآتيــه ولا أســتطيعه * وَلاكِ آسقنى إن كان ماؤكَ ذا فَضْلِ

(٧٣)

[أراد ولكن] (٢) قال : وكذلك لا ينبغى فى الرسائل أن يُصغَّر الآسمُ فى موضع التعظيم و إن كان ذلك جائزا، مثلُ قولهم : دُوَيْهِيَةٌ تصغيرَ داهية، وجُذَيْلٌ وعُذَيْق، تصغيرَ جِذْلٍ وعِذْقٍ (٣) . قال لبيد :

وكلُّ أُناس سوف تَدخُل بينهم * دُوَيْهِيَــةٌ تصفرُّ منهــا الأناملُ

قال : فتخيَّرْ فى الألفاظ أرجَحها وزنا ، وأجزلَهــا معنى ، وأشرفَهــا جوهرا وأكرمَها حَسَــبا ، وأَلْيَقَها فى مكانها ، وأَدِرِ الكلام فى أماكنه ، وقَلِّبْــه على جميع وجوهه، ولا تجعل اللفظة قَلِقة فى موضعها، نافرةً عن مكانها، فإنك متى فعلت ذلك هَجَّنتَ الموضع الذى حاولتَ تحسينه ، وأفســدتَ المكان الذى أردتَ إصــلاحه فإنّ وضعَ الألفاظ فى غير أماكنها، والقصــدَ بها إلى غير مَظانّها، إنمــا هو كترقيع الثوب الذى إن لم تتشابهْ رِقاعُه، ولم تتقاربْ أجزاؤه، خرج عن حدّ الجِدّة، وتغيَّر حسنه، كما قال الشاعر :

إنّ الجديدَ إذا ما زيد فى خَلَق * يَبِين للناس أنّ الثوب مرقوعُ

آنتهى ما أورده آبنُ عبدِ ربِّه .

وقال المولى الفاضــل شهاب الدين محمود الحلبىّ : وممــا يتعيّن على الكاتب آستعمالُه ، والمحافَظةُ عليه، والتمسّكُ به، إعطاءُ كلِّ مَقام حقّه، فإذا كَتب فى أوقات

(١) فى الأصل : «يسار» ؛ وفيه قلب، والتصويب عن شرح القاموس . ويدل عليه أيضا ما تقدم فى البيت .

(٢) التكملة عن العقد الفريد ج ٢ ص ١٥٢ ط الشرفية ؛ وقد أثبتناها ليوافق ما مر فى الأبيات التى قبله، إذ أنه بعد إيراد البيت يعقبه بمراد قائله من الكلمة التى حذف بعض حروفها .

(٣) الجذل : عود ينصب للإبل الجَرْبى تحتك به لتشفى ؛ أو هو ما عظم من أصول الشجر. والعذق : النخلة بحملها ؛ أشار بهذا الى قول الحباب بن المنذر يوم السقيفة : أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجّب .

الحروب إلى نُوّاب المَلِك عنه ، وإلى مقدَّمِى الجيوش والسَّرايا، فليَتوخَّ الإيجاز والألفاظ البليغة الدالَّة على القصد من غير تطويل ولا بَسْط يضيِّع المَقصِد، ويَفصل الكلام بعضه من بعض ، ولا تهويل لأمر العدو يُضْعِف به القلوب، ولا تهوين لأمرٍ يحصُل به الاغترار . وذكر لذلك أمثلة من إنشائه .

قال : فمن ذلك صُورةُ كِتاب أنشأتُه الى مقدَّم سَرِيَّةِ كَشْف — ولم أُكتَب به — وهو :

لا زال أَخَفَّ فى مقاصده من وَطْأة ضيف، وأَخفَى فى مطالبه من زَوْرة طَيف، وأسرعَ فى تنقُّله من سحابة صيف، وأَرْوَع للعدا فى تَطلُّعه من سَلَّة سيف، حتى يَعجَب عدوّ الدِّين فى الاطِّلاع على عوراته مِن أين دُهِى وكَيف ؟ ويَعلم [أنّ](١) مَن أوّلُ قِسمتِه اللّقاءُ حصل عليه فى مقاصده الحَيْفُ(٢)؛ أصدرناها إليه نُحثُّه على الركوب بطائفة أعجلَ من السَّيل، وأهولَ من الليل، وأَيمَنَ من نواصى الخيل؛ وأقدمَ من النَّمِر، وأَوْقعَ على المقاصد من الغيث المُنهمِر، وأَرْوَغَ فى مُخاتَلة العُدا من الذئب الحَذِر؛ على خيل تجرى ما وَجدتْ فَلاه ، وتطيع راكبها مهما أراد منها سرعةً أو أناه ؛ تَتَسَنَّم الجبالَ الشُّمَّ كالوَعِل(٣) ، وإذا جارتها البُروق غدت وراءها

* تمشى الهُوَينا كما يمشى الوَجِى(٤) الوَجِل * وليكن كالنجم فى سُراه، وبُعدِ ذُراه؛ إن جرى فكَسَهْم، وإن خَطَر فكوَهْم؛ وإن طَلَب فكالليل الذى هو مُدرِك، وإن طُلِب فكالجنّة التى لا يجد رِيحَها مُشرِك؛ حتى يأتى على عدوّ الدّين من كل شَرَف،

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد نقلناها عن حسن التوسل .

(٢) فى الأصل : «بالحيف»؛ والباء زيادة من الناسخ إذ لا مقتضى لها فى هذه العبارة .

(٣) الوعل بكسر العين وسكونها : تيس الجبل .

(٤) الوجى بكسر الجيم : من الوجَى بفتحها، وهو الحفا أو أشد منه

ويَرى جَمْعَــه من كل طَرَف ، ولا يُسرِف فى الإقامة عليه إلا إذا علم أنــ الخير فى السَّرَف ؛ وليُحرِز جَمْعَهم ، ويَسبِق إلى التحرز منهم بَصَرَهم وسَمْعَهم ؛ ويَنظُرْهم بعين منعها الحَزْم أن تَرى العَدد الكثير قليلا ، وصَدَّها العزم أن تَرى العــدوّ الحقير جليلا ؛ بل تَرى الأمر على فَصّه ، وتَروِى الخبرَ على نَصّه ؛ وإن وَجد مغرِّرا فليأخذ خَبَره ، إن قَدَر على الإتيان بعَينــه وإلّا فليذهب أَثَرُه ؛ ولا يَهِيج فيما لديه نارَ حرب إلا بعد الثقة بإطفائها ، ولا يُوقظ [ عليــه ](١) عينَ عدوّ مهما(٢) ظهر له أن [ المصلحة فى إغفائها ](٣) ؛ وليَكشِف منــ أمورهم مايُبدِى عند المُلتقَى عَورتَهم ، ويُخمِدُ فى حالة الزَّحْف فَورتَهم ؛ وليجعل قلبه فى ذلك رَبيئةَ طَرْفه ، وطَليعةَ طَرْفه ، وسَرِيّةَ كَشْــفه والله تعالى يُمِدّه بلطفه ، ويحفظه بمعقِّبات مِن بين يديه ومِن خَلْفه . (٧٤)

وإذا كَتَب عن المَلِك فى أوقات حركات العدوّ الى أهل الثغور يُعلمهم بالحركة للقاء العدوّ ، فليبسُط القول فى وصف العزائم ، وقوّةِ الهِمم ، وشدّةِ الحَميّة للدين ، وكثرةِ العساكر والجيوش ، وسرعةِ الحركة ، وطيِّ المَراحل ، ومعالجةِ العدوّ ، وتخييلِ أسباب النصر ، والوُثوقِ بعوائد الله فى الظَّفَر ، وتقويةِ القلوب منهم ، وبَسْطِ آمالهم ، وحَثِّهم على التيقظ ، وحَضِّهم على حفظ ما بأيديهم ، وما أشبه ذلك ، ويُبرِزه فى أمتن(٤) كلام وأجلِّه وأمكَنه ، وأقرَبِه منــ القوّة والبَسالة ، وأبعــده من اللِّين والرقّة ، ويبالغ فى وصف الإنابة إلى الله تعالى ، وآستنزالِ نصره وتأييده ، والرجوع إليه فى تثبيت

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن حسن التوسل .

(٢) مهما فى هذه العبارة إما حرف بمعنى إن الشرطية ، أو ظرف بمعنى متى ، وكلا الأستعمالين ضعيف . انظر مغنى اللبيب ج ٢ ص ١٩ و ٢٠ ط الحلبي .

(٣) هذه التكملة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن حسن التوسل إذ بها تستقيم العبارة ؛ وموضعها فى الأصل كلمتان مكررتان مع ما سيأتى ، وهما : «الزحف فورتهم» .

(٤) فى حسن التوسل : «أبين» ؛ وكلاهما يصح به المعنى .

الأقدام، والآعتصام به فى الصبر، والآستعانة به على العدوّ، والرغبة إليه فى خذلانهم، و زلزلة أقدامهم، وجعل الدائرة عليهم، دون التصريح بسؤال بُطلان حركتهم، ورجاء تأخُّرهم، وآنتظار العَرَضيّات فى خُلْفهم، لما فى ذلك من إيهام الضَّعف عن لقائهم وآستشعار الوَهْن والخوف منهم، وليسلُك فى مثل ذلك كما سَلك المولى شهاب الدين محمود فى نحو ما كتب فى صدر كتاب سلطانىّ إلى بعض نُوّاب الثغور عند حركة العدوّ، فإنه قال :

أصدرناها ومنادى النّفير قد أعلن : ياخيل آلله آركبى[1]، و يا ملائكة[2] آلرحمن آصحبى ويا وفود الظَّفَر والتأييد آقرُبى؛ والعزائم قد ركضت على سوابق الرُّعب إلى العِدا والهِممُ قد نهضت إلى عدوّ الإسلام فلو كان فى مَطْلَع الشمس لآستقربتْ ما بينها و بينه من المدى؛ والسيوفُ قد أنِفت من الغُمود فكادت تنفِر من قُربها ، والأسنّةُ قد ظَمِئت الى موارد القلوب فتشوقت الى الآرتواء من قُلُبها[3]؛ والكُماةُ قد زأرت كالليوث إذا دنت من فرائسها[4]، والجياد قد مَرِحت لِما عوّدتْها من الآنتعال بجماجم الأبطال فوارسُها؛ والجيوشُ قد كاثرت النجوم أعدادُها، وسايرتْها للهجوم على أعداء الله من ملائكته الكرام أمدادُها؛ والنفوسُ قد أضرمت الحَميّةُ نارَ غضبها، وعداها[5] حَرُّ الإشفاق على ثغور آلمسلمين عن بَرْد الثغور وطيب شَنَبها؛ والنصرُ قد أشرقت

(١) أراد بالخيل هنا فرسانها .

(٢) فى الأصل : «وللملائكة»؛ وما أثبتناه عن حسن التوسل إذ هو المناسب لسياق ما قبله وما بعده من الكلام .

(٣) القلب بضم القاف : الآبار، واحده قليب بفتحها .

(٤) عبارة حسن التوسل : «دنت فرائسها» بدون «من»؛ وهو أظهر، إذ به يحصل السجع الذى توخاه الكاتب فى رسالته .

(٥) عداها : صرفها، يقال : عدته العوادى عن كذا، أى صرفته الصوارف .

فى الوجود دلائلُه ، والتأييــدُ قد ظهرت على الوجوه مَخَـايلُه ، وحُسْنُ اليقين بالله فى إعزاز دينــه قد أنبأت بحسن المآل أوائلُه ؛ والألسنُ باستنزال نصر الله لَهِجه والأرجاءُ بأرواح القبول أَرِجه ، والقـلوبُ بعوائد لطف الله بهـذه الأمّة مبتهِجه والحُماةُ وما منهم إلا من استَظهَر بإمكان قوّته وقوّة إمكانه ، والأبطالُ وليس فيهم من يسأل عن عَدَد عدوٍّ بل عن مكانه ؛ والنّيات على طلب عدوّ الله حيث كان مجتمعه والخواطرُ مطمئنّةٌ بكونها مع الله بصدقها ، ومن كان مع الله كان الله معه ؛ وما بقِىَ إلا طىُّ المَراحل ، والنزولُ على أطراف الثـغور نزولَ الغيث على البـلَد المـاحل ؛ والإحاطةُ بعـدوّ الله من كل جانب ، و إنزالُ نفوسهم على حكم الأمَرّين الأمَرّين : مِن عذاب واصب ، وهمٍّ ناصب ؛ و إحالةُ وُجودهم إلى العَـدَم ، و إحالةُ السيوف التى [إن](١) أنكرتْها أعناقُهم فما بالعهد من قِدَم ؛ واصطلامُهم(٢) على أيدى العصابة المؤيَّدة بنصر الله فى حربها ، وابتلاؤهم من حَمَلاتها بريح عادٍ التى تدمِّر كل شىء بأمر ربها ؛ فليكن مرتقِبا لطُلوع طلائعها عليــه ، متيقِّنا من كرم الله استئصالَ عدوّه الذى إن فرّ أدركتْه مِن ورائه ، و إن ثَبت أخذتْه مِن بين يديه ؛ وليجتهد فى حفظ ما قِبَـله من الأطراف وضَمّها ، وجَمع سَوام الرعايا من الأماكن المتخوَّفة ولَمِّهَا ، و إصـلاحِ ما يُحتاج إلى إصـلاحه من مسالك الأرباض المتطرِّفة ورَمِّها ، فإنّ الاحتياط على كل حال مِن آكَدِ المصالح الإسلاميّة وأَهمِّها ؛ فكأنه بالعدوّ وقد زال طمَعُه ، وزاد ظَلَعُه ؛ وذَمّ عقبى مَسيرِه ، وتحقّق سُوءَ منقلَبه ومصيرِه ، وتبرّأ منـه الشيطان الذى دلّاه بغُروره ، وأصـبح لحمُهُ موزَّعا بين ذئاب الفلا وضباعها ، و بين عقْبانِ الجوّ (٧٥)

(١) هــذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن حسن التوســل ص ٩٤ ط الوهبية إذ بها يستقيم الكلام .

(٢) الاصطلام : الاستئصال .

ونُسوره، ثِقةً من وعد الله الذى تمسّكنا منه باليقين ، وتحقّقنا أن الله ينصر من ينصره وأن العاقبة للتقين .

قال : وزيادةُ البسط فى ذلك ونقصُها بحسب المكتوب إليه .

وإذا كَتب فى التهانى بالفُتوح، فليس إلّا بَسْطُ الكلام ، والإطنابُ فى شكر نِعَم الله، والتبرؤ من الحَول والقُوّة إلّا به، ووصْفُ ما أُعطى من النصر، وذِكرُ ما مَنَح من الثّبات، وتعظيمُ ما يَسّر من الفتح، ثم ما وَصَف بعد ذلك من عزمٍ وإقدامٍ وصبرٍ وجَلَد عن المَلِك وعن جيشه حَسُن وصفُه، ولاقَ ذِكرُه، وراقَ التوسيع فيه ، وعذُب بَسْط الكلام فيه؛ ثم كلّما آتسع مجال الكلام فى ذكر الواقعة ووصفِها كان أَحسنَ [وأَدَلَّ على البلاغة، وأَدعَى لسرور المكتوب إليه، وأَحسنَ](١) لموقع المِنّة عنده، وأَشهَى إلى سمعه، وأَشفَى لغَليل تَشوّقه إلى معرفة الحال على جَلِيّته، ولا بأس(٢) بتهويل [أمرِ](٣) العدوّ، ووصف جَمْعه وإقدامه، فإن تصغير أمره تحقيرٌ للظَّفَر به؛ وقد ذكرنا فى باب التهانى من ذلك ما تقدّم شرحُه ، فلنذكر فى هذا الموضع من كلامه فيه ما لم نُورده فى باب التهانى؛

قال : وإن كان المكتوب إليه مَلِكا صاحبَ مَمْلَكة منفردة تَعيّن أن يكون البَسْط أكثرَ، والإطنابُ أَمدَّ، والتهويلُ أَبلغَ، والشرحُ أَتمَّ؛ فمن ذلك فصلٌ كتبته فى جواب ابن الأحمرِ صاحبِ غَرْناطَةَ من جزيرة الأَندلُس، قال :

أما بعد حمد الله الذى أيّدنا بجنودِه ، وأَنجز لنا من نصرِ الأمّة صادقَ وُعودِه وخَصّنا من آستدامة الفُتوح بمزايا مَزِيده، وأيّدنا بنصره، ونَصَرنا بتأييده، والصّلاة

(١) هذه التكلة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل ص ٩٥ ط الوهبية .

(٢) فى الأصل : «ولا يأمن» ؛ وهو تحريف .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل إذ لا تستقيم العبارة بدونها .

والسلام على سيدنا محمد أشرف رسله ، وخاتم أنبيائه ، وأكرم عبيده ، وأعزّ من دعا الأمم وقد أنكرت خالقها الى الإقرار بتوحيـــده ، وعلى آله وصحبه الذين أشرق أفق الدين منهم بكواكب سعوده ؛ فإنا أصدرناها ونِعَمُ الله تعالى بنا مُطيفه ، ومواقعُ نصره عنـدنا لطيفه ، وجنودُ تأييده لممالك الأعداء الى ممالكنا الشريفة مُضيـفه ، وثغورُ الإسلام بذَبّنا عن دين الله منيره ، وبإعلائنا منارَ الهدى مُنيفه ؛ ونحن نحمد الله على ذلك حمدا نستدِرّ به أخلافَ الظَّفَر ، ونســتديم به موادَّ التأييد على مَن كفر ، ونَستمدّ به عوائدَ النصر التى كم أَقدمها علينا إقدام ، وأسفر لنا عنها وجهُ سَفَر ؛ ونُهدى إليه ثناءً تعبَق بنَشْر الرياض خمائلُه ، وتنطق بمحض الوداد مخايلُه ، وتُشرق على أُفق مفاخره غَدَواتُه وأصائلُه ؛ يُشافه مجدُه بمصُونه(١) ، ويُصارح فخرُه بمكنونه ، ويجلو على حضرته العليّة عقائلَ الشَّرَف من أبكار الهناء وعُونه ؛ ونُبدى لعلمه الكريم ورودَ كتابه الجليل مُسفِرا عن لوامع صـفائه ، منبئا بجوامع وُدّه ووفائه ؛ مُشرقا بلآلئ فرائده ، مُحدِقا بروض كرمه الذى سَعِد رأىُ رائده ؛ محتويا على سروره بما بلغه من أنباء النُّصْرة التى سارت بها إليـه سُرْعانُ الرُّكبان ، وذلّت بعزّ ما تُلِىَ منها عليـه عُبّاد الصلبان ؛ وطبّق ذكرُها المشـارقَ والمغارب ، ومزّقتْ مواكبَ أعداء الله التتـارِ وهم فى رأىِ العين أعداد الكواكب ، وخلطَت التراب بدمائهم حتى لم يُبَح بها التيمُّم ، ومزَجتْ بها الفُراتَ حتى ما تحِـلّ لشارب ؛ وهى النُّصْرة التى لا يُدرِك الوصفُ كُنْهَها ، ولا تعرف لهـا البلاغة مُشبِها فتذكُرَ شِبهَها ؛ ولا يتّسع نطاق النطق لذكرِها ، ولا تنهض الألســنة على طول الأبد بشكرها ؛ فإنّ التتار المخـذولين أقبلوا كالرمال ، واصطفّوا كالجبال ؛ وتدفّقوا كالبحار الزّواخر ، وتوالَوا كالأمواج التى لا يُعرَف لهـا الأوّلُ من الآخر ؛ فصَدَمتْهم جيوشنا المنصورةُ صدْمةً بَدَّدتْ شملهم ، وعلّمت الطيرَ أكْلَهم ؛ وحَصَرتْهم

(١) فى الأصل : « بمضمونه » ؛ وما أثبتناه عن حسن التوسل ، وهو ما يدل عليه سياق الكلام .

فى الفضاء، وطالبتْ أرواحَهم الكافرةَ بدَين دِينها وأَسرفتْ فى الاقتضاء، وحَصَدتْ منهم سيوفنا المنصورةُ ما يخرج عن وصفِ الواصف ، ومَزَّقتْ بقيّتهم فى الفلوات فكانوا كَرَماد اشتَدّت به الرِّيحُ فى يوم عاصف ؛ وأحاطت بهم كتائبنا المنصورة فلم ينجُ إلا من لا يُؤبَه له من فريقهم، وقسمتهم جيوشنا المؤيّدة من الفَلَوات الى الفُرات بين القتل والأسر، فلم يخرج عن تلك القسمة غيرُ غريقهم؛ وأَعقبتهم تلك الكسرةُ أن هَلَك طاغيتُهم أسفا وحسره، وحزنا على من قُتِل من تلك المُقاتِلة، وأُسِر (٧٦) من تلك الأَسْره، وأماته الرُّعبُ من جيوشنا المنصورةِ فجُاءه، واَستَولَى عليه الوَجَل فجاءه مِن أمر الله ما جاءه؛ وقعد أخوه بعده مكانَه، والخوفُ من عسا كرنا يضعضع أركانَه ، والفَـرَقُ من جيوشـنا يُفرِّق أعوانَه ، ويُمزِّق إخوانَه، ويُوهِى سـلطانَه ويُبَرِّئُ منـه شيطانَه؛ فلاذ بالالتجاء الى سِلْمنا، وعاذ بإسـناد الرجاء الى كَفِّنا عنه وحِلمنا ؛ فكرّر رُسُلَه ورسائِلَه مستعطفا ، ووالَى كُتبَه ووسائلَه مستعفيا من حربنا ومستسعفا؛ وهاهو الآن وجنوده يتوسّلون بالخضوع الى مَراحمنا، ويتوصّلون ببَذل الطاعة الى مَكارمنا؛ ويسألون صَفْح الصِّفاح الإسـلاميّة عن رقابهم ، ويُبـدون ما أظهره الله عليهم من الذلّ الذى جعلتـه تلك النُّصْرة خالدا فى أعقابهم؛ وسيوفُنا تأبَى قبولَ وسائِلهم، وتُصرُّ على نَهْر سائِلهـم، وتمنع من الكفّ عن مَقاتِلهم، وتأنَف أن تُغمَد إلّا فى قِمَم مُحارِبِهم ومُقاتِلِهم؛ ونحن على ما نحن من الأُهْبَة لغَزوِهم فى عُقْر دارهم، وانتزاعِ مَواطن الخلافة وغيرها من ممالك الإسـلام من بين نُيُوبهم وأظفارِهم؛ مستنصرين بالله على من بقِىَ فى خُطّ[(١)] المَشرِق منهم ، قائمين فيهم بفَرض الجهـاد الذى لولا دِفاعُ الله به لم يمتنع خُطّ المَغرب عنهـم ؛ "وَلَيَنْصُرَنَّ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ"، ولو عَددنا نعمَ الله علينا حاولنا عَدَّ ما لا نُحصِيه ولا نَحصُره .

(١) الخط بالضم : موضع الحىّ .

وإن اضطُر أن يكتُب بمثل ذلك الى ملك غيرِ مسلم لكنّه غيرُ محارب، فالحُكْم في ذلك أن يَذكُر من أسباب المَودّة ما يَقتضي المشارَكة في المَسارّ، وأنّ أمر هـذا العَدد مع كثرته أُخذ بأطراف الأنامل، وآلَ أمرُه الى ما آل، ويُعظِّم ذِكرَ ماجَرى عليه من القتل والأسر، وتلك عوائدُ نصر الله، وانتقامِه (١) ممّن عادانا ؛

فمن ذلك ما أنشأه المُشار اليه لبعض ملوك البحر — ولم يكتب به — وهو :

صَدرتْ هـذه المكاتَبةُ مبشِّرةً له بمـا منحنا الله من نُصْرة أَجزَل الصـفاءُ منها سهمَه، وأَكمَل الوفاءُ من التهنئة بها قسْمَه؛ وخصّه الوِدادُ بأجلّ أجزائها، وأَجلسه الاتحادُ على أَسِرّة مَسَرّتها إذا أجلس العنادُ غيرَه على بِساط عَزائها؛ عِلما بأنه الصديق الذي تُبهِجه مَسارُّ صديقِه، والصاحبُ الذي يَرى مساهمَة صاحبه في بشرى الظَّفَر بأعدائه أدنى حقوقِه؛ وذلك أنه قد عَلِم ما كان من أمر هؤلاء التَّتار في حركاتهـم الذميمه، وعَزَماتِهم التي ما احتَفَلوا لها إلا وكان أحَدّ سلاحِهم فيها الهَزِيمه، وغاراتِهم التي ما حَشَدوا لهـا إلّا وقَنِعوا فيها بالإياب من الغَنيمه؛ وأنهم ما أقدموا علينا إلا وعُدِموا، ولا سَلكوا الينا إلا وهلَكوا؛ حتى إنّ الأرض الى الآن لم تَجِفَّ من دمائهم، وإنّ الفُرات يكاد يَشِفّ (٢) للتأمّل عن أشلائهم؛ وأن الشيطان بعد ذلك جَدّد طَمَعَهم، وسَكّنَ هَلَعَهم، وأنساهم مَصارع إخوانهم، وأسلاهم بما زَيّن لهم من بلوغ أوطارهم عن أوطانهم؛ وقال لهم : لا غالب لكم اليــوم من الناس، وتلك الوقائعُ التي أُصِبتم فيهـا قد لا يَجرِي الأمر فيها على القياس؛ وحَسّــن لهم المُحـال وغَرّهم وجرّأهم على قصــد البلاد المحروســة، وفي الحقيقة استَجرّهم؛ فحَشَـدوا جموعَهم

(١) في الأصل : «وانتقامنا» بالنون؛ وهو تحريف .

(٢) في حسن التوسل : «يكشف»؛ وكلا اللفظين يستقيم به المعنى .

وجمعوا حُشودَهم، وآستفرَغوا فى الآستنفار والآستظهار طاقتهم ومجهودَهم؛ ومالأهم
على ذلك من المجاورين من أبطَن شِقاقَه، وكَتَم نفاقَه، وأنساه الشيطان ما سلف
من تنفيسنا عنه وقد لازم الحَتْفُ خِناقَه؛ ونحن فى ذلك نُوسعهم إمهالا، ونَبسُط
لهم فى التَّوغُّل آمالا، ونأخذ أمرهم بالأَناة آستدراجا لهم لا إهمالا؛ الى أن بَعُدوا
عن مَواطن الهرَب، وحَصَل من آستدراجهم الأَرَب؛ فوثبنا عليهم وُثوبَ الليث إذا
ظَفِر بصَيده، ونهَضنا نحوهم نُهوضَ الحازم إذا وقع [عدوُّه](1) فى أُحبولة كَيده؛ وصدمتهم
جيوشنا المنصورةُ صَدمةً فلَّت غَرْبهم، وأبطلت طَعْنهم وضرْبهم، وصبَغت بدمائهم
تُرْبَهم؛ وحكَّمت السيوفَ فى مَقاتِلهم، [ومكَّنت الحُتوف من صاحب رأيهم ومُقاتِلهم](2)؛
وسلَّطت العَدَم على وجودِهم، وحطَّتهم عن سُروجهم الى مَصارعهم أو قُيودِهم؛
"فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ"، وعادُوا على عادتهم خاسئين، ورجَعُوا على أعقابهم
خاسرين؛ وما أغنَى عنهم جمعُهم، وما أفادهم بصَرهم فيما شاهدوه من قبل ولا سمعُهم؛ ٧٧
فركَن من بَقِىَ منهم الى الفِرار، وعاذ ببَرْد الهرَب من لَهَب تلك السيوف الحِرار
وظَنّ من آنهزم منهم أنه فات الرماح، فتناولتْه بأرماح من العطش القِفار؛ فولَّوا
والرعبُ يزلزِل أقدامهم، والذُّعْر يقلِّل إقدامَهم؛ والصِّفاحُ تتخطَّفهم من ورائهم
والجِراحُ تُطمِع الطَّير فى أكلهم حتى تقع على أحيائهم(3)؛ حتى أصبحوا هَشيما تلعب بهم
الصَّبا والدَّبور، أو أحياءً يئس منهم أهلهم "كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْقُبُورِ"
وصَفَحنا عمّن نافقَنا ووافقَهم ولولا ذلك لَما نجا، ورجا عواطفَنا فى الإبقاء على
نفسه، فأجابه حِلمُنا — وعلِمنا أنه فى القَبضة — الى ما رَجا؛ فليأخذ المَلِك حظَّه من

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل ص ٩٧ ط الوهبية إذ لا يستقيم الكلام بدونها .

(٢) التكملة عن حسن التوسل؛ وتمام السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته يقتضى إثباتها .

(٣) فى الأصل : «بلغت بهم» الخ وهو تحريف .

هذه البشرى التى تَسُرّ قلبَ الولىِّ المُحِبّ بوادرُها، وتَشرح صدر الخَفِىِّ[(١)] المُحِقّ مواردُها ومَصادرُها؛ والله تعالى يُبهِجه عنا بسماع أمثالها، ويديمُ سروره بما جلوناه عليه من مثالها[(٢)].

قال: فإن كان المكتوب إليه متّهما بمُمالأة العدوّ كتب اليه بما يَدُلّ على التقريع والتهكُّم، وإبرازِ التهديد فى مَعرِض الإخبار، كما كتب المشار اليــه عن السلطان الى متملّك سِيس[(٣)] — وكان قد شَهِد الوقعة مع العدوّ — قال منه:

بصّره الله برشده، وأراه مَواقع غَيّــه فى الإصرار على مخالَفته ونقض عهــده وأسلاه بسلامة نفسه عمّن روّعته السيوف الإسلاميّة بفقده؛ صــدرتْ تُعرِّفه أنه قد تحقّق ما كان من أمر العــدوّ الذى دلّاه بغُروره، وحَمَّــلَه التمسّك بخداعه على مجانبــة الصواب فى أموره؛ وأنهم آستَنجَدوا بكلّ طائفه، وأقدموا على البــلاد الإسلاميّة بنفوس طامعة وقلوب خائفه؛ وذلك بعد أن أقاموا مدّة يشترون[(٤)] المُخادَعة بالموادَعه، ويُسِرّون المصارَمة فى المسالَمه؛ ويُظهِرون فى الظاهر أمورا، ويدبّرون فى الباطن أمورا، ويَعِدون كل طائفة من أعداء الدين مِثلَه ويُمنّونهم "وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا"؛ وكنّا بمكرهم عالِمين، وعلى معالَجتهم عامِلين؛ وحين تبيّن مرادُهم وتكمّل آحتشادُهم؛ اِستدرجناهم الى مَصارعهم، وآستَجرَيناهم[(٥)] ليَقرُبوا فى القتــل من مَضاجِعهم، ويَبعُدوا فى الهرَب عن مواضعهم؛ وصدمناهم بقوّة الله صــدمة

(١) كذا فى الأصل؛ والذى فى حسن التوسل: «الصفى» بالصاد؛ وكلا اللفظين يستقيم به المعنى.

(٢) فى الأصل: «أمثالها»؛ والألف الأولى زيادة من الناسخ.

(٣) قال ياقوت فى معجم البلدان ج ٣ ص ٢١٧ ط جوتنجن: سيسية — وعامة أهلها يقولون: سيس —: بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة الخ.

(٤) فى الأصل: «يسرون»؛ وهو تحريف. (٥) كذا فى الأصل وحسن التوسل؛ ولم نقف عليه فى كتب اللغة بمعنى حملناهم على الجرى كما هو المعنى المتبادر من سياق العبارة؛ ولعله: «وأجريناهم».

لم يكن لهم بها قبَل ، وحمّلنا عليهم حَمْلةً ألجأهم طُوفانُها الى ذلك الجبل ، وهل تَعصِم من أمر الله حِيَـل ؟ فحصرناهم فى ذلك الفضـاء المتّسع ، وضايقناهم كما قـد رأى ومزّقناهم كما قد سَمِـع ، وأنزلناهم على حُكم السيف الذى نَهِل من دمائهم حتى رَوِىَ وأَكَل من لُحومهم حتى شَبِـع ، وتَبِعتهم جيوشنا المنصورةُ تَتخطَّفُهم رماحُها ، وتَتلقّفُهم صِفاحُها ، ويبدِّدهم فى الفَلَوات رُعبُها ، ويفرِّقهم فى القِفار طَعنُها المتدارِكُ وضربُها ؛ ويَقتُل من فات السيوفَ منهم العطشُ والجوع ، ويُخيِّل للحىّ منهم أنّ وطنه كالدنيا التى ليس للميت اليها رجوع ؛ ولعله قد رأى ذلك فوق ما وُصِف عِيانا ، وتحقَّق من كل ما لا يحتاج أن تَزيدَه به علما ولا نُقيمَ له عليه برهانا ؛ وقد عَلِم أنّ أمر هذا العدوّ المخذول ما زال معنا على هذه الوَتيره ، وأنهم ما أقدموا إلا ونَصَرَ الله عليهم فى مَواطنَ كثيره ؛ وما ساقتهم الأطماع فى وقتٍ إلا الى حُتوفهم ، ولا عادَ منهم قَطُّ فى وقعـة إلا آحادٌ تُخبِر عن مَصارع ألوفهم ؛ ولقد أضاع الحَزْمَ من حيث لم يَستدِم نِعمَ الله عليه بطاعتنا التى كان فى مِهادِ أَمْنِها ، ووِهادِ يُمْنِها ؛ وحِمايةِ عفوها ، وبَرْد رأفتها التى كدَّرها بالمخالَفة بَعْـدَ صفوِها ؛ يصون رعاياه بالطاعة عن القتـل والإسار ، ويحمى أهل مِلّته بالحَذَر من الحركات التى ما نَهَضوا اليها إلا وجرّوا ذيول الخَسار ؛ ولقـد عرّض نفسه وأصحابَه لسيوفنا التى كان من سَطَواتها فى أمان ، ووَثِق بمـا ضَمِن له التّتار من نصره وقد رأى ما آل اليـه أمرُ ذلك الضّمان ؛ وجَرّ لنفسه بموالاة التتار عَناءً كان عنه فى غِنى ، وأوقع رُوحه بمظافَرة المغول فى حَومة السيوف التى تخطَّفت أولياءَه مِن هنا ومِن هنا ؛ واقتحم بنفسه مَواردَ هلاكٍ سَلبت رداء الأمن عن مَنكِبيه واغترّ هو وقومُه بما زَيّن لهم الشيطان من غُروره «فَلَمَّا تَرَاءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ» وما هو والوقوفَ فى هـذه المَواطن التى تتزلزل فيها أقدام الملوك الأكاسره (٧٨) وأنّى لِضعاف النّقاد قدرةٌ على الثّبات لوَثَبات الأُسود الضارية واللّيوث الكاسره ؛

لقد آعترض بين السهم والهدف بنحره، وتعرّض للوقوف بين ناب الأسد وظُفره؛ وهو يعلم أننا مع ذلك نرعى له حقوق أسلافه التى ماتوا عليها، ونحفظ له خدمة آبائه التى بذلوا نفوسهم ونفائسهم فى الوصول اليها؛ ونُجْريه وأهلَ بلاده مُجْرَى أهلِ ذمّتنا الذين لا نُؤيسهم من عفونا مهما [١] آستقاموا، ونَسلُك بهم حُكمَ من فى أطراف البلاد من رعايانا الذين هم فى قبضتنا نَزَحوا أو أقاموا؛ ونحن نتحقّق أنه ما بقِى يَنسى ملازَمةَ رِبْقة الحتف خِناقَه، ولا يَرجِع يهور [٢] نفســه فى موارد الهلاك، وهل يرجِع الى الموت [مَن] [٣] ذاقه؟ فيستدرِك بابَ الإنابة قبل أن يُغلَق دونه، ويصون نفسه وأهله قبل أن تَبذُل السيوفُ الإسلاميّةُ مَصونَه، ويبادِر الى الطاعة قبل أن يبذُلها فلا تُقبَل، ويتمسّك بأذيال العفو قبل أن تُرفَع دونه فلا تُسبَل؛ ويُعجّل بحَمْل أموال القَطيعة وإلّا كان أهلُه وأولادُه فى جملة ما يُحمَل منها الينا، ويُسلِّم مَفاتح ما عدا عليه من فتوحنا، وإلّا فهو يعلم أنها وجميعَ ما تأخّر فى بلاده بين يدينا؛ ويكونُ هو السببَ فى تمزّق شمله، وتفرّقِ أهله، وقلعِ [٤] بيته من أصله، وهدمِ كنائسه، وآبتذالِ نفيســه ونفائسه، واسترقاق حَرَمه، وآستخدام أولاده قبل خَدَمه، وآقتلاع [٥] قلاعه، وإحراقِ

---

(١) كذا فى الأصل؛ ومهما فى هذه العبارة حرف بمعنى إن الشرطية، وهو مذهب ضعيف؛ وقد سبق أن أوضحنا ذلك فى ج ٢ ص ١٩٠ من هذا الجزء.

(٢) يهوّر نفســه، يريد يلق بها، وهو من هوّره اذا صرعه وألقاه. وعبارة حسن التوسل: «ولا يورد».

(٣) عبارة الأصل: «المؤمنين فاقة»؛ وفيه نقص وتحريف، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا وانظر حسن التوسل ص ٩٨ ط الوهبية.

(٤) فى الأصل: «وقد قلع»؛ وقوله: «قد» زيادة من الناسخ.

(٥) فى الأصل: «واستقلاع» بسين وتاء؛ ولم نقف عليه فيما لدينا من كتب اللغة.

رُبوعه ورِباعِه(١)، وتعجيلِ رؤيةِ ما أُوعِدَ(٢) به قبل سَماعِه، ومن لقازان بأن يجابَ الى مثل ذلك، أو يُسمَحَ له مع الأمنِ من سيوفنا ببعض مافى يده من الممالك، ليَقنع بما أبقت جيوشنا المؤيَّدةُ فى يده من الخيل والخوَل، ويَعيش فى الأمن ببعض ماتَسمح له به، ومن للعُور(٣) بالحَول؛ والسيوفُ الآن مُصغيةٌ الى جوابه لتُكَفَّ إن أبصر سُبل الرشاد، أو تَتعوّضَ برءوس حُماته وكُماته عن الأغماد إن أصرّ على العناد، والخير يكون.

وأما التقاليد والمناشير والتواقيع وما يتعلّق بذلك — فالأحسن فيها بَسطُ الكلام، وتُعتبَر كثرتُه وقلّته بحَسَب الرتَب، ويجب أن يراعَى فيها أمور:

منها بَراعة الاستهلال بذكر الرتبة أو الحال، أو قدْرِ النعمة، أو لقبِ صاحب التقليد أو اسمِه بحيث لا يكون المَطْلَع أجنبيّا من هذه الأحوال، ولا بعيدا منها، ولا مباينا لها، ثم يَستصحِب ما يناسب الغرض ويوافق المقصد من أوّل الخطبة

(١) الرباع بكسر الراء: جمع ربع بضم أوّله وفتح ثانيه، وهو الفصيل فى أوّل النتاج؛ والمراد ماشيه، يريد بهذه العبارة توعده بإحراق منازله وأمواله.

(٢) فى الأصل: «وعديه» بإسقاط الهمزة؛ والمشهور عند أئمة اللغة وجوب إثباتها فى مثل هذا الموضع؛ قال الأزهرى: كلام العرب: وعدت الرجل خيرا، ووعدته شرا، وأوعدته خيرا وأوعدته شرا؛ فاذا لم يذكروا الخير قالوا: وعدته ولم يدخلوا ألفا، واذا لم يذكروا الشر قالوا: أوعدته ولم يسقطوا الألف؛ وأنشد لعامر بن الطفيل:

وإنى إن أوعدته او وعدته ✻ لأخلف إيعادى وأنجز موعدى ا هـ.

انظر اللسان وشرح القاموس. والكاتب هنا لم يذكر الشر، فلزم إثبات الهمزة كما تقتضيه عبارة الأزهرىّ؛ والذى يفهم من كلام المصباح أنه يقال فى الخير والشر: وعده بدون ألف سواء أذكر الخير والشر أم لم يذكرا، والفارق بينهما المصدر، فانه فى الخير: الوعد، وفى الشر: الوعيد.

(٣) عبارة الأصل: «ومن العمور»؛ وهو تحريف.

الى آخرها، قال : ويَحسُن أن يكون الكلام فى التقليـد منقسما إلى أربعـة أقسام متقارِبةِ المقادير، فالرُّبعُ الأوّلُ الخُطبة ، والثانى ذِكْرُ موقع الإنعام فى حقّ المقلَّد، وذِكْرُ الرتبةِ وتفخيمُ أمرها ، والثالث فى أوصاف المقلَّد وذِكرِ ما يناسب تلك الرتبةَ ويناسب حاله من عدل وسـياسة ومَهابةٍ وبُعـدِ صِيت ، وسُمْعـةٍ وشجاعةٍ إن كان نائبا، ووصفِ العـدل والرأى وحسنِ التدبير، والمعرفةِ بوجوه الأموال ، وعمـارةِ البـلاد، وصلاحِ الأحوال، وما يناسب ذلك إن كان وزيرا؛ وكذلك فى كلّ رتبة بحسبها، والرابع فى الوصايا ؛

ومنها [ أن يُراعِىَ ][1] المناسَبة وما تقتضيه الحال، فلا يُعطِى أحدا فوق حقّـه، ولا يصفه بأكثر ممـا يراد من مِثـله ، ويراعى أيضا مقدار النعمة والرتبة ، فيكون وصفُ المِنّة على مقدار ذلك .

ومنها أن لا يصف المتولِّىَ بمـا يكون فيه تعريضٌ بالمعزول وتنقُّصٌ له ، فإنّ ذلك ممـا يُوغِر الصدور، ويورِّث الضغائن فى القلوب ، ويدُلّ على ضعف الآراء فى اختيـار الأوّل ، وله أن يصف الثانىَ بمـا يحصل به المقصود من غير تعريض بالأوّل ؛

ومنها أن يَتخيّر الكلام والمعانى، فإنه مما يَشيع ويَذيع ،ولا يُعذَر[2] المقصِّرُ فى ذلك بعجلة ولا ضيق وقت ، فإنّ مجـال الكلام عليه متّسع ، والبلاغة تَظهَر فى القليل والكثير، والأمر الجارى فى ذلك على العادة معروف، لكن تقع أشياءُ خارجةٌ عن العادة، نادرةُ الوُقوع، فيَحتاج الكاتب فيها الى حسن التصرّف على ما تقتضيه الحال؛

---

(١) التكملة عن حسن التوسل ص ١١٠ ط الوهبية ؛ وسياق الكلام يقتضى إثباتها .

(٢) فى الأصل : «ولا يعجل» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر حسن التوسل .

فمن ذلك تقليدٌ [ من ][1] إنشاء المولى الفاضل شهاب الدين محمود الحلبي كتبه لمتملِّك سِيس بإقراره على ما قاطع النهر من بلاده، وهو :

الحمد لله الذى خَصّ أيامنا الزاهرةَ باصطناع ملوك الملل ، وفضّل دولتنا القاهرةَ بإجابة من سأل بعضَ ما أحرزتْه لها البيضُ والأَسَل ، وجعل من خصائص ملكنا إطلاقَ الممالك و إعطاءَ الدُّوَل، والمنّ بالنفوس التى جعلها النصر لنا من جملة الخَوَل، وأغرى عواطفنا بتحقيق رجاء من مَدّ إلى عوارفنا كفَّ الأمل ، وأفاض بمَواهب نعمائنا على من أناب الى الطاعة حُللَ الأمن بعد الوَجَل ، وآنتزع بآلائنا [لمن تمسّك بولائنا][2] أرواحَ رعاياه من قبضة الأجل ، وجعل بَرْد العفو عنه وعنهم بالطاعة نتيجةَ ما أذاقهم العصيان من حرارة الغضب، إذ ربما صَحّت الأجسام بالعلل؛ نحمَده على نعمه التى جعلت عفوَنا ممن رجاه قريبا،وكرمَنا لمن دعاه بإخلاص الطاعة مُجيبا، و برَّنا لمن أقبل اليه منيبا بوجه الأمل مُثيبا، و بأسَنا مصيبا لمن لم يجعل الله له فى التمسّك بمَراحمنا نصيبا؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، شهادة تَعصِم دم من تمسّك بذمامها، وتَحسِم مَوادَّ من عاندها بانتقام حسامها، وتفصِم عُرا الأعناق ممن أطمعه الغُرور فى آنفصال أحكامها وآنفصامها، وتقصِم مَن قصد إطفاءَ ما أظهره الله من نورها، وانقطاعَ ما قضاه من دوامها، وتجعل كلمة حَمَلتها هى العليا، فلا تَزال أعناقُ جاحديها فى قبضة أوليائها وتحت أقدامها؛ ونشهد أنّ محمدا عبده و رسوله المبعوثُ بالهدى ودين الحق الى كلّ أمّه ، المنعوتُ فى الكتب المنزّلة بالرأفة والرحمه، المخصوصُ مع عموم المعجزات بخمس منهنّ الرعبُ الذى كان يتقدّمه الى مَن قصَده ، ويسبِقه مَسيرةَ شهر الى [ من ][1] أمّه ، المنصوصُ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل السلى؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) التكملة عن حسن التوسل .

فى الصحف المحكّمة على جهاد أمته، الذى لاحياة لمن لم يتمسّك من طاعتـه بذمته؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فتحوا بدعوته الممالك، وأوضحوا بشْرعته الى الله المسالك، وجلَوا بنور سُنّته عن وجه الزمن كلَّ حال حالك، وأوردوا من كفر بربهم ورسـلِه مَوارد المهالك، ووثِقوا بما وعد اللهُ نبيَّــه حين زَوى له مَشارقَ الأرض ومَغاربَها من أنّ مُلكهم سيبلغ ما زوى الله له من ذلك؛ صلاةً لا تزال الأرض لها مسـجدا، ولا يَبرَح ذِكرُها مغيرا فى الآفاق ومنجِدا؛ ما آستفتحتْ ألسنةُ الأسِـنّة النصر بإقامتها، وأبادت أعداءها باستدامتها، وسلم تسليما كثيرا ؛

و بعد، فإنه لمـّا آتانا الله مُلكَ البَسيطه، وجَعلَ دعوتنا بأَعنّة ممـالك الأقطار محيطه؛ ومكّنَ لنا فى الآفاق(١)، وأنهَضَنا من الجهاد فى سبيله بالسنّة والفرض، وجَعلَ كلَّ يوم تُعرَض [فيه](٢) جيوشُنا من أمثـلة يوم العَرْض ؛ وأظلّتنا بوادرُ الفتوح ، وأظلّت على الأعداء سـيوفُنا التى هى على من كفر بالله وكفر النعمة دعوةُ نوح وأيّدنا بالملائكة والرُّوح، على من جعل الواحدَ سبحانه ثلاثةً فانتصر بالأب والابن والرُّوح؛ وألقت إلينا ملوكُ الأقطار السَّلَم ، وبَذلتْ كرائمَ بلادها رغبة فى الالتجاء من عفونا الى ظل أعلى من علم؛ وتوسّل من كان منهم يُظهِر الغلظة بالذلّة والخضوع وتوصّـل من كان منهم يبـدى القوّةَ بالإخلاص الذى رأوهُ لهم أقوَى الجُنَن واوقَى الدروع ؛ عاهَدْنا اللهَ تعالى ألّا نردّ منهم آملا ، ولا نصُدّ عن مَشارع كرمنا ناهلا؛ ولا نخيِّب من إحساننا راجيا، ولا نُجْـلِي عن ظلّ برِّنا لاجيا؛ علمـا أنّ ذلك شكرٌ للقدرة التى جعلها الله لنا على ذلك الآمل، ووُثوقا بأنه حيث كان فى قبضتنا كما نشاء

(١) كذا فى الأصل السلبي . والذى فى حسن التوسل ص ١١١ : «الأرض» ؛ وهو أظهر بدليل ما يأتى فى الفقرة بعده، ليتم به السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل السلبي؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل .

تجمع عليه الأنامل؛ اللهمّ إلّا أن يكون ذلك اللّاجئ للغِلّ مُسِرّا، وعلى عداوة الإسلام مُصِرّا؛ فيكون هو الجاني على نفسه، والجاثي على موضع رَمْسه؛ ولمّا كان من تقدّم بالمملكة الفلانية قد زيّن له الشيطان أعماله، وعقد بحبال الغرور آماله؛ وحسّن له التمسّك بالتتار الذين هم بمهابتنا محصورون فى ديارهم، مأسورون فى حبائل إدبارهم، عاجزون عن حفظ ما لديهم، قاصرون عن ضبط ما استلبته سرايانا المنصورةُ من يديهم؛ ليس منهم إلا من له عند سيوفنا ثار، ومن يعلم أنه لا بدّ له عندنا من خُطّتَى خَسف: إما القتل أو الإسار؛ وحين تمادى المذكور فى غيّه، وحمله الغُرور على ركوب جواد بغيه؛ أمرْنا جيوشَنا المنصورةَ فجاست خلالَ تلك الممالك وداست حوافرُ خيلها ما هنالك، وساوت فى عموم القتل والأسر بين العبد والحرّ والملوك والممالك؛ وألحقت رواسىَ جبالهم بالصعيد، وجعلت حُماتهم كزُروع فلاتهم منها قائمٌ وحصيد؛ فأسلمهم الشيطان ومرّ، وتركهم وفرّ، وما كرّهم وما كرّ وأعلمهم أن الساعة موعدهم "وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرّ" وأخلفهم ما ضمِن لهم من العَون وقال لهم: "إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ"؛ وكان الملكُ فلان ممّن يريد طُرُق النجاة فلم ير إليها بسوى الطاعة سبيلا، ويأمُل أسبابَ النجاح فلم يجد عليها غيرَ صدق الالتجاء دليلا؛ فأبصرَ بالخدمة موضعَ رُشده، وأدرك بسعيه نافرَ سعده؛ وأراه الإقبالُ كيف تثبُت قدمُه فى الملك الذى زلّت عنه قدمُ مَن سلف، وأظهر له الإشفاقُ على رعاياه مصارعَ من أورده سوءُ تدبير أخيه موارد التَّلَف، وعرّفه التمسّكُ بإحساننا كيف احتوت يدُه على ما لم يُبْقِ غضبُنا فى يد أخيه منه إلا الأسى والأسف؛ وحسّنت له الثقةُ بكرمنا كيف يُجمِل الطلب، وعلّمته الطاعةُ كيف تُستنزَل عوارفُنا عن بعض ما غلبتْ عليه سيوفُنا وإنما الدنيا لمن غلب؛ وانتمى إلينا فصار من خَدَم أيامنا، وصنائع إنعامنا، وقطع علائقه من غيرنا؛ فلجأ منا الى

ركن شديد، وظلّ مَديد، ونصرٍ عَتيد؛ وحَرَمٍ يأوِى آملُه إليـه، وكَرمٍ تُقِرّ نضارتُه ناظريه، وإحسانٍ يمتّعه بما أَقرّه عطاؤنا فى يديه، وآمتنانٍ يَضَع عنه إِصْرَه والأغلالَ التى كانت عليه؛ اقتضى إحسانُنا أن نُغضىَ له عن بعض ما حلّت جيوشُـنا ذراه وحلّت سَطَواتُ عساكرنا عُراه، وأَضعفتْ عَزَماتُ سَرايانا قواه، ونَشرتْ طلائعُ جنودنا ما كان سَتَره صَفحُنا عنهـم من عَورات بلادهم وطواه؛ وأن نخوّله بعضَ ما وردت خيولُنا مَناهلَه، ووَطِئتْ جيادُنا غاربَه وكاهلَه؛ وسَلَكتْ كُماتُنا فلَكتْ دارسَه وآهلَه؛ وأن نُبقِىَ مملكةَ البيت الذى مضى سَلَفُه فى الطاعة عليه، ويستمرّ مُلْكُ الأرمن الذى أُهْمِلَ[1] السعىُ فى مصالحه بيديه؛ ليَتيمّن رعاياه به، ويَعلموا أنهم أَمِنوا على أرواحهم وأولادهم بسببه؛ ويَتحقّقوا أنّ أثقالهم بحُسن توصّله الى طاعتنا قد خَفّت، وأنّ بوادرَ الأمن بلطف تَوسُّله الى مَراضينا قد أطافت بهـم وحَفّت وأنّ سيوفَنا التى كانت مجرّدة على مَقاتِلهم بجميلِ آستعطافه قـد كفتهم بأسَنا وكَفّت وأنّ سَطَواتِنا الحاكمةَ على أرواحهم قد عَفَت [عنهم بملاطفته وعَفّت][2]؛ فرسم أن يُقلَّد كَيت وكَيت من المملكة الفلانية، ويَستقِرّ بيده آستقرارا لا ينازَع فى آستحقاقه ولا يُعارَض فيما سَبق من إعطائه وإطلاقه؛ ولا يطالَب عنه بقَطيعه[3]؛ [ولا يُطلَب منه بسببه غيرُ طَوِيّة مخلِصة ونفسٍ مطيعه]؛ ولا يَخشى عليه يدا جائره، ولا سَريّةً فى طلب الغِـرّة سائره؛ ولا يَطرُق كِناسَه أُسْدُ جيوش مفترسـه، ولا سباعُ نَهابٍ مختلِسه؛ بل تستمرّ بلادُه المذكورةُ فى ذمام رعايتنا، وحَصانةِ عنايتنا؛ وكَنَفِ إحسانِنا، ووديعةِ بِرّنا وآمتناننا؛ لا تَطمَح اليها عينُ معاند، ولا يَمتدّ اليها إلّا ساعدُ

(١) كذا فى النسخة السلمية لهذا الكتاب، وحسن التوسل ص ١١٢ ط الوهبية؛ وفى بعض نسخ حسن التوسل: «أجمل» بالجيم؛ والمعنى يختلف فى كلتا الروايتين.

(٢) التكملة عن حسن التوسل؛ وسياق الكلام يقتضى إثباتها.

(٣) القطيعة: الضريبة.

مساعِد، وعضدُ مُعاضِد؛ فليقابِل هـذه النعمةَ بشكر الله ٱلذى هـداه إلى الطـاعه وصان بإخلاص وَلائه نفسَـه ونفائسَ بلاده من الإضاعه؛ وليَقرن ذلك بإصفاء مَوارد المَودّه، وإضفاءِ مَلابس الطاعة التى لا تَزداد بحُسن الوفاء إلا جِدّه؛ وٱستمرارِ (٧٩) المُناصَحة فى السّرّ والعلَن، وٱجتنابِ لمخادَعة ما ظهر منهـا وما بَطَن، وأداءِ الأمانة فيما ٱستَقرّ معه ٱلحِلْف(١) عليـه، ومبايَنةِ ما يخشى أن يَتوجّه بسببه وجهُ عَتْب إليـه؛ وٱستدامةِ هـذه النعمة بحفظ أسبابِها، وٱستقامةِ أحوال هذه المِنّة برَفْض مُوجِبات الكَدَر وٱجتنابِها، وإخلاص النيّة التى لا تُعتبَر ظواهرُ الأحوال الصالحة إلّا بها .

ومن تقليـدٍ كتبه المُشارُ اليه أيضـا لسَـلامش بمملكة الروم حين ورد كتابُه يَسال ذلك قَبلَ حضوره، أوّله .

الحمـد لله الذى أيّدنا بنصرِه ، وأمدّنا مِن جنود الظّفَر بمـا لم يُؤتَ مَلِك فى عصرِه ، وجَعـلَ مهابتنا قائمة فى جهاد عدوّ الدين ، إن قَرُب مَقامُ كَسْرِه، وإن بَعُـد مَقامُ حَصْرِه ، ونَشَر دعوة مَلِكنا فى الأقطار كلِّها اذا ٱقتصرت دعوةُ غيرِنا من ملوك الأمصـار على مصرِه ، وأنجـدَ مَن نادانا بلسان الإخلاص من جنود الله وجنودنا بالجيش الذى لم تزل أرواحُ العـدا بأَسْرِها فى أَسْرِه ، وعَضَدَ من تمسّـك بطاعة الله وطاعتنا من إجابة عساكرنا بمـا هو أَقربُ الى مَقاتل عدوّه من بِيضِـه المرْهَفَـةِ وسُمْرِه ، وأعاد بنـا من حقـوق الدّين كلّ ضـالّة مُلْكٍ ظَنّ العـدوُّ أنّ أمرِه غالبٌ عليهـا والله غالبٌ على أمرِه ؛ بجنودنا إلى نُصْرة من دعاها بالإيمـان أَقربُ مِن رَجْع نَفَسِه اليه ، وأسرعُ مِن رَدّ(٢) الصدى جوابَه عليه ؛ وأَسبَقُ الى عدو

---

(١) الحلف بكسر أوله وسكون ثانيه : العهد .

(٢) فى الأصل : «ردى» ؛ وهو تحريف .

الدين من مَواقع عِيانه ، وأقدرَ على التصرّف فى أرواح أهـل الشّرْك مِن تصرّف الكَمِيّ فى عِنـانه ، وأذَبَّ عن حمى الدين من الجفون عن نواظرها ، وأضْرَى على نفوس المعتـدين من أُسـود عَنَت الفَرائسُ (١) لكواسرها ؛ قـد عوّدها النصرُ الإلهىّ ألّا تَسُلّ ظُباها فتُغْمَد حتى تُستَباحَ ممـالك ، وضَمِن لها الوعدُ المحمّدىّ أنها الطائفةُ الذين لا يزالون ظاهرين إلى يوم القيامة حتى يأتىَ أمرُ الله وهم على ذلك ؛ نحمـده على نعمه التى لم تزل نصونُ بها حمى الدين ونصول ، ونقلّد بينها من لجأ إلينا سيفَ نصرٍ يتصدّع به ليلَ العِدا ولو أنّ النجوم نُصول ، ونُورِد بآسمها من آنتصر بنا مَورِدَ عزٍّ يُحْزِمه (٢) لمعُ الأسنّة فوقه ، فليس لظمآنَ من العدا إليه وُصول ؛ وبعد ، فإن أولى من أَصْغت عزائمُنا الشريفة إلى نداء إخلاصـه ، وأجابت مكارمُنا العَمِمةُ دعاءَ تميُّزه بالوَلاء واختصاصه ، وقابلتْ مَراسمُنا آنتصارَه فى الدين بالنّفير لإعانتـه على ما ظَفِر باقتلاعه من يد الكفر واقتناصه ، وتكفلت له مَهابتُنا بالأمن على مُلك مذ وسمه باسمنا الشريف يئس العدوُّ من آستخلاصه ؛ وأجيبت كُتُبُه فى الآستنجاد بسَرَعانِ (٣) الكتائب ، ولَمَعان القواضب ، وتَتابعُ أمداد جيوشِنا التى تنوء بحملها كواهلُ المشارق والمغارب ، وتَدفّقِ أمواج عساكرنا التى تُنشِد طلائعُها ملوكَ العِدا :

« أينَ الفِرار ولا مَفرَّ لهارب »

وتألّقِ بُروقِ النصر من خفق ألويتنا الشاهدة بأن قبيلنا

« إذا ما التقى الجمعان أوّلُ غالب » .

---

(١) فى الأصل : « الفوارس » ؛ وهو تحريف ، وسياق العبارة يقتضى ما أثبتنا . والفرائس : جمع فريسة . (٢) فى الأصل : « يجزمه » بالجيم والزاى المعجمتين ؛ وهو تصحيف .

(٣) سرعان الناس بفتح السـين والراء : أوائلهم المستبقون إلى الأمر ، قاله الأصمعىّ فيمن يسرع من العسكر . انظر تاج العروس .

ومنـــه :

وفوّضتُ إليه مَراسمُنا الحُكمَ فى الرعايا بالعدل والإحسان، وقلّدته(١) أوامرُنا من عُقود النظر فى تلك الممـالك [ما تودّ جباهُ الملوك](٢) لو حلّت(٣) بدُرّها معاقـدَ التيجان، وعلّقت(٤) به من الأوامر ما بنا تنفُذ مواقعُه، وكذا الأمور المعتبرة لاتنفُذ إلا بسلطان؛ من ألقى اللهُ الإيمانَ فى قلبه، وهداه إلى دين الإسلام فأصبح فيه على بيّنة من ربّه، وأراد به خيرا فنقله من حزب الشيطان إلى حزبه، وأنقذه بطاعته من موارد الهلاك بعـد أن كان قد أذِن بحرب من الله ورسوله، ولقـد خسر الدين والدنيا والآخرة(٥) من أذِن من الله بحربه؛ وأيقظـه من طاعتنا التى أوجبها على الأمم لما أبصر به رشدَه، ورأى قصدَه، وعلِم به أن الذى كان فيه كسراب بقيعة(٦) لم يجده شيئا، وأنّ الذى انتقل إليه وجد اللهَ عنده؛ وأنهضه من موالاتنا بما حتّم به النهوض على كل من كان مسلما، وأخرجه بنور الهُدى من عِداد أعدائه الذين تركهم خوفُنا "كأنّما (٨٠) أُغشيتْ وجوهُهم قِطَعًا من الليل مُظلمًا"؛ وأراه الرشدُ ما علِم به أن الله تعالى أورثنا مُلك الإســلام فبطاعتنا يتمّ الانتماءُ إليه، وأعطانا مقاليدَ البسيطة فمن اغتصب منها شيئا انتزعه الله لنا بجنوده المسوّمة من يديه؛ فلجأ من أبوابنا العالية الى الظلّ الذى يلجأ إليـه كلُّ ذى منبر وسرير، ورجا من كرمنا الاعتصامَ بجيوشنا التى ما رمينا بها

(١) فى الأصل : «وقدرته»؛ وهو تحريف .

(٢) الزيادة عن حسن التوسل ص ١١٣ طبع الوهبية، واستقامة الكلام تقتضيها .

(٣) فى الأصل : «جلت» بالجيم المعجمة؛ وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : «وعلقت» بالذال المعجمة؛ وهو تحريف .

(٥) لم يرد هذا اللفظ فى حسن التوسل .

(٦) القيعة بكسر القاف : المستوى من الأرض؛ أشار بهذه العبارة الى قوله تعالى : «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا» .

عدوّا إلا ظنّ أن الرمالَ تَسيل والجبالَ تَسير، وتحيّزَ منّا إلى فئة الإسلام، وانتصر بسيوفنا التى هو يعلم كيف تَسُلّها على العِدا الأحلام؛ ومتّ إلينا بذمّة الإسلام وهى عندنا أبرّ الذمم، وطلبَ تقليدَه الحكم منا مَن عُرِف (1) بإعادته (2) النظرات الصادقة أنه كان يَحسَب الشحم فيمن شحمُه وَرَم؛ وعقد بنا بناءَ رجائه، وهل لمسلم عن مَلِك الإسلام من مَعدِل؟ وأنزل بنا ركائبَ آماله، وهل بعدَ رامةَ لمرامٍ (3) من منزل؟ فتلقت نعمُنا كرائمَ قصده بالترحيب، وأحلّت وفادةَ آئتمائه (4) بالحرَم الذى شأوه بعيد ونصره قريب؛ وتسارعت إلى نُصرته جنودُنا التى أيامُها مشهورةٌ فى عدوّها، وآثارُها مشكورةٌ فى رواحها وغدوّها، وأعلامُها منصورةٌ فى انتزاحها ودنوّها؛ وتتابعتْ يتلو بعضُها بعضا تتابُعَ الغمام المتراكم، والموج المتلاطم؛ تقدّم عليه بالنصر القريب من الأمد البعيد، وتُعلم بوادرُها أن طلائعَها عنده وساقتَها بالصعيد؛ ولما كان فلان هو الذى أراد الله به من الخير ما أراد، ووطّد له بعنايته أركان الرشاد؛ وجعل له بعد الجهل به علما، وتداركه برحمته، فما أمسى للإسلام عدوّا حتى أصبح هو ومن معه له سلما؛ "قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا"، وبكرمه العميم فليفسحوا صدورهم وينشرحوا، وبإرشاده الجلىّ وهدايته فليدعوا قومهم الى ذلك وينصحوا؛ وحين وضحت له هذه الطرقُ أرشدته من خدمتنا الشريفة الى الطاعة، ودلّته على

---

(1) فى الأصل: «من معادنه»؛ وهو تحريف، والتصويب عن حسن التوسل.

(2) فى الأصل وحسن التوسل: «بإدارته»؛ وهو تحريف فى كليهما، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا إذ بقية الكلام تدل على أنه حل لبيت المتنبي وهو:

أعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم.

(3) كذا فى الأصل؛ والذى فى حسن التوسل: «لمرتاد»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.

(4) فى الأصل: «أسمائه»؛ وهو تحريف.

مُوالاةِ مَلِك الإسلام التى من لم يَتمسّك [بها] (١) فقد فارق الجماعة ؛ فإن الله تعالى قَرَن طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بطاعة أُولى الأمر ، وحَثّ على ملازَمة الجماعة فى وقت يكون المتمسّك فيه بدينه كالقابض على الجمر ؛ وهذا فعلُ من أراد الله به خيرا ، وسعىُ من يُحْسِن فى دين الله سِيرةً وسَيْرًا ؛ ولذلك ٱقتضت آراؤنا الشريفةُ إمضاءَ عزمه على الجهاد بالإجاد ، وإنفاذَ سهمه فى أهل العناد بالإسعاف والإسعاد ، وأرسلنا الجيوشَ الإسلاميّة كما تقدّم شرحُه يطشون الصّحاصح ، ويَستقرِبون المَدى النازح ، ويأخذون كلّ كَمِيّ فلو ٱستطاع السِّماكَ لم يتسمّ بالرامح ، ويَحتسبون الشُّقّةَ فى طلب عدوّ الإسلام علما أنهم لا يُنفِقون نفقةً صغيرةً ولا كبيرةً ولا يقطعون واديا إلا كُتِب لهم به عملٌ صالح ؛ فرُسِم بالأمر الشريف — لا زال يهَبُ الدُّوَل ، ويقلّد أجيادَ العظماء ما تَوَدّ لو تحلّت ببعض فرائده تيجانُ الملوك الأُوَل — أن تُفوّض إليه نيابةُ الممالك الفلانيّة تفويضا يصون به قلاعَها ، [ويصُول بمهابته على من حاول ٱنتزاعَها من يده وٱقتلاعَها] (٢) ؛ ويُجريها على [ ما ] (٣) أَلِفت ممالكُنا من أمْنٍ لا يُروَّع سِرْبُه ، ولا يكدَّر شِرْبُه ؛ ولا يُوجَد فيه باغ تُخاف السبيلُ بسببه ، ولا من يجرِّد سيفَ بغيٍ وإن جرّده قُتِل به ؛ وليَحفظْ من ٱلأطراف ما ٱستودعه ٱلله وهذا التقليدُ الشريفُ حِفظَه ، وليَعمَل فى قتال مُحاربيه من العِدا بقوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من الاصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل ص ١١٤ طبع الوهبية .

(٢) هذه التكملة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل ليتم بها السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالتــــه .

(٣) فى الأصل : «على ألفت» بدون «ما» والسياق يقتضى إثباتها .

ومنه : وليَعلم أن جيوشَنا فى المَســير إليه متى قَصدتْ عدوّا سابقت خيولُها خَيالَهــا ، وجارت جِيادُها ظلالَهــا ، وأنِفتْ سَنابكُها أن تجعل غيرَ جماجم الأعداء نعالَها ؛ وهاهى قد تقدّمت ونَهضت لإنجاده ، فلو سامها أن تخُوض البحار فى سبيل الله لخاضت ، أو تَصْدِم الجبالَ لصَدَمت .

ومنه : والشرعُ الشريفُ مُهِمُّه المقــدَّم ، وأمرُه السابقُ على كلّ ما تقــدّم ؛ فليُعْلِ مَنارَه ، وليَستشِفّ من أموره أنوارَه ؛ ولْيُنَفِّذْ أحكامَه ، وليعاضِــدْ حكّامَه ؛ ومن عَدل عن حُكمه معاندا ، أو ترَك شيئا من أحكامه جاحدا ؛ فقــد برِئت الذمّة من دمه حتى يفِيءَ الى أمر الله ، ويَرجِعَ عن عناده ويُنيبَ إلى الله ؛ فإن الله يَهدى إليه من أناب "وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ" .

(٨١) وأما الرسائل التى تَتضمّن أوصافَ السلاح وآلاتِ الحرب وأوصافَ الخيــل والجوارح وأنواع الرياضات وما أشبه ذلك ، فالكاتبُ فيه مطلَقُ العِنان ، مُخَلًّى بينه وبين فصاحتــه ، موكولٌ إلى آطّلاعه وبلاغته ؛ وقد تقدّم من أوصاف الســلاح ما فيه كفايةٌ لمن يريد ذلك .

وأما الخيل والجوارح وما يَلتحِق بذلك من(١) الفهود والضَّوارى فلا غُنْيَــةَ للكاتب عن معرفته جِيادَها ، والأماراتِ الدالّةَ على فَراهتها ، وكلِّ طيرٍ من الجارح وأفعالَه وآستطالَته ، وكيفيّةَ فعله ، وتمكّنه من الطير والوحش ؛ وسنُورد إن شاء الله تعالى فى فنّ الحيوان الصامتِ — وهو الفنّ الثالثُ من هذا الكتاب — ما يَقتدِى الكاتب بمثاله ، ويَنسِجُ على منواله .

(١) كذا فى الأصل . قال فى تاج العروس مادة « لحق » : وقولهم : "التحق به" ، أى لحق ، مولدة ، قال الصاغانى : لم أجده فيما دوّن من كتب اللغة ، فليجتنب ذلك اهـ .

وأما الرسائل التى تُعمل رياضةً للخواطر وتجربةً للقرائح، كالمفاخرات بين الفواكه والأزهار، ووصف الرياحين والأنهار والغدران والسّواقى والجداول والبحار والمراكب وأمثال ذلك، فقد تقدّم منها فى الفنّ الأوّل من هذا الكتاب ما وقفتَ أو تقف عليه، وسنُورد منها إن شاء آلله تعالى فى آلفن آلرابع فى النبات ما تجدُه هناك.

وأما الرسائل الإخوانيّةُ وما يَتجدّد من الأمور ويَطرأ من الحوادث وغير ذلك، فسنُورد إن شاء الله تعالى منها فى هذا الباب ما آنتخبناه من رسائل الكُتّاب والبُلغاء المَشارِقة والمَغارِبة على ما تقف عليه؛ ولنبدأ من ذلك بذكر شىء من كلام الصحابة والصدر الأوّل.

---

## ذكر شىء من الرسائل المنسوبة إلى الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وشىء من كلام آلصدر الأوّل وبلاغتهم

قَدّمنا أنّ الكاتب يَحتاج فى صناعته إلى حفظ مخاطَبات آلصحابة رضى الله عنهم، ومحاوَراتهم ومراجَعاتهم، فأحببنا أن نُورد من ذلك فى هذا الموضع ما ستقف إن شاء الله عليه؛

فمن ذلك الرسالة المنسوبةُ إلى أبى بكر الصّدّيق إلى علىّ، وما يتّصل بها من كلام عمرَ بن الخطاب وجوابِ علىٍّ رضى الله عنهم؛ وهذه آلرسالة قد آعتنى الناس بها وأوردوها [فى] المجاميع، ومنهم من أفردها فى جزء، وقطع بأنها من كلامهم رضى الله عنهم، ومنهم من أنكرها ونفاها عنهم، وقال: إنها موضوعةٌ، وآختلف آلقائلون بوضعها، فمنهم من زعم أنّ فُضَلاء الشّيعةِ وضعوها، وأرادوا بذلك الآستنادَ إلى

[أن][(١)] عليًّا بنَ أبى طالب رضى ٱلله عنه إنما بايع أبا بكر الصِّدِّيقَ بسبب ما تضمّنته؛ وهذا الإسنادُ ضعيفٌ، وحجةٌ واهيةٌ، والصحيح أن عليّا بن أبى طالب رضى الله عنه بايع بيعةَ رضًى باطنُــه فيها كظاهره، والدليـل على ذلك أنه وطِئَ من السَّبْىِ الذى سُبِىَ فى خلافة أبى بكر، وٱستولد منه محمّدَ بنَ ٱلحنفيّة، ولا جواب لهم عن هــذا؛ ومنهم من زعم أن فضــلاء السنّة وضعوها، والله أعلم؛ وعلى ٱلجمــلة فهذه الرسالة لم نُوردها فى هذا الكتاب إثباتا لما أنها من كلامهم رضى ٱلله عنهم ولا نفيا، وإنما أوردناها لمــا فيها من البلاغة، وٱتّساقِ الكلام، وجُودةِ الألفاظ، وها نحن نُوردها على نص ما وقفنا عليه

قال أبو حَيّانَ علىّ بنُ محمد التوحيدىُّ البغدادىُّ :

(٨٣) سَمَرنا ليـلة عند القاضى أبى حامد بن بشر المَرْوَرُّوذىِّ ببغداد، فتصرّف فى الحديث كلَّ متصرَّف — وكان غزيرَ[(٢)] الروايه، لطيفَ الدرايه — فجرى حديث السَّقيفة، فركب كلَّ مَركَبٍ، وقال قولا، وعرَّض بشىء، ونَزَع إلى فنّ؛ فقال : هل فيكم من يحفظ رسالة لأبى بكر الصِّدِّيق إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما وجوابَ علىّ عنها، ومبايعتَه إياه عقب تلك المناظرة؟ فقال الجماعة : لاوالله، فقال : هى والله من بنات الحقائق، ومخبّآتِ الصنادق، ومنذ حفظتُها ما رويتُها إلا لأبى محمد المهلّبىّ فى وِزارته، فكتبها عنّى بيده، وقال : لا أعرف رسالة أعقلَ منها ولا أبينَ، وإنها لتــدُلّ على عِلم وحِلم وفصاحة ونباهة، وبُعــد غَور، وشدّة غوص؛ فقال له

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) فى الأصل : «عزيز»؛ وهو تصحيف .

العَبّادانىّ (١) : أيها القاضى، لو أتممتَ المِنّة علينا بروايتها سمعناها (٢)، فنحن أوعى لها عنك من المهلّبىّ، وأوجبُ ذماما عليك؛ فاندفع وقال : حدّثنا الخُزاعىّ بمكّةَ، عن أبى ميسرةَ (٣) قال : حدّثنا محمد بن فُلَيح (٤) عن عيسى بن دأب (٥) [ نبأ صالحُ بنُ كَيْسان ويزيدُ بنُ رُومان (٦)، قالا : حدّثنا هشام بن عُروةَ، نبأ ] أبو النفّاح (٧) قال : سمعت

(١) العبادانى : نسبة الى عبادان؛ وعبادان : موضع منسوب الى عباد بن حصين الحبطى لأنه أوّل من رابط به فنسب إليه بزيادة الالف والنون على طريقة أهل البصرة ونواحيها فى النسبة، فإنهم اذا سموا موضعا ونسبوه الى رجل أو صفة يزيدون فى آخره ألفا ونونا، كقولهم فى قرية عندهم منسوبة الى زياد بن أبيه : زيادان، وأخرى الى عبد الله : عبد ليان، وأخرى الى بلال بن أبى برده : بلالان، وعبادان هذه تحت البصرة قرب البحر الملح، فإن دجلة اذا قاربت البحر انفرقت فرقتين عند قرية تسمى المحرزى : ففرقة يركب فيها الى ناحية البحرين نحو بر العرب، وهى اليمنى؛ فأما اليسرى فيركب فيها الى سيراف وجنابة فارس، فهى مثلثة الشكل. وعبادان فى هذه الجزيرة التى بين النهرين، وهى موضع ردىء سبخ لا خير فيه، وماؤه ملح، وفيه مشهد لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه . اه ملخصا من ياقوت ج ٣ ص ٥٩٨ طبع جوتنجن .

(٢) فى صبح الأعشى : «أسمعناها» بصيغة الأمر؛ والمعنى يستقيم على كليهما .

(٣) كذا فى صبح الأعشى؛ والذى فى الأصل : "ابن أبى ميسرة"؛ ولم نقف عليه فيما لدينا من الكتب المدوّنة فى أسماء الرواة .

(٤) فى الأصل وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٧ طبع المطبعة الأميرية : «ابن أبى فليح»؛ ولم نقف عليه فيما بين أيدينا من المظان، وما أثبتناه عن خلاصة تذهيب التهذيب للخزرجى وغيرها .

(٥) كذا فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ٢ ص ٥٩٣ طبع مطبعة الحلبى، والمشتبه فى أسماء الرجال، وتاج العروس مادة دأب، وغير ذلك من المصادر؛ والذى فى الأصل : "ابن ذؤاب" ولم نقف عليه فيما لدينا من المظان .

(٦) هذه التكملة ساقطة من الأصل؛ وبها يستقيم السند . انظر محاضرة الأبرار لابن العربى ج ٢ ص ١٠٣ طبع السعادة .

(٧) كذا وردت هذه الكنية فى محاضرة الأبرار لابن العربى المحفوظ منها نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٨ أدب م وكذلك فى النسخة المطبوعة طبع السعادة السالفة الذكر، ونص فيها على أن أبا النفاح مولى أبى عبيدة بالنون والفاء . والذى فى الأصل : «ابن المتاح»؛ ولم نقف عليه فيما لدينا من المظان .

مولاي أبا عُبَيدةَ يقول : لمـا استقامت الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه بين المهاجرين والأنصار بَعد فتنة كاد الشيطانُ بها، فدفع الله شرَّها، ويَسَّر خيرَها، بَلَغ أبا بكر عن عليٍّ تلكُّؤٌ وشماس، وتَهَمُّمٌ[1] ونفاس، فكَرِه أن يَتَمادى الحالُ فتبـدوَ العَورة، وتَشتعلَ الجمرة، وتَفرَّقَ ذاتُ البين، فدعاني، فحضرته في خَلْوة، وكان عنده عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه وحدَه، فقال : يا أبا عُبَيـدة ، ما أيمَنَ ناصيتَك، وأبينَ الخـيرَ بين عينيك ، وَطَالَمَـا أعزَّ الله بك الإسلام، وأصلَح شأنَه على يديك، ولقد كنتَ من رسول الله صـلى الله عليه وسلم بالمكان المَحُوط ، والمَحَلِّ المغبوط ، ولقـد قال فيك في يوم مشهود : "لكلّ أمّة أمين، وأمين هذه الأمّة أبو عُبَيدة" ولَم [تَزَل][2] للدِّين مُلتَجا، وللمؤمنين مُرتَجى، ولأهلك رُكنا، ولإخوانك رِدْءا؛ قد أردتك لأمرٍ له خطر مَخُوف، وإصـلاحُه من أعظم المعروف؛ ولئن لم يَندمِل جُرحُه بيسارك[3] ورِفقك، ولم تُجَبَّ حيّتُه برُقيتك، فقد وقع اليأس، وأعضَل الباس؛ واحتيج بعـد ذلك إلى ما هو أمَرُّ منـه وأعلَق، وأعسَرُ منه وأغلَق؛ والله أسأل تمـامَه بك، ونظامَه على يديك، فتأتَّ له يا أبا عُبَيدة، وتَلطَّفْ فيه، وانصَحْ لله عزّ وجلّ، ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذه العِصابة غيرَ آلٍ جُهْدا، و[لا] قالٍ حَمْدا؛ والله كالئك وناصرك، وهاديك ومبصِّرُك، إن شاء الله؛ امض إلى عليٍّ واخفِض له جَناحَك، واغضُض

---

(١) يقال : تهمم فلان الشيء، اذا طلبه؛ والمراد هنا طلب الخلافة . وفي رواية : "تهمهم"، وهو الكلام الخفي؛ والمعنى يستقيم على ذلك أيضا . والنفاس : المنافسة .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصـل ؛ واستقامة الكلام تقتضي إثباتها انظر صـبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٨ طبع المطبعة الأميرية .

(٣) كذا في الأصـل؛ وفي رواية : "بمسبارك" ؛ انظر محاضرة الأبرار ج ٢ ص ١١١ طبع السعادة في تفسير هذه الرسالة . والمسبار : فتيل يدخل في الجرح ليعرف كم عمقه ؛ يقال : سبرت الجرح إذا اختبرته بالمسبار .

عنده صوتك ، وأعلم أنه سُلالةُ أبي طالب ، ومكانُه ممّن فقدناه بالأمس صلى الله عليه وسلم مكانُه ، وقل له : البحرُ مُغرِقه ، والبرّ مَفرَقه ، والجوُّ أكْلَف[1] ، والليلُ أغْدَف[1] ، والسماءُ جَلْواء ، والأرضُ صَلْعاء ، والصُّعودُ متعذِّر ، والهبوطُ متعسِّر ، والحقُّ عَطوفٌ رءوف ، والباطلُ عنوفٌ عسوف[2] ، والعُجْبُ قَدّاحةُ[3] الشرّ ، والضِّغنُ رائد البَوار ، والتعريضُ سِجالُ[4] الفتنة ، والقِحَةُ ثَقوبُ[5] العداوة ، وهذا الشيطانُ متّكِئٌ على شِماله ، مُتحبِّل[6] بيمينه ، نافِخٌ حِضْنَيه[7] لأهله ، يَنتظر الشَّتاتَ والفُرقة ، ويَدِبّ بين الأئمة بالشَّحناء والعداوة ، عِنادا لله عز وجلّ أوّلا ، ولآدمَ ثانيا ، ولنبيّه صلى الله عليه وسلم ودينه ثالثا ، يُوسوِس بالفجور ، ويُدْلي بالغُرور ، ويُمَنِّي أهلَ الشرور ، يُوحي إلى أوليائه زُخرفَ القول غُرورا بالباطل ، دَأْبا له منذ كان على عهد أبينا آدمَ صلّى الله

---

(١) الأكلف من الكلف ، وهو لون بين السواد والحمرة . وأغدف الليل : أرخى سدوله وأظلم ؛ ولم نعثر عليه فيما بين أيدينا من كتب اللغة إلا فعلا . وفي محاضرة ابن العربي ج ٢ ص ١٠٤ طبع السعادة : « أغلف » باللام ؛ وذكر في تفسيره ص ١١١ أنه الشديد الظلمة اهـ كنى بهذا عن اشتباه الأمور وخفاء طرق الهداية .

(٢) كذا في الأصل وغيره من المصادر التي بين أيدينا لهذه الرسالة ؛ ولم نقف على هذه الصيغة فيما لدينا من كتب اللغة .

(٣) القداحة بتشديد الدال : حجر الزند .

(٤) السجال : جمع سجل بفتح أوله وسكون ثانيه ، وهو الدلو العظيمة .

(٥) الثقوب بفتح الثاء : ما تشعل به النار من دقاق العيدان . والذي في الأصل : « ثقوف » بالفاء الموحدة ؛ وهو تحريف .

(٦) المتحبل بتشديد الباء الموحدة : المتصيد بالحبالة ؛ وفي الأصل : « متحيل » بالياء المثناة ؛ وهو تصحيف .

(٧) قال في اللسان مادة « نفخ » في تفسير هذه العبارة : أي متفخ ، مستعد لأن يعمل عمله من الشر اهـ . وفي الأصل وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٨ : « خصيه » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، والتصويب عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٩٣ طبع مطبعة الحلبي . وفي النهاية لابن الأثير : « ناجغ حضنيه » بالجيم ؛ وقال في تفسيره : كنى به عن التعاظم والتكبر والخيلاء .

عليه ، وعادةً له منــذ أهانه الله تعالى فى سالف الدهر ، لا مَنجَى منــه إلا بِعضّ الناجِذ على الحقّ ، وغَضّ الطرف عن الباطل ، ووطْءِ هامَةِ عدوّ الله بالأشدّ فالأشدّ ، والآكَدِ فالآكَد ، وإســلامِ النفس لله عزّ وجلّ فى ابتغاء رضاه ؛ ولا بدّ الآن من قول ينفع اذا ضرّ السكوتُ وخِيف غِبُّه ، ولقد أرشدك من أفاء ضالّتك ، وصافاك مَن أحيا مَودّتَه بعتابك ، وأراد لك الخيرَ مَن آثر البقاء معك ، ما هــذا الذى تُسوّل لك نفسُك ، ويَدْوَى(١) به قلبُك ، ويَلتوِى عليه رأيُك ، ويَتخاوَص(٢) دونه طَرْفُك ، ويَسْرِى فيه ظَعْنُك ، ويَترادف معه نَفَسُك ، وتَكثُر عنده صُعَداؤك ، ولا يفيض به لسانُك ؟ (٨٣) أعُجمةٌ بَعــد إفصاح ؟ أتلبيسٌ بَعــد إيضاح ؟ أدِينٌ غيرُ دينِ الله ؟ أخُلُقٌ غيرُ خُلُقِ القرآن ؟ أهدىٌ غيرُ هدى النبى صلى الله عليه وسلّم ؟ أمِثْلى تَمشى إليــه الضَّراءَ(٣) وتَدبّ له الخَمَر(٣) ؟ أوَ مِثْلُك ينقبض عليه الفضاءُ ويُكسَف(٤) فى عينه القمر ؟ ما هذه القَعْقَعةُ(٥) بالشّنان ؟ وما هــذه الوَعْوَعةُ باللسان ؟ إنك والله جِدُّ عارف باستجابتنا إلى الله عزّ وجلّ ولرسوله صلى الله عليه وســلّم ، وبخروجنا عن أوطاننا وأموالنا وأولادنا وأحبّتنا لله(٦) عزّ وجلّ ولرسوله ونُصْرةً لدينــه ، فى زمان أنت فيــه فى كِنّ الصِّبا ،

---

(١) يدوى : من الدوى بفتح الواو ، وهو داء باطن فى الصدر .

(٢) التخاوص : غض البصر مع تحديق كمن يقوم سهما .

(٣) قال فى اللسان مادة ضرا : يقال للرجل اذا ختل صاحبه ومكر به : هو يدب له الضراء ويمشى له الخمر ، ويقال : لا أمشى له الضراء ولا الخمر ؛ أى أجاهره ولا أخاتله ؛ والضراء الاستخفاء . ثم قال بعد ذلك نقلا عن ابن شميل : ما واراك من شىء وادرأت به فهو خمر .

(٤) نقل عن ثعلب أن الأجود أن يقال : كسفت الشمس ، وخسف القمر انظر اللسان والمصباح مادة «خسف» .

(٥) قال فى اللسان مادة قعع : وفى المثل فلان لا يقعقع له بالشنان ، أى لا يخدع ولا يروّع ، وأصله من تحريك الجلد اليابس للبعير ليفزع .

(٦) عبارة صبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٩ «هجرة الى الله» الخ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

وخِدرِ القَرارة، وعُنفُوانِ الشَّبِيبة [غافلا عما][1] يَشِيب ويُرِيب[2]، لا تَعِي ما يُراد ويُشاد، ولا تُحصِّل ما يساق ويقاد، سوى ما أنت جار عليه إلى غايتك التى إليها عُدِل بك، وعندها حُطَّ رَحلُك، غيرَ مجهولِ القدر، ولا مجحودِ الفضل، ونحن فى أثناء ذلك نعانى أحوالا تُزيل الرواسى، ونقاسى أهوالا تُشيبُ النَّواصى؛ خائضين غِمارَها، راكِبين تيَّارَها؛ نتجرع صابَها، ونُشْرِج[3] عِيابَها؛ ونُحكِم آساسَها، ونُبرِم أمراسَها؛ والعيونُ تحدِّج[4] بالحسد، والأُنوفُ تعطِس بالكِبْر، والصدورُ تَستعِر بالغَيظ، والأعناقُ تتطاول بالفخر، والشِّفارُ تُشحَذ بالمكر، والأرضُ تَمِيد بالخوف، لا ننتظِر عند المَساء صباحا، ولا عند الصباح مَساء، و[لا][5] ندفع فى نحر أمر إلّا بعد أن نحسوَ الموت دونه، ولا نَبلُغ مُرادا إلى شىء إلّا بعد تجرّع العذاب معه، ولا نُقيم مَنارا إلا بعد الإياس من الحياة عنده، فادين فى جميع ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالأب والأم، والخالِ والعم، والمالِ والنَّشَب، والسَّبَد واللَّبَد[6]، والهِلَّة والبِلَّة[7]، بطِيب أنفُس، وقُرَّة أعيُن، ورُحْبِ أعطان، وثَباتِ عزائم، وصِحّة عقول، وطَلاقة أوجُه، وذَلاقة ألسُن؛ هذا مع خفيّاتِ أسرار، ومكنوناتِ أخبار كنتَ عنها غافلا،

(١) التكملة عن صبح الأعشى؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها.

(٢) عبارة الأصل: «تشب وتغيب»، وهو تحريف؛ وقوله: «ويريب»، هو من رابنى الأمر وأرابنى، إذا رأيت منه ما تكره.

(٣) أشرج العيبة وشرجها بدون همز: شدّ عراها.

(٤) التحديج بالجيم: التحديق. وفى الأصل: «تخدع» بالخاء والعين؛ وهو تحريف.

(٥) فى الأصل: «وندفع» بدون «لا»؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها.

(٦) السبد واللبد: كناية عن القليل والكثير؛ وأصل السبد: الوبر، واللبد: الصوف المتلبد.

(٧) يريد بالهلّة والبلّة كل شىء؛ والعرب تقول: ما أصاب هلة ولا بلة: أى شيئا، ويقال: جاءنا فلان فلم يأتنا بهلة ولا بلة؛ قال ابن السكيت: فالهلة من الفرح والاستهلال، والبلة من البلل والخير.

ولولا سِنُّك لم تكن عن شيء منها نا كلاً؛ كيف وفؤادُك مَشهوم[١]، وعُودُك معجوم! والآن قــد بَلغ ٱللهُ بك، وأنهض الخيرَ لك، وجَعَـل مرادَك بين يديك، وعن عِلم أقول ما تَسـمع؛ فٱرتقبْ زمانَك، وقلِّص أردانَك[٢]، ودع التقعّس[٣] والتجسّس لمن لا يَظلَع لك إذا خطا، ولا يتزحزح عنك إذا عَطا؛ فالأمرُ غَضّ، والنفوسُ فيها مَضّ[٤]؛ وإنك أديمُ هذه الأمّة فلا تَحلَم[٥] لجَاجا، وسيفُها العَضبُ فلا تَنبُ ٱعوجاجا، وماؤها العَذبُ فلا تَحُلْ أُجاجا؛ والله لقــد سألتُ رسول الله صلّى ٱلله عليه وسلّم عن هــذا الأمر فقال لى: "يا أبا بكر، هو لمن يَرغب عنه لا لمن يجاحِش[٦] عليه، ولمن يتضاءل عنه لا لمن يَنتفِجُ[٧] إليه، هو لمن يقال: هُو لك، لا لمن يقول: هُو لى" ولقد شاورنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصِّهر، فذَكر فِتيانا من قريش، فقلتُ: أين أنت من علىّ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: إنى لأكره لفاطمة مَيْعـةَ شَبابِه، وحَداثةَ سِنّه، فقلتُ له: متى كَنَفتْه يدُك، ورعتـه عينُك، حَفّت بهما البركة، وأُسبِغتْ عليهما النعمة، مع كلام كثير خاطبتُه به رغبـةً فيك، وما كنتُ عرفتُ منـك فى ذلك حَوْجاءَ ولا لَوْجاء، فقلتُ ما قلتُ وأنا أرى مكانَ غيرِك، وأجِد

(١) المشهوم: الذكى الفؤاد المتوقد، كالشهم.

(٢) التقليص: التشمير.

(٣) التقعس: التأخر، كالتقاعس.

(٤) المض: الألم والحزن.

(٥) حلم الجلد: وقع فيه الحلم بفتح اللام، وهو دود يقع فى الجلد فيأكله، فاذا دبغ وهى موضع الأكل منه؛ يريد أنه الذى يجتمع به شمل الأمة وتصان به أمورها، فاذا فسد تفرق ما كان مجتمعا منها كالأديم الذى يصان به سائر البدن.

(٦) يجاحش: يدافع.

(٧) الانتفاج: الارتفاع، أو هو مستعار هنا من قولهم: انتفجت الأرنب اذا وثبت، ومعنى العبارة يستقيم على كلا التفسيرين.

رائحةَ سواكَ، وكنتُ إذ ذاكَ خيرا لك منك الآنَ لى؛ ولئن كان عرّض بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الأمر فلم يكن مُعْرِضا عن غيرك، و إن كان قال فيك فما سكت عن سواك، و إن تلجلج فى نفسك شىءٌ فهلمَّ فالحكم مَرضِىٌ، والصوابُ مسموع، والحقُّ مُطاع؛ ولقد نُقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما عند الله عزّ وجلّ وهو عن هذه العصابة راض، وعليها حَدِب، يَسُرّه ما يَسُرّها[1]، و يسوءه ما يسوءها[1]، و يكيده ما كادها، و يرضيه ما أرضاها، ويُسخطه ما أسخطها، أما تعلم أنه لم يدَع أحدا من أصحابه وأقاربه وسُجَرائه[2] إلا أبانه بفضيلة، وخصّه بمزيّة، وأفرده بحالة؟ أتظنه صلى الله عليه وسلم ترك الأمة سدًى بَدَدا، عَباهِلَ[3] مَباهِلَ[3]، طَلاحَى[4]، مفتونةً بالباطل، مَعْنُونةً[5] عن الحقّ، لا ذائد ولا رائد، ولا ضابط ولا حائطَ ولا رابط، ولا ساقِىَ ولا واقِىَ، ولا هادىَ ولا حادىَ[6]؛ كلا، والله ما اشتاق الى ربّه تعالى، ولا سأله المَصيرَ الى رضوانه وقُرْبه إلّا بعد أن ضَرَب المَدَى[7]، وأوضح (٨٤)

---

(١) كذا ورد هذين الفعلين فى الأصل بصيغة المضارع، والذى فى صبح الأعشى ج١ ص ٢٤١: «ما سرّها» «وما ساءها» بصيغة الماضى، وهو أظهر لمشاكلته لما بعده.

(٢) السجراء: الأصفياء، والمفرد سجير كأمير.

(٣) العباهل من الإبل: المهملة. والمباهل بمعناه؛ استعار ذلك الذين تفرقت كلمتهم وتشتت شملهم.

(٤) الطلاحى: الإبل التى تشتكى بطونها من أكل الطلح؛ أراد به هنا القوم الذين لا راعى لهم يصدّهم عما يضرهم، ولا قانون يمنعهم عن أن يردوا موارد تسوءهم، فهم يتبعون ما تقودهم اليه الشهوة كالإبل التى تأكل من الطلح الذى يؤذيها حتى تشتكى بطونها.

(٥) معنونة: من عننت الفرس، أى حبسته بالعنان.

(٦) فى الأصل: «ذادى»؛ وهو تحريف.

(٧) ضرب المدى، يريد: بين الغاية.

المدى ، وأبان الصُّوَى[1] ، وأمَّن المسالكَ والمطارحَ ، وسهَّل المبارِكَ والمهايع[2] ، وإلا بعد أن شَدَخَ يافُوخَ الشِّرك بإذن الله تعالى ، وشَرَم وجهَ النفاق لوجه الله سبحانه ، وجَدَع أنفَ الفتنة فى ذات الله ، وتَفَل فى عين الشيطان بعَون الله ، وصَدَع بملءِ فيه ويده بأمر الله عزّ وجلّ ؛ وبعد ، فهؤلاء المهاجرون والأنصارُ عندك ومعك فى بقعة واحدة ، ودارٍ جامعة ، إن آستقالُونى لك[3] ، وأشاروا عندى بك ، فأنا واضعٌ يدى فى يدك ، وصائرٌ الى رأيهم فيك ، وإن تكن الأخرى فآدخل فى صالح ما دخل فيه المسلمون ، وكن العونَ على مَصالحهم ، والفاتحَ لمَغالقهم[4] ، والمرشدَ لضالّتهم ، والرادعَ لغَوايتهم ، فقد أمر الله تعالى بالتعاون على البرّ والتقوى ، والتناصرِ على الحق ، ودعنا نَقضِ هذه الحياة بصدور بريئة من الغِلّ ، سليمةٍ من الضغائن[5] والحِقد ، ونَلقَ الله تعالى بقلوب سليمةٍ من الضغن ؛ وبعد ، فالناس ثُمَامة[6] فارفُق بهم ، وآحنُ عليهم ، ولِنْ لهم ، ولا تُشْقِ[7] نفسك بنا خاصّةً منهم ، وآترك ناجمَ الحقد

(١) فى الأصل : «الضوى» بالضاد المعجمة ، وهو تحريف . والصوى بضم الصاد المهملة : حجارة مركومة فى الطريق تجعل أعلاما .

(٢) فى الأصل : «المنايح» ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن صبح الأعشى .

(٣) فى الأصل : «واستقادونى» ؛ ولم نقف عليه فيما لدينا من كتب اللغة الا فعلا لازما ، تقول : استقاد فلان لى اذا أعطاك مقادته ، أو متعديا الى مفعول من القود بفتح القاف والواو ، وهو القصاص .

(٤) المغالق : جمع مغلق بكسر الميم ، والمغلق : ما يغلق به الباب ، كالمغلاق ؛ كما فى شرح القاموس مادة «غلق» نقلا عن الراغب ...

(٥) كذا فى الأصل ؛ وهذا اللفظ مكرر مع ما يأتى فى الفقرة التى بعده مع اختلاف بينهما بالإفراد والجمع ، ولم يرد فى المصادر التى بين أيدينا لهذه الرسالة .

(٦) الثمامة بضم الثاء : واحدة الثمام ، وهو نبت ضعيف له خوص ، وربما حشى به وسدّ به خصاص البيوت ، ويشبه به فى الضعف .

(٧) فى الأصل : «تتول» ، ولم نجد من معانيه ما يناسب المقام ، والتصويب عن صبح الأعشى .

حَصيدا ، وطائرَ الشرّ واقعا، وبابَ الفتنة مُغلَقا، فلا قالَ ولا قِيل ، ولا لَومَ ولا تعنيف(١)، واللهُ على ما تقول شهيد، وبما نحن عليه بصير .

قال أبو عُبَيدة : فلما تأهّبتُ للنهوض قال عمرُ رضى الله عنه : كُنْ لدى الباب هُنَيهةً فلى معك دور من القول، فوقفتُ وما أدرى ما كان بعدى إلّا أنه لحقنى بوجه يُبدى تهلّلا ، وقال لى : قل لعلىّ : الرُّقادُ مَحلَمة، والهوى مَقحَمة، ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾، وحقٌّ مُشاعٌ أو مقسوم، ونَبأٌ ظاهرٌ أو مكتوم، وإنّ أَكيَسَ الكَيْسَى مَن منح الشاردَ تألُّفا، وقارَبَ البعيدَ تلطُّفا، ووَزَنَ كلّ شىء بميزانه، ولَم يَخلِط خَبَره بعِيانه، ولم يجعل فِتْرَه مكانَ شِبره دِينا كان أو دنيا، ضلالا كان أو هُدى، ولا خيرَ فى علمٍ مستعمَلٍ فى جهل، ولا خيرَ فى معرفة مَشُوبةٍ بنُكر، ولسنا كجِلدة رُفْغ(٢) البعير بين العِجان والذَّنَب(٣)، وكلُّ صالٍ فبناره، وكلُّ سيلٍ فإلى قراره، وما كان سكوتُ هذه العِصابة إلى هذه الغاية لِعىٍّ وشِىٍّ(٤)، ولا كلامُها اليوم لفَرَقٍ أو رفق، وقد جدَعَ الله بمحمد صلى الله عليه وسلّم أنفَ كلِّ ذى كِبْر، وقَصَم ظهرَ كلِّ جبّار، وقطَع لسانَ كلِّ كذوب ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ ما هذه الخُنْزُوانةُ(٥) [التى](٦) فى فَراش(٧)

---

(١) فى الأصل : «تنيع» وفى صبح الأعشى : «تبيع» وهو تحريف فى كليهما ؛ وما أثبتناه عن شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ٢ ص ٥٩٤ طبع مطبعة الحلبى .

(٢) الرفغ بفتح الراء وضمها ، أصول الفخذين من باطن ؛ وكأن وجه التشبيه فى ذلك الخسة وضعة المنزلة .

(٣) فى الأصل : «الرأس» وما أثبتناه عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٢ إذ به يستقيم المعنى .

(٤) الشىّ بكسر الشين : إتباع للعىّ . وفى الأصل : «وى» بالميم ، وهو تحريف .

(٥) الخنزوانة : الكبر .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن صبح الأعشى .

(٧) فراش الرأس : عظام دقاق تلى القحف .

رأسك ؟ ما هـذا الشجا المعترِض فى مدارج أنفاسك ؟ ما هذه القَذاةُ التى تغشّت ناظرَك ؟ وما هـذه الوَحَرةُ[(١)] التى أكلت شَرا سِيفَك؟ وما هـذا الذى لَبِستَ بسببه جلدَ النَّمِر، واشتمَلتَ عليه بالشَّحناء والنُّكر، ولسنا فى كسرويّة كسرى، ولا فى قيصريّة قَيصر، تأمّل لإخوان فارس وأبناء الأصفر؛ قد جعلهم الله جَزَرا لسيوفنا، وَدريئةً لرماحنا، ومَرعًى لطعاننا، وتَبَعا لسلطاننا؛ بل نحن نُور نبوّة، وضياءُ رسالة، وثمرةُ حِكْمة، وأثْرةُ رَحْمه، وعُنوانُ نِعْمه، وظلُّ عِصْمه؛ بَيْن أمّة مَهديّة بالحق والصدق، مأمونةٍ على الرَّتْق والفتق، لهـا من الله إباءٌ أبِيّ، وساعدٌ قوِىّ، ويدٌ ناصره، وعينٌ ناظره ؛ أتظن ظنّا يا علِىّ أن أبا بكر وثَب على هـذا الأمر مُفْتاتا على الأمّة، خادعا لها، أو متسلّطا[عليها]؟ أتراه حَلّ عُقودَها [وأحال عقولَها][(٢)]؟ أتراه جَعلَ نهارَها ليلا، ووزنَها كَيلا، ويَقَظتَها رُقادا، وصلاحَها فسادا ؟ لا والله، سلا عنها فوَلِهَتْ له، وتطامن لها فلَصِقتْ به، ومالَ عنها فمالت إليه، وٱشمأزّ دونها فاشتمَلتْ عليه، حَبوةً حباه الله بها، وعاقبةً بلّغه الله إليها، ونعمةً سَربَلَه جَمالَها، ويدا أوجب عليه شكرَها وأمّةً نظر ٱللهُ به لهـا، والله تعـالى أعلمُ بخلقـه، وأرأفُ بعباده، يختار ما كان لهم الخِيرَة، وإنك بحيث لا يُجهَل موضعُك من بيت النبوّة، ومعدِنِ الرسالة، ولا يُجحد حقُّك فيما آتاك الله، ولكن لك من يزاحمك بمَنكِب أضخَم من مَنْكِبك، وقُرْبٍ أمَسَّ من قَرابتك، وسنٍّ أعلى من سنّك، وشَيبةٍ أرْوَعَ من شيبتك، وسيادةٍ لهـا أصلٌ (٨٥) فى الجاهليّة وفرعٌ فى الإسلام، ومواقفَ ليس لك فيها جملٌ ولا ناقه، ولا تُذكَر فيها

(١) الوحرة : ضرب من العظاء، وهى صغيرة حمراء تعدو فى الجبابين لها ذنب دقيق تمصع به إذا عدت، وهى أخبث العظاء، لا تطأ طعاما ولا شرابا إلا سمّته ولا يأكله أحد إلا دق بطنه، وربما أهلك، شبه العداوة والغل بها . قال فى اللسان مادة «وحر» : الوحر : غش الصدر وبلابله، ويقال : إن أصل هذا من الدويبة التى يقال لها الوحرة، ثم قال : شبهوا العداوة ولزوقها بالصدر بالتزاق الوحرة بالأرض .

(٢) التكملة عن صبح الأعشى .

فى مقدِّمة ولا ساقة ، ولا تَضرِب فيها بذراع ولا إصبع ، ولا تخرُج منها ببازل(١) ولا هُبَع(١) ؛ ولم يزل أبو بكر حَبّة قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعَلاقةَ نفسه وعَيْبةَ سرِّه ، ومَفزَعَ رأيه ، وراحةَ كفِّه ، ومَرْمَق طَرْفه ؛ وذلك كلُّه بمحضر الصادر والوارد من المهاجرين والأنصار شهرةً مغنيةً عن الدليل عليه ، ولعمرى إنك أقربُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قَرابة ، ولكنه أقربُ منك قُربة(٢) ، والقرابةُ لحمٌ ودم ، والقُربةُ نفسٌ ورُوح ، وهذا فرقٌ عرَفه المؤمنون ، ولذلك صاروا إليه أجمعون ؛ ومهما شككتَ فى ذلك فلا تشُكُّ أن يدَ الله مع الجماعه ، ورضوانه لأهل الطاعه ، فادخل فيما هو خيرٌ لك اليومَ وأنفعُ غدا ، والفِظْ من فيك ما يعلَق بلَهاتك ، وانفُثْ سخيمةَ صدرك عن تُقاتك ، فإن يك فى الأمَل طُول ، وفى الأجل فُسحة ، فستأكله مَريئا أو غيرَ مَرىء(٣) ، وستشربه هَنيئا أو غيرَ هَنىء ، حين لا رادٌّ لقولك إلا من كان منك ، ولا تابعَ لك إلّا من كان طامعا فيك ، يَعَضّ إهابَك ، ويَعرُك أديمَك ، ويَزرى على هَدْيك ، هنالك تقرَع السنَّ من ندَم ، وتجرَع الماءَ ممزوجا بدم ، وحينئذ تأسَى على ما مضى من عمرك ، ودارج قوّتك ، فتودُّ أن لو سُقيتَ بالكأس التى أبيتَها ، ورُددتَ إلى حالتك التى استغويتَها ، ولله تعالى فينا وفيك أمرٌ هو بالغُه ، وغيبٌ هو شاهدُه ، وعاقبةٌ هو المرجوُّ لسرّائها وضرّائها ، وهو الولىّ الحميد ، الغفورُ الودود .

(١) البازل والبزول : الجمل أو الناقة فى التاسع من سنيه ، وليس بعده سن تسمى . والهبع بضم الهاء وفتح الباء : الفصيل فى آخر النتاج .

(٢) القربة : الوسيلة .

(٣) فى الأصل : «هنيئا مريئا» وقوله : «هنيئا» زيادة من الناسخ كما يدل على ذلك سياق ما بعده ، وانظر صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٣ .

قال أبو عُبَيْــدة : فمشيت مترمّلا(١) أنوء كأنما أخطو على رأسى فرقا من الفُرقة ، وشفقا على الأمّة ، حتى وصلت إلى علىّ رضى الله عنــه فى خلاء ، فأبثثته(٢) بثّى كلّه ، وبرئت إليه منه ، ورفقت به ؛ فلمّا سمعها ووعاها ، وسرتْ فى مفاصله حُمَيّاها ؛ قال : حلّت مُعلَوّطة(٣) ، وولّت مُخْرَوّطة(٣) ، وأنشأ يقول :

إحدى لياليك فهيسى هيسى(٤) * لا تَنعَمى الليلة بالتعــريس

نعم يا أبا عُبَيدة ، أ كلّ هذا فى أنفُس القوم يُحسّون به ، ويضطبعون(٥) عليه؟

قال أبو عُبَيدة : فقلت : لا جوابَ لك عندى ، إنما أنا قاضٍ حقّ الدّين ، وراتقٌ فتق المسلمين ، وسادٌّ ثُلْمةَ الأمّة ، يعلم الله ذلك من جُلْجلانِ(٦) قلبى ، وقرارةِ نفسى ؛ فقال علىٌّ رضى الله عنــه : والله ما كان قعودى فى كِسْر هذا البيت قصــدا للخلاف ، ولا إنكارا للمعروف ، ولا زِرايةً على مُســلم ، بل لمــا وقذنى(٧) به رسولُ الله صــلى الله عليه وســلم من فراقه ، وأودعنى من الحُزن لفقده ، وذلك أنى لم أشهد بعــده مشهدا إلا جدّد علىّ حُزنا ، وذكّرنى شجنا ، وإن الشوق [إلى] اللحاق به كافٍ عن الطمع فى غيره ، وقد عكفتُ على عهــد الله أنظر فيه ، وأجمع ما تفرّق [منــه]

---

(١) المترمل : الملتف ؛ يريد أنه خرج مستخفيا .

(٢) يقال : أبثثته السر ، اذا أطلعته عليه .

(٣) المعلوّطة : من الاعلوّاط ، وهو ركوب الرأس والتقحم على الأمور من غير رويّة ؛ والمخروّطة : السريعــة .

(٤) هو مثل يضرب للرجل يأتى الأمر يحتاج فيه الى الجد والاجتهاد . والهيس بفتح الهاء : السير مطلقا .

(٥) أراد بالاضطباع هنا : الانطواء والاشتمال ؛ وقد استعاره من قولهم : اضطبع الشىء ، اذا جعله تحت ضبعيه ، وهما عضداه . وفى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد : «يضطغنون» ؛ والاضطغان : الاشتمال أيضا .

(٦) جلجلان القلب : سويداؤه .

(٧) وقذه : تركه عليلا .

ورجاءَ ثواب مُعَدٍّ لمن أخلص لله عَمَلَه، وسلّم لعلمه ومشيئته، وأمرِه ونهيه؛ على أنى ما علمت أن التظاهرَ علىّ واقع، ولى عن الحقّ الذى سَبق لى دافع، وإذ قد أفْعَم الوادى بى، وحُشِد النادى من أجلى، فلا مَرحَبا بما ساء أحدا من المسلمين وسرّنى، وفى النفس كلامٌ لولا سابقُ عَقْد، وسالفُ عهد، لشَفَيتُ نفسى بخِنْصرى وبِنْصرى، وخُضتُ لُجّتَه بأَخْمَصى ومَفْرِقى، ولكنى مُلْجَمٌ الى أن ألقَ ربّى، وعنده أحتسب ما نزل بى(١)، وإنى غاد إلى جماعتكم، مبايعٌ لصاحبكم، صابرٌ على ما ساءنى وسرّكم، "لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا".

قال أبو عُبَيدة : فعدت الى أبى بكر رضى الله عنه، فقَصَصت القول على غَرّه(٢)، ولم أختزل شيئا من حُلوه ومُرّه، وبكّرتُ غُدْوةً إلى المسجد، فلما كان صباحُ يومئذ إذا علىٌّ يَختَرق الجماعة إلى أبى بكر رضى الله عنهما، فبايعه، وقال خيرا، ووَصَف جميلا، وجلس زِميتا(٣)، واستأذن للقيام فمضى، وتبعه عمر مكرِما له، مستثيرا لما عنده، فقال علىٌّ رضى الله عنه : ما قعدت عن صاحبكم كارها له، ولا أتيته فَرَقا، ولا أقول ما أقول تَعِلّة، وإنى لأعرف منتَهى طَرْفى، ومَحَطَّ قَدَمى، ومَنْزَعَ قوسى، ومَوقِعَ سهمى، ولكن قد أَزَمتُ على فأسى(٤) ثقةً بربّى فى الدنيا والآخرة.

فقال له عمر رضى الله عنهما : كَفْكِف غَرْبَك، واستوقِف سِرْبَك، ودع العصا بلحائها، والدِّلاءَ على رِشائها، فإنا من خَلْفِها وورائها؛ إن قدَحْنا أورَينا، وإن (٨٦)

(١) كذا فى صبح الأعشى؛ وفى الأصل : «ما ترك لى».

(٢) على غره، يريد : على أصله؛ وأصل الغر : الكسر المثنى فى جلد أو ثوب، يقال : اطو الثوب على غروره، أى على مكاسره.

(٣) الزميت بتشديد الميم : الوقور، وبابه كرم.

(٤) يقال : أزم الفرس على فأس اللجام، أى عض وأمسك؛ يريد أنه كتم ما فى نفسه من الشكوى، ولم يبح بما يعانيه من الألم.

مَتَحْنا أروَينا، و إن قَرَحْنا أدمَينا، ولقــد سمعتُ أماثيلَك التى لَغَّزْتَ[1] فيها عن صدر أُكُلٍ بالجوَى، ولو شئتُ لقلتُ [علىّ][2] مقالتك ما إن سمعتَــه ندمتَ على ما قلتَ ؛ وزعمتَ أنك قعدتَ فى كسر بيتك لِمَا وَقَذَك به رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن فقدِه، فهو وَقَذَك ولم يَقِذْ غيرَك؟ بل مُصابُه أعَمّ وأعظمُ من ذلك، وإنّ مِن حقّ مُصابه ألا تَصْدَعَ شَمْلَ الجماعة بفُرقة لا عِصام لها، ولا يؤمَن كيدُ الشيطان فى بقائها، هذه العربُ حَولَنا ، والله لو تداعت علينا فى صبح نهار لَم نَلتقِ فى مَسائه ؛ وزعمتَ أن الشوق الى اللَّحاق به كافٍ عن الطمع فى غيره ، فمن علامة الشوق إليــه نُصرةُ دينــه ، ومؤازَرةُ أوليائه ومعاوَنتُهم ؛ وزعمتَ أنك عكفت على عهــد الله تجمع ما تفرّق منه، فمِن العُكوف على عهد الله النصيحةُ لعباد الله ، والرأفةُ على خلق الله، وبَذْلُ ما يَصلُحون به، ويَرْشُــدون عليه ؛ وزعمتَ أنك لم تعــلم أن التظاهر وقع عليك، وأىُّ حَقّ لُطّ دونَك ؟ قــد سمعتَ وعلمتَ ما قالت الانصار بالأمس سرًّا وجهرا، وتقلّبت عليه بطنا وظهرا، فهل ذكرتْك، أو أشارت بك، أو وَجدتَ رضاهم عنك؟ هل قال أحد منهم بلسانه : إنك تصلُح لهذا الأمر، أو أومأ بعينه، أو هَمْهَم[3] فى نفسه ؟ أتظنّ أن النــاس ضَلّوا من أجلك، وعادوا كفّارا زهدا فيك وباعوا الله تعــالى تحامُلا عليك؟ لا والله، لقد جاءنى عَقيل بن زيادٍ الخزرجىُّ [فى نفر من أصحابه ومعهم شُرَحْبِيــلُ بن يعقوبَ الخزرجىُّ][4] وقالوا : إن عليّا ينتظر الإمامة، ويزعم أنه أولى بها من غيره، وينكر على من يَعقِد الخلافة، فأنكرتُ عليهم ،

(١) كذا ورد هذا الفعل بتشديد الغين فى أساس البلاغة .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، وقد أثبتناها عن صبح الأعشى، إذ بها تستقيم العبارة .

(٣) الهمهمة : الكلام الذى لا يصرح به .

(٤) التكملة عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٦ ؛ وما بعدها يقتضى إثباتها .

وردتُ القول فى نحورهم حين قالوا : إنه ينتظر الوَحْىَ، ويتوكّف[1] مناجاةَ المَلَك، فقلت : ذلك أمرٌ طواه الله تعالى بعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، أكان الأمر معقودا بأُنشُوطة[2]، أو مشدودا بأطراف لِيطة[3]؟ كلّا والله، لا عَجْماءَ بحمد الله إلا وقد أفصحت، ولا شَوكاءَ إلّا وقد تفتّحت؛ ومن أعجب شأنك قولك : لولا سالفُ عهد، وسابقُ عقد، لشفيتُ غيظى، وهل ترك الدِّينُ لأهله أن يَشفُوا غيظهم بيد أو لسان؟ تلك جاهليةٌ قد استأصل الله شأفتها، واقتلع جرثومتها، وهوّر[4] ليلَها، وغوّر سيلَها، وأبدل منها الرَّوحَ والرَّيحان، والهدى والبرهان؛ وزعمتَ أنك مُلجَم، ولعمرى إنّ من اتقى الله، وآثر رضاه، وطلب ما عنده، أمسك لسانَه، وأطبق فاه، وجعل سعيَه لما وراه.

فقال علىٌّ رضى الله عنه : مهلا مهلا يا أبا حفص، والله ما بذلتُ ما بذلتُ وأنا أريد نكثه، ولا أقررتُ ما أقررتُ وأنا أبتغى حِولًا عنه؛ وإن أخسرَ الناس صَفقةً عند الله من آثرَ النفاق، واحتضن الشِّقاق؛ وفى الله سلوةٌ عن كل حادث، وعليه التوكّل فى كلّ الحوادث؛ إرجع يا أبا حفص إلى مجلسك ناقعَ القلب، مبرودَ الغَليل، فسيحَ اللَّبان[5]، فصيحَ اللسان، فليس وراء ما سمعتَ وقلتَ إلا ما يشُدّ الأزر، ويحُطّ الوِزر، ويضع الإصر، ويجمع الأُلفة بمشيئة الله وتوفيقه.

قال أبو عُبيدة رضى الله عنه : فانصرف علىٌّ وعمرُ رضى الله عنهما، وهذا أصعب ما مرّ على علىّ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) يتوكف : ينتظر، ويقال : فلان يتوكف الأخبار، نحو يستقطر الأخبار.

(٢) الأنشوطة : عقدة تحل اذا جذب أحد طرفيها.

(٣) الليطة : واحد الليط، وهو قشر القصب.

(٤) هور : أذهب. (٥) اللبان : الصدر.

ومن كلام عائشة أمّ المؤمنين بنتِ أبى بكر الصِّـدّيق رضى الله عنهما، وهو ممـا اتصل إلينا بالرواية الصحيحة ، والأسانيد الصريحة ، عن محمد بنِ أحمدَ ابنِ [أبى] المُثَنَّى(١)، عن جعفر بن عَون، عن هِشام بن عُروةَ، عن أبيه، عن عائشةَ رضى الله عنها : أنه بلغها أنّ أقواما يتناولون أبا بكر رضى الله عنـه ، فأرسلَتْ الى أَزْفَلَةٍ من الناس ، فلمّا حضروا أَسدلتْ أستارَها ، وعلَت وِسادَها ، ثم قالت : أبى وما أَبِيَه ! أبى والله لا تَعْطُوه الأَيْدى ، ذاك طَوْدٌ مُنِيف ، وظلٌّ مَدِيد ، هيهاتَ ، كَذَبت الظُّنون ، أَنْجَحَ(٢) إذ أَكْدَيتم ، وسَبَقَ إذ وَنَيتم "سَبْقَ الجَوادِ إذا استَوْلى على الأَمَدِ" فَتَى قريش ناشئا ، وكَهْفُها كَهلا ، يَفُكُّ عانيَها ، ويَرِيش مُمْلِقَها ، ويَرْأَب شَعْبَها ، ويَلُمّ شَعَثَها ، حتى حَلِيَتْه(٣) قلوبُها ، ثم اسْتَشْرَى فى دين الله ، فما بَرِحت شَكِيمتُه فى ذات (٨٧) الله عزّ وجلّ حتى اتّخذ بِفِنائه مسجدا يُحْيِي فيه ما أمات المبطلون ، وكان رحمه الله غزيرَ الدَّمْعة ، وَقِيذَ الجوانح ، شجِيَّ النَّشِيج ، فانعطفتْ اليه نسوانُ مكّة وولدانُها يسخرون منه ، ويستهزئون به ، ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ فأَكْبَرتْ ذلك رجالاتُ قريش ، فحَنَتْ قِسيَّها ، وفَوّقتْ سهامَها ، وامتثلوه(٤) غرَضا فما فَلُّوا له صَفاة ، ولا قَصَفوا له قَناة ، ومَرّ على سِيسائه ، حتى اذا ضَرَب الدِّينُ بجِرانه ، وألقَى بَرْكَه ، ورَسَت أوتادُه ، ودخل الناسُ فيه أفواجا ، ومن كلّ فِرقة أرسالا

---

(١) كذا ورد هـذا الاسم فى تهذيب التهذيب لابن حجر أثناء الكلام على جعفر بن عون ، والذى فى الأصل : «ابن المثنى» ، ولم نقف عليه فيما لدينا من الكتب المدوّنة فى أسماء الرواة .

(٢) فى اللسان مادة « كدا » « ونجح » بدون همز .

(٣) حليته : استحلته .

(٤) فى الأصل وصبح الأعشى : «وانتثلوه» بالنون ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر اللسان مادة «مثل» .

وأشتاتا، اختار الله لنبيّه ما عنده، فلمّا قبض الله نبيّه صلى الله عليه وسلم نصب[1] الشيطان رواقه، ومدّ طُنُبَه، ونصب حبائله، وأجلب بخيله ورَجِله، واضطرب حبلُ الإسلام، ومَرِج عهدُه، وماج أهلُه، وبُغِيَ الغوائلُ، وظنّت رجال أن قد أكْثَبَ[2] نُهَزُها، ولات حين الذى يرجُون، وأنّى والصّدّيقُ بين أظهرِهم؟ فقام حاسرا مشمّرا، بجمع حاشيتيه، ورَفَع قُطرَيه، فردّ رَسَنَ الإسلام على غَرْبِه، ولَمّ شَعَثَه بطبّه، وأقام أَوَدَه بثقافه، فابذَعَرّ النفاقُ بوطئه، وانتاش الدّينَ فنَعَشه، فلمّا أراح الحقّ على أهله، وقرّر الرءوسَ على كواهلها، وحَقَن الدماء فى أُهُبها، أتته منيّته، فسَدّ ثُلْمَته بنظيره فى الرحمة، وشَقيقه فى السّيرة والمَعدِلَة، ذاك ابنُ الخطّاب، لله درّ أمّ حفَلَت[3] له، ودَرّت عليه! لقد أوحدتْ به، ففنّخ الكفرةَ وديّخها، وشرّد الشّركَ شَذَرَ مَذَر، وبعج الأرضَ وبخعها، فقاءت أُكُلَها[4]، ولفظت خبيئها، ترأمه ويصدِف عنها، وتصدّى له ويأباها، ثم وزّع فيها فيئَها، وودّعها كما صحبها؛ فأرونى ما ترتابون؟ وأىّ يومَىْ أبى تنقِمون؟ أيومَ إقامته إذ عدَل فيكم، أم يومَ ظَعْنه وقد نَظَر لكم؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

ثم أقبلتْ على الناس بوجهها فقالت: أَنْشُدكم اللهَ، هل أنكرتم مما قلتُ شيئا؟

قالوا: اللهمّ لا.

---

(١) فى صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٨: «ضرب»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.

(٢) كذا فى الأصل؛ والذى فى اللسان مادة «كثب» «أكثبت أطماعهم»؛ وفى صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٨: «أكثبت أطماعهم نهزها»، والمعنى يستقيم على كل من هذه الروايات الثلاث.

(٣) فى الأصل: «حلت به»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما سيأتى فى شرحه لهذه الكلمة.

(٤) فى صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٨: «خبأها»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.

## ذكر شرح غريب رسالتها رضى الله عنها

الأَزْفَلَةَ : الجماعةُ . وتَمَطُّوه : تَناوَلُه . والطَّوْد : الجبلُ . والمُنِيف : المُشْرِفُ . وأَكْدَيْتم : خِبتم ويَئِسَ من خيرِكم . ووَنَيْتم : فترتم وضعفتم . والأَمَد : الغايةُ . ويَرِيش : يُعطِي ويُفْضِل . والمُمْلِق : الفقيرُ . ويَرْأَب : يَجمَعُ . والشَّعْب : المتفرقُ . ويَلُمّ : يضُمّ . واستَشْرَى : جَدَّ وأنكش . والشَّكِيمةُ : الأَنَفةُ والحَمِيَّةُ . والوَقِيذُ : العليلُ . والجوانح : الضلوع القِصارُ التى تقرُب من الفؤاد . والشجِيُّ : الحَزِينُ . والنَّشِيجُ : صوتُ البكاء . وانعطفتْ : انثنت . وامتثلوه[1] : مثلوه . والغرض : الذى يُقصَد للرَّمْي . وفَلَوا : كَسَروا . والصَّفاةُ : الصخرة الملساءُ . وقَصَفوا : كَسروا . وسِيساؤه : شدّته ، والسِّيساءُ : عَظْمُ الظهرِ ، والعرب تضربه مثلًا لشدّة الأمر ، قال الشاعر[2] :

لقد حَمَلت قيسُ بنُ عَيْلانَ حربَنا[3] * على يابِسِ السِّيساءِ مُحْدَوْدِبِ الظَّهرِ

والجِرانُ : الصَّدْرُ . ورَسَتْ : ثبتت . ومَرِجَ : اختلط . وماجَ أهلُه : اضطربوا وتنازعوا . وبُغِيَ الغوائلُ ، معناه وطُلِب البلايا . وأَكْثَبَ : قَرُبَ . والنُّهْزَ : اختلاسُ الشيء والظَّفَرُ به مبادَرةً . ولات حين الذى يطلبون[4] ، معناه : وليست الساعةُ[5] حينَ ظَفَرِهم . وقولها : بجَمْع[6] حاشيتيه ورَفَع قُطْريه ، معناه تحزَّمَ

(١) كذا فى الأصل ؛ وعبارة اللسان فى شرح هذه الجملة : أى نصبوه هدفا لسهام ملامهم وأقوالهم وهو افتعل ، من المثلة اهـ . (٢) هو الأخطل ، كما فى اللسان مادّة « سيس » .

(٣) فى الأصل : « زيتا » ؛ وهو تحريف يختل به الوزن والمعنى ؛ والتصويب من اللسان .

(٤) كذا فى الأصل ، والذى سبق فى الخطبة : «يرجون» .

(٥) فى الأصل : « الشجاعة » ؛ وهو تحريف .

(٦) عبارة الأصل : « وقولها : فرفع حاشيتيه ، وجمع قطريه » وفيه تقديم وتأخير ، والصواب العكس ، ليوافق ما مر فى الخطبة ، ونصها فى اللسان مادّة « قطر » « قد جمع حاشيتيه ، وضم قطريه » وقال فى تفسير ذلك ، جمع جانبيه عن الانتشار والتبدد والتفرق .

للأمر وتأهّبَ له . والقُطْرُ : الناحيــةُ . والطبُّ : الدواء . والأَوَدُ : العِوَجُ . والثِّقَافُ : تقويمُ الرماح وغيرِها . وابْذَعَرَّ : تَفرّقَ . وانتاش الدِّينَ، أى أزال عنه ما يُخاف عليــه . ونَعَشَه : رَفَعَه . وأراح الحقَّ على أهــله ، أى أعاد الزكاةَ التى مَنعتها العرب فقاتَلَ عليها حتى رُدَّت الى حكم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وقرّرَ الرءوسَ على كواهلها، معناه وقَى المسلمين القتلَ . والكاهلُ : أعلى الظهر وما يتصل به . وحَقَنَ الدماءَ فى أُهُبِها ، معناه أنه حقن دماءَ المسلمين فى أجسادهم . والأُهُب : جمعُ إهابٍ ، وأصــلُ الإهاب الجلد ، فكَنَتْ به عن الجسد . وقولها : لله دَرُ أمٍّ حَفَلت له ، أى جمعت له اللبن . وقولها : أُوحدتْ به، معنــاه جاءت به منفردا لا نظير له . وقولهــا : فَفَنَخَ الكفرةَ، معناه أذلّها . ودَيَّخها : صَــغَّرَ بها(١) . وبَعَجَ الأرضَ وبَخَعها، معناه شَقَّها واستقصى غلّتها(٢) . وشَذَرَ مَذَرَ، معناه تفريقا، يقال : شَذَرَ مَذَرَ، وشَغَرَ بَغَرَ، بمعنى واحد . وقولهــا : حتى قامت أُكُلُها، معناه أخرجت خبزها . وتَرَأَّمَه : تعطف عليه . وتَصدَّى له : تَعرَّضُ له . (٨٨)

ومن كلام على بن أبى طالب رضى الله عنه ما كَتَب به إلى معــاويةَ بنِ أبى سُــفيانَ جوابا عن كتابه — وهو من محاسن الكتب — كتب رضى الله عنه :

أما بعد، فقد أتانى كتابك تذكُرُ فيه اْصطفاءَ الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم لدينه، وتأييدَه إيّاه بمن أيّده به من أصحابه، فلقد خَبَأَ(٣) لنا الدهرُ منــك عَجَبا ،

(١) كذا فى الأصل؛ ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على تعدية هذا الفعل بالباء .

(٢) فى الأصل : « عليها » وهو تحريف ؛ وذكر فى اللسان مادّة « بخع » فى تفسير هذه الكلمة أن المعنى قهر أهلها وأذلهم واستخرج ما فيها من الكنوز وأموال الملوك .

(٣) فى الأصل : «جاء» ، وهو تحريف لا تستقيم به العبارة ، والصواب ما أثبتنا كما فى صبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٩ وغيره .

أفطَفِقت تُخبرنا بآلاء الله عندنا؟ فكنتَ فى ذلك كناقل التمر الى هَجَرَ، أو داعى مُدَرِّه الى النِّضال؛ وزعمتَ أنّ أفضــلَ الناس فى الإسلام فلانٌ وفلان، فذكرتَ أمرا إن تمّ اعتزلك كُلُّه، وإن نَقَص (١) لم يلحقك ثَلْمُه؛ وما أنت والفاضــلَ والمفضول، والسائلَ والمسئول؟ وما الطُّلَقاءُ وأبناءُ الطُّلَقاءِ والتمييزَ (٢) بين المهاجرين الأوّلين، وترتيبَ درجاتهم، وتعريفَ طبقاتهم؟ هيهاتَ لقــد «حنّ قِدْحٌ (٣) ليس منها»، وطفِق يحكمُ فيها من عليه الحُكْمُ لها، ألا ترْبَع على ظَلْعِك، وتَعرِف قُصورَ ذَرْعِك، وتتأخّر حيث أخّرك القدر، فما عليك غَلَبةُ المغلوب، ولا لك ظَفَرُ الظافر، وإنك لذهّابٌ فى التِّيه، رَوّاغٌ عن الفضل (٤)، ألا ترى — غيرَ مُخْبِرٍ لك، ولكن بنعمة الله أُحدِّث — أن قوما استُشهِدوا فى سبيل الله من المهاجرين — ولِكلٍّ فضل — حتى إذا استُشهِد شهيدُنا (هو حمزة) قيل: سيّد الشهداء، وخصّه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه؛ ألا ترى أن قوما قُطِّعتْ أيديهم فى سبيل الله — ولِكلٍّ فضل — حتى إذا فُعِل بأحدنا ما فُعِل بواحدهم قيــل: الطيّار فى الجنة، وذو الجناحين (هو جعفر) ولولا [ما] (٥) نهى الله عنه من تزكية المرء نفسَه لذَكَر ذاكرٌ فضائلَ جمّة تعرفها قلوب المؤمنــين، ولا تمجّها آذانُ السامعين، فدع عنــك مَن مالت به الدنيّة (٦) فإنا

(١) فى الأصل: «يغض»؛ وهو تصحيف.

(٢) فى الأصل: «والتميين»؛ وهو تحريف لا تستقيم به المعنى.

(٣) هذا مثل يضرب لمن يفتخر بقبيلة ليس منها، أو يتمدح بما ليس فيه؛ والأصل فى ذلك أن الواحد من قداح الميسر اذا كان من غير جوهر أخواته وأجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها.

(٤) كذا فى الأصل؛ والذى فى نهج البلاغة ج ٢ ص ١٩ طبع بيروت: «القصد»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين. (٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها.

(٦) فى نهج البلاغة ج ٢ ص ١٩ طبع بيروت: "الرمية"؛ والرمية الصيد ترميه فتقصده، والمراد بها الدنيا؛ وقال شارح نهج البلاغة فى تفسير قوله «مالت به» ما نصــه: «ومالت به: خالفت قصده فاتبعها»، مثل يضرب لمن اعوج غرضه فمال عن الاستقامة لطلبه.

صنائعُ ربنا، والناسُ بعدُ صنائعُ لنا، لم يمنعنا قديمُ عزّنا، وعادىُّ(١) طَوْلِنا على قومك أن خلطناهم بأنفُسنا، فنكحنا وأنكحنا فِعْلَ الأكْفاء ولستم هناك، وأنَّى يكون ذلك كذلك؟ ومنّا النبىُّ ومنكم المكذِّب(٢)، ومنّا أَسَدُ الله(٢)، ومنكم أَسَدُ الأحلاف(٢)، ومنا سيدا(٢) شباب أهل الجنة، ومنكم صِبْيةُ النار(٢)، ومنا خيرُ نساء العالمين(٢)، ومنكم حمّالةُ الحطب(٢)؛ فإسلامُنا قد سُمِع، وجاهليّتنا لا تُدْفَع، كتابُ الله يجمع لنا ما شَذَّ عنّا و[هو](٣) قوله سبحانه : ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فنحن مرّةً أَولَى بالقَرابة، وتارة أَولَى بالطاعة ؛ ولما احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السَّقيفة برسول الله صلى الله عليه وسلم فَلَجُوا عليهم ، فإن يكن الفَلَجُ به فالحقُّ لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم؛ وزعمتَ أنّى لكلّ الخلفاء حسدتُ، وعلى كلِّهم بغيتُ، فإن يكن ذلك كذلك فليست الجنايةُ عليك، فتكون المَعذرةُ إليك.

"وتلك شَكاةٌ ظاهرٌ(٤) عنك عارُها"

---

(١) العادىّ : القديم .

(٢) المكذب : أبو جهل . وأسد الله : حمزة بن عبد المطلب . وأسد الأحلاف : أبو سفيان ابن حرب ، لأنه حزب الأحزاب وحالفهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق . وسيدا شباب أهل الجنة : هما الحسن والحسين ولدا على كرم الله وجهه . وصبية النار هم أولاد مروان بن الحكم . وخير نساء العالمين : فاطمة . وحمالة الحطب : أم جميل بنت حرب عمة معاوية، وزوجة أبي لهب .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٠ .

(٤) يقال : ظهر عنه العار، إذا لم يعلق به ونبا عنه . وقوله : وتلك شكاة الخ عجز بيت لأبى ذؤيب الهذلىّ ؛ وصدره : * وعيرها الواشون أنى أحبها * انظر اللسان مادة «ظهر» .

وقلتَ: إنى كنت أُقادُ كما يقاد الجمل المخشوش(١) حتى أبايع، ولعمر الله [لقد](٢) أردتَ أن تذُمّ فحمِدتَ، وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة فى ان يكون مظلوما مالم يكن شاكًّا فى دينه، ولا مرتابا فى يقينه، وهذه حُجّتى إلى غيرك قَصْدُها، ولكنى أطلقتُ لك منها بقدر ما سنح من ذِكْرِها.

ثم ذَكرتَ ما كان من أمرى وأمر عثمانَ، [فلك](٣) أن تجاب عن هــذه لِرَحِمه(٤) منــك، فأيُّنا كان أعدَى له، وأهْدَى الى مَقاتله؟ أمن بَذَل له نُصرتَه فاستقعده واستكفّه، أمّن استنصره فتراخَى عنه، وبثّ المَنُونَ إليه، حتى [أتى](٣) قَدَرُه عليه؟ كلّا والله ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وما كنتُ أعتذر من أنّى كنتُ أنقِم عليه أحداثا، فإن كان الذنبُ إليــه إرشادى وهدايتى له "فرُبَّ ملُومٍ لا ذنبَ له" (٨٩)

* وقد يستفيد الظِّنّةَ(٥) المتنصِّحُ *

وما أردتُ إلا الإصلاحَ ما استطعتُ "وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ"، وذكرتَ أنه ليس لى ولأصحابى إلا السيف، فلقــد أضحكتَ بعــد استعبار، متى ألْفيتَ بنى عبد المطّلب عن الأعداء ناكلين، وبالسيوف مخوَّفين؟ "لَبِّثْ(٦) قليلا يلحق الهيجا

(١) المخشوش: الذى أدخل فى أنفه الخشاش بكسر الخاء، وهو ما يدخل فى عظم أنف البعير من خشب.

(٢) الزيادة عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٠.

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل. وقد نقلناها عن نهج البلاغة ج ٢ ص ٢١ طبع بيروت؛ إذ لا يستقيم الكلام بدونها.

(٤) هذه اللام ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها.

(٥) الظنة: التهمة. وصدر هذا البيت: * وكم سقت فى آثاركم من نصيحة *

(٦) لبث بتشديد الباء، من اللبث، وهو المكث. وحمل بفتح الحاء والميم هو ابن بدر، وهذا مثل يضرب للتهديد بالحرب، ورواية اللسان مادة حمل: «ضح قليلا يدرك» الخ.

حَمْل» فسيطلُبك من تَطلُب، ويقرُب منك ما تَستبعِد، وأنا مُرْقِلٌ نحوك فى جحفل من المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، شديدٍ زحامُهم، ساطعٍ قَتامُهم، متسربلين سرابيلَ الموت، أحبُّ اللقاء إليهم لقاءُ ربّهم، قد صحبتْهم ذرّيّة بدرية، وسيوفٌ هاشمية، قد عرفت مواقعَ نِصالها فى أخيك وخالك وجدّك وأهلك[1] «وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ».

ومن كلام الأحنف بن قيس حين وبّخه معاويةُ بنُ أبى سفيانَ بتخذيله عائشةَ رضى الله عنها، وأنه شَهِد صِفّين، وقال له: فَعلتَ وفعلتَ، فقال: ياأمير المؤمنين، لِمَ تَرُدُّ الأمورَ على أعقابها؟ أما والله إنّ القلوبَ التى أبغضناك بها لَبين جوانحنا، والسيوفَ التى قاتلناك بها لَعلى عواتقنا، ولئن مددتَ بشبرٍ من غدر، لَنَمُدَّنَّ باعا من خَتْر[2]، ولئن شئتَ لتَستصفِيَنّ كَدَرَ قلوبنا بصفوِ حلمك؛ قال معاوية: أفعلُ.

وجلس معاويةُ يوما وعنده وجوهُ الناس، وفيهم الأحنف، فدخل رجلٌ من أهل الشام، فقام خطيبا، فكان آخرَ كلامه أن لَعَن عليًّا رضى الله عنه، فأطرق الناس، وتكلّم الأحنفُ فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا القائل آنفًا ما قال لو عَلِم أنّ رضاك فى لعن المرسلين للَعَنهم، فاتّقِ الله، ودَعْ عليًّا فقد لقِيَ الله، وأُفرِد فى حُفرته، وخلا بعمله؛ وكان والله — ما عَلمنا — المبرِّزَ بسَبْقه، الطاهرَ فى خُلُقه، الميمونَ النَّقيبة، العظيمَ المصيبة. قال معاويةُ: يا أحنفُ، لقد أغضَيتَ العينَ على القذى، وقلتَ بغير ما ترى، وايمُ الله لتَصْعَدَنّ المنبرَ فتَلْعَنَنّه طائعا أو كارها؛ فقال الأحنف: إن تُعفِنى فهو خير، وإن تُجبرْنى على ذلك فوالله لا تجرى به شفتاى؛ فقال معاويةُ: قم فاصعَد؛ قال: أما والله لأُنصفنّك فى القول والفعل؛ قال معاويةُ: وما أنت

(١) أخوه: حنظلة. وخاله: الوليد بن عتبة. وجدّه: عتبة بن ربيعة.

(٢) الختر: أقبح الغدر.

قائلٌ إن أنصفتَنى؟ قال : أَصعَدُ فأَحمَدُ الله وأُثنى عليه وأصلّى على نبيّه، ثم أقول : أيها الناس، إنّ معاويةَ أمرنى أن ألعن عليّا، ألا وإنّ عليّا ومعاويةَ اختلفا واقتتلا، وادّعَى كلٌّ واحد منهما أنه مبغِيٌّ عليه وعلى فئتِه ، فإذا دعوتُ فأمِّنوا رحمكم الله؛ ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكتُك وأنبياؤك ورسلُك وجميعُ خلقك الباغىَ منهما على صاحبه، والفِئةَ الباغيـةَ على المبغِىِّ عليها، آمين يارَبَّ العالمين؛ فقال معاويةُ : إذَنْ نُعْفيك يا أبا بحر .

وأَتَى الأحنفُ مُصْعَبَ بنَ الزبير يكلّمه فى قومٍ حبسهم فقال : أصلح الله الأميرَ، إن كانوا حُبِسوا فى باطلٍ فالحقُّ يُخرِجهم، وإن كانوا حُبِسوا فى حقٍّ فالعفوُ يَسَعُهم؛ فخلّاهم .

ولمـا قَدِم وفدُ العراق على معاويةَ وفيهـم الأحنفُ، خرج الآذنُ فقال : إنّ أمير المؤمنين يعزم عليكم ألّا يتكلّم أحدٌ إلّا لنفسه، فلما وَصَلوا اليه قال الأحنف : لولا عَزْمةُ أمير المؤمنين لأخبرتُه(١) أن دافّةً (أى الجماعةُ) دَفَّتْ(٢)، ونازلةً نَزَلتْ ، ونابتةً نابت، وكلُّهم بهم الحاجةُ إلى معروف أمير المؤمنين وبِرِّه؛ فقال: حسبُك ياأبا بحر ، فقد كَفَيتَ الغائبَ والشاهدَ .

ولمـا خطب زِيادُ بنُ أبيه بالبَصْرة قام الأحنف فقال :

لله الأمير! قد قلتَ فأَسمَعتَ، ووَعَظتَ(٣) فأبلغتَ؛ أيها الأمير، إنمـا السَّيفُ بحَدِّه، والقوسُ بشدِّه، والرجلُ بجِدِّه؛ وإنمـا الثناءُ بعد البلاء، والحمدُ بعد العطاء؛ (٩٠)
ولن نُثْنِيَ حتى نَبتلِيَ، ولا نَحمَد حتى نُعطَى .

---

(١) فى الأصل : «لأجزته» بالجيم والزاى المعجمتين؛ وهو تحريف .

(٢) دفت : أتت .

(٣) فى الأصل : «ودعطت»؛ وهو تصحيف .

ولما حُكِّمَ أبو موسى الأشعرىُّ أتاه الأحنف فقال له : يا أبا موسى، إنّ هذا مَسيرٌ له ما بعده من عزِّ الدنيا أو ذلّها آخرَ الدهر، أُدعُ القوم إلى طاعة علىٍّ، فإن أبَوْا فادعُهم أن يختار أهلُ الشام من قريشِ العراقِ مَن أحبّوا، ويختارَ أهلُ العراقِ من قريشِ الشامِ من أحبّوا ، وإياك إذا لقيتَ آبنَ العاص أن تصافحه بنيّة ، وأن يُقعِدك على صدر المجلس، فإنها خَديعةٌ، وأن يضُمَّك وإياه بيتٌ فيكمن لك فيه الرجال ، ودعه فليتكلّم لتكون عليه بالخيار، فالبادئُ مُستغلَقٌ(١)، والمجيبُ ناطقٌ ؛ فما عَمِلَ أبو موسى إلّا بخلاف ما قال الأحنفُ وأشارَ به ، فكان من الأمر ما كان ؛ فلقيَه الأحنف بعد ذلك فقال له : أَدْخَلَ والله قدميك فى خُفٍّ واحدةٍ .

وقال بخراسان : يا بَنى تميم ، تحابّوا [تجتمعْ كلمتُكم](٢) وتَبَاذَلوا(٣) تعتدلْ أمورُكم، وآبدءوا بجهادِ بطونكم وفروجِكم يصلُحْ دينُكم، ولا تَغُلُّوا(٤) يَسلَمْ لكم جهادُكم .

ولمّا قدمت الوفود على عمرَ بنِ الخطّاب رضى الله عنه ، قام هِلالُ بنُ بِشر(٥) فقال : يا أمير المؤمنين : إنا غُرّةُ مَنْ خَلْفَنا من قومنا، وسادةُ مَنْ وراءنا من أهل مصرنا، وإنك إن تَصرِفنا بالزيادة فى أعطياتنا ، والفرائضِ لعيالاتنا ، يَزْدَدْ بذلك

---

(١) أراد بالمستغلق هنا : الذى ليس له الخيار فى رد ما قال ، وهو استعارة من قولهم : استغلقنى فى بيعه ، اذا لم يجعل لى خيارا فى رده .

(٢) هذه التكملة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن البيان والتبيين ج ١ قسم ٢ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٧٠ .

(٣) كذا فى البيان والتبيين فى النسخة السالفة الذكر، والذى فى الأصل : «وتنازلوا» ؛ وهو تصحيف إذ لم نجد من معانيه ما يلائم السياق .

(٤) غل غلولا من باب قعد : خان فى المغنم .

(٥) كذا فى الأصل ؛ والذى فى البيان والتبيين ج ٢ ص ١١٣ طبع الرحمانية : «ابن وكيع» .

الشريفُ تأميلا، وتكن لهم (١) أبا وَصُولا ؛ وإن تكن مع ما نمّت (٢) [به] (٣) من وسائلك، ونُدلِى [به] (٣) من أسبابك كالحبل لا يَحُلّ (٤) ولا يَرتحل، نَرجِعْ بأُنوفٍ مصلُومة (٥)، وجُدودٍ عاثرة، فمَحْنا (٦) وأهالينا بسَجْلٍ مُتْرَعٍ (أى الدَّلوُ الملآنة) من سِجالك المترعة .

وقام زيدُ بنُ جَبَلةَ فقال : يا أميرَ المؤمنين، سَوِّد الشريفَ، وأكرِم الحسيبَ، وازرع عندنا من أياديك ما تسدّ به الخَصاصة، وتطرد به الفاقة ؛ فإنا بقُفّ (٧) من الأرض يابِسِ الأكناف، مقشعرِّ الذِّرْوَة (٨)، لا مُتجرَ (٩) ولا زرع، وإنا من العرب اليوم إذ أتيناك بمرأًى ومَسْمَع .

فقام الأحنف فقال : يا أميرَ المؤمنين، إن مفاتيحَ الخيرِ بيد الله، والحرص قائدُ الحِرْمان، فاتّقِ الله فيما لا يغنى عنك يوم القيامة قِيلًا ولا قالا، واجعل بينك وبين رعيّتك من العدل والإنصاف شيئا يكفيك وِفادةَ الوُفود، واستماحةَ المُمتاح، فإن كلَّ امرئ إنما يَجمع فى وِعائه إلا الأقلّ ممن عسى أن تقتحِمَه الأعينُ فلا يُوفَد إليـك .

(١) فى البيان والتبيين : «وتكن لذوى الأحساب» .

(٢) فى الأصل : «نمن» ؛ وهو تحريف، والتصويب عن البيان والتبيين .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، واللغة تقتضى إثباتها ؛ وانظر البيان والتبيين ج ٢ ص ١١٣ طبع الرحمانية .

(٤) كذا فى الأصل ؛ والذى فى البيان والتبيين : كالجد الذى لا يحل» الخ وكلتا الروايتين غير واضحة المعنى، ولم نقف عليه فيما لدينا من المظان .

(٥) المصلومة : المقطوعة من أصلها .

(٦) فى الأصل : «فرحنا» ؛ وهو تحريف إذ لم نر من معانيه ما يناسب المقام، والتصويب عن البيان والتبيين ؛ «ومحنا» من المنح، وهو الإعطاء .

(٧) فى الأصل : «نقف» بالنون ؛ وهو تحريف، والقف : ما ارتفع من الأرض كالقفة .

(٨) فى الأصل : «نافس» وهو تحريف .

(٩) كذا فى الأصل ؛ والذى فى البيان والتبيين : «شجر» والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

ومن كلام أمّ الخير بنت الحَرِيش البارِقيّة، ـــ وكانت من الفصحاء ـــ

حُكِى أنها لمّا وَفَدت على معاوية قال لها كيف كان كلامُك يوم قُتِل عمّار بنُ ياسر؟ قالت : لم أكن والله زَوّرتُه(١) قَبْلُ ولا رَوَيتُه بعد، وإنما كانت كلماتٌ نَفَثهن لسانى حين الصدمة، فإن شئتَ أن أُحْدث لك مقالا غيرَ ذلك فعلتُ، قال : لا أشاء ذلك، ثم آلتفت إلى أصحابه فقال : أيّكم حَفِظ كلامَ أمّ الخير؟ فقال رجل من القوم : أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظى سورةَ الحمد، قال : هاته، قال : نعم، كأنّى بها يا أمير المؤمنين عليها بُرْدٌ زَبِيدىّ، كَثيفُ الحاشية، وهى على جَمَل أرْمَكَ(٢)، وقد أُحيطَ حولَها وبيدها سوطٌ منتشرُ الضَّفْر(٣)، وهى كالفحل يَهْدِر فى شِقْشِقَته تقول : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ إن الله قد أوضح الحقّ، وأبان الدليل، ونَوّر السبيل، ورَفع العَلَم، فلم يدَعْكم فى عَمْياءَ مبهَمة، ولا سوداءَ مدلهِمّة؛ فأنّى(٤) تريدون رحمكم الله؟ أفرارا عن أمير المؤمنين، أم فرارا من الزَّحْف، أم رغبةً عن الإسلام، أم آرتدادا عن الحق؟ أما سمعتم الله عزّ وجلّ يقول : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ ثم رفعت رأسها إلى السماء وهى تقول : اللهمّ قد عِيلَ الصبر، وضَعُف اليقين، وآنتشرَت الرغبة، وبيدك يارب أزِمّةُ القلوب، فآجمع الكلمةَ على التقوى، وألِّف القلوبَ على الهدى، ورُدّ الحقّ إلى أهله؛ هلمّوا رحمكم الله إلى الإمام العادل،

(١) كذا فى صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٩؛ وزوّرته : ثقفته وهذبته، وهو من قولهم : زوّر الحديث، اذا أزال زوره، أى عوجه. وفى الأصل : «رويته»؛ وما أثبتناه هو المناسب للسياق.

(٢) الأرمك : من الرمكة، وهى لون التراب.

(٣) الضفر : الفتل، والمراد به هنا آسم المفعول.

(٤) فى صبح الأعشى ج ١ ص ٢٥٠ : «فإلى أين».

والوصيّ الوفيّ، والصدّيق الأكبر؛ إنهــا إحَنٌ بدْريّة، وأحقادٌ جاهليــة، وضغائنُ أُحُديّه، وثَبَ بها معاويةُ حين الغفلة ليُدرِك بها ثاراتِ بنى عبد شمس؛ ثم قالت : (٩١) قاتلوا أئمّة الكُفر إنهم لا أيمانَ لهم لعلهم ينتهون ؛ صبرا معشرَ المهاجرين والأنصار، قاتلوا على بصيرة من ربّكم، وثَبات من دِينكم، وكأنّى بكم غدا قد لقيتم أهــلَ الشام كحُمُرٍ مستنفِرة، فرّت من قَسْوَرة، لا تدرِى أين يُسْلَك بها من فِجاج الأرض، باعوا الآخرةَ بالدنيــا، وآشتَروا الضّلالةَ بالهــدى، و باعوا البصيرةَ بالعمى، و"عمّا قليلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمينَ"، حين تحِلّ بهم الندامة، فيطلُبون الإقالة، إنه والله مَن ضَلّ عن الحقّ وقع فى الباطل، ومن لم يَسكُن الجنّــة نزل النار؛ أيهــا الناس، إنّ الأكياس آستقصَروا عمرَ الدنيا فرفضوها، وآستبطَئوا(١) مدّةَ الآخرة فسعَوْا لها؛ والله أيها الناس، لولا أن تَبطُل الحقوقُ، وتعطَّل الحدودُ، ويَظهرَ الظالمون، وتقوى كلمةُ الشيطان، لمَـا(٢) آخترنا وُرودَ المنايا على خَفض العيش وطِيبِه، فإلى أين تريدون ــ رحمكم الله ــ ؟ عن آبن عمّ رسول الله صلى الله عليــه وسلم، وزوج آبنتِه، وأبى آبنيه، خلق من طينته، وتفرّع عن نَبْعتِه، وخصّه بسِرّه، وجعلَه بابَ مدينته، وأعلَمَ بحبّه المسلمين، وأبانَ ببغضه المنافقين؛ فلم يزل كذلك يؤيّده الله بمعونتِــه، ويَمضى على سَنَن آستقامته، لا يعرِّج لراحة اللذّات، وهو مفلِّقُ الهــام، ومكسّرُ الأصنام؛ إذ صلّى والناس مشركون، وأطاع والناس مرتابون؛ فلم يزل كذلك حتى قتَل مبارِزى بدْر، وأفنى أهل أُحُد، وفرّق جَمْعَ هوازن، فيالها وقائعَ زرعَتْ فى قلوب قوم نفاقا، ورِدّةً وشِــقاقا ! وقد آجتهدتُ فى القول، وبالغتُ فى النصيحة، وبالله التوفيق؛ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

(١) فى العقد الفريد : « واستطابوا الآخرة » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .
(٢) كذا وردت هذه العبارة فى الأصل بثبوت اللام ؛ والذى فى كتب القواعد أن الأكثر فى الاستعمال عدم إثباتها فى جواب لولا المنفىّ .

فقال معاوية : والله يا أمّ الخير ما أردتِ بهذا إلا قتلي، والله لو قتلتك ما حَرِجتُ[(١)] في ذلك؛ قالت : والله ما يسوءني يا ابنَ هند أن يُجرِيَ الله ذلك على يدَيْ من يُسعدُني الله بشقائه؛ قال : هيهات يا كثيرة الفُضول، ماتقولين في عثمان بن عفّان؟ قالت : وماعسَيتُ أن أقول فيه؟ استخلفه الناس وهم كارهون، وقتلوه وهم راضون؛ فقال : إيهاً[(٣)] يا أمّ الخير، هذا والله[(٢)] أصلُك الذي تَبنين عليه؛ قالت: لكن اللهَ يشهد "وكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا" ما أردتُ بعثمانَ نقصا، ولقد كان سبّاقا الى الخيرات، وإنه لرفيعُ الدّرجات؛ قال : فما تقولين في طَلحةَ بنِ عُبَيد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول في طَلحةَ؟ اغتِيل من مأمنه، وأُتِيَ من حيث لم يَحذر، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنّة؛ قال : فما تقولين في الزُّبير؟ قالت : ياهذا لا تدَعْني كرَجيع الضّبع يُعرَك في المِرْكَن[(٤)]؛ قال : حقا لتقولِنّ ذلك، وقد عزَمتُ عليك؛ قالت : وما عسَيتُ أن أقول في الزُّبير ابنِ عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَواريّه، وقد شَهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنّة، ولقد كان سبّاقا الى كلّ مكرُمة في الإسلام؛ وإني أسألك بحق الله يامعاوية — فإن قريشا تحدّث أنك من أحلمها — أن تسعَني بفضل حِلمك، وأن تُعفيَني من هذه المسائل، وآمضِ الى ما شئتَ من غيرها؛ قال : نَعم وكَرامة، قد أعفيتُك، وردّها مكرّمةً الى بلدها .

(١) عبارة الأصل : «ولأقتلنك»؛ وما أثبتناه عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٥١ والعقد الفريد ج ١ ص ١٦٤ طبع المطبعة العثمانية؛ وهو الملائم لقوله بعد : «ما حرجت» .

(٢) كذا في صبح الأعشى والعقد الفريد، وهو المناسب لسياق العبارة . وفي الأصل : «الله» .

(٣) إيها : كلمة زجر بمعنى حسبك .

(٤) المركن : شبه تور من أدم يتخذ للماء، أو شبه لقن؛ أو هو الإجانة التي تغسل فيها الثياب ونحوها؛ ولعلها تريد بهذه العبارة : لا تدعني أدنس بالذم أهل الطهارة، وألصق العيوب بمن لا عيب فيه؛ يدل على ذلك قولها فيما سيأتي : وما عسيت أن أقول في الزبير ابن عمة رسول الله الخ .

وممن آشتَهَر بالفصاحة والبلاغة زِياد بن أبِيه، والحجّاجُ بنُ يوسف الثَّقَفىُّ، وسنذكر نُبْذَةً من كلامهما فى التاريخ عند ذكرنا لأخبارهما لمّا وَلِىَ كلٌّ منهما العراقَ، وما خطب الناسَ به ، ولنذكُرْ فى هذا الموضع من كلام الحجّاج ما لم نُورِدْه هناك

قيل : لمّا قَدم الحجّاجُ البَصرةَ خطب فقال : أيها الناس ، مَن أعياه داؤه، فعندى دواؤه؛ ومَن آستطال أجلَه ، فعلىّ أن أعجّلَه ، ومَن ثَقُل عليه رأسُه وَضعتُ عنه ثِقْلَه ؛ ومَن استطال ماضىَ عمره قصّرتُ عليه باقيَه ؛ إن للشّيطان طَيفا ، وللسّلطانِ سيفا؛ فمَن سَقِمت سَريرتُه ، صحّت عقوبتُه ؛ ومَن وضعه ذَنْبُه ، رفعه صَلْبُه، ومن لم تسعْه العافية، لَم تضق عنه الهَلَكةُ ؛ ومن سبقته بادرةُ فمه ، سبق بدنه بسفك دمه ؛ إنى أُنْذِر ثم [لا] أُنْظِر، وأحذِّر ثم لا أعذِر، وأتوعّد ثم لا أعفو ، إنما أفسدكم ترنيقُ(١) وُلاتكم، ومن آسترخى لَبَبُه(٢) ساء أدبُه، إنّ الحزمَ والعزمَ سلبانى سَوطى، وأبدَلانى [به] سيفى،فقائمُه فى يدى، ونِجادُه فى عنق، وذُبابُه قلادةٌ لمن عصانى، والله لا آمر أحدَكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد فيخرج من الباب الذى يليه إلا ضربت عنقه .

قال مالك بنُ دِينار : ربّما سمعتُ الحجّاج يذكر ما صنع فيه أهلُ العراق وما صَنَع بهم، فيقع فى نفسى أنهم يظلمونه لبيانه وحُسنِ تخليصه الحجج .

---

(١) الترنيق : الضعف فى الأمر .

(٢) اللبب : ما يشد على صدر الدابة أو الناقة ، يكون للرحل والسرج يمنعهما من الاستئخار ، يريد أن المواداة واللين إفساد لأدب الرعية .

وخطب الحجّاجُ بعد وقعة دَيْر الجماجم (١) فقال : يا أهل العراق ، إنّ الشيطان قد ٱستبطنكم فخالَطَ اللحمَ والدمَ والعَصَبَ والمسامعَ والأطرافَ والأعضاءَ (٢) والشّغافَ (٣)، ثم أَفضَى الى المِخاخ والأصماخ (٤) ، ثم ٱرتفع فعشَّش ، ثم باض ففرّخ ، فحشاكم نفاقا وشقاقا ، وأشعَرَكم خلافا ، وٱتخذتموه دليلا تتّبعونه ، وقائدا تُطيعونه ، ومؤامِرا (٥) تستشيرونه ؛ فكيف تنفعكم تجربة ، أو تعظكم وقعة ، أو يحجُزكم إسلام ، أو ينفعكم بيان ؟ ألستم أصحابي بالأهواز ؟ حيث رُمتم المكر (٦) ، وسَعيتم بالغدر ، واستجمعتم للكفر (٧) ، وظننتم أنّ الله خَذَل (٨) دينَه وخلافتَه ، وأنا أرميكم بطَرْفي ، تتسلّلون لِواذا ، وتنهزمون سِراعا ، ثم يوم الزاوية [وما يوم الزاوية] (٩) ! بها كان فَشَلُكم وتنازُعكم (١٠) وتخاذُلكم وبراءةُ الله منكم ، ونُكوصُ وليّكم (١١) عنكم إذ ولّيتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها

---

(١) دير الجماجم بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها ؛ على طرف البر السالك الى البصرة ؛ وسمى دير الجماجم لأنه كانت تصنع فيه الجماجم ، وهى الأقداح من الخشب ؛ وبهذا الموضع كانت الوقعة بين الحجاج بن يوسف الثقفى وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وانهزم فيها ابن الأشعث .

(٢) فى العقد الفريد ج ٢ ص ١٨٥ طبع بولاق : « والأعضاد » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين . (٣) الشغاف : حجاب القلب أو حبته أو سويداؤه .

(٤) كذا ورد هذا الجمع فى الأصل وغيره من المصادر التى بين أيدينا لهذه الخطبة ؛ ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة والمعاجم على ما يفيد أن صماخ يجمع على هذه الصيغة [illegible] : «والأسماخ» بتقديم الألف على الميم ؛ أو لعله جمع لصماخ بضم الصاد والميم ، وهو [illegible]

(٥) المؤامر : من قولهم : آمره مؤامرة اذا شاوره .

(٦) فى الأصل : « بالمكر » والباء زيادة من الناسخ .

(٧) كذا فى العقد الفريد ج ٢ ص ١٨٥ طبع بولاق ؛ وعبارة الأصل : « واستجمعتم الكفر » بسقوط اللام ؛ واستجمعتم ، أى اجتمعتم . (٨) فى الأصل : «عدل» ؛ وهو تحريف .

(٩) هذه التكملة ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن العقد الفريد ؛ والزاوية : موضع قرب البصرة فيه كانت الواقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث . (١٠) فى الأصل : « تهادون » ؛ وهو تحريف . (١١) يريد الشيطان . إشارة الى قوله تعالى فى سورة الأنفال « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » الى قوله : «فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه» الآية .

[النوازع إلى أعطانها](١)؛ لا يَسأل المرءُ عن أخيه ، ولا يَلوى الشيخ على بَنيه؛ حتى عَظَّكم السلاح(٢)، وقَصَمتكم الرماح ، ثم دَيْرُ الجماجم ، وما دَيْرُ الجماجم ! بها كانت المعاركُ والملاحم ؛ بضربٍ يُزيل الهامَ عن مَقيله ، ويَصرف الخليلَ عن خليله ؛ يا أهلَ العِراق ، والكَفَرات بعد الفَجَرات ، والغَدَرات بعد الخَتَرات ، والثَّورة بعد الثَّورات ؛ إن بعثتُكم إلى ثُغوركم غَلَلتم(٣) وجُبنتم ، وإن أمِنتم أرجَفتم ، وإن خِفتم نافقتم ؛ لا تَذكُرون حسنةً ، ولا تَشكُرون نعمة ؛ [ يا أهل العراق ](١) هل آستخفّكم ناكثٌ ، أو آستغواكم غاوٍ ، أو آستفزّكم عاصٍ ، أو استنصركم ظالمٌ ، أو آستعضدكم خالعٌ ، إلا اتّبعتموه وآويتموه ونصرتموه وزكّيتموه ؟ يا أهل العراق ، فلما شَغَب شاغب ، أو نَعَب ناعب ، أو زَفَر(٤) كاذب إلا كنتم أتباعَه وأنصاره ؛ يا أهل العراق ، ألَم تنهكم المواعظ ، ولم تزجُركم الوقائع . ثم آلتفت الى أهل الشام فقال : يا أهل الشام ، أنا لكم كالظَّليم(٥) الرامح عن فراخه(٦) ، يَنفِي عنها المدر ، ويباعدُ عنها الحَجَر ، ويُكِنُّها من المطر ، ويحميها من الضِّباب ، ويحرُسها من الذئاب ؛ يا أهل الشام ، أنتم الجُنَّةُ والرِّداء ، وأنتم العُدَّةُ والحِذاء .

## ومن مكاتباته الى المهلَّب بن أبي صُفرةَ وأجوبة المهلَّب له

كتب الحجاج إليه وهو فى وجه الخوارج : أما بعد ؛ فإنه بلغنى أنك قد أقبلت على جباية الخَراج ، وتركتَ قتال العدو ، وإنى وَلَّيتك وأنا أرى مكانَ عبد الله

(١) هذه العبارة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن العقد الفريد .

(٢) يقال : عظّه الحرب كعضته ، زنا ومعنى .

(٣) غللتم : من الغلول ، وهو الخيانة فى الغنيمة .

(٤) فى البيان والتبيين ج ٢ ص ١١٥ طبع الرحمانية : «زافر» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٥) الظليم : ذكر النعام ؛ والرامح : الضارب برجله .

(٦) فى الأصل : «عن مراحه» ؛ وهو تحريف .

ابن حكيم المُجاشعىّ ، وعَبّادِ بن حُصَين الحَبَطِىّ ، وآخترتك وأنت رجل من الأَزْد ، وأنا أُقسم إن لم تلقهم فى يوم كذا أشرعتُ(١) إليك صدرَ الرمح . فأجابه المهلّب : ورد علىّ كتابُك تزعُم أنى أقبلت على جباية الخراج ، وتركتُ قتال العدوّ لعجز ؛ وزعمتَ أنك ولّيتنى وأنت ترى مكانَ عبد الله بن حكيم وعَبّادِ بن حُصَين ، ولو ولّيتَهما لكانا مستحقّين لذلك فى فضلهما وغَنائهما ؛ وأنك آخترتنى وأنا رجل من الأَزْد ، ولَعمرى إنّ شرّا من الأَزْد لَقبيلةٌ تنازَعُها ثلاثُ قبائلَ لم تَستقرّ فى واحدة منهنّ ؛ وزعمتَ أنّى إن لم أَلقهم فى يوم كذا أشرعتَ إلىّ صدرَ الرمح ، فلو فعلتَ لقلبتُ إليك ظَهرَ المِجَنّ(٢) .

ووَجّه إليه الحجّاجُ يستبطئه فى مناجَزة القوم ، وكتب إليه : أما بعد ، فإنك جَبيت الخراج بالعِلل ، وتحصّنتَ بالخنادق ، وطاولتَ القوم وأنت أعزّ ناصرا وأكثرُ عددا ، وما أظنّ بك مع هذا معصيةً ولا جبنا ، ولكنك آتخذتهم أُكُلا ، ولَإبقاؤهم أيسرُ عليك من قتالهم ، فناجِزْهم وإلّا أنكرتَنى ، والسلام .

فقال المهلّب للجرّاح : يا أبا عُقبة ، والله ما تركتُ حيلةً إلّا آحتلتُها ، ولا مَكيدةً إلّا عَمِلتُها ، وليس العَجَبُ(٣) من إبطاء النصر ، وتَراخى الظَّفَر ، ولكن العَجَب أن يكون الرأىُ لمن يَملِكه دون من يبصره(٤) ؛ ثم ناهَضهم ثلاثةَ أيام يغاديهم ، ولا يزالون كذلك الى العصر حتى قال الجرّاح : قد آعتذرتَ ؛ وكَتب الى الحجّاج : أتانى كتابك

(١) عبارة الأصل : « وإلا انتزعت » ، وفيها زيادة من الناسخ وتحريف لا يستقيم بها المعنى ؛ وما يأتى فى جواب المهلب يعين ما أثبتنا .

(٢) يقال : قلبت له ظهر المجن اذا تغيرت عليه وحلت عن العهد ؛ والمجنّ : الترس .

(٣) فى الأصل : « ولا العجب » ، والقواعد تقتضى ما أثبتنا ، فان « لا » الثانية اذا دخلت على المعرفة وجب تكرارها ، ولم تكررها .

(٤) فى الأصل : « ينصره » بنون وصاد مضمومة ؛ ومعناه لا يناسب ما هنا .

يســتبطئ لقاءَ القوم، على أنك لا تظنّ بى معصيةً ولا جبنا ، وقد عاتبتَنى معاتبــةَ الجبان، وأوعدتنى وعيدَ العاصى ، فسَل الجرّاحَ والســلام . فكتب إليه الحجّاج : أما بعد، فإنك تَتراخى عن الحرب حتى تأتيك رُسلى و يرجعون بعذرك ، وذاك أنك تُمسك حتى تَبرأ الجراحُ وتُنسى القَتْلى[١] ، وتَجُمّ الناس ، ثم تلقاهم فتحمل منهم مثــل ما يَحملون منك من وَحْشة القتل وألم الجراح ، ولو كنتَ تلقاهم بذلك الجــد لكان الداء قد حُسِم ، والقَرْنُ قد قُصم ، ولَعمرِى ما أنت والقومُ سواءٌ، لأنّ من ورائك رجالا ، وأمامك أموالا ، وليس للقوم إلّا ما معهم، ولا يُدرَك الوجيفُ بالدّبيبِ، ولا الظَّفَرُ بالتعذير[٢] .

فكتب إليه المهلَّب : أمّا بعد، فإنى لم أُعطِ رسلَك على قول الحق أجرا، ولم أحتجْ منهم مع المشاهَدة الى تلقين ؛ وذكرتَ أنّى أُجِمّ القوم، ولا بدّ من راحة يستريح فيها الغالبُ ويَحتالُ المغلوبُ ؛ وذكرتَ أن فى الإجمــام[٣] ما يُنسِى القتْلى، ويُبرِئُ الجراحَ، وهيهات أن يُنسَى ما بيننا و بينهم، يأبى ذلك قتــلُ مَن لَم يجن ، وقُروحٌ لَم تَتقرّف[٤]؛ ونحن والقــومَ على حالة ، وهم يرقُبــون حالات ، إن طَمِعوا حارَبوا، و إن مَلّوا وَقفوا، ونَطلُب اذا هَرَبوا. فإن تركْتَنى فالداءُ[٥] بإذن الله محسوم، و إن أعجلتَنى لم أُطِعْــكَ ولم أعْصِ ، وجعلتُ وجهى الى بابك ، وأنا أعوذ بالله من سَخَط الله ومَقْتِ الناس .

(١) فى الأصل : «المبتلى» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ما يأتى فى جواب المهلب .

(٢) التعذير : التقصير فى الأمر .

(٣) فى الأصل : «فى الجاجم» وهو تحريف .

(٤) تتقرف بقاف مثناة : تتقشر؛ يريد أنها لم تبرأ ؛ و فى الاصل : «تتفرق» ؛ وهو تصحيف .

(٥) فى الأصل : «فالرأى» وهو تحريف .

وقال المهلّب لبنيه : يا بَنِيّ تَباذَلوا[1] تَحابّوا، فإنّ بني الأمّ يختلفون، فكيف بَنِي العَلّات[2]؛ إنّ البِرّ يَنسأ في الأجَل، ويزيدُ في العَدد، وإنّ القطيعةَ تُورث القِلّة، وتعقب النارَ بعد الذِّلّة؛ واتقوا زَلّةَ اللسان، فإنّ الرجل تَزِلُّ رِجلُه فيَنتعش، ويَزِلُّ لسانُه فيَهلِك؛ وعليكم في الحرب بالمَكِيدة، فإنّها أبلغ من النَّجْدة .

ولمّا استخلف ابنَه المغيرة على حرب الخوارج، وعاد هو إلى عند[3] مُصعب ابن الزُّبير، جمع الناسَ فقال لهم : إني قد استخلفت عليكم المُغيرةَ، وهو أبو صغيرِكم رِقّةً ورحمة، وابنُ كبيرِكم طاعةً وتبجيلا وبِرّا، وأخو مِثلِه مواساةً ومناصحة، فلتَحسُن له طاعتُكم، وليَلِنْ له جانبُكم، فوالله ما أردتُ صوابا قطّ إلا سبقني إليه .

وخطب عبد الملك بن مروان، فلما بَلَغ العِظةَ قام إليه رجل من آل صُوحانَ فقال : مهلا مهلا يا بني مَرْوان، تأمُرون ولا تأتمِرون، وتَنهَون ولا تَنتهون، وتَعِظون ولا تَتّعظون، أفنقتدى بسيرتكم في أنفُسكم، أم نطيع أمرَكم بألسنتكم؟ فإن قلتم : اِقتدُوا بسيرتنا، فأنَّى وكَيفَ، وما الحُجّةُ، وما المَصيرُ من الله؟ أنقتدى بسيرة الظَّلَمةِ الفَسَقةِ الجَوَرةِ الخَوَنةِ، الذين اتّخذوا مالَ الله دُوَلا، وعَبيدَه خَوَلا؟ وإن قلتم : اِسمعوا نصيحتنا، وأطيعوا أمرَنا، فكيف يَنصَح لغيره من يَغُشّ نفسَه؟ أم كيف تَجِب الطاعةُ لمن لم تَثبُت عند الله عدالتُه ؟ وإن قلتم : خذوا الحكمة من حيث وجدتموها، واقبَلوا العِظة ممن سمعتموها ، فعلام ولّيناكم أمرَنا، وحكّمناكم في دمائنا وأموالنا ؟ أما علمتم أنّ فينا من هو أنطَقُ منكم باللغات، وأفصَحُ بالعِظات؟ (٩٤)

---

(١) في الأصل : «تنازلوا» وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في البيان والتبيين .

(٢) بنو العلات : الأبناء من أمهات شتى والأب واحد .

(٣) كذا في الأصل ، ولعل قوله : «عند» زيادة من الناسخ، فإن «عند» من الظروف التي لا تخرج عن الظرفية إلا الى الجر بمن ، وجرها بإلى لحن ، كما في مغني اللبيب .

فتخلّوا عنها، وأطلقوا عقالها، وخلّوا سبيلها، يَنتدبْ إليها آلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين شرّدتموهم فى البلاد، ومزّقتموهم فى كل واد، بل تثبُت فى أيديكم لانقضاء المدّة، و بلوغ المُهْلة، وعِظَمِ المِحْنة؛ إنّ لكلّ قائم قَدرا (١) لا يعدُوه، ويوما لا يخطُوه، وكتابا بَعدَه يتلوه، "لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا" "وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ". ثم التُمِس الرجلُ فلم يوجَد .

ومن كلام قَطَرِيِّ بنِ الفُجاءةِ — وكان من البلغاء الأبطال، فمن ذلك خطبته المشهورة التى قال فيها :

أما بعد، فإنى أُحذّركم الدنيا فإنها حُلوةٌ خَضِرة، حُفّت بالشهوات، وراقت بالقليل، وتحبّبَتْ بالعاجلة، وحَلِيَتْ بالآمال، وتزيّنَتْ بالغُرور، لا تَقُوم (٢) نَضرتُها، ولا تُؤمَن فَجيعتُها؛ غرّارةٌ ضرّارة، وحائلةٌ زائلة، ونافدةٌ بائدة (٣)، أكّالةٌ غوّالة؛ لا تعدو اذا تناهت الى أُمنيّة أهلِ الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله تعالى : ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ مع أن آمرأ لم يكن معها (٤) فى حَبْرة (أى السرور)، إلا أعقبته بَعدها حسرة، ولم يَلْقَ من سرّائها بطنا إلا منحتْه من ضرّائها ظَهرا، ولم تَصِلْه (٥) غَيثةُ رَخاء، إلّا هطَلتْ عليه مُزْنةُ بلاء؛ وحَرِيّةٌ اذا أصبحتْ له منتصِرة، أن

(١) فى الأصل : «قديما» ولعل صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه قوله بعد : «لا يعدوه» .

(٢) لا تقوم، أى لا تثبت؛ وفى صبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٣ : «لاتدوم» .

(٣) فى الأصل : «زائدة» وهو تحريف .

(٤) فى صبح الأعشى : «منها» والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٥) كذا فى الأصل وصبح الأعشى؛ والذى فى العقد الفريد ج ٢ ص ١٩٥ طبع بولاق : «تطله» بالطاء؛ وهو أقرب الى سياق العبارة مما هنا؛ وتطله من الطل بتشديد اللام بمعنى المطر الضعيف.

تُمسى [له][1] خاذلة متنكّرة، وإنْ جانبٌ منها اعذَوْذَبَ واحلَوْلَى، أمَرَّ عليه منها جانب وأَوْبَأ[2]، فإن أتت امرأً من غضونها ورَقًا[3] أرهقته من نوائبها تَعَبا، ولم يُمس منها امرؤ فى جَناح أمنٍ إلا أصبح منها[4] فى قَوادم خوف، غَرّارةٌ غُرورٌ ما فيها، فانيةٌ فانٍ مَن عليها؛ لا خير فى شىء من زادها إلا التقوى، مَن أقلّ منها استكثر مما يؤمّنه ومن استكثر منها استكثر مما يُوبقه ويطيل حزنَه، ويُبكى عينَه؛ كم واثق بها قد فجعتْه، وذى حُلم تَنَبَّهَ إليها قد صرعتْه، وذى احتيال فيها قد خدعتْه؛ وكم ذى أُبّهة فيها قد صيّرتْه حقيرا، وذى نخوة قد ردّته ذليلا، ومن[5] ذى تاج قد كبّته لليدين والفم؛ سلطانُها دُول، وعيشُها رَنِق (أى الماء الكدر) وعَذْبُها أُجاج، وحُلوها صَبِر، وغذاؤها سِمام، وأسبابُها[6] رِمام، وقِطافُها[7] سَلَع؛ حيُّها بعَرَض موت، وصحيحُها[8] بعَرَض سُقْم، ومنيعُها بعَرَض اهتضام؛ ومَلِكُها مسلوب، وعزيزُها مغلوب، وسليمُها منكوب وجارُها محروب؛ مع أنّ وراء ذلك سَكَرات الموت، وهولَ المُطّلَع، والوقوفَ بين يدى الحكم العدل «لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِىَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى»

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد أثبتناها من صبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٤

(٢) فى الأصل: «وأولى» باللام؛ وهو تحريف.

(٣) كذا وردت هذه العبارة فى الأصل وصبح الأعشى؛ والذى فى العقد الفريد ج ٢ ص ١٩٥ طبع بولاق: «وإن لبس امرؤ من غضارتها ورفاهيتها نعما أرهقته من نوائبها غما».

(٤) فى صبح الأعشى: «على»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.

(٥) كذا فى الأصل وصبح الأعشى؛ والذى فى العقد الفريد: «وذى تاج» بإسقاط «من»؛ وفى البيان والتبيين ج ٢ ص ١٠٤ طبع الرحمانية: «وكم من ذى تاج» الخ.

(٦) فى الأصل: «وأسنانها» بنونين؛ وهو تصحيف.

(٧) كذا فى العقد الفريد، والذى فى الأصل: «قطامها». والقطاف: جمع قطف بكسر القاف، وهو العنقود. والسلع محركة: ضرب من الصبر.

(٨) فى الأصل: «وصحتها» وما أثبتناه عن صبح الأعشى، إذ هو المناسب للسياق.

ألستم فى مساكن من كان قبلكم أطولَ منكم أعمارا ، وأوضح منكم آثارا ، وأعدَّ عديدا ، وأكثفَ جنودا ، وأشدَّ عقودا ، تعبَّدوا للدنيا أىَّ تعبُّد (١) ، وآثروها أىَّ إيثار ، وظَعَنوا (٢) بالكُرْه والصَّغار ، فهل بلغكم أنّ الدنيا سمحتْ لهم نفسا بفِدْية ، أو أغنتْ عنهم فيما قد أهلكتْهم بخَطْب (٣) ؟ بل قد أرهقتْهم بالفوادح ، وضعضعتْهم بالنوائب ، وعقرتْهم بالفجائع ، وقد رأيتم تنكُّرها لمن دانَها وآثرها وأخلد إليها ، حين ظَعَنوا عنها لفراق الأبد ، الى آخر المُسْنَد (٤) ، هل زوّدتْهم إلا السَّغَب ، وأحلّتْهم إلا الضَّنْك ، أو نوّرتْ لهم إلا الظُّلْمة ، أو أعقبتْهم إلّا الندامة ؟ أفهذه تؤثرون ، أم على هذه تحرِصون ، أم إليها تطمئنّون ؟ يقول الله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ فبئست الدارُ لمن أقام فيها ، فاعلموا إذ أنتم تعلمون أنكم تاركوها لا بدّ ، فإنما هى كما وصفها الله باللعب واللهو ، وقد قال الله [تعالى] : ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ .

وذكر الذين قالوا : من أشدّ منا قوّة ثم قال : حُمِلوا الى قبورهم فلا يُدْعَون رُكبانا ، وأُنزِلوا فلا يُدْعَون (٥) ضيفانا ، وجعل الله لهم من الضريح أكنانا (٦) ، ومن الوحشة ألوانا ، ومن الرُّفات جيرانا (٧) ؛ وهم فى جِيرة لا يجيبون داعيا ، ولا يمنعون ضَيما ، إن

(١) تعبدوا للدنيا ، أى صيرتهم الدنيا عبيدا لها ، يقال : تعبد فلان فلانا اذا اتخذه عبدا ؛ وعبارة الأصل : « تعبدوا الدنيا » بإسقاط اللام ؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها .

(٢) فى الأصل : «وطفقوا» وهو تحريف .

(٣) الخطب : الشأن والأمر .

(٤) المسند : الدهر .

(٥) فى العقد الفريد : «يدعون» بالدال المهملة ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٦) فى الأصل : «أحيانا» بالحاء والياء ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٧) فى الأصل : «حيوانا» وهو تصحيف .

أخصبوا(١) لم يفرحوا ، وإن قحطوا لم يقنطوا ؛ [جمع](٢) وهم آحاد، جيرةٌ وهم أبعاد، متناءون(٣)، لا يزورون ولا يُزارون ؛ حُلَماء قد ذهبتْ أضغانُهم، وجُهَلاء قد ماتت أحقادُهم ؛ لا يُرجَى نفعُهم، ولا يُخشَى دفعُهم ؛ وكما قال الله تعالى : ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ فاستبدلوا بظَهر الأرض بطنا، وبالسَّعة ضِيقا ، وبالأهل غُربة ، وبالنُّور ظُلمة، ففارَقوها كما دخلوها، حُفاةً عُراةً فُرادى ، غيرَ أن ظَعَنوا بأعمالهم الى الحياة الدائمة، وإلى خلود الأبد، يقول الله تعالى : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ فاحذروا ما حذَّركم الله، وانتفعوا بمواعظه، واعتصموا بحبله ، عَصَمنا الله وإياكم بطاعته، ورزَقنا وإيّاكم أداء حقّه .

ومن كلام أبي مُسلم الخُراسانيّ صاحب الدولة(٤)، قيل له : ما كان سببُ خروج الدولة عن بنى أميّة ؟ فقال : لأنهم أبعدوا أولياءهم ثقةً بهم، وأدنَوا أعداءهم تألُّفا لهم، فلم يَصِر العدوُّ بالدُّنوّ صديقا ، وصار الصديقُ بالبِعاد عدوّا .

وقيل له فى حَداثته : إنا نراك تأرَق كثيرا ولا تنام، كأنك موكَّل برَعْيِ الكواكب ، أو متوقِّعٌ الوحىَ فى(٥) السماء، فقال : والله ماهو ذاك ، ولكن لى رأىٌ جَوّال، وغَريزةٌ

---

(١) كذا فى البيان والتبيين ج ٢ ص ١٠٥ طبع الرحمانية ؛ وهو المناسب لما يأتى بعده ؛ والذى فى الأصل : « جمعوا » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن البيان والتبيين .

(٣) فى الأصل : « متساوون » وما أثبتناه هو المناسب لما قبله وما بعده ؛ وانظر البيان والتبيين والعقد الفريد .

(٤) يريد دولة بنى العباس ؛ وفى البيان والتبيين ج ٢ ص ٧٥ طبع الرحمانية : « صاحب الدعوة » .

(٥) لعله : « من » .

تامة، وذهنٌ صافٍ، وهِمّةٌ بعيدةٌ، ونفْسٌ تتُوق الى معالى الأمور، مع عيش كعيش الهَمَج والرَّعاع، وحالٍ متناهيةٍ من الاتّضاع، وإنى لأرى بعضَ هذا مصيبةً لا تُجبَر بسهر، ولا تُتلافَى بأرَق؛ قيل له : فما الذى يبرُدُ غليلَك، ويَشفِى إجاجَ[1] صدرِك؟ قال : الظَّفَرُ بالمُلك؛ قيل له : فاطلُب؛ قال : إن الملك لا يدرَك إلا بركوب الأهوال؛ قيل : فاركب الأهوال؛ قال : هيهات، العَقلُ مانعٌ من ركوب الأهوال؛ قيل : فما تصنع وأنت تَبلَى حسرةً، وتذوبُ كَمَدا؟ قال : سأجعل من عقلى بعضه جهلا، وأحاول به خطرا، لأنالَ بالجهل ما لا يُنال إلّا به، وأدبِّر بالعقل ما لا يُحفَظ إلا بقوّته، وأعيشَ عيشا بين مكان حياتى فيه من مكان موتى عليه، فإن الخُمول أخو العَدم، والشهرة أبو الكَون .

وكتب إليه عبد الحميد بن يحيى كتابا عن مروانَ بنِ محمد، وقال لمروانَ : قد كتبتُ كتابا إن نجَعَ فذاك، وإلّا فالهلاك، وكان لِكبر حجمه يُحمَل على جَمل، نفَثَ فيه حواشىَ صدره، وضمَّنه غرائب عُجَرِه وبُجَرِه[2] . فلمّا ورد على أبى مسلم دعا بنار فطرحه فيها إلّا قدر ذراع فإنه كَتب عليه :

محا السيفُ أسطارَ البلاغة وانتَحَى * ليوثَ الوغَى يقدمن من كلّ جانب
فإن يقدموا نُعمِلْ سيوفا شَحيذةً * يَهُون عليها العَتْبُ من كلّ عاتب

وردّه، فأيِس الناسُ من معالجته .

وقيل : إنه شَجَر بينه وبين صاحب مَرْوٍ كلامٌ أرْبَى فيه صاحبُ مَرْوٍ عليه، فاحتمله أبو مسلم وقال : مَهْ، لسانٌ سَبَق، ووهمٌ أخطأ، والغضب شيطان،

(١) الإجاج : جمع أجة، وهى شدّة الحر وتوهجه .

(٢) عجره وبجره، أى كل أموره، لم يستر عنه شيئا؛ وأصل العجر، العروق المتعقدة فى الجسد، والبجر، العروق المتعقدة فى البطن خاصة .

وأنا جرّأتك علىّ باحتمالك ، فإن كنتَ للذنب متعمّدا فقد شاركتُك فيه ، و إن كنتَ مغلوبا فالعفوُ يَسَعك ؛ فقال له صاحب مرو : عِظَمُ ذنبي يَمنع قلبي من الهدوء ؛ فقال ابو مسلم : يا عَجبا ، أقابلك بإحسان وأنت تسيء ، ثم أقابلك بإساءة وأنت تُحسن ! فقال صاحب مرو : الآن وثِقتُ بعفوك .

## ومن كلام جماعة من أمراء الدولتين

خَطَب يوسف بن عمر فقال : اتقوا الله عباد الله ، فكم من مؤمِّل أمَلا لا يَبلُغه ، (٩٦) وجامع مالا لا يأكله ، ومانعٍ ما سوف يتركه ، ولعلّه من باطلٍ جَمَعه ، ومن حقّ مَنَعَه ، أصابه حراما ، وورِثه عدوّا ، واحتَمل إصْرَه ، وباء بوزره ، ووَرَد على ربّه آسفا لاهفا " خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ " .

وقام خالد بن عبد الله القَسْرىّ(١) على المنبر خطيبا ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النبي صلّى الله عليه وسلّم ، ثم قال : أيها الناس ، نافِسوا في المكارم ، وسارِعوا الى المغانم ، واشتروا الحمد بالجُود ، ولا تَكسِبوا بالمَطْل ذمّا ، ولا تَعتدّوا(٢) بالمعروف ما لم تعجّلوه ، ومهما يكن لأحدكم عند أحد نعمةٌ فلم يبلُغ شكرها فالله أحسَنُ لها جزاءً ، وأجزل عليها عطاء ؛ واعلموا أنّ حوائج الناس إليكم نعمةٌ من الله عليكم ؛ فلا تَمَلّوا النعم فتَحُوَّلَ نقما ؛ واعلموا أنّ أفضل المال ما أكسب أجرا ، وأورث ذكرا ، ولو رأيتم المعروف رجلا رأيتموه حَسَنا جميلا يَسرّ الناظرين ، ولو رأيتم البخل رجلا رأيتموه مشوّها قبيحا ، تَنفِر عنه القلوب ، وتُغَضّ عنه الأبصار ؛ أيها الناس ، إنّ أجوَد الناس مَن أعطى من لا يرجوه ، وأعظمَ الناس عفوا من عفا عن

---

(١) فى الأصل · «القشيرى» بشين معجمة بعدها ياء مثناة ، وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « تقعدوا » ، وهو تحريف .

قدرة ، وأوصلَ الناس مَن وَصَل مَن قَطَعه ، ومن لم يَطِب حَرْثُه لم يَزْكُ نَبْتُه ؛ والأصولُ عن مَغارسها تَنمو، وبأصولها تسمو؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

قيل لمـا ولي أبو بكر بن عبد الله [(١)] المدينة وطال مكثه عليها كان يبلغه عن قوم من أهلها أنهم يَنالون من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وإسعافٌ من آخرين لهم على ذلك، فأمر أهلَ البيوتات ووجوهَ الناس في يوم جمعة أن يقربوا من المنبر، فلما فرغ من خطبة الجمعة قال : أيها الناس، إني قائل قولا ، فمن وعاه وأدّاه فعلى الله جزاؤه، ومن لم يَعِه فلا يعــدو [(٢)] من ذمامها، إن قصرتم عن تفصيله [(٣)] ، فلن تَعجِزوا عن تحصيله ، فارعوه أبصارَكم، وأوعوه أسماعَكم، وأشـعروه قلوبكم؛ فالموعظة حياة، والمؤمنون إخوة "وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ" "وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ" فأتوا الهدى تهتدوا، واجتنبوا الغي تَرْشُدوا، "وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" والله جلّ ثنـاؤه، وتقدّست أسماؤه، أمركم بالجماعة ورضيها لكم، ونهاكم عن الفُرقة وسخِطَها منكم، فـ"اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا" جعلَنا الله وإيّاكم ممّن تبع رضـوانه ، وتجنب سخطَه، فإنمـا نحن به وله ؛ وإنّ الله بعث محمدا صلّى الله عليه وسلّم بالدّين، واختاره على العالمين ، واختار له أصحـابا على

(١) كذا في الأصل وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٠ وقد راجعنا أسماء عمـال المدينة وولاتها فيما بين أيدينا من المظان فلم نقف على هذا الاسم فيمن تولاها ؛ والذي وقفنا عليه هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، تولى المدينة في زمن سليمان بن عبد الملك انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٩٦ وغيره من كتب التـاريخ .

(٢) يريد : فلا يخرج ؛ وتأنيث الضمير في قوله : «ذمامها» باعتبار الموعظة أو المقالة .

(٣) كذا في صبح الأعشى ، وهو المناسب لمـا بعده في الفقرة الثانية . وفي الأصل : «عنه بفضيلة» .

الحقّ ، ووزراء دون الخَلْق ، اختصّهم به ، وانتخبهم له ، فصدّقوه ونصروه ، وعزّروه ووقّروه ، فلم يُقدِموا إلّا بأمره ، ولم يُحجِموا إلّا عن رأيه ، وكانوا أعوانَه بعهده ، وخُلفاءه من بعده ، فوصَفَهم فأحسنَ صِفتَهم ، وذكَرَهم فأثنى عليهم ، فقال — وقولُه الحقّ — : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ الى قوله : ﴿ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ فمن غاظوه(1) كفَر وخاب ، وفجَر وخَسِر ، وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ الى قوله : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ فمن خالف شريطةَ الله عليه لهم ، وأمرَه إيّاه فيهم ، فلا حقَّ له في الفَيء ، ولا سهمَ له في الإسلام في آيٍ كثيرة من القرآن ؛ فمَرَقتْ مارقةٌ من الدّين ، وفارقوا المسلمين ، وجعلوهم عِضِين(2) ، وتشعّبوا أحزابا ، أشاباتٍ وأوشابا(3) ؛ فخالفوا كتاب الله فيهم ، وثناءه عليهم ، وآذَوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيهم ، فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا أَهْوَآءَهُم ﴾ ؛ مالى أرى عيونا خُزْرا(4) ، ورقابا صُعرا ، وبطونا بُجْرا(5) ؟ شجًى لا يُسيغه الماء ، وداءً لا يَشرب فيه الدواء ؛ ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ كلّا والله ، بل هو (٩٧)

---

(1) في الأصل : «عاطوه» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه قوله تعالى في الآية السابقة : « يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » .

(2) العضون جمع عضة ، وهي الفرقة .

(3) يريد : أوباش الناس وأخلاطهم .

(4) الخزر بضم الخاء : جمع أخزر ، من الخزر بفتح الخاء والزاى ، وهو النظر كأنه في أحد الشقين .

(5) البجر : العظيمة .

الهِناء والطِّلاء حتى يَظهر العذرُ(١)، ويبوحَ السرُّ(٢)، ويَضِحَ الغيب، ويُسوَّس الجُنُب(٣)؛ فإنكم لم تُخلقوا عبثا، ولم تُتركوا سُدى؛ ويحكم، إنى لست أتاويًّا(٤) أعلّم، ولا بدويًّا أفهّم؛ قد حلبتُكم أشطرا، وقلبتكم أبطُنا وأظهُرا، فعرفتُ أنحاءَكم وأهواءكم، وعلمتُ أنّ قوما أظهروا الإسـلام بألسنتهم، وأسرّوا الكفر فى قلوبهم، فضربوا بعضَ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم [ببعض](٥)، وولّدوا الروايات فيهم، وضربوا الأمثال، ووجدوا على ذلك من أهل الجهل من أبنائهم أعوانا يأذنون لهم، ويُصغُون إليهم؛ مهلا مهلا قبل وقوع القوارع، وطُول الروائع(٦)، هـذا لهذا ومع هـذا، فلست أعتَنِش(٧) آئبا ولا تائبا، ﴿عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ فأسِرّوا خيرا وأظهروه، واجهروا به وأخلصوا، فطالمـا مشيتم القهقرى ناكصين، وليَعلمْ من أدبر وأصرّ أنهـا موعظة بين يدى نِقمة؛ ولستُ أدعوكم الى أهواء تُتّبـع، ولا الى رأي يُبتدَع؛ إنمـا أدعوكم إلى الطريقة المُثْلى، التى فيهـا خيرُ الآخرة والأُولى؛ فمن أجاب فإلى رُشـده، ومن عَمِىَ فمن قصده؛ فهلُمّ إلى الشرائع الجدائع(٨)، ولا تُولّوا عن سبيل المؤمنين، ولا تستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير،

(١) الهناء بكسر الهاء: القطران؛ يريد بهذه العبارة أنه سيأخذ فى معالجتهم بالموعظة أو العقوبة حتى يقلعوا عما نهاهم عنه.

(٢) عبارة الأصل: «حتى بطر النمر» وهو تحريف؛ والتصويب عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٢

(٣) يسوّس بالبناء للمجهول: يروّض ويذلل؛ يقال: سوست له أمرا إذا روضته وذللته. انظر اللسان مادّة «سوس». والجنب بضمتين الصعب الذى لا ينقاد.

(٤) الأتاوىّ: الغريب عن القوم.

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى.

(٦) لعله يريد بهذه العبارة أنه قد أعدّ لكل عمل جزاء لا يتجاوزه؛ يدل على ذلك ماقبله وما بعده.

(٧) الأعتناش: الظلم؛ والذى فى الأصـل: «أعيش»؛ وهو تحريف.

(٨) كذا فى الأصل وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٢؛ ولم نقف عليه فى غيرهمـا؛ ولم نر من معانيه ما يناسب السياق؛ ولعله: «الجوامع» أى التى تجمع الناس على اتباعها، كما يدل عليه ما بعده.

"بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا" إيّاكم وبُنَيّاتِ الطريق[1]، فعندها الترنيقُ والرَّهَق[2]، وعليكم بالجادّة، فهى أسَدُّ وأوردُ، ودَعوا الأمانىَّ فقد أردَت من كان قبلكم، وليس للإنسان إلا ما سعى، ولله الآخرة والأولى، و"لَا تَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَى" ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ .

هذا ما اتّفق إيراده من رسائل وخُطب بُلغاء الصحابة — رضى الله عنهم — وكلامِ التابعين وغيرِهم مما يحتاج الكاتب الى حفظه .

وأما رسائل المتقدّمين والمعاصِرين التى يحتاج الى النظر اليها دون حفظها — فهى كثيرة جدا، سنُورد من جيّدها ما نقِف عليه إن شاء الله .

---

## ذكر شيء من رسائل وفصول الكتّاب والبلغاء المتقدّمين والمتأخّرين والمعاصرين من المشارقة والمغاربة

وهذه الرسائل والفصول كثيرة جدّا، وقد قدّمنا منها فيما مرّ من كتابنا هذا ما حلا ذِكْرُه، وفاح نَشْرُه، وأَنِس به سامعُه، وأَيِس من الإتيان بمثله صانعُه، وأوردنا فى كل باب وفصلٍ منه ما يناسبه، وسنُورد إن شاء الله فى فنّى الحيوان والنبات عند ذكر كلّ حيوان أو نبات يستحقّ الوصف ما سمعناه وطالعناه من وصفه نظما ونثرا، مع ما يندرج فى فنّ التاريخ من الرسائل والفصول والأجوِبة والمحاورات

---

(1) بنيات الطريق : الطرق الصغار التى تتشعب من الجادّة، وهى الترهات ؛ يريد : إياكم وسلوك طريق غير طريق الجماعة .

(2) الرهق : السفه، أو هو ركوب الشر . والذى فى صبح الأعشى : «الترهيق» .

عند ذكر الوقائع، وإنما نورده ثمّ وإن كان هذا موضعه ليكون الكلام فيه سِياقةً، وتَرِدُ الوقائعُ يتلو بعضُها بعضا، فلا ينقطع الكلام على ما تقِف إن شاء الله تعالى عليه فى مواضعه، فلنُوردْ فى هذا الموضع ما هو خارج عن ذلك النمط من كلامهم، ولْنَبدأ بذكر شيء من المكاتَبات البليغة المُوجَزة؛

من ذلك ما كتب به عبـدُ الحميد بنُ يحيى بالوَصاة على إنسانٍ فقال: حقُّ مُوصل هذا الكتاب عليك كحقّه علىّ إذ رآك مَوْضِعا لأمَله، ورآنى أهلا لحاجته، وقد أنجزتُ حاجتَه، فحقِّق أمَلَه .

(٣٨) ومنه ما حُكى أنّ المأمونَ قال لعمرو بن مَسعَدَةَ: أُكتب الى فلانٍ كتابَ عناية بفلان فى سطر واحد، فكتب: هذا كتابُ واثقٍ بمن كُتِب اليه، مُعْتَنٍ بمن كُتِب له[1]، ولن يضيع بين الثقةِ والعنايةِ حاملُه .

وكتب عمرو بنُ مَسعَدَةَ الى المأمون يستعطفه على الجند: كتابى الى أمير المؤمنين ومَنْ قِبَلى من أجنادِه وقُوّادِه فى الطاعة على أفضلِ ما تكون عليه طاعةُ جندٍ تأخّرتْ أرزاقُهم، واختلّتْ أحوالُهم . فأمَرَ بإعطائهم رِزقَ ثمانية أشهر .

وكتب أحمـدُ بنُ يوسفَ الى المأمون يذكّره بمن على بابه من الوفود فقال: إنّ داعِيَ نَداك، ومنادِيَ جَدْواك، جَمعا ببابك الوفود، يرجون نائلَك العَتيد، فمنهم من يَمُتّ بحُرمة، ومنهم من يُدْلِى[2] بخدمة، وقـد أجحَف بهم المُقام، وطالت عليهم الأيام، فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يَنعَشَهم بسَيْبِه[3]، ويَحتوِش ظُنونَهم بطَوله فَعَل . فوقّع المأمون فى كتابه: الخيرُ متّبَع، وأبوابُ الملوك مَواطنُ لذوى الحاجات،

(١) فى الأصل: «اليه»؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٢) يدلى: يتوسل . (٣) السيب: العطاء .

فأحصِ أسماءهم، وآجِلْ مواتنهم (١)، ليصير الى كلِّ آمرئٍ منهم قدر آستحقاقه، ولا تكدّر معروفا بالمَطْل والحجاب، فإنّ الأوّل يقول :

فإنك لن تَرَى طَرْدا لحُرٍّ ٭ كإلصاقٍ به طَرَفَ الهوانِ
ولَم يَجلُب مودّةَ ذى وفاء ٭ كمِثلِ البَذلِ أو بسطِ اللسانِ .

وكتب محمدٌ (٢) إلى يحيى بن هرمةَ (٣) — وكان عاملَه على أَصْفَهانَ، وقد تظلّمَ منه أهلُها — : يا يحيى (٤)، قد كَثُرَ شاكُوك، وقَلّ شاكِروك؛ فإمّا عدَلتَ، وإمّا آعتزَلتَ .

وكتب أبو بكر الخُوَارَزْمىُّ جوابا عن هدية : وصلَت التُّحْفة، ولَم يكن لها عيب إلّا أنّ باذلَها (٥) مسرِفٌ فى البِرّ، وقابِلَها مقتصِدٌ فى الشكر؛ والسَّرَفُ مذمومٌ إلّا فى المجد، والاقتصادُ محمودٌ إلّا فى الشكرِ والحمد .

وكتب مَلِكُ الروم إلى المعتصم يتوعّدُه ويتهدّدُه، فأمَرَ الكُتّاب أن يكتبوا جوابَه، فكَتبوا فلم يعجبه مما كتبوا شىءٌ، فقال لبعضهم : أُكتب : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ،

(١) يريد بهذه العبارة أمره بأن يوضح ما فرض فى الديوان لكل واحد منهم، ويبين ما يستحقه من العطاء .

(٢) كذا ورد هذا الاسم فى الأصل؛ ولم يرد بعده من الكنى ما يعينه؛ والذى فى المصادر التى بين أيدينا أن هذا التوقيع لجعفر بن يحيى البرمكىّ الى بعض عماله انظر شرح القاموس مادة «وقع» والعقد الفريد ج ٢ ص ٢٣٢ طبع بولاق ووفيات الأعيان ترجمة جعفر بن يحى والوافى بالوفيات للصفدى المحفوظ منه نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢١٩ تاريخ .

(٣) كذا فى الأصل؛ ولم نقف على هذا الاسم فيمن تولى عمل أصفهان؛ ولعل صوابه : «هرثمة» .

(٤) فى الكتب التى بين أيدينا : «يا هذا» .

(٥) فى الأصل : «يأذن لها»؛ وهو تحريف .

أمّا بعد ، فقد قرأتُ كتابَك ، وفهمتُ خطابَك ، والجوابُ ما ترى لا ما تسمع ، «وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ (١) لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ» .

## ومن كلام بديع الزّمانِ أبى الفضل أحمدَ بنِ الحسين الهَمَذانىّ

قيل : ذُكِر الهَمَذانىّ فى مجلس أبى الحسين بن فارس فقال ما معناه : إنّ البديعَ قد نسِىَ حقّ تعليمنا إيّاه ، وعقّنا وشمخ بأنفه عنّا ، فالحمد لله على فساد الزمان ، وتغيّرِ نوعِ الإنسان ، فبلغ ذلك البديعَ ، فكتب الى أبى الحسين :

نَعم أطال الله بقاءَ الشيخ الإمام ، إنّه الحَمَأُ (٢) المسنُون ، وإن ظُنّت الظنون ، والناسُ لآدم ، وإن كان العهدُ قد تقادَم ، وآرتبكت (٣) الأضداد ، وآختلَط الميلاد ، والشيخ يقول : فَسَد الزمان ، أفلا يقول : متى كان صالحا ؟ أفى الدّولة العبّاسيّة وقد رأينا آخرَها وسمعنا أوّلَها ، أم المدّة المَروانيّة وفى أخبارها «لا تَكْسَع (٤) الشَّولَ بأغبارِها» ، أم السنين الحَرْبيّة (٥)

(١) الكافر بالإفراد : قراءة الحرميين وأبى عمرو كما سبق بيان ذلك فى ص ١٠ ت ١ من هذا الجزء .

(٢) كذا فى يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٧٨ طبع دمشق وغيرها من المصادر التى بين أيدينا لهذه الرسالة ؛ والذى فى الأصل : «آنا» والحمأ : الطين الأسود . والمسنون : المتغير المنتن .

(٣) عبارة الأصل : «وتركيب الأصفاد» ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى ، والتصويب عن يتيمة الدهر .

(٤) تكسع ، من الكسع وهو ترك بقية من اللبن فى خلف الناقة يراد بذلك تغزيرها ، وهو أشد لها . والشول من النوق : ما مضى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فقل لبنها وخف ضرعها ، واحده شائل . والأغبار : جمع غبر بالضم ، وهو بقية اللبن ؛ وهذا صدر بيت للحارث بن حلزة ، وتمامه : «إنك لا تدرى من الناتج» قال فى اللسان مادّة «كسع» فى تفسير هذا البيت : يقول : «لا تغزر إبلك تطلب بذلك قوة نسلها ، وآحلبها لأضيافك ، فلعل عدوا يغير عليها فيكون ناتجها له دونك» . ولعل الكاتب أشار بهذا الى بخل بنى مروان وقلة الخير فى أيامهم .

(٥) الحربية : نسبة إلى حرب بن أمية بن عبد شمس ، يريد بذلك خلافة معاوية و يزيد آبنه .

والسيفُ يَعملُ في الطُّلَى[1] * والرُّمحُ يَرْكُزُ في الكُلَى
ومَبيتُ حُجْرٍ[2] في الفَلا * والحَرَّتانِ[3] وكَرْبلا[4]

أم البَيعةِ الهاشميّةِ [وعليٌّ يقول : ليت][5] العشرةَ [منكم][6] براس ، من بني فِراس ؛ أم الأيّامِ الأمويّةِ[7] والنَّفيرُ إلى الحجاز ، [والعيونُ[5] إلى الأعجاز] ؛ أم الإمارةِ العَدَويّةِ[8] وصاحبُها يقول : هلمّــوا إلى النزول[9] ؛ أم الخلافةِ التَّيميّةِ[10] وهو[11] يقول : طوبى لمن

(١) في كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان ص ٤١٥ طبع بيروت : « يغمد » . والطلى : الأعناق . واحده طلية بضم الطاء .

(٢) هو حجر بن عدي الكندي من أهل العراق ، وقد قتله معاوية بن أبي سفيان في سنة إحدى وخمسين لإظهاره التشيع إلى علي ولعنه لمعاوية وأصحابه ، والبراءة منهم ، وكان يجتمع عليه كل من وافقه في هذا الرأي من أهل المصرين ، حتى ولي زياد على العراق فكتب إلى معاوية في أمر حجر وأكثر ، فأمر معاوية زيادا أن يبعث به إليه مشدودا بالحديد ففعل ، فلما قدم عليه أمر به معاوية فضربت عنقه ؛ وكان حجر من أشراف العراق وخياره . انظر تاريخ الطبري في حوادث سنة إحدى وخمسين .

(٣) كذا في يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٧٩ طبع دمشق وغيرها من المصادر التي بين أيدينا لهذه الرسالة ؛ وبه يستقيم الوزن ؛ وفي الأصل : « والحسين » . وأشار بهذا الى وقعة الحرة التي كانت بين جنود يزيد بن معاوية وأهل المدينة سنة ثلاث وستين ؛ وكانت هذه الوقعة في حرة واقم وهي شرقي المدينة وقد قتل فيها من أهل المدينة خلق كثير . انظر تفصيل ذلك في كتب التاريخ .

(٤) كربلاء : موضع في طرف البرية عند الكوفة ، وهو الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنهما في خلافة يزيد بن معاوية .

(٥) هذه التكملة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٧٩

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن يتيمة الدهر . (٧) يريد خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه لأن أمية رهطه . (٨) يريد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ؛ والعدوية نسبة إلى عدي بن كعب بن لؤي ، وهم رهط عمر . (٩) كذا في الأصل ؛ والذي في يتيمة الدهر وكشف المعاني والبيان : « وهل بعد البزول إلا النزول » ؛ والبزول : تشقق ناب البعير ، وذلك في السنة التاسعة ؛ يريد بهذه العبارة : وهل بعد الوصول الى الغاية إلا الأخذ في النقصان .

(١٠) يريد خلافة أبي بكر رضي الله عنه ؛ والتيمية : نسبة الى تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، وهم رهط أبي بكر . (١١) كذا في الأصل ؛ والذي في اليتيمة : «وصاحبها» .

(٩٩) مات فى تأناة الإسلام[1]؛ [ أم ][2] على عهد الرسالة و يومَ آلفتح قيل : أُسكتى[3] يا فلانة، فقد ذهبَت الأمانة؛ أم فى ا لجاهليّة ولَبِيدٌ يقول :

* [ و بَقِيتُ[4] فى خَلْفٍ[5] كجلد الأجربِ *

أم قَبل ذلك وأخو عادٍ يقول ] :

بلادٌ بها كنّا وكنّا نحبّها * إذ آلناس ناسٌ والزمانُ زمانُ

أم قَبل ذلك ويُروَى لآدم عليه السلام :

تغيّرت البـلاد ومَن عليها * فوجهُ الأرض مغـبَرٌّ قبيحُ

أم قَبل ذلك والملائكةُ تقول لبارئها : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ما فَسَـدَ الناس ، ولكن آطّرد القياس ؛ ولا أظلمَت الأيام ، إنمـا آمتدّ الإظلام ؛ وهل يَفسُـد الشيءُ إلّا عن صلاح ، و يمسى المرء إلّا عن صـباح ؟ ولعمرى إن كان كرَمُ العهد كتابا يَرِد ، وجوابا يَصدُر ، إنّه لَقريبُ المَنال ، وإنّى على تو بيخه لى لَفقيرٌ إلى لقائه ، شفيقٌ على بقائه ، منتسبٌ إلى وَلائه ، شاكرٌ لآلائه .

وكتب بديع الزمان يستعطفه : إنّى خدمت مولاى ، والخدمةُ رِقٌّ بغير إشهاد ، وناصحتُه ، والمناصَحةُ للودّ أوثقُ عمـاد ؛ ونادمتُه ، والمنادَمةُ رَضاعٌ ثان ؛ وطاعمته ، والمطاعَمةُ [ نَسَبٌ ][6] دان ، وسافرتُ معه ، والسَّفرُ والأخوّةُ رضيعَا لبان ، وقمتُ بين

---

(١) وردت هذه العبارة فى اللسان والأساس هكذا : « طو بى لمن مات فى التأناة » ؛ والتأناة : أوّل الإسلام ؛ قال الزمخشرىّ : ومعناها الضعف قبل أن يقوى و يعز .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضيها ؛ انظر رسائل بديع الزمان .

(٣) فى المصادر التى بين أيدينا لهذه الرسالة : « اسكتى » بالتاء .

(٤) هذه التكملة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن يتيمة الدهر .

(٥) الخلف بفتح الخاء وسكون اللام : الأردياء الأخساء ؛ وصدر البيت : « ذهب الذين يعاش فى أكنافهم » . (٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضى اثباتها ؛ انظر كشف المعانى والبيان عن رسائل بديع الزمان ص ٣٠٢ طبع بيروت .

يديه، والقيامُ والصلاةُ شريكَا عِنان[١] ؛ وأثنيتُ عليـه ، والثناءُ عند الله بمكان ؛ وأخلصتُ له ، والإخلاصُ مشكورٌ بكلّ لسان .

ومن كلام أبى الفضل محمـد بن الحسين بن العَميد — وكان وزيرا كاتبا — كَتب عن ركن الدّولة بن بويه كتابا لمن عَصى عليه :

كتابى وأنا مترجِّحٌ بين طمع فيك، وإياسٍ منك، وإقبـالٍ عليك ، وإعراضٍ عنـك[٢] ؛ فإنك تُدْلى بسـابقِ خدمة، وتَمُتّ بسالف حُرمة ؛ أيسرُها يوجب رِعاية، ويَقتضى محافَظةً وعناية؛ ثم تَشفَعُهما بحادثِ غُلولٍ وخيانة، وتُتبِعُهما بآنِف خلافٍ ومعصية؛ وأدنَى ذلك يُحبِط أعمالَك، ويَمحَق كلَّ ما يُرعَى لك ؛ لا جَرَمَ أنّى وقفت بين مَيلٍ إليك، ومَيلٍ عليك؛ أقدِّم رِجلا لِصَمْدِك[٣]، [وأؤخِّر][٤] أخرى عن قَصدك ؛ وأبسُـط يدا لأصطلامك واجتياحك، وأَثنِى ثانيـةً نحو استبقائك[٥] واستصلاحك؛ وأتوقَّف عن امتثال بعض المأمور فيك ضنّاً بالنعمة عنـدك ، ومنافَسةً فى الصَّنيعة لديك ؛ وتأميلا [لَفيئتك][٤] وانصرافك ، ورجاءً لمراجَعتك وانعطافك ؛ فقد يَعزُب العقل ثم يؤوب ، ويَعزُب اللُّبُّ ثم يَثُوب، ويذهب العزم ثم يعُود، ويَفسُد الحزم ثم يَصلُح، ويضـاعُ الرأى ثم يستدرَك، ويَسكَر المرء ثم يصحو ، ويكدَر المـاء ثم يصـفو؛ وكلُّ ضِـيقةٍ فإلى رخاء، وكلُّ غمـرةٍ فإلى انجلاء ؛ وكما أنك أتيتَ من إساءتك ما لم تحتسِـبه أوليـاؤك ، فلا تدَعْ[٦] أن تأتىَ من إحسانك ما لم ترتقبْه أعداؤك ؛ وكما

---

(١) يقال : بينهما شركة عنان ، اذا اشتركا على السواء ، لأن العنان طاقان مستويان .

(٢) فى الأصل : «عليك» ؛ وهو تحريف .

(٣) فى يتيمة الدهر ج ٣ ص ١٠ طبع دمشق : «لصدمك» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن يتيمة الدهر .

(٥) فى يتيمة الدهر : «لاستبقائك» .

(٦) فى اليتيمة : "فلا يدع" بالباء الموحدة ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

استمرّت بك الغفلةُ حتى ركِبتَ ما ركِبتَ، واخترتَ ما اخترتَ، فلا عجب أن تنتبهَ انتباهةً تبصر فيهـا قبيحَ ما صنعتَ، وسوءَ ما آثرت؛ وسأقيم على رسمى فى الإبقاء والمـاطَلةِ ما صَلَح، وعلى الاستيناءِ والمطاوَلةِ ما أمكَن، طمعا فى إنابتـك، وتحكيما[(١)] لحُسن الظنّ بك؛ فلستُ أعدم فيما أظـاهره من إعذارك، وأُرادفُه من إنذارك، احتجاجا عليك، واستدراجا لك؛ وإن يشإ اللهُ يُرشِـدْك، ويأخذ بك الى حظّك ويسدّدك؛ فإنه على كلّ شيء قدير.

وفى فصل منه: وزعمتَ أنك فى طَرَف من الطاعة بعد أن كنت متوسِّطَها، وإن كنتَ كذلك فقد عرفتَ حالتيها، وحلبتَ شَطْريها، فناشدتك اللهَ لمـا صدقتَ عما أسألك: كيف وجدتَ ما زُلتَ عنه، وتجد ما صرتَ إليه؟ ألم تكن من الأوّل فى ظلٍّ ظليل، ونسيمٍ عليل، وريحٍ بليل، وهواءٍ ندىّ[(٢)]، وماءٍ روِىّ، ومهادٍ وطىّ، وكِنٍّ كنين، ومكانٍ مكين، وحصنٍ حصين، يقيك المتالف، ويؤمنك[(٣)] المخـاوف، ويكنُفُك من نوائب الزمان، ويحفظك من طوارق الحدثان؛ عَزَزتَ[(٤)] به بعد الذِّلّة، وكثرت بعد القِلّة، وارتفعتَ بعد الضَّعة، وأيسرتَ بعد العُسر، وأثريتَ بعد المَتْرَبة، (١٠٠)
واتّسعتَ بعـد الضيق، وأطافت بك الولايات[(٥)]، وخفقت فوقك الرايات، ووطئ عقبَك الرجال، وتعلّقتْ بك الآمال، وصرت تكاثِرُ ويكاثَر بك، وتُشير ويشار اليك،

(١) فى الأصل: "وتحكيمك بحسن" والسياق يقتضى ما أثبتنا.

(٢) فى الأصل: "غدى" بالغين المعجمة؛ وفى يتيمة الدهر "عدى"؛ وهو تحريف فى كليهما؛ وسياق العبارة يقتضى ما أثبتنا.

(٣) فى الأصل: "ويؤملك" باللام، وهو تحريف.

(٤) فى الأصل: "رمت" وهو تحريف.

(٥) فى يتيمة الدهر ج ٣ ص ١١ طبع دمشق: "وظفرت بالولايات"؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.

ويذكر على المنابر اسمك، وفى المحاضر ذكرك: ففيم أنت الآن من الأمر؟ وما العوض مما ذكرت وعددت، والخلف عما وصفت؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك، ونفضت منها كفك، وغمست فى خلافها يدك؟ وما الذى أظلك بعد انحسار ظلها عنك؟ أظل ذو ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغنى من اللهب؟ قل: نعم، فذاك والله أكثف ظلالك فى العاجلة، وأروحها فى الآجلة؛ إن أقمت على المحادة والعنود[1]، ووقفت على المشاقة والجحود.

ومنه: تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كلامى فستنكرها[2]، والمس جسدك فانظر هل يحس، واجسس عرقك هل ينبض، وفتش ما حنى عليه أضلاعك هل تجد فى عرضها قلبك؟ وهل حلا بصدرك أن تظفر بفوت مريح[3] أو موت مريح؟ ثم قس غائب أمرك بشاهده، وآخر شأنك بأوله.

وكتب الصاحب أبو القاسم كافى الكفاة فى وصف كتاب: ومن هو الذى لا يحبه وهو علم الفضل، وواسطة الدهر، وقرارة الأدب والعلم، ومجمع الدراية والفهم؛ أم من يرغب عن مكاثرة بمن[4] ينسب الربيع الى خلقه، ويكتسب محاسنه من طبعه، ويتوشح بأنواره، ويتوضح بآثار لسانه ويده؟ وصل كتابه، فارتحت لعنوانه قبل عيانه، حتى اذا فضضت ختامه أقبلت الفقر تتكاثر، والدرر تتناثر، والغرر تتراكم[5]، والنكت تتزاحم؛ فإذا حكمت للفظة بالسبق أتت أختها تنافس،

(١) العنود: من عند عن الطريق إذا مال.

(٢) كذا فى اليتيمة؛ والذى فى الأصل: "مستنكرها".

(٣) كذا فى الأصل؛ والذى فى يتيمة الدهر: «مريح» والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين والمريح: السريع المعجل. والمزيح: من الإزاحة، وهى الإبعاد.

(٤) هذه الباء ساقطة من الأصل، والسياق يقتضى إثباتها. (٥) لعله: «تتنافر»؛ بذلك يتم السجع الذى توخاه الكاتب فى أكثر رسالته؛ والتنافر: التحاكم فى الفخر.

وأقبلتْ لديهـا تتفاخر؛ حتى استعفَيْتُ من الحُكومة، ونفضتُ يدى من غبار الخصومة؛ وأخذت أقول : كلُّكنّ صَـوادرُ عن أصلٍ واحدٍ فتسالَمْن، وأرفادٌ عن معدن وافد(١) فتصالَحن، وقـد ولِّيتُ النظرَ بينهما مَن كَل لِنَسْجِ بُرودِهما، ووَفّى بنَظْمِ عُقودِهما؛ على أننى يامولاى أنشأتُ هـذه الأحرفَ وحولى أعمالٌ وأشغالٌ لا يَسلَم معهما فِكْر، ولا يَسلَم بينهما طبع؛ وتناولتُ قلما كالابنِ العاقّ ، بل العدوِّ المُشاقّ ؛ اذا أردتُه استقال، واذا قوّمتُه مال؛ واذا حَثَثْتُه وَقَف، واذا وقفتُه انحرف؛ أحدل(٢) الشّـقّ؛ متفاوِت البَرْي ، معـدوم الجَرْى؛ محرَّف القَطّ ، مثبَّج(٣) الخَطّ ؛ ثم رأيتُ العُدول عنه ضربا من الانقياد لأمرِه ، والانخراطِ فى سِـلكه ، فجهَدْتُه على رَغْمِه، وكَدَدتُه على صَعَرِه؛ لا جَرَمَ أنّ جناية اللَّجاج باديةٌ على صفحات الحروف لا تَخفى، وعاديةَ المَحْك(٤) لائحةٌ على وجوه السطور تَتجلّى .

وكتب : واللهُ يعلم أنى أُخبِرتُ بورود كتابه واسـتفزّنى الفرحُ قبل رؤيتـه ، وهزّ عِطْفى المَرَحُ أمام مشاهدته ؛ فمـا أدرى، أسمعتُ بورود كتاب، أم ظَفِرتُ برجوع شباب ؟ ثم وصل بعد انتظار له شديد، وتطلّع الى وصوله طويلٍ عريض؛ فتأمّلتُه فلم أدر ما تأملت ، أخطّا مسطورا ، أم روضا ممطورا ، أم كلاما منثورا ، أم وَشْيا منشورا؟ ولم أدر ما أبصرتُ فى أثنائه ، أأبياتَ شِعر، أم عقودَ دُرّ؟ ولم أدر ما جُملتُه ، أغيثٌ حَلّ بِوادى ظمآن، أم غَوثٌ سبَق إلى لَهْفان؟ .

وكتب : وصل كتاب القاضى فأعظمتُ قَدْرَ النعمة فى مَطْلِعه، وأجلَلت محلّ الموهبة بموقِعه؛ وفضضتُه عن السحر حلالا، والمـاءِ زُلالا؛ وسرّحتُ الطَّرْفَ منه

---

(١) فى الأصل : «وارد» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٢) الأحدل : المائل .

(٣) المثبج : المعمى الخفى . (٤) المحك : التمادى فى اللجاج والغضب .

فى رياض رقت حواشيها، وحُلِى تأنق واشيها؛ فلم أتجاوزْ فصلا إلا الى أخطر[(١)] منه فصلا، ولم أتخطَّ[(٢)] سطرا إلا الى أحسن منه نظما ونثرا .

وكتب أيضا : وصل كتابك فجعلتُ وصولَه عيدا أؤرِّخ به أيّامَ بهجتى، وأفتتح به مواقيتَ غِبطتى؛ وعرفتُ من خَبَرِ سلامتك ما سألتُ الله الكريم أن يصله بالدوام، ويرفعه على أيدى الأيام .

وكتب أيضا : وصل كتابُه — أيّده الله — يَضحَك عن أخلاقه الأَرِجة، ويَتهلّل عن عِشرته العَطِرة، ويُخبِر عن عافية الله لمن[(٣)] رأيتُ شَمْلَ الحُرّيّة به منتظِما، وشَعْبَ المروءة له ملتئما؛ ويحمل من أنواع بِرّه ما أَقْصُر عن ذِكره، ولا أطمع فى شكرِه؛ ويؤدّى من لطيف اعتذاره فى أثناء عَتْبه، ما تَزداد أسبابُ المودّة تمهيدا به؛ وفهمتُه، ورَغِبتُ إلى الله بأخلص طَويّة، وأمحض نيّة[(٤)] . (١٠١)

وقال أبو الفرج البَبْغاء من رسالة إلى عُدّة الدّولة أبى تغلب، جاء منها : أصحّ دلائلِ الإقبال، وأصدقُ براهينِ السعادة — أطال الله بقاء سيّدنا — ما شَهِدت العقولُ بصحّته، ونَطقت البصائرُ بحقيقته، ونعمةُ الله على الدّنيا والدِّين بما أولاهما من اختيار سيّدنا لحراستهما بناظِرِ فضله، وسَترِهما بظلّ عدله؛ مُفصِحةٌ بتكامُلِ الإقبال، مُبشِّرةٌ بتصديق الآمال

مَحروسةٌ ضَمِن الشكرُ الوفىُّ لهـا * على الزيادة نَيلَ السّؤل والدَّرَك

(١) فى الأصل : «أخصر» بالصاد، وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «ولم أخط» وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد : «إلا إلى» .

(٣) فى الأصل : «عما»؛ وسياق العبارة يقتضى ما أثبتنا .

(٤) إلى هنا وردت هذه الرسالة فى الأصل؛ والكلام بقية سقطت من الناسخ، ولم نقف عليه فيما بين أيدينا من المظان .

تحقّقَ العصرُ أنّ المُلكَ منذ نشا * له أبو تغلبَ آسمٌ غيرُ مشــترك
واستَخلَفَ الفَلَكُ الدوّارُ همّتَه * فلو وَفَى أغنت الدنيا عن الفَلَكِ

مأمونُ الهفوات ، متناصِرُ الصفات[1]، رِبْعيُّ[2] النَّفاسـة ، حَمدانيُّ السياسـة ، ناصريُّ الرياسة ، عُطارِدِيّ الذّكاء ، موفَّقُ الآراء ، شمسيُّ التأثير ، قَمَرِيُّ التصوير ، فَلَكيُّ التدبير ، لِلصِّدقِ كلامُه ، ولِلعدلِ أحكامُه ، ولِلوفاءِ ذِمامُه ، ولِلحسامِ غَناؤه ، ولِلقَدَرِ مَضاؤه ، ولِلسحابِ عطاؤه

دعوتُه فأجابتـــني مكارمُــه * ولو دعوتُ سوى نعماه لم تُجِبِ
وجدتُه الغيثَ مشغوفًا بعادته[3] * والروضُ يحيا بما في عادة السُّحُبِ
لو فاته النسبُ الوضّاحُ كان له * من فضلِه نسبٌ يُغني عن النسبِ
إذا دعته ملوكُ الأرض سيّدَها * طرًّا دعته المعالى سيّدَ العَرَبِ .

وكتب أبو الحسن علىّ بن القاسم القاشانىّ[4] :

ما أرتضى نفسى لمخاطبــة مولاى إذا كنتُ منفىَّ الشواغل ، فارغَ الخواطر ، مُخلَى الجوارح ، مطلقَ الإسار ، سليمَ الأفكار ، فكيف مع كَلالِ الحِدّة ، وانغــلاقِ الفهم ، واستبهامِ القريحة ، واستعجامِ الطبيعة ، والمعوَّلُ على النيّة ، وهى لمولاى بظَهر الغيب مكشوفة ، والمرجعُ إلى العقيدة ، وهى بالوَلاء المَحْض معروفة ، ولا مجال للعتب عن هذه الأحوال ، لِلعذرِ وراء هذه الخلال .

(١) يقال : تناصرت الصفات ، إذا صدق بعضها بعضا .

(٢) الربعىّ : نسبة إلى الربيع على غير قياس .

(٣) عبارة الأصل : « مشغوفا بغادية » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، والتصويب عن يتيمة الدهر ج ١ ص ١٨٧ طبع دمشق .

(٤) كذا فى الأصل . والذى فى يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٠١ طبع دمشق : « أبو القاسم » .

وقال محمد بن العباس الخُوارَزمىّ : الحمد لله الذى جعل الشيخ يضرب فى المحاسن بالقِدح المُعَلَّى، ويسمو منها إلى الشرف الأعلى ، ولم يجعل فيه موضعا لِلَوْلا، ولا مجالًا لإلَّا ؛ فإن الاستثناء إذا اعترض فى المدح انصبّ ماؤه، وكُدِّر صفاؤه، وانطلق فيه حسّاده وأعداؤه؛ ولذلك قالوا : ما أحسنَ الظَّبيَ لولا خَنَس[1] أنفه! وما أحسنَ البدرَ لولا كَلَفُ وجهِه! وما أطيبَ الخمرَ لولا الخُمَار! وما أشرفَ الجُودَ لولا الإقتار! وما أحمدَ مَغَبَّةَ الصبر لولا فَنَاءُ العمر! وما أطيبَ الدنيا لو دامت

ما أعلَمَ الناسَ أنّ الجُودَ مَكْسَبَةٌ * للحمد لكنّه يأتى على النَّشَبِ.

---

## ذكر شىء من رسائل فضلاء المغاربة ووزرائهم وكتّابهم ممن ذكرهم ابن بسام فى كتابه المترجم بالذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة (١٠٢)

منهم ذو الوزارتين أبو الوَليد بنُ زَيدون ، فمن كلامه رسالةٌ كتبها على لسان محبوبته وَلّادةَ بنتِ محمد بنِ عبد الرحمن الناصرىّ الى إنسان استمالها إلى نفسه عنه، وهى :

أما بعد: أيها المصابُ بعقلِه، المورَّطُ بجهلِه ؛ البيّنُ سَقَطُه، الفاحشُ غلطُه ؛ العاثرُ فى ذيل اغتراره، الأعمى عن شمس نهارِه؛ الساقطُ سقوطَ الذباب على الشراب، المتهافتُ تَهافُتَ الفَراش فى الشهاب[2]؛ فإنّ العُجْبَ أكْذَب، ومعرفة المرء نفسَه أصْوَب ؛ وإنك راسلتنى مستهديا من صِلتى ما صَفِرتْ منه أيدى أمثالك، متصدّيا من

---

(١) الخنس بفتح الخاء والنون : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة .

(٢) كذا فى سرح العيون ص ١١ طبع بولاق، وفى الأصل : «الى» ؛ والتهافت : التساقط .

خُلّتى لمـا قُرِعتْ فيه أُنوفُ(1) أشكالك؛ مرسِلا خليلَتك مُرتادة، مستعملا عشيقتَك قَوّادة؛ كاذبا نفسَك [أنك](2) ستنزِل عنها إلىّ، وتتخلّف بعدها علىّ.

ولستَ بأوّلِ ذى هِمّةٍ * دعتـه لمـا ليس بالنائلِ(3)

ولا شـكّ فى أنها قلَتْك إذ لم تَضَنّ بك، وملّتك إذ لم تَغَرْ عليك، فإنهـا أعذَرتْ فى السِّفارة لك، وما قصّرتْ فى النيابة عنك؛ زاعمـةً أنّ المروءة لفظٌ أنت معناه، والإنسانيّة اسمٌ أنت جسـمُه وهَيولاه؛ قاطعةً أنّك انفردت بالجمال، واسـتأثرتَ بالكمال، واسـتعليتَ فى مراتب الجلال، واسـتوليتَ(4) على محاسن الخِلال؛ حتى خَيّلتْ أنّ يوسف عليه السلام حاسَنَك فغضضتَ منـه، وأنّ امرأةَ العزيز رأتك فسَلَت عنـه؛ وأنّ قارونَ أصاب بعضَ ما كَنَزت، والنّطِفَ(5) عثر على فضل

(1) فى بعض نسخ هذه الرسالة: «دونه»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.

(2) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد أثبتناها عن سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة المصرى ص ١٤ طبع بولاق.

(3) البيت للمتنبى.

(4) وردت هذه الفقرة فى الأصـل قبل قوله: «قاطعة» الخ والسياق يقتضى تأخيرها كما فى سرح العيون ص ٢١

(5) النطف: هو ابن جبير بن حنظلة اليربوعى؛ وكان مقيما بالبادية مع بنى تميم؛ وكان من أمره أن عامل كسرى على اليمن كان يحمل ثيابا من ثياب اليمن وذهبا ومسكا وجوهرا، ويرسله الى كسرى مع خفراء من بنى الجعد المرازبة الى أن يصل الى أرض بنى تميم، فيبعث معها هوذة من يجاوزها أرض بنى تميم، فلما كان فى بعض السنين فى أرض بنى حنظلة تعرض لها بنو يربوع فأغاروا عليها وقتلوا من بها من العرب والفرس، وكان فيمن فعل ذلك ناجية بن عقال والحرث بن عقبة والنطف بن جبير هـذا، وكانوا فرسان بنى تميم، فنهبوا الأموال، فحصل النطف على شىء كثير، فضرب به المثل. انظر سرح العيون ص ٢٥ طبع المطبعة الأميرية. والذى فى اللسان مادة «نطف» نقلا عن ابن برّى أنه ابن الخيبرىّ أحد بنى سليط ابن الحرث بن يربوع؛ ونقل عن ابن دريد أيضا أن اسمه حطان.

ما رِكْزت[1]؛ وكسرى حَمَلَ غاشيتَك[2]، وقيصرُ رعى ماشيتك؛ والإسكندرُ قتل دارا[3] في طاعتك، وأَرْدَشِير[4] جاهد ملوكَ الطوائف لخروجهم عن جماعتك؛ والضَّحَّاك[5] استدعى مسالمتَك، وجَذِيمةُ الأَبْرَش[6] تمنّى منادمتَك؛ وشِيرِين[7] نافستْ بُوران[8] فيك؛

---

(١) هو من الركاز، وهو دفين مال الجاهلية .

(٢) أراد غاشية السرج، وهى غطاؤه .

(٣) هو دارا الأصغر ابن دارا الأكبر ابن أردشير ملك الفرس؛ وكان بينه وبين الإسكندر بن فيلبس ملك الروم حرب بسبب إتاوة كانت يدفعها أبو الإسكندر لملوك الفرس؛ فلما جاء الإسكندر منع هذه الإتاوة، فحاربه دارا، والتقى الجمعان بنصيبين الجزيرة، وانتهت الوقعة بقتل دارا وانهزام الفرس اهـ. سرح العيون وقد اعتمدنا عليه في أكثر شرحنا لما ورد في هذه الرسالة من الحوادث التاريخية والأبيات والأمثال .

(٤) أردشير: هو ابن بابك من ولد بهمن الملك؛ وأردشير هذا أول الفرس الثانية؛ وكان من أمره وأمر ملوك الطوائف أن الإسكندر لما قتل دارا آخر ملوك الفرس، وفرق من بقى منهم، وسماهم ملوك الطوائف صارت المملكة لليونان، فلما توفى الإسكندر وتقاصر ملك اليونان بعد مدة تحرك أردشير - وكان أحد أبناء ملوك الطوائف على اصطخر - ، وخرج طالبا للملك، وأوهم انه يطلب بثأر ابن عمه دارا، وجمع الجموع، وكاتب ملوك الطوائف في ذلك، فمنهم من أطاعه ومنهم من تأخر عنه، فخرج بعساكره فقتل المتأخر، ثم عطف على بقيتهم فقتلهم، وتسمى بعد ذلك شاهنشاه الأعظم، ومعناه: ملك الملوك .

(٥) الضحاك: يزعم قوم أنه ابن الأهيوب بن عوج بن طهمورث بن آدم، وهو ابن أخت جمشيد بن أوشهنج . وقال قوم إنه من العرب من قحطان، واليمانية تدعيه . وملك بعد جمشيد، فطغى وتجبر وكثر ظلمه وفساده، وطالت مدته في الملك حتى قتل .

(٦) هو جذيمة بن مالك بن عامر التنوخى، وقيل: الأزدى، أول من قاد العرب وملك على قضاعة وكانت منازله الحيرة والأنبار، وكان أبرص، فعدل عن هذا الاسم، فقيل: الأبرش بالشين المعجمة، والوضاح .

(٧) شيرين: هى زوجة أبرويز بن هرمز من ولد كسرى أنوشروان .

(٨) بوران: هى بنت أبرويز المتقدم . وقد ملكت بعد شهريار بن أبرويز .

وبلقيس[1] غايرت الزبّاء[2] عليك، وأنّ مالكَ بن نُوَيرة[3] إنما ردف لك، وعُروة[4] بن جعفر إنمـا رحل إليك، وكُلَيب بن رَبيعة[5] إنمـا حَمى المرعى بعزّتك، وجسّاسا[6] إنمـا قتلَه بأنَفَتك، ومُهَلْهِلا[7] إنمـا طَلَب ثأرَه بهمّتك، والسموءل[8] إنمـا وَفَى عن عهدك،

(١) بلقيس : هى ابنة الحرث بن سبأ، وقصتها فى القرآن معروفة فى سورة النمل .

(٢) الزباء ، هى ملكة الجزيرة، وتعـدّ من ملوك الطوائف؛ ولقبت الزباء لكثرة شعرها وطوله، واسمها : بارعة، أو ميسون؛ وهى ابنـة عمرو بن الظرب . وقد قتله جذيمة الأبرش وأخذ ملكه وقامت هى بأخذ ثأره . انظر القاموس وشرحه .

(٣) هو مالك بن نويرة بن شدّاد اليربوعى التميمى، فارس ذى الخمار — وذو الخمار فرسه — وكان مالك من فرسان العـرب وشجعانهم، وذوى الردافة فى الجاهليـة، وكانت الردافة لبنى يربوع أيام آل المنذر؛ وأدرك مالك بن نويرة الإسلام وأسلم، وقتله خالد بن الوليد فى حروب أهل الردّة فى زمن أبى بكر رضى الله تعالى عنه . وفى اللسان مادة ردف أن أرداف الملوك فى الجاهلية : الذين كانوا يخلفونهم فى القيام بأمر المملكة بمنزلة الوزراء فى الإسلام .

(٤) هو عروة بن عتبة بن جعفر من بنى عامر بن صعصعة، وأهل بيته ينتسبون الى جعفر، فيقال : الجعفريون؛ وكان يعـرف بعروة الرحال لرحلتـه الى الملوك؛ وكان من ذوى العقل والشهامة، وهو من أرداف الملوك .

(٥) هو كليب بن ربيعـة بن الحارث الوائلى؛ ويضرب به المثل فيقال : "أعز من حمى كليب" وكان يحمى مواقع السحاب فلا يرعاه أحد غيره، وكان اذا مرّ بمرعى قذف فيه جروا فيعوى، فلا يرعى أحد من ذلك الكلإ .

(٦) جساس : هو ابن مرّة بن ذهل، وهو قاتل كليب؛ وسبب ذلك أن كليبا رأى بين إبله ناقة كانت لخالة جساس فأنكرها ورماها بسهم فى ضرعها، فعظم ذلك على جساس وخالتـه، فلم يزل جساس بكليب حتى قتله .

(٧) مهلهل : هو ابن ربيعة بن الحرث أخو كليب المتقدم ذكره، ومهلهل لقبـه، واسمه عدىّ، ولقب مهلهلا لأنه أول من هلهل نسج الشعر، أى أرقه؛ وهو خال امرئ القيس بن حجر .

(٨) السموءل : هو ابن عادياء من يهود يثرب؛ وكان يضرب به المثل فى الوفاء فيقال : «أوفى من السموءل» .

والأحنف[1] إنما احتبى فى بُردك، وحاتما[2] إنما جاد بوفرك، ولقى الأضياف ببشرك، وزيد[3] بن مهلهل إنما ركب بفخذيك، والسُّلَيك[4] بن السُّلَكة إنما عدا على رجليك، وعامر[5] بن مالك [إنما لاعب الأسنة بيديك، وقيس[6] بن زُهير] إنما استعان بدهائك[7]، وإياس[8] بن معاوية إنما استضاء بمصباح ذكائك، وسحبان[9] إنما تكلم بلسانك،

---

(١) الأحنف : هو الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصن السعدى، وكنيته : أبو بحر؛ وكان يضرب به المثل فى الحلم والسيادة؛ وكانت وفاته بالكوفة سنة سبع وستين كما فى وفيات الأعيان والذى فى شذور العقود لابن الجوزى أن وفاته كانت سنة تسع وستين .

(٢) هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائى، وكنيته أبو سفانة بتشديد الفاء وأبو عدى؛ ويضرب به المثل فى الجود. (٣) هو زيد بن مهلهل بن زيدان الطائى؛ وكان فارسا مظفرا بعيد الصيت، أدرك الإسلام وأسلم، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير، وكان قبل ذلك يسمى زيد الخيل باللام، وإنما سمى بذلك لكثرة خيله. (٤) السليك : هو ابن عمرو بن يثربى، أحد بنى مقاعس؛ والسلكة أمه، وهو جاهلى؛ وكان من صعاليك العرب ولصوصهم العدائين الذين كانوا لا يلحقون ولا تعلق بهم الخيـــل .

(٥) هو عامر بن مالك بن جعفر من بنى صعصعة، ويعرف بملاعب الأسنة، ويكنى أبا براء، وأمه أم البنين أنجب امرأة فى العرب، وإنما لقب بملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر فيه :

يلاعب أطراف الأسنة عامر * فراح له حظ الكتائب أجمع

(٦) هذه التكلة ساقطة من الأصل، وقد أثبتناها عن النسخ التى بين أيدينا لهذه الرسالة . وقيس بن زهير الذى ذكره : هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسى صاحب الحروب بين عبس وذبيان بسبب الفرسين : داحس والغبراء، وكان فارسا شاعرا داهية، يضرب به المثل فيقال : "أدهى من قيس" .

(٧) فى الأصل : «بذهابك» بالذال والباء الموحدتين، وهو تحريف .

(٨) هو إياس بن معاوية بن قرة المزنى؛ ولى قضاء البصرة فى زمن عمر بن عبد العزيز؛ وهو صاحب الفراسة والأجوبة البديعة، ويضرب به المثل فيقال : « أزكن من إياس » ؛ وتوفى فى سنة إحدى وعشرين ومائة وهو ابن ست وتسعين سنة .

(٩) هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلى، — وائل باهلة — وكان خطيبا مفصحا، يضرب به المثل فى البيان واللسن، أدرك الإسلام وأسلم، ومات سنة أربع وخمسين .

وعمرو[1] بن الأهتم إنما سحر ببيانك، وأن الصلح بين بكر وتغلب[2] تم برسالتك، والحمالات[3] في دماء عبس وذبيان أسندت إلى كفالتك، وأن احتيال هرم[4] لعامر وعلقمة حتى رضيا كان عن رأيك، وجوابه لعمر وقد سأله عن أيهما كان ينفر[5] وقع بعد مشورتك،

(١) هو عمرو بن سنان الأهتم التميمي المنقري، وإنما لقب أبوه بالأهتم لأنه هتمت ثنيته يوم الكلاب؛ وكان عمرو هذا من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام، وقد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو والزبرقان بن بدر وأسلما؛ وتوفي عمرو في سنة سبع وخمسين.

(٢) بكر وتغلب هما ابنا وائل؛ وأشار بهذه العبارة الى ما وقع بين الحيين من الحروب المسماة بحرب البسوس، وقد استمرت أعواما كثيرة الى أن تفانى الحيان، وسببها قتل جساس بن مرة لكليب كما سبق ذكره، الى أن راسلهم في الصلح بينهم الحارث بن عمرو بن معاوية الكندي ملك كندة، وهو جد امرئ القيس الشاعر، فملكوه عليهم فلاقى بقيتهم.

(٣) الحمالات: جمع حمالة بفتح الحاء، وهي ما يتحمله الرجل عن القوم من دية أو غرامة. وأشار بهذه العبارة الى ما وقع بين عبس وذبيان من الحروب الكثيرة بسبب داحس والغبراء، وهما فرسان: أولهما لقيس ابن زهير من عبس، والثاني لحذيفة بن بدر من ذبيان؛ وذلك أن رجلين تراهنا على أي الفرسين أسبق، فلما سبق داحس وهو فرس قيس بن زهير أخذ قيس سبق فرسه من حذيفة، ثم وقعت بعد ذلك الحروب التي سلف ذكرها بين الحيين، وكان أعظمها يوم الهباءة، الى أن أصلح بينهم هرم بن سنان والحارث بن عوف وحملا عن القوم المغارم والديات، وأديا ذلك للقوم من مالهما.

(٤) هو هرم بن قطبة بن سيار من بني فزارة كما في اللسان مادة «هرم». والذي في شرح العيون «ابن سنان»؛ وهو تحريف. وكان هرم هذا حكما من حكام العرب يقضي بين ساداتهم فلا يرد قضاؤه. وعامر: هو ابن الطفيل بن مالك. وعلقمة: هو علقمة بن علاثة بن جعفر من بني عامر بن صعصعة؛ وكان عامر وعلقمة قد تنافرا الى هرم بن سيار ليحكم أيهما أفضل وأكرم حسبا، فكره هرم أن يفضل أحدهما على الآخر وسوى بينهما، وخشي العداوة التي تقع بينهما بسبب تفضيل أحدهما على الآخر.

(٥) يقال: نافرته الى الحكم فنفرني عليه، أي حاكمته فغلبني عليه انظر الأساس؛ وأشار بهذه العبارة الى ما وقع بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهرم بن سيار المتقدم ذكره، وذلك أن عمر سأله يوما، وقال له: يا أبا عمرو أيهما كنت تنفر؟ — يعني علقمة وعامرا — ومن كان عندك الأفضل منهما؟ فقال هرم: لو قلت الآن فيهما كلمة لعادت جذعة، يعني الحرب بين الحيين، فأعجب عمر بهذا القول من هرم، وقال: بحق حكمتك العرب.

وأنّ الحجّاج[1] تقلّد ولاية العراق بجدّك، وقُتيبة[2] فتح ماوراء النهر بسعدك؛ والمهلّب[3] أوهى شوكة الأزارقة بأيدك، وأفسد ذات بينهم بكيدك؛ وأنّ هرمس[4] أعطى بليتوس ما أخذ منك، وأفلاطون[5] أورد على أرسطوطاليس ما حدّث عنك؛

---

(١) الحجاج: هو ابن يوسف بن أبي عقيل الثقفي؛ وكانت ولادته في سنة إحدى وأربعين، ونشأ بالطائف؛ وولي العراق من قبل عبد الملك بن مروان رابع خلفاء بني أمية، فأخمد الفتن به، وأوهى شوكة الخوارج هناك؛ وتوفي بواسط سنة خمس وتسعين.

(٢) قتيبة: هو ابن مسلم بن عمرو الباهليّ؛ نشأ في الدولة المروانية وترقى الى أن ولي الإمارات، وفتح الفتوحات الكثيرة؛ وكان واليا على خراسان من قبل عبد الملك بن مروان بعد يزيد بن المهلب، وهو الذي فتح بلاد ما وراء النهر؛ وفي وفيات الأعيان انه توفي سنة ست وتسعين. وما وراء النهر: يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان، فما كان في شرقيه يقال له: بلاد الهياطلة، وفي الاسلام سموه: ما وراء النهر، وما كان في غربيه فهو: خراسان وولاية خوارزم.

(٣) المهلب: هو ابن أبي صفرة الأزدي العتكيّ البصري؛ وقد نشأ في دولة بني أمية، ثم أمره مصعب ابن الزبير على البصرة نيابة عنه في أيام أخيه عبد الله بن الزبير، ثم ولاه عبد الله خراسان؛ وهو الذي قاتل الخوارج وأوهى شوكتهم، وكانت وفاته في زمن الحجاج سنة ثلاث وثمانين. والأزارقة: هم الخوارج القائلون بمذهب نافع بن عبد الله بن الأزرق، فنسبوا اليه.

(٤) هرمس، ذكر ابن نباتة في سرح العيون ص ١٠٨ أن هرمس هو الذي يزعم قوم من الصابئة أنه نبيّ مرسل، وأنه إدريس عليه السلام ويسندون اليه شرائعهم. وبليتوس هو الذي تزعم الصابئة أيضا أن النبوّة له بعد هرمس؛ وكان بليتوس قد أخذ العلوم والأسرار عن هرمس هذا.

(٥) أفلاطون: هو ابن أرسطن، الالهيّ، معروف بالتوحيد والحكمة، تلمذ لسقراط، وخلفه بعد موته؛ وهو أحد المشائين المشهورين، وهي فرقة ترى مدارسة الحكمة في حالة المشي لرياضة البدن. وأرسطوطاليس: هو ابن نيقوماخوس؛ وهو المعروف بالمعلم الأوّل، وانما سمي بذلك لأنه أوّل من وضع التعاليم المنطقية، وقد تعلم الحكمة من أفلاطون وهو الذي علم الإسكندر ابن فيليب.

وبطلميوسَ[(١)] سَوّى الأَسْطُرلابَ بتدبيرِك ، وصوّر الكرَةَ على تقديرِك ، وأبُقراطَ[(٢)] عَلِمَ العللَ والأمراضَ بلطفِ حسّك ، وجالينوسَ[(٣)] عرَفَ طبائعَ الحشائشِ بدقّةِ نظرِك[(٤)] ، وكلاهما قلّدكَ فى العِلاجِ ، وسألكَ عن المِزاجِ ، واستوصفكَ تركيبَ الاعضاءِ ، واستشاركَ فى الداءِ والدواءِ ، وأنكَ نهّجتَ لأبى معشرٍ[(٥)] طريقَ القضاءِ ، وأظهرتَ

(١) بطلميوس : هو صاحب كتاب المجسطى الكبير والجغرافيا والأصطرلاب وغير ذلك ، قال جمال الدين بن نباتة فى سرح العيون ص ١١٣ إنه أوّل من شرح القول على هيئات الفلك ، وأخرج علم الهندسة من القوة الى الفعل ، وأكثر الرواة يقولون : إنه ثالث ملوك اليونان بعد الاسكندر . اهـ وأنكر ذلك القفطىّ فى كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٩٥ طبع لبسك وقال ما نصه : وكثير من الناس ممن يدعى المعرفة بأخبار الأمم يخيله أحد البطالسة الذين ملكوا الاسكندرية وغيرها بعد الاسكندر ، وذلك غلط بين وخطأ واضح الخ . وأما الأسطرلاب بفتح الهمزة وضم الطاء كما نص على ضبطه ابن خلكان فى ترجمة البديع الاسطرلابى : فقد قالوا : إنه باللغة اليونانية ميزان الشمس ، و به يعرف مقدار الساعات وأخذ الأرصاد ومطالع الكواكب .

(٢) أبقراط : هو سابع الأطباء الثمانية المشهورين الذين أولهم أسقليبيوس وآخرهم جالينوس . قال فى سرح العيون : كان فى زمن بهمن بن اسفنديار وقال القفطى فى كتابه اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٩٠ طبع لبسك أنه كان فى زمن اردشير من ملوك الفرس جد دارا بن دارا . وهو الذى بث صناعة الطب فى الناس ، وعلم الغرباء بعد أن كانت هذه الصناعة مقصورة على طائفة يتوارثونها بالتلقين ، ولم يكونوا يكتبون فيها شيئا ؛ وهو أوّل من اتخذ البيمارستان ، وذلك أنه عمل بالقرب من داره موضعا مفردا للرضى ، وجعل لهم خدما يقومون بمداواتهم ، وسماه : إخشيد ، أى مجمع المرضى ، وكذلك لفظ البيمارستان بالفارسية .

(٣) جالينوس : هو آخر الحكماء المشهورين ، ويسمى خاتم الأطباء والمعلمين ، وذلك أنه عند ما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء السوفسطائيين ومحيت محاسنها ، فانتدب لذلك وأبطل آراءهم وشيد آراء أبقراط والتابعين له ونصرها ، وساح وطلب الحشائش ، وجرّبها ، وقاس أمزجتها وطبائعها ، وشرح الأعضاء ، ووضع الكتب النفيسة فى هذه الصناعة .

(٤) فى سرح العيون : «حدسك» .

(٥) أبو معشر : هو جعفر بن محمد بن عمر البلخىّ المنجم المشهور ؛ كان فى الأوّل من أصحاب الحديث ببغداد ، وكان يشنع على الكندى الفيلسوف بعلوم الفلسفة ، و يغرى به العامة ، فدس له الكندى من حسن له النظر فى علم الحساب والهندسة ، فدخل فى ذلك ، ثم عدل الى أحكام النجوم ، فهر فيها ، وانقطع شره عن الكندى لأن ذلك من جنس علومه ، وكانت وفاته سنة اثنتين وسبعين ومائتين . والمراد بالقضاء هنا : حكم المنجمين بتأثير الكواكب أخذا من قول الشاعر : «يقضون بالأمر عنها وهى غافلة» أى عن النجوم .

جابر بن حيّان(1) على سرّ الكيمياء، وأعطيت النظّام(2) أصلا أدرك به الحقائق، وجعلت للكندي(3) رسما استخرج به الدقائق؛ وأن صناعة الألحان اختراعك، وتأليف الأوتار توليدك وابتداعك؛ وأن عبد الحميد بن يحيى(4) باري أقلامك، وسهل بن(5)

(1) قال في سرح العيون عند شرحه لهذه العبارة ما نصه: «وأما جابر بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة في كتاب يعتمد عليه، وهذا دليل على قول أكثر الناس: إنه اسم موضوع وضعه المصنفون في هذا الفن، وزعموا أنه كان في زمن جعفر الصادق». (2) النظام: هو إبراهيم بن سيار ابن هانئ البصري، وكنيته: أبو إسحاق؛ وهو شيخ من كبار المعتزلة وأئمتهم، متقدم في العلوم، شديد الغوص على المعاني؛ وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين ومائتين وهو ابن ست وثلاثين سنة، كما في سرح العيون. وقال الصفدي في كتاب الوافي بالوفيات إنه توفي سنة ثلاثين ومائتين تقريبا.

(3) الكندي: هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس، وكنيته أبو يوسف؛ وكان الكندي متبحرا في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية، وهو فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها؛ وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميرا على الكوفة للمهدي والرشيد، وكان جده الأشعث بن قيس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وللكندي هذا تآليف مشهورة من المصنفات الطوال، ومن الرسائل القصار جملة متعددة، قال في كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٦٨ طبع ليبسك نقلا عن ابن جلجل الأندلسي في كتابه: يعقوب بن الصباح الكندي كان شريف الأصل بصريا، وكان جده ولي الولايات لبني هاشم، ونزل البصرة، وانتقل الى بغداد، وهنالك تأدب، وكان عالما بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتأليف اللحون والهندسة وطبائع الأعداد والهيئة، وله تآليف كثيرة في فنون من العلم الخ. (4) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري، أحد الكتاب المجيدين الذين اشتهرت بلاغتهم حتى ضرب بها المثل، وكان كاتبا لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، فلما قتل مروان استخفى عبد الحميد حتى عثر به أصحاب أبي مسلم، فسلموه الى السفاح، فسلمه الى عبد الجبار صاحب شرطته فقتله سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

(5) هو سهل بن هارون بن راهبون، وكنيته أبو عمرو، من أهل نيسابور، نزل البصرة فنسب اليها، ويقال: إنه كان شعوبيا — والشعوبية: فرقة تبغض العرب، وتتعصب عليها للفرس — وقد انفرد سهل في زمانه بالبلاغة والحكمة، وصنف الكتب معارضا بها كتب الأوائل حتى قيل له: بزرجمهر الإسلام، وله اليد الطولى في النظم والنثر؛ وكان في أول أمره خصيصا بالفضل بن سهل، ثم قدمه الى المأمون، فأعجب ببلاغته وعقله، وجعله كاتبا على خزانة الحكمة، وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرس. وفي معجم الأدباء لياقوت ج ٤ ص ٢٥٩ أنه توفي في سنة مائتين وخمسة عشر.

هارون مدوّنُ كلامك ؛ وعَمر بنَ بحرٍ(١) مستمليك ، ومالكَ(٢) بنَ أَنَس مستفتيك ؛ وأنك الذى أقام البراهين ، و وضَعَ القوانين ؛ وحَدَّ المـاهيّـة ، و بيّن الكيفيّـةَ والكَميّة ؛ (١٠٣) وناظَرَ فى الجوهر والعَرَض ، و بيّن الصحّةَ من المرض ؛ وفكَّ المُعمَّى ، وفصل بين الاسم والمسمَّى ؛ وضَرب وقَسَّم ، وعَدل وقَوَّم ؛ وصنَّف الأسماء والأفعال ، وبوَّب الظَّرفَ والحال ؛ وبنَى وأَعرب ، ونفَى وتعجَّب ؛ ووَصل وقَطع ، وثنَّى وجَمع ؛ وأَظهرَ وأَضمَر ، وٱبتدأ وأَخبَر ؛ وٱستَفهَم وأَهمَل وقَيَّـد ، وأَرسَل وأَسنَد ، وبَحث ونَظر ، وتصفَّحَ الأديان ، ورَجّح بين مذهبِى مانى(٣) وغَيلان ؛ وأشار بذَبْح الجَعْد(٤) ، وقتْلِ بَشّار(٥)

(١) هو عمرو بن بحر بن محبوب ، و يكنى أبا عثمان ، وهو المعروف بالجاحظ ؛ وهو إمام الفصحاء والمتكلمين ؛ ولد بالبصرة ، ونشأ ببغـداد ، واشتغل على أبى إسحاق النظّام بمذهب الاعتزال ، وتأمل كتب الفلاسفة ، ومال الى الطبيعيين منهم ، وساد على المتكلمين بفصاحته وحسن عبـارته ؛ وتوفى بالفالج سنة خمس وخمسين ومائتين .

(٢) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر التيمى ، وكنيته أبو عبد الله ؛ إمام دار الهجرة وصاحب كتاب الموطأ . وذكر ابن خلكان فى ترجمته أنه ولد فى سنة خمس وتسعين ، وتوفى سنة تسع وسبعين ومائة .

(٣) مانى : هو الذى تنسب إليه الطائفة المـانوية ؛ ظهر فى أيام سابور بن أردشير ، وتبعه خلق كثير من المجوس ، وآدّعوا له النبوّة ، وكان يزعم أن صانع العالم اثنان : فاعل الخير ، وهو النور ، وفاعل الشر ، وهو الظلمة ؛ وقد قتل مانى فى زمن بهرام بن سابور . وأما غيلان : فهو ابن يونس القدرىّ الدمشقىّ ، كان أبوه مولى لعثمان بن عفان ؛ وغيلان أوّل من تكلم فى القـدر وخلق القرآن ، وقد قتل غيلان فى زمن هشام ابن عبد الملك .

(٤) الجعد : هو ابن درهم مولى بنى الحكم ، كان يسكن دمشق ، و يعلم مروان بن محمـد آخر خلفاء بنى أمية ، فنسب إليه ، وقيل له : مروان الجعدىّ ؛ وكان الجعـد يقول بخلق القرآن ، ثم طلب فهرب ، ثم نزل الكوفة فتعلم منه الجهم بن صفوان القول الذى نسب إليه الجهمية ، ولم يزل الجعد بن درهم بالكوفة حتى قتله خالد بن عبد الله القسرىّ والى العراق من قبل هشام بن عبد الملك .

(٥) هو بشار بن برد الشاعر المعروف ، من مخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية ؛ وكان جدّه من طخارستان من سبى المهلب ؛ وكان بشار يتهم بالزندقة ؛ فأمر المهدىّ أن يضرب بالسياط ضرب التلف ، فضرب حتى مات ، وكانت وفاته سنة ثمان وستين ومائة ، ودفن بالبصرة .

ابنِ بُرْد ؛ وأنك لوشئتَ خرقتَ العـادات ، وخالفتَ المعهودات ، فأحلتَ الحارّ عذبة ، وأعدتَ السِّلامَ[1] رَطْبة ؛ وَنقلتَ غدا فصار أمسا ، وزدتَ فى العناصر فكانت خَمسا ؛ وأنك المقولُ فيه : "كُلُّ الصيد فى جوف الفَرا"[2]

و : ليس على الله بمستنكَرٍ * أن يَجمع العالَمَ فى واحدِ[3]

والمعنىُّ بقول أبى تمّـام :

فلو صـــوَّرتَ نفسَك لم تزدها * على ما فيـــك من كرم الطباعِ

والمرادُ بقول أبى الطيِّب :

ذُكِر الأنامُ لنا فكان قصـيدةً * كنتَ البديعَ الفردَ من أبياتها

فـ"كَدَمتَ غيرَ مَكْدَم"[4] ونَفختَ فى غيرِ فحم ؛ ولَم تَجِد لرُمحٍ مَهزّا ، ولا لشَفْرةٍ مَحزّا ؛ بل رضيتَ من الغنيمة بالإياب ، وتمنّيتَ الرجوع بخفَّى حُنين ، لأنى قلتُ لهـا : "لقد هان من بالت عليه الثعالبُ"[5]

وأنشدتُ :

على أنها الأيامُ قد صرن كلُّها[6] * عجائبَ حتى ليس فيها عجائبُ

---

(١) السلام : الحجارة الصلبة ؛ واحده سلمه بفتح السين وكسر اللام .

(٢) هو مثل يضرب للشىء المربى على غيره .. والفرا : حمار الوحش .

(٣) البيت لأبى نواس .

(٤) الكدم : العض بأدنى الفم ؛ والمكدم : موضع العض ؛ وهو مثل يضرب لمن يطلب شيئا فى غير مطلبه . وفى بعض نسخ الرسالة : « كدمت فى غير » .

(٥) فى مجمع الأمثال : « ذل » ؛ يريد : أنه بلغ فى الحقارة غايتها . وهذا عجز بيت لغاوى بن ظالم السلمىّ ؛ وقيل انه للعباس بن مرداس السلمىّ . وصدر البيت : « أرب يبول الثعلبان برأسه » والثعلبان بضم الثاء واللام : ذكر الثعالب . انظر اللسان .

(٦) البيت لأبى تمـام .

ونخـرت[1] وكفرت، وعبست وبسرت[2]؛ وأبدأت وأعدت، [وأبرقت وأرعدت][3] و«هممت ولم أفعل وكدت [وليتني]»[4] ولولا [أن] للجوار ذمة، وللضيافة حرمة؛ لكان الجواب في قذال الدمستق[5]، ولكن النعـل حاضرة إن عادت العقرب، والعقـوبة ممكنة إن أصر المذنب؛ وهبها لم تلاحظك بعين كليلة عن عيوبك، ملؤها حبيبهـا، وحسن فيها من تود، وكانت إنمـا حلتك بحلاك[6]، ووسمتك بسيماك؛ ولم تعرك شهاده، ولا تكلفت لك زياده؛ بل صدقتك سن بكرها[7] فيما ذكرته عنك، ووضعت الهنـاء[8] مواضع النقب فيما نسبته إليـك؛ ولم تكن (كاذبة فيما أثنت به عليـك)[9]،

---

(١) النخير: صوت من الأنف أكثر ما يكون عند الغضب، ومنه سمي المنخر.

(٢) بسرت، من البسر، وهو القطوب.

(٣) التكملة عن سرح العيون؛ وتمام السجع يقتضي إثباتها.

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، وقد أثبتناها عن النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة. يشير إلى بيت ضابئ بن الحارث بن أرطاة البرجمي، وهو:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

يريد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه.

(٥) أشار بهذه العبارة إلى بيت أبي الطيب المتنبي من قصيدة يمدح بها سيف الدولة، وهو:

وكنت إذا كاتبته قبـل هذه * كتبت إليه في قذال الدمستق

يريد أبو الطيب الإشارة بهذا البيت إلى ما وقع بين ملك الروم وسيف الدولة؛ وذلك أن ملك الروم جهز جيشا لمحاربة سيف الدولة وجعل أميره الدمستق، فهزمه سيف الدولة شرهزيمة، وولى الدمستق بجيشه هاربا. والدمستق: لقب عندهم للقدمين من رجالهم، أو هو اسم رجل منهم.

(٦) في الأصل: «حلاك» باللام؛ وما أثبتناه عن نسخ الرسالة.

(٧) هو مثل يضرب في الصدق. والبكر بفتح البـاء: الفتي من الإبل، ونص المثل: «صدقني» بالتذكير.

(٨) الهناء: القطران الذي يطلى به الجرب. وتقال هذه العبارة لمن يضع الأشياء في مواضعها.

(٩) كذا في سرح العيون وغيره من النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة. وعبارة الأصل: «ولم يكن أختر تقله» وهو تحريف لا معنى له.

فالمُعَيدِيّ تسمع به لا أن تراه[1]، هَجِينُ القَذال[2]، أَرعَنُ السِّبال، طويلُ العنق والعلاوة[3]، مُفرِطُ الحُمقِ والغباوة، جافى الطبع، سيّئُ الجابة[4] والسمع، بغيضُ الهيئة، سخيفُ الذَّهابِ والجَيئة، ظاهرُ الوَسواس، منتِنُ الأنفاس، كثيرُ المعايب، مشهورُ المثالب، كلامُك تَمتَمة، وحديثُك غَمغَمة، وبيانُك فَهفَهة، وضحكُك قَهقَهة، ومشيُك هَروَلة، وغناك مسألة، ودينك زندقة، وعلمُك مَخرَقة

مَساوٍ[5] لو قُسِمن على الغواني * لما أُمهِرن إلا بالطَّلاقِ

حتى إنّ باقلا[6] موصوفٌ بالبلاغة إذا قُرِن بك، وهبنّقة[7] مستحقٌّ لاسم العقل إذا نُسِب منك[8]، وأبا غَبْشانَ[9] محمودٌ منه سَدادُ الفعل إذا أضيف إليك،

(١) نصه فى كتب الأمثال : "تسمع بالمعيدىّ خير من أن تراه" ؛ و يضرب لمن خبره خير من مرآه؛ والمقول فيه هذا هو شقة بن ضمرة بن جابر من بنى نهشل .

(٢) يقال : فلان هجين القذال ، أى أنه إذا أدبر عرف لؤم نسبه من قذاله لما يبدو منه من الإطراق حياء . والهجين اللئيم ، أو هو العربىّ الذى يولد من أمة . والقذال : جماع مؤخر الرأس .

(٣) العلاوة : الرأس ما دام على العنق ؛ و يعدون طول الرأس والعنق من دلائل الحمق .

(٤) كذا فى الأساس للزمخشرى ؛ والذى فى الأصل : "والإجابة" بإثبات الهمزة . والجابة والاجابة بمعنى واحد . يشير بهذا الى قولهم : "أساء سمعا فأساء جابة" . (٥) البيت لأبى تمام .

(٦) هو باقل بن عمرو بن ثعلبة الإيادىّ ؛ وفى شرح القاموس أنه من ربيعة ؛ و يضرب به المثل فى العىّ .

(٧) هبنقة : هو يزيد بن ثروان أحد بنى قيس بن ثعلبة ، و يلقب بذى الودعات لأنه جعل فى عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف مع طول لحيته ، فسئل فقال : لئلا أضل ؛ فضرب به المثل فى الحمق .

(٨) كذا فى الأصل ؛ ولم نقف على ما يفيد صحة هذا التعبير فيما راجعناه من كتب اللغة . وفى النسخ التى بين أيدينا لهذه الرسالة : « إليك » ولم نثبتها مع صحتها لحصول التكرار بها مع ما يأتى بعدها .

(٩) فى الأصل : « غبشان » بإهمال أوله وثانيه ؛ وما أثبتناه عن القاموس مادة « الغبش » ، قال ما نصه : « وأبو غبشان و يضم : خزاعىّ كان يلى سدانة الكعبة قبل قريش ، فاجتمع مع قصى فى شرب بالطائف ، فأسكره قصى ، ثم اشترى المفاتيح منه بزق خمر، وأشهد عليه ، ودفعها لابنه عبد الدار ، وطير به إلى مكة ، فأفاق أبو غبشان أندم من الكسعىّ ؛ فضربت به الأمثال فى الحمق والندم وخسارة الصفقة . قال فى شرحه : « وهو المحترش بن حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو .

وطُوَيسًا[1] مأثورٌ عنه يُمْنُ الطائر إذا قيس عليك؛ فوجودك عدم، والاغتباطُ بك ندم، والخيبةُ منك ظَفَر، والجنّةُ معك سقَر؛ كيف رأيتَ لؤمَك لكرمي كفاء، وضَعتَك لشرفي وَفاء؟ وأنّى جهلتَ أن الأشياء إنما تنجذب إلى أشكالها، والطيرَ إنّما تقع على أُلّافها؟ وهلّا علمت أن الشرق والغرب لا يجتمعان، وشعُرت أن نادي المؤمن والكافر لا يتراءيان، وقلت: الخبيثُ والطيّبُ لا يستويان[2]، وتمثلتَ:

أيها المنكِحُ الثريّا سُهيلا[3] * عَمرَكَ الله كيف يلتقيان

وذكرتَ أنّى عِلق لا يباع ممن زاد، وطائرٌ لا يصيده من أراد، وغرضٌ لا يصيبه إلا من أجاد؛ ما أحسَبك إلا كنت قد تهيّأتَ للتهنئة، وترشّحتَ للترفئة؛ أولى لك، لولا أنّ جرحَ العجْماء جُبار[4]، للقيتَ ما لقيَ من الكواعب يَسار[5]؛ فما همّ إلا بدون

---

(١) طويس: هو مولى بني مخزوم، وكنيته: أبو عبد النعيم؛ كان من المجان الظرفاء، وكان يسكن المدينة، وهو أول من غنى بها على الدف بالعربية، وكان يضرب به المثل في الشؤم، لأنه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفطم يوم مات أبو بكر، وختن يوم قتل عمر. وفي القاموس أنه بلغ الحلم يوم قتل عمر، وتزوّج يوم قتل عثمان، وولد له يوم مات عليّ.

(٢) كذا في بعض نسخ الرسالة؛ والذي في الأصل: «لا يجتمعان»؛ وهو مكرر مع ما قبله.

(٣) الشطر الأوّل من هذا البيت ساقط من الأصل، وقد أثبتناه عن سرح العيون، والبيت لعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة. والثريا هي بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر. وسهيل، هو ابن عبد العزيز بن مروان.

(٤) العجماء: البهيمة. والجبار بالضم: الهدر الذي لا قصاص فيه. يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "جرح العجماء جبار".

(٥) يسار: هو عبد أسود، كانت النساء اذا رأينه ضحكن من قبحه، فكان يظن أنهن يضحكن إعجابا منهن به، فدخل على امرأة مولاه يوما وأراد مغازلتها ظنا منه أنها قد أحبته، فقالت له: إن للحرائر طيبا أشمك إياه، فقال: هاتيه، فأتت بطيب وموسى، فأشمته الطيب ثم جدعت أنفه؛ وكان يلقب: «يسار الكواعب».

ما هممتَ به ، ولا تَعرّض[1] إلا لأيسر ما تعرّضتَ له ؛ أين آدّعاؤك رواية الأشعار، وتعاطيك حِفظَ السِّيَر والأخبار ؟

بنو دارِمٍ أكفاؤهم آلُ مِسمَعٍ * وتُنكحُ فى أكفائها الحَبِطاتُ[2]

وهلّا عَشّيت[3] ولم تغترّ، وما أَمِنك[4] أن تكون وافدَ البراجِم، أو ترجعَ بصحيفة (١٠٤) المتلمّس[5] ، وأفعلَ بك ما فعله عَقِيلُ بن عُلّفةَ[6] بالجُهَنىّ إذ جاءه خاطبا فدهن أستَه بزيت وأدناه من قَرْيَة النمل[7] ؟ ومتى كثر تلاقينا، واتصل تَرائينا ؛ فيدعونى اليك

(١) فى الأصل : «ولا تعرضت» ؛ والتاء زيادة من الناسخ . (٢) البيت للفرزدق .

(٣) يشير بهذه العبارة الى المثل القائل : "عشّ ولا تغترّ" وهو مثل يضرب للاحتياط والأخذ بالثقة .

(٤) فى بعض نسخ الرسالة : «وما أشك أنك تكون» الخ ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين . ووافد البراجم : رجل من تميم ؛ والبراجم : خمسة من أولاد حنظلة بن مالك ؛ وقد أشار بهذه العبارة الى قصة عمرو بن هند مع بنى تميم ، وذلك أنه أحرق منهم تسعة وتسعين رجلا لثأر له عندهم ، وكان قد حلف أن يحرق منهم مائة رجل ، فبينا هو يطلب رجلا منهم يتم به المائة ، إذ مرّ رجل يسمى عمارا ، فشم رائحة القتار، فظن أن الملك اتخذ طعاما ، فعدل اليه ، فقيل له : ممن أنت ؟ فقال : من البراجم ، فألقى فى النار ؛ فضرب به المثل وقيل : "إن الشقىّ وافد البراجم" .

(٥) صحيفة المتلمس : تضرب مثلا لمن يحصل له الضرر من حيث يتوقع النفع . والمتلمس : هو جرير ابن عبد المسيح أحد بنى ضبيعة ، شاعر مجيد من شعراء الجاهلية ، وقد وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد على عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة ، فحنق عمرو عليهما يوما وأراد قتلهما ، فكتب معهما كتابين الى عامله بالبحرين ، وقال لهما : إنى كتبت لكما بصلة من عاملى بالبحرين ، فاقبضاها منه ، فلما كانا فى بعض الطريق فتح المتلمس صحيفته فاذا الملك يأمر عامله بقتله ، فألقاها فى اليمّ ، ومضى طرفة بكتابه الى عامل البحرين فقتله .

(٦) فى الأصل : «علقمة» وهو تحريف ، والتصويب عن تاج العروس مادة علق بالقاف ؛ وعقيل بن علفة هذا شاعر من شعراء الدولة الأموية ؛ وكان أهوج جافيا شديد الغيرة والعجرفة والبذخ بنسبه ، وكان لا يرى أن له كفئا ، وقد خطب اليه عبد الملك بن مروان إحدى بناته فأبى عليه ، وكان له جار جهنىّ ، فخطب الجهنىّ إحدى بناته ، ففعل به ما ذكره ابن زيدون .

(٧) قرية النمل : مسكنها وبيتها .

ما دعا ابنةَ الخُسّ[1] الى عبـدها مِن طُول السواد ، وقربِ الوِساد ؟ وهــل فقدتُ الأَراقمَ[2] فأُنكَح فى جَنْب[2]، أو عَضَلنى همّام بنُ مرّة[3] فأقول : "زوجٌ من عُود ، خيرٌ من قُعود"؟ ولعمرى لو بلغتُ هذا المبلغ لارتفعتُ عن هــذه[4] الخِطّة، وما رضيتُ بهــذه الخُطّة ؛ فـ"النارُ ولا العار" و"المنيّةُ ولا الدَّنيّة" والحُرّة تجوع ولا تأكل بثدييهــا :

فكيف وفى أبناء قومىَ منكَحٌ * وفتيانِ هَزّانَ[5] الطوالِ الغَرانقة

ما كنتُ لأتخطّى المســكَ الى الرَّماد، ولا لأمتطىَ الثَّورَ دون الجواد ؛ فإنمــا يتيمّم مَن لا يجد ماء، ويَرعى الهشيـمَ مَن عَدِم الجَميم[6]، ويركب الصّعبَ من لا ذَلولَ

(١) ابنة الخس : هى هند بنت الخس الإيادى ، قديمة فى الجاهلية ، وذكروا أنها زنت بعبــدها ، فلامها النــاس فى ذلك ، وقالوا : ما حملك على الزنى ؟ فقالت : قرب الوساد ، وطول الســواد ؛ والسواد : المسارّة .

(٢) الأراقم : حىّ من تغلب . وجنب : حىّ من اليمن ؛ وقد أشار بهــذه العبارة الى قول مهلهل ابن ربيعــة حين هرب من حرب البسوس لمـا طالت مدتها ، فنزل فى طريقه على حىّ من اليمن ، فخطبوا اليه ابنته وساقوا له مهرها جلودا ، وغصبوه على الزواج فقال :

أعـــزز على تغلب بمـا لقيت * أخت بنى الأكرمين من جشم
أنكحها فقــدها الأراقم من * جنب وكان الحبـاء من أدم .

(٣) عضل الولىّ المرأة : منعها من النكاح . وزوج من عود الخ : قول إحدى بنات همام بن مرة وكان له أربع بنات، وكن يخطبن اليه فيأبى أن يزوّجهن .

(٤) فى الأصل : « بهذه » ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٥) هزان : بطن من العرب ؛ والغرانقة ، جمع غرنوق وغرنيق ، وهو الشاب الأبيض الجميل . والبيت للأعشى الأكبر . وقد ورد الشطر الأوّل منه فى تاج العروس هكذا : « فقد كــان فى شبان قومك منكح » وذكر أن الأعشى يخاطب به امرأة .

(٦) الجميم : النبات الناهض المنتشر الذى طال ولم يبلغ النهاية .

له ؛ ولعلك إنمـا غرّك (١) من علمتَ صبوتى اليه ، وشهدتَ مساعفتى له ، مِن أقمـارِ العصر ، وريـاحين المصر ؛ الذين هم الكواكبُ علوُّهم ، والرياضُ طيبَ شِيَمَ

من تَلْقَ منهم تقل: لاقيتُ سيّدَهم * مثل النجوم التى يَسرى بها السارى (٢)

فَحِنَّ (٣) قِدْحٌ ليس منهـا ، ما أنت وهُم ؟ وأين تقع منهم ؟ وهـل أنت إلّا واوُ عمرٍو فيهم ، وكالوَشيظة فى العَظْم (٤) بينهم ؟ وان كنتَ إنما بلغتَ قعرَ تابوتك (٥) ، وتجافيتَ لقميصك عن بعض قُوتك ؛ وعَطّرتَ أَرْدانَك ، وجَررتَ هِمْيانَك ؛ واختلتَ فى مشيتك ، وحذفتَ فُضـولَ لحيتك ، وأصلحتَ شاربَك ، ومَطّطتَ حاجبَـك ؛ ودققتَ خَطَّ عِذارِك ، واستأنقتَ عَقْـدَ إزارِك ؛ رجاء الاكتتابِ فيهـم (٦) ، وطمعا فى الاعتـدادِ منهم ؛ فظننتَ عَجزا ، وأخطأتْ استُك الحُفرة ؛ والله لو كساك مُحرِّق (٧)

---

(١) فى الأصل : «وهلك» ؛ وهو تحريف . (٢) الشطر الثانى من هذا البيت لم يرد فى الأصل . وقد أثبتناه عن النسـخ التى بين أيدينا لهذه الرسالة وفى سرح العيون أن هذا البيت من جملة أبيات منسوبة الى رجل اسمه العرندس من بنى بكر بن كلاب يمدح بها بنى بدر الغنويين .

(٣) فى الأصل : "فنحن" ؛ وهو تحريف ؛ يشـير بهذه العبارة الى المثـل القائل : "حن قدح ليس منها" يضرب لمن يتشبه بالقوم وليس منهم .

(٤) الوشيظة : قطعة عظم تكون زيادة فى العظم الصميم . ويقال : فلان وشيظة فى قومه ، إذا كان دخيلا فيهم وليس منهم . (٥) قال فى سرح العيون فى تفسير هذه العبارة : يعنى لازمت منزلك .

(٦) يريد : رجاء أن تعد فيهم وتكتب منهم .

(٧) محرّق : هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، وهو المعروف بعمرو بن هند ؛ وأشار بهذه العبارة الى ما ذكروا من أن الوفود اجتمعت مرة عند عمرو بن هند ، فأخرج بردين من لباسه وقال : ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما ، فقام عامر بن أحيمر فأخذهما فقال له عمرو : أنت أعز العرب قبيلة؟ فقال : العز كله فى معدّ ، والعدد فى معدّ ، ثم فى نزار ، ثم فى مضر ، ثم فى خندف ، ثم فى تميم ، ثم فى سعد ، ثم فى كعب ، ثم فى بهدلة فمن أنكر هذا فلينافرنى ؛ فسكت الناس ، فقال : هذه عشيرتك كما تزعم ، فكيف أنت فى نفسك وأهل بيتك؟ فقال : أنا أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، وخال عشرة ؛ ثم أخذ البردين وانصرف (سرح العيون) ؛ وتاج العروس مادة « برد » .

البُردين، وحلّتك ماريةُ[1] بالقرطين، وقلّدك عمرو[2] بالصَّمصامة، وحملك الحارثُ[3] على النَّعامة، ما شككتُ فيك، ولا تكلمتَ بملء فيك، ولا سترتَ أباك، ولا كنتَ إلا ذاك، وهبك ساميتهم فى ذُروة المجد والحسب، وجاريتهم فى غاية الظرف والأدب، ألست تأوى الى بيتٍ قَعيدتُه لَكاع؟ اذ كلُّهم عَزَبٌ خالى الذراع، وأين من أنفرد به، ممن لا أَغلِب إلا على الأقلّ الأخسّ منه؟ وكم بين من يعتمدنى بالقوة الظاهرة، والشهوةِ الوافرة، والنفسِ المصروفةِ الىّ، واللذةِ الموقوفةِ علىّ، وبين آخر قد نَزَحت بيرُه، ونَضَب غديرُه، وذهب نشاطُه، ولم يَبقَ إلا ضُراطُه، وهل كان يُجمَع لى فيك إلا الحَشَفُ[4] وسوءُ الكِيلة. ويقترن علىّ بك إلا الغُدّةُ والموتُ فى بيت سَلُوليّة[5]؟

تعالى الله يا سَلْمُ بنَ عمرو * أَذلّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

(وهذا الشعر لأبى العتاهية يخاطب به سلم بن عمرو، ويلومه على حرصه، ويتلوه):

هَبِ الدنيا تَصير اليك عفوا * أليس مصيرُ ذاك الى زوالِ

ما كان أحقَّك بأن تَقْدِر بذَرْعك، وتَربَع على ظَلْعك، ولا تكون كَبراقش[6] الدالّة

---

(١) مارية: هى ابنة ظالم بن وهب الكندىّ، وزوجة الحارث الأكبر الغسانى أحد ملوك العرب بالشام، وكان فى قرطيها لؤلؤتان كبيرتان يتوارثهما الملوك، وقد وصلتا الى عبد الملك بن مروان، فأهداهما الى ابنته لما زوّجها لعمر بن عبد العزيز، وروى أن مارية أهدتهما الى الكعبة.

(٢) عمرو: هو ابن معد يكرب. والصمصامة: اسم سيفه.

(٣) هو الحارث بن عباد التغلبى. والنعامة اسم فرسه.

(٤) الحشف: اليابس الردىء من التمر. يضرب للخلتين السيئتين يجتمعان فى شخص؛ ونص المثل: "أحشفا وسوء كيلة".

(٥) أشار بهذه العبارة الى قول عامر بن الطفيل: حين ظهرت فى رقبته الغدة التى مات بها، وكان فى بيت امرأة سلولية، فقال: أغدة كغدة البعير، وموت فى بيت سلولية.

(٦) براقش: اسم كلبة نبحت قوما قصدوا الغارة على قوم تخفى عليهم مكانهم، فلما نبحت عرفوهم فاجتاحوهم فقالت العرب: "أشأم من براقش".

على أهلها، وعنزَ السوء المستثيرةَ لحَتْفها؛ فما أراك إلا قد سَقط العشاءُ بك على السِّرحان[1]، وبك لا بظبي أعفر[2][3]، قد أعذرتُ إن أغنيتُ شيا، وأسمعتُ لو ناديتُ حيّا، وقرعتُ عصا العِتاب، وحذّرتُ سوءَ العقاب. "إنّ العصا قُرِعتْ لذى الحِلْم" "والشيء تَحقِره وقد يَنمِى"[4]. فإن بادرتَ بالندامة، ورجعتَ على نفسك بالملامة، [كنتَ][5] قد اشتريتَ العافيةَ لك بالعافية منك؛ وإن قلتَ: "جَعجعةٌ ولا طِحْنا" و"رُبّ صَلَفٍ تحت الراعدة"[6] وأنشدتَ:

لا يُؤيِسنَّك من مُخبَّأةٍ * قولٌ تُغلّظه وإن جَرَحا

فُعُدتَ لما نُهيتَ عنه، وراجعتَ ما استعفيتَ منه، بعثتُ من يُزعجك إلى الخضراء[7] دَفْعًا، ويَستحِثّك نحوها وَكْزًا[8] وصَفْعا؛ فاذا صِرتَ بها عَبِث أكَّاروها[9]

---

(١) يشير بهذه العبارة الى ما ذكروا من أن رجلا وجد عنزا فأراد ذبحها، فلم يجد سكينا، فبينا هو كذلك، إذ بحثت الشاة بظلفها فى الأرض، فاستثارت سكينا فذبحها بها؛ فضربت مثلا لمن يعين على ضرر نفسه. (٢) فى سرح العيون: «سرحان» بدون تعريف، وهو الذئب؛ يشير بهذه العبارة الى المثل القائل "سقط به العشاء على سرحان" يضرب لمن يريد أمرا فيقع على المكروه.

(٣) نص المثل: «به» الخ ويضرب الشماتة بالرجل؛ يريدون نزل به المكروه ولا نزل بظبي أعفر.

(٤) قال ابن نباتة فى سرح العيون عند شرحه لهاتين العبارتين: هما مثلان يضربان فى التحذير، منظومان فى قول الحارث بن وعلة اليشكرى وقد قتل بعض سادات قومه أخاه. ثم أورد أبياتا جاء منها:

وزعمت أنا لا حلوم لنا * إن العصا الخ البيت. وبعده:
لا تأمنن قوما ظلمتهم * وبدأتهم بالشتم والرغم
ان يأبروا نخلا لغيرهم * والشيء تحقره الخ البيت

(٥) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن سرح العيون.

(٦) جعجعة الخ أى أسمع جعجعة ولا أرى طحنا؛ قال فى سرح العيون فى شرح هذا المثل والذى بعده: هما مثلان يضربان لمن يتوعد ولا يفعل. والجعجعة: صوت الرحى. والطحن: الدقيق. فعل بمعنى مفعول، كذبح وفرق؛ والصلف: قلة البركة والخير. وسحاب صلف: إذا كان قليل الماء، كثير الرعد.

(٧) فى الأصل: «الحضرا» بالحاء المهملة؛ وهو تحريف؛ والخضراء: المزرعة؛ أو لعله اسم ضيعة انظر سرح العيون. (٨) فى سرح العيون: «الميا». (٩) الأكارون: الزراعون.

بك ، وتَسلّط نواطيرُها عليك[١] ؛ فمن قَرعةٍ مَعْوجّةٍ تُقوّم فى قفاك ، وجُلْةٍ مُنْتِنة يُرمى بها تحت خُصاك ؛ لكى تذوق وبال أمرك ، وترى ميزانَ قدرك .

فمن جهلتْ نفسُه قدْرَه * رأى غيرُه منه مالا يرى[٢] .

١٠٥ وقال أيضا فى رُقعةٍ خاطب بها ابنَ جَهْوَر — وهى من رسائله المشهورة — أوّلها :

يا مولاى وسيّدى الذى ودادى له ، واعتدادى به ، واعتمادى عليه — أبقاك الله ماضِىَ حدِّ العزم ، وارِىَ زَنْد الأمل ، ثابتَ عهد النعمة — إن سلبتَنى أعزّك الله لباسَ إنعامك ، وعطّلتَنى من حَلْى إيناسك ، وغَضَضتَ عنى طَرْفَ حمايتك ؛ بعد أن نظر الأعمى الى تأميلى لك ، وسمع الأصمُّ ثنائى عليك[٣] ، وأحسّ الجمادُ باستنادى اليك ؛ فلا غَرْوَ قد يَغَصُّ بالماء شارِبُه ، ويقتُل الدواءُ المستشفىَ به ، ويُؤْتَى الحَذِرُ من مأمنه ، وتكون منيّةُ المتمنّى فى أمنيّته "والحَين[٤] قد يَسبق جَهْدَ الحَريص" وإنّى لأتجلّد ، وأُرِى الشامتين أنّى لا أتضعضع[٥] ، وأقول :

---

(١) النواطير : جمع ناطور ، وهو حافظ الكرم والنخل .

(٢) البيت للتنبى .

(٣) كذا فى النسخ التى بين أيدينا لهذه الرسالة . والذى فى الأصل : «إنشادى» ؛ وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : «والحرص» ؛ وهو تحريف . وهذا عجز بيت لعدى بن زيد ؛ وصدره : «قد يدرك المبطئ من حظه» . انظر تمام المتون فى شرح رسالة ابن زيدون للصفدى ص ٣٠٤ طبع بغداد ؛ وقد اعتمدنا على هذا الكتاب فى أكثر شرحنا لما ورد فى هذه الرسالة من الأبيات والأمثال والأخبار فلا حاجة الى التنبيه عليه بعد هذا فيما ننقله عنه .

(٥) كذا فى الأصل ؛ والذى فى نسخ الرسالة : « أنى لريب الدهر لا أتضعضع » . وهذا عجز بيت لأبى ذؤيب الهذلىّ ، وصدره : « وتجلدى للشامتين أريهمو » انظر المفضليات .

هل أنا إلا يدٌ أدماها سوارُها، وجبينٌ عضّه[1] إكليلُه، ومشرفيٌّ[2] ألصقه بالأرض صاقلُه، وسمهريٌّ[3] عرضه على النار مثقّفه، وعبدٌ ذهب سيّدُه[4] مذهبَ الذى يقول :

فقسا ليزدجروا[5] ومن يك حازما * فليقسُ أحيانا على من يرحمُ

والعتبُ[6] محمودٌ عواقبُه، والنبوةُ[7] غمرةٌ ثم تنجلى، والنكبةُ "سحابةُ صيف عن قريب تقشّعُ"[8] وسيّدى إن أبطأ معذور[9] .

فإن يكن الفعلُ الذى ساء واحدا * فأفعالُه اللاتى سررنَ ألوفُ[10]

فليت شعرى ما الذنب الذى أذنبتُ ولم يسعْه العفو ؟ ولا أخلو من أن أكون بريئاً فأين العدل ؟ أو مُسيئا فأين الفضل ؟ وما أرانى إلا لو أُمرتُ بالسجود لآدم فأبيتُ واستكبرت، وقال لى نوحٌ: "اركب معنا" فقلتُ: "سآوى إلى جبلٍ يعصمُنى

(١) فى بعض نسخ الرسالة : « عض به » .

(٢) المشرفىّ : نسبة الى المشارف ، وهى قرى باليمن ؛ أو هى من أرض العرب تدنو من الريف تنسب اليها السيوف المشرفية .

(٣) السمهرى : الرمح الصليب العود ، و يقال إنه منسوب الى سمهر ، وهو رجل كان يقوم الرماح فنسبت اليه . والمثقف : المقوّم .

(٤) فى نسخ الرسالة : "ذهب به سيده" .

(٥) فى الأصل : «له ذنروا» وهو تحريف . والبيت لأبى تمام من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق .

(٦) فى تمام المتون : « هذا العتب » .

(٧) فى تمام المتون : «وهذه النبوة» .

(٨) تقشعت السحابة : أقلعت . وفى كتب الأمثال : " عن قليل " . وهو مثل يضرب لانقضاء الشىء بسرعة .

(٩) كذا وردت هذه العبارة فى الأصل؛ والذى فى النسخ التى بين أيدينا لهذه الرسالة : «ولن يريبنى من سيدى أن أبطأ سحابه ، وتأخر غير ضنين غناؤه» و بعد ها تين العبارتين كلام طو يل لم يرد فى الأصل، فانظره .

(١٠) البيت لأبى الطيب المتنبى من أبيات كتب بها الى أبى العشائر الحسين بن حمدان يعاتبه فى سبب جرى عليه من غلمانه .

من الْمَــاءِ"، وتعاطَيتُ فعقَرت[1]، وأمرتُ ببناء صَرحٍ لعلّى أطّلعُ إلى إله موسى[1]، وعكفتُ على العجل[1]، واعتدَيتُ فى السَّبْت[1]، وشربتُ من النهر الذى ٱبتُلَى به جنودُ طالوتَ[1]، وقُدتُ الفيلَ لأبرهةَ[1]، وعاهدتُ قريشا على مافى الصحيفة[2]، وتأولتُ فى بَيعة العَقَبة[3]،

---

(١) يشير بهذه العبارات الست إلى قصص ورد ذكرها فى الكتاب العزيز : فيشير بالعبارة الأولى الى قصة ناقة صالح التى ورد ذكرها فى قوله تعالى فى سورة القمر : (إنا مرسلو الناقة فتنة لهم) الى قوله : (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) . ويشير بالثانية الى قوله تعالى فى سورة القصص حكاية عن فرعون : (وقال فرعون يأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى) الى قوله : (لعلى أطلع الى إله موسى) . ويشير بالثالثة الى قوم موسى حين اتخذوا العجل وفتنوا به وقد وردت هذه القصة فى قوله تعالى فى سورة طه : (قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى) إلى قوله حكاية عنهم (قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) . ويشير بالرابعة الى قصة بنى اسرائيل واعتدائهم فى السبت؛ قال تعالى فى سورة البقرة : (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت) الآية . ويشير بالخامسة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة : (فلما فصل طالوت بالجنود) إلى قوله تعالى : (فشربوا منه إلا قليلا منهم) . ويشير بالسادسة الى قصة أصحاب الفيل التى ذكرها الله تعالى فى سورة الفيل حين ساروا الى الكعبة وأرادوا هدمها وعلى رأسهم أبرهة ابن الصباح أمير اليمن من قبل النجاشى . انظر تفصيل هذه القصص فى كتب التفسير .

(٢) يشير بهذه العبارة إلى صحيفة قريش التى تعاهد فيها كفارها على بنى هاشم؛ وذلك أن قريشا لما رأت أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا الى الحبشة قد أصابوا فى هجرتهم أمنا ورخاء وعزا ومنعة من النجاشى ملك الحبشة، ورأت فشو الإسلام فى القبائل وإسلام عمر بن الخطاب وغيره من أشرافهم اجتمعوا وتعاهدوا فيما بينهم على ألا ينكحوا من بنى هاشم، ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم، ولا يبتاعوا منهم، وكتبوا ذلك فى صحيفة وعلقوها فى جوف الكعبة توثيقا وتوكيدا، فانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى شعب أبى طالب، وظلوا كذلك سنتين أو ثلاثا حتى أجهدهم الضيق، وكان لا يصل اليهم شىء الا سرا يستخفى به من أراد صلتهم من قريش، حتى قام فى نقض ما فى الصحيفة نفر منهم اجتمعوا على ذلك . انظر تفصيل القصة فى كتب السيرة .

(٣) أشار بهذه العبارة الى بيعة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة التى بين منى ومكة، ومنها ترمى جمرة العقبة؛ وهى ثلاث بيعات : بايعه فى الأولى ستة نفر من الأوس، وبايعه فى البيعة الثانية اثنا عشر، منهم الستة الذين بايعوه فى الأولى، وبايعه فى البيعة الثالثة، سبعون وامرأتان، انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٦٩٣ طبع جوتنجن . وذكر الصفدى فى تمام المتون أن الذين بايعوه فى البيعة الثالثة ثلاثة وتسعون وامرأتان .

وتَفَرتُ الى العِيرِ بِبَدْر(١)، وأَنخذلتُ بثلث النّاس يوم أُحُد(٢)، وتخلّفتُ عن صلاة العصر في بني قُرَيظة(٣)، وجئتُ بالإفك على عائشة(٤)، وأبيتُ من إمارة أُسامة(٥)،

---

(١) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء، بينه وبين الجار — وهو ساحل البحر — ليلة. وأشار بهذه العبارة إلى وقعة بدر الكبرى، وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع أن أبا سفيان بن حرب مقبل من الشام في عير لقريش عظيمة، فندب الناس إلى الخروج اليها، فسمع أبو سفيان من بعض الركبان باستنفار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس له، فاستأجر رجلا ليذهب إلى مكة فيخبر قريشا بذلك ويستنفرهم إلى أموالهم، فخرج الرجل إلى مكة وأعلمهم الخبر، فتجهز الناس سراعا؛ ثم كانت وقعة بدر التي نصر الله فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

(٢) كذا في نسخ الرسالة التي بين أيدينا. وفي الأصل: «وانجزأت» ولم نقف عليه فيما راجعناه من كتب اللغة. وأحد: جبل أحمر ليس بذي شناخيب — والشناخيب: رءوس الجبال — بينه وبين المدينة قرابة ميل شماليها؛ وعنده كانت وقعة أحد التي قتل فيها كثير من المسلمين، وقتل فيها حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم. وقد أشار ابن زيدون بهذه العبارة إلى انخذال عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين بثلث الناس في هذا اليوم، وتركه لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه. انظر تفصيل ذلك في كتب السيرة.

(٣) أشار بهذه العبارة إلى غزوه صلى الله عليه وسلم لبني قريظة؛ وذلك أنه لما انصرف من غزوة الخندق ووضع المسلمون سلاحهم، أمره الله تعالى بغزو بني قريظة، فقال لأصحابه: «لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة» وسار ومعه أصحابه، فجاء وقت العصر وهم في الطريق، فصلاه جماعة منهم حملا لأمره صلى الله عليه وسلم على قصد السرعة، وصلاه الباقون بعد مضي وقتها في بني قريظة حملا للأمر على حقيقته، فلم يعنف رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا منهم على عمله، ثم حاصروا عدوهم خمسة وعشرين يوما حتى نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم.

(٤) أشار بهذه العبارة إلى حديث الإفك الذي رميت به أم المؤمنين عائشة الصديقية رضي الله تعالى عنها من بعض المنافقين، وقد ذكره الله تعالى في سورة النور فقال: "إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم" الآية.

(٥) كذا في الأصل؛ وفي اللسان مادة «أبى» ما يفيد صحة تعدية هذا الفعل بـ«من» حكى ابن سيدة عن الفارسي أنه يقال «أبى زيد من شرب الماء»، والذي في نسخ الرسالة «وأنفت». وأشار بهذه العبارة إلى ما كان قبل وفاته صلى الله عليه وسلم من تأميره أسامة بن زيد بن حارثة على جيش لقتال الروم، وكان في هذا الجيش كبار المهاجرين الأولين كأبي بكر وعمر وأبي عبيدة، فانتقد جماعة إمرة أسامة على هذا الجيش وفيه أمثال هؤلاء، وهو شاب لم يبلغ سبع عشرة من عمره، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قول هؤلاء، فغضب غضبا شديدا وخرج فقال: أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وايم الله إنه كان لخليقا بالإمارة، وإن ابنه من بعده لخليق بها.

وزعمتُ أن خلافة أبى بكر كانت فلتة[1] * ورَوَّيتُ رمحى من كتيبة خالد[2] * ومزّقتُ الأديمَ الذى باركت يدُ الله فيه[3]، وضحّيتُ بالأشمط الذى عُنوان السجود به[4]، وكتبت الى عمر بن سعد [أن] جعجِعْ[5] بالحسين، وبذلتُ لقطام .

(١) يشير بهذه العبارة الى ما ورد فى كلام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه — وقد بلغه فى آخر حجة حجها أن قوما يقولون : لو مات أمير المؤمنين لنبايعن فلانا ، فخشى عمر أن يكون فى هذا إضعاف لبيعة الناس ، فلما قدم المدينـة خطب فى الناس وجاء فى خطبته قوله : وقد بلغنى أن قائلا يقول لو مات عمر بايعت فلانا ، فلا يغـترن امرؤ منكم أن يقول : كانت بيعة أبى بكر فلتة ؛ وليس فيكم من يقطع الأعناق مثـل أبى بكر ؛ وإنه كان من خيرنا الخ ما أورده الصفدى فى تمام المتون من هذه الخطبة . ورواه يونس ابن يزيد عن الزهرى مطولا وزاد فيه : قال عمر فلا يغترن امرؤ منكم أن يقول إن بيعة أبى بكر كانت فلتة فتمت فإنها قد كانت كذلك إلا أن الله وقى شرها . (٢) هذا صدر بيت لأبى شجرة السلمى ، وتمامه : * وإنى لأرجو بعدها أن أعمرا * وسبب هذا الشعر أن خالد بن الوليد رضى الله عنه لما فرغ من قتال بنى حنيفة فى حرب الردة انحدر بمن معه الى بنى سليم ، وسمعت بنو سليم بذلك فاجتمعوا لقتاله ، واستجلبوا من بقى من العرب مرتدا ، وكان الذى يجمعهم أبو شجرة بن عبد العزى المتقدم ؛ فقاتلهم خالد حتى هزمهم ، وكان أبو شجرة هذا قد أصاب فى هذا اليوم من المسلمين ؛ فقال هذا الشعر الذى منه البيت السابق .

(٣) يشير بهذه العبارة الى قول الشاعر فى رثاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

جزى الله خيرا من إمام وباركت * يد الله فى ذاك الأديم الممزق .

(٤) يشير بهذه العبارة الى قول حسان بن ثابت يرثى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهما :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به * يقطع الليـل تسـبيحا وقرآنا

(٥) جعجع من الجعجعة : وهى الحبس والتضييق . يشـير بهذه العبارة الى قصة قتل الحسين بن على رضى الله عنهما ، وذلك أنه لما خرج الحسين رضى الله تعـالى عنه الى الكوفة بإشارة من أهلهـا ليبايعوه بالخلافة فى مدة يزيد بن معاوية ندب ابن زياد لقتاله عمر بن سـعد بن أبى وقاص ، فقال الحسين لعمر : إختر منى إحدى ثلاث : إما تركتنى أرجع ، أو سـيرتنى الى يزيد فأضع يدى فى يده فيحكم فى ما يرى ، فإن أبيت فسيرنى الى الترك أقاتلهم حتى أموت ؛ فأرسل عمر بذلك الى ابن زياد ، فهم أن يسيره الى يزيد فقال بعض من حضر : لا أيها الأمير حتى ينزل على حكمك ، فأبى الحسين ذلك ، فكتب عبيد الله بن زياد الى عمر : أن جعجع بالحسين انظر تفصيل ذلك فى كتب التاريخ ؛ وكان قتل الحسين رضى الله تعالى عنه فى سنة إحدى وستين كما فى شذور العقود لابن الجوزى المحفوظ منه فى دار الكتب المصرية نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى تحت رقم ٩٩٤ تاريخ .

ثلاثةَ آلافٍ وعبــدا وقَينةً * وضَرْبَ عليٍّ بالحسام المخذَّمِ (١)

وتمثّلتُ عند ما بلغني من وقعة الحَرّة (٢) :

ليت أشياخي ببدرٍ شَهِدوا * جَزَعَ الخزرجِ من وَقْعِ الأَسَلْ (٣)

قد قتلنا القَرْنَ (٤) من أشياخهم * وعدلنــاه ببَــدرٍ فاعتدَلْ (٥)

ورَجمتُ الكعبةَ ، وصَلبتُ العائذَ بها على الثنيّة (٦) ؛ لكان فيما جرى عليّ ما يحتمل أن يُسمَّى نكالا ، ويدعى ولو على المجازِ عقابا .

وحسْبُك من حادثٍ بامرئٍ * يَرى حاســديه له راحمينـا

---

(١) المخذم : اسم فاعل من خذمه بتشديد الذال أى قطعه . وفى تمام المتون : «المسمم» ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين . وقائل هذا البيت عبد الرحمن بن ملجم قاتل على كرم الله وجهــه . وقطام التى أرادها : امرأة بالكوفة كانت جميلة رائقة ، وأراد ابن ملجم التزوج منها ، فشرطت عليه أن يكون صداقها ثلاثة آلاف وعبدا وجارية وقتل على بن أبى طالب ، فقبل ذلك ابن ملجم وقال الشعر الذى منه هذا البيت ، وبعــــده :

فلا مهر أغلى من علىّ وإن غلا * ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم .

(٢) أراد حرّة واقم ، إحدى حرّتى المدينة ، وهى الشرقية ، وبهـا كانت وقعة الحرة المشهورة فى سنة ثلاث وستين ؛ وذلك أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية وطردوا عامله ، وحاصروا بنى أمية بالمدينة ، فبعث اليهم يزيد بالجنود بقيادة مسلم بن عقبة ، فقتل رجالهم ، واستباح أموالهم وأعراضهم ، ثم أخذ البيعة منهــم ليزيد .

(٣) الأسل : الرماح . وقائل هذا الشعر عبد الله بن الزبعرى .

(٤) القرن من القوم : سيدهم .

(٥) عدلناه ببدر فاعتدل ، أى قومناه به فاستقام انظر تاج العروس مادة « عدل » .

(٦) أشار بهــذه العبارة والتى بعدها الى ما صــنعه الحجاج بعبد الله بن الزبير وأصحابه ؛ وذلك أنه فى سنة أربع وستين بويع ابن الزبير بالخلافة وانتظم فى بيعته الحجاز واليمن ومصر والعراق وخراسان ، فضاق بذلك عبد الملك بن مروان فندب الحجاج بن يوسف لقتاله ، فسار اليه بمكة ، ونصب المجانيق على أبى قبيس ، وظل الحصار ستة أشهر وسبعة عشر ليلة ، وقتل عبــد الله بن الزبير فى هذه الوقعة بحجر من هــذه المجانيق وكان قتله فى سنة ثلاث وسبعين ثم صلبه الحجاج بعد قتله على الثنية ، وظل مصلوبا سنة كاملة ثم أنزله .

فكيف ولا ذنبَ إلا نميمةٌ أهداها كاشح، ونبأٌ جاء به فاسق؛ والله ما غششتُك بعد النصيحة، ولا انحرفتُ عنك بعد الصاغية(١)، ولا نصبتُ لك(٢) بعد التشيّع فيك، ففيم عبِث الجفاءُ بأذمّتي، وعاث في مودّتي(٣)؟ وأنّى غلبني المغلَّب، وفخر عليّ الضعيف(٤)، ولطمتْني غيرُ ذاتِ سوار(٥)؟ ومالك لم تمنع مني قبل أن أُفترس، وتُدركني ولمّا أُمزَّق(٦)، [أم كيف لا تتضرّم(٧) جوانح الأكفاء حسدا لي على الخصوص بك، وتنقطع أنفاس

(١) قال الصفدي في تمام المتون ص ١٨٣ ما نصه : والصاغية كأنها مصدر صغى يصغو صغوا وصاغية . ولم نقف على هذا المصدر فيما راجعناه من كتب اللغة . والمراد بالصاغية هنا : الميل .

(٢) نصب له : عاداه . وأشار بهذه العبارة الى فرقة الناصبة : وهم المنحرفون عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، وإلى الشيعة ، وهم المنتمون اليه .

(٣) كذا في الأصل . وعبارة نسخ الرسالة : «وعاث العقوق في مواتّي» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين . والموات بتشديد التاء : جمع ماتّة : وهي الحرمة والوسيلة .

(٤) عبارة نسخ الرسالة : "وفخر على العاجز الضعيف" . وأشار بهذه العبارة والتي قبلها الى بيت امرئ القيس ، وهو :

وإنك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

يريد أن أشدّ ما على الانسان أن يفخر عليه ضعيف ويغلبه مغلوب .

(٥) يشير بهذه العبارة الى المثل القائل : " لو ذات سوار لطمتني " ويعنون بذات السوار، الحرة ، لأن العرب كانت قلما تلبس الإماء السوار ؛ ويروى : « لو غير ذات سوار » . ويريد ابن زيدون بهذه العبارة : لو أني أهنت ممن هو كفء لي في الشرف والمنزلة لهان عليّ ، ولكن سعى بي من هو دوني ، ونال مني من لا يناظرني في شرف ولا منزلة .

(٦) يشير بهذا إلى قول الشاعر :

فإن كنت مأكولا فكن خير آكل * وإلا فأدركني ولما أمزق

وقد تمثل به عثمان بن عفان رضي الله عنه يوم الدار في كتاب بعث به الى علي بن أبي طالب يستنجده على من حاصره .

(٧) هاتان العبارتان لم تردا في الأصل ؛ وقد نقلناهما عن نسخ الرسالة .

النُّظراء منافسةً فى الكرامة عليك] وقد زانني اسمُ خدمتِك ، [وزهانى وَسْمُ نعمتِك][(١)] وأبليتُ [البلاء][(٢)] الجميل فى سِماطِك[(٣)]، وقمتُ المَقام المحمودَ على بِساطِك .

ألستُ المُوالى فيــك نَظمَ قصائدٍ * هى الأنجُمُ اقتادت مع الليل أنجُما[(٤)]

وهل لَبِس الصبــاحُ إلا بُردا طرّزتُه بمَحامِدك ، وتقلّدتْ الجَوزاءُ إلا عقــدا فصّلتُه بمآثرك ، وبَثَّ المسكُ إلا حديثا أذعتُه[(٥)] بمفاخِرك ، "ما يومُ حَليمةَ بسرّ"[(٦)] وحاش لله أن أُعَدَّ من العاملة الناصبة ، وأكونَ كالذُّبالة المنصوبة تُضيء للناس وهى تحترق .

وفى فصــل منه : ولَعَمرى ما جهلتُ [أن][(٧)] الرأيَ فى أن أتحوّلَ إذا بلغتنى الشــمسُ ، ونبا بى المنزل ، وأُضرِبَ عن المطامع التى تَقطع أعناقَ الرجال ، ولا أستَوطئ العجزَ فيُضرَب بى المَثَل : "خامِرى أمَّ عامر"[(٨)] وإنى مع المعرفة بأن الجَلاء

(١) لم ترد هذه العبارة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن نسخ الرسالة .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن نسخ الرسالة .

(٣) فى الأصل : «من» والسياق يقتضى ما أثبتنا كما فى نسخ الرسالة . والسماط : الصف .

(٤) البيت للبحترىّ من قصيدة يعاتب فيها الفتح بن خاقان .

(٥) كذا فى النسخ التى بين أيدينا لهذه الرسالة . والذى فى الأصل : «أضعته» بالضاد المعجمة ، وهو تحريف .

(٦) هو مثل يضرب لكل أمر متعارف مشهور ، ويضرب أيضا للشريف النابه الذكر؛ والمراد هنا الأوّل ، وحليمة : هى بنت الحارث بن أبى شمر؛ وكان أبوها قد وجه جيشا الى المنذر بن ماء السماء ، فأخرجت لهم طيبا من مركن فطيبتهم ؛ وهذا اليوم من أشهر أيام العرب .

(٧) كذا فى الذخيرة لابن بسام المحفوظ منها بعض أجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣٤٧ أدب ؛ والذى فى الأصل : «ما جهلت الرأى» بدون «أن» . ويشير بهذه العبارة إلى قول أبى تمام من قصيدة وجه بها إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم :

وإن صريح الرأى والحزم لامرئ * إذا بلغته الشمس أن يتحولا

(٨) أم عامر : كنية الضبع ، ويقال لها : أم عمرو أيضا . وهذا المثل يضرب لمن عرف الدنيا فى نقضها عقود الأمور بإيراد البلاء عقيب الرخاء ، ثم يسكن اليها مع ما علم من عاداتها ، كما تغتر الضبع بقول القائل : "خامرى أم عامر" وهى عبارة يقولها من أراد أن يصيدها لتطمئن اليه ؛ ومعناها : استترى والجئى الى أقصى مغارك .

سِباءٌ[١]، والنُّقلةَ مُثْلَةٌ، لَعارفٌ أن الأدبَ الوطنُ الذى لا يُخشَى فراقُه[٢]، والخَليطُ الذى لا يُتوقّع زوالُه[٣]، والنَّسبُ[٤] الذى لا يُخفَى؛ [والجمالُ [الذى] لا يَخفَى؛ ثم ما قِرانُ السَّعدِ للكواكب أبهى أثرًا، ولا أسنَى خَطَرًا، مِن اقترانِ غِنى النفسِ به، وانتظامِها نَسَقًا معه؛ فإن الحائزَ لهما، الضاربَ بسهمٍ فيهما — وقَليلٌ ما هُمْ[٥] — ] أينما توجّه وَرَدَ مَنهَلَ بِرٍّ، وحطّ[٦] فى جَناب قَبول، وضُوحكَ قَبل إنزالِ رَحْلِه[٧]، وأُعطِى حُكمَ الصبيِّ على أهلِه

وقيل له : أهلا وسهلا ومرحبا * فهـــذا مَبيتٌ صـالحٌ وصديقُ

غيرَ أنّ المَوطنَ محبوب ، والمَنشأَ مألوف ؛ واللبيبُ يَحِنّ إلى وطنه، [ حنينَ النجيبِ إلى عَطَنِه[٨] ]؛ والكريمُ لا يجفو أرضا فيهـا قَوابلُه ، ولا يَنسى بلدا فيه مَراضعُه؛ وأنشد قولَ الأوّل :

أَحَبُّ بلادِ الله ما بين مَنعِجٍ[٩] * إلىّ وسَلْمَى[٩] أن يَصُوب سَحابُها

---

(١) الجلاء : الخروج عن الوطن . والسباء : الأسر .

(٢) فى الأصل : «لا يجتنى» وهو تحريف، والتصويب عن نسخ الرسالة .

(٣) فى تمام المتون : «زياله» والزيال بكسر أوّله : الفراق .

(٤) فى بعض النسخ : «والنسيب» والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٥) لم ترد هـــذه التكملة فى الأصل ولا فى الذخيرة لابن بسام ؛ وقد أثبتناها عن بعض نسخ الرسالة .

(٦) كذا فى نسخ الرسالة ؛ والذى فى الأصل : «وحق» بالقاف .

(٧) يشير بهذا إلى قول عمرو بن الأهتم ، وقيل حاتم الطائى :

أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله * ويخصب عندى والزمان جديب

(٨) لم ترد هذه العبارة فى الأصل ، وقد أثبتناها عن نسخ الرسالة .

(٩) منعج : هو واد يأخذ بين حفر أبى موسى والنباج ، ويدفع فى بطن فلج . (ياقوت) وسلمى : جبـل لطيّئ شرقىّ المدينـة ، وغربيه واد يقال له : « رك » به نخل وآبار مطوية بالصخر ، وبجانبيه جبلان أحمران ، وأعلاه برقة انظر تاج العروس مادة « سلم » .

بلادٌ بها عقَّ (١) الشبابُ تمائمى * وأوّلُ أرضٍ مسّ جلدى ترابُها

هـذا إلى مُغالاتى فى تعلّقِ (٢) جوارِك، ومنافستى فى الحظّ من قُربك، وٱعتقادى أنّ الطمعَ فى غيرك طَبَعٌ (٣)، والغِنى من سواك عَناء، والبدَل منك أعوَر (٤)، والعِوضَ لَفاء (٥).

وإذا نظرتُ إلى أميرى زادنى * ضنًّا به نظـرى إلى الأمراءِ (٦)

"كلُّ الصيدِ فى جوف الفَرا" و"فى كلّ شجرٍ نار، وٱستمجَد المَرْخُ (٧) والعَفار"؛ فما هذه البراءةُ ممن تولّاك، والمَيلُ عمّن يميل إليك؟ وهلّا كان هواك فيمن هواه فيك، ورضاك لمن رضاه لك؟

---

(١) كذا فى الأصل والذخيرة لابن بسام وغيرهما من نسخ الرسالة؛ ورواه ياقوت فى معجمه: «حل»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين. وذكر ياقوت ان هاتين البيتين لبعض الأعراب ولم يعينه.

(٢) فى بعض نسخ الرسالة «إلى مغالاتى بعقد» والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين؛ والمغالاة فى الشىء: إغلاؤه.

(٣) الطبع: الدنس.

(٤) ذكر الصفدى فى تمام المتون ان أصل هـذه العبارة أن يزيد بن المهلب لما صرف عن ولاية خراسان بقتيبة بن مسلم الباهلىّ وكان شحيحا وشيخا أعور، قال الناس: هذا بدل أعور. وفى الأصل: «اعواز»؛ وهو تحريف.

(٥) فى الأصل: «لقاء» بالقاف المثناة، وهو تصحيف. واللفاء بالفاء الموحدة: التراب أو الشىء القليل، أو هو ما دون الحق

(٦) ذكر الصفدىّ أن هذا البيت لعدىّ بن الرقاع.

(٧) المرخ: من العضاه، وهو يتفرش ويطول فى السماء حتى يستظل فيه، وليس له ورق ولا شوك، ومنه يكون الزناد الذى يقتدح به؛ والواحد مرخة. والعفار: شجرة تشبه شجرة الغبراء الصغيرة، ونورها كنورها، وهو شجر خوار، ولذلك جاد للزناد، والعرب تضرب بالمرخ والعفار المثل فى الشرف وعلو المنزلة، فيقولون: «فى كل شجر نار، وٱستمجد المرخ والعفار» وفى القاموس مادة «مجد» ان معنى قولهم: «استمجد المرخ والعفار» ٱستكثرا من النار.

يا من يعزّ(١) علينا أن نفارقهم * وجداننا كلّ شيء بعدكم عدمُ

أُعيذك ونفسي من أن أَشيمَ(٢) خُلَّبا ، وأستمطرَ جَهاما(٣) ، وأكدِمَ غير مكدَم ، وأشكوَ شكوى الجريح إلى العقبان والرَّخَم ؛ وإنما أبسستُ(٤) لك لتدِرّ ، وحرّكتُ لك الحُوار(٥) لتحِنّ ، وسَريتُ لك ليَحمَد(٦) المَسْرى(٧) إليك ؛ بعد اليقين من أنك إن شئتَ عقدَ أمرٍ تيسّر ، ومتى أعذرتَ في فكّ أَسْرِي(٨) لم يتعذّر ؛ وعِلمُك مُحيط بأنّ المعروف ثمرةُ النعمة ، والشفاعةَ زكاةُ المروءة ، وفضلَ الجاه تَعُود به صدقةٌ .

وإذا امرؤٌ أَسْدَى(٩) إليك صنيعةً * من جاهه فكأنّها من ماله

لعلّي أُلقي العصا بذَراك(١٠) ، وتستقرّ بيَ النوى في ظلّك ، فتستلذّ جَنَى شكرى من غَرْس عارفتك ، وتستطيبَ عَرْفَ ثنائي من رَوض صنيعتك ؛ وأستأنفَ التأدّبَ

---

(١) في الأصــل : « يا من لا يعز » و « لا » زيادة من الناسخ يختل بها الوزن والمعنى ؛ وهذا البيت لأبي الطيب المتنبي .

(٢) في الأصل : « من » ؛ وهو تحريف .

(٣) الجهام : السحاب لا ماء فيه .

(٤) الإبساس : أن يقال للناقة عند حلبها : بس بس بضم الباء وتشديد السين تسكينا لها . والمراد بهذه العبارة والتي بعدها أنه قد استعطفه بالكلام ولاينه في الخطاب ليعطف عليه و يلين له .

(٥) يشير بهــذه العبارة الى قولهم في المثــل : " حرك لها حوارها تحن " والحوار : ولد الناقة ، ولا يزال حوارا حتى يفصل ؛ ويضرب هذا المثل في تذكيرك المرء بعض أشجانه ليهتاج .

(٦) كذا في تمــام المتون ؛ والذي في الأصل : « اليك » ولم نثبتها مع صحتها لحصول التكرار بها مع ما بعــدها .

(٧) يشير بهذه العبــارة الى قولهم : " عند الصباح يحمد القوم السرى " وهو مثــل يضرب للرجل يحتمل المشقة لأجل الراحة .

(٨) في الأصل : « أمرى » بالميم ؛ وهو تحريف .

(٩) البيت لأبي تمــام من قصيدة كتب بها الى إسحاق بن ربعي كاتب أبي دلف .

(١٠) بذراك : أي بظلك ؛ يقال : فلان في ذرا فلان أي في كنفه وظله .

بأدبك(1)، والاحتمال على مذهبك؛ فلا أوجد للحاسد مجال لحظة، ولا أدع للقادح مساغ لفظة؛ والله ميسرك(2) من إطلابى(3) هذه الطلبة، وإشكائى(4) من هذه الشكوى لصنيعة تصيب بها طريق المصنع، ويد تستودعها أحفظ مستودع؛ حسبما أنت خليق له، وأنا منك حرى به؛ فذلك بيده، وهيّن(5) عليه. وشفعها بأبيات فقال:

الهوى فى طلوع تلك النجوم * والمنى فى هبوب ذاك النسيم
سرّنا عيشنا الرقيق الحواشى * لو يدوم السرور للمستديم
وطر ما انقضى إلى أن تقضّى * زمن ما ذمامه بالذميم
زار مستخفيا وهيهات أن يخـ * ـفى البدر فى الظلام البهيم
فوشى الحلى إذ مشى وهفا الطيـ * ـب إلى حيث كاشح بالنميم
أيها المؤذنى بظلم الليالى * ليس يومى بواحد(6) من ظلوم

(1) كذا فى بعض نسخ الرسالة. وفى الأصل: «التأدب بك».

(2) فى الأصل: «مسيرك» بتقديم السين على الياء؛ وما أثبتناه هو المناسب لقوله فيما يأتى: «لصنيعة».

(3) الإطلاب: مصدر أطلبه إذا أعطاه ما طلب؛ يقال طلبت منه كذا فأطلبنى إياه، أى أسعفنى بقضائه. والطلبة بكسر اللام: الحاجة. وعبارة الأصل: «من هذه الطلبة»؛ وقوله: «من» زيادة من الناسخ؛ فإن «أطلب» من الأفعال التى تتعدى بنفسها؛ ولم نقف على تعديته بالحرف انظر اللسان وغيره من كتب اللغة.

(4) الإشكاء: مصدر أشكيته إذا أزلت شكايته.

(5) فى الأصل: «وجرى»؛ والتصويب عن الذخيرة لابن بسام المحفوظ منها بعض أجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٤٧ أدب.

(6) فى الأصل: «براجد» بالجيم المعجمة؛ وهو تحريف؛ يريد أن اليوم الذى أوذى فيه ونكب ليس هو الوحيد من دهر ظلوم.

ما تَرَى البدرَ إن تأمّلتَ والشمـ * ـسَ همـا(١) يكسَفان دون النجومِ
وهـــو الدهرُ ليس ينفكُّ يَنحـو * بالمُصـاب العظيمِ نحو العظيـــمِ
بوّأ الله جَهْـــوَرا أشرفَ السُّؤ * دُدِ في السِّرِّ(٢) واللّبـابِ الصمـيمِ
واحدٌ سَـــلّمَ الجميـــعُ له الفضـ * ـلَ وكان الخصوصُ وَفْقَ العمومِ
قَـــلّدَ الغُمْرُ(٣) ذا التجارِبِ(٣) فيـــه * واكتفَى جاهلٌ بعـــلمِ عليمِ (١٠٧)

ومنها في ذكر اعتقاله :

سَـــقَمٌ لا أُعَاد منـــه وفي العـ * ـائدِ أنسٌ يـــفي ببُرء الســـقيمِ
نارُ بـــغيٍ سَرتْ إلى جَنّة الأر * ض بَياتا فأصـــبحت كالصريمِ
بأبي أنت إن تشأْ تَكُ(٤) بَـــردًا * وســـلامًا كنار إبراهـــيمِ
لِلشفيعِ الثنـاء(٥)، والحمدُ في صَو * بِ الحيـا لِلرياح لا للغُيـــومِ

ثم قال : ها كها أعزّك الله يبسُطها الأمل ، ويقبِضها الخجَل ؛ لهـا ذنْبُ التقصير ، وحرمةُ الإخلاص ، فهَبْ ذنبا لحُرمة ، واشفَعْ نعمةً بنعمة ، لتأتيَ الإحسانَ من جهاته ، وتسلُكَ الفضلَ من طرقاته ، إن شاء الله تعـالى .

---

(١) في الأصل : « كما » وهو تحريف .

(٢) الغمر بفتح أوّله وضمه : الجاهل الذي لم يجرب الأمور .

(٣) في الأصل : « والتجارب » ؛ والتصويب عن بعض نسخ الرسالة إذ به يستقيم المعنى .

(٤) في الأصل : « تشابك » ؛ وفي نسخ الرسالة : « أن لشائك » ؛ وكلاهما تحريف لا يظهر له معنى ؛ ولم يرد هذا البيت في الذخيرة ضمن هذه القصيدة .

(٥) في الأصل : « المنى » وهو تحريف ، والتصويب عن بعض نسخ الرسالة .

ومن كلام أبى عبد الله محمد بن أبى الخصال من جواب لابن بسّام — وكان قد كَتَب إليه يسأله إنفاذَ بعض رسائله ليضمّنها كتابَه الذى ترجمه بالذخيرة، فكَتَب :

وَصل من السيّد المسترق، والمالك المستحق — وَصَل الله أنعُمَه لديه، كما قَصَر الفضلَ عليه — كتابُه البليغ، واستدراجُه المريغ[(1)]؛ فلولا أن يَصْلِد[(2)] زندُ اقتداحه، ويُردَّ طرْفُ افتتاحه، وتُقبَض يدُ انبساطه، وتُغبَن صفقةُ اغتباطه؛ للزمتُ معه قدْرى، وضَنّ بسرّه صدرى؛ لكنه بنَفْثة سحره يَستنزل العُصْمَ[(3)] فتُجنَب، ويقتادُ الصّعبَ فيُصْحِب، ويَستدرُّ الصخورَ فتُحلَب؛ ولما جاءنى كتاب ابتداه، وقَرَعَ سمعى نداه؛ فزعتُ[(4)] إلى الفكر، وخفَق القلبُ بين الأمن والحذَر؛ فطاردتُ من الفقر أوابدَ قَفْر، وشواردَ عُفْر، تَغْبر[(5)] فى وجه سائقها، ولا يتوجّه اللّحاق إلى وَجيهها ولاحقِها[(6)]؛ فعلمت أنها الإهابةُ والمَهابة، والإجابةُ والاسترابة؛ حتى أياستَنى الخواطر،

---

(١) فى الأصل : "المريع" بالعين المهملة؛ وهو تحريف؛ والمريغ : المخادع .

(٢) صلد الزند يصلد بكسر اللام : صوت ولم يخرج نارا .

(٣) العصم : جمع أعصم، وهو الوعل الذى فى ذراعيه بياض؛ يقال : هو يستنزل العصم بلفظه، أى يذلل الصعاب بسحر منطقه وحسن حديثه . وتجنب : أى تنقاد؛ يقال : جنبت الفرس اذا قدته الى جنبك فهو جنيب ومجنوب .

(٤) فى كتاب المعجب فى تلخيص أخبار المغرب : «فرغت» بالغين المعجمة والراء؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٥) كذا فى كتاب المعجب ص ١٢٥ طبع ليدن . وتغبر من الاغبار، وهو إثارة الغبار . وفى الأصل : «تعز»؛ وفيه نقص وتصحيف .

(٦) الوجيه ولاحق : اسما فرسين نجيبين من خيل العرب؛ ونقل صاحب تاج العروس عن ابن الكلبى مادة «وجه» أنهما كانا لغنىّ بن أعصر .

وأخلفتنى المَواطر ، إلا زبرجا[1] يتقَب جوادا ، وبَهرَجا لا يحتمل انتقـادا ؛ [ وأنى لِمثلى والقريحةُ مُزجاة[2] والبضاعة مُزْجاة ؛ ببراعة الخطاب ، وبراعة الكُتّاب ، ولولا دروسُ مَعالِم البيان ، واستيلاءُ العَفاء على هـذا اللسان ؛ ما فاز لِمثلى فيه قِدْح ، ولا تحصّـل لى فى سوقه رِبْح ؛ ولكنه جوٌّ خال ، ومِضمارُ جُهّال ، وأنا أعزك الله أربأ بقدر الذخيرة ، عن هذه التُّحَف الأخيرة ؛ وأرى أنها قد بلغت مَداها ، واستوفت حُلاها ؛ وإنما أخشى القدْحَ فى اختيارك ، والإخلالَ[3] بمختارك ؛ وعذرا اليـك — أيدك الله — فإنى خطَطتُ والنومُ مغـازِل ، والقُرُّ نازل ؛ والريحُ تلعب بالسراج ، وتصول عليه صَولةَ الحَجّاج .

ثم أخذ فى وصف السراج كما ذكرناه فى الباب الرابع من القسم الثانى من الفن الأول فى السِّفر الأول من هذا الكتاب .

ومن كلام الوزير الفقيه أبى القاسم محمد بن عبد الله بن الجَـدّ[4] ، من رسالة خاطب بها ذا الوزارتين أبا بكر المعـروفَ بابن القَصِـيرة — وقد قربت بينهما المسافةُ ولم يتفق اجتماعُهما — :

لم أزل — أعزك الله — استنزل قربَك براحة الوهم ، عن ساحة النجم ؛ وأنصب لك شَرَكَ المنى ، فى خُلَس الكرى[5] ، وأعلّل فيـه نفْسَ الأمل ، بضرب سابِق المَثل :

(١) المراد بالزبرج هنا : السحاب الرقيق الذى لا ماء فيه .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن كتاب المعجب ص ١٢٥ طبع ليدن . ومزجاة : من الإزجاء ، وهو التأخير .

(٣) كذا فى المعجب ؛ والذى فى الأصل : «والاختلاء» ؛ وهو تحريف .

(٤) كذا ضبط هذا الاسم بالقلم فى المعجب ص ١٢٤ طبع ليدن .

(٥) فى الأصل : «الكرم» ؛ وهو تحريف .

ما أقدرَ اللهَ أن يُدنى على شَحَط * مَن دارُه الحَزْنُ(١) ممن دارُه صُولُ(١)

فمـا ظنُّك به وقد نزل على مسافة يوم [ وطالما نفر عن حِبالة نوم ](٢) ، حتى همّ بالسلام ،وقد كان من خُدَع الأحلام ،وناهيك(٣) من ظمئى وقد حُمتُ حَول المورد الحَصِر، ودَمِتُ الرِّشاءَ(٤) بالقِصَر، ووقف بى ناهضُ القَـدَر، وقفةَ العَيْر بين الوِرْد والصَّدَر؛ فهلّا وُصل ذلك الأملُ بباع، وسمح الزمنُ باجتماع ؛ وطُوِيَت بيننا رقعةُ الأميال ، كما زُوِيَت مراحلُ(٥) أيامٍ وليال؛ وما كان على الأيام لو غفلتْ قليلا ، حتى أشفى بلقائك غليلا ، وأتنسّم من رَوح مشاهدتك نفَسا بَليلا ؛ولئن أقعدَتْنى بعوائقها عن لقاءِ حُرّ، وقضاءِ بِرّ؛وسَفَرٍ قريب ، وظفَرٍ غريب؛فما تَحيَّفَتْ(٦) ودادى ،ولا ارتَشفَتْ مِدادى؛ (١٠٨)
ولا غاضت كلامى ،ولا أحفتْ(٧) أقلامى؛ وحسبى بلسان النَّبْلِ(٨) رسولا ،وكفى بوصوله أملا وسُولا؛ ففى الكتاب بُلْغةُ الوَطَر، ويُسـتَدلّ على العين بالأثَر؛ على أنى إنمـا وحيتُ وَحْىَ(٩) المُشير باليسـير، وأحلتُ فهمَك على المسطور فى الضمير؛ وإن فرغتَ للمراجعة ولو بحرف، أو لمحةِ طَرْف؛ وصلتَ صديقا ،وبَلَلتَ رِيقا؛ وأسديتَ يدا، وشفَيتَ صـدى؛ لا زالت أياديك بيضا ، وجاهُك عريضا؛ ولياليـك أسحارا ، ومساعيك أنوارا .

---

(١) الحزن : بلاد بنى يربوع ،وهى أطيب البادية مرعى . وصول : مدينة فى بلاد الخزر فى نواحى باب الأبواب . (٢) لم ترد هـذه العبارة فى الأصـل ؛ وقد أثبتناها عن الذخيرة ليتم بها السجع الذى التزمه الكاتب فيما أثبت هنا من رسالته . (٣) يقال : ناهيك من كذا بمعنى حسبك ؛ أى أنه غاية تنهاك عن طلب غيره . (٤) الرشاء : الحبل ؛ يريد بهذه العبارة تشبيه حاله فى المقاربة وعدم استطاعة اللقاء بحبل الدلو الذى يقارب الماء ولا يصل اليه لقصره . (٥) عبارة الأصل : «على رويت مراحم» وهو تحريف . (٦) يقال : تحيفت الشىء ، أى تنقصته من نواحيه .
(٧) فى الأصل : «اقدامى» بالدال ؛ وهو تحريف . (٨) يريد بلسان النبل ، كتابه اليه .
(٩) الوحى : الكتابة أو الإشارة .

ومن كلام أبي عبـد الله محمـد بن الخيـاط من رُقعةٍ طويلةٍ الى الحاجبِ المظفّرِ، أوّلهـا :

حجَب الله عن الحاجب المظفّرِ أعينَ النائبات، وقَبض دونه أيدىَ الحادثات.

وجاء منها : وَرَد له كتابٌ كريمٌ جعلتـه عِوضَ يده البيضاءِ فقبّلتُه، ولمحتُه بدل غُرّتِه الغرّاءِ فأجللتُه ؛ كتاب ألقَى عليه الحَبْرُ (١) حِبَرَه، وأهدَى اليه السحرُ فِقَره ؛ أَنْذَر (٢) ببلوغ المنى، و بشّر بحصول الغنى ؛ تُخُـيِّر له البيانُ (٣) فطَبّق مَفصِلَه، و رماه البنانُ فصادفَ مَقتَلَه ؛ و وصـل معه المملوكُ والمملوكةُ اللذان سمّاهما هديّة، وتنزّه كرما أن يقول عطيّة ؛ هِمّة تَرجُم السِّماكين، ونعمةٌ تملأ الأذنَ والعين ؛ وما حرّك — أيده الله — بكتابه ساكنا بحمده، ولا نبّه نائمـا عن قصده ؛ كيف وقد طلعت الشمسُ التى صار بها المَغرِب شرقا، وهبّت الريح التى صار بها الحِرمانُ رزقا ؛ صاحبُ لواء الحمد، وفارسُ ميدانِ المجد .

وهى رُقعةٌ طويلة قد ذكرنا منها فى المديح فصلا لا فائدة فى إعادته .

ومن كلام أبي حفص عمر بن برد الأصغر الأندلسى ،

فمن ذلك أمانٌ كتبه لمن عصَى وعاود الطاعةَ :

أما بعـد ، فإن الغَلَبةَ لنا والظهور عليك جلباك (٤) إلينا على قدمك، دون عهـد ولا عقـد يمنعان من إراقة دمك ؛ ولكنا بمـا وهب الله لنا من الإشراف على سرائر (٥)

(١) الحبر بكسر الحاء وفتحها : العالم . والحبر بكسر الحاء وفتح الباء : برود يمنية ؛ واحده حبرة كعنبة ؛ يريد تشبيه الكلام فى الحسن والرونق بحسن تلك البرود ووشيها .

(٢) يستعمل الإنذار بمعنى الإعلام مطلقا سواء أكان بخير أم بشر ؛ والمراد هنا الاوّل .

(٣) فى الأصل : «والبيان» بالياء المثناة ؛ وهو تحريف .

(٤) كذا فى الذخيرة لابن بسام ؛ والذى فى الاصـل : « جلباباك » ؛ والباء زيادة من الناسخ إذ لم نقف فيا لدينا من كتب اللغة على تعدية هذا الفعل بالباء . (٥) فى الذخيرة : « أسرار » .

الرِّياسة، والحفظ لشرائع السياسة؛ تأمّلنا مَن ساس جهتك قبلنا فوجدنا يدَ سياسته خرقاء، وعينَ حراسته عوراء، وقدَم مداراته شلّاء، لأنه غاب عن ترغيبك فلم ترجُه، وعن ترهيبك فلم تخشـه؛ فأدّتك حاجتُك إلى طلاب المطامع الدنيّة، وقلّةُ مهابتك الى التهالك على المعاصي الوبيّة؛ وقد رأينا أن تُظهِرَ فضلَ سيرتنا فيك، وتعتبرَ بالنظر فى أمرك، فمهّدنا لك الترغيبَ لتأنَس إليـه، وظلّلنا لك الترهيبَ لتفرَق منه، فإن سوّت الحالتان طبعَـك، وداوى الثِّقافُ والنارُ عُودَك، فذلك بفضـل الله عليك، وبإظهارِه حُسْنَ السياســة فيك؛ وأمانُ الله تعالى مبسوطٌ منّا، ومواثيقُـه بالوفاء معقودةٌ علينا؛ وأنت الى جهتك مصروف، وبعفونا والعافية منا مكنوف، إلّا أن تَطيشَ الصَّنيعةُ عندك فتخلعَ الرِّبقة، وتمرق من الطاعة، فلسنا بأوّل من بُغِيَ عليه، ولستَ بأوّل مَن تراءت لنـا مقاتلُه من أشكالك إن بغيت، وانفتحت لنا أبوابُ استئصاله من أمثالك إن طُلِبت .

ومن كلامه يعاتب بعض إخوانه :

أظلَم لى جوُّ صـفائك، وتوعّرتْ علىّ طُرُقُ إخائك؛ وأراك جَلْدَ الضمير على العتاب، غيرَ ناقعِ الغُلّة من الجفاء؛ فليت شـعرى ما الذى أقصى بهجة ذلك الوُدّ، وأذبَل زهرةَ ذلك العهد؛ عهـدى بك وصِلتُنا تفرَق من اسم القطيعـة، ومودّتُنا تَسأل عن صفة العتاب ونسبة الجفاء، واليومَ هى آنَسُ بذلك من الرضيع بالثدى، والخَليع بالكأس[(1)]؛ وهذه ثُغرةٌ إن لم تحرسها المراجعة، وتَذْكُ فيها عيونُ الاستبصار توجّهتْ منها الحِيَـلُ على هدمِ ما بَنَينا، ونقْضِ ما اقتَنينا؛ وتلك نائحةُ الصفاء، والصارخةُ[(2)] بموتِ الإخاء؛ لا أستنِد[(3)] أعزك الله من الكُتّاب إليك — وإن رَغِمَ أنفُ

(١) فى الأصل: «الاشيطر»؛ وهو تحريف. (٢) فى الذخيرة: «والصائحة»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا. (٣) كذا فى الذخيرة لابن بسام؛ والذى فى الأصل: «لا أستبد» بالباء الموحدة.

القلم، وانزوت أحشاءُ القرطاس، وأُجْرِمَ الفِكْر(١)، فلم يَبقَ فى أحدها إسعادٌ لى على مكاتَبتِك، ولا بشاشةٌ عند محاولة مخاطَبتِك — لِقَوارِص عتابِك(٢)، وقوارع ملامِك [التى أكلَتْ أقلامَك](٣)، وأَغَصَّتْ(٤) كُتبَك، وأضجرتْ رُسلَك، وضميرى طاوٍ لم يطْوِ تجنّيا عليك، ونفسى وادعةٌ لم تحرِّك ذنبا إليك، وعقدى مستحكِمٌ(٥) لم يمسَسْه وَهْنٌ فيك؛ وأنا الآن على طَرَف الإخاء معك، فإما أن تبهرنى بحُجّة فأنتصلُ(٦) عندك، وإما أن تَفِىَ بحقيقة فأستديم خُلّتَك(٧)، وإما أن تأزِمَ(٨) على يأسك فأقطع حبلى منك؛ كثيرا ما يكون عتابُ المتصافين حِيلةً تُسْبَر المودّةُ بها، وتُستثار دفائنُ(٩) الأخوة عنها، كما يُعرَض الذهب على اللَّهَب، ويصفَّى المدامُ بالفِدام(١٠)، وقد يخلُص الوُدُّ على العَتْب خلوصَ الذهب على السبك، فأما إذا أُعيدَ وأبدىَ ورُدّد وتوالى فإنه يُفسد غرسَ الإخاء، كما يفسد الزرعَ توالى الماء.

ومن كلام أبى الوليد بن طريف من جواب عن المعتمد الى ذى الوزارتين ابنِ يحفور صاحبِ شاطبةَ بسبب أبى بكر بن عمّار:

(١) فى الأصل: «وأحرم» بالحاء المهملة. وفى الذخيرة لابن بسام: «وأحدّ» وهو تحريف فى كليهما، صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق، وأُجرّ بالجيم: من الاجرار، وهو أن يشق لسان الفصيل لئلا يرضع؛ ويستعار الاجرار كما هنا للاسكات والمنع من النطق، قال عمرو بن معد يكرب:

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرّت

يريد أن رماح قومه أسكتته ومنعته عن الكلام. (٢) كذا فى هامش الذخيرة قسم أول ترجمة أبى حفص المذكور، وهو المناسب لقوله بعد «وقوارع»؛ والذى فى الأصل: «ومصاولة»؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى. (٣) هذه العبارة ساقطة من الأصل؛ وقد أثبتناها عن الذخيرة إذ لا يستقيم الكلام بدونها. (٤) فى الأصل: «وأعصت» بالعين المهملة؛ وهو تصحيف. (٥) فى الذخيرة: «مستوثق»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين. (٦) يقال: تنصل اليه من الجناية، أى خرج وتبرأ. (٧) الخلة بضم الخاء: المحبة والصداقة لا خلل فيها. (٨) تأزم بكسر الزاى المعجمة، أى تواظب وتدأب. (٩) فى الذخيرة: «دقائق»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين. (١٠) الفدام بكسر الفاء: المصفاة للكوز والإبريق ونحوهما.

وقفتُ[1] على[2] الإشارة الموضوعةِ من قِبَلك على إخلاصٍ[3] دَلّ على وجوه السلامة ، المستنامِ فيها الى شرفِ مَحْتِدك وصفاءِ مُعتَقَدك أكرَم استنامة ؛ بالشفاعة فيمن أساء لنفسه حظَّ الآختيار ، وسَبَّبَ لها سببَ النكبة والعثار ، بغَمْطه لعظيمِ النعمة ، وقطعِه لعلائقِ العصمة ، وتَخَبُّطه فى سَنَنِ[4] غَيِّه واستهدافه ، وتجاوُزه فى ارتكاب الجرائم وإسرافه ؛ حتى لم يدعْ للصلح موضعا ، وخرق سِتْرَ الإبقاء بينه وبين مُولى النعمة عنده فلم يترُكْ فيه مَرْقَعا ، وقد كان قَبل آستشراءِ رأيه ، وكشفِه لصفحة المعاندة ، وإبدائه غدْرَه فى جميع جناياته مقبولا ، وجانبُ الصفحِ له معرَّضا مبذولا ؛ لكن عَدَتْه جوانبُ الغَواية ، عن طُرقِ الهداية ، فاستمرّ على ضلاله ، وزاغ عن سَنَنِ آعتداله ، وأظهرَ المناقضة ، وتعرَّض بزعمه الى المساوَرة والمعارَضة ، فلم يزل يُرِيغ[5] الغوائل ، وينصِب الحبائل ، ويركب فى العناد أصعبَ المَراكب ، ويذهب منه فى أوعرِ المذاهب ؛ حتى عَلِقَته تلك الأشراكُ التى نصبها ، وتَشَبَّثت به مساوى المقدّمات التى جرّها وسبَّبها ، فذاق وبالَ فعلِه ، "وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ" ولم يحصُل فى الأُنشوطةِ التى تورّطها ، والمحنة التى اشتملت عليه وتوسَّطها ، إلا ووجهُ العفوِ له قد أظلَم ، وبابُ الشفاعة فيه قد ابهِم[6] ؛ ومَن تأمّل أفعاله الذميمة ، ومذاهبه اللئيمة ، رأى أنّ الصفحَ عنه بعيد ، والإبقاءَ عليه داءٌ حاضرٌ عتيد .

وفى فصل منه : ففوّق لمناضَلة الدولة نبالَه ، وأعمل فى مكايدها جُهْدَه وآحتيالَه ؛ ثم لم يقتصر على ذلك بل تجاوَزَه الى إطلاق لسانه بالذمّ الذى صدَر عن

---

(١) أورد ابن بسام هذه الرسالة فى ترجمة الوزير أبى بكر بن عمار .

(٢) كذا فى الأصل ؛ ولعله : «من» . (٣) عبارة الذخيرة : «على أخلص وجوه» الخ .

(٤) فى الأصل : «عن» وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٥) يريغ : يطلب ويريد . (٦) أبهم الباب ، أغلق .

لؤم نجاره، والطعنِ الشاهدِ بخبث طويّته وإضماره؛ ومَن فسد هذا الفسادَ كيف يُرجى آستصلاحُه، ومَن آستَبطَن مثلَ غِلّه كيف يؤمَّل فلاحُه؛ ومن لك بسلامة الأديم النَّغِل[١]، وصفاءِ القلبِ الدَّغِل؛ وعلى ذلك فلا أعتقد عليك فيما عرضتَ به من وجه الشفاعة غيرَ الجميل، ولا أتعدّى فيه حُسنَ التأويل؛ ولو وفَدتْ شفاعتُك في غير هــذا الأمر الذى سَبَق فيه السيفُ العَذَل، وأبطَل عاقلُ[٢] الأقدار فيه الإلطافَ والحِيَل، لَتُلُقِّيَتْ بالإجلال، وقوبلتْ ببالغ المَبرّة والآهتبال[٣].

## ومن كلام ذى الوزارتين أبى[٤] المغيرة بن حَزْم من رسالة .

لَم أزل أَزجُر للقاء سيّدى السانحَ، وأستمطر الغَادىَ والرائح[٥]؛ وأروم آقتناصَه ولو بشَرَك المنام، وأحاول اختلاسَه ولو بأيدى الأوهام؛ وأعاتب الأيّامَ فيه فلا تُعتِب، وأقودها اليه فلا تُصحِب؛ حتى إذا غَلب الياس، وشمِت الناس؛ وضُرِبت بىَ الأمثال، فقيل : أكثرُ الآمال ضلال؛ تَنبّه الدهرُ من رَقدته، وحلّ من عقدته؛ وقبِل منّى، وأظهر الرضى عنّى؛ وقال : دونك ما طَمِح[٦] فقد سَمِح[٧]، وإليك فقد دنا ما قد جَمَح؛ فطرتُ بجَناح الآرتياح، وركبتُ الى الغمام كواهلَ الرِّياح؛ وقلتُ : فرصةٌ تُغتَنَم، وركنٌ يُستلَم؛ وطرقتُ روضةَ [العِلم][٨] عميمةَ الأزهار، فصيحةَ الأطيار؛ (١١٠)

---

(١) الأديم : الجلد. والنغل : الفاسد فى الدباغ؛ وبابه فرح . (٢) لعله «عاجل» بالجيم كما يدل عليه سياق ما قبله . (٣) الاهتبال : الاغتنام؛ والمراد اغتنام العمل بها .

(٤) فى الأصل : «ابن» والتصويب عن الذخيرة قسم أوّل ترجمة أبى المغيرة بن حزم .

(٥) فى الأصل : «الذابح» بالذال المعجمة والباء الموحدة؛ وهو تصحيف .

(٦) طمح؛ من الطماح بكسر الطاء، وهو الجماح .

(٧) فى الذخيرة : «فقد سنح» بالنون؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن الذخيرة .

رَيَّا الجداول، باردةَ الضحى والأصائل؛ وطفتُ بكعبةِ الفضلِ مصونةَ الحِبَر[(١)]، ملثومةَ الحَجَر؛ عزيزةَ المقام، معمورةَ المَشْعَرِ الحرام؛ فما شئنا من محاضرة، تجمع بين الدنيا والآخرة؛ بين يدى نثرٍ يُدنِى الإعجاز، ونَظْمٍ ما أشبهَ الصدورَ بالأعجاز؛ وحديثٍ تُثَقِّف العقولُ بآرائه[(٢)]، وتُروَّى بصافى مائه؛ فحين شمخ بالظَّفَر أنفى، واهتزَّ لنيلِ الأملِ عطفى — والدهر يضحك سِرًّا، ويتأبّط شرًّا؛ وقد أذهلنى الجَذَلُ عن سوء ظنِّى به، وأوهمنى نُزوعه[(٣)] عن ذميمِ مذهبِه — أتت ألوانُه، وفسا ظَرِبانُه[(٤)]؛ ونادى : لِيَقم مَن قعد، ويَنتبِهْ مَن رقد؛ إنمـا قرّبتُ تلك الفَتْرة، ليكون ما رأيتَ عليك حسرةً؛ وسمحتُ لك مَرّة، لتذوق من الأسف عليها كأسًا مُرّة؛ فرأيتُ وقد غطّى على بصرى، وعقَلتُ وكنت فى عمياءَ من خبرى؛ وقلتُ : هو الذى أعهده من لؤمه، وأعرفه من شؤمه؛ فما وَهَب، إلا وسَلَب؛ ولا أعطى، إلا ساعاتٍ كإبهام القَطا؛ فياله من قادرٍ ما ألأمَ قدرتَه، وذابحٍ ما أحدَّ شَفْرتَه! ولو تسلّط علينا، من يُظهِر شخصَه إلينا، لأدركتْه رماحُنا، [وعصفتْ به رياحُنا[(٥)]]؛ لكنه أميرٌ من وراء سَجْف، يسعى بلا رِجلٍ ويصول بلا كَفّ .

ومن كلام الوزير الكاتب أبى محمد بن عبد الغفور الى بعض إخوانه — وكان قد وصف له امرأةً ومدَحها وحضّه على زواجها، وكان لذلك الصديق امرأةٌ سوداءُ — فأجابه ابنُ عبد الغفور :

(١) كذا فى الأصل؛ والحبر: البرود اليمنية؛ ولعل المراد بحبر الكعبة: أستارها. والذى فى الذخيرة لابن بسام: «الحرم»، والمعنى يستقيم عليه أيضا. (٢) عبارة الذخيرة: «تقف العقول بإزائه».

(٣) فى الأصل: «بزوغه» بالباء الموحدة والغين المعجمة؛ وهو [illegible] ف.

(٤) فى الأصـل: «وفشى طريانه» بالشين المعجمة [illegible] وهو تصحيف. والظربان بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء دويبة كالهرة منتنة الريح؛ ويقال: فسا بينهم الظربان، أى تفرقوا.

(٥) الزيادة عن الذخيرة؛ وبها يتم السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته.

بينما كنت ناظرا من المرآة فى شَعرٍ أَحَمّ(١)، ورأسٍ أَجَمّ، لا أخاف معه الذم؛ إذ تقدّم رسولُك إلىّ، يخطُب بنتَ فلانٍ علىّ؛ ويُرغِّب منها فى سَعة مال، وبراعة جمال؛ ويقسم إنها لَبَرّةٌ بالزوج بَرِيكة، لا تحوجه عند النوم الى أريكة؛ ولو يُسِّرتُ - وعياذا بالله - لهذا النكاح، لرُزقتُ قبل الولدِ منها آلةَ النِّطاح(٢)؛ ولا حاجة لى بعد الدّعة والسكون، [إلى حربٍ زبون، وقراعٍ بالقُرون](٣)، ولو حملتْ الىّ تاجَ كسرى وكنوزَ قارون؛ فاطلب لهذه السِّلْعة المباركة مشتريا غيرى، ولا تَسُقها ولو فى النوم الى . . . (٤)؛ وابتَعْها ولو بأرفع الأثمان إلى نفسك، وأضِفْ عاجَها النفيسَ الى آبِنُوس(٥) عِرْسِك؛ ولا عذرَ لها فى النُّشوزِ والإعراض، فإنما يَحسُن السوادُ الحالكُ بالبياض؛ والله يمدّك بقرنين قبل الحَين، ويَضَعُ لك صِنْعَين(٦) ويلين، فيُسقطك بهذا النكاح الثانى للفم كما أُسقِطتَ بالأوّل لليدين .

---

(١) الأحم: الأسود. (٢) فى الاصل : «النكاح» وهو تحريف . (٣) التكملة عن الذخيرة لابن بسام . (٤) الكلمة المحذوفة هنا لا تخفى على فطنة القارئ. (٥) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى تاج العروس، فنص على أنه بكسر الموحدة . (٦) الصنعين : تثنية صنع بالكسر، وهو سفود الشواء .

---

كمل السفر السابع من كتاب "نهاية الأرب فى فنون الأدب" للنويرى رحمه الله تعالى - ويليه الجزء الثامن منه ، وأوّله :

ذكر نبذة من كلام القاضى الفاضل

تراثنا

# نهاية الأرب

في

## فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

٦٧٧ هـ - ٧٣٢ هـ

---

## السفر الثامن

---

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
مع إستدراكات وفهارس جامعة


وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتسوماس وشركاه
٥ شارع ذكى الخربوطلى بالظاهر ت ٩٠٠١١٨
القاهرة

# فهرس

## السفر الثامن

### من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى

صفحة

# بيان

ليس لدينا من نسخ هـذا الجزء غير نسخة واحدة مأخوذة بالتصوير الشمسي ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٠ تاريخ، وهي المشار اليها في بعض حواشي هـذا الجزء بحرف ( ا ) ، وقطعتين من نسختين أخريين أُخذتا بالتصوير الشمسي وحُفِظتا بدار الكتب المصرية : إحداهما تحت رقم ٤١٦ (معارف عامة)؛ وهي المشار اليها في بعض حواشي الجزء بحرف (ب) وتنتهي في السطر التاسع من صفحة ٦٩ من هذا الجزء؛ وقد نبّهنا الى موضع انتهائها في حواشيه ؛ والثانية تحت رقم ٥٥١ (معارف عامة)، وهي المشار اليها في بعض الحواشي بحرف ( ج ) وتبتدئ من السطر السادس من صفحة ١٠١ وتنتهي في السطر السادس من صفحة ١١٣ وقد نبهنا على موضع انتهائها في الحواشي أيضا .

وليس التحريف في هاتين القطعتين بأقلّ منه في النسخة الأولى، فإن التحريف في جميع هذه الأصول يكاد يكون متفقا، كما يتبين ذلك مما كتبناه في بعض الحواشي إذ نقول : «في كلا الأصلين» أو « في كلتا النسختين كذا ؛ وهو تحريف » أو « تصحيف » .

وعلى كل حال فقد بذلنا ما نستطيع في إصلاح المحرّف والمصحّف من كلماته، وتكميل الناقص من جُمَله؛ وتحقيق أعلامه وضبطها، وضبط الملتبس من ألفاظه، وتفسير غريبه، وإيضاح الغامض من عباراته، وشرح ما أشكل من أبياته ونسبتها الى قائليها، وشرح ما فيه من أسماء البلاد والأمكنة، والتنبيه على ما في هذا الجزء — ولا سيّما في كتابة الديوان — من الكلمات العامّيـة ، والألفاظ الأصطلاحية التي لم ترد فيما لدينا من كتب اللغة ، وبيان المراد منها ؛ فإن المؤلف قد استعمل بعض

هـذه الكلمات جريا على مصطلح كتّاب الدواوين فى استعمالها ؛ كما أننـا لم ندع التنبيه أيضا على ما استعمله المؤلف فى هذا الباب (أى كتابة الديوان) من مخالفات لغويّة فى صِيَغ الجموع وتعديَةِ الأفعال، كأن يعدّىَ الفعل بنفسه ومقتضى اللغـة أن يتعدّى بالحرف ، أو العكس ، أو أن يعدّيَه بحرف واللغة تقتضى تعديتَـه بحرف آخر؛ وغير ذلك ممـا استعمله المؤلف متّبعا فيه اصطلاح كتّاب الدواوين فى ذلك العهد ولم نجده فى كتب اللغة التى بين أيدينا؛ ولم نغيّر بعض هـذه الاستعمالات ، بل أبقينا الأصل فيها على حاله لِعلْمنا أنهـا ترد كثيرا فى عبارات كتّاب الدواوين ، وأوّلْنا ما يستطاع تأويله منها .

أمّا الصعوبات التى صادفناها فى تصحيح هذا الجزء فإننا لم نكد نجِـدُ صفحة من أصوله التى بين أيدينا خاليـة من عدّة كلمات وعبارات محرّفة أو مصحّفة غير مستقيمة المعنى ولا واضحة الغرض ، يحتـاج إصلاحها الى زمن طويل ، وبحث غير قليل، وتحفُّظ من الخطإ، وحُسن اختيارٍ فى المحو والإثبات، وتفهُّمٍ لمـا يقتضيه السـياق من المعانى والأغراض ، ومعرفةٍ بأساليب الكتّاب ومصطلحاتهم فى كل عصر، ليكون المحو والإثبات تابعَين لمـا تقتضيه هذه الأساليب وتلك المصطلحات وخبرة بالكتب وأغراضها ، ومكان الفائدة منها، لئلا يضيع الزمن فى البحث عنها وتصفُّح جملتها .

أمّا طريقتنا فى التصحيح فقد كنّا نقف بالكلمة المحرّفة أو العبارة المغلقة فنحملها على ما يستطاع حملها عليه من المعانى، ونقلّبها على ماتحتمله من الوجوه، ونقرأ مادّة الكلمة فيما لدينا من كتب اللغة، ونرجع الى ما نعرفه من مظانّها ، فاذا لم يستقم المعنى بعد ذلك قلّبنا حروفها بين التحوير والتغيير، والتقديم والتأخير ، والحذف والزيادة،

والإعجام والإهمال، حتى يستقيم المعنى ويظهر الغرض ، منبهين فى الحواشى على ما كان فى الأصل من حروف هذا اللفظ ووجه اختيار غيره وإثباته مكانه .

وقد تمّ طبع هذا الجزء فى عهد المدير الحازم ، والمربّى الفاضل ، الأستاذ "محمد أسعد براده بك" مدير دار الكتب المصرية .

فلا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نشكره الشكر الجزيل على ما بذله ويبذله من العناية الصادقة بهذه الكتب، وما يسديه إلى مصححيها من الإرشادات القويمة والآراء السديدة .

كما لا يفوتنا أن نثنى الثناء الجميل على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ "السيد محمد البيلاوى" مراقب إحياء الآداب العربيّة على حسن معاونته بما لديه من المعلومات الواسعة عن الكتب وأغراضها، والبحوث ومظانّها . ونسأل الله تعالى حسن المعونة والتوفيق فى العمل .

مصحّحه

أحمد الزين

## أسماء أهمّ الكتب والمصادر التي رجعنا اليها فى تصحيح هـــذا الجـــزء

وهى مرتّبة على حروف المعجم ومبيَّنٌ فيها ماهو مطبوع فى غير مصر وما هو مخطوط أو مأخوذ بالتصوير الشمسي، ورقمه فى دار الكتب المصرية

---

أساس البلاغة، لجار الله أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى .

الأغانى، لأبى الفرج على بن الحسين الأصفهانى .

إرشاد الأريب الى معرفة الأديب ، وهو معجم الأدباء لأبى عبد الله ياقوت الرومى الحموى .

أعيان العصر وأعوان النصر ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المأخوذ منه بالتصوير الشمسى بعض أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩١ تاريخ .

الأمالى، لأبى علىّ القالى .

الإرشاد الشافى على متن الكافى فى العروض والقوافى، وهو الحاشية الكبرى للسيد محمد الدمنهورى .

أقرب الموارد فى فُصَح العربية والشوارد ، لسعيد الخورى الشرتونى اللّبنانى .

إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى ، لشهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب القسطلّانى .

إخبار العلماء بأخبار الحكماء، للوزير جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى، طبع أوربا .

الأحكام السلطانية، لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب المعروف بالماوردى طبع أوربا ومصر .

الأوائل ، لأبى هلال العسكرى، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٠٥ تاريخ .

الأطعمة المعتادة، المأخوذ منه بالتصوير الشمسى نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية؛ ولم يُعلَم مؤلّفه .

بدائع الزهور فى وقائع الدهور، المشهور بتاريخ مصر، لمحمد بن أحمد المعروف بابن إياس الحنفى .

تاريخ العينى ، المسمى بعقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، للحافظ بدر الدين محمود، المعروف بالعينى المأخوذ منه بالتصوير الشمسى نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

تاج العروس، وهو شرح القاموس، لمحب الدين السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى .

تاج اللغة وصحاح العربيــة، لأبى نصر اسماعيل بن حمّاد الجوهرىّ الفارابى .

التذكرة الصفدية، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، المحفوظ منها بدار الكتب المصرية بعض أجزاء مخطوطة تحت رقم ٤٢٠ أدب .

تاريخ أبى الفداء ، وهو المختصر فى أخبار البشر، للملك المؤيد أبى الفــداء ، المعروف بصاحب حماة .

تاريخ ابن الأثير ، وهو المسمى بالكامل، لعز الدين على بن أبى الكرم المعروف بابن الأثير الجزرىّ، طبع ليدن .

تاريخ الأمم والملوك ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، طبع أوربا .

تمـام المتون شرح رسالة ابن زيدون، لصلاح الدين خليـل بن أيبـك الصفدى، طبع بغداد .

التحفة السنية فى أسماء البلاد المصرية ، لشرف الدين يحيي المعروف بابن الجيعان .

الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى .

الجامع لديوان الأدب ، فى اللغة ، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥ لغة تأليف أبى ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابى .

حاشية الخضرى، على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك .

حاشية الصبّان، على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك .

الحاوى الكبير، فى الفقه، لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى المعروف بالمـاوردى، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقه شافعى .

خريدة القصر وجريدة أهل العصر، للوزير أبى عبد الله محمد بن محمد بن أبى الرجاء الكاتب الأصبهانى. وهذا الكتاب مأخوذ منه بالتصوير الشمسي بعض أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٥ أدب .

الخراج، ليحيى بن آدم بن سليمان القرشى .

الخراج، لأبى يوسف يعقوب صاحب الإمام أبى حنيفة .

خطط المقريزى، وهو المسمى بالمواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار .

ديوان الشريف الرضىّ .

ديوان جرير .

ديوان الحماسة، لأبى تمّام حبيب بن أوس الطائى .

ديوان أبى الطيّب المتنبيّ .

دائرة المعارف، للبستانى .

درّة الغـوّاص فى أوهام الخواصّ ، تأليف أبى محمد القاسم بن على الحريرى.

الروضتين فى أخبار الدولتين، لشهاب الدين أبى شامة المقدسى .

روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، للسـيد محمود بن عبد الله الألوسى البغدادى .

زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبى اسحاق ابراهيم بن على المعـروف بالحصرى القيروانى .

سقط الزند، لأبى العلاء المعرّى .

سيرة ابن هشام، وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرىّ .

سرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون، لجمـال الدين أبى بكر محمـد بن محمد المعروف بابن نباتة المصرىّ .

شرح التنوير على سقط الزند، لأبى يعقوب يوسف بن طاهر النحوىّ .

شرح ديوان أبى تمّـام حبيب بن أوس الطائى، لأبى زكريا يحيى بن على المعروف بالخطيب التبريزى؛ وهذا الكتاب محفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش .

شرح حماسة أبى تمّـام، لأبى زكريا يحيى بن على المعروف بالخطيب التبريزى.

شرح ديوان أبى الطيّب المتنبيّ ، وهو المسمى بالتبيان لأبى البقاء عبد الله بن الحسين المعروف بالعكبرى .

شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل، لشهاب الدين الخفاجى .

شرح كافية ابن الحاجب فى النحو ، لرضيّ الدين محمد بن الحسن الإستراباذى النحويّ .

صبح الأعشى فى كتابة الإنشا ، لشهاب الدين القلقشندى .

صحيح البخارى .

الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، لكمال الدين أبى الفضل الإدفوى .

طبقات الشعراء ، تأليف أبى عبدالله محمد بن سلّام الجمحيّ البصريّ ، طبع أوربا .

الطبقات الكبرى ، لأبى عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدى طبع أوربا .

عيون الأخبار ، لأبى محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة الدينورى .

العقد الفريد ، لأحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبيّ .

الفاضل من كلام القاضى الفاضل ، اختيار جمال الدين أبى بكر المعروف بابن نباتة المصريّ ، وهذا الكتاب مأخوذة منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٨٢ أدب .

القاموس ، لمجد الدين الفيروزابادى .

قوانين الدواوين ، للأسعد بن مماتى .

لسان العرب ، لأبى الفضل جمال الدين المعروف بابن منظور الإفريقيّ المصريّ .

لزوم ما لا يلزم ، لأبى العلاء المعرّى .

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، لشهاب الدين المعروف بابن فضل الله العمرى القرشى ؛ وهذا الكتاب مأخوذة منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

مغنى اللبيب ، لجمال الدين بن هشام الأنصارى .

ملخّص تاريخ الخوارج، للشيخ محمد شريف سليم .

المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، لأبى المحاسن جمال الدين المعروف بابن تغرى بردى وهذا الكتاب محفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ تاريخ .

المصباح المنير، لأحمد بن محمد المقرى الفيومى .

المغرب فى ترتيب المعرب، لأبى الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزى .

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى .

المستطرف فى كل فن مستظرف، لشهاب الدين أحمد الأبشيهى .

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لأبى الفتح عبد الرحيم العباسى .

معيد النعم ومبيد النقم، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى ، طبع أوربا .

المعرّب والدخيل ، للشيخ مصطفى المدنى، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة .

المعرّب من الكلام الأعجمى ، لأبى منصور موهوب المشهور بالجواليق ، طبع أوربا .

معجم البلدان، لياقوت، طبع أوربا .

مقدّمة ابن خلدون .

المعجم الفارسى الإنجليزى، تأليف ستاين جاس .

مفاتيح العلوم، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمىّ، طبع أوربا .

مناقب الليث بن سعد، للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد الشهير بابن حجر العســـقلانى .

المخصّص، فى اللغة، لأبى الحسن على بن اسماعيل المعروف بابن سيده .

مفردات الأدوية والأغذية، لضياء الدين أبى محمد عبد الله بن أحمد الأندلسى المعروف بابن البيطار .

نهـاية الأرب فى فنون الأدب، للنويرى .

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقـاهرة، للأمير أبى المحاسن جمـال الدين المعروف بابن تغرى بردى المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لشمس الدين المعروف بابن خلّكان .

يتيمة الدهر فى شعراء أهل العصر، لأبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى النيسابورى .

بسم الله الرحمن الرحيم

# ذكر نبذة من كلام القاضى الفاضل الأسعد محيي الدين

أبى علىّ عبد الرحيم ابن القاضى الأشرف [أبى المجد علىّ](1) بن الحسن(2) بن الحسين ابن أحمد اللَّخمىّ الكاتب المعروف بالبَيْسانىّ — رحمه الله تعالى — إليه انتهت صناعةُ الإنشاء ووقفتْ، وبفضله أقرّتْ أبناءُ البيان واعترفتْ، ومن بحر علمه رَوِيَتْ ذوو الفضائل واغترفتْ، وأمامَ فضله ألقت البلاغةُ عصاها(3)، وبين يديه استقرّتْ بها نواها(3)؛ فهو كاتبُ الشرقِ والغربِ فى زمانه وعصره، وناشرُ ألوية الفضل فى مصره وغير مصره؛ ورافعُ علَم البيان لامحاله، والفاصلُ بغير إطاله؛ وقد أنصف بعضُ الكُتّاب فيه، ونطَق من تفضيله بملءِ فيه، حيث قال:

---

(1) التكملة عن كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسى ج ٢ ص ٢٤٢ طبع مطبعة وادى النيل. وفى (ب): «أبى الحسين» بدل «أبى المجد». وفى وفيات الأعيان ترجمة القاضى الفاضل زيادة فى هذا النسب لم ترد فى الأصل ولا فى الروضتين؛ وهذا نص عبارته: «ابن القاضى الأشرف بهاء الدين أبى المجد علىّ ابن القاضى السعيد أبى محمد محمد بن الحسن» الخ. وكذلك ورد نسب القاضى الفاضل مشتملا على هذه الزيادة فى عقد الجمان للعينى المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ.

(2) فى (ا): «أبى»؛ وهو تحريف.

(3) يشير بهاتين العبارتين إلى قول معقر بن حمار البارقىّ؛ وقيل: الطرماح بن حكيم:

فألقت عصاها واستقرّت بها النوى ... كما قرّ عينا بالإياب المسافر

انظر تاج العروس مادة «نوى».

كلٌّ فاضلٍ بعدَ الفاضل فضلَه ، وكلٌّ قد عَرَفَ له فضلَه ؛ وستقف إن شاء الله من كلامه على السحر الحلال ، فتَرْوِى صداك من ألفاظه بالعذب الزُّلال ؛ فمن ذلك قوله : وافَينا قلعةَ نجمٍ [1] [وهى نجمٌ [2]] فى سحاب ، وعُقابٌ فى عِقاب [3] ؛ وهامةٌ لها الغمامةُ عِمامه ، وأَنْمُلَةٌ [4] اذا خضَبها الأصيلُ كان الهلال لها قُلامه .

ومن رسائله ما كتب به الى النظام أمير حلب : ورد كتاب المجلس السامى — حرس الله به نظامَ المجد [2] [وأطلق فيه لسان الحمد] ، ودامت مساعيه مصافِحَةً ليد السعد ، وأحسن له التدبيرَ فى اليومين : مِن قَبلُ ومن بَعد — فمرحبا بمَقْدَمه ، وأهلا بمَنْجَمه ؛ والشوقُ تختلف وفودُ صُروفِه [5] ، وتتنوع صنوفُ ضيوفه ؛ فلابد أن تتبعّض اذا تبعّضت المسافات ، وتَبرُدَ وتَخمُدَ اذا عَبدتْ [6] ودنت الطُّرقات ؛ ولو بمقدار ما يدنو اللقاءُ على الرسول السائر ، بالكتاب الصادر ، والخيالِ الزائر ، بالحبيب العاذر ، والنسيمِ الخاطر ، من رسائل الخواطر ؛ وقد وجدتُ عندى أنسا لا أعهدُه ؛ وعَددتُ نقصَ البُعدِ أحدَ اللقاءين ، كما كنتُ أعُدّ زيادةَ البعدِ أحدَ النأيين ؛ فزاده الله من القلوب

(١) كذا وردت هذه العبارة فى (أ) ، (ب) ؛ والذى فى كتاب الروضتين ج ١ ص ٢٣٩ «والشيخ الفقيه قد شاهد ما يشهد به من كونها نجما فى سحاب» الخ والشيخ الفقيه هو زين الدين بن نجا الواعظ ؛ والقلعة التى وصفها ، هى قلعة حمص ، كما ذكره صاحب الروضتين أيضا . وفى وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٠٣ طبع بولاق أن هذه القلعة يقال إنها قلعة كوكب .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٣) العقاب بكسر العين : المراقى الصعبة من الجبال ، مفرده عقبة بفتح العين والقاف .

(٤) فى الروضتين : « منها » .

(٥) فى الأصل : «فقود» ؛ وهو تحريف .

(٦) عبدت : ذللت ومهدت . وفى كلا الأصلين : « بعدت » ؛ وهو غير مستقيم ؛ ولعل صوا ما أثبتنا كما يقتضيه ما قبله وما بعده من الكلام .

حُظوه، ولا أخلاه من بسطِ يدٍ وقدمٍ فى حظٍّ وحُظوه(١)؛ ووقفتُ على هذا الكتاب المشارِ اليه وما وقفتُ عنه لسانا شاكرا، ولا صرفتُ عنه طَرْفا ناظرا، وبلغتُ من ذلك جَهدى وإن كان قاصرا، واستفرغتُ له خاطرى وما أُعِدّه اليوم خاطرا؛ ومما أُسَرّ به أن يكون فى الخدمة السلطانية — أعلاها الله ورفعها، ووصلها ولا قطعها، وألّف عليها القلوبَ وجمعها، واستجاب فيها الأدعيــة وسمعها — من يكثّر قليلى، ويَشفى فى تقبيل الأرض غليلى، فإن تقبيلَ سيّدنا كتقبيلى؛ فلو شرب صديقٌ وأنا عطشانُ لأروانى، ولو آستضاء بلمعة فى الشرق وأنا فى الغرب لأرانى؛ كما أنّ الصّــديق اذا مسّــتْه نعمةٌ وجب عنها شكرى، واذا وَصلتْ اليــه يدُ منعم وصلتْنى وتغلغلت الىّ ولو كنت فى قبرى .

ومنها : وأعود الى جواب الكتاب، الأخبارُ لا تزال غامضةً إلى أن يشرحَها، ومقفَلةً إلى أن يفتحَها؛ بخلاف حالى مع الناس، فإن القلوبَ لا تزال سالمةً إلا أن يجرحَها، والهموم خفيفة إلا أن يرجّحَها؛ والحقُّ من جهته ما تحقّق، وما استنطَق بشكرٍ مَن أنطَق؛ وفى الخواطر فى هذا الوقت موجودٌ يجعلها [فى](٢) العدَم، ويُخرجُها من الألمِ الى اللَّمَم(٣)، ويعادِى بين الألسنةِ والأسماعِ وبين العيونِ والقلم؛ وكلما قلّت الحيلةُ المشكوكُ فى نُجحِها، فتَحَ اللهُ باب الحيــلة المطموعِ فى فتحِها؛ وهى من فضل الله سبحانه والآستجارةِ بالآستخاره، فتلك تجارةٌ رابحةٌ وكلُّ تجارةٍ لا تخلو من خساره؛ والله تعالى يجمع كلمةَ المسلمين على يد سلطاننا، ولا يُخلينا منه ومن [بنيــه](٤) حلّىً زماننا، وشُنوفِ إيمـاننا، ويُسعدُنا من أكابرِهم بتيجان رءوسنا، ومن أصاغرِهم بخواتم أيمـاننا؛

(١) أراد بالحظوة هنا : التفضيل أو الحظ من الرزق . وبالتى قبلها : المكانة والمنزلة .
(٢) كذا فى (ب) .
(٣) اللمم بالتحريك : الجنون .
(٤) لم ترد هذه الكلمة فى كلا الأصلين؛ وقد أثبتناها عن مسالك الأبصار .

ولو تفرّغت العزمةُ الفلانيّةُ لهذا الكلبِ العدوّ فترجُمَ كلبَه، وتُكُفَّ غَرْبَه، وتذيقَه وبالَ أمرِه، وتطفئَ شرارَ شرّه، وتعجّلَ له عاقبةَ خُسرِه؛ فقد غاظ المسلمين وعضّهم، وفلّ جموعَهم وفضّهم؛ وما وجد من يكفى فيه ويكُفُّه، ويشفى الغليلَ منه بما يشُفُّه(١)؛ ولو جعل السلطانُ — عزّ نصرُه — غزوَ هذا الطاغيــة مَغزاه(٢)، وبلادَه مستقَرَّ عسكرِه ومثواه، لأخذ الله الكافر بطغواه؛ ولأبقى ذكرا، وأجرى فى الصحيفة أجرا؛ ولأطفأ الحقدَ الواقد، بالحديد البارد، وغنِمَ المَغنَمَ البارد، وسدّد الله ذلك العزمَ الصادرَ والسهمَ الصارد(٣)، فلا بدّ أن يُجرى سيّدُنا هذا الذكر، ولو لما أحتسبه أنا من الأجر؛ وما أورده المجلسُ عن فلانٍ من صفوِ شُربِه، وأمنِ سِربِه؛ واستقرارِه (١١٢) تحت الظلِّ الظليلِ السلطانى — جعله الله ساكنا، وأحلّه منه حَرَما آمنا — ومن مُعافاته فى نفسه وولدِه وجماعته، وأهلِ وَلائه وولايتِه، فقد شكرتُ له هذه البشرى، وفرحتُ بما يسّر الله ذلك المولى له من اليسرى؛ غير أنى أريد أن أسمع أخبارَه منه لا عنه وبمباشرتِه لا باستنابتِه، فلا عَرَفتُ مودّتَه من المودّات الكُسالى، ولا أقلامَه إلا بلَبِيس السواد — على أنها مسرورةٌ سارّةٌ لا ثَكالى؛ وإذا قنِع صديقُه منه بفريضةِ تحيّة، لا تُؤدّى إلا فى ساعةٍ حوليّة، فإن يحَلِ بها ذلك الكريمُ فقد انتحل الاسمَ الآخر — أعاذه الله منه، وصرَف عنه لفظَه كما صرَف معناه عنه؛ وللمودّة عينٌ لا يكحُلُها إذا رمِدتْ إلا إثمِدُ مدادِ الصديق، وما فى الصبر وُسْعٌ لصحبةِ أيامِ العُقوق بعد صحبةِ أيامِ العقيق؛ وقد بلغنى أن ولدَ المذكورِ نَزَع(٤) وترعرع، ونفع

(١) يشفه : يحزنه . (٢) المغزى : المقصد . (٣) الصارد من السهام : النافذ .

(٤) كذا فى كلا الأصلين بالنون والزاى ؛ ولعله من قولهم : نزع فلان إلى أبيه ينزع بكسر الزاى فى المضارع، أى ذهب إليه وأشبهه . أو هو من قولهم : نزع الى عرق كريم . أو لعله : « برع » بالباء الموحدة والراء المهملة .

وأينع، وخَدَم فى المجلس السلطانىّ، فسررت بأن تجمّع فى خدمته الأعقابُ والذّرارِى، والله تعالى يحفظ علينا تلك الخدمةَ جميعا، ولا يُعدِمنا من يدها سحابا ولا من جنابها ربيعا؛ وقد فتح سيّدُنا بابا من الأنس ونَهَجَه، وأَوْثَرَ آلا يُرْتَجَه؛ بمكاتباته التى يدُه فيها بيضاء، ويدُ الأيام عندى خضراء، بحيث لا يستوفى على الحساب، فى كل جواب؛ وأنا فى هـذه الأحوال أُوثِرُ العُزلةَ وأبدأ فيها بلسانى وقلبى، وأتونّى أن أشبّه حالةَ وجودى بعدَمى؛ فإنى أرى مَن تحتَها أروَحَ ممن فوقَها، ومَن خرج منها أحظَى ممن أقام بها؛ وللمودّات مقرٌّ ما هو إلا الألسنه، والقلوبُ قضاةٌ لا تَحتاج الى بيّنــه.

وكتب [جوابا][1] أيضا الى آخر وهو: وقفتُ على كتاب الحضرة — يسّر الله مَطالبَها وجمّل عواقبَها، وصفّى من الأكدارِ مَشاربَها، وحاط مِن غِيَرِ الأيّام جوانبَها، ووسّع فى الخيرات سُبلَها ومذاهبَها، ووقاها ووقى ولَدَها، وأسعدها وأسعد يومَها وغَدَها، وجمع الشملَ بها قريبا، وأحدث لها فى كلّ حادثةٍ صُنعا غريبا — من يد الحضرة الفلانيّة — لا عَدمتُ يدَها ومدَّها، وأدام الله سعدها — وشكرتُ الله على [ما][2] دلّ عليه هذا الكتابُ من سلامة حَوزتها[3]، ودوامِ نعمتِها، وسُبوغِ كفايتِها؛ وسألته سبحانه أن يُصحّ جسمَها، ويُميطَ همّى وهمَّها؛ فهُما همّان لا يتعلّقان إلا بخدمة المخدوم — أجارنا الله فيــه من كلّ هم، وأجرَى بتخصيصه السـعدَ الأعمّ، واللطفَ الأتمّ — وعرفت ما أَنعَمتْ بذكره من المتجدّدات بحضرته، ومن الأمور الدالّة على سعادته وقوّتِه؛ ولِلأمورِ أوائلُ[وأواخر، وموارِدُ ومصادر؛ فنسأل الله سبحانه أن يجعل

(١) لم ترد هذه الكلمة فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب).

(٢) فى (أ): «على ادل» بدون «ما»؛ والسياق يقتضى إثباتها، كما فى (ب).

(٣) حوزة الرجل: ما فى حيزه.

العواقبَ لكم، والمصادرَ إليكم، والنعمةَ عندكم، والنُّصرةَ خاصّةً بسلطانكم، والكفايةَ مكتنِفةً بجماعتكم(١)؛ وقد قاربت الأمورُ بمشيئة الله أن تُسفِرَ وجوهُها، والخواطرُ أن يستروِحَ مشدوهُها(٢)، "إنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ" وفى كلّ أقدارِ الله الخيرة، وفى حكمته أنه جعل الخِيرةَ محجوبةً تحت أستار الأقدار؛ وقد علم الله تقسُّمَ فكرى لما هى عليه من المشقّات المحمولةِ بالقلب والجسد، والأمورِ الحاضرةِ فى اليوم والمستقبَلةِ فى غد؛ وهى فى جانب الخير، والخيرُ يعمّ الوكيلَ لصاحبه، ومَن أصلح جانبَه مع الله كان الله جديرا بإصلاح جانبِه .

ومنه : وعليه السلامُ الطيّبُ الذى لو مرّ بالبهيم لأشرق، أو بالهشيم لأورق؛ وكتبُها الكريمةُ إن تأخّرتْ فمأموله، وان وصلتْ فمقبوله؛ وان أنبأتْ بسارٍّ فمشهوره وان أنبأتْ بشرٍّ فمستوره؛ وخادمُها فلانٌ يخدُم مجلسها خدمةَ الخادم لمخدومه، ويكرِّرُ التسليم على وجهه الكريمِ المحفوفِ مِن كلّ قلب بحبّه، ومن كلّ سلامٍ بتسليمه .

وكتب أيضا : وصل كتابُ الحضرة — وصل الله أيّامها بحميد العواقب، وبلوغ المآرب، وصَحِبتِ الدهرَ [على خير ما صحِبَه صاحب](٣)، وأنهضنا بواجب طاعته، فإنه بالحقيقة الواجب — وكلُّ واجبٍ غيرِه غيرُ واجب — من يد فلانٍ، فرجوتُ أن يكون طليعةً للاقترابِ، ومبشِّرًا بالإيابِ، ومخبِرا بعوْدِها الذى هو كعَوْدِ الشباب لو يعود الشباب؛ وأعلَمَنى من سلامة جسمها، وقلبِها مِن همّها؛ ما شكرتُ الله عليه، وآستدمتُ العادةَ الجميلةَ منه، وسألته أن يوزِعَها(٤) شكرَ النعمةِ فيه، وعرَفتُ الأحوالَ جملةً من كتابِها، وكلُّها (١١٣)

(١) كذا فى الأصول . ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أن «اكتنف» يتعدى بالحرف؛ ولعله مضمن معنى الإحاطة، فعدّاه بالباء؛ أو لعله : «لجماعتكم» باللام .

(٢) المشدوه : المدهوش .

(٣) التكلة عن (ب) ومسالك الأبصار ج ٧ ورقة ٣٠٢ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

(٤) يوزعها : يلهمها .

تَشهد بتوفيق سلطاننا، وبأيامه التى تعُود بمشيئة الله بإصلاح شانه وشاننا؛ والذى مدّه ظلّا، يَمُدّه فضلا؛ فالفضلُ الذى فى يديه، فى يد خلقِ الله الذى أحالهم فى الرزق عليه؛ فكيفما دعونا له دعونا لأنفُسنا، وكيفما كانت أسنّةُ رماحِه فهى نجومُ حرسِنا، فلا عدمت أيامه التى هى أيام أعيادِنا، ولا لياليه التى هى ليالى أعراسِنا .

ومن أجوبته : ورد على الخادم — أدام الله أيامَ المجلس وصفّاها من الأكدار، وأبقى بها من تأثيراته أحسنَ الآثار، وأسمَع منه وعنه أطيَبَ الأخبار وجعل التوفيقَ مقيما حيث أقام، وسائرا أينما سار — كتابُه الكريم، الصادرُ عن القلب السليم، والطبعِ الكريم، والباطنِ الذى هو كالظاهرِ كلاهما المستقيم؛ ولا تزال الأخبارُ عنّا محجمه، والأحاديثُ مستعجمه؛ والظنونُ مترجّحه[(١)]، والأقوالُ مُسقمةٌ ومصحّحه؛ الى أن يرِدَ كتابُه فيُحقَّ الحقَّ ويُبطِلَ الباطل، ويَتّضِحَ الحالى ويَفتضِحَ العاطل؛ ويُعرَف الفرقُ مابين تحريرِ قائل، وتحويرِ ناقل[(٢)]؛ فتدعو له الألسنةُ والقلوب وتستغفر بحسناته الأيامُ من الذنوب؛ والشجاعةُ شجاعتان : شجاعةٌ فى القلب وشجاعةٌ فى اللسان؛ وكلتاهما لديه مجموع، ومنه وعنه مَرویٌّ ومسموع؛ وذخائرُ الملوك هم الرجال، وآراءُ الحُزَماء هى النصال؛ ومودّاتُ القلوب هى الأموال، ومجالسُ آرائهم هى المَعركةُ الأولى التى هى ربما أغنتْ عن معارك القتال؛ والله تعالى يُمدّ المسلمين به حالَ تجمّعهم على جهاد الكفّار، ويُلهمهم أن يَبذُلوا فى سبيله النفْسَ والسيفَ والدّرهمَ والدينار؛ ويزيلُ ما فى طريق المَصالح من الموانع، ويَفطِمُ السيوفَ عن الدّماء الإسلاميّة ويحرّمُ عليها المَراضع؛ ويجعل للمجلس فى ذلك اليدَ العُليا، والطريقةَ المُثلى، ويجمع له بين خَيرَى الآخرةِ والأولى؛ والأحوالُ هاهنا بمصر مع بعد سلطانها

(١) المترجحة : المتذبذبة .
(٢) فى الأصلين : «قائل» ؛ وهو تحريف .

وتمـادِى غيبته عن مباشرة شأنها ؛ على ما لم يُشهَد مثلُه فى أوقات السكون فكيف فى أوقات القلق ، على من يَحفَظ الله به من فى البلاد من الجموع ومن فى الطُّرقات مِن الرُّفَق ؛ والأميرُ الولدُ صحيحٌ فى جسمه وعزمه ، متصرِّفٌ فى مصالحه على عادته ورسمه ؛ جعله الله نعم الخَلَف المسعود ، وأمتعه بظلّ المجلس الممدود ، فى العمر الممدود ؛ وعرَف الخادمُ أن المجلس ناب عنه مرّةً بعد مرّةٍ بمجلس فلان ويشكُر على ما سلف من ذلك المَناب ، ويستزيدُ ما يستأنفُه من الخطاب ؛ والبيتُ الكريمُ أنا فى وَلائه وخدمته كما قيل :

إنّ قلبى لَكُمْ لَكالكبِد الحـرّى وقلبى لِغيرِكم كالقلوبِ

يسرّنى أن يَمُدّ الله ظلَّهم ، وأن يجمع شملَهم ؛ كما يسوءنى أن تختلف آراؤهم ولا تنتظِمَ أهواؤهم ؛ وهذا المولى يبلُغنى أنه سَدّ وساد ، وجَدّ وجاد ، وخلف مَن سلَف مِن كرامِ هذا البيت من الآباء والأجداد ؛ وآشتهرتْ حسنُ رعايته لمن جعله الله من الرعايا وديعه ، وحسنُ(1) عنايته بمن جعله الله له من الأجنادِ شيعه ؛ وإذ بلغنى ذلك سُررتُ له ولأبنه ولجدّه ، وعلمتُ أنه لم يمت من خلّفه لإحياء مجده ؛ ومن آستعمله بحَسَنٍ فقد أراد الله به حَسَنا ، ومن أحسن إلى خلق الله كان الله له محسنا ؛ إن الله أكرمُ الأكرمين ، وأعدلُ العادلين ؛ وكُتبُ المجلس السامى يُنعم بها متى خَفّ أمرُها ، وتيسّر حملُها ، وتفرّغ وقتُه لها ؛ والثقةُ حاصلةٌ بالحاصل من قلبِه ، وعاذرة وشاكرةٌ فى المبطئ والمسرع(2) من كُتبِه ، ورأيُه الموفّقُ إن شاء الله تعالى .

وكتب : ورد كتابُ الحضرة السامية — أحسن الله لها المعُونه ، ويَسّرَ لها العواقبَ المأمونه ، وأنجدَها على حرب الفئةِ الكافرةِ الملعونه — بخبرِ خروجِ الخارجِ

---

(1) فى الأصلين : « ومن حسن » ؛ وقوله : « من » زيادة من الناسخ ، إذ لا مقتضى لها هنا .

(2) فى (أ) : « من المبطىء » ؛ والسياق يقتضى الفاء ، كما فى ب ، أى فى حالة الإبطاء .

من قلعة كذا، وما صرّح به من الخوف الذى ملأ الصدور، والآستحثاث فى مَسِيرِ (١١٤) العسكر المنصور، وكلُّ ضِيقةٍ(١) وردت على القلوب ففزِعت فيها إلى ربّها فرجَت فَرَجَه وأذكَى لهـا اليقينُ سُرُجَه، ولَم تُشرِكْ معه غيرَه مستعانا، ولم تَدْعُ معه مِن خَلْقِـه إنسانا؛ فما الضِّيقةُ و إن كانت منذرةً إلا مبشِّره، والخطةُ و إن كانت وَعْرةً إلا ميسَّره؛ لاجرم أن هذا الكتاب أعقبه وُصولُ خبر نهضة فلان — نصَرَ الله نَهَضاته، وأدَّى عنه مفترَضاته — فاستَنهَض العساكر، وقوتل العـدوُّ الكافر، فنفَّس ذلك الخناق، وتماسكت الأرماق؛ وما أحسَب أنّ الأمر يتمادى مع القوم، بل أقول: لا كَرْبَ على الإسلام بعد اليوم؛ تَتوافى بمشيئة الله ولاةُ الأطراف، و يزول من نفْسِ العدوِّ وسمعِه ما آستشعره بين المسلمين من الخلاف، ويجتمعون إن شاء الله على عدوِّهم، ويُذهِب الله بأهلِ دينه ما كان [من فساد](٢) أعدائه فى أرضه وعُلوِّهم؛ وقد شمِمنا رائحةَ الهدنة بطلب الرسول، و بخبرِ هلاكِ مَلِكِ الألمانِ الذى هو بسيف الله مقتول، والموتُ سيف الله على الرقاب مسلول.

ومنهـا : فأما ما أشار إليه من القلاع التى شَحَنها(٣)، والحصونِ التى حصّنها، والأسلحةِ التى نقَلها إليها، والأقواتِ التى ملأ بها عيونَ مُقاتِلتها وأيديها، فإن الله يَمُنّ عليه بأن يسّره لهذه الطاعه، ورَزَقه لها الآستطاعه؛ فكم رزق الله عبدا رزقا حَرَمه منـه وفتح عليه بابا من الخير وصرَفَه عنه؛ لاجرم أنه وفّى قوما أجرَهم بغير حساب، ووقَف

(١) الضيقة بكسر الضاد : مثل الضيق (اللسان) .

(٢) عبارة الأصول : «ما كان أعدائه فى أرضه» الخ وهى على هـذا الوجه غير تامة ولا مستقيمة الإعراب؛ والتكملة عن مسالك الأبصار ج ٧ ورقة ٣٠٧ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

(٣) فى (١) : «تحمها»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، كما فى (ب) .

قويا بموقف مناقشة الحساب ، الذى ٱلمَصرِفُ عنه إلى ما بعده من العذاب ؛ الآن والله مُلِّكَ الملِكُ العادلُ مالَه الذى أنفقَه ، وأَودعَه لخير مستودَعٍ مِن ٱلذى رزقَه ؛ وشتّان بين الهمم : همّةُ مِلكٍ ذخر مالَه فى رءوس القِلاع لتحصينِ الأموال ، وهمّةُ مِلكٍ أَودع مالَه فى أيدى المُقاتِلة لتحصين القلاع

يبنى الرجالَ وغيرُه يبنى القرى * شـتّان بين مزارعٍ ورجالِ

والحمـد لله الذى جعـل مالَه له مَسرّه ، يوم يَرَى الذين يكنِزون الذهبَ والفضّـةَ المـالَ عليهم حسره؛ ما أحسَب أحدا من هذه الأمّة إن كان عند الله من[(١)] أهلِ الشهاداتِ بين يديه، وإن كان كريمَ الوِفادة لديه، إلا تلقّاه شاكرا لهــذا السلطان شاهدا بمـا يُولى هذه الأمّةَ من الإحسان، "وَفِى ذٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ" سيحصُد الزارعون ما زرعوا ، والله يزيده توفيقا إلى توفيقـه ، ويلهم كلَّ مسـلم [القيام][(٢)] بمفترَض بِرّه ويعيذه من محذورِ عقوقه؛ وأنا أعلم أنّ الحضرة تُفرِد لى شَطْرا من [زمانها المهمّ][(٣)]، لكتاب تُلقيه الىّ، وخبرٍ سارٍّ توردِه علىّ؛ وأنا أُفرِد شطرا من زمانى لِشكرِها، وأُسَرّ والله لهـا بتوفيقِ الله فى جميع أمرِها ، فإن الذّاكر لها بالخـير كثير ، فزاد الله طيبَ ذكرِها؛ ورأيه الموفَّقُ فى أن يُجرِيَنى على كنف العـادة ، و[لا][(٤)] يقطع عنى هذه المـادّة؛ إن شاء الله تعالى .

وكتب : ورد كتاب المجلس السامى — نصر الله عزائمَه ، وأَمضَى فى رءوس الأعداء صوارمَه ، وشدّ به بنيانَ الإسلام ودعائمَه ، وٱستردّ به حقوقَ الإسلام من

(١) فى (أ) : « من عند » ؛ وقوله : « من » زيادة من الناسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصول، والسياق يقتضى إثباتها إذ لم نقف فيما راجعناه من كتب اللغة على تعدية "ألهم" بالباء .

(٣) هذه التكلمة لم ترد فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٤) فى (أ) : «ويقطع» بسقوط «لا» والسياق يقتضى إثباتها كما فى (ب) .

الكفر ومَظالمه، وأخلف نفقاته فى سبيل الله ومَغارِمه، وجعلَها مَغانمَه — وكان العهدُ به قد تطاول، والقلبُ فى المطالَبة ما تساهل، ولمحتُ أشغالَه بالطاعة التى هو فيها وما كلٌّ من تَشاغَل تَشاغُل؛ فهنّأهُ الله بما رزقَه، وتَقبلَ فى سبيل الله ما أَنفقَه وعافى الجسمَ الذى أنضاه فى جهاد عدوِّه وأَخلقَه، وقد وُفّق مَن أَتعبَ نفسا فى طاعة مَن خلقَها، وجسما فى طاعة مَن خلقَه؛ فهذه الأوقات التى أنتم فيها أعراسُ الأعمار، وهذه النفقاتُ التى تُجرَى على أيديكم مهورُ الحُور فى دار القرار، قال الله سبحانه فى كتابه الكريم: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وأما (١١٥) فلانٌ وما يسّره الله له، وهوّنه عليه، من بذلِ نفسِه وماله، وصبره على المشقّات واحتماله، وإقدامه فى موقف الحقائق قبل رجاله؛ فتلك نعمةُ الله عليه، وتوفيقُه الذى ما كلُّ مَن طلبَه وصل اليه؛ وسوادُ العجاج فى تلك المواقف، بياضُ ما سوّدتْه الذنوبُ من الصحائف "يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا" فما أسعدَ تلك الوَقَفات، وما أعوَدَ بالطُّمأنينة تلك المرجِفات(١)، وقد علم الله سبحانه وتعالى منّى ما علم من غيرى من المسلمين من الدعاء الصالح فى الليل إذا يَغشَى، ومن الذكر الجميل لكم فى النهار إذا تجلّى؛ والله تعالى يؤيد بكم إيمانَكم، وينصرُكم وينصر سلطانَكم، ويُصلحُكم ويصلح بكم زمانَكم، ويشكرُ هجرتَكم التى لم تؤثروا عليها أهليكم ولاأموالَكم ولا أوطانَكم، ويعيدُكم إليها سالمين سالبين، غانمين غالبين؛ إنه على كل شىء قدير.

وكتب: وصل كتاب الحضرة السامية — أيد الله عزمَها، وسدّد سهمَها وجعل فى الله همَّها، ووفّر فى الخيرات قِسمَها — مبشّرا بالحركة الميمونة السلطانية

(١) المرجفات من الإرجاف، وهو الزلزال.

إلى العدوّ خذله الله، ومَسيرِ المسلمين — نصرهم الله — تحت أعلامه أعلاها الله؛ ومُباشرةِ العدوّ واستبشارِ المسلمين بما أسعدهم الله من الجراءة عليه، ومن إضمارِ العَودِ اليه؛ وهذه مقدّمةٌ لها ما بعدَها، وهى وان كانت نُصرةٌ من الله فمـا نَقنَع بها وحدَها فالهمّةُ العاليـةُ [السلطانيّةُ] للحربِ التى تَسلُب الأجسامَ رءوسَها، والسيوفَ حدّها؛ فإن الجنّة غاليةُ الثمَن، والخطابُ بالجهاد متوجِّهٌ الى الملِكِ العادل دون ملوك الأرض وإلا فمَن؟ فهذه تُشترَى بالمشقّات، كما أن الأخرى — أعاذنا الله منها — رخيصةُ الثمَن وتُشترَى بالشهوات؛ والحضرةُ الساميةُ نعم القرين ونعم المعين، وفَرْضُ ذى اللّهجة المُبِين، أن يستجيش ذا القوّة المتين، وكلمةٌ واحدةٌ فى سبيل الله أنْمى من ألوف المُقاتِلة والمثين؛ والله تعالى يوسّع إلى الخيرات طُرقَها، ويُطلق بها منطلِقَها، ويُمتع الإخوانَ بخُلقها الكريم فمـا منهم إلا من يشكر خُلقَها؛ ورأيُها الموفّقُ فى إجرائى على العـادة المشكورة مِن كُتبِها، وإمطارى من خواطرها، لا عدمتُ صَوبَ سحبِها .

ومن كتاب كتبه الى القاضى محيي الدين بن الزكىّ : بعد أن أصدرتُ هذه الخدمةَ الى المجلس — لاعَدِمتُ عواطفَه وعوارفَه، ولطائفَه ومعارفَه؛ وأمتع الله الأمةَ عموما بفضائله وفواضـلِه، ونَفعَهم بحاضره كما نفعهم بسلفِه الصالح وأوائله، وعادى اللهُ عدوَّه ودَلَّ سهامَه على مَقاتله — [ورد كتابٌ منه فى كـذا وما بقِيتُ أذكر الإغبابَ، فإن سيّدَنا يقابله ][1] بمِثلِه، ولا العتابَ فإن سيدنا يساجله بأفيَض من سَجْلِه؛ ولا أُلقِى عليه من قولى قولا ثقيلا، ولا أقابِل به من قوله قولا جليّاً

(١) التكلة عن (ب) ومسالك الأبصار .

جليلا ؛ فقد شبَّ عمرو عن الطَّوق[1] ، وشَرُف البُراقُ عن السَّوق ؛ وذلك العمرو[2] ما برح محتنَكا[3] والطَّوق للصَّبي ، وذلك البُراقُ حِمى لا يقدَّم إلا للنبيّ ؛ ومع هذا فلا تُقلّص عنّى هـذه الوظيفه ، واْعتقِدْها مِن قُرَب الصحيفه ؛ فإنك تسكّن بهـا قلبا أنت ساكنُه وتَسرّ بها وجها أنت على النوى معاينُه .

وكتب إلى العماد : كانت كتبُ المجلس — لا غيّر الله مابه من نِعَمِه ولا قطع عنه مَوادَّ فضلِه وكرَمِه ، ولا عَدِمت آلدنيا خَطَّ قلمِه وخطوَ قدَمِه ، وأعاذنا الله بنعمة وُجودِه من شِـقوةِ عدَمه — تأخرتْ وشقَّ عليّ تأخُّرها ، وتغـيّرتْ عليّ عوائدُها والله يعيذها مما يغيِّرها ؛ ثم جاءت ببيت ابن حجّاج :

غاب ما غاب ووافا * نى على ما كنتُ أعهدْ[4]

وأجبتُه ببيت الرّضيّ :

ومتى تَدنُ النوى بهمُ * يجدوا قلبي كما عَهِدوا

كتابةٌ لا ينبغى مُلكُها إلا لخاطـرِهِ السليمانيّ ، وفَيضٌ لا يسـند إلا عن[5] نُوح قلمِه

---

(١) فى أساس البلاغة مادة «طوق» «جل» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين . وهـذا المثل لجذيمة الأبرش فى عمرو بن عدى ، كما فى جمهرة الأمثال .

(٢) كذا ورد هذا الاسم فى الأصلين مقرونا بالألف واللام ؛ ووجهه أنه نكر عمرا ثم أدخل عليـه حرف التعريف ؛ ومنه قوله :

باعد أم العمرو من أسيرها * حراس أبواب على قصـورها

قال فى مغنى اللبيب ص ٥٠ مانصه : وقيل : «ال» فى اليزيد والعمرو للتعريف ، وأنهما نكرا ثم أدخلت عليهما «ال» كما ينكر العلم اذا أضيف ، كقوله : «علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم» اه .

(٣) يقال : حنكته السن واحتنكته ، اذا أحكمته التجارب .

(٤) فى (أ) : «أعهده» ؛ والهاء زيادة من الناسخ ، إذ بها يختل الوزن ؛ ولم نقف على هذا البيت فى يتيمة الدهر ضمن شعر ابن حجاج .

(٥) لعله : «إلى نوح» إذ هو مقتضى اللغة ؛ أو لعله ضمن قوله : «يسند» معنى الأخذ والرواية فسوغ له هذا التضمين ذكر «عن» مكان «إلى» وعبارة مسالك الأبصار : «لا يصدر إلا عن» الخ وهى أظهر .

الطُّوفانىّ ، أوجبت على كل بليغ أن يتلو ، "وَمِنْهُــمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِىَّ" و بالجملة فالواجب على كلّ عاقل ألّا يتعاطى ما لم يُعْطَه ، وأن يدخل بابَ مجلس سيّدنا و يقولَ حِطّه ؛ فأما ما أفاض فيه من سكون الأحوال بتلك البـلاغة فقــد كدت أسكَر لمـا ٱستخرجتُــه من تلك المحاسن التى لو أن الزمان الأصمّ يَسمع لأسمعتْه ، ولو أن الحظَّ الأشمّ يخضع لأخضعتْه ؛ و بالجملة فإنه لا يُنشَأُ زمنٌ أَبقَى من سـيّدنا نعمةَ البقيّةِ التى مهما وُجدتْ فالخير كلُّه موجود ، والمجدُ بحفيظته مشهود ؛ وكما تيسّرتْ راحةُ جسمِه ، فينبغى أن يقتدىَ به قلبُه فى راحة من همّه ؛ وأعراضُ الدنيا متاعُ المتاعب ، وقد رفع الله قدره ، و إلا فهــذه الدنيا وهدةٌ إليهـا مَصابُ المصائب ؛ والحالُ التى هو الآن عليها عاكفٌ [ إلا ](1) مِنــ علمٍ يدرُسُـه ، وأدبٍ يقتبسُــه ، وحريمِ عقائلَ يذبّ عنه و يحرسه ؛ هى خير الأحوال ، فالواجب الشكرِ لواهبِها ، والمَسَرّةُ بالإفضاء إلى عواقبِها ؛ وما ينقُص شىءٌ من المقسوم ، وإن زاد عند المجلس فليس من حظّه ، ولكن من حظّ السائل والمحروم ؛ فلا يَسمح ٱلمجلسُ بكتابٍ من كتبِه على يدٍ من الأيدى التى لا تؤدّى ، ولا يؤمَنــ أن تكون أناملُها حروفَ التعدّى ، وهى إحدى ما تعلّقتْ به الشهواتُ من اللذّات ، وهو يُنعِم بها على عادته فى كفّ ضراوةِ القلب ودفعِ عاديتِه ؛ موفّقا إن شاء الله تعالى .

وكتب إلى القاضى محيي الدين بن الزكىّ أيضا : كانــ كتابى تقــدّم الى المجلس الســامى — أدام الله نفاذَ أمره ، وعلوَّ قــدره ، وراحةَ سرّه ونعمةَ يسره ؛ وأجراه على أفضل ما عوّده ، وأسعد جَدّه وأصعدَه ، وأحضَره أمثالَ العام المقبل وأشهدَه ؛ ولا زال يلبَس الأيّامَ و يخلعها ، و يســتقبِل الأهلّة و يودّعها

(1) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

وهو محروس فى دنياه ودينِه ، مستلئمٌ من نُوَب الدهر بدرع يقينِه ، كاشفٌ لليل الخطب بنور جبينِه ، وليوم الجدب بفَيض يمينِه ؛ وأعمالُه مقبوله ، ودعواتُه على ظهرِ الغمام محموله ؛ والدنيا ترعاه وهى تأبى برغمِها (١) ، والآخرةُ تُذخَرله وهو يسعى لها سعيَها — من أيدى عِدةٍ من المسافرين ، ولتقىّ بهم ما قَدَرتُ (٢) أسماءهم ، ولِضيق صدرى بتأخيركتب المجلس ما حفظتُها .

وجاء منها : وما كأنا إلا أن دعونا الله سبحانه دعوةَ الأوّلين أن يباعد بين أسفارِنا ، وأردنا أن يقطع بيننا وبين أخبارِنا ؛ فأجيبت الدّعوه ، ولا أقول لِسابِق الشِّقوه ، ولكن لِلاحقِ الحُظوه ؛ فإن مكابَدةَ الأشواقِ إلى الأبرار ، تَسُوق الى الجنّة ولا تَسُوق إلى النار ، وأُقسم انى بالاجتماع به فى تلك الدار ، أَبهجُ منى بالاجتماع به لو أُتيح فى هذه الدار ؛ فعليه وعلىّ من العمَلِ ما يَجمَع هنالك سلكَ الشمل ويصلُ جديدَ الحبل ؛ فثَمّ لا يُلقِى العصا إلا من أَلقَى هنا (٣) العِصيان ، وهناك لا تقَرّ العينُ إلا ممن سهِرتْ منه هاهنا العينان ؛ فلا وجه لجمع آسمى مع آسمه فى هذه الوصيّة مع علمى بسوء تقصيرى ، وخوفى من سوء مَصيرى ، ولكن لِيَزيدَ سيّدُنا من وظائفه وعوارفِه ، — فكلّ فعلِه تفضُّل من فضلِه — ما يخلّصنى بإخلاصه فإنى أستحقّ شفاعتَه لِشُفعةِ جوارِ قلبى لقلبِه ، وهذا معنى ما بَعث على شغل الكُتّاب به ، مع علمى باستقرار نفسه النفيسة ، إلا أنه — أبقاه الله — قد أبعَد عهدى مِن كُتبِه بما يقع التفاوضُ فيه ، والمراجَعةُ عنه ؛ والخواطرُ فى هذا الوقت منقبِضه ، والشواغلُ لها معترِضه ، وأيامُ العُمر فى غير ما يُفرَض من الدنيا للآخرة

(١) عبارة مسالك الأبصار : «وهو يأبى رعيها» ؛ وبها مع ما بعدها يتم السجع الذى التزمه القاضى فى رسالته .

(٢) فى (ب) : «قيدت» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) فى الأصل : "هنالك" ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

متقرضــه، ومتجدّدُ نَوبةٍ بَيْروتَ قد عَمّت كلّ قلب، وهاجت المسـلمين أشواقا الى الملكِ الناصر، وذكرى بما ينفعه الله به من كلّ ذاكر، وأَخَذَ الناسُ فى الترحّم على أوّلِ هذا البيت والدعاءِ للحاضر والآخر — وليس إن شاء الله بآخر؛ فـا آدّخر المولى لهذه الحرب مجهودا، ولا فَلّتْ عسكرا مجرورا ولا مالا ممدودا

فإن كان ذلبى أنّ أحسَنَ مطلبى * إساءةً ففى سوء القضاء لىَ العــذرُ

ومنه : وسـيّدُنا يستوصى(١) بالدار بدِمَشقَ فقد خَلتْ، وإنما الناسُ نفوسُ الديار؛ وأنا أعلم أن سـيّدَنا فى هذا الوقت مشدُوهُ الخاطر عن الوصايا، ومشغولُ اللسان بتنفيذِ ما ينفّذه ممـا هو منتصب له من القضايا؛ فما فى وقته فضلةٌ ولكن فضل، وسيّدُنا يُحسِن فى كلّ قضيّة مِن بَعد كما أَحسَن مِن قَبل؛ فهو الذى جعل بينى وبين الشام نَسَـبا [وأنشأنى فيــه الى أن آدّخرتُ(٢) عَقارا ونَشَبا] فعليــه أن يَرعى

(١١٦) ما أقناه(٣)، وينفىَ الشَّوكَ عن طريقِ اليدِ إلى جَناه؛ والجارُ إلى هذا التاريخ ما آندفع جَورُه، ولا أُدرِكَ غَورُه؛ يَعِدُ لسانُه ما تُخلف يدُه، ويَدّعى يومه ما يكذّبه فيه غدُه؛ وأنا على آنتظار عواقب الجائرِين، وقد عرف الغيظُ منّى ألفاظا مجهولةً ما كنت أسمح بأن أعرفها، وكشَفَ مستورا من أسـباب الحَرَج ما يسرّنى أن أكشـفها ﴿لَا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ وأَسْوَأُ خُلقا مِن السيّء الخُلق مَن أَحوَجه إلى سوء الخُلق؛ وما ذكرتُ هــذا لِيُذكَر، ولا طويتُ الكتابَ عليه لِيُنشَر، والسرُّ عند سيّدنا ميتٌ وهو يَقضى حقّه بأن يُقبَر.

(١) فى الأصل : "يتوصى" بسقوط السين المهملة وتشديد الصاد؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من كتب اللغة .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى (ا) وقد أثبتناها عن (ب) . ليتم بها السجع الذى التزمه الكاتب فى أكثر رسالتــــه .

(٣) أقنيت فلانا، إذا أعطيته ما يقتنى .

وكتب : أدام الله أيامَ المجلس وخصه مِن لطفه بأوفر نصيب، ومنحه من السعادة كلّ عجيب وغريب، وأراه ما يكون عنه بعيدا ممـا يؤمّله أقربَ مِن كلّ قريب — الخادمُ يخدُم ويُنهِى وصولَ كتابٍ كريم تفجّرتْ فيه ينابيعُ البلاغه، وتبرعتْ [له](١) بالحكم أيدى البراعه؛ وجادَ منه بسماء مزينةٍ بزينـةِ الكواكب، وهطلَ منها لأوليائه كلُّ صَوبٍ ولأعدائه كلُّ شهابٍ واصب(٢)، وتجلّى فما الغِيدُ الكواعبُ، وما العقودُ فى التَّرائب، وتفرّق منـه جيشُ الهمّ فانظر ما تفعل الكتبُ فى الكتائب؛ وما وردَ إلا والقلب إلى موردِه شديدُ الظما، وما كُحِلَ به إلا ناظرهُ الذى عَشِىَ عن الهدى وقُرِّبَ من العمى؛ وما نار إبراهيم بأعظمَ مِن نورِه، ولا سرورُه — صلّى الله عليه وسلم — حين نجا أعظَمَ يومَ وصولِه مِن سرورِه؛ فحيّا الله هذه اليدَ الكريمةَ التى تَنهـلّ بالأنواء وتجزل سوابغَ النعماء، وتُعطِى أفضلَ عطاءٍ يسرّها فى القيامه، وتَحُوز به أفضلَ أنواع الكرامه؛ فأما شوقُه لعبده فالمولى — أبقاه الله — قد أُوتِىَ فصاحةَ لسان، وسحبَ ذيلَ العِىِّ على سَحبان؛ ولو أنّ للخادم لسـاناً مُوات(٣)، وقلبا يقال له هِى هات(٤)؛ لقال

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) كذا فى كلا الأصلين ومسالك الأبصار؛ ولعلـه : « ثاقب » فإنه يريد الإشارة الى قوله تعالى : ( الا من خطف الخطفـة فأتبعه شهاب ثاقب ) وأما الوصـف بالوصوب، أى الدوام واللزوم فقد ورد فى القرآن للعذاب لا للشهاب؛ قال تعالى : « ولهم عذاب واصب » .

(٣) كذا فى كلا الأصلين ومسالك الأبصار؛ والقواعد تقتضى إثبات يائه والوقوف عليه بالألف فيقال : « مواتيا » إلا أن السجع اقتضى أن يجرى الكاتب المنقوص المنصوب مجرى المرفوع والمجرور فى الإعراب فيسكن ياءه ويحذفها فى الوقف؛ وهى لغة لبعض العرب ومنه قول الشاعر :

* ولو أن واش باليمامة داره * الخ البيت . والأصح جواز ذلك فى غير الضرورة؛ ومنه قراءة جعفر الصادق : من أوسط ما تطعمون أهاليكم بإسكان الياء انظر حاشية الخضرى ج ١ ص ٦١ طبع بولاق .

(٤) قال أبو الهيثم : يقولون عند الإغراء بالشىء : « هى هى » فاذا بنوا منه فعلا قالوا : هييت به، أى أغريته .

ما عندَه، وأذكَرَ عهدَه وودّه؛ و باح بأشواقِه، وذمّ الزمنَ على آعتياقه؛ وأما تفضّلُه بكذا فالخادمُ ما يقوم بشكرِه، ولا يقدِّرُه حقَّ قدرِه؛ وقد أحالَ(١) مكافأةَ المجلس على ملِيءٍ(٢) قادر، ومَسرّة خاطرة عليه يوم تُبلَى السرائر؛ واللهُ تعالى يصِلُه برزقٍ سنيٍّ يملأ إناه، ويُوضِح هداه؛ ولا يُخلِي المجلسَ مِن جميلِ عوائدِه، و يمنحُه أفضلَ وأجزلَ فوائدِه إن شاء الله تعالى .

ومن مكاتباته يتشوّق الى إخوانه وأودّائه، ومحبّيه وأوليائه — كتب إلى بعضهم :

أأحبابَنا هل تَسمعون على النوى * تحيّـــةَ عانٍ أو شكـيّةَ عاتبِ
ولو حَملتْ ريحُ الشَّمال إليكـمُ * كلاما طَلبْنا مثـلَه فى الجنائبِ

أصدر العبد هـذه الخدمة وعنده شوقٌ يغُور به ويُنجِد، ويستغيث من ناره بمـاء الدمع فيجيب ويُنجِـد؛ ويتعلّل بالنسيم فيُغرِى نارَه بالإحراق، ويَرفع النواظرَ إلى السُّلوان فيعيدها الوجدُ فى قبضة الإطراق؛ أسفا على زمنٍ تَصرّم، ولم يُبقِ إلا وجدا تَضرّم، وقلبا فى يد البين المُشتِّ يَتظلّم

ليالىَ نحن فى غفلات عيش * كأنّ الدّهرَ عنّـا فى وَثاقِ

فلا تَنفّس خادمُه نفسا إلا وصّلَه بذكرِه، ولا أَجرَى كلاما إلا قيّده بشكرِه، ولا سار فى قفرٍ إلا شبّهه برحيب صدْرِه، ولا أَطلّ على جبل إلا آحتقره بعليّ قدرِه، ولا مرّ بروضةٍ إلا خالَها تفتّحت أزهارُها عن كريم خُلقِه ونسيم عطرِه، ولا أُوقدَ آلمصطَلون نارا إلا ظنّهم آقتبسوها من جمرِه، ولا نزل على نهرٍ إلا كاثَرَ دمعَه ببحرِه

(١) فى (أ) «جاءك» وهو تحريف لا يستقيم به المعنى. والإحالة بالدين: نقل من ذمة إلى ذمة أخرى، والاسم الحوالة بفتح الحاء .

(٢) الملىء والملىّ بتشديد الياء : الغنىّ القادر، أو هو الحسن القضاء للدين .

سقى الله تلك الدارَ عودةَ أهلها * فذلك أجدى من سحاب وقَطْرِه

لئن جَمعَ الشَّملَ المشتّتُ شملَه * فما بعدَها ذنبٌ يُعَدّ لدهرِه (١١٨ ا)

فكيف ترى أشواقه بعد عامه * اذا كان (١) هـذا شوقُه بعد شهرِه

بعيدٌ قريبٌ منكم بضميره * يراكم (٢) اذا ما لم تروه بفكرِه

ترحّل عنكم جسمُه دون قلبه * وفارقكم فى جهره دون سرّه

اذا ما خلتْ منكم مجالسُ ودّه * فقد عَمَرتْ منكم مجالسُ شكرِه

فياليل لا تُجلِبْ عليهم بظُلمة * وطلعةُ بدر الدين طلعةُ بدرِه

ونسأل الله تعالى أن يمنّ بقُربِه و رحابُ الآمال فسائح ، وركابُ الهموم طلائح والزمن المناظر (٣) بالقرب (٤) مسامح ؛ هنالك تُطلَق أعنّةُ الآمال الحوابس ، ويهتزّ مخضرّا من السعود عودٌ يابس

وما أنا من أن يجمعَ الله شملَنا * بأحسنِ ما كنّا عليه بآيِس

وقد كان الواجب تقديم عَتْبِه ، على تأخيرِ كُتْبِه ؛ ولكنه خاف أن يجنىَ ذنبا عظيما ويؤلمَ قلبا كريما

ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائلٍ (٥) * قليلٍ ولا راضٍ له بقليلِ

---

(١) كذا فى (ب) ومسالك الأبصار والذى فى ( ا ) «وان» وهو غير مستقيم .

(٢) فى كلا الأصلين : «يراد» ؛ وهو تحريف .

(٣) المناظر : المجادل .

(٤) بالقرب : متعلق بقوله : «مسامح» وقد ورد فى الشعر تعدية «سامح» بالباء ، قال الشاعر :

ولكن اذا ما جلّ خطب فسامحت * به النفس يوما كان للكره أذهبا

انظر اللسان .

(٥) البيت لكثير عزة الأغانى ج ١ ص ١٤٣ طبع دار الكتب المصرية .

وحاشى[1] جلاله من الإخلال بعهودِ الوفاء، ومن انحلال عقودِ الصفاء، وما عهدتُ عزمَه القويَّ فى حَلْبة الشوق إلا من الضعفاء، وحاشيةَ خُلُقه إلا أرقَّ مِن مدامع غُرَماء الجفاء

من لم يَبِتْ والبينُ يصدع قلبَه * لم يدرِ كيف تَقَلقُلُ الأحشاءِ

وكتب أيضا فى مثل ذلك : كتَبَ مملوكُ المولى الأجلّ عن شوقٍ قدَحَ الدمعَ من الجفون شرارا، وأَجرَى من سيل الماء نارا، واستطال واستطار فما تَوارَى أُوارا، ووجِد على تذكّر الأيام التى عَذُبتْ[2] قِصارا، والليالى التى طابت فكأنما خُلقتْ جميعُها أسحارا

وبى غَمرةٌ للشوق من بَعد غمرةٍ * أخوض بها ماء الجفون غِمارا
وما هى إلا سَكرةٌ بَعد سكرةٍ * اذا هى زالت لا تزال خُمارا
رحلتم وصبرى والشبابَ وموطنى * لقد رحلتْ أحبابُنا تتبارى
ومن لم تصافح عينُه نورَ شمسِه * فليس يرى حتى يَراه نهارا
سقى الله أرض الغُوطتين[3] مدامعى * وحسبكِ سُحْبا قد بعثتُ غزارا
وماخدعتْنى مصرُ عن طيبِ دارِها * ولا عوّضتْنى بعــد جارىَ جارا
أدارَ الصِّبا لا مِثلَ ربعك مَربعٌ * أرى غيرَك الربعَ الأنيس قفارا

---

(١) يقال : حاشاك وحاشى لك ، والمعنى واحد، كما فى الصحاح للجوهرى ؛ وحاشى : اسم على الصحيح مرادف للبراءة ، كما فى مغنى اللبيب فى الكلام على «حاشى» التنزيهية .

(٢) فى مسالك الأبصار : «التى ذهبت» .

(٣) المراد بالغوطتين هنا : أرض الغوطة ، وإنما ذكرها بالتثنية جريا على عادتهم من ذكر الواحد بلفظ المثنى ؛ والغوطة : هى الكورة التى منها دمشق، استدارتها ثمانية عشر ميلا، تحيط بها جبال عالية جدا ومياهها خارجة من تلك الجبال، وتمد فى الغوطة فى عدة أنهر فتسقى بساتينها وزروعها و يصب باقيها فى أجمة هناك وبحيرة .

فما اعتضتُ أهلا بعد أهلِك جيرةً * ولا خلتُ دار المُلك بعدَك دارا

وما ضرَّ اليدَ الكريمةَ التى أياديها بيض فى ظلمات الأيّام، وأفعالها لا يقوم بمدحها إلا ألسنةُ الأسنّةِ والأقلام؛ لو قامت للودّة بشرطِها، ومحت(١) خطَّ الأسى بخطِّها؛ وكَتبتْ ولو شطرَ سطرٍ ففرّغتْ قلبا من الهمّ مشحونا، وأطلقتْ صبرا فى يد الكمد مسجونا؛ ونزّهتْ ناظرَ المملوك فى رياضِ منثورةِ الحُلى، وحلّت عهودَه بمكارمَ مأثورةِ العُلا

وما كنت أرضى من علاك بذا الجفا * ولكنه من غاب غاب نصيبُه

ولو غيرُكم يرمى الفؤادَ بسهمه * لَما كان ممن قد أصاب يصيبُه

ومالىَ فيمن فوق الدهر أُسوةٌ * كأن محبّا ما نآه حبيبُه

والمملوكُ مذ حطّت مصر أثقاله، وجهّز الشامُ رحالَه؛ وألقت النوى عصاها وحلّت الأوبةُ عُراها؛ يكتب فلا يجاب، ويستكشف(٢) الهمَّ بالجواب فلا ينجاب

يا غائبا بلقائه وكتابه * هل يُرتجى من غَيبتيك إيابُ

ومتى يصفّى الله وردَ الحياة من التكدير، ويتحقّق بلقائه أحسنُ التقدير "وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ". (١١٩)

وزمانٍ مضى فما عُرِف الأوّ * لُ إلا بما جناه الأخيرُ

أين أيامُنا بظلّك والشـمـ * ـلُ جميعٌ والعيش غضٌّ نضيرُ

---

(١) فى كلا الأصلين : «ومضت» ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا ورد هذا الفعل فى الأصل بالسين والتاء ؛ ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أنه يقال : «استكشف الهم » مثلا ، بمعنى طلب أن ينكشف ويزول ، كما هو المراد هنا ؛ والذى وقفنا عليه انه يقال : « استكشف عنه » اذا سأل أن يكشف له عنه ؛ وهذا المعنى لا يناسب ما هنا .

وحوشى المولى أن يكون عونا على قلبه ، وأن يرحل إثره الرِّىُّ على سربه[(١)]، وأن ينسيَه بإغباب الكُتبِ ساعاتِ قربه، وأن يُحوجه الى إطلاق لسانه بما يصون السمعَ الكريمَ عنه من عَتبِه[(٢)]: الأخ فلان مخصوصٌ بسلام كما تفتّحتْ عن الورد كمائمُه، وكما توضّحتْ عن القَطر غمائمُه

اذا سار فى تُرْب[(٣)] تعرّف تُربُها * بريّاه والتفّتْ عليها لطائمُه[(٤)]

وقد تَبِع الخُلُقَ الكريمَ فى الإغباب والجفوه، وأعْدَتْ عزائمُه قلبَه فاستويا فى الغِلظة والقسوه

ان كنت أنت مُفارقى * من أين لى فى الناس أُسوه

وهبْ أن المولى آشتغل — لا زال شغلُه بمَسارّه، وزمنُه مقصورا على أوطارِه — فما الذى شغله عن خليله، وأغفَله عن تداُرك غليله؟ هذا وعلائقُه قد تقطّعت وعوائقُه قد آرتفعت، وروضةُ هواه قد صارت بعد الغضارة هشيما، وعهودُه قد عادت بعد الغضاضة رميما

إن عهدا لو تعلمان ذميما * أن تناما عن مقلتى أو تُنيما

وما أَولى المولى أن يواصل بكتبِه عبدَه، ويجعل ذكرَه عقدَه، ولا ينساه ويألفَ بُعدَه، ويستبدل غيرَه بعدَه .

## وكتب أيضا :

أكذا كلُّ غائبٍ * غاب عمّن يحبُّه
غاب عنه بشخصِه * وسَلا عنه قلبُه

(١) لعله : «عن شربه» ؛ والشرب بفتح الشين المعجمة وسكون الراء : الجماعة يشربون .
(٢) فى (أ) : «غيبه» ؛ وهو تحريف .
(٣) الترب : جمع ترباء، وهى الأرض ذات التراب. وهذا الجمع مطرد فى فعلاء مؤنث أفعل وفى مذكره.
(٤) اللطائم : جمع لطيمة، وهى المسك .

ولو أن لى يدا تكتب، او لسانا يُسْهِب، أو خاطرا يَستهِلّ ، أو فؤادا يَستدِلّ، لوصفتُ إليه شوقا إن آستمسك بالجفون نثرَ عقدَها ، أو نزل بالجوانح أسعر وقْدَها، أو تنفّس مشتاقٌ أعان على نَفَسه ، وظنّه آستعاره من قبَسه ، أو ذكَرَ محبٌّ حبيبا خالَه خطَر فى خَلَدِه، وتفادَى من أن يَخطُر به ذكرُ جَلَدِه

حتى كأنّ حبيبا قَبـل فرقتِـه * لا عن أحبّتِـه ينأى ولا بلدِه

بالله لا ترحموا قلبي و إن بلغتْ * به الهمومُ فهذا ما جنى بيدِه

ولولا رجاؤه أنّ أوقاتَ الفراق سحابةُ صيف تَقشّعها الرياح ، وزيارةَ طيف يَخلَعها الصباح ؛ لآستطار فؤادُه كمدا ، ولم يجد ليوم مسرّته أمدا ؛ ولكنه يَتعلّل بميعاد لقياه، ويدافع ما أَعَلّه بلعلّه أو عساه

غِنًى فى يد الأحلام لا أستفيدُه * ودَينٌ على الأيّام لا أتقاضـاهُ

ومن غرائبِ هـذه الفُرقه ، وعوارض هـذه الشُّقّه ؛ أنّ مولاى قد بخِـل بكتّابه وهو الذى يداوِى به أخوه غليـلَ آكتئابِه ، ويَستعديه على طارق الهمّ إذا لجّ فى انتيـابِه

كمِثل يعقوبَ ضلّ يوسفَه * فاعتاض عنـه بشم أثوابِه

وهبْ أنّ فلانا عاقه عن الكتب عائق، وآختَدع ناظرَه كمن هو فى ناضِر عيش رائق؛ فما الذى عرض لمولانا حتى صار جوهرُ ودّه عرَضا، وجعَل قلبي لسهام إعراضه غرَضا ؟

بى منه ما لو بدا للشمس ماطلعت * من المكاره أو للبرق ما ومضـا(١)

وما عهدتُه ــ أدام الله سعادته ــ إلا وقد آستراحت عواذلُه ، وعُرِّى به(٢) أفراسُ

---

(١) البيت لأبى العلاء المعرى (سقط الزند) .

(٢) لعله : «منه» ؛ يشير بهذه العبارة الى قول زهير بن أبى سلمى :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله * وعرى أفراس الصبا ورواحله

الصِّبا ورواحلُه ؛ إلا أن يكون قد عاد إلى تلك اللُّجج، ومرِض قلبه فما على المريض حرَج ؛ وأيًّا[(١)] ما كان ففى فؤادى اليــه سريرةُ شوقٍ لا أُذيعها ولا أضيعها ، ونفسى أسيرةُ غُلّةٍ لا أُطيقها بل أُطيعها

وانى لمشتاق اليــك وعاتبٌ * عليك ولكن عَتْبة لا أُذيعُها

والأخ النِّظام — أدامَ الله آنتظام السـعد ببقائه ، وأعدانى على الوجد بلقائه — (١٢٠) مخصوصٌ بالتحية إثرَ التحيّة، وَوَالْمُنى على تلك السجيّة السخيّة ؛ وردتُ منها البابلىَّ معتّقا، وظَلْتُ مِن أسرِ الهموم بلقائها معتَقا

خلائق إما ماءُ مُزنٍ بشُهْدة * أغادَى بها أو ماءُ كَرْمٍ مصفَّقا[(٢)]

وقد آجتمعتْ آراء الجماعة على هجرانى، ونسُوا كلَّ عهدٍ غيرَ عهد نسيانى

وما كنتمُ تعرفون الجفا * فبالله ممَّن تعلّمـــتمُ.

وكتب أيضا : إنْ أخَذ العبدُ — أطال الله بقاء المجلس وثبّت رفعتَــه وبسَطَ بسطتَه، ومكّن قدرتَه، وكَبَتَ حسَدتَه — فى وصفِ أشواقه إلى الأيام التى كانت قصــارا وأعادت الأيامَ بعــدها طوالا، والليالى التى جمعتْ من أنوار وجهه شموسا ومن رغدِ العيش فى دارِه ظلالا

وَجدتُ آصطبارى بعدهنّ سفاهةً * وأبصرتُ رشدى بعدهنّ ضلالا

وإنْ أخَذ فى ذكرِ ما ينطق به لســانُه من وَلاءٍ صريح ، ويَعتقِــده جَنانُه من من ثناءٍ فصيح[(٣)]

(١) فى كلا الأصلين : «وأنى ما كان» ؛ وهو تحريف .

(٢) مصفقا ، نصب على الحال من "ماء" وهو من صفقت الشراب اذا حوّلته من إناء الى إناء آخر ليصفو .

(٣) الظاهر أن فى هذه الجملة والتى قبلها تقديما وتأخيرا فى بعض ألفاظهما ؛ ولعل الأصل فيهما هكذا : «ما ينطق به لسانه من ثناء فصيح ، ويعتقده جنانه من ولاء صريح» فان الثناء محــلّه اللسان ؛ والولاء ، وهو المحبة ، محله القلب .

تَعاطَى مَنالا لا يُنال بعزمه * وكلُّ اعتزامٍ عن مداه طليحُ

ولكنه يعدل عن هذين إلى الدعاء بأن يبقيه الله للإسلام صدرا، وفى سماء الملّة بدرا، وفى ظلماتِ الحوادث فجرا، وأن يَجمعَ الشَّملَ بمجلسه وعِراصُ الآمال مطلوله (١) وسهامُ القُربِ على نحور البعد مدلوله، وعقودُ النوى بيَدِ اللقاء محلوله؛ "وَمَا ذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ".

(٢)
فقد يجمع الله الشَّتِيتَين بعد ما * يظنّان كلّ الظنّ أن لا تلاقيا

وما رمت به النوى مراميَها، ولا سلكتْ به الغربةُ مواميَها (٣)، إلا استنجد شوقُه من الجفون هاميا، واستدعى من الزَّفْرة ما يُعيد مَسلكَه من الجوانح داميا، وصدَرَ عن مَنهل الماء العذبِ النمير ظاميا، وتَعلّل بالأمانى فى الاجتماع "وآخِر ما يبقى (٤) الإياس الأمانيا (٥)" والسلوةُ أن الطريقَ بحمد الله أسفرتْ (٦) عن فضل اجتهاده، وفضيلةِ جهادِه، ونُصرةِ الإسلام، وإعلاءِ الأعلام، وخدمةِ المجلس الفلانى — أعزّ الله نصرَه، وأسعَد بها جَدَّه، وبلغ بها قصدَه، وأمضَى فى الكفر حدَّه، وأورَى بها للإسلام قَدْحا، وشَرُفتْ حديثا وشرحا، وأجهدت الأعداء إثخانا (٧) وجرحا

---

(١) المطلولة: التى نزل عليها الطل.

(٢) البيت لقيس بن الملوح، وهو المعروف بالمجنون.

(٣) الموامى: جمع موماة، وهى المفازة من الأرض.

(٤) فى (ب) «ولا ضرما يبق» الخ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى.

(٥) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصول منصوبا؛ ولم يتضح لنا وجه نصبه فان القواعد تقتضى رفعه اذ هو خبر المبتدإ وهو قوله: «وآخر».

(٦) أسفرت بالهمز: تكشفت؛ وهو مستعار من قولهم: أسفر الصبح، أى انكشف وأضاء إضاءة لا يشك فيه، كما فى اللسان (ج ٦ ص ٣٦).

(٧) الإثخان: المبالغة فى القتل.

وأَبْقِ بها فى جبهة الدهر أسطرا * اذاما ٱمّحى خطُّ الكواكب لاتُمحى

اذا جاء نصرُ ٱلله فالفتحُ بَعـــدَه * وقـد جاء نصرُ الله فليَرقب ٱلفتحا

فأما الخادمُ فيودّ ألّا يزالَ لشرف محصِّلا ، ولتلك اليدِ الكريمةِ مقبِّلا ، وللغُرّةِ المتهلّلة كالصباح مستقبِلا

محيًّـا اذا حيّاك منـه بنظـرةٍ * فتحتَ به بابا من اللطف مُقفَلا

ويرى أن خير أوقاته ما كان فيــه بالحاشية الفلانيّــة مكاثِرا، وتحت ظلال ألويتها سـائرا

فثَمّ ترى معنى السعادة ظاهرا * وثَمّ ترى حزبَ الهداية ظاهرا

والخادم يؤثر من المجلس المواصَلةَ بالمراسم(١) [ التى يعُـدّ أيامَها(٢) من المواسم ]، ويقابل بهـا أوجهَ المَسارّ طَلقــةَ المباسم، ويرتقبها ٱرتقابَ الصُّوام للأهلّة، والرُّوّادِ لمواقع السحائبِ المنهلّة .

وكتب عن الملك الناصر صلاح الدين الى تقى الدين بن عبد الملك:

سقى الله أرضَ الغُوطتين وأهلَهـا * فلى بجنوب الغُوطتين جنونُ

وما ذكرتُهـا النفسُ إلا اسـتفزّنى * الى طيبِ ماء النَّيرَبين(٣) حنينُ

وقد كان شكّى فى الفراق مروِّعى * فكيف أكونُ اليـوم وهو يقينُ

(١) المراسم والمراسيم : المكاتيب .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى ( أ ) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٣) المراد بالنيربين قرية نيرب ، وانما ذكرها الشاعر بالتثنية جريا على عادتهم من ذكر المفرد بلفظ المثنى ؛ وهذه القرية بدمشق على نصف فرسخ فى وسط البساتين وذكر ياقوت أنهـا أنزه موضع رآه ؛ وهذا الشعر لأبى المطاع وجيــه الدولة بن حمدان كما فى معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٨٥٥ طبع جوتنجن . وفى ( أ ) "النيرتين"؛ وفى (ب) : « النيرين » ؛ وهو تصحيف فى كلتيهما .

كم جَهْدِ ما تُسلّى القلوب ، وتُسرَّى[(١)] الكُروب ؛ لا سيّما إذا كان الذى فارقته أعلقَ بالأكباد من خِلْبها[(٢)]، وأقربَ الى القلوب من حُجُبها ؛ وهل يُستروح إلا أن يُفَضَّ ختامَ الدمع ، ويُخترقَ حجابَ السمع ، ويستغيثَ بسماء العيون ذاتِ الرَّجْع[(٣)]، لتجودَ أرضَ الخواطر ذاتَ الصدع ؛ وهنالك أوفَى ما يكون الشوقُ جندا ، وأورَى ما يُورِى الوجدُ زندا (١٢١)

إلى زفرةٍ أو عَبرةٍ مستباحةٍ * لهذى مَراحٌ عنده ولذى مَغدَى

وقد علم الله أنّى مذ فارقتُه مادعانى الذكرُ إلا لبّيتُه بجوابٍ من ماء الغليل غيرِ قليل ولا ذكرتُ خُلقَه الجميلَ إلا ورأيت الصبرَ الجميلَ غيرَ جميل

وغيرُ كُثيرٍ فيه وجدُ كُثيّرٍ * ولوعةُ قيس والتياحُ[(٤)] جميلِ
أهيم برسمٍ فيك للجدِ واضحٍ * وهاموا برسمٍ للغرام مُحيلِ[(٥)]

وقد كتبتُ اليه حتى كاد يشيب له المداد، لو لم يَخلع عليه الناظرُ حلّةَ السواد وحبّةَ الفؤاد ، فما رَدّ[(٦)] ، وجارَ عن خُلقه الكريم فإنه قطّ ما وَدّ وصَدّ ؛ وأُوثِرُ منه ألّا يحكّم الفراقَ علىّ فيَشتطّ ، ولا يمكّنَ اللوعةَ من مهجتى فتَخبِط[(٧)]

يجُدْ لى بدرٍّ من بحارك إننى * من الدمع فى بحرٍ وليس له شطّ

---

(١) تسرى بتشديد الراء : تنكشف .
(٢) الخلب بكسر الخاء : حجاب الكبد .
(٣) الرجع بفتح الراء : المطر بعد المطر .
(٤) الالتياح فى الأصل : العطش ، والمراد هنا شدّة الهيام والشوق . والذى فى الأصول : «وارتياح» ؛ وهو تحريف .
(٥) المحيل : الذى مضى عليه حول .
(٦) فى الأصول : «ما رد» بالراء؛ وهو تحريف .
(٧) يقال : هو يخبط فى عمياء اذا ركب ما ركب بجهالة .

بكفٍّ بها للحرب والسـلم آيةٌ * فيُحيِي لديها الخطُّ أو يَقتُل الخطُّ[(1)]

ونسأل الله الرغبـة فى اجتماع لا يكدر وِردُه ، ولا يُنثَر عِقدُه ، ولا يعزُب عن آفاق الوفاق سعدُه

وما كان حُكمى أن أفارقَ أرضَكم * ولكنّ حُكمَ الله لسـنا نردُّه

وكتب عنه أيضا إلى عز الدين فَرّوخ شاه[(2)] :

أحبابَنا لو رُزِقتُ الصبرَ بَعدكُم * لَما رضيتُ به عن قربكم عِوَضا

إنى لأَعجب أنّى بَعـد فرقتكم * ما صحّ جسمىَ إلا زادنى مَرَضا

أُنبيكُم عن يقينٍ أنّ قلبىَ لو * أضحى مكانَ جناحَىْ طائرٍ نَهَضا

هـذا ولو أنّه بالعهـد فيك وفَى * لكان حين قضى الله الفراق قضى

كتبتُ ـ أطال الله بقاء المولى الولَدِ ـ عن قَريحةٍ قَريحه[(3)] ، وإنسانِ مقلةٍ جَريح فى جَريحه ، ولوعةٍ صريحه ، وذِكرةٍ اذا ذُكِر الصبرُ كانت طَريحه

وليـلٍ بطىءِ طلوعِ الصبا * حِ شوقا الى القَسَماتِ الصَّبيحه[(4)]

أَبحتَ فؤادى وأنت المُبـاحُ[(5)] * وما كان مِن حقّه أن تُبيحَه

وما أَصحبَتْ[(6)] فى قتال العـذول * أعِنّـةُ قلبٍ عليهم جَموحَه

(١) فى (١) : «يقبل» بياء موحدة ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا فى وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٠ طبع بولاق ؛ والذى فى كلا الأصلين : «فرخشاه» بدون واو .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من (أ) وقد أثبتناها عن (ب) إذ السياق يقتضيها .

(٤) القسمات : واحده قسمة بكسر السين وفتحها وهى الحسن ، أو أعلى الوجه ، أو ظاهر الخدين .

(٥) وأنت «المباح» ، أى أنت الفؤاد الذى أبحته .

(٦) أصحبت : انقادت بعد صعوبة .

مُعنًّى بريح شمالِ الشآم * لقد عذّب الله بالريح رُوحَه
فلا رَوْح الله من قربكم * فؤادى بخطرةِ يأسٍ مُريحَه

ولولا التعلّلُ بأبنيةِ المنى الخادعه ، والنزولُ بأفنيةِ الأُسا[1] الواسعه ؛ لتصدّعتْ أكبادٌ وتفطّرتْ ، وتجدّلتْ[2] أفراسُ دموعٍ وتقطّرتْ[2]

يا صاحبى إنّ الدموع تنفّستْ * فدَعِ الدموعَ تبيح ما قد أضمرَتْ
قد كنتُ أكتم عن وشاتى سرَّها * ولقد جرى طرْفُ الحديث كما جرَتْ
لله ليلاتٌ قَرَنَّ نجومَها * بل بدرَها بوجوهِ عيشٍ أقمرَتْ
أَغلتْ على السُّلوان شوقَكُم فما * باعت كما أمرِ الغرامُ مَن اشترَتْ

ومذ فارقتُ تلك الغرّةَ البدريّه ، والطلعةَ العزيزةَ العِزّيه ؛ ما ظفرتُ بشخصِه نوما ولا بكتابِه يوما

* فواعجبًا حتى ولا الطيفُ طارقا * !

وأَعجِبْ له[3] فى الحرب تركُ كتائبٍ * بكفٍّ أبتّ[4] فى السِّلم نظمَ كتابِ
يحاسبنى فى لفظةٍ بعد لفظةٍ * ومعروفُه يأتى بغير حسابِ

ولو رضيتُ — وكَلّا — بأن أحملَ من هذا الجفاء كَلّا ؛ لما رضِىَ به لخُلُقه (١٣٢) الرَّضِىّ ، ولأخذ بقول الرَّضِىّ :

---

(١) الأسا بكسر الهمزة وتضم : جمع إسوة ، بالكسر والضم أيضا ، وهى ما يأتسى به الحزين .

(٢) تجدلت : من جدله بتشديد الدال وتخفيفها ، أى صرعه على الجدالة بفتح الجيم ؛ وهى الأرض . وتقطرت : من قطره ، اذا ألقاه على أحد قطريه ، وهما جانباه .

(٣) كذا فى كلا الأصلين ومسالك الأبصار ؛ وفى هذا البيت حذف المتعجب منه ، والأصل : «وأعجب به له» الخ والذى يفهم من حاشية الصبان على شرح الأشمونى ج ٣ ص ١٨ س ٢٧ أن ذلك الحذف سائغ لا شذوذ فيه ، إذ المدار على أن يدل عليه دليل .

(٤) فى كلا الأصلين : «أنت» بالتاء المثناة ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما فى مسالك الأبصار ؛ ويدل عليه سياق ما قبله وما بعده .

هبونى أرضَى[١] فى الإياس بهجركم * أترضَى لمن يرجوك ما دون وصلِه

والرغبةُ مصروفةُ العِنانِ إلى الله أن يُبيح من اللقاء مَنيعا ، و ينتجَ من اللّطف صنيعا

لو تأخذون بساعةٍ * من وصلِكم عُمرى جميعا
لرغبتُ فى أن تشترى * ان كنتَ تَرضَى أن تبيعا
ومفـارِقين مع الصِّبـا * عزماً[٢] فهل أرجو الطلوعا[٣]
أقسمتُ لو رجعوا لأعـ * ـقبَنِى الصِّبا معهم رجوعا
هبْـكم منَعتم [قُربَكم][٤] * ولبِستُم بُعْـدا مَنوعا
أفتَمنعون بكم ضلو * عا قد شُـفِين بكم وَلُوعا[٥]
ما غايتى إلا الدمـو * عُ وأستقِلّ لك الدموعا

وكتب [أيضا رحمه الله تعالى][٦] يتشوق :

فيارب إن البين أَنحتْ صروفُه * علىّ وما لى من معينٍ فكن معى
على قربِ عذّالى و بعـدِ أحبّتى * وأمواهِ أجفـانى ونيرانِ أضلعى

هذه تحيّةُ القلب المعذّب، وسريرةُ الصبرِ المذبذَب، وظلامةُ عزمِ السلوِّ المكذَّب؛ أصدرتُها إلى المجلس وقد وَقدتْ فى الحشى نارُها، الزَّفيرُ أُوارُها، والدموعُ شرارُها، والشوقُ أثارَها وفى الفؤاد ثارُها :

(١) لم يرد هذا البيت فى ديوان الشريف الرضى الموجود بين أيدينا .

(٢) لعله رغما بالراء المهملة والغين المعجمة .

(٣) كذا وردت هذه العبارة فى كلا الأصلين ؛ ولم يتضح لنا معناها ؛ ولعل الصواب : « فهل يرحوا الضلوعا » .

(٤) لم يرد هذا اللفظ فى (أ) وقد أثبتناه عن (ب) اذ لا يستقيم البيت بدونه .

(٥) ولوعا مفعول ثان لقوله : « تمنعون » ؛ يقول : أفتمنعون الضلوع ولوعا بكم وشـوقا اليكم وقد شفيت بقربكم فيما سلف .

(٦) لم ترد هذه العبارة فى (أ) .

لو زارني منكم خيــالٌ هاجرٌ * لَهَـــدتْه في ظُلُماته أنوارُها

أسفًا على أيّام الاجتماع التي كانت مَواسمَ لسرور الأسرارِ، ومَباسمَ لثغورِ الأوطار، وتذكّرا لأوقاتٍ عَذُبَ مَذاقُها، وعَذّبَ فراقُها (١)، وروّحتْ بُكَرُها، وروّعتْ ذِكَرُها

والله ما نسيتْ نفسي حلاوتَهـا * فكيف أذكر أنّي اليوم أذكُرها

ومذ فارقتُ الجنابَ النُّوريّ (٢) — لا زال جَنَى جنابِه نضيرا، وسنا سنائه مستطيرا، وملكُه في الخافِقَين خافق الأعلام، وعزُّه على الجديدَين جديدَ الأيام، لم أقفْ منه على كتاب يَخلُف سوادُ سطورِه ما غَسَل الدمعُ من سواد ناظرِي، ويقْـدم (٣) ببياضِ منظومِه ومنثورِه ما وزّعه (٤) البينُ من سواد خاطرِي

ولم يَبقَ في الأحشاء إلا صُبابةٌ (٥) * من الصبر تَجري في الدموع البوادرِ

وأسأله المَناب (٦) بشريف الجناب، وأداءَ فرض، تقبيلِ الأرض، حيث تَلتقِي وفودُ

---

(١) في كلا الأصلين: «مراقها» بالميم؛ وهو تحريف.

(٢) السناء بالمد: الرفعة وعلو المنزلة؛ يقال منه: أسناه اذا رفعه.

(٣) كذا في صبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٥ والذي في كتاب الفاضل من كلام القاضي الفاضل المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٨٨٨ أدب "ويغرم" بالغين المعجمة والراء. وفي كلا الأصلين: "ويعزم بياض" الخ بالعين المهملة والزاى المعجمة؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى.

(٤) المراد بالسواد هنا، العدد الكثير، كما يفهم من سياق العبارة.

(٥) الصبابة بضم الصاد: «البقية».

(٦) كذا في (ب) وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٥؛ والمناب مصدر ميمي من النوب، أي أن ينوب عنه، كما يدل عليه سياق ما بعده. والذي في (أ): "المتاب" بالتاء المثناة، والمعنى عليه غير ظاهر.

الدنيا والآخره ، وتَغمُر البيوتَ العامرةَ المنَنُ الغامره ، ويظَلّ الظلُّ غيرَ منسوخٍ بهجيره ، ويُنشَر المجد بشخص لا تسمح الدنيا بنظيره

تَظاهَر فى الدنيا بأشرفِ ظاهرٍ * فلَم يُرَ أنقَى منــــه غيرَ ضميــــره
كفانىَ عزًّا أن أسمَّى بعبـــدِه * وحسبىَ هَـــدْيا أن أسير بنورِه
فأىُّ أمـــيرٍ ليس يشرف قدرُه * إذا ما دعاه صادقا بأمــــيرِه

وإننى فى السؤال بكتبه أن يوصلها ليوصل بهـا لدى تهانئَ تَملأُ يدِى ، ويُودِعَ بها عندى مسَرّةً تقتدح فى الشكر زَنْدِى

عهدتُك ذا عهدٍ هو الوَردُ نَضرةً * وما هو مِثلُ الوردِ فى قصر العهدِ

وأنا أرتقِب كتابه ارتقابَ الهلال لفطر عين عن الكرى صائمه ، وتَرِدَ نفسٌ على موارد المـاء حائمه .

وكتب أيضا يتشوّق :

لا عَتْبَ أخشاه لقطــعِ كتابِكم * وأسمحْ فعذرى بعده لا يُعتَبُ
مهما وجدتُك فى الضمير ممثَّلا * أبدا تُناجينى إلى مَن أكتبُ

كَتَبَ عبدُ حضرة مولاه — حرس الله سموَّه (١) ، وأدام مزيدَ علائه ونموَّه ، وقَرَنَ بالمَسارّ رواحَه وغدوَّه ، وكَبَت حاسدَه وأهلَك عدوَّه — عن سلامة ما استثنى فيها الدهرُ إلا ألمَ فراقِه ، وعافيةٍ موصولةٍ بمرضِ قلبٍ لا أرجو موعدَ إفراقِه (٢)

لو لم يكن إنسانُ عيــنِى سابحا * لخشيتُ حين بكَيتُ مِن إغراقِه

---

(١) فى (أ) : « وسموه » بالسين المهملة ؛ وهو تحريف .

(٢) إفراق المريض : برؤه وإقباله .

وعندى اليه وجدٌ[١] يكْلُمُ الضلوع ، ويتكلّم بألسنة الدموع ؛ والنفسُ قريبةُ آستعبار، لذكرِ أوقات السرور القِصار، وأنوارِها التى يكاد سنا برقِها يخطَف[٢] الأبصار .

شهورٌ ينقضين وما شَعَرنا * بأنصافٍ لهنّ ولا سِرارِ[٣]

(١٣٣)

إذ العيشُ غضٌّ وَرِيق ، والمهجُ لم يتقسّمْها التفريق ، ولا سار منها إلى بلدٍ فريقٌ وبقِىَ فى بلدٍ فَرِيق، ولا سقاها كؤوسَ وجدٍ للجفونِ المترَعة تُريق

ثَمِلتُ منها وما لى * سوى الغرامِ رَحِيق

وإلى الله الشكوى من شوقٍ فى الصّميم، وصبرٍ راحلٍ وغرامٍ لا يَرِيم، كأنّه غريم

زعموا أنّ مَن تَباعَد يسلو * لا ومُحيِي العظامِ وهى رميمُ

ولقد آستغرب وُصولَ الرفاقِ وقد صَفِرتْ مِن كتابِه الكريمِ عيابُهم، ولو زاره لَعدّه تحفةَ الخصيصِ بالتخصيص[٤]، وأدرَك به بُغْيةَ الحريص، ورأى للدّهرِ المذنبِ مزيّةَ التمحيص، وصالَ به على نوائبِ الأيامِ المتنابةِ صولةً لا يجدُ عنها من محيص

وحسِبتُنى لِوصــولِه * يعقوبَ بُشِّر بالقميص

(١) كذا فى كلا الأصلين؛ولم نقف فيا لدينا من كتب اللغة على أنه يقال : "وجد اليه"؛ والذى يقال : "وجد به" ؛ ولعله أراد بالوجد هنا معنى التشوق، فسوّغ له ذلك ذكر «إلى» مكان الباء .

(٢) فى كلا الأصلين : « بالأبصار » ؛ والباء زيادة من الناسخ ؛ أو لعل أصل العبارة : «يذهب» بدل « يخطف » وإذن فتثبت الباء؛ فان الكاتب يشير الى قوله تعالى فى سورة النور : « يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » .

(٣) السرار بفتح السين وكسرها : الليلة التى يستسر فيها الهلال آخر الشهر؛ ونقل عن الأزهرى أن كسر السين فيها لغة ليست بجيدة عند اللغويين .

(٤) المراد بالخصيص ، من خصصته بودّك؛ وقد راجعنا كتب اللغة التى بين أيدينا مادة (خصص) فلم نقف على هـذه الصيغة بهذا المعنى غير أننا وجدنا آستعمالها شائعا فى بعض كتب الأدب كمعجم الأدباء لياقوت، فقد قال فى ج ٥ ص ١٥٢ عن أبى الفرج الأصفهانى مانصه : «وكان أبو الفرج الأصفهانى صاحب كتاب الأغانى من ندماء الوزير أبى محمد الخصيصين به» الخ .

هنالك يَرتع فى تلك الرياض التى غصونُها أسطارُها، وشكلُها أطيارُها، وألفاظُها نُوّارُها، ومعانيها ثمارُها، وبلاغتُها أنهارُها، وجزالتُها تيّارُها

إن أظلمتْ للنفسِ فيها ليلةٌ * قمرُ المعانى عنـدنا سمسارُها (١)

ويتلقّاه قَبل يده بقلبه، ويكاد يسبق ضميره إلى أكله وشربه

ويظنّه والطرفُ معقودٌ به * شخصَ الرقيبِ (٢) بدا لعين محبّه

وإذا ضنّ مولاه بمأثوره، جاد عليه بميسوره؛ ... (٣)

فكأنّنى أهـديتُ للشمسِ السّنا * وطرحتُ مابينَ المصاحفِ دفترا

وعلى كلّ حالٍ فيسأله أن يواصلَه من مَراسمه بما ينتظره ناظرُه ليجد نورا، وقلبُه ليستشعر به سرورا، وخاطرُه ليجعله بينه وبين الهمّ سُورا؛ وألّا يخلى رُفقةً من كتابٍ ولو بالقلائد القلائلِ من دررِ أقلامه، ودراريِّ كلامه .

وكتب : لو آستعار الخادمُ — أدام الله نعمةَ المجلس — أنفاسَ البَشَر كلاما، وأغصانَ الشجر أقلاما؛ وبياضَ النهار أطراسا، وسوادَ الليـل أنقاسا (٤)؛ ما عبّر عن الوجد الذى عبّرتْ عنه عَبَراتُه، ولا عن الشوق الذى لا يستثير مثلَه مَعبدًا (٥)

---

(١) المراد بالسمسار هنا، الدليل والهادى . وأصل معناه : المتوسط بين البائع والمشترى، أو هو السفير بين المحبين انظر القاموس .

(٢) كذا فى كلا الأصلين . ولعله : «الحبيب»، فان تشبيه كتابه بشخص الرقيب غير مناسب لما أراده من الآستبشار به، والتّهلل لوروده؛ ويدل على ذلك أيضا قوله : "لعين محبه"؛ ولم نقف على هذا البيت فيما لدينا من المظان .

(٣) الظاهر أن هنا كلاما سقط من الناسخ إذ لا مناسبة بين معنى البيت وبين ما سبقه من الكلام؛ ولم نقف على هذه الرسالة فيما راجعناه من المظان .

(٤) أنقاس : جمع نقس بكسر النون، وهو المداد .

(٥) هو أبو عباد معبد بن وهب؛ وقيل : ابن قطنى مولى ابن قطر؛ مغنّ معروف غنى فى أول دولة بنى أمية ومات فى أيام الوليد بن يزيد الأغانى ج ١ ص ٣٦ طبع دار الكتب .

إذا هَزِجتْ (١) فى الثقيل الأوّل نَبراتُه (٢)؛ أسفا على ما عَدِمه فى هذه الطريق، من ذلك المحيّا الطّليق، والخُلُقِ الذى هو بكل مَكْرُمَـةٍ خليق، والصفاتِ التى يَحسُن بها كلُّ حُسنٍ ويليق، ويُعذَر كلُّ جفنٍ يَسفَح ذخيرتَه شوقا إليها ويُرِيق

قِفا أوخذا فى العذْل أىَّ طريقِ * فما أنا مِن سكرِ الهوى بمُفِيقِ
أما والهـوى إنّ الهوى لألِيَّةٌ * يعظِّمُها فى الحبِّ كلُّ مَشُوقِ
لو آنّ الهوى ممـا تصحّ هِباتُه * لقاسمتُ منه قلبَ كلِّ صديقِ

وما زار ناظرَ خادمِه الكرى إلا تمثّـل له مولاه طيفا يَهُمّ أن يتعلّق بأذياله، وقَبِـلَ تمويهَ ناظرِه على قلبِه فى وصالِه

وَوَدَّ أن سـوادَ الليل مُدَّ له (٣) * وزاد فيه سوادَ القلبِ والبصرِ

ولقد وَجَد طعمَ الحياة لِبعدِه مرّا، وقال بعدَه للذّتَى آلعين والقلب : مُرّا

وها هو يرجو فى غدٍ [وعدِ] (٤) يومِه * لعـلّ غدا يأبى (٥) لمنتظرٍ عـذرا

وإلى الله سبحانه وتعـالى يَرغب أن يجعلَه بالسـلامة مكنوفا (٦)، وصَرْفَ الحِدْثان عن ساحتِه مكفوفا، وعنانَ الصُّروف عن فِنائه مصروفا، ووُفودَ الرجاء على أرجائه عُكوفا؛ وأن يُمتِـع الوجهَ (٧) بوصفه الذى هو أشرفُ مِن كلِّ وجهٍ موصوفا

---

(١) يقال : هزِج المغنى بكسر الزاى المعجمة وهزّج بتشديدها، اذا طرّب بتشديد الراء وترنّم؛ والذى فى كلا الأصلين : «رجحت»؛ وفيه قلب وتصحيف .

(٢) كذا فى (ب) والذى فى (أ) «مراته»؛ وهو تحريف .

(٣) فى كلا الأصلين : "السمع"؛ وهو غير مستقيم؛ والتصويب عن سقط الزند، والبيت لأبى العلاء المعرى

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى (أ) ولا يستقيم البيت بدونها .

(٥) فى الأصول : «يأتى»؛ وهو تحريف .

(٦) فى (أ) : «مكنوفا» بالنون؛ وهو تحريف .

(٧) فى كلا الأصلين : «الوجد» بالدال؛ وهو تحريف .

مَن كان يُشرِك فى علاك فإنّنى * وجّهتُ وجهى نحوهنّ حنيفا

وقد كان يَنتظر(١) كتابا يشرّفه ويشنّفه، ويستخدمه على الأوامر ويصرّفه؛ ويجتنى ثمر السرور غضّ المَكاسر ويقتطفه؛ فتأخّر ولم يُحدِث له التأخيرُ ظنّا، ولا صرفه [عن] أن يعتقد أنّ مولاه لا تُحدث له الأيامُ بخلا بفضله ولا ضنّا

ولو تُصرَف السحْبُ الغزارُ عن الثّرى * لمــا انصرفتْ عن طبعك الشّيمُ الحُسنى

وهو يَنتظرُ من الأمر والنهي ما يكون عملُه بحسبه، ويثبت له عهد الخدّام بنسَبه (١٢٤)

ومِن عَجَبٍ أنّى أحِنّ إليهمُ * وأسألُ عنهم مَن أرى وهمُ معى

وتَطلبُهم عينى وهُم فى سوادِها * ويشتاقهم قلبى وهُم بين أضلعى.

وكتب أيضا : كتبتُ والعبَراتُ تمحو السطور، ويُوقد ماؤها نارَ الصدور ويَهتِكُ(٢) وجدا كان تحت السّتور، ويُرسِل من بين أضلعى نَفَس المَوْتور

قد ذكَرْنا عهودكم بعـد ما طا * لت ليالٍ من بعــدِها وشهورُ

عَجَبًا للقــلوبِ كيف أطاقتْ * بُعدكم! ما القلوبُ إلّا صخــورُ

وما وردتُ المــاءَ إلّا وَجدتُ له على كبِــدى وَقْدًا لا بَرْدا ، ولا تعرّضتُ لنفحات النسيم إلا أهدَى إلىّ جَهْدا، ولا زارنى طيفُ الخيال إلا وجدنى قد قطعتُ طريقه سُهْدا، ولا خَطِفَ(٣) لى البارقُ الشّامىُّ إلا باراه قلبى خُفوقا ووَقْدا

وأيسرُ ما نال مــنّى الغليـ * ـلُ ألا أُحِسّ من المــاء بردا

---

(١) فى (أ) : « ومن » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى (أ) : «ويهبك» بالباء الموحدة ؛ وهو تحريف .

(٣) « خطف لى » أى لمع لمانا يخطف البصر .

فسقى الله دارَه ما شرِبتْ [من] الغمام[١]، وأيّامَنا بها وبُدورُ ليالى تلك الأيّام تِمام

ذُمَّ اللّيالىَ[٢] بعد منزلة اللّوَى * والعيشَ بعد أولئك الأقوامِ[٣]

وكان قد وصل منه كتابٌ كالطّيف أو أقصرُ زَوْرا، وكالحبّ أو أظْهرُ جَوْرا، والربيع أو أبهرُ نَوْرا، والنجم أو أعلى طَوْرا، والماء الزلال أو أبعدُ غَوْرا؛ فنَثرتُ عليه قُبَلى، وجعلتُ سطورَه قِبَلى[٤] بل قِبَلى[٥]، ووردتُ منه مَوردا

أهلًا به وعلى الإظماء أَنْشُدُه[٦] * لو بَلَّ من غُلى أبللتُ من عِللى

إلا أنه — أبقاه الله — ما عزّزه[٧] بثانٍ، ولا آنس غريبَه، وإنى وإيّاه غريبان

وكم ظلّ أو كم بات عندى كتابُه * سميرَ ضميرٍ أو جِنانَ جَنان

وأَرغبُ إليه — لا زالت الرّغَبات إليه —، وأسألُه — لا خَيّم السؤالُ إلا لديه —؛ أن يلاطِفَ بكتابه قلبي، ويمثّلَ لى بمثاله أيّامَ قربى

---

(١) عبارة كلا الأصلين: «ما شربت الغمام» بسقوط «من» والسياق يقتضى إثباتها، كما فى مسالك الأبصار؛ يشير الكاتب بهذه العبارة الى قول الشريف الرضى:

سقى مِنى وليالى الخيف ما شربت * من الغمام وحياها وحياك

انظر ديوان الشريف الرضى.

(٢) البيت لجرير انظر ديوانه ص ١٢٤ طبع المطبعة العلمية وقد روى البيت فيه هكذا

* ذم المنازل بعد منزلة الصبا * الخ البيت.

(٣) فى ديوان جرير: «الأيام» والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.

(٤) قبلى بكسر القاف وفتح الباء، أى تجاهى، ويجوز ضبطه بضم القاف وسكون الباء، أى قصدى تقول: أنا أقبل قبلك، أى أقصد قصدك.

(٥) قبلى، هو جمع قبلة بكسر القاف.

(٦) يريد أنه ينشد كتابه، أى يطلبه على اظمائه إياه، وقلة جدواه فى شفاء غله، كما يدل عليه عجز البيت. وفى كلا الأصلين: «وعن الظلماء»؛ وهو تحريف إذ المعنى عليه غير ظاهر.

(٧) عززه: من التعزيز، وهو التقوية والإعانة.

والله لو لا أنّـــنى * أرجو اللّقا لقضَيتُ نَحْبِى
هـذا وما فارقتُكـم[(١)] * لكنّنى فارقتُ قلبى .

وكتب جواب كتاب ورد عليه :

شكرتُ لدهرى جَمعَـه الدارَ مرّةً * وتلك يدٌ عنــدى له لا أُضيعُها
وطلعة مولانا يطالِعُ عبــدَه * وكلُّ رُبوعٍ كانــ فيها رُبوعُها
فؤادٌ ســقاه لا يعــودُ غليلُه * وعينٌ رأته لا تَفيض دموعُها

ورد على الخادم كتابُ المجلس — أعلى الله سلطانه وأثبتَـه ، وأَرْغم أنفَ عدوّه وكَبَتَه ، وأصماه بسهام أسـقامه وأصمَتَه ، ولا أخلَى الدنيـا من وجودِه ، كما لم يُخْلِ أهلَها مِن جودِه ، ولا عَطّل سماءَ المجد من صـعودِه ، كما لم يُعطِّل أرضَها من سُعودِه — وهو كتابٌ ثانٍ يَثنِى إليه عِنانَ الثنـاء ، ويَصِفُ لى حسنَ العهـد على التّناء ، ويَستنهِضُ الأدعيـةَ الصالحةَ فى الأطرافِ والآناء ، ويبشِّرُ الخـادمَ بأنه وإن كان بعيـدَ الدارِ فإنه بمثـابةِ المقيمِ فى ذلك الفِنـاء ، وأنــ هـذه الخـدمةَ التى أنعم الله عليـه بهـا وثيقــةُ الأسـاسِ على الدهرِ شامخةُ البنـاء ؛ فقام له قائمـا على قدمِه ، وسجَدَ فى الطِّرس ممثِّلا سُجودَ قلمِه ، واَسترعى اللهَ العهدَ على أنه تعالى قد رعى ما أَوْدعه فى ذمّة كرمِه ؛ وصارت له نجرانُ[(٢)] علاقةَ خيرٍ صَرَفَ إليها وجهَه فكأنها قِبْله ، ودعا بنى الآمالِ إلى اعتقادِ فضلِ مالِكها فكأنّما يدعوهم إلى

(١) فى (أ) : «وما قد فارقتكم» ، و«قد» زيادة من الناسخ اذ بها يختل الوزن ، وهذا الشعر ينسب الى العينى من أهل مصر ، أو هو لظافر الحداد انظر خريدة القصر لعماد الدين الأصفهانى المأخوذ منه بعض أجزاء بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٥ أدب ، والعينى الذى ينسب اليه هذا الشعر غير الحافظ بدر الدين محمود العينى صاحب عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان .

(٢) كذا فى (ب) ؛ وقد وردت هذه الكلمة فى (أ) مهملة الحروف من النقط ، ونجران فى عدّة .

ملّه ؛ والله يُوزِعُه شكرَ هذا الأفتقادِ (١) على البِعاد، ولا يُخليه من هذا الرأى الجميل الذى هو مَلجأُ الأسـتناد ، وعَقْدُ الأعتقاد؛ والخادم لاينفكّ متطلّعا لأخبار المولى فترِده مُفضِـلةً ومُجْمِله ، ومُفَصَّلةً ومُجمَـلَه ؛ ويَعرِف منها مايَعرِف به مَوْقعَ اللطف بالمولى فى أحوالِه ، ومكانَ النجح فى آمالِه ؛ وأنّه بحمد الله فى نعمةٍ منه — لاغيَّر اللهُ مابه منها ، ولا صَرَفَها عنـه ولا صَرَفَه عنها — فيجدِّد لله الشكرَ والحمد ، ويبلّغه مايبلُغه منها المرادَ والقصد؛ ونسأل الله ألّا يخلِىَ الدولةَ الناصريةَ منه ناصرا لسلطانها، وعينا لأعيانها؛ وسيفا فى يدِ الإسلام يناضِل عن حقّه ، وفرعا شريفا يَشهد مَرآه بشرف عرقِه ؛ والرأى أعلى فى إجرائه على ما عُوِّد من هذا الإنعـام ، وزيادته شرفا بالأستنهاض — إن صَلَح له — والاستخدام . (١٢٥)

ومن جواب آخر : وَرَد كتاب المجلس — أدام الله وارداتِ الإقبال على آماله ، و [ لا ] سَلَبتِ (٢) الأيامُ نعمتَى جميلِه وإجمالِه ، ولا انحطّ قدرُ بدرِه عن درجتَى تمامه وكمالِه ، وأحسن جزاءه عن ميثاق (٣) الفضل الّذى نَهَض باحتمالِه — ووقفتُ منه على ما لا يَجِدُ الشكرُ عنه مَحيدا، وآنستُ (٤) به القلبَ الّذى كان وحيدا، وعَددتُ يومَ وصوله السعيد عيدا ، ووردتُ منه بئرا معطّلةً (٥) وحللتُ قصرا مَشيدا ؛ ولا يكلّف الله نفسا إلّا وُسعَها، وتلك الغايةُ ليست فى وُسعى، ولا تَعلم نفسٌ إلا ماطَرَق سَمْعَها، ق وتلك المحاسنُ ماطَرَق مِثلُها سمعى، ولا تتناول يدٌ إلّا ماوسعه ذَرْعُها، وهذه الأوابدُ الأباعدُ ماطالها ذراعى ولا أستقلّ بها ذَرْعى .

(١) افتقده وتفقده : طلبه عند غيبته .
(٢) فى (أ) : « وسلبت » بسقوط « لا » ولا يستقيم الكلام بدونها .
(٣) فى كلا الأصلين : « ميقات » ؛ وهو تحريف .
(٤) فى (أ) : « وأنسيت» ؛ وهو تحريف .
(٥) تعطيل البئر ؛ ألا تورد كما فى أساس البلاغة ؛ يريد أنها صافية الماء عذبة المورد لقلة الزحام عليها المكدر لها .

ومن آخر : خلّد الله أيّام المجلس ، وعضّد الملّةَ الحنيفيّةَ منه بحاميها، والأركانَ الإسلاميّةَ من سيفه بشائدها وبانيها، وأمتع الدولةَ المحمديّةَ بعزمته التى حسُنتْ الكفايةُ بها، فلا غرو أن تحسُن الكفايةُ فيها؛ ولا عَدِمت الدنيا نَضرةً بأيامه النَّضيره، والدينُ نُصرةً بأعلامه النصيره؛ المملوكُ يقبِّل الترابَ الذى يوماً يَستقرّ بحوافر سَيْله [(١)]، و يوما يَستقرّ بحوافر خيله — فلا زال فى يوم السِّلْم جُوده سحابا صائبا، و يومِ الحرب شهابا ثاقبا — ويُنهِى أنه وردتْ عليه المكاتبةُ التى آستيقظتْ بها آمالُه من وسَنها، وأفادته معنًى من الجنّة فإنها أذْهبتْ ما بالنفوس من حَزَنها، وتلقّى المملوكُ قُبْلها [(٢)] بالسجود والتقبيل، وتحلّى بعقودِ سطورِها فهيهات بعد هذا شكوى التعطيل؛ وآكتحل من داء السهد بإثْمِدها [(٣)]، وأدار على الايّام كأسَ مَرقدِها [(٤)]، وأسمعته نغَمُ النِّعم التى هى أعجبُ إلى النفس من نغَمات مَعْبَدِها، وأطالت الوقوفَ عليها رِكاب طَرْفه [فما وقوفُ رِكابِ طَرَفَةَ] [(٥)] ببُرْقةِ ثَهْمَدِها [(٦)]؛ وضرعَ إلى من يشفع وسائلَ المتضرّعين،

(١) الحوافر جمع حافرة، وهى الأرض المحفورة، كما قاله الأزهرى .

(٢) القبل بضم القاف وسكون الباء الموحدة : الوجه انظر اللسان .

(٣) الإثمد بكسر الهمزة والميم : الكحل الأسود . و يقال إنه معرب . قال آبن البيطار فى المنهاج: هو الكحل الأصفهانى، و يؤيده قول بعضهم : ومعادنه بالمشرق . وهو هنا مذكور على سبيل الاستعارة والتمثيل .

(٤) يريد أنه بهذه الرسالة قد أنام الأيام عن محاربته وأغفلها عن الكيد له .

(٥) التكملة عن (ب) ومسالك الأبصار .

(٦) البرقة والبرقاء : أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل ، وجمعها برق بضم الباء وفتح الراء وبراق بالكسر انظر اللسان . وفى معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٥٧٩ طبع جوتنجن أن (برقة ثهمد) لبنى دارم وذكر فى ج ١ ص ٩٤٢ فى الكلام على (ثهمد) نقلا عن نصر أن ثهمد جبل أحمر حوله أبارق كثيرة فى ديار غنى؛ ونقل عن غيره أن ثهمد موضع فى ديار بنى عامر . وقد أشار الكاتب بهذه العبارة الى قول طرفة ابن العبد فى مطلع معلقته :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد * تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

ويملأُ مواقعَ آمالِ المتوقّعين، أن يَفُلّ عنه كلَّ يدٍ للخطوب بسيطه، ويفكّ به كلَّ رِبقةٍ (١) للأيّام بأعناق بَنيها (٢) محيطه .

ومن آخر : رفع الله عمادَ الإسلام ببقاء المجلس، وبَسَط ظلّه على الخلق، ومَلّك يدَه الكريمةَ قصبَ السَّبق، وجَمَع بتدبيره بين ناصيتَي الغربِ والشرق، وألّف لقدرته طاعتَي الجهرِ والسرّ، وصرّف بعزمته زمامَي النّهي والأمر، وأحرزَ لِحَدّه مَسَرّتَي الأجرِ والنصر، وقطّ (٣) بفتكته شوكتَي النفاقِ والكفر — وردتْ على المملوك مكاتبةٌ كريمةٌ رفَعها حيث تُرفع العمائم، ومدّ اليدَ اليها كما تُمدّ إلى الغمائم، وفضّها، بعد أن قضى باللّثم فرضَها، واستمطرتْ نفسُه سماءها فأرضتْ أرضَها، وكاد المملوكُ يتأمّلها لولا أنّ دمعَ الناظرِ إلى العين سبقَه، على أنه دمعٌ قد تلوّن بتلوّن الأيّام في فراقه، فلو فاض لعَصْفَرَ (٤) الكتابَ وخلّقه (٥)، فلا أعدمه الله المولى حاضرا وغائبا، ومُشافِها ومُكاتِبا، وأحلّه (٦) في جانب السعادة ويعزّ على المملوك أن يَحُلّ من مولاه جانبا .

ومن آخر : ورد كتابُه ووقفتُ على ما أودَعه مِن فضلِ خطٍّ وفصلِ خطاب، وعقائلِ عقولٍ ما كنّا لها من الأكفاء وإن كنّا (٧) من الخُطّاب، وآثار أقلامٍ

(١) عبارة كلا الأصلين « كل رقبة للانام » الخ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا، ويعينه قوله : « محيطة » .

(٢) هذه الكلمة فى (أ) مهملة الحروف من النقط .

(٣) القط : القطع عامة .

(٤) يقال : عصفرت الثوب، أى صبغته بالعصفر، وهو نبات سلافته الجريال، وبذره القرطم وهو ريفى و برى، وكلاهما ينبت بأرض العرب .

(٥) خلقه بتشديد اللام : طلاه بالخلوق، وهو طيب يتخذ من الزعفران وغيره .

(٦) وأحله، أى وأحل المملوك؛ يريد الدعاء لنفسه بأن ينزله الله فى جانب السعادة، أى جانب المكتوب اليه .

(٧) فى كلا الأصلين : « وإن كانت » وسياق العبارة يقتضى ما أثبتنا؛ فان الخطّاب جمع خاطب، كما فى اللسان .

تُناضِل عن المِلّة نضالَ النِّصال، وكأنها فضلُ سبقٍ[١] لما تحُوزه مِن حقِّ السّبقِ وخَصلِ[٢] الخصال؛ فأُعيــذَ الإسلام مِن عَدَمِه، ولا عدِمَ بَسطةَ قلمِه، وثبوتَ قدمِه؛ فإنه الآن عينُ الآثار، وأثرُ الأعيان، وخاطرُ الحِفظِ إلا أنّ الخطوب تَصحَب فيه خواطرَ النِّسيان؛ ولئِنْ آهتَصَر الدهرَ سَطْوا[٣]، وآختَصَر خطْوا[٤]؛ وإنه سيفٌ يمانٍ إن قَدُم عهدا، فقد حَسُن فِرِندا[٥]، وخشن حدًا؛ وأجرَى نهرا، وأَورَى شررا؛ وآخضرّ نَجيلَه، وقَطع الأيّامَ جميلَه؛ وضارَب الأيّامَ فأَجفَلَتْ[٦] عن مضاربه ضرائبُها[٧]، وشَرَدتْ عن عزمه غرائبُها؛ ولبِسَها حتى أَنهَجتْ[٨] بَواليَا، ثم آختار منهـا أياما وأبى أن يلبسها لياليَا؛ لا جرم أن صحيفتَه البيضاءَ شعارُ شِعرِه، وروضة علمه الغنَــاء[٩] قد جلت أنوارَ نَورِه، وزواهرَ زهرِه؛ فالزمانُ لا يعدو عليه[١٠] بزَمانة تعدُو، ولا يَتجاوز أوقاتَه إلّا مَوسُومَةً بمحاسنه ولا بعــدو؛ حتى يمتَّ إليه عدوٌ يلتفتُ[١١] أمس، ويَروِىَ اليــومَ (٤٢٦)

(١) يريد، السبق الى الإسلام الذى كان من مفاخر بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، كعلىّ ابن أبى طالب وأبى بكر وغيرهما .

(٢) الخصل : الخطر الذى يتراهن عليه فى الرمى؛ يقال : أحرز فلان خصله، والمعنى أنه غلب . والخصال : مصدر خاصله، اذا راهنه فى الرمى .

(٣) فى كلا الأصلين : «سطورا» وهو تحريف؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا؛ واهتصر الدهر جذبه وأماله؛ ومن نعوت الأسد المهتصر .

(٤) واختصر خطوا : كناية عن الوثب، فإن الواثب يقل الخطو الى غايته .

(٥) فرند السيف : جوهره .

(٦) أجفلت : نفــرت وأسرعت فى الهرب . وفى كلا الأصلين : «وأحفلت» بالحاء المهملة وهو تصحيف .

(٧) الضرائب : جمع ضريبة، وهى فعيلة بمعنى مفعولة . وإنمـا ثبتت فيه التاء مع أنه بمعنى المفعول لأنه صار فى عداد الأسماء .

(٨) يقال : أنهج الثوب، إذا أخذ فى البلى .

(٩) فى كلا الأصلين : «الخنا» وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(١٠) فى كلا الأصلين : «طيه» وهو تحريف .

(١١) يلتفت، أى ينصرف عنه ويعرض .

أنّ قرابتَه مِن فضلِه أَمَسّ، واللهُ يعلم أنّى لأَرَى له ولا أَرَى فيه ، وأسُدّ عنه كلَّ خَرْقٍ تعجَز عنه يدُ رافِيه ، ضنّا بالصدور أن تخلوَ من صدرٍ كقلبِها ، ومحاماةً عن حقوقٍ تقدِمتِه التى أُوجبها أن تُعارَض بسَلْبِها .

ومن آخر : وصل كتابُ الحضرة فجعَل مستَقَرَّه النِّعمةَ فى الصدور ، وأخرجتْنى ظلماتُ خطِّه إلى نور السرور ؛ ووقفتُ وكأنّى واقف على طللٍ من الأحبّة قد بكَى عليه السحابُ بطَلِّه ، وابتسَم له الروضُ عن أخبارِ أهلِه وآثارِ منهلِه ؛ فلم أزل أرشُف مسكَ سطورِه ولَماها ، وأنزّه العينَ والقلبَ بين حسنِها وجَناها ؛ وأُطلِقُ عِنانَ شوقٍ جعَلتُ الأقلامَ له لُجُما ، وحسِبتُ النِّقْسَ ليلا ، والكتابَ طيفا ، والوقوفَ عليه حُلُما ؛ إلى أن قضت النفوسُ وَطَرا ، وحمَلتْ الخواطرُ خطَرا ، وقرنتْ[(1)] بما ظنّته سحابا ما ظنّته مطرا ؛ هذا على أنه قريبُ العهد بيدِ النّعماء ، فإن هَرَب فمن ماءٍ إلى ماء .

ومن آخر : فلمّا وقف على الكتابِ جَدّدَ العهدَ بلَثمِه ما لَمْ يصِلْ إلى اليد [ التى ][(2)] بعثَتْه ، وشَفَى القلبَ بضمّه عوضا عن الجوانح التى نفثَتْه

وأين المطامعُ مِن وصلِه * ولكن أُعلِّلُ قلبا عليلا .

ومن آخر : وصلَ كتابُه ، وكان من لقائه طيفا إلا أنه أُنِسَ بالضُّحى ، وأثار حربَ الشوقِ وكان قطبَ الرّحَى

تَخطّى إلىّ الهولَ والقفرُ دونه * وأخطارُه لا أصغرَ اللهُ ممشاه .

---

(١) فى كلا الأصلين : « وقرنته » ؛ والهاء زيادة من الناسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ( ا ) ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما فى (ب) .

ومن كلامه رحمه الله يصف بلاغة كتاب، قال : كتابٌ إلى نحرى ضممتــه، وذكرتُ به الزمنَ الذى ما ذممتُه، وأكبرتُ قدره فحين تسلّمتُه [أستلمته](١) والتقطتُ زهرَه فحين لمحتُــه آستملحتُه، وامتزج بأجزاء نفسى فحين لحظتُه حفظتُه ؛ وجمعتُ بينه وبين مستقرّه من صدرى ، وآستطلتُ به مع قِصَره على حادثات دهرى، وجعلتُ سِحرَه بين سَحْرى(٢) ونحرِى ، وآستضأتُ به ورَشَفتُه فهو نهارى وهو نَهرى ؛ فإن أردتُ العِطرَ بلا أثرٍ أمسكتُ مِسكَه بيدى ، وإن أردتُ السكرَ بلا إثم أدرتُ كأسَــه فى خَلَدى ؛ فلله أناملُ رَقَمَتْــه ، ما أشرفَ آثارَها ! وخواطرُ أملَتْــه ، ما أشرقَ أنوارَها ! ولم أزل متنقلا منــه بين روضةٍ فيهــا غدير ، وليلةٍ فيهــا سمير ؛ وإمارةٍ لها سرير ، ومَسَرّةٍ أنا لهــا طليقٌ أسير ، ونعمةٍ أنا لهــا عبدٌ بل بهــا أمير ؛ حتى أدبرتْ عنى جيوشُ الأسى مفلوله ، وقَصُرتْ عنّى يدُ الهمّ مغلوله ؛ ومُلئتْ منّى مسامعُ المكارم حمــدا ، وخواطرُ الصنائع ودّا ؛ وحطّ الأملُ بربعى رحلَه ، وأنبتَ الربيعُ بفِنائى بَقْــلَه ؛ ولبستُ من الإقبال أشرفَ خلعه ، ووردتُ من القبول أغزرَ شِرْعه ، وآنتجعتُ من رياض الرجاء أرجى نُجْعه .

وقال أيضا من آخر : هذا من عفــوِ الخواطر ، فكيف إذا اســتدعى المجلسُ خَطِّيَّــةَ(٣) خطِّه فجاءت تَعسِل(٤) ، وحَشَدَ حُشودَ بلاغتــه فأتت من كل حَدَبٍ(٥) تَنسِــــل !

(١) هذه الكلمة ساقطة من (أ) وقد أثبتناها عن (ب) إذ السياق يقتضى إثباتها ؛ ويرشد إليها أيضا ما يأتى فى الجملتين اللتين بعدها ، والمراد بالاستلام هنا ، التقبيل ، تشبيها له بالحجر الذى يستلمه الحجيج .

(٢) السحر بفتح السين وسكون الحاء المهملة وفتحها : الرئة ، أراد ما يحاذيها من الصدر .

(٣) الخطية : رماح تنسب الى الخط ، وهو مرفأ السفن بالبحرين تنسب إليه الرماح لأنها تحمل إليه من الهند فتباع به .

(٤) عسل الرمح عسلا وعسلانا : اشتدّ اهتزازه وآضطرب .

(٥) الحدب بفتحتين : الغلظ المرتفع من الأرض . وتنسل : تسرع .

ومن آخر : ورَتَع فى رياض بلاغتــه التى لم يقتطفهنّ من قبله غارس ولا جان ، وآجتَـلى الحورَ المقصـوراتِ فى الطروس التى لم يَطْمِثْهنّ[١] إنسٌ قبـلَه ولا جانّ؛ وغَنِىَ بتلك المحاسن غنًى خيرا من المـال ، وآعتقد[٢] فيهـا كنوزا إذا شاء أنفق منها الجُمل، وإذا شاء أمسَكَ منها الجمال .

وقال أيضا : كتابٌ آشتَمَل على بديع المعـانى وباهرِها ، وزَخَرتْ بحارُ الفضـل إلا أنى ما تعبتُ فى آسـتخراج جواهرِها ؛ بل سبَحتُ حتى تناولتُها ، وجَنحتُ إلىّ فمـا حاولتُها ؛ وآقتبستُ من محاسن أوصافِه ، وبدائعِ أصنافِه ؛ نكتا آستقلّتْ أجسادُها بالأرواح ، وزُهِيَتْ جيادُها بما فيها من الغرر والأوضاح ؛ فيالله من بدائعَ وروائع ، ولطائفَ وطرائف ! فيها ما تَشتهى الأنفسُ وتَلَذّ الأعين، وما يقرّط الأسماعَ ويقرّط[٣] الألسن ؛ فكأنه طرفُ[٤] طرفٍ[٤] صوبُه مِدرار ، وعَلَمُ عِلْمٍ منصوبٌ فى رأســه نار؛ صَحّح السحر وإن كان ظنّا ، وفضـح الدرّ إذ كان أبرعَ (١٣٧) معنى ، وأَسنَى حُسنا ، وأدنَى مَجنى، وأَغنَى مَغْنى ؛ فمـا ضره تأخيرُ زمانِه، مع تقدّمِ بيانِه؛ ولا مَن سبقَه فى عصرِه، مع أنه قد سَبق فى شعرِه .

---

(١) الطمث : الافتضاض ، وبابه نصر وضرب .

(٢) اعتقد : أحرز وآقتنى .

(٣) يقرط الأسماع ، أى يحلى به الأسماع كما تحلى الآذان بالأقراط ، وهو جمع قرط بضم القاف ، وهو ما يعلق من الحلىّ فى شحمة الأذن . (ويقرط الألسن) من التقريط ، وهو التقطيع ؛ أو هو من تقريط الفرس ، وهو إلجامه ؛ والمراد أن ما فى هذا الكتاب من البلاغة يقطع الألسن عن معارضته ويلجم الأفواه عن مساجلته ؛ وفى الأصول : «يفرط» بالفاء الموحدة فى كلا اللفظين ؛ وهو تصحيف لا يظهر له معنى .

(٤) كذا فى كلا الأصلين ؛ ولم نجد من معانى هاتين الكلمتين ما يناسب سياق ما هنا ؛ ولعل صواب العبارة : «فكأنه قطر قطر» الخ فالأولى مصدر قطر الماء يقطر ، اذا سال . والثانية بمعنى المطر، كما تدل على ذلك بقية الجملة .

ومن آخر : ولله هو من كتاب لمّا وقفتْ عليه الغُلّةُ شَفاها ، ورأت وِرْدَها كلَّ ماءٍ غيره سَفاها(١)، ووطّأ مضاجعَ أُنسِها بعد أن كان الشوقُ يُقلِّب(٢) الجنوبَ على سَفاها(٣)؛ فلا عدم ودّها الذى به عن كلّ مودّةٍ سُلوة ، ولا برحت كفايةُ الله تُحلّها فى الذّرا وتُعلى قدرَها فى الذّروه، ولا فقد ممّا يَنعم به أىّ نعمه، ولا مما يُنشيه أىَّ نشوه .

ومن آخر : كتابٌ كريمٌ تبسّم إلىّ ضاحكا، وظُرْسٌ مدادُه أنه قد جلا سَطرُه علىّ حالكا؛ فما هو إلّا سوادُ الحدقة منه آنبعثت الأنوار، وما هو إلا سُوَيداءُ(٤) ليلة الوصلِ آشتملتْ على دجًى تحته نهار ، فلله هو من كتابٍ آستغفر الدهرُ ذنبَ المشيب بسواده، وآستدرك الزمانُ غلطَه بسداده .

ومن آخر : كتابٌ تقارعت الجوارحُ عليه فكادت تَتَساهم، فقالت اليدُ: أنا أولى به، شَددتُ على مولاه ومولاى عَقدَ خِنصَرى، ورفعتُ آسمه فوق منبرى؛ وقبضتُ عليه قبضتى، وبسطتُ فى بسطِ راحته وقت الدُّعاء راحتى؛ وقالت العين : أنا أولى به، أنا وعاءُ شخصِه ، وإلىّ يرجع القلبُ فى تمثيله ونصِّه(٥)؛ وأنا سهرتُ بعد رحيلِه وحشَة، وأنا إذا ذُكر هجيرُ القلبِ عَلّلته(٦) رشّةً بعد رشّة ؛ فقال القلب : طمعتما فى حقّ لأنى غائب ، وهل أنتِ لى يا يدُ إلّا خادم ؟ وهل أنتِ لى

(١) السفاه بفتح السين المهملة : الجهل .

(٢) فى (أ) : « نقلت » ؛ وهو تصحيف .

(٣) السفا : الشوك؛ و فى كلا الاصلين : «شفاها» بالشين المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٤) سويداء : تصغير لسوداء، ولعله صغرها لوصفهم ليلة الوصل بالقصر عادة .

(٥) النص هنا : الإظهار .

(٦) فى كلا الأصلين : « عليه » ؛ وهو تحريف لا تستقيم به الجملة ؛ وعللته : من العلل بفتحتين وهو الشرب الثانى .

يا عينُ إلا حاجب ؟ أنا مستقرُّه ومستودَعُه ، ومَرتَعه ومَشْرَعُه ، وأنا أذكُرُه وبه أذكُرُكُما ، وأُحضِرُه ولخدمتِه أُحضِرُكُما ؛ فاليدُ أستخدمُها مَرّةً فى الكتابة إليه ، ومرّةً فى شدِّ الخنصرِ عليه ، ومَرّةً فى الإشارة الى فضله ، ومَرّةً فى الدعاء بكلِّ صالحٍ هو من أهلِه ؛ والعينُ آستخدمتها فى ملاحظةِ وجهه آيبًا[(١)]، وفى توقُّع لقائه غائبًا[(١)] ، وفى السهدِ شوقًا الى قربِه ، والمطالَعةِ لما يَخرُج أمرى بكَتْبِه من كُتْبِه ؛ فهنالك سَلّمتا وآستَجرَتا[(٢)] ، وألِفتا وآستأخرتا ؛ وكِدتُ أَرشُف نِفسَه[(٣)] لأنقلَه الى سُويداه ، لولا أنّ سواد العين قال : أنا أحوَجُ الى الآستمدادِ من هُداه .

ومن كلامه رحمه الله تعالى ما رُكِّب نصف قرائنه على نصف بيت نحو قوله :

وَصَلَ كتابُ مولاى بعد ما * أصاتَ[(٤)] المنادى للصَلاة[(٥)] فأعتما

فلما آستقرّ لدىّ ، «تجلَّى الذى من جانب البدر أظلَما» فقرأتُه ، «بعينٍ اذا استَمْطرتُها أمطرتْ دما» وساءلتُه ، «فساءلتُ مصروفا عن النطقِ أعجَما» ولم يردَّ جوابا ، «وماذا عليه لو أجاب المتيَّما» ورددتُه قراءة ، «فعوجلتُ دون الحلمِ أن أتحلَّما» وحفظتُه ، «كما يحفظ الحرُّ الحديثَ المكتَّما» وكرّرتُه ، «فمن حيثما واجهتُه قد تبسَّما» وقبّلتُه ، «فقبّلتُ درّا فى العقود منظَّما» وقمتُ له ، «فكنتُ بمفروض

(١) عبارة الأصول : «فى ملاحظة وجهه غائبا ، وفى توقع لقائه آيبا» ؛ وظاهر أن فى نهايتى هاتين الجملتين تقديما وتأخيرا ؛ وسياق الكلام يقتضى العكس كما أثبتنا .

(٢) استجرتا : انقادتا ؛ يريد انهما وافقتاه على دعواه ؛ والذى فى كلا الاصلين : «استحرنا» بالحاء المهملة والنون ؛ وهو تصحيف لا يظهر له معنى .

(٣) فى كلا الأصلين : «نفسه» بالفاء الموحدة ؛ وهو تحريف ؛ والنقس بالكسر المداد .

(٤) فى كلا الأصلين : «أصاب» بالباء الموحدة ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وأصات : نادى ؛ وهو من الصوت .

(٥) هذه اللام ساقطة من (ا) ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما فى (ب) .

المحبّـة قيّما» وأخلصتُ لكاتبه، «وليس على حكم الحوادث محكما»[1] ولَم أصـدّفه[2]، «ولكنّه قد خالط اللحم والدما» وأرّختُ وُصـولَه، «فكان لأيام المواسم موسما» وداويتُ عليلَ «حَشًا ضَرّ ما فيـه من النار ضُرّما» وشفَيتُ غليلَ «فؤادٍ أُمنّيـه وقد بلغ الظما» فأما تلك الأيام التى «حماها من اللوم[3] المُقـامُ على الحمى» والليـالى العذابُ التى «ملأن نحور الليل بيضا[4] وأنجما» [فإنّى لأذكُرها[5]، «بصبرٍ كما قد صُرّمتْ قد تَصَرّما»] وأُرسِـل[6] الزفره «فلو صالحت[7] رَضوَى لَرَضّ[8] وهُدّما» وأرسـل العبره، «كما أنشأ الأفُق السحابَ المديّما[9]» وأخطب السُّلوه، «فأَسأل[10] معدوما وأُقفُل[11] معدما»

(١) كذا فى كلا الأصلين وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٨ وارتباط هذا الشطر بما قبله من النثر غير ظاهر؛ ولعله: «ولست» بزيادة تاء الضمير يقول: إنى لا أملك ردّ الحوادث التى تعوقنى عن أن أكتب إليه بما عندى له من الشوق . وإذن يكون الارتباط واضحا .

(٢) ولم أصدفه، أى لم أغشه بالصدف بفتح الصاد والدال، كما يغشى الدر. والذى فى صبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٨ «ولم أصدقه» بالقاف المثناة وهو تصحيف .

(٣) كذا فى تذكرة الصفدى المحفوظ منها بعض أجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٠ أدب . والذى فى كلا الأصلين وصبح الأعشى: «حماها على اللوم» الخ. ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على تعدية هذا الفعل ب «على» .

(٤) البيض: جمع أبيض، ومن معانيه الرجل النقىّ العرض؛ والظاهر أن ذلك هو المراد هنا؛ يريد وصف خلانه وجلسائه بنقاء أعراضهم من الدنس والعيوب؛ وانهم كالنجوم فى علو الشرف وبعد المنزلة .

(٥) هذه التكملة ساقطة من كلا الأصلين وصبح الأعشى؛ وقد نقلناها عن تذكرة الصفدى؛ اذ لا يستقيم الكلام بدونها .

(٦) فى كلا الأصلين: «وأرسلت» بصيغة الماضى وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا ليوافق ما بعده وما قبله .

(٧) فى (أ): «فما صالحت» وهو غير مستقيم؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا كما فى (ب) وتذكرة الصفدى .

(٨) رض: من الرض، وهو الدق والكسر .

(٩) أنشأ الأفق السحاب، أى رفعه .

(١٠) المديم بتشديد الياء: من ديم السحاب، أى دام مطره. ويقال: دوّم بتشديد الواو، وهو الأصل كما يستفاد من اللسان .

(١١) أقفل: من القفول، وهو الرجوع .

فأما الشكرُ فإنما « أفضّ به مسكا عليك مختّما » وأقوم منه بفرض « أرانى به دون البريّة أقْوما » وأوَفّى واجبَ قرض، «وكيف تُوَفّى الأرض قَرْضا من السما» .

وقال أيضا : وصل كتابُ الحضرة[(١)] بعد أن عددتُ الليالىَ لطلوع صَديعه[(٢)] «وقد عشتُ دهرا لا أعُدّ اللياليا»، وبعد أن انتظرتُ القيظَ والشتاءَ لفصلِ ربيعه (١٣٨) « فما للنوى تَرمى بليلى المراميا» ! واستروحتُ إلى نسيم سَحَره، «إذا الصيفُ ألْقَى فى الديار المراسيا » ومددتُ يدى لاقتطاف ثَمَره ، « فلله ما أحلَى وأَحْمَى المجانيا[(٣)] ! » ووقفتُ على شكواه مِن زمانه ، «فبثُّ لشكواه من الدهر شاكيا» وعجبتُ لعمى الحظّ عن مكانه « وقد جمع الرحمن فيه المعانيا » وتَوقّعتُ له دولةً يعلو بها الفضل « إذا هزّ مِن تلك اليراع عَواليا » ورتبةً يَرتقى صهوتَها بحكم العدل « فربّ مَراق يُعتَدَدن مَهاويا» و إلى الله أرغب فى إطلاع سعودِه، «زواهرَ فى أفق المعالى زواهيا» وفى إنهاض عَثَراتِ جدودِه، « فقد أعثرتْ بَعدَ النهوض المعاليا » .

وقال أيضا :

وَصلَ من الحضرة

كتابٌ به ماءُ الحياةِ ونَفعـةُ الـ * ـحيا فكأنّى إذ ظفِرتُ به الخضِرُ

ووَقَف عبدُها منه على

عقودٍ هى الدرُّ الذى أنت بحرُه * وذلك ما لا يَدّعى مِثلَه البحرُ

---

(١) كذا فى (ب) ؛ ولم يرد من هذه الكلمة فى (أ) غير الحرف الأول، وهو الواو .

(٢) الصديع : الصبح .

(٣) فى (أ) : « المحاميا » وفى (ب) «المخاميا» ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر تذكرة الصفدى وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٩ وأراد بقوله : «وأحمى المجانيا» وصف مجانيها بالصيانة وأنها ممنعة غير مبتذلة .

ورَتَعتُ منه فى

رياضِ [يدٍ] (١) تُجْنَى وعَينٍ وخاطرٍ * تَسابقَ فيها النَّورُ والزهرُ والثُّمْـرُ (٢)

وكَرَعتُ منه فى حياضٍ

تَسرُّ مجانيهـا اذا ما جنى الظما * وتُروِى مَجاريها اذا بَخِـل القَطرُ

وما زلتُ منه أنشد

كأنِّىَ سـارٍ فى سَريرة ليـــلةٍ * فلمّــا بدا كبّرتُ إذ طلع الفجرُ

ووافَق على ما كنتُ أعهد

فخلتُ بأنّ العين مِن سُحْبِ كفِّه * فمِن ذى ومِن ذى [فيه] (٣) ينتثِر الدرُّ

وأسترجع فائتَ الدنيا من مَوردِه

وما كان عندى بعد ذنبِ فراقه * بأنّى أَرَى يوما به يَعِـــد الدهرُ

ونفّس عن النفسِ بأبيض ثِمادِه (٤)، وعن العينِ بأسْوَدِ إثْمِدِه

به لهما سبحٌ طويلٌ فهــذه * على خاطرٍ بَردٌ وفى خَطَرٍ (٥) بدرُ

وجدّدَ اليه أشواقا جديدُها

يمرّ به ثوب الجديدين دائمـا * فيبلى ولا تَبلَى وإن بَلِىَ الدهرُ

وذَكّر أياما لا يزال يستعيدها

وهيهـات أن يأتى من الدهر فائتٌ * فدع عنك هذا الأمرَ قد قُضِىَ الأمرُ .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من (أ)؛ وقد أثبتناها عن (ب) وتذكرة الصفدى وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٦ إذ بها يستقيم البيت .

(٢) الثمر بضم الثاء والميم جمع ثمار بالكسر كما فى المصباح؛ وهذا الجمع يجوز فيه إسكان عينه المضمومة كما هنا .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من (أ)؛ واستقامة الوزن تقتضيها؛ وقد أثبتناها عن (ب) وتذكرة الصفدى .

(٤) كذا فى كلا الأصلين . والذى وجدناه فيما لدينا من كتب اللغة أن الثماد بكسر أوله : الماء القليل كالثمد بالتحريك، فكأنه يريد تشبيه الكتاب بالماء فى أنه يشفى الظمأ وينقع الغلة .

(٥) أراد بالخطر هنا : الامر المخوف .

وكلامُ[1] القاضي الفاضل — رحمه الله — كثيرٌ بأيدى الناس منه عدّةُ مجلّدات، أخبرنى من أثق بقوله من القضاة الحكام الأعيان أنه يزيد على خمسين مجلدا قد جُمعتْ، أما ما لم يجمعه الناس فكثير جدا؛ وقد نقل بعضُ مَن أرّخ، أنه وجد للقاضى الفاضـل مسوّداتِ كتب صدرتْ عنـه وأجوبةٍ تزيد اذا جُمعتْ على مائة مجـلّد، ولا يحتمل الحـال أن نورد له أكثرَ ممـا أوردناه، ورسائلُه المختارةُ كثيرةٌ قد يكون فيها أجودُ مما اخترناه ونحوه، وإنما أوردنا له ماحضر فى هذا الوقت، إذ لم يمكن البحث عن كلامه والاستقصاء، وإن كان كلُّ رسائله مختارةً رحمه الله .

## ذكر شيء من رسائل الشيخ الإمام الفاضل ضياء الدين

أبى العباس أحمـد ابن الشيخ الإمام العـابد القدوة أبى عبد الله محمـدِ بنِ عمرَ بنِ يوسفَ بنِ عمرَ[2] بنِ عبـد المنعم الأنصاريّ القرطبيّ رحمه الله، — وكانت وفاته بقنا من أعمال قوص فى سنة اثنتين وسبعين وستمائة —

كتب إلى شيخنا الإمام العلّامةِ تقيّ الدين محمد ابنِ الشيخ الإمامِ الحَبرِ مجدِ الدين أبى الحسن عليّ بنِ وهب بنِ مطيع القُشيريّ المعروفِ بابن دقيق العيـد رحمهم الله تعالى : تخدُم المجلس العاليَ صفاتٌ يقف الفضلُ عندها، ويقفُو الشرفُ مجدَها، وتلتزِم المعالى حمدَها؛ وسِماتٌ يبتسم ثغرُ الرياسة منها، وتُروَى أحاديثُ السيادة عنها؛ الصدريّ الرئيسيّ المفيـديّ؛ معانٍ استحقّها بالتمييز، واستوجبها بالتبريز، وسبكتْه (١٢٩) الإمامةُ لهـا فألفتْه خالصَ الإبريز؛ ومعالٍ أقرّته فى سويدائها، وأطلعتْه فى سمائها،

---

(١) كذا فى (ب) والذى فى (أ) «ومن كلام» وقوله : «من» زيادة من الناسخ .

(٢) كذا فى كلا الأصلين؛ وقد ورد هذا النسب فى بعض المصادر ساقطا منه هذا الجد الثالث وهو عمر انظر كتاب الطالع السعيد لكمال الدين الإدفوى ص ٥٤ طبع الجمالية فى ترجمة محيي الدين أحمد بن محمد ابن أحمد حفيد ضياء الدين أبى العباس ابن القرطبي .

وألبسته أفضـل صفاتها وأشرف أسمائها ، العلامىّ الفاضلىّ التقوىّ ، نسبٌ اختص به اختصاص التشريف ، لا تعريفا له (١) فالشمس تستغنى عن التعريف ، لا زالت إمامتــه كافلةً بصــون الشرائع ، واردةً من دين الله وكفالة أمّة رســول الله أشرف الموارد وأعذب الشرائع (٢) ، آخذةً بآفاق سمـاء الشرف فلها قمراها والنجومُ الطّوالع (٣) ، قاطعةً أطماع الآمال عن إدراك فضله وما زالت تُقطِّع أعناقَ الرجال المطامع (٤) ، صارفةً عن جلاله مكارهَ الأيام صرفا لا تعتوره القواطع ، ولا تعترضه الموانع ، ويُنهى ورودَ عذرائه التى « لها الشمسُ خِدْنٌ (٥) والنجومُ ولائدُ » وحسنائه التى « لها الدرُّ لفظٌ والدّرارى (٦) قلائدُ » ومشرّفته التى « لها من براهين البيان شواهدُ » وكريمته التى « لهـا الفضلُ وِردٌ والمعالى موائدُ (٧) » ووديعته التى « لها بين أحشائى وقلبى معاهدُ »

وآيتــه الكبرى التى دلّ فضلُها * على أنّ من لم يشهدِ الفضل جاحدُ

وأنك سيفٌ ســلّه الله للهــدى * وليس لسيفٍ ســلّه الله غامـدُ

---

(١) فى (أ) : «لاتشريفا» وفى (ب) : «تشريفا» بسقوط « لا » ؛ وما أثبتناه هو المناسب لسياق الكلام .

(٢) الشرائع جمع شريعة ؛ وهى مورد الشاربة التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون ، والعرب لاتسميها شريعة حتى يكون الماء عدّا لا انقطاع له ، ويكون ظاهرا معينا لايسقى بالرشاء . ولا تكرار بين ما هنا وما سبق لاختلاف المعنى .

(٣) أشار بهذه العبارة إلى قول جرير :

أخذنا بآفاق السماء عليكم * لنا قمراها والنجوم الطوالع

(٤) أشار بهذه العبارة إلى قول البعيث المجاشعى :

طمعت بليلى أن تريع وإنما * تقطع أعناق الرجال المطامع

(٥) فى (أ) : « حدث » وفى (ب) «هدب» ؛ وهو تحريف فى كلتا النسختين .

(٦) الدرارى : الكواكب العظام التى لا تعرف أسماؤها ، قاله الفرّاء .

(٧) فى كلا الأصلين وكتاب الطالع السعيد ص ٥٨ طبع الجمالية : «موارد» ؛ وهو تحريف لحصول التكرار به مع قوله : «ورد» .

فلمثلِها يحسُن صَوغُ السوار ، ولِفضلِها يقـال : "أناةً أيها الفَلَكُ المُـدار" وإنها فى العِلم أصلُ فرعٍ نابت ، والأصل علةُ النشأة والقرار ، وفرعُ أصلٍ[١] ثابت ، والفرعُ فيه الورقُ والثمـار ؛ هذه التى وَقفتْ قرائحُ الفضلاء على استحسانها ، وأوقفتْنى[٢] على قدم التعبُّد لإحسانِها ، وأيقنتُ أنّ مفترِقَ الفضائل مُجتمِعٌ فى إنسانِها ، وكنتُ أعلم عِلمَها بالأحكام الشرعية فاذا هى فى النثر آبنُ مقفَّعِها ، وفى القصائد أخو حسّانِها ؛ هـذه وأبيك أمُّ الرسائل المبتكَره ، وبنتُ الأفكار التى هذّبتها الآدابُ فهى فى سهل الإيجاز البَرزةُ[٣] وفى صَونِ الإعجاز المخـدَّره ، والمليئةُ بِبـدائع البدائه ، فمتى تقاضاها متقاضٍ لم تقُلْ : "فَنَظِرَةٌ إلَى مَيْسَرَةٍ" ؛ والبديعةُ التى لم تُوجَّه اليها الآمالُ فكرَها لآستحالةِ غيرِ مسبوقٍ بالشعور ، ولَم تسمُ اليها مقلُ الخواطر لعـدَم الإحاطة بغيبِ الصدور قبلَ الصدور ، والبديهةُ التى فَصَّل البيانُ كلماتِها تفصيلَ الدرر بالشذور ؛ إنّ كَلِمَها تَمِيس فى صدورها وأعجازِها ، ويختال فى سطورها وإعجازِها ، وتنثال[٤] عليها أغراض المعانى بين إسهابِها وإيجازِها ؛ فهى فرائدُ آئتلفتْ من أفكار الوائلىّ والإيادىّ ، وقلائدُ آنتظمتْ آنتظامَ الدرارىّ ، ولطائمُ[٥] فُضّتْ عن العنبر الشِّحرىّ[٦] والمسـكِ الدارىّ[٦] ؛ لا جرم أن غوّاصى الفضائل ظلوا فى غمراتها خائضين ، وفُرسانَ

(١) كذا فى (ب) ، والذى فى (ا) « وأصل فرع » وهو مكرر مع ما قبله .

(٢) كذا فى كلا الأصلين ؛ وأوقفه بالهمز لغة رديئة كما فى اللسان ؛ وقد نقلها ابن السكيت عن الكسائى وقيل : وقفه وأوقفه سواء .

(٣) البرزة : البارزة المحاسن . وفى (ا) : « البررة » براءين مهملتين ؛ وهو تصحيف .

(٤) تنثال : تتتابع .

(٥) اللطائم : أوعية المسك ، الواحد لطيمة .

(٦) الشحرى : نسبة الى الشحر ، وهو صقع بساحل بحر الهند من ناحية اليمن قال الأصمعى : هو بين عدن وعمان ، واليه ينسب العنبر الشحرى « ياقوت » . والدارى : نسبة الى دارين ، وهى فرضة بالبحرين فيها سوق كان يحمل اليها المسك من ناحية الهند « اللسان » مادة « دور » .

الكلام أضحوا فى حلباتها راكضين، وأبناء البيان تُليت عليهم آياتها "فظَلَّتْ أعناقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ" .

ما إنْ لها فى الفضل مثلٌ كائنٌ * وبيانُها أحلى البيان وأمثلُ
فالعجزُ عنها مَعجِزٌ(١) متيقَّنٌ * ونبيُّها بالفضل فينا مرسَلُ
ما ذاك إلا أنَّ ما يأتى به * وحىُ الكلام على البراعة ينزلُ

بزغَتْ شمسا لا ترضَى غيرَ صدرِه فلَكا، وانقادت معانيها طاعةً لا تختار سواه مَلِكا، وانتبذَتْ بالعراء فلا تخشى إدراكَ الإنكار ولا تخاف دَرَكا ، وتَندَّت شواردُها فلا تقتنصها الخواطرُ ولو نصبَتْ هُدْبُ الجفون شَرَكا

فللأصائلِ(٢) فى عليائها سَمَرٌ * إن الحديث عن العلياء أسمارُ(٣)
وللبصائر هادٍ من فضائلها * يهدى أُولى الفضل إن ضلّوا وإن جاروا
بادِى الإبانةِ لا يخفى على أحد * "كأنه عَلَمٌ فى رأسه نارُ"

أَعْجِب بها من كَلِمٍ جاءت كغمام الظِّلالِ على سماء الأنهار ! وسَرتْ كعليل النسيم عن أندية الأسحار، وجُلِيَتْ محاسنُها كلؤلؤ الطلِّ على خدود الأزهار ، وتجلّت كوجنة الحسناء فى فَلَكِ الأزرار، وأهدت نفحةَ الروض متأوِّدَ الغصن بليلَ الإزار ، فأحيتنا
(١٣٠) بذلك النفَسِ المِعطار، وحيّتنا بأحسنَ [من](٤) كأسَىْ لَمًى وعُقار، وآسَىْ ريحانٍ وعذار،

(١) المَعجِز بكسر الجيم وفتحها مصدر ميمىّ بمعنى العجز .

(٢) الأصائل، جمع أصيل، وهو المحكم الرأى . وفى كتاب الطالع السعيد ص ٥٩ : « فللأفاضل » والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) الأسمار بفتح الهمزة جمع سمر بفتح السين والميم، وهو معروف؛ ويجوز أن يقرأ : « إسمار » بكسر الهمزة على احتمال أن أسمر فلان بالهمزلغة فى سمر كما فى اللسان عند قول عبيد بن الأبرص :

فهن كنبراس النبيط أو ال * فرض بكف اللاعب المسمر

(٤) كذا فى (ب) والطالع السعيد؛ ومكان هذه الكلمة فى (أ) باء موحدة بعدها ألف؛ ولا يفهم لها معنى .

ولؤلؤى حَبَبٍ وثغر، وعقيقَى شفةٍ ونحر، وربيعَى زهرٍ ونهر، وبديعَى نظمٍ ونثر، ولم أَدْرِ ما هى أثغورٌ ولآلئ؟ أم شذورُ قلائد، أم توريدُ خدود، أم هيفُ قدود، أم نهودُ صدور، أم عقودُ نحور، أم بدورٌ ائتلقتْ فى أضوائها، أم شموسٌ أشرقت فى سمائها ؟

جَمَعن شتيتَ الحسن من كلِّ وجهة * فَحيّرن أفكارى وشَيّن مَفرِقى
وغازلها قلبى بودٍّ محقَّقٍ * وواصلها ذكرى بمجدٍ مصدَّقِ
وما كنتُ عشّاقا لذات محاسنٍ * ولكن من يبصرْ جفونك يَعشَقِ
ولم أدر والألفاظُ منها شريفةٌ * الى البدر تسمو أم إلى الشمس تَرتقى

إنما هى جملةُ إحسان يُلقِى اللهُ الرُّوحَ مِن أمرِه على قلبها، أو روضةُ بيان «تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا»؛ أو ذاتُ فضلٍ آشتَمَلَتْ على ذواتِ الفضائل، وجنت ثمر العلوم فأَجْنَتْها بالضحى والأصائل، أو نفسٌ زكت فى صنيعها، ونفثَ رُوحُ القُدُس فى رُوعِها؛ فسلكتْ سُبُلَ البيان ذُلُلا، وعدمَتْ مماثلا فأضحت فى أبناء المعالى مَثَلا؛ وسَرتْ الى حَوْز الأمانى والأنامُ نيام، فوهب لها واهبُ النعم أَشرَفَ الأقسام؛ فجادت فى الإنفاق، ولم تُمسكْ خشيةَ إملاق، وقيّدتْ نفسَها فى طَلَقِ(١) الطاعة فجاءها توقيعُ التفضيل على الإطلاق

أَبِنْ لى مَعْزاها أخا الفهم إنها * الى الفضل تُعْزَى أم الى المجد تُنسَبُ
هى الشمسُ إلّا أنّ فكرَك مَشرِقٌ * لإبدائها عندى وصدرىَ مَغرِبُ
وقد أبدعَتْ فى فضلها وبديعها * فجاءت الينا وهى عنقاءُ مُغرِبُ(٢)

---

(١) فى طلق الطاعة» اى فى قيدها؛ وأصل الطلق بالتحريك، القيد من جلود .

(٢) شبه هذه الرسالة بالعنقاء المغرب، وهى التى أغربت فى البلاد ونأت ولم تحس ولم تر؛ والمراد أن هذه الرسالة غريبة فى بلاغتها وحسن بيانها، ولا عهد للكتاب بأمثالها .

فأعرب عن كل المعانى فصيحُها * بما عجزت عنـه نزارٌ ويَعرُبُ
ومذ أشرقت قبل التناهى بأوجها * عفا فى سناها بدرُ تمٍّ وكوكبُ
تناهت علاءً والشبابُ رداؤها * فما ظنكم بالفضل والرأس أشيبُ
لئن كان ثغرى بالفصاحة باسما * فثغرك بسّام الفصاحة أشنبُ
وإن ناسبتْنى بالمجاز بلاغةٌ * فأنت إليها بالحقيقة أنسبُ
ومذ وردتْ سمعى وقلبى فإنها * لتُؤكل حُسْنا بالضمير وتُشربُ
وإنى لأشدو فى الورى بثنائها * كما ناح فى الغصن الحمامُ المطرِّبُ
وتشهد أبناء البيان إذا انتدَوا * بأنى من قسّ الإيادىّ أخطبُ
وإنّى لتدنينى الى المجد عصبةٌ * كرامٌ حوتهم (١) أوّلَ الدهر يثربُ
وإنّى إذا خان الزمان وفاءه * وفىٌّ على الضراء حرٌّ مجرّبُ
إباء أبت نفسى سواه وشيمة * قضى لى بها فى المجد أصلٌ مهذّبُ
ونفسٌ أبت الا اهتزازا إلى العلا * كما اهتزّ يومَ الرّوع رمحٌ ومقضبُ (٢)
ولى نسبٌ فى الأكرمين تعرّفتْ * إليه المعالى فهو ريّانُ (٣) مخصبُ (٤)
تمتّه أصول فى العلاء أصيلةٌ * لها المجدُ خدنٌ والسيادةُ مركبُ
تلاقَى عليه المطعمون تكرّما * اذا احمرّ أفقٌ (٥) بالمجرّة (٥) مجدبُ
من اليمنيّين الذين سما بهم * الى العزّ بيت فى المعالى مطنّبُ

(١) فى كلا الأصلين : «حولم» ؛ وهو تحريف .

(٢) المقضب : السيف القاطع .

(٣) فى بعض المصادر «عريان» ؛ وما أثبتناه هو المناسب لما بعده من الوصف .

(٤) المراد بوصف هذا النسب بالإخصاب ، كثرة ما يعدّ فيه من الكرام وأصحاب المفاخر .

(٥) احمرار الأفق كناية عن الجدب . والعرب تقول : سنة حمراء اذا كانت شديدة ؛ وذلك لأن آفاق السماء تحمرّ فيها . والمجرّة : البياض المعترض فى السماء ، والنسران عن جانبيها .

قَرَوا تُبَّعا بيضَ المواضى ضَحَاءَه (١) * وكُومَ (٢) عِشارٍ بالعشيّات تُضْهَبُ (٣)
فرحّلَه الجودُ العميم ومنصُلُ (٤) * له الغمدُ شرقٌ والذوائبُ مَغرِبُ
وهم (٥) نَصَروا والدين عزّ نصيرُه * وآوَوا وقد كادت يدُ الدين تُقضَبُ
وخاضوا غمارَ الموت فى حومة الوغى * فعاد نهارا بالهدى وهو غيهبُ (١٣١)
أولئك قومى حسبى الله مثنيا * عليهم وآىُ الله تُتلَى وتُكتَبُ

هذه اليتيمة أيدك الله مِلْحتُها الإحماض (٦)، وتحليتُها (٧) الألفاظُ فى أبعاض الاعتراض لِتَسرحَ مقلُ (٨) الخواطر فى مختلفات الأنواع، ويتنوعَ (٩) الواردُ على القلوب والأسماع، وإلا فلا تَماثُل فى الأدوات، وان وقع التماثُل فى الذوات، كالجمع بين النُّوريّة فى

(١) ضحاءه، أى فى وقت ضحائه، والضحاء : إذا امتد النهار وكرب أن ينتصف. وفى كلا الأصلين «ضفاة» وهو تحريف.

(٢) الكوم : النياق العظيمة الأسنمة؛ واحده كوماء بفتح الكاف.

(٣) فى كلا الأصلين وغيرهما من المصادر : «تهضب» بتقديم الهاء على الضاد، ولم نجد من معانيه ما يناسب السياق. «وتضهب» بالبناء للمجهول : من قولهم ضهبه بالنار كمنعه، إذا لوّحه وغيره، كما فى القاموس وشرحه، وهم يمدحون الشواء الذى لم يتم نضجه لما فى ذلك من التعجيل بقرى الأضياف أنشد الكلابىّ

خير الشواء الطيب الملهوج * قد هم بالنضج ولما ينضج

أو لعله من ضهّب اللحم بتشديد الهاء، أى قطعه، واذن يكون صواب البيت : «بالعشىّ تضهب» بإفراد العشىّ ليستقيم الوزن.

(٤) المنصل : السيف.

(٥) فى كلا الأصلين : «بهم» بالباء؛ وهو تحريف.

(٦) كأن الكاتب يريد تشبيه رسالته اذا نسبت الى رسالة ابن دقيق العيد بإحماض الابل بعد أن تسأم الحلو من النبات؛ كما يرشد الى ذلك سياق الكلام الآتى؛ والاحماض مصدر أحمضت الابل اذا أكلت الحمض وهو ما ملح وأمر من النبات؛ وهو كفاكهة الابل تأكله عند سآمتها من الخلة.

(٧) فى (أ) «تحليهم»، وفى (ب) «وتحكيم»، وهو تحريف فى كلتا النسختين.

(٨) كذا فى الطالع السعيد؛ والذى فى كلا الأصلين : «بنقل» الخ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى.

(٩) فى كلا الأصلين : «وينبوع»؛ وهو تصحيف.

السراج والشمس ، واشتمال الإنسانيّة[1] على القلامة والنفس، والتوارد الإدراكىّ بين كلّىّ بالعقل، وجزئىّ بالحس[2]؛ وكالعناصر فى افتقار الذوات اليها، وان تميّزت الحرارة عليها؛ وكالمشاركة الحيوانيّـة فى البضعة اللسانيّـة ، واختصاص الناطقيّة بالذات الإنسانيّة؛ فسيّدنا ثمر الروض ونسيمه، وسواء ثراه وهشيمه، وزهره وأنداؤه، وغيره شوكه وغثاؤه؛ والبدر وإشراقه، وسـواء هلاليّته ومحاقه؛ اشـتراك فى الأشخاص، وامتياز فى الخواصّ؛ ومشابهة فى الأنواع والأجناس، ومغايرة فى العقول والحواسّ؛ كالورد والشّقيق ، والقهرمان[3] والعقيق ؛ تمـاثلا فى الجواهر والأعراض ، وتغايرا فى تمييز الأغراض؛ فسيّدنا من كلّ جنس رئيسه، ومن كلّ جوهر نفيسه؛ وأما حسناء الملوك على مذهبهم فى تسمية القبيح بالحسن، والحسن بالقبيح، والضرير بالبصير والأخرس بالفصيح؛ فمـا صدّت ولا صدّت يمنى كاسها[4] . ولا شذّت فى مذهب ولائه عن اطّراد قياسها، ولا زوت عن وجه جلالته وجه إيناسها، ولا جهلت أنه فى العلوم الشرعيّة ابن أنسها، وفى المعانى الأدبيّة أبو نواسها؛ ولا خفى عنها أن سيّدنا مجرى اليمين[5] ، وفى وجه السيادة إنسان المقـلة وغرّة الجبين، والدرّة فى تاج الجلالة

---

(١) كذا فى الطالع السعيد؛ والذى فى كلا الأصلين : « فى » ؛ وهو غير مستقيم .

(٢) أشار بهذه العبارة الى ما هو معروف فى كتب المعقول من أن المـاهيات الكلية انما يدركها العقل دون غيره؛ وذلك لأنها ليس لهـا وجود فى الخـارج، وأما جزئيات هذه المـاهيات وأفرادها فإنها تدرك بالحس لوجودها الخارجىّ .

(٣) يقال فيه أيضا «الكهرمان» بالكاف ؛ والكهرم بجعفر . انظر تاج العروس مستدرك مادة « كهم» .

(٤) أشار بهذه العبارة الى قول عمرو بن كلثوم فى معلقته :

صددت الكأس عنـا أم عمرو * وكان الكأس مجـراها اليمينا

(٥) أشار بهذه العبارة الى قول عمرو بن كلثوم فى البيت السابق فى الحاشية رقم ٤ من هـذه الصفحة «وكان الكأس مجراها اليمينا» ؛ والمعنى أنه أولى من سواه بالتقديم .

والشَّذْرةُ فى العقد الثمين ؛ وأنه الصدرُ الذى يَأرِزُ(١) العِلمُ إلى صدرِه ، وتُقْتَرَحُ(٢) عقائلُ المعانى من فكره ، وتأتمّ الهداةُ ببدرِه ، وتَنتمِى(٣) الهدايةُ الى سرّه ، وأنّها فى الإيمان بمحمديّته أمُّ عمارة(٤) لا أمُّ عمرِه ؛ وأنّه غاية فخـارِها ، ونهايةُ إيثارِها ، [وآيةُ نهارِها](٥) ومستوطَنُ إفادتِها بين شموس فضائله وأقمارِها ؛ فكيف تَصُدّ وفيه كلّيّةُ أغراضِها ، ومنه عليّـةُ جملتِها وأبعاضِها ، وفى محلّه قامت حقائقُ جواهرِها وأعراضِها ؛ لكنّها توارت بالحجاب ، ولاذت بالاحتجاب ؛ وقُـرِبَ بالمجلس الكمالىّ ليكمّل ما بها من نقصِ كمالٍ وكمالِ عيب ، وتَجمعَ بين حقيقتَى إيمان الشهادة والغيب ، وتُعرَضَ على الرأى التقوىّ سليمةَ الصدر نقيّةَ الجيب ، وأَشهَدُ أنها جاءت تمشى على آستحياءٍ(٦) ولبست كُنْتَ شعيب ؛ هـذا ولَم تشاهدْ وجهَ حسـنائه ، ولا عاينَتْ سُكَينةَ(٧) حسينِه وهند(٧)

(١) يأرز . يأوى و يلجأ ؛ وفى كلا الأصلين : «بارذ» ؛ وفى الطالع السعيد : «بأزر» وهو تصحيف فى جميعها .

(٢) تقترح : تستنبط أو أنها تبتدع من غير سبق مثال ؛ وفى الطالع السعيد «تفرّع» والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٣) تنتمى : تنتسب ؛ وفى الطالع السعيد : «و تنتهى» بالهاء ؛ والمعنى يستقيم على كلا الوجهين .

(٤) أم عمارة : هى نسيبة بنت كعب إحدى نساء بنى مازن بن النجار؛ وكانت ممن شهدوا بيعة العقبة الثانية هى وأسماء بنت عمرو بن عدىّ أم منيع احدى نساء بنى سلمة ، انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥٥ ط بولاق والمراد وصف هذا الإيمان بأنه ثابت لا يقبل الشك لأنه عن مشاهدة وعيان كإيمان أم عمارة .

(٥) لم ترد هذه العبارة فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب) وكتاب الطالع السعيد ص ٦٢ طبع الجمالية .

(٦) أشار بهـذه العبارة الى قوله تعـالى فى سورة القصص : «فجاءته إحداهما تمشى على استحياء» الآية انظر تفصيل هذه القصة فى كتب التفسير .

(٧) يريد السـيدة سكينة بنت الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم ؛ وكان قد تزوجها مصعب بن الزبير ثم مات عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ؛ وآخر من تزوجها زيد ابن عمرو بن عثمان بن عفان ؛ وكانت وفاتها سنة سبع عشرة ومائة (وفيات الأعيان) . أما هند فهى بنت أسماء ابن خارجة وكان قد تزوجها الحجاج بن يوسف الثقفىّ بعد بشر بن مروان ؛ وكانت سكينة وهند من أجمل نساء العرب وأظرفهن .

أسمائه ، ولا قابلت نيّر فضله وبدر سمائه ؛ أقسم لقد كان يصرفها الوجل ، و يقيدها الخجل ؛ عالمة أنّ البحر لا يساجَل ، والشمس لا تُماثَل ؛ والسيف لا يُخاشَن ، والبدر لا يحاسَن ؛ والأسدَ لا يُكْعَم،[1] والطود لا يُزْحَم ؛ والسحابَ لا يبارَى ، والسيلَ لا يُجارَى ؛ وأنّى تبلُغُ الفَلَكَ هامةُ المتطاوِل ، "وأين الثريّا من يدِ المتناوِل" ؛ تلك عوارفُ آستولت على المعالى آستيلاءَها على المعالم ، وشهِدَتْ لها الفضائل بالسيادة شهادةَ النبوّة بسيادة قيس بن عاصم ؛[2] ولا خفاءَ بواضح هذا الصواب ، عند مقابلة البداية بالجواب ؛

فالشمسُ أوضحُ مِن ضياء الأنجمِ * ما البيِّنُ الأعلى كداجٍ مظلِمِ
يا مُـثريا مِن كلّ علمٍ نافعٍ * أيقاس مُثرٍ فى العلوم بمعدِمِ
أوكَفَتْ[3] فضلَك فى رذاذ غمائمى * ما للرذاذ يدٌ بنَوْء المُرزِمِ[4]
وانصبّ بحرُك فى ربيع[5] خواطرى * ما للربيع وفَيض بحرٍ أعظمِ
وسَلَلتَ سيف العلم أبيضَ مِخْذَما * كالبرق يلمع فى غمامٍ مُثْجِمِ[6]
فلّتْ حدّىْ معضَدٍ[7] فى راحتى * ما للكَهام وحدّ أبيضَ مِخْذَمِ[8] (١٣٢)

(١) يكعم : يشد على فيه ، وهو من كعم البعير أى شدفاه عند هياجه لئلا يعض أو يأكل . أو هو من كعمه الخوف : اذا أمسك بفيه ، وهو على المثل .

(٢) أشار بهذه العبارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم فى قيس بن عاصم المنقرى : "هذا سيد أهل الوبر" (الأغانى) ج ١٢ ص ١٥١ طبع بولاق .

(٣) كذا ورد هذا الفعل فى كلا الأصلين بالألف ؛ والذى وقفنا عليه فيما لدينا من كتب اللغة أنه يتعدى بنفسه لا بالهمز ، يقال : وكفت العين الدمع أى أسالته قاله اللحيانىّ . أما أوكف بالألف فلم نقف عليه إلا لازما يقال : أوكف البيت والسطح بالمطر ، أى هطل وقطر .

(٤) المرزم : من أرزم الرعد إذا اشتدّ صوته .

(٥) الربيع : النهر الصغير .

(٦) المثجم : السريع المطر ؛ وفى (أ) : «متخم» بتاء مثناة بعدها خاء فوقية ؛ وهو تصحيف .

(٧) المعضد : السيف الذى يمتهن فى قطع الشجر .

(٨) المخذم بكسر أوله من السيوف : القاطع .

يا سابقا جُهدى(١) مصلّى عفوه * ما للسُّكيت(٢) يدٌ بعفو مطهّم(٣)

بذّ السوابقَ فى العلوم وحازها * بالكسب منه والتراث الأعظم

العلم علمُ محمد وكفى به * وعلىٌّ البابُ المبلّغ فاعلم

ما كنتُ أوّلَ مُجِمٍ عن موردٍ * عذُبتْ موارده لقَرْنٍ مُجحِمِ(٤)

سابقتُ سُبّاقا شَأَوتُ(٥) بيانَهم * ببديع نثرٍ أو بليغ منظّم

وسقيتُ بالكأس الكبيرة منهما * لما سقوا بالأصغر المتثلّم

حتى اذا سابقتُه وهو(٦) ابنُ بحشر أو أبو بحرٍ إليه ينتمى

طارت فضائله إلى عليائها * بجناح فتخاء(٧) ونسرٍ قشعم

وسما به العلم الأجلّ محلّه * حتى توقّل(٨) فى المحلّ الأعظم

ومشى حضارا(٩) فانثنيتُ مقصّرا * أتجول خيلى فى مقرّ الهيثم(١٠)

(١) فى (أ) : « عهدى » بالعين المهملة ؛ وهو تحريف . والمصلى من الخيل ، الذى يجىء بعد السابق ؛ سمى بذلك لأن رأسه يلى صلا المتقدم . والصلا : منحدر الوركين .

(٢) السكيت : العاشر من خيل السباق .

(٣) المطهم : الحسن التام كل شىء منه على حدته ، فهو بارع الجمال .

(٤) القرن من القوم : سيدهم . والمجحم اسم فاعل من الإجحام وهو التقدم ؛ ويستعمل فى التأخر أيضا فهو من الأضداد ؛ ومثله الاجحام بتقديم الحاء فانه يستعمل فى المعنيين أيضا . مستدرك التاج مادة (جحم) .

(٥) فى كلا الأصلين : «شادت» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به البيت ؛ وشأوت : غلبت .

(٦) فى كلا الأصلين : «فهو» بالفاء . والسياق يقتضى الواو ، فان الجملة بعدها فى موضع الحال .

(٧) الفتخاء العقاب اللينة الجناح لأنها اذا انحطت كسرت جناحيها وغمزتهما وذلك لا يكون إلا من اللين .

(٨) توقل ، أى صعد بتشديد العين ؛ وأصله من التوقل فى الجبل وهو التصعيد فيه .

(٩) الحضار : مصدر حاضرة ، أى سابقة فى العدو ، وهو هنا على الاستعارة يريد المسابقة فى الفضل والذى فى (أ) « خطارا » وهو تحريف ؛ وفى (ب) « مطارا » ؛ وهو وان صح حمله على أنه مصدر ميمى بمعنى الطيران الا أنه غير ملائم لقوله قبل : « ومشى » .

(١٠) الهيثم : فرخ النسر .

لا عار إن عضلت بدائهُ فكرتى * بابن المقفّع أو بنجل الأهتم (١)

يا أعلمَ الفضلاء لستُ مقاوِلا * فُصْحَى بناتِك (٢) باللسان الأعجمِ

لو حاولَتْ فِكرى مساواةً لها * يوما لجاءت بالغراب الأعصمِ (٣)

أقتصِرُ فللبيان في بحر فضائله سَبْحٌ طويل، ولِلسعيِ في غاياته مُعرَّسٌ ومَقيل، ولِلمَحامد بُثَينة محاسنه صَبابةُ جميل، وإنّى وإن كنتُ كثيِّرَ عزّة ودِّه، إلا أنّى في حلبة الفضل لستُ من فُرسان ذلك الرَّعيل؛ لا سيّما وقد وردتُ مَشرَع ألفاظه التى راقت معانيها، ورقّت حواشيها، وأدنَتْ ثمرات الفضل من يمين جانيها؛ فجاءت كالنسيم العليلِ، والشذا من نفحة الأصيل، والشرابِ الباردِ والظلِّ الظليل

طبعٌ تَدفّق رقةً وسلاسةً * كالماء عن متن الصفاة يسيلُ

كالمقلة الحسناءِ زان جفونَها * كَحَلٌ وأخرى زانها التكحيلُ

والروضة الغناء يَحسُن عَرْفُها * وتزاد حُسنا والنسيمُ عليلُ

والخاطرُ التقوِىُّ كَمَّل ذاته * علما وليس لكامل تكميلُ

والله تعالى يبقيه جامعا للعلوم جمع الراحة بنانَها، رافعا له رفع القناة سنانَها، حافظا له حفظ العقائد أديانَها، والقلوبِ إيمانَها

---

(١) نجل الأهتم، هو عمرو بن سنان بن سمىّ بن سنان بن خالد بن منقر؛ والأهتم هذا لقب لقب به أبوه. لأن قيس بن عاصم المنقرى ضربه بقوسه فهتم فاه وقد وفد عمرو بن الأهتم هو والزبرقان بن بدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان من البيان لسحرا» وبنو الأهتم: أهل بيت بلاغة فى الجاهلية والإسلام، وكان يقال: «الخطابة فى آل عمرو (زهر الآداب ج ١ ص ٥ و ٦ طبع الرحمانية.

(٢) أراد ببناته، رسائله؛ وفى كلا الأصلين: «بيانك»؛ وهو غير مطابق لما قبله من الوصف.

(٣) الغراب الأعصم: الذى فى جناحيه ريشة بيضاء ويقال هذا للشئ الذى يعز وجوده.

لِيُضحِى نديمـا للمعالى كأنه * نديمـا صفـاءٍ مالكٌ وعَقيـلُ (١)
و يصبح ظلُّ الفضل من فَىْءِ ظلّه * على كَنَف الإسلام وهو ظليلُ
و ينشأ أبنـاءُ العلوم وكلُّهـم * بحسنائه فى العاشقين جميـلُ
دَلالته فى الفضل من ذات نفسِه * وليس على شمس النهـار دليـلُ

وكتب — رحمه الله تعالى — رسالةً الى الصاحب شرف الدين الفائزى (٢) عند ما ورد عليه كتابٌ يذكر أن رسول الخليفة وَصل يلتمس إجابةَ المَلِك المعز (٣) أوّلِ ملوك الترك إلى صلح المَلِك الناصرِ صلاح الدين يوسف (٤) — وقد كان الناس يذكرون أن الملك الناصر يريد أن يَهجُم بعساكره على الديار المصرية، وأنه لا يجيب إلى الصلح، [فلما] (٥) جاء الرسول بذلك ظهر للناس خلافُ ما ظنّوه — :

(١) مالك وعقيل، هما نديما جذيمة الأبرش، وكان يضرب بهما المثل فى طول الاجتماع؛ وهما اللذان عناهما متمم بن نويرة بقوله فى رثاء أخيه مالك :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

زهر الآداب (ج ٣ ص ١٦٠) طبع الرحمانية .

(٢) شرف الدين الفائزى، هو هبة الله بن صاعد وزير الملك المعز، ووزير ابنه الملك المنصور بعده؛ والفائزى نسبة الى الملك الفائز ابراهيم بن العادل لأنه كان فى خدمه أولا، وكان فى صباه نصرانيا ثم أسلم؛ مسالك الأبصار ج ٧ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ وذكر ابن إياس فى كتابه ج ١ ص ٩٣ أن الأمير سيف الدين قطز المعزى نائب السلطنة بالديار المصرية فى عهد الملك المنصور ابن الملك المعز قد قبض على الشيخ شرف الدين هذا وصادر أمواله وصلبه على باب القلعة وولى مكانه فى الوزارة زين الدين يعقوب بن الزبير .

(٣) هو عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحى، تولى السلطنة بالديار المصرية فى سنة ثمان وأربعين وستمائة، ولقب بالمعز؛ وقتل فى سنة خمس وخمسين وستمائة انظر تاريخ أبى الفدا (ج ٣ ص ١٩١ و ٢٠٠) طبع الأستانة .

(٤) هو الملك الناصر يوسف صاحب حلب ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب؛ وقد قتله هولاكو ملك التتر فى سنة تسع وخمسين وستمائة، انظر تفصيل ذلك فى تاريخ أبى الفدا (ج ٣ ص ٢٢٠، ٢٢١) طبع القسطنطينية .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ( أ )؛ والسياق يقتضى إثباتها

(١٣٣) لِأمرِكَ أمرُ الله بالنجح عاضـدُ * فَصُلْ آمِرا فالدهرُ سيفٌ وساعدُ
وقُلْ ما آقتضت علياك فالعزّ قائمٌ * بأمرِكَ والمجـد المؤثّل (١) قاعدُ
وَنَمْ وادعا فالجَدُّ يقظـانُ حارس * لمجـدك والعـادى لبأسـك راقدُ
فـما تُـبرِم الأيامُ ما آلله ناقض * ولا تنقض الأيامُ ما آلله عاقـدُ
وقد بَرزتْ بكر المكارم والعـلا * وفى جيدها من راحتيك قلائدُ
تحَفَّت بها الأملاكُ وهى مواهب * وسارت بهـا الرّكبان وهى محامدُ
وزُفَّتْ لهـا النعماءُ وهى مصادر * رفعنـا لهـا الأمداح (٢) وهى مواردُ
فنـثّرها الإحسانُ وهى لآلئٌ * ونظَّمها الإفضالُ وهى فرائـدُ
فلا زلتَ محروس العلا ياابن صاعد * وجَـدُّك فى أفق السيادة صاعدُ
تُسَـرّ بك الدنيـا ويَبتهجُ الورى * وتُستوكَف النُّعمى وتُحوَى المقاصدُ

وَرَد كتابٌ كريم ، ونبأٌ عظيم ؛ لَم تُجـرِ بنبوعَه جياد الأقلام ، ولَم تجُـدْ بنوئه عهاد الأيام ، ولم تَظفَر بمثله أعياد الإسـلام ؛ فتُلِيَ على عذبات (٣) المنـابر ، وجُلِيَ على آماق الأبصار وأحداق البصائر ، وكانت بشراه البِكرَ العوانَ (٤) ، لِـما آبتَدَأتْ (٥) به من البشارة

(١) فى ( أ ) : «الموشك» ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا فى كلا الأصلين . ولم نقف على هذا الجمع للمدح فيا بين أيدينا من كتب اللغة ؛ كما أن الذى يستفاد من كتب الصرف عند الكلام على « أفعال » أن هـذه الصيغة لا تطرد جمعا «لفعل» بفتح أوله وسكون ثانيه اذا كان صحيح الفاء والعين .

(٣) المراد بعذبات المنابر أعاليها ؛ والعذبة بفتح العين والذال من كل شىء : طرفه .

(٤) العوان : النصف فى سنها من النساء وغيرهن ؛ وفى كلا الأصلين : « القران » وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٥) فى كلا الأصلين : «ابتدلت» وهو تحريف . أراد بهذه العبارة أنها بكر لانها لم تسبق بمثلها ؛ وعوان ، لانها تلد البشائر .

ولِمـا تَلِدُه من البشائر، وطليعةَ المَسارِّ التى واجهَت الآمالَ ووجهُ السعد سافر، ومقدّمةَ الأمن التى لا يُسَرّ بها إلا مؤمن ولا يساء بها إلّا كافر؛ وتحيةَ الله التى أحيت قلوب العباد، ومنةَ(١) الله التى سكنتْ لهـا السيوفُ فى الأغماد، ونعمةَ الله التى عمّتْ كلّ حاضر وباد؛ ورحمةَ الله التى رحم بها هـذه الأمّة وما زال بالمؤمنين رحيما، وفضلَ الله على هـذه الملّة(٢) وكان فضل الله عليها عظيما؛ وسعادةً سارت بها الأيام الى المقام المعزّىّ بين الخَبَب والتقريب، ومَركَبَ عزٍّ قدّمتْه عناية الله تقدمةَ الجَنيب، وكتابًا عنايتُه(٣) هـذا عطاء الله، وعُنوانُه «نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ»، وسِلْمٌ(٤) جلّل وجه الإسلام بُرَدَ لباسه القشيب، وسلامةً جنتْ يمين الإيمان ثمرَ غصنها الرطيب، وعزٍّ ألبس المُلكَ خِلَعَ شبابه بعد ما خَلَع غبارُ الوقائع [عليه](٥) رداءَ المَشيب، وشمسُ سعادة منذ طلعَتْ فى أفقها لم تجنح للغيب، ولطفٌ خفىّ قعد له كلُّ حمدٍ وقام به كلُّ خطيب، ومملكة تُسمِعُها الأيّامُ: قِفا نضحكْ بمَسارِّ الإنعام لا قِفا نَبـكِ من ذكرى حبيب، وغنيمة باردة حازتها يدُ المُلك ولسانُ السنان غيرُ ناطق وكفُّ السيف غيرُ خضيب

بتسديد(٦) رأيٍ لو رأته أميّـةٌ * لمـا احتفلتْ(٧) يوما بقتل شَبِيبِ(٨)

---

(١) فى كلا الأصلين: «وأمنة»؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٢) كذا فى (ب)؛ والذى فى (أ) «الأمة» وهو وإن صح به المعنى إلا أن فيه تكرارا مع ما سبق فى الجملة التى قبلها. (٣) عنايته: أى مقصده. (٤) سلم بالرفع معطوف على قوله: «نصر».

(٥) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين؛ والسياق يقتضى إثباتها.

(٦) فى كلا الأصلين: «بنشيد»؛ ولم نقف فيا لدينا من كتب اللغة على معنى له يناسب السياق؛ ولعل صوابه ما أثبتنا إذ به يستقيم الوزن والمعنى.

(٧) فى كلا الأصلين: «اختلفت»؛ وهو تحريف.

(٨) شبيب: هو أبو الضحاك شبيب بن يزيد بن نعيم الشيبانى الخارجىّ؛ وكان خروجه فى زمن الحجاج مع صالح بن مسرح من بنى امرئ القيس؛ وقد بايعته الخوارج بعد قتل صالح؛ وكان يلقب بأمير المؤمنين وكان موته غرقا فى نهر دجيل، وهو دجيل الأهواز لا دجيل بغداد فى سنة ١٧٧ أو ٧٨ على اختلاف فى الرواية؛ وكانت ولادته فى سنة ٢٥ أو ٢٦ انظر كتاب ملخص تاريخ الخوارج وغيره من كتب التاريخ.

الى غير ذلك من فكرةٍ صاحبيةٍ شَرَفيّةٍ سَكَن المُلْكُ تحت ظلالها ونام ، وقعد بأمرها وقام، وتحرّكَتْ لها العزائم، وسكنَتْ لهـا الصوارم، وآستُنزِلت العُصْم وذُعِرَتْ العواصم ، وهمم إذا سَمَتْ سامت آلسماء واذا هَمَّتْ أَهمت آلغمائم ، وعزٌّ تحت ظلِّ ظلاله الشرفُ مقيم و فى خدمته المجدُ قائم ، وعزم آستيقظ له جفن النصر والسيفُ فى جفنه نائم ، وسيفٍ حزم على عاتق المُلك منه نِجادٌ وفى يد جبّار السموات منه قائم ، وآراءٍ آستفتح عقائلها فأَنجبتْ(١) ، ورَمَى غرض إصابتها فأَكثبَتْ(٢) ، (أى أصابت) وأَعمَل رائدَها فاستيقظت له آلهمم والأنام نيام، وجلس فى صدور رِياستها والعالمون قيام، وتدبير أُحكِم بإبرام النقض ونقض الإبرام، وذُعِر به رابضُ الأُسد وأُنِّس به نافرُ الآرام، وأجال به خيله فى مَسارِى الأرقم، ومَقَرِّ الهَيْثم، وأمضاه فى مَضايق خطْبِه فأغناه عن سنّ السِّنان وشفة اللَّهذم، هذا ولما(٣) صَدقتْ عزائمُ المملكة التى نظم الله قلادةَ مُلكِها فليس لهـا انتثار، ولمعَتْ كواكب أَسَلِها(٤) فى ليـل الرَّهَج وسمـاءِ الغبار ، وبَنَتْ حوافر خيلِها سورا من متراكم النَّقع المُثار، وحصَّنَتْها يد الله بمـا أظهرتْه من

(١) فى كلا الأصلين : «فأنجبت» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السجع الذى التزمه الكاتب فى جميع رسالته .

(٢) الذى وقفنا عليه فيما لدينا من كتب اللغـة أن الإكثاب هو المقاربة والمداناة ، وهو من الكثب بالتحريك بمعنى القرب فلعل تفسيره هنا بالإصابة منظور فيه الى مراد الكاتب .

(٣) لم يرد فى هذه الرسالة كلها ما يصح جعله جوابا (لمّا) هذه ، والظاهر أن بعض عباراتها قد سقط من الأصل ؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من المظان .

(٤) الأسـل : الرماح ؛ وانما سميت الرماح أسـلا تشبيها لها بالأسل ، وهو نبات من الأغلاث يخرج قضبانا دقاقا ليس لها ورق ولا شوك الا أن أطرافها محدّدة وليس لهـا شعب ولا خشب ؛ وشبهت الرماح به فى طوله واعتداله واستوائه ودقة أطرافه .

كامنِ الغيب وأخفته[1] من طلائع الأقدار، وحضنتها[2] رعاية الله وله مِن القدر أعوانٌ ومِن الملائكة أنصار (١٣٤)

فعمّت عمومَ الليلِ والليـــلُ مظلمٌ * وجاءت مجيءَ الصبحِ والصبحُ مُشرِقُ
ومدّت غمــاما من سنابك خيلها * بسَـــلِّ المَواضي المَشرَفيّاتِ يَبرُقُ

في كتائبَ إذا سارت ســوابقُها ملأتْ عَرْضَ الغــبراء، وإذا نُشرتْ خوافقها سترتْ وجهَ الخضراء، وكادت تُذْعَرِ الآسادُ بَمواضي حتوفها، وتسكن المنايا تحت ظلال ســيوفِها؛ لاسيما إذا أنجمتْ[3] أنجُمُ عواليها، ولمعتْ بروقُ مَواضيهــا؛ وجاءت خيلُها كالصخرِ الأصمِّ والطود الأشمِّ أعجازُها وهَواديها؛ من كلِّ كُمَيْتٍ[4] حلوِ في الإزار، بين الشُّقرة والأحمرار، كأنه وَرْديةُ العُقار

يُحِسّ وقـــعَ الرزايا وهي نازلةٌ * فَيَنهبُ الجريَ نَفْسَ الحادثِ المَكِرِ[5]

وكلِّ أشقرَ[6] كأنمــا قُدَّ أديمُهُ مِن لهبِ النار، مُعارِ رداءَ الحُسن، وأحَقُّ الخيل

---

(١) في (أ) «وألحقته»؛ وهو تحريف .

(٢) في كلا الأصلين : «وحصنته» بالصاد؛ وهو مكرر مع ما قبله في أول الجملة السابقة . وحضنتها بالضاد المعجمة : أي حفظتها وكفلتها وهو مستعار من حضانة المرأة للصبي، أي تربيته وحفظه .

(٣) أنجمت : ظهرت .

(٤) قال ابن الأعرابي : الكمتة كمتتان : كمتة صفرة، وكمتة حمرة؛ والكميت من الخيل يستوى فيه المذكر والمؤنث؛ ولونه الكمتة، وهي حمرة يدخلها قنوء . وقال سيبويه : سألت الخليل عن كيت، فقال : هو بمنزلة جميل (بضم الجيم)؛ وقال : إنما هي حمرة يخالطها سواد ولم تخلص، وإنما حقروها لأنها بين السواد والحمرة ولم تخلص لواحد منهما فيقال : أسود أو أحمر، فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب .

(٥) البيت لأبي العلاء المعرى انظر سقط الزند .

(٦) الأشــقر من الدواب : الأحمر في مغرة حمرة صافية يحمر منها السبيب والمعرفة والناصية . وأما في الإنسان : فهي الحمرة تعلو بياضا .

بالرَّكض المُعار (١)، لا تعلَّق به المَذاكِى (٢) يوم رِهان ولا تَشُقّ له الحوادثُ وجهَ غبار كأنما لبس ثوبا من خالص النُّضار

عِتاق لو جرت والريحَ شأوا * لفاتتـــه وأوثقـــه (٣) إسارُ

غَدت ولها حُجول من لُجَين * وراحت وهى من عَلَقٍ نُضارُ

وكلّ أدهمَ كريم النِّجار، غَذِىِّ اللِّبانِ (٤) الغِزار، كأنما فُصِّلتْ ثيابه من سواد الليل وصِيغتْ حُجولُه من بياض النهار

بأغرَّ يَبتسم الصباح بوجهه * حُسنا ويَسفِر عن مُحيًّا مُسفِرِ

خَلَع الظلامُ عليه فضلَ ردائه * وثنَى من التحجيل ثوبَ مقصِّرِ

وكلّ أشهبَ أُفرِغ فى قالَب الكمال، وَجِيهِىِّ (٥) الأب أعوَجِىِّ (٥) الخال، إن مشى ضاق بزهوِه فَسيحُ المجال، وإن سعى رأيتَ البرقَ ملجَما بالثريّا مسرَجا بالهلال، كأنما آنتَعَل خدَّ الجنوب وآشتمَل بثوب (٦) الشَّمال

(١) المعار: «المسمن» بتشديد الميم المفتوحة، يقال: أعرت الفرس: أى أسمنته. أشار بهذه العبارة الى قول الشاعر:

أعيروا خيلكم ثم اركضوها * أحق الخيل بالركض المعار

(٢) المذاكى من الخيل: التى تم سنها وكملت قوتها.

(٣) أراد بالريح هنا معنى الهواء فأعاد عليها ضمير المذكر مع أن التأنيث هو الأكثر فيها؛ وانما آثر التذكير دفعا للالتباس، فانه لو أنث الهاء لم يعلم مرجعها أهو العتاق، أم الريح.

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى كلا الأصلين؛ والذى وقفنا عليه فيا لدينا من كتب اللغة أن جمع اللبن ألبان، كسبب وأسباب؛ فلعل المراد باللبان هنا: ذوات اللبن، وواحده لبون (اللسان نقلا عن المحكم).

(٥) الوجيهى: نسبة الى الوجيه، وهو اسم فرس من خيل العرب نجيب تنسب اليه كرام الخيل وكان لغنى بن أعصر. والأعوجى: نسبة الى أعوج، وهو اسم فرس سابق ركب صغيرا فاعوجت قوائمه، واليه تنسب كرام الخيل أيضا فيقال: الأعوجيات وبنات أعوج؛ وكان هذا الفرس لهلال بن عامر.

(٦) هذه الباء ساقطة من كلا الأصلين؛ واللغة تقتضى إثباتها.

مِن الجِياد التى لم تَبـدُ فى رَهَجٍ * إلّا أَرَتْكَ بياضَ الصبح فى غَسَقِ
ولا جَرَين مع النَّكْباء(١) فى طَلَقٍ(١) * إلّا ٱحتَقَرتَ ٱلتماعَ البرق فى الأفقِ

وكلّ مطهَّم إن رَكضَ قَلِقَ السماطُ لِرَكضِه، وخلت بعضَه منفصلا عن بعضِه وإن مشى رأيتَ الطودَ فى سمائه والرياحَ فى أرضه؛ وإن خطا ظننتَه يَرتَع فى روض المَجَرّة ويَكرَع فى حوض الغمام، وخلتَه ٱلأشمَّ مِن ٱبنَىْ شَمام(٢)، همُّه جهةَ الأمام وصوتُه حركةُ اللجام، كأنه قطعةٌ من سماءٍ أو ظُلّةٌ من غمام

جرى(٣) والريحَ فى طَلَقَ رِهانٍ * فقامت دونه ومضى أَماما
وَمدّ من السنابِك ثوبَ غَيمٍ * ولَم أرَ قَبلها ثوبا غَماما

عليها كُلُّ كَمِىٍّ لابَسَ الحربَ ولابسته(٤)، ومارسها ومارسَتْه؛ وكَتبَتْ عليه المواضى فى صدره كتابا أعجمَتْه أطرافُ الأَسَل، وجَنَى ثَمرَ الحديدِ أحلى عنده من العسل وسار إلى مهج الأبطال كسيف القضاء وحثِّ(٥) الأجل؛ له حُنكَةُ الأَشيَب ونجدةُ الغلام، وصنعةُ الضرب الفَذِّ والطعنِ التُّؤام، والفتكاتُ التى تُطلِع صبحَ الصوارم

---

(١) النكباء: ريح انحرفت ووقعت بين ريحين، أو بين الصبا والشمال. والطلق بفتحتين: الشوط الواحد فى جرى الخيل.

(٢) شمام: اسم جبل لباهلة، كما فى ياقوت. وقال ابن برى: هو جبل بالعالية، وهذا الجبل له رأسان، يقال لهما: ابنا شمام قال لبيد:

فهل نبئت عن أخوين داما * على الأحداث إلا ٱبنى شمام

(٣) فى كلا الأصلين: «بجرى»؛ والفاء زيادة من الناسخ.

(٤) الى هنا انتهت النسخة المشار اليها بحرف (ب).

(٥) الحث: الإعجال، وإضافته إلى الأجل من إضافة المصدر الى مفعوله. أو لعله: «وحتم» بفتح الحاء وسكون التاء.

فى ليـل القَتام ، والفَعَلاتُ التى لهـا فَتكاتُ الأَوْرق(١) فى النَّقَـد وصَولاتُ الأسد فى السَّوام

يمشى الى الموت عالى الكعب معتقِلا * أَظمَى(٢) الكعوب كَمشى الكاعبِ الفُضُلِ(٣)

يُحسِنُ فى بحار الدروع سَبحَ(٤) الفوارس ، بين بدور اليَلَب(٥) ونجوم القَوَانس(٦) ؛ من كلِّ سابغة لا تصل إليها ألسنةُ الحداد ، كأنها أثواب الأراقم خِيطت بأعين الجراد ؛ كفيلة بحماية الأنفُس وصيانةِ المُهَج ، تُبِير مسالكَ لابسِها فى دياجى الرَّهَج ، إنما هى البحر ولا حرج(٧)

اذا ما مشَوا فى السابغات حسِبتَهم * سيولا وقـد سالت بهنّ الأباطحُ

وكلِّ أبيضَ هندىٍّ تألفتْ من المِلح أبعاضُه ، البَرَدُ جِسمُه والبرقُ إيماضُه ؛ المَفارقُ مغاربُه والأجفانُ مَطالعُه ، والأنفسُ مواردُه والمنايا متابعُـه ؛ لو أُثمِرَ لأنبت رءوسا ولو تفجّر لسال نفوسا ، ولو تكشَّف صافى حديده لرأيتَ فيه عُبوسا (١٣٥)

(١) فى الأصل : «الأرواق» ؛ والألف زيادة من الناسخ . والمراد بالأورق هنا : الذئب ، فان لونه الورقة ، و يقال للذئبة : الورقاء ؛ قال فى اللسان مادة (ورق) ما نصه : وكذلك شبهت العرب لون الذئب بلون دخان الرمث ؛ لأن الذئب أورق قال رؤبة :

فلا تكونى يا ابنة الأشم * ورقاء دمى ذئبها المدمى

اه والنقد بفتحتين : صغار الغنم ، واحدته نقدة .

(٢) الأظمى من الرماح : الأسمر ؛ وهو من المعتل اللام ، وليس من المهموز .

(٣) الفضل بضمتين : المختالة التى تفضل من ذيلها ، كما فى اللسان مادة (فضل) .

(٤) فى الأصل : «تحت» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٥) اليلب محركة : الترسة ، أو هى جلود يخرز بعضها الى بعض تلبس على الرءوس خاصة .

(٦) القوانس : جمع قونس ، وهى أعلى بيضة الحديد .

(٧) أشار بهذه العبارة الى قولهم : "حدث عن البحر ولا حرج" والمراد أنه لا لوم على من يطيل فى وصف هذه الدروع مهما توسع فى ذلك ، لشبهها بالبحر فى بريقها واطراد متنها .

سَلِيلُ النار[1] دَقّ ورَقّ حتى ✽ كأنّ أباه أَورَثه السُّلالا
ودَبَّت فوقه حمـرُ المنايا ✽ ولكن بعد ما مُسِخَتْ نِمالا

وكل أَسمَرَ اذا انتحى فهو صاحٍ واذا انثنى فهو نشوان ، واذا ورد دمَ القلب فهو ظمآنُ القناة رِيّانُ السنان ، اذا خطب النواصيَ وَخَط[2] ، واذا كَتبت المواضى نَقَط ؛ واذا قَصُرت يدُ القِرْنِ طال ، واذا صَلِيَتْ نارَ الحرب العوالى صال

تَوَهّـم كلَّ سابغةٍ غديرا ✽ فرَنّق[3] يشرب الحَلَقَ الدِّخالا[4]

وكلِّ صفراءَ رَقشاءِ[5] الأديم ، كأنها أَرقَمُ الصَّريم[6] ؛ لهـا فَلَكٌ بالرزيّة دائر ، وسهمٌ بالمنيّة طائر ، إن رَكِب فهو مقيم وإن نزل فهو سائر ؛ مع عزائمَ بَنَتْ على[7] الدولة سورا ، وجَعلَتْ بينها وبين الذين لا يؤمنون بالدولة المعزّية حجابا مستورا ؛ على أنها غنيمةٌ لم تحتج إلى الإيجاف والإيضاع ، وطَلِبَةٌ ألفاها على طرف الثمام[8] وحبلِ الذراع[8] ؛ وعنايةٌ جاءت على اختيار المراد ومرادِ الاختيار ، ونعمةٌ كَرّتْ هى والتوفيق فى قَرَنٍ

---

(١) "سليل النار" يريد أن هذا السيف قد ولدته النار لأنه أخرج بها من معدنه ؛ وطبع سيفا بواسطتها والشعر لأبى العلاء المعرى انظر شرح التنوير على سقط الزند ج ١ ص ٢٧ ، ٢٨ طبع بولاق .

(٢) وخط : طعن طعنا نافذا ؛ وبابه وعد .

(٣) قال فى شرح التنوير على سقط الزند ج ١ ص ٢٩ طبع بولاق فى تفسير هذه الكلمة : رنق الطائر : اذا حام حول الماء ليشرب اهـ والبيت لأبى العلاء المعرى .

(٤) الدخال : المتداخل بعضه فى بعض انظر شرح التنوير على سقط الزند . والذى فى الأصل : «الحلق الدجالا» ؛ وهو تصحيف .

(٥) الرقشاء : المنقوشة ؛ يريد القوس .

(٦) الصريم : القطعة من معظم الرمل .

(٧) فى الأصل : «عليها» ؛ والسياق يقتضى حذف الهاء .

(٨) يقال : هوله على طرف الثمام : إذا كان هين المتناول ، كما يقال : هو على حبل الذراع : إذا كان ممكنا مستطاعا .

وجَرَتْ والسعادةَ فى مضمار، ومنحةٍ رَكَضتْ بها الى المقام المعزّىّ سوابقُ الأقـدار ومعنًى خفىٌّ من نعم الله لم تَلِجه عقائل الأفكار؛ واذا سبَقت عناية الله فليس لأمر حتمه الله رافع، واذا لحظَتْ السـعادة آمرأ وقفَتْ دونه آمال المطالب وتقطّعَتْ خلفه أعناق المطامع، وآستولت يمينه على آفاق سمـاء[1] الشرف فلها قمراها والنجوم الطوالع، وهذه مواهبُ لا تدركها دقائقُ الأَسْطُرْلاب[2] ولا دَرَج الشمس ولا رَصْدُ الطـــوالع

لعمرك ماتدرى الضّوارِبُ بالحصا * ولا زاجراتُ الطـيرِ ما آلله صـانعُ.

ويُنهِى[3] أنّ حاملها مَن عَقدَتْ عليــه الملوكُ خناصرَها، وآختَصّ منها بالصحبة ناصرَها؛ وله فضــلٌ لا يذاد عن مَنهل العلم سَوامُه، ولا تُجهَل فى مسالك الشرف

---

(١) فى الاصل: «يمين»؛ وهو غير مستقيم؛ والصواب ما أثبتنا، فانه يشير بهذه العبارة الى قول جرير:

أخذنا بآفاق السماء عليكمو * لنا قمراها والنجوم الطوالع

(٢) الأسطرلاب بفتح الهمزة وضم الطاء: ميزان الشمس، وبه يعرف مقـدار الساعات وأخذ الأرصاد ومطالع الكواكب.

(٣) الظاهر أن هـذا الكلام من قوله: «وينهى» الى قوله فيما سـيأتى: «من أفقها صبحا»، ليس من تمـة الرسالة السابقة؛ وانمـا هو بعض رسالة أخرى سقط أولها من الأصل الذى بين أيدينا؛ ويدل على ذلك أمران: أحدهما، أن المكتوب اليه بالرسالة السابقة هو الصاحب شرف الدين الفائزى وزير الملك المعز كما تقدم، أما هذه الرسالة ففيها ما يدل على أن المكتوب اليه غير الصاحب شرف الدين، فانه يقول فيها: «وقد صـير الجناب الزينىّ لـما يحاوله» الخ ولم يقـل: الجناب الصاحبىّ أو الشرفىّ أو الفائزى نسبة الى أحد ألقاب شرف الدين؛ والظاهر ان الزينىّ نسبة الى زين الدين يعقوب بن الزبير وزير الملك المنصور نور الدين على ابن الملك المعز أيبك التركمانى؛ وزين الدين هذا قد تولى الوزارة للملك المنصور بعد الصاحب شرف الدين الفائزىّ كما تقـدّم بيان ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٦٣ من هذا الجزء نقلا عن ابن إياس. الأمر الثانى، اختلاف الغرض فى كلتا الرسالتين فانه فى الرسالة الأولى يهنىء الصاحب شرف الدين بالصلح بين الملك الناصر والملك المعز؛ وفى الرسالة الثانية يوصى بخير لإنسان.

أعلامُه؛ وله نفسٌ سَمَت حتى أَخذَتْ سماء السيادة بيمينها، وهمّةٌ اذا رأيتَ ذاتها الكريمة تَوسّمتَ الرِّياسةَ فى جبينها، وأبوّةٌ لاتّجر من المعالى إلّا فى ثمينها؛ وقد أكلته السنة بل السنوات، وترادفت عليه الملمّات بل المؤلمات؛ وقد صيَّر الجناب الزينىّ لما يحاوله ذَريعه، ووَرَد المنهلَ الرَّحْبَ وإنه لعذبُ الشريعه، وقد أصاب به مولانا طريقَ المَصنع فألبَسه ثياب الصنيعه؛ ومولانا أَولى مَن أَولاه شرفَ جلاله ونظر اليه بعينٍ كريمةٍ يقابِل بها ما يقابِله من كرم خلاله؛ فالإبريزُ قد يَشتبِه إلّا على نُقّاده، والغيثُ قد يُخلِف إلا على رُوّادِه[1]، والماء قد يأجُن إلا على وُرّاده؛ وسيّدنا مصعبىُّ الهمِم وهذا آبن قيس رقيّاته[2]، ومهلبىُّ الشِّيم وهذا حبيب أبنائه[3]، وواثقىُّ الإحسان وهذا فى الجلالة آبنُ [أبى] دُوادِه[4] وفى الأدب آبنُ زيّاته[5]؛ فليضعه حيث

(١) كذا فى الأصل؛ ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أنهم عدوا الإخلاف مرادا به الإمحال وقلة المطر بهذا الحرف؛ ولعله ضمن قوله: «يخلف» معنى «يبخل» فسوغ له هذا التضمين ذكر «على».

(٢) يريد عبيد الله بن قيس الرقيات، وهو شاعر من بنى عامر بن لؤى؛ وذكر ابن سلام فى كتاب طبقات الشعراء (ص ١٣٧ طبع ليدن) أنه نسب الى الرقيات لأن جدات له توالين يسمين رقية. وفى الأغانى (ج ٤ ص ١٥٥ طبع مطبعة بولاق): أنه لقب بالرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة سمين جميعا رقية: منهن رقية بنت عبد الواحد، وابنة عم لها يقال لها: رقية، وامرأة من بنى أمية يقال لها: رقية. وكان عبيد الله منقطعا الى آل الزبير، فدح مصعبا، وهجا عبد الملك؛ وهو القائل:

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

(٣) فى الأصل: «أبياته»؛ وهو تصحيف، فان الذى وقفنا عليه فى كتب التراجم أن حبيبا هذا من أبناء المهلب لا من شعرائه الذين مدحوه.

(٤) ابن أبى دواد: هو القاضى أبو عبد الله أحمد بن أبى دواد الإيادى؛ وكان أصله من قرية بقنسرين واتجر أبوه الى الشام، وأخرجه معه وهو حدث، فنشأ أحمد فى طلب العلم، وخاصة الفقه والكلام حتى بلغ ما بلغ؛ قال أبو العيناء: ما رأيت رئيسا قط أفصح ولا أنطق من ابن أبى دواد؛ وتولى القضاء فى زمن المعتصم والواثق الى أن أصيب بالفالج فى زمن المتوكل؛ وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين اهـ ملخصا من وفيات الأعيان.

(٥) ابن الزيات: هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيات؛ وكان من أهل الأدب والفضل، عالما بالنحو واللغة كاتبا شاعرا؛ وقد استوزره المعتصم ثامن خلفاء بنى العباس، وأقره ابنه الواثق هارون على ما كان عليه فى أيام أبيه المعتصم بعد أن كان متسخطا عليه؛ ولما قام المتوكل بالأمر قبض على ابن الزيات، واستصفى أمواله، وحبسه فى التنور حتى مات فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين اهـ ملخصا من وفيات الأعيان. والذى فى الأصل: «ابن زياده» بالدال؛ وهو تحريف.

وضعته السيادة صدرا، وليُطلعه كما أطلعتْه الفضائل بدرا؛ وليَصرِف اليه عنايةً تَعلَق بها الحمدُ عَلاقةَ غَيلانَ[١] بميّه، والحَكَمِ بأميّه[٢]؛ وهو يعلم — أدام الله أيامه — أن المناصبَ عرائس، والصنائع قلائدُها، والولاياتِ مَآدب، والمكارم موائدُها، والليالى — كما علمت — حَبالَى، والسيئات والحسنات ولائدُها؛ وخيرُ مَن لَبِس ثوبَ نعمة كاهلُ هذا الإمام، وإن الحسنة اليه لأشرفُ مواهب الأيام، فاغتنمْها فإنّها غاية الاغتنام؛ وأعيذ مولانا بالله أن يَجعل نظَره إليه لمحا، أو يَضرب عنه الذكر صفحا، أو يكون مولانا روضةً ثم لا يجدُ هذا الصدرُ منها نفحا، ومَطلَعَ آفاق الشرف ثم لا يَستوضِح هذا الملتمِسُ مِن أفقها صبحا .

## ومثل صدر هذه الرسالة لبعض الكتّاب المتقدّمين[٣] :

الحمد لله مقلّب القلوب، وعالِم الغيوب، الجاعِلِ بعد عسرٍ يسرا، وبعد عداوةٍ ودّا، وبعد تحارُبٍ اجتماعا، وبعد تبايُنٍ اقترابا؛ رأفةً منه بعباده ولطفا، وتحنّنا عليهم وعطفا؛ لئلا يَستتِمّهم التتايُع[٤]، في التدابر والتقاطُع؛ وليكونوا بَررةً إخوانا، وعلى الحقّ أعوانا؛ لا يتنكّبون منهجا، ولا يركبون من الشبهة ثَبَجا؛ بغير دليلٍ يهديهم (١٣٦)

(١) غيلان : هو أبو الحارث غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود بن حارثة، وهو المعروف بذى الرمة؛ وكان من فحول الشعراء، وهو أحد عشاق العرب المشهورين؛ وصاحبته مية بنت مقاتل ابن طلبة بن قيس بن عاصم المنقرى، وكان كثير التشبيب بها فى شعره، وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة اه ملخصا من وفيات الأعيان ترجمة ذى الرمة .

(٢) يريد الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو والد مروان ثالث خلفاء بنى أمية .

(٣) كذا وردت هذه العبارة فى الأصل؛ ولم يرد فيما سبق صدر رسالة تصح المماثلة بينه وبين ما أورده هنا لبعض الكتّاب المتقدمين . ولعله قد سقط من الأصل الذى بين أيدينا .

(٤) فى الأصل : «يستتم بهم» والباء زيادة من الناسخ اذ لم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أن هذا الفعل يتعدى بالحرف والتتايع بالياء المثناة : التهافت؛ أو هو اللجاجة . ويريد بقوله : «لئلا يستتمهم» الخ أن اللجاجة فى الخصومة تستأصلهم بتمامهم ولا تبق على أحد منهم .

قصد المسالك، ولا مرشد يذودهم عن دَرْك المهالك؛ أحمده على نعمه التى لا يحصى الواصفون إحصاءها، ومننه ٱلتى لا تتحمل ٱلخلقُ أعباءها؛ حمدا يتجدد على ممرّ الأزمان والدهور، ويزيد على فَناء الأحقاب والعصور؛ وإنّ أحقّ ما ٱستعمله العاملون ولَحِق به التالون، وآثره ٱلمؤمنون، وتعاطَى بينهم المسلمون؛ فيما ساء وسرّ، ونفع وضرّ؛ ما أصبح به الشّمل ملتئما، والأمرُ منتظما، والفتقُ مرتتقا؛ والسيفُ مغمودا ورواقُ الأمن ممدودا؛ حُقِنَتْ به الدماء، وسكنَتْ معه الدهماء، وٱنقمع به الأعداء(١)؛ وٱتصل به السرور، وأمِنَتْ معه الشرور؛ وليس بذلك أولى، والى إحراز الثواب به أدنى من الصلح الذى أمر الله تبارك وتعالى به، وخَصّ وعمّ ورغّب(٢).

## ولنعد الى كلام الشيخ ضياء الدين بن القرطبى

فمن ذلك ما كتب به أيضا الى الصاحب شرف الدين الفائزىّ جوابا عن كتاب شفاعة يوصى على أخيه نجم الدين، فأجابه الشيخ: يخدُم الجنابَ الشرفىّ — رفع الله قدره بين أوليائه، وأطاب ذكره فى مقام عليائه؛ وأطال عمره مقترنا بعزّه، وأقرّه فى كنف سلامته وكهف حرزه — وردَتْ الأوامر المطاعه، المقابَلةُ بالسمع والطاعه؛ فى حق أخى المملوك مولانا نجمِ الدين، فتلقّى راية طاعتها بيمينه، وأقرّها من تعظيمه فى أسرّة جبينه، وأحلّها من شرف الأمتثال فى مستودَع دينه؛ وقابل حاملَها بأوفر ترحيبه، وأقربِ تقريبه؛ وواجَهه بإجلال الأخوّه، وخلال البنوّه(٣)؛ وأحلّه كنفَ قلبه، وأودعه بين شَغاف(٤) القلب وخِلْبه(٤)، وأعاده الى معهود ولائه وحسَبه؛ وقرّر له

(١) فى الأصل: «له» باللام؛ وهو تحريف.

(٢) الظاهر أن لهذا الكلام بقية قد سقطت من الأصل الذى بين أيدينا؛ ولم نقف عليها فيما راجعناه من المظان.

(٣) فى الأصل: «وجلال» بالجيم؛ وما أثبتناه هو المناسب لقوله: «البنوّة».

(٤) الشغاف: غشاء القلب وغلافه، وهو جلدة ألبسها. والخلب: حجاب الكبد.

فى كلّ شهر عشرة دنانير وهى نهـاية قدرته، وأعلَمَه أنّهـا أعْوَد نفعا من ولايتـه وأقربُ عونًا من إمرَته؛ وعاهد اللهَ ألا يتعرّض لجنديّة أبدا، ولا يَمدّ لطلب ولاية يدا؛ ولا يَقِف بين يدى الأمراء بعدَها، ولا يتجاوزَ بجلالة أبَوَيه حدَّها، ولا يهمل شرف نسبته التى لَم تُصاعِرْ[(١)] [لهـا][(٢)] الأيّامُ خدَّها؛ وأخذ عليـه عهود الله والممـلوك فى الوفاء مهما عهِدَها؛ وقد توجّه الى المَشارع الصاحبيّـة التى استَعذَب وِرْدَها والمكارمِ الشرفيّة التى أَلِف حَمْدَها، والصنائعِ الإحسانيّة التى وَجد فى مرارة الفقـر حلوَهـا وفى حرارةِ الغـربة بَرْدَها؛ وعاوَدَ عُشَّ الفضل الذى منـه دَرَج، وبيتَ الكرم الذى اليه دَخَل[(٣)] ومنـه خَرَج[(٣)]، وسماءَ الإحسان التى أطلعَتْ نجمَ إمامتِه فعرَّج عليها وإليها عَرَج، وبحرَ المعروف الذى اذا أطنب لسانُ ثنـائه قالت شـواهد بيانه: «حدِّثْ عن البحر ولا حَرَج»؛ ومولانا يضعُه تحت كَنَفِه، ويرفعُـه لله ولسـلَفِه، ويقابله الجنابُ الشرفىُّ بمـا عَرَفه من شرَفِه؛ ويُعينُـه على جارِيه الذى هو مادّةُ رفقِـه، وأوّلُ ما أجراه الله على يد مولانا من رزقِه؛ بكتاب يُجـزل له العَزَمات ويُنْمِيها[(٤)]، ويُسكِن رُوحَ الحياة فى جسد فاقته ويُبقيها؛ فهو ذو ضرّاءَ لاتسدّها إلا القناعه، وذو فاقةٍ لاترفعها إلا السَّعةُ التى تمدّ باعَه؛ والله يجعل مولانا وقايةً لمن لجأ إليه، وإعانةً لمن آعتمد عليه؛ إن شاء الله تعالى.

---

(١) صاعر خدّه وصعره بتشديد العين المهملة: أماله كبرا؛ وقرئ: (ولا تصاعر خدك للناس).

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسّياق يقتضيها. والضمير عائد الموصول وفى قوله: «خدّها» يعود الى «الأيام».

(٣) عبارة الأصل: «الذى منه دخل واليه خرج» والصواب العكس كما أثبتنا.

(٤) فى الأصل: «ويبيعها»؛ وهو تحريف.

وكتب إليه أيضا شفاعةً فى بعض الأعيان فقال : (١٣٧)

ويُنهِى أنّ الله تعالى متولّى سرائرَ عبادِه، ومُجازيهم على مخالفةِ أمرِه وإن كان على وَفْق مرادِه؛ أعَدّ دارَىْ ثوابِه وعقابِه، وحذّر أُولى العقوبة مِن أليم عذابِه؛ ثم عمّت رحمته فشَفّع فى العصاة، وعفا عن الجناة؛ فقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾ ثم بُذِلتْ عوارفُ الإحسان، وعواطفُ الحَنان؛ حتى شَفَع الى خَلقِه، فى العفو عن حقّهم وحقّه؛ صفة كرمِ رحمانيّه، وصِلة عفوِ إحسانيّه، وصنائع ٱلطافِ ربانيّه، فشفع إلى الصدّيق فى مِسْطَح، فقال : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ فقدّم مُوجباتِ العطف بما قدّم من القرابة والمسكنة والمهاجَرة، ثم تلقّاها مِن أجرِ الآخرة بكرم المُجازاة وربح المعاملة، وحُسنِ جزاء المنعم، تعريفا بمواقع الإحسان، وتكريما لنوع الإنسان؛ ومملوكُ مولانا فلان ٱلذى أنزل حاجتَه بعبدِك(١)، وقَصَده قبل قصدك؛ وأسكَنَ حريمَه مجاورا لحريمه وتَشفّع به إلى صدر الزمن وكريمه، واستوهَبه الذنب وإن كان معترفا بعظيمه؛ والصنعُ الجميل ثمرةُ الأيام، والفضلُ أثبتَتْه ألسن الأقلام؛ ولله لحظاتٌ تَلحظ عبادَه ويرحم الراحمين، ويجزى المتصدّقين، ولا يضيع أجر المحسنين؛ وإن مولانا عِقالُ(٢) الشرف وذو الفضل الأُنُف(٣)، والعارفُ فى صنائع الإحسان كيف تُؤكَل الكَتِف؛ وقد أحلّته

---

(١) فى الأصل : «لعبدك» باللام؛ والسياق يقتضى الباء كما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : «عقائل»؛ وهو غير مستقيم؛ والمراد بقوله : «عقال الشرف» أن الشرف محبس عليه لا يفارقه؛ وهو مستعار من عقال البعير : وهو الحبل الذى يعقل به عن النهوض .

(٣) الفضل الأنف : أى الذى لم يسبق اليه؛ وهو استعارة من قولهم : «روضة أنف» أى أنها لم ترع؛ «وكأس أنف» أى أنها لم يشرب بها قبل ذلك .

على ملاءة[1] أياديك، وألبسته مُلاءَةَ معاليك، وأحلّته بضمان الله كَنَفَ ناديك؛ وأنت الكريم أخلاقا ونسبا، والطَّيِّبُ أعراقا وأبا، والصَّدرُ الذى إذا سامته الأيّام خُطَّةَ ضيم ابى، وإذا أوطأته مَهانةً[2] وخسفا نَبا؛ وأحقُّ مَن قَبِل هـذه الشفاعةَ كرمُك[3] وأولى من رعاها شيمُك، والمعـالى جنودُ الشرف وأحقُّ عَلَمٍ رُفِـع[4] عليها عَلَمُك؛ والله تعـالى يبقيه للأنام ملاذا، وللأمل مَعاذا، ويهب عزمَه مَضاء وقلمَـه نفاذا؛ إن شاء الله تعالى.

## وكتب الى[5] قاضى القضاة تاج الدين بن خلف:

يخدُم الجنابَ التاجىَّ — أدام الله شرف الملّة ببقائه، وأعلى كلمةَ الأمّة بعـلائه وأجرَى ألسنةَ الأقلام بثنائه، ورَفع ألوِيةَ أوليائه بولائه — ويُنهى ورودَ مشرَّفته الّتى تجلّت فى سمـاء السيادة حُسنا، وسهلَتْ لفظا وجَزُلَتْ معنى، وغدا لسان الإحسان عليها يُثنى، وعِنانُ الفضائل اليها يُثنَى؛ وقد أخذَتْ برقاب المعانى، وأطربَتْ إطراب المثانى، وبعثَتْ روحَ الحياة الى روح الأمانى، وثنت إلى فضلها الأوّلِ عِنانَ الثـانى

فَحَيَّ هلا[6] بالمكـرُمات وبالعـلا * وحَيَّ هَلا بالفضل والسُّؤدُد المحض

(١) الملاءة بفتح الميم: القدرة والغنى، وهو مصدر ملؤ الرجل فهو ملىء: أى صار ثقة غنيا.
(٢) فى الأصل: «بها»؛ وهو تحريف.
(٣) فى الأصل: «لومك» بلام بعدها واو؛ وهو تحريف.
(٤) فى الأصل: «وقع»؛ وهو تحريف.
(٥) فى الأصل: «اليه»؛ وهو غير مستقيم.
(٦) يقال: حىّ هلا بكذا بلا تنوين: أى عليك به؛ ويقال فيه أيضا: حىّ هلا بالتنوين وحى هل بفتح الجزأين كخمسة عشر؛ وكلها يراد به الحث.

لا جَرَم أنّ المملوكَ سجد لله ثم لجلالة (١) ذلك الاستغفار، وقبولِ كلماتِ الاعتـذار؛ وعَلِم أنّ مولانا لبس حلّةَ التواضع لتمـام شرف الاصطناع، وليحُوزَ أقسام السيادة بالصدرِ الرَّحبِ والخُلُقِ الوَساع (٢)

سجيّـــةُ (٣) نفسٍ شَرَّف ٱلله مجدَها ✽ بما شاء من فضل لديها ومن حلِمِ
وسُـؤدُدِ آباء وكسبِ سيادة ✽ تَضُمّ إلى عزّ العـلا شرفَ العلمِ

هـذا مع إساءتنا التي تُسوِّد وجوهَ الأمل، وبَقضِي كفرُها — لولا إيمانُ مولانا بإحباط العمل، على أنها مُلازَمةُ المعلولات للعلل

وما كنتُ جانِي فتنـةٍ غيرَ أنّهـا ✽ إذا وقعَتْ أردتْ مسيئاً ومحسنا [١٣٨]
ولو رشـقَتْنِي مُصْمِياتُ سهامِها ✽ لألْفَتْ لهـا حُكما من الله بيِّنـا
وإن جلالَ الله يشهد أنّني ✽ بَذلتُ من الوُسع ٱلذى كان ممكنا
وحَذِرتُ حتى لم أَجِد متحرِّزا (٤) ✽ وأَسمعتُ لكن لم أَجِد ثَمّ أُذُنا (٥)
وكانت صعابٌ (٦) تقتضيها مشيئةٌ ✽ وهل لقضـاء الله ردٌّ إذا دنا

وأما إشارة مولانا إلى الحـاجب الذى هو لمولانا أشرفُ من حاجب بن زُراره بمـا (٧) أودعه أثناءَ تلك الكلم من لطيف الإشارة وشريف العباره؛ فجزاءُ مولانا على الله فى جبره لقلب المملوك المنصدع، وصِلةِ أمله المنقطع .

(١) لعله : «لإجابة» كما يدل عليه قوله بعد : «وقبول» الخ .
(٢) الوساع بفتح الواو : الواسع .
(٣) فى الأصل : «تحية» بالتاء المثناة والحاء المهملة؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .
(٤) فى الأصل : «متحذرا»؛ وهو تحريف إذ لم نقف عليه فيما بين أيدينا من كتب اللغة .
(٥) الأذن بضم الهمزة وتشديد الذال : جمع آذن، وهو المستمع؛ يقال : اذنت اليه وله : اذا استمعت اليه معجبا بما يقول .
(٦) فى الأصل : «طباعا»؛ وهو تحريف لا يتضح به المعنى؛ والفعل قبلها تام لا يحتاج الى منصوب إذ معنى الكون هنا : الوقوع والحصول .
(٧) هذه الباء ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتها .

## وكتب إلى الصاحب قاضى القضاة بدر الدين السنجارى —

وهو يوم ذلك متولى الحكم والوزارة بالديار المصرية :

لا زال الإسلام يستضىء ببدره ، والإيمانُ يَأرِزُ(١) إلى صدره ، والشرفُ يتضاءل عند قدر جلالته وجلالة قدره ، والآمالُ والآجالُ مصرَّفةً بين بسطة نعمته وسطوة قهره ، هذه على ذكره وهذه على شكره ، والمكارمُ والمحامدُ تتعلّق وتتألّق هذه بنشره وهذه ببشره ، والعزمُ والرأىُ إذا فَلَّ أو فالَ(٢) آستغاث وآستضاء هذا بنصره وهذا بفكره

ولا غرو أن تَثْنِي الوزارة جيدَها * إلى ناظمٍ فى جيدها عِقدَ فخره
الى أحوذىِّ(٣) الرأى إن ناب معضلٌ * أراك جلىَّ الأمر إيحاءُ سرّه
إذا آستغزر الذهنَ(٤) الذكىَّ تضاءلَتْ * له فكرتا قيسٍ(٥) آلذكاء وعمرِه(٥)

(١) فى الأصل : «يارز» ؛ وهو تحريف . ويأرز : يأوى ويلجأ .

(٢) فال الرأى يفيل كيبيع : ضعف وأخطأ . والذى فى الأصل : « اذا قل أو قال » بالقاف فى كلتيهما ؛ وهو تصحيف .

(٣) الأحوذىّ : هو الذى يسوق الأمور أحسن مساق لعلمه بها .

(٤) فى الأصل : «الدهر» ؛ وهو تحريف .

(٥) يريد : قيس بن زهير بن جذيمة العبسىّ صاحب الحروب بين عبس وذبيان بسبب الفرسين : داحس والغبراء؛ وكان فارسا شاعرا داهية ، يضرب به المثل فيقال : "أدهى من قيس" اهـ ملخصا من سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون . وعمرو: هو ابن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ؛ ويكنى أبا عبد الله ؛ أسلم بأرض الحبشة عند النجاشى ، ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا ؛ واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزوة ذات السلاسل ؛ وبعثه أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى الشام فتولى ما تولى من فتحها ؛ وولاه عمر رضى الله تعالى عنه فلسطين ، ثم كتب اليه أن يسير الى مصر فسار اليها وفتحها ، وولاه عمر إياها؛ وقد شهد صفين مع معاوية بن أبى سفيان؛ وقد ولاه معاوية مصر أيضا فلم يزل بها واليا الى أن مات بها يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين ، ودفن بالمقطم مقبرة أهل مصر؛ انظر طبقات ابن سعد فى القسم الثانى من الجزء السابع ص ١٨٨ طبع ليدن . وكان عمرو بن العاص يضرب به المثل فى السياسة والدهاء .

فيُطلِع رأيا واضحا من سـداده * كما ٱنشقَّ بُرْدُ الليل عن ضوء فجره
إلى سـؤدَدٍ أجرَتْ معاليه خيلَه * سـوابقَ غُرًّا[1] فى بَهيات دهرِه
وكم سابقٍ أجرى إلى غاية العـلا * ولكن طوى سبْقا مُلاءةَ حُضرِه
بحلم تجلَّى فى أسرّة وجهِـه * وجودٍ تجلَّى من طلاقة بشرِه
يمينا لقـد أضحت جلالةُ قدرها * على شرف ٱلمقدار من دون قدره

سـطّرها الملوك بعد ما لبست الوِزارةُ حلّة فخـرِها ، وسحبتْ ذيل ٱفتخارِها ، وبدا معصم شرفها فى حلية سِوارِها ، وتجلت معانيها بين شموس فضلها وأقمارِها ، وجنينا ٱلغضَّ من زهرِها ، والطيِّب من ثمرِها ، وحَمِدنا جميل تأثيرها وحميدَ آثارِها

وحيّتْ على بعـد المدى نفَثاتُهـا * بأطيَبَ من رَنْدِ[2] الرُّبا وعَرارِها[2]

وٱجتـلَى الملوك حسناء إحسانِها فمـا ضارعتْها البـدورُ مذ فارقتْ سَرارَها ، ولا الأنجمُ ولو نظم الفَلَكُ أنوارَها ، ولا الروضةُ وقد عقدت الغمائمُ إزارَها[3] ، ولا أطلالُ ميّةَ وقد دبّجت يدُ الأنواء أزهارَها[4] ، ولا أرْدانُ عزّةَ "وقد أُوقدتْ بالمَنْدَل[5] الرطب

(١) فى الأصل : «عز» ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه قوله بعد : «فى بهيات» .

(٢) الرند : الآس ؛ أو هو العود الذى يتبخر به ؛ وقيل : إنه شجر من أشجار البادية طيب الرائحة يستاك به ، وليس بالكبير ، وله حب يسمى الغار . والعرار : النرجس البرى .

(٣) يريد تشبيه النبت والأزهار حول الروضة بإزار عقدته الغمائم عليها ؛ كما يدل عليه قول أبى تمام :

حتى تعمّم صُـلع هامات الربا * من نوره وتأزّر الأهضـام

والذى فى الأصل : «أزرارها» والراء الأولى زيادة من الناسخ .

(٤) عبارة الأصل : «ذبحت يد النوار» ؛ وهو تحريف .

(٥) المنـدل والمندلى : العود الذى يتبخر به . قال الأزهرى : وهو عندى رباعى لأن الميم أصلية وقد أشار بهذه العبارة الى قول كثير :

بأطيب من أردان عزة موهنـا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

والروى فى هذا الشعر مرفوع ، وقوله : «أوقدت» مبنى للمجهول ، ويدل على ذلك قوله قبل هذا البيت :

فما روضة بالحـزن طيبة الثرى * يمج النـدى جثجاثها وعرارها

الأغانى ج ١٤ ص ٥٩ طبع بولاق و إنما خالف الكاتب هنا حركة الروى فى شعر كثير لاقتضاء السجع نصب الراء .

نارَها" ؛ صلة جاءت كَبُرد الشباب، وبرد الشراب(١) ؛ اقتضابا قبل السؤال، وابتداء الآمال ؛ والملوكُ يحضر عقيبها ليجتلىَ وجه المنعم قريبا، ويجتنىَ غصنَ النِّعَم رطيبا

ومتى لم أَقُم بشكرك للنا * س خطيبا فلا وُقيتُ الخطوبا

وكتب الى الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين(٢) ١٢
على بن محمد المعروف بابن حِنّاء(٣):

رفع الله قــدر الجناب الصاحبيّ التاجيّ فى شرف الأقــدار، وأجرى بإرادته وسعادته ســوابقَ الأقدار، وألبسَه حليــة الشرف التى هى على رأس رياســته تاجٌ وفى معصم سيادته سِــوار، وحلّةَ النعم التى ينكبش(٤) لأجلها رُدْن المساعة وينسحب بمثلها ذيل المَسار، وأمضى عزائم آرائه التى اذا سَــطت يوم البأس تفسلّت نفوذ

(١) فى الأصل : «الشتاء» ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا فى الأصل ؛ والذى وجدناه فى المصادر التى بين أيدينا أن الصاحب بهاء الدين جد الصاحب تاج الدين ؛ وأما أبوه فهو فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين . فقد ورد فى كتاب المنهل الصافى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ تاريخ فى ترجمة الصاحب تاج الدين هذا : أنه محمد بن محمد بن على بن محمد بن سليم الصاحب تاج الدين أبو عبد الله بن الصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حناء المصرى وزير الديار المصرية ؛ وكان مولده فى سنة أربعين وستمائة ؛ وتفقه وبرع ونظم ونثر ؛ وحدث بمصر ودمشق ؛ وانتهت اليه الرياسة فى عصره بالقاهرة ؛ وتوفى فى سنة سبع وسبعمائة . وفى كتاب أعيان العصر وأعوان النصر المأخوذ منه بالتصوير الشمسى بعض أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩١ تاريخ : ان الصاحب تاج الدين هذا قد تولى الوزارة بالديار المصرية مرتين ؛ ورأى من العز والوجاهة ما لم يره جده الصاحب بهاء الدين . وانظر (مستدرك التاج) مادة « سلم » فقد نص فيه على ان تاج الدين حفيد الصاحب بهاء الدين .

(٣) كذا ورد هذا الاسم بالهمز فى مستدرك التاج مادة (سلم) .

(٤) الانكباش : التقلص .

السهم ومضت مضاء الغِرار (١) ، وإذا سرت فى ليل الخطب هدت هداية النجم ووضحت وضوح النهار ، وأرضى همّته التى اذا همّت أغنت عن الأبيض المرهف والأسمر الخطّار ، وإذا أمّت شأت (٢) ناصية الحَنْفاء (٣) و بذّت قاصية (٤) الخطّار (٣) ؛ وأرهف أقلامه التى اذا أجراها أثبتت خال النّقس ، فى وجنة الطرس ، وطرّزت بالظلماء أردية الشمس ؛ وإذا هزّها أنست هزّ العوامل ، وأصابت من الأمر الكُلى والمفاصل ، و إذا أمضاها لنعمة أو لنقمة فللجانى لعابُ الأفاعى القواتل ، وللعافى أرْىُ (٥) الجَنَى آشتارته أيد عواسل ؛ ولا زال ربعه مَربعا للجلال ومَصيفا ، ومرتَعا لسَوام الآمال وخريفا ، ومَشرَعا وارد الظلال وَريفا ؛ وحرما آمنا تُجبَى اليه ثمرات الحمد وتُجنَى منه ثمرات الرِّفْد ، وتقف المعالى عليه "وقوف مطايا الشوق بالعَلَم (٦) الفرد" ؛ فإنه الربع الذى وقفت به الآمال وقوف غَيلان (٧) بدارميّه ، وعكفت [عليه] (٨) المحامد (٩)

---

(١) الغرار بالكسر : حد السيف والرمح .

(٢) فى الأصل : « شابت » ؛ وهو تحريف . وشأت : سبقت ؛ والمضارع يشأو كيدعو .

(٣) الحنفاء والخطار بتشديد الطاء المهملة : اسما فرسين لحذيفة بن بدر الفزارى ؛ وفى الأصل : «الحيفا» بالياء المثناة ؛ وهو تحريف .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل ؛ ولعله يريد بقاصية الخطار : الغاية التى ينتهى اليها فى جريه .

(٥) فى الأصل : «أرق» بقاف مثناة بعدها ياء ؛ وهو تحريف . والأرى : عسل النحل . يشير بهذه العبارة الى قول أبى تمام فى صفة القلم :

لعاب الأفاعى القاتلات لعابه * وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

واشتارته : جنته واستخرجته من الوقبة .

(٦) العلم : الجبل ، والمراد بالعلم الفرد هنا : جبل فرد شرق الحاجر يقال له : أبان ، فيه عيون ونخيل ومياه .

(٧) غيلان : اسم ذى الرمة الشاعر . وفى الأصل : «عليلان» ؛ وهو تحريف . وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٧٤ من هذا الجزء .

(٨) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٩) فى الأصل : "التجافل" ؛ وهو تحريف لا معنى له .

عكوف توبة على حبّ الأخيليه(١)؛ والجنابُ [الذى](٢) فاءت ظلالُه وفاضت مواهبُـه وجاءت مَذانبُـه(٣)، وجادت سحائبُـه، وجلّت شيمـه وتجلّت غياهبُـه؛ فى روض المعـالى الذى فاحت نسـائمُه، وناحت حمـائمُه، ومَنشإ المجـد حيث شـاب فأُرخيَتْ ذوائبُـه وشبّ فقُطِّعت تمـائمُه، و بيتِ الرياسـة الذى اذا دنوتَ حباك بإكرامـه واذا نأيت حيّتك مكارمُه، وصـدر السيادة الذى خضعت له الأعنـاق هيبة "لِأبلجَ لا تيجانَ إلّا عمائمُه"

ولا زال بدرا فى سمـاء سـيادة * يشـار إليـــه فى الورى بالأناملِ

بسيط مساعى المجد يركب نجـدَه * من الشرف الأعلى و بذلِ الفواضلِ

إذا سـيل(٤) أغنى السامعين جوابُه * وإن قال لم يترك مقـالا لقـائلِ

محـــدّد أيامِ الحيـاة فكلُّها * لطـالبِ علم أو لقاصـــدِ نائلِ

ويُنهِى ولاء مخبوءا بسُـويداء قلبِه، موضوعا بين شَـغافه وخِلْبِه؛ وثنـاءً مسموعا فى محافل الأنام، معلَنا(٥) فى صحائف الحمد بألسنة الأقلام، جديدا على ذهاب الليالى واختـلاف الأيام؛ ودعاءً سابقَ أواعيلَ(٦) الرياح، ووَضَحَتْ أنوار إجابتـه وضوح

(١) الأخيلية: هى ليلى بنت عبد الله بن الرحال وقيل: ابن الرحالة بن شدّاد بن كعب بن معاوية، وهو الأخيل؛ وهى من النساء المتقدّمات فى الشعر من شـعراء الإسلام؛ وكان يهواها توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمـرو بن عقيـل الأغانى ج ١٠ ص ٦٧ طبع مطبعة بولاق. وقد أوردلها أبو الفرج أخبارا كثيرة فانظره.

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل.

(٣) المذانب: مسايل الماء الى الأرض. أو هى الجداول تسـيل عن الروضة بمائها إلى غيرها، واحده مذنب بكسر الميم وفتح النون.

(٤) فى الأصل: «سال» بالألف؛ وهو تحريف.

(٥) فى الأصل: «مقلبا» بالقاف والباء الموحدة؛ وهو تصحيف.

(٦) أواعيل الرياح: أوائلها.

الصباح، وطار الى ملإ القبول بقادمة كقادمة الجنـاح؛ وتحيـة اذا واجهتْ وجه الجهام أمطر، واذا هزّتْ أعطاف الكهام (١) أثّر؛ أرقّ من النسيم السَّحَرى، وأعطر من العنبر الشِّحرىّ؛ وأصفَى من ماء المَناقع (٢)، وأحلى من "جنَى النحل ممزوجا بمـاء الوقائع (٣)" يرى ذلك فى شرع المروءة واضحا واجبا ... (٤)؛ تحيّةَ من أُولىَ النعمة فشكَرَها وعرف العـارفةَ وما أنكرَها، وآمن بيـده البيضاءِ من غير سوء ومذ آمن بهـا ما كفرها؛ كيف لا وقد آمتزج بحبها لحمُه ودمُه، وسبّح بحمدها قلمُه وفمُه، وجرت شِيَمُ حمـده على أعرَق جيادها والخيِّرُ من سبقتْ به إلى شكر المنعم شِيَمُـه؛ لا سيّما وقد جنى الطيّبَ من ثمارِها، ووَرد العذب من أنهارِها (٥)؛ فلا أعدم الله مولانا صنائعَ (١٤٠) الإحسان الذى آنعقدتْ عليـه كلمةُ الإجماع، وأنشَده لسانُ المحامد عن شرف آلآصطناع

فلو صوّرتَ نفسك لم تزدها (٦) * على ما فيك مِن كرم الطباع

ولا زال اللطف صدَى صوته إذا دعا، والنجحُ قرينَ مساعيه أنّى سـعى، وحاكمُ الفضل يصـدّق دعواه حَوْزَ كلِّ فضيلة كيف آدّعى؛ حضر المملوك مهنّئا نفسـه بهنائه، ساعيا فى خدمته سعى الأَجْدل (٧) فى هوائه، والنجمِ فى سمائه؛ من ملازمة

(١) الكهام من السيوف : الكليل الحدّ .

(٢) المناقع : مجامع المـاء . وفى الأصل : «النقائع» وهو تحريف إذ لم نجد من معانيه ما يناسب السياق .

(٣) الوقائع جمع وقيعة وهى مكان صلب يمسك المـاء وكذلك النقرة فى الجبـل يستنقع فيها المـاء وماؤها يضرب به المثل فى الصفاء فيقال : «أصفى من ماء الوقائع» ؛ وقوله : « جنى النحل » الخ عجز بيت لذى الرمّة ، وصدره : ونلنا سقاطا من حديث كأنه * الخ كما فى كتاب نهاية الأرب ج ٢ ص ٧٠ .

(٤) الظاهر أن هنا جملة ساقطة من الأصل بها يتم السجع الذى التزمه الكاتب فى رسائله هذه وغيرها من رسائله وان كان المعنى يستقيم بدونها . ولم نقف عليها فيما راجعناه من المظانّ .

(٥) فى الأصـل : "شهادها" وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السجع الذى التزمه الكاتب فى رسائله .

(٦) البيت لأبى تمـام حبيب بن أوس الطائى .

(٧) الأجدل : الصقر .

وجهه الذى ألقى ٱللهُ عليه محبّةً منـه فٱستنار ، وٱكتَسَى حلّة الحيـاء فألبسته حلّة الوقار؛ وٱجتلته المقل فرأت رونق الخفر عليه باديا، وٱئتمّت به الهـداة فألفته نجما فى سماء السيادة هاديا؛ وقالت الأمانى فى ظلّه فأنشأ جودُه قائلا :

نزلتُ على آل ٱلمهلّب شاتيا (١) *

ورأيتُه والناس مومثون من ليثٍ عليـه مهابة (٢) فكانوا الكِرْوانَ (٣) أبْصَرن بازيا (٤)؛ أبّهة الجلاله، وجلالةُ الأصاله ؛ وأَصالة الشرف، وشرفُ الفضـل الأنف، ورِياسـةٌ ورِثها خيرُ سلفٍ لخير خلف، وشيمٌ علّمته فى المعالى كيف تؤكَل الكتف؛ فصادف ركابَه العالىَ قد ٱستقلّ، وحلّ من دارة العزّ حيث حلّ؛ فأقام رجاءَ أن يعاين أسرّة جبينه، ويقبّله كتقبيل الندى فى يمينه ؛ وحين جنحت الشمس الى مستقَرّ الأنوار وطوى الفَلَكُ بيدِ القدرة رداء النهار، وأَشرَفَ اليومُ من خشية طيّه (٥) على شفا جُرُف هار، وثوّب (٦) داعى العصر وحيعَـل ، وعاين نيّرَ الفلَك فى وجه السماء كعين الأقبل (٧)؛

---

(١) تمام البيت : «غريبا عن الأوطان فى زمن المحـل» الأمالى لأبى على القالى ج ١ ص ٤١ طبع دار الكتب المصرية . ولم يعين أبو على قائل هذا الشعر .

(٢) كذا فى الأصل؛ والظاهر أن صواب العبارة : «من كثب اليه مهابة»؛ كما يرشد اليه قوله : «من» ولم يقل : «الى» . والكثب بفتحتين : القرب؛ واذن فقوله : «مهابة» يقرأ بالنصب أى : «من مهابة» .

(٣) الكروان بكسر الكاف وسكون الراء : جمع كروان بفتحهما : وهو طائر طويل الرجلين أغبر دون الدجاجة فى الخلق، وله صوت حسن؛ يكون بمصر، وهو من طيور الريف والقرى ولا يكون فى البادية .

(٤) يشير بهذه العبارة الى قول ذى الرمة فى بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى :

من آل أبى موسى ترى الناس حوله * كأنهم الكروان عاين بازيا

والبازى : ضرب من الصقور .

(٥) عبارة الأصل : « من حاشية طيفه »؛ وهو تحريف .

(٦) التثويب : ترديد الصوت .

(٧) الأقبل، من القبل بفتحتين : وهو فى العين : إقبال سوادها على الأنف، أو هو مثل الحول .

ثنَى عِنانَه إلى مَثـوَى قرارِه ، وأنثنى يسابق أدهمَ ليـلِه بأشهب نهارِه ؛ وعلى الرغم أَخفق مسعاه ، ولم يقْلِ[١] قلبُـه الشوقَ الذى دعاه ؛ لكن سار وأقام خالصُ وِلائه وعاد بعد ما أَودع الحَفَظةَ مرفوعَ دعائه ؛ فعرّف اللهُ مولانا بركاتِ هذا الشهرِ الذى سارتْ به إلى إحسانه مطايا أيامِه ، وجعلَه مثبِتا لحسناته ممحّيا[٢] لآثامه ، وحلّاه بالمقبول[٣] من صيامه والمشهورِ من قيامِه ؛ وأراه صـدرَ بِرِّه أثلَج ، ووجهَ بدرِه أبلَج ، وثغـرَ آبتسامِه عن رضوان القبول أفلَج ؛ ورقّاه درَجَ تَضاعُفِ حسناتِه ، ولقّاه من كرم الله مذخورَ إحسانه وموعودَ هباته ؛ وأراه الأملَ فى بَنِيه ، وأرانا فيهم ما رأينا فيه ؛ فهو غابُ[٤] العلم وهم أغصانه وشجرُه ، ومُطَهَّمُ السابقين وهم حُجولُه وغُررُه ؛ وانى لألمح[٥] من مَخايِل شرفهم وشرف مَخايِلهم ، وشمائلِ شيمِهم وشيمِ شمائلِهم ؛ نجابةً[٦] تضعُهم من الرِّياسة فى أنفِها ، ومن السيادة بمكان شَنفِها ؛ فهم جذوة فضـلٍ مُبرِقه ، ودوحةُ علمٍ مُورِقه ونَبعـةُ سيادةٍ مُعرِقه ، وشموس معالٍ فى أفق كلّ شرفٍ مُشرِقه ؛ سمت بهـم أَصالة النسب ، وفضيلةُ الأدب المكتسَب ، وجمعوا بين شرف العمومة والخؤولة فى كرم المنتسَب ؛ فللعلا ألسنٌ تثنى محامدها على الحميد من فعلهم وشيمِهم ، وللندى مواهبُ عُزِيَتْ[٧] مذاهبها الى العليّين من كرمهم وهممِهم ؛ لا زالت محاسنهم قلائدَ الأجيـاد وأيّامُهم مواسمَ الأعياد ، وحرمهم المخصب بالمكارم سواء العاكفُ فيه والبـاد ؛ إن شاء الله تعالى .

---

(١) فى الأصل : « يقبل » ؛ والباء زيادة من الناسخ . (٢) ممحيا بتشديد الحاء المهملة ؛ من محاه تمحية : أى بالغ فى محوه . (٣) عبارة الأصـل : « بالتقبل فى » الخ ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه قوله بعد : « والمشهور من » الخ . (٤) فى الأصل : «باغ» ؛ وفى حروفه قلب لا يظهر به المعنى . والغاب : الآجام ؛ وهو من الياء ، وقد جعلت جماعة الشجر غابة لأنه مأخوذ من الغيابة . (٥) فى الأصل : « لأتلمح » ؛ ولم نقف على هذا الفعل فيما لدينا من كتب اللغـة . (٦) عبارة الأصل : « نحابة بعضهم » ؛ وهو تحريف فى كلا اللفظين لا يظهر له معنى . (٧) عبارة الأصـل : « عذبت مواهبها على » ؛ وهو تحريف فى الكلمات الثلاث ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

وكتب الى القاضى شمس الدين الأصفهانى الحاكم — وكان بالأعمال القوصيّة — رحمهما الله تعالى — :

أوضح الله صنائعَ المجلس فى بهيم الآمال غررا ، ونظم أياديَه فى أجياد الأيام دررا ، وصفّى مشارعَ أمانيِّه إن كان مَشرَعُ الأمانىّ كدرا ، ولا زال الإسلام يشدو بحمده مفتخرا ، والأيّامُ تتلو مجدَه سُوَرا ، والشرعُ المحمدىُّ يكون بمضائه فى ذات الله منتصرا

فقد نشرت يمناك أرديةَ العلا * تُحلِّى بلادَ الله بالدين(١) والعلمِ

وأمضيتَ أمرَ الله فى شرع أحمد * وقيّدتَ شكر الله فى مطلق الحُكمِ [١٤١]

وتُرضِى كلا الخصمين فى السّخْط والرضا * كأنك تُعطِى الخصم ما كان للخصمِ

الى غير ذلك من محاسنَ وضحت وضوح النجم فى الليل البهيم ، وسرت الى الحمد سُرى المجدّ الى الشرف الصميم ، وحدّثتْ عن مساعيه فجاءت بالنثر البديع والدرّ النظيم ، وأثنتْ عليه ثناءَ وارفِ الروض على واكفِ الوَبل بألسنة النسيم

وهزّت جناحَى فضله وجلاله * الى دَرَك العلياء من غاية المجدِ

وقالت معاليه لىَ المجد كلُّه * فما ابنةُ ذى البردين(٢) والفرسِ الوَردِ

(١) فى الأصل : « فى الدين » ؛ وهو تحريف .

(٢) ذو البردين : عامر بن أحيمر بن بهدلة بن عوف ؛ لقب بذلك لأن الوفود اجتمعت عند عمرو بن المنذر بن ماء السماء فأخرج بردين وقال : ليقم أعز العرب فليلبسهما ، فقام عامر ، فقال له : أنت أعز العرب؟ قال : نعم ، لأن العز كله فى معد ، ثم نزار ، ثم مضر ، ثم تميم ، ثم سعد ، ثم كعب ، فمن أنكر ذلك فليناظر ؛ فسكتوا ؛ فقال : هذه قبيلتك ، فكيف أنت فى نفسك وأهل بيتك؟ فقال : أنا أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ؛ فأخذ البردين وانصرف (سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون لجمال الدين بن نباتة) وقد أشار بهذا الشطر إلى قول قيس بن عاصم المنقرى لزوجته منفوسة بنت زيد الفوارس الضبى — وكانت قد أتته فى الليلة الثانية من بنائه بها بطعام ، فقال : أين أكيلى؟ فلم تفهم ما يريد فأنشأ يقول :

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك * و يا ابنة ذى البردين والفرس الورد

إذا ما صنعت الزاد فالتمسى لنا * أكيلا فإنى لست آكله وحدى

الأغانى ج ١٢ ص ١٥٠ طبع بولاق .

فلا عدمه الإسلام إماما فاضلا، وحَكَمًا فاصلا، وساعيا الى غايات الفضائل واصلا، وفاعلَ حسناتٍ صيّرَ الحاصل من ثنائه باقيا والباقىَ من عمله الصالح حاصلا؛ المجلس — أدام الله أيامه — يعلم أن الأيام مستّنى بحدّ شَبَاتها، ورمتنى عن قوس أذاتها، وجنتنى الحنظلَ من شَجَراتها، والمرّ من ثمراتها، وأَضرمتْ من نار ألمى مالم تُطفئه مقلتى بفيض عبراتها

كأنى لم أُطلع بأفـق سمائهـا * ولم أتقلّب فى ثيـاب سماتهـا
ولم أكُ منها فى سويداء قلبهـا * مَخَايلَ من هدى العلا وهداتها

— أستغفر الله — فإنها آسترجعتْ ما لم يكن مستحَقًا، وأبقت إن شاء الله لمجلسه السامى ما كان حقًا، وأسكنته (١) — أدام الله نعمته — وفَلَكَ السعادة شرقا ومَطلَع الشمس أفقا، وأحلّته (٢) من كَنَف السيادة قلبا ومن رأس الرّياسة فَرْقا

وتُطلعـه الآمال خـيرَ غمـامة * فتُلمعُـه بَرقا وتُوكِفُه وَدْقا
وتبقيـه للدين الحنيفىّ عصمةً * وللهَدْىِ والإضلال إن أَبهما فَرْقا
وتُـبرزُه فى صـدر كلّ فضـيلة * كما بَذّ شأوَ الفاضلين بها سَبْقا

حضر مملوكُ مولانا الولدُ [وقد] (٣) رَفع من المحامد الشمسيّة لواء، والتزم العبوديّةَ والإخلاصَ وَلاء، وعَمَر الأفنيةَ ودادا والأنديةَ ثناء؛ وقال: أحسن مولانا حين أساءت الأيام، وأولى نعمةً حاتميّةً وإنها أشرفُ الإنعام

(١) فى الأصل: «وسقته»؛ وهو تحريف.

(٢) فى الأصل: «ومحله»؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا.

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها لأن ذلك هو الأكثر فى كلامهم؛ فان فى جملة الماضى المثبت الواقعة حالا أربع صور مرتبة فى الكثرة، وهى: جاء زيد وقد قام أبوه، ثم جاء زيد قد قام أبوه، ثم جاء زيد وقام أبوه، ثم جاء زيد قام أبوه وهذا خلاف مذهب البصريين، فإن مذهبهم لزوم «قد» لهذه الجملة مطلقا ظاهرة أو مقدرة انظر شرح الأشمونى ج ٢ ص ١٦٩ طبع بولاق.

ومالىَ لا أُثنِى عليــه بصـالح * وأشكــره والشكرُ بعضُ حقوقِه
وأملأ من حسن الثنا كلَّ مَسمَع * وإنّى لأخشى بَعـدُ إثمَ عقوقِه

ثم سار وقلبي يتبَعُــه ، ودمعى يشيِّعُه ، ولسانى يستحفِظه اللهَ ويستودِعُه ؛ وعليه من الديون ما أحاط به إحاطة الجفون بمقلِها ، والأغمادِ بمُنصُلِها (١) ؛ لتَوالِى هـذه المغارم التى طَمّ جُداها (٢) ، والمظالِمِ التى عَمّ رداها ، والمحنةِ التى ملَكَتْنى يداها ؛ من خراج طَمى بحرُ ظلمِه ، وزاد على حدّ الجور رسمُه (٣) وخُصِصتُ من بين هذا العالم بوَسمِـه (٤) ؛ للزومِ قام بوصفِى فتبعه لازمُه ، ومعنًى وجب لذاتى فاستحال عدَمُه ؛ وقد كان المـلوك وولدُه فيما سلف يجودان بمـا يَجِـدان لقانع ومُعْتَرّ ، وغنىٍّ ومضطرّ ؛ صيانةً للأعراض من أعراضِ اللَّوم ، ورغبـةً فى صِلة حمدِ الأمس بفائد (٥) اليوم ؛ وسجيّةَ نفس تأنف من عَلاقة الذم ؛ وإن كان هـذا فيما لا يجب فالقياسُ فيما يجب انبعاثُ النفس اليــه مِن حَتْم المروءة أمضَى (٦) ، والدّينُ بأداء الواجب أقضى ؛ لانه

(١) المنصل بضم الصاد وفتحها : السيف .

(٢) عبارة الأصل : «ضم جيداها» ؛ وفى كلا اللفظين تحريف لايستقيم به المعنى . والجداء بضم الجيم والمد : مبلغ حساب الضرب ، كقولك : ثلاثة فى ثلاثة جداؤها تسعة ؛ يريد بقوله : «طم جداها» أنه قد زاد مبلغ حساب هذه المغارم .

(٣) فى الأصل : «جدل» ؛ وفيه تصحيف وزيادة لام .

(٤) يريد أن هذا الخراج قد لزمه لزوم الوسم للوسوم ؛ والوسم : أثر الكىّ . والذى فى الأصل : «برسمه» بالراء ؛ وهو مكرر مع ما قبله .

(٥) الفائد : المستفاد ؛ يقال : فادت لفلان فائدة ، أى حصلت .

(٦) وردت هذه العبارة فى الأصل هكذا : «فالقياس انبعاث النفس اليه فيما يجب أمضى من حاتم المروءة والدين أمضى بأداء الواجب» الخ وفيها تقديم وتأخير لا يظهر بهما المعنى ؛ واستقامة الكلام تقتضى اثباتها على هذا الوجه . وقوله : «انبعاث» فاعل «ليجب» ؛ وقوله : «من حتم» بيان لـ«ما» ؛ وقوله : «أمضى» خبر المبتدإ فى أول الجملة .

مؤيّد بإبرام الشرع، وقد صحّ هـذا القياس بجامعيّة الأصل والفرع؛ لكن ضاقت[(١)] يد القـدرة عن نفاذها، واعتاضت من وابل الثروة برذاذها؛ واذا توافرت القرائن أفادت فوق ما تفيد غلباتُ الظنون من مَدار الشرعيّات عليها، وانتهاءِ غالب الأحكام إليها؛ وقد كان المملوك حرّك عزائم سيّدنا قاضى القضاة — شرّف الله قدرَه، وأدام على الإسلام أمرَه — إلى تحرّيها[(٢)] العلومَ الكريمةَ بما هى عالمه، وحُكمها بما هى حاكمه؛ ليكون[(٣)] له مستنَد يدفع أقوال المتعرّضين، ويصرف اعتراضَ المعترضين؛ ولئلّا يقفَ (١٤٢) له واقف فيجرِىَ قلمه الشريف بأمرٍ جازمٍ يجب الوقوفُ على مثاله، والمسارعَةُ إلى امتثاله؛ فيعزّ استدراكُ الأمر بعد إحكامه، ويكون السعىُ فى معارضته كالنقض لأحكامه؛ فكتَبَ بمـا[(٤)] يقف مولانا عليـه، وتشـير مروءتُه وديانتُه اليه؛ ويقرِّر مع نائبه ما يقف عنده، ولا يتجاوز حدّه؛ غيرَ ذاكرٍ عن مولانا منعا ينفِّر عنه الرُّواه[(٥)]، ولا مشنِّع[(٦)] بكتاب سـيّدنا قاضى القضاه؛ بل يكون كالشافع، اذا صمّم الخصمُ اعتذر بمـا هو لهـذه المصالح كالجامع؛ ليكون المملّك[(٧)] فى إرضائه بحسب الإمكان ويَرى الخصمُ ما أخذه بعد اليأس نوعا من الإحسان؛ فالنفوس اذا مُنِعتْ كلَّ المنع طَلَبتْ كلَّ الطلب، وتعلّقتْ فى دَرَك أغراضها بكل سبب؛ وإذا أُخذتْ بالكلام

---

(١) فى الأصل: «صابت» بالصاد المهملة والباء الموحدة؛ وهو تحريف.

(٢) فى الأصل: «تحريك» بالكاف؛ وهو تحريف.

(٣) «ليكون» أى ليحصل ويثبت، فالفعل هنا تام لا يحتاج إلى منصوب، ويحتمل جعله ناقصا، واسمه ضمير يعود الى «تحرّيها»، وخبره قوله: «مستندا» بالنصب.

(٤) فى الأصل: «بمـا» والباء زيادة من الناسخ؛ إذ لم نقف فيما لدينا من كتب اللغـة على أن «قرّر» يتعدّى بالباء.

(٥) فى الأصل: «الذوات» بالذال المعجمة؛ وهو تحريف.

(٦) فى الأصل: «مشيع» بالياء المثناة؛ وهو تصحيف.

(٧) عبارة الأصل: «المالك فى إرضائهم»؛ وهو غير مستقيم؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

البين(١)، وعوملَتْ بالسهل(٢) اللين، بعد درءِ سَورتها(٣) بالمنع، ودفعِ شهوتها بالدفع؛ اتّسق حُكم الأشياء وانتظم، وانشعب صَدعُ هذا الجرح والتأم؛ وجرَى الأمرُ على سداد بحفظ النظام وحفظِ الحرمة والحفظ للشارع، ولذلك قال: " أقيلوا ذوى الهيئات عَثَراتِهم " لا سيما مع شهادات ضروراتهم؛ بسَطَ الله يمينَ سـيدنا فى المعالى كما بسط لسانَه فى المعالم، وقيَّـد عليه لسان المحامد كما أطلق يدَه(٤) بالمكارم؛ وعليه تحية الله التى تُوالِى عليه نفحاتِهـا، وتُهدِى إلى آماله العالىَ [من](٥) مقترحاتِها.

وكتب إلى شهاب الدين محمود متولى سَمهودَ(٦) من عمل قوص — وكان بينهما مودّة، فاستدعاه للسلام عليه — فكتب:

إلينـا فإنا قــد حللنا بأرضـكم * على فرط شوقٍ لابن عثمان دائمِ
وزرناك محمـودا كما زار أحنفٌ(٧) * لنيل الأمانى ربعَ قيس بن عاصمِ(٨)

(١) فى الأصل: «اللين» باللام، وهو تحريف لتكرره مع ما يأتى بعده فى الجملة الآتية.

(٢) فى الأصل: «بالمنهل»؛ وهو تحريف. (٣) السورة: الحدّة. (٤) عبارة الأصل: «يد المكارم» بسقوط الهاء والباء؛ والسياق يقتضى إثباتهما. (٥) هـذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتها. والهاء فى قوله: «مقترَحاتها» تعود إلى «آماله».

(٦) سمهود، ويقال سمهوط: قرية كبيرة على شاطئ غربى النيل بالصـعيد دون فرشوط (ياقوت) وقال فى تاج العروس: المشهور فى هذه القرية أنها بفتح السين وبالدال فى آخرها.

(٧) الأحنف: هو الضحاك، وقيل: صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة، ينتهى نسبه الى سعد ابن زيد مناة بن تميم؛ ويكنى أبا بحر؛ وهو الذى يضرب به المثل فى الحلم، وكان من سادات التابعين؛ وأدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه؛ وروى عن عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم، وروى عنه الحسن البصرى وأهل البصرة؛ وشهد مع على رضى الله تعالى عنه وقعة صفين؛ وخرج مع مصعب بن الزبير الى الكوفة، فات بها سنة سبع وستين وقيل سنة إحدى وسبعين (وفيات الأعيان) ترجمة الأحنف بن قيس.

(٨) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد، ينتهى نسبه الى سعد بن زيد مناة ابن تميم؛ ويكنى أبا على؛ وكان شاعرا فارسا كثير الغارات مظفرا فى غزواته حليما؛ أدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما؛ وهو أحد من وأد بناته فى الجاهلية؛ وأسلم وحسن إسلامه، وأتى النبي صـلى الله عليه وسـلم وصحبه فى حياته، وعمر بعده زمانا، وروى عنه عدّة أحاديث، وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسـلم: " هذا سيد أهل الوبر " (الأغانى ج ١٢ ص ١٤٩ طبع بولاق) أخبار قيس بن عاصم.

ولسنا بغاةً للنـــدى والتماســـه * وان كنتَ معروفَ الندى والمكارم
ولكن وفاءً بالإخاء لمن وفى * وقد خان حتى حدُّ سيفى وقائمى
وجدتك ذخرى والزمانُ محاربى * كما كنت عَونى والزمانُ مسالمى
فلا غرو أن أُثنى اليــك أعنّتى * كما قد ثَنت يمناى خِنصَرَ خاتَمى

يُهـدى الى المجلس السامى الشرفىّ تحيـةَ الله التى تحملها أنفاس النسيم معطّرةً بعَرْف الرياض، مكلَّلةً بأندية الكرم الفيّاض؛ تغـاديه فى السحر والمَقِيـل، وتُراوحه فى الطَّفَل والأصيل، وتشاهد محاسنه المقل (١) أحسَنَ من محاسن بثينة فى وجه جميل؛ وأثنيتـه (٢) التى تنتظم فى الأجياد آنتظامَ القـلائد، وتَرِد على الأسماع ورود الهِيم (٣) على عذاب المَوارد؛ ويوليه من حبّـه مزيّةَ (٤) الآختصاص، ومن مُوالاته السوانحَ التى لا تمتد إليها يد الآقتناص؛ فهو نسيم الأنس، ومسرّةُ النفس، وذخرُ اليوم والأمس؛ مصعبىُّ الهمم، مهلّبىُّ الشّيم (٥)، حاتمىُّ الكرم؛ فاق أخلاقا، وراق أعراقا، وسما نفسا، وطلع فى سماء الشرف شمسا

وألفيتُــه فى نفســه وولائه * وحسنِ معانيــه كما آنتظم الدر
وضاع شـذا أنفاســه فانتشـقتُه * على النأى منـه مثلما آبتسم الزهرُ
ولاحت معاليــه بآفاق مجــده * كما لاح فى ليـل التّمام لنا بدرُ

(١) فى الأصل: «محاشفه»؛ وهو تصحيف.
(٢) الظاهر أن هذه الجملة والتى بعدها مقدّمتان من تأخير؛ واستقامة الكلام تقتضى تأخيرهما عن الجملتين اللتين بعدهما؛ أى بعد قوله فيما سيأتى: (يد الاقتناص). والأثنية: جمع ثناء.
(٣) الهيم: الإبل العطاش. وفى الأصل: «الهم» بسقوط الياء.
(٤) عبارة الأصل: «وله لأولى»؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.
(٥) فى الأصل: «النسيم»؛ وهو تحريف.

لا جَرِم إتيانى اليه[1]، وإيثارَ تسليمى عليه؛ مع أنى كنت أعهد له خلوةً حلوةً مع الله ووقفةً على بابِه، والتجاءَه فى جنح الليــل إلى جنابِه، ودمعةً يرسلها إذا آسترســل فى محرابِه؛ وضراعةً يتابعها خشوعُه، وزفرةً يشتمل عليها قلبه وتفرّق عنها ضلوعُه

فياليت شــعرى هل أقامت بثينة * على عهـــدها أم قد ثنتها الشواغلُ
وهــل ذلك الودّ الذى كان بيننا * بوادى الخزامى مثــلُ ما كان أوّلُ[2]

وكتب اليه — رحمهما الله — يستدعى منه ثلاثة أسهم ومليات[3]

— وقد أوردنا بعض هــذه الرسالة فى الفن الأوّل فى السواقى، ونُوردها فى هــذا الموضع بجملتها لتكون متابعة يتلو بعضُها بعضا — :

والسيفُ يُندَب فى الوغى فيهزّه * ندْبُ الكمىّ الى مضاء غِرارِه
والحرُّ أولى بانتــــداب خلاله * لمؤمّــل فيــــه قضــا أوطارِه

فلذلك حرّكتُ العزائمَ العاليــةَ المولويّةَ الشرفيّــةَ — أدام الله علاها، ورفع لواها وأودع أسماعَ الأنام ثناها؛ ولا زالت مرفّهةَ السرائر، منوّرةَ الضمائر، سائرةً فى قطب المعالى سير الفَلَك الدائر، آخذةً بحظها من شرف المفاخر، جامعةً بين دَرَك إحسان

(١) عبارة الأصل: «ولا جرم إتناى»؛ وهو تصحيف فى كلا اللفظين.

(٢) لم يلتزم هنا ألف التأسيس وهى التى يكون بينها وبين الروىّ حرف متحرك، ويجب على الشاعر التزامها اتفاقا. انظر الحاشية الكبرى للدمنهورى على متن الكافى ص ١١٧ طبع بولاق.

(٣) كذا فى الأصل والسفر الأوّل من هذا الكتاب ص ٢٨٩ طبع دار الكتب المصرية، وضبط فيه بفتح الميم وتشديد الياء، ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على لفظ «المليات» بالمعنى الذى يريده الكاتب فى هذه الرسالة؛ فإنه يريد بالمليات: أوانى من خزف يستخرج بها الماء من السواقى كما يفهم من وصفها الآتى، وتسمى هذه الأوانى بالقواديس؛ كما فى مستدرك التاج مادة «قدس».

الله فى اليـوم الأوّل واليوم الآخر — تحريكَ الطَّسْمية[(١)] عزائمَ الأَسود بن عفار[(٢)] وبعثَها إلى إنالة الأمل آنبعاثَ الهمم العربيّـة يومَ ذى قار[(٣)]، وٱستجشتُ عزائمها استجاشةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عزائمَ الأنصار، واستنجدتُها استنجادَ العثمانيّة بالهاشميّة يوم الدار[(٤)]، واستحثثتُها سرعةَ الإجابة استحثاثَ أَدهمِ الليل أَشهبَ النهار، فإنها

(١) كذا فى الأصل؛ ولعله: «الجديسية» نسبة الى جديس؛ فان الذى حرّك الأسود بن عفار للذود عن شرفه وشرف قومه، هى عفيرة أخته، وهما من جديس لا من طسم؛ وقد بينا ذلك فى الحاشـية التى تليهـا .

(٢) كذا فى الأصل ومستدرك التاج والكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٢٥٤ طبع ليدن) بالعين المهملة والذى فى تاريخ الطبرى القسم الأوّل (ص ٧٧١ طبع أوربا): «ابن غفار» بالغين المعجمة. وأشار بهذه العبارة الى ما كان بين طسم وجديس — وهما قبيلتان من العرب البائدة — وذلك أن ملك طسم كان قد سام جديس أنواع الذل، وأمر ألا تزف فتاة من جديس الى زوجها حتى يفتض هو بكارتها، فزفت فتاة من جديس الى زوجها، وقبل زفافها أتى بها الى ملك طسم، فافتضها، وكانت اسمها عفيرة، وهى الشموس أخت الأسود بن عفار هذا، فخرجت على قومها فى حالة تثير الحمية فى نفوسهم وتحرضهم على أن يقوموا فى وجه هذا الظالم ليحفظوا شرفهم وأعراضهم؛ فخطب الأسود بن عفار فى قومه وائتمروا بطسم وملكهم ليفنوهم عن آخرهم ويتخلصوا من ظلمهم، فصنعوا طعاما، ودعوا اليه ملك طسم وقومه ودفنوا سيوفهم فى الرمل فلما حضروا وجلسوا الى الطعام أخذتهم سيوف جديس فلم تبق منهم أحدا . انظر تفصيل هذه القصـة فى الكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٢٥٢، ٢٥٣ طبع ليدن) وغيره من كتب التاريخ .

(٣) ذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط؛ وبه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس ، وهو أوّل يوم انتصف فيه العرب من العجم، وهذه الوقعة من مفاخر بكر بن وائل (ياقوت) فى الكلام على ذى قار وانظر تفصيل هذه القصة فى كتب التاريخ .

(٤) يريد دار عثمان بن عفان رضى الله تعـالى عنه التى حوصر فيها وقتله الثوار بها فى الثامن عشر من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين . انظر ذلك مفصلا فى كتب التاريخ . ويشير بقوله: «استنجاد العثمانية بالهاشمية» الى كتاب قيل: ان عثمان بعث به الى على رضى الله تعالى عنهما يستنجده على من حاصره جاء منه : أما بعد فقد بلغ السيل الزبى، وتجاوز الحزام الطبيين، وطمع فىّ من لا يدفع عن نفسه؛ الى أن قال: فأقبل الى على أى أمريك أحببت

فان كنت مأكولا فكن خير آكل * والا فأدركنى ولمـا أمزق

"تمـام المتون شرح رسالة ابن زيدون للصفدى" .

للتى ثنيتُ عليها خِنصَرَ الاعتماد، وصرفتُ اليها عَقيدةَ الاعتداد،(١) وجعلتُها من القلب فى سويدائه ومن المقلة فى السواد، واعتمدتُ عليها اعتمادَ بكرٍ على الحارث بن عُبَاد؛(٢) لا جرم أنها والحمد لله تعالى ساعيةٌ لآمالى متى استسعيتُها، وصدَى صوتى متى دعوتُها وفاتحةُ كتابِ المحامد متى تلوتُها؛ وأعيذها بالله أن تَنكُبَ عن قضائها،(٣) أو تقفَ دون غاية انقضائها؛ وإنها لأَورَقُ(٤) فرعا من أفنان السَّلَمه،(٥) وأعرقُ أصلا فى الوفاء من أصـل السَّلِمه،(٦) وأَرشَقُ سهما فى كنانة سَلِمه،(٧) وأَوثَقُ فى حفاظ المودّة من ابن شُبرمه؛(٨) يقينٌ

(١) فى الأصل: «الاعتذار» بالذال المعجمة والراء؛ وهو تحريف.

(٢) كذا ضبطه العلامة الشنقيطى بضم العين فى إحدى نسخ القاموس مادة "نعم" وهـذه النسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٩ لغة ش. وضبط كذلك بالقلم فى شرح التبريزى على ديوان أبى تمام المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥ أدب ش عند قول أبى تمـام: كم وقعة لك فى الهوى مشهورة * ما كنت فيها الحارث بن عباد. والحارث بن عباد: هو أحد فرسان بنى بكر بن وائل ورؤسائهم؛ وكان قد اعتزل الحروب التى وقعت بينهم وبين بنى تغلب، وهى المسماة بحرب البسوس. ثم شهدها بعد ذلك لمـا قتل مهلهل بن ربيعة ابن أخيه بجيرا، وقال مهلهل حين قتله: "بؤ بشسع نعل كليب" فغضب عند ذلك الحارث بن عباد وقال:

قـربا مربط النعـامة منى * لقحت حرب وائل عن حيال

الأبيات — والنعامة: فرسه — فأتوه بها، فركبها وولى أمر بكر وشهد حربهم، وكان أوّل يوم شهده يوم قضة، وهو يوم تحلاق اللمم، وإنمـا قيل له: تحلاق اللمم، لأن بنى بكر حلقوا رءوسهم ليعرف بعضهم بعضا، وقاتل يومئذ الحارث بن عباد قتالا شديدا، فقتل فى تغلب مقتلة عظيمة، وفى هذا اليوم أسر الحارث ابن عباد مهلهل بن ربيعة ثم أطلقه اهـ ملخصا من تاريخ ابن الأثير (ج١ ص ٢٩٤، ٢٩٥ طبع ليدن).

(٣) عبارة الأصل: «أن تكم عن نصابها»؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى؛ ولعل صوابه ما أثبتنا إذ هو مقتضى السياق.

(٤) هو من ورق الشجر يرق كوعد يعد والأكثر فى هذا الفعل «أورق» بالألف، قاله الأصمعى.

(٥) السلمة: شجرة ذات شوك يدبغ بورقها وقشرها وورقها يسمى القرظ، ولها زهرة صفراء فيها حبة خضراء طيبة الريح تؤكل فى الشتاء وتخضر فى الصيف. وقال أبو حنيفة: السلم سلب العيدان طولا شبه القضبان وليس له خشب وان عظم وله شوك دقاق طوال حاد. والكلام هنا على الاستعارة.

(٦) السلمة بكسر اللام: الصخرة؛ يريد أنه ثابت العهد على الأيام ثبوت الصخر. (٧) سلمة بكسر اللام: بطن من الأنصار. (٨) لعل المراد بابن شبرمة: سعيد بن النضر بن شبرمة الحارثى الكوفى، من المحدّثين انظر مستدرك التاج. وفى الأصل: «ابن أبى شبرمة»؛ وقوله: «أبى» زيادة من الناسخ.

أَحطتُ بأنبائه، إحاطةَ رسول ابن داود[1] يوم إنبائه؛ فلا أشكّ[2] فى شرف نفسها وسموّ نجمها ووضوح شمسها، وزيادةِ يومها فى الوفاء على أمسها[3]، كما لا تشكّ الإياديّة فى فصاحة قُسّها، ولا العامريّةُ فى عَلاقة قيسها؛ وقد توجّه إليه حاملُها لحمل السهام التى أسهمتْ له من الموالاة[4] أوفرَ أقسامها، ونَشرتْ رداءَ ذِكْره على أفئدة قلوبها وألسنة أقلامها؛ عند اشتداد الحاجة إليها، وجرّ ثِقل السواقى عليها؛ وحركةِ الحرّ التى حلّت شمسُه بُرجَ حَمَلِها[5]، وتوالت جيوشُ جنودِه بين صدور ظُباها وأطرافِ أَسَلِها؛ بتجفّف أنداءَ الثرى، وتُعيد عنبرَ الأرض عِثيَرا[6]، وتُشيب مَفارِقَ نَباتِها، وتُذيق المَمات[7] أكبادَ حَبّاتها؛ فاستنصر العزائمَ العاليةَ المولويّةَ الشرفيّةَ فى إطفاء لَهيبه واقتضينا إعانته قبل انتضاء[8] قُضُبِه، وبعثْنا لمحلّ الهمة الشرفيّة قبل سطوته على قَضْبه[9] وقَصَبِه؛ لتجرىَ جداولُها على صفحة الثرى مستفيضه، وتُجْنَى ثمراتُ رياضها من

(١) أراد برسول ابن داود: الهدهد؛ وقصته مع نبى الله سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم مشهورة.

(٢) فى الأصل: «ان فى شرف» وقوله: «ان» زيادة من الناسخ.

(٣) فى الأصل: «أمنها»؛ وهو تحريف.

(٤) الموالاة، من والى فلان فلانا: اذا أحبه وصادقه.

(٥) الحمل من بروج السماء: أوّل البروج، وأوّل هذا البرج الشرطان — وهما قرنا الحمل — ثم البطين ثلاثة كواكب، ثم الثريا، وهى ألية الحمل؛ هذه النجوم على هذه الصفة تسمى حملا. قال فى اللسان: وهذه المنازل والبروج قد انتقلت؛ والحمل فى عصرنا هذا أوّله من أثناء الفرغ المؤخر اهـ كلامه؛ والحمل من البروج الربيعية.

(٦) عبارة الأصل: «عبير الأرض عنبرا»؛ وهو تصحيف فى كلا اللفظين لا يستقيم به المعنى؛ والعثير: الغبار.

(٧) فى الأصل: «صمات» بالصاد؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى.

(٨) فى الأصل: «انقضاء» بالقاف؛ وهو تحريف.

(٩) القضب كل نبات يقتضب فيؤكل طريا غضا.

أنداء همّته أريضه[1]، وتغازل مقلُ النفوس لحظات أزهارها، وتفتن أفنانُ[2] فنونها بنوح بلبلها وهزارها، ويبوح شذا الروض عن[3] سرّها وآثارها[4]؛ هذا مع أنها خطبتْ حُسنَ إحسانه، وتقلّدتْ جميلَ برّه وجزيلَ امتنانه؛ والربيع متمّم العِذار، مُوشّى الإزار، قد لبس رداء شبابه، وماس في خَضِر ترابه وخَضِل ربابه[5]؛ يهزّ أعطاف سَنائه[6]، ويخطر في بُرد هوائه وبَرد مائه، فكلّل وجنات نَوْره ببَرَد أندائه؛ والثرى عنبريُّ الأديم، سَحَريُّ النسيم، رَنْديُّ الشميم، موشّحٌ بقلائد غدرانه، مغازِلٌ بعيون نرجسه بسّام بثغر أُقْحُوانه؛ لا يغرّد[7] ذبابُه ولا يطرب، ولا يَصِرّ بسُحُراته[8] الجُنْدُب؛ تطلُع شمسه محتجبةً في ضبابها[9]، مقنّعةً من سحابها؛ جاريةً في أثناء حُبُكها[10]، جائلةً في أدنى فلَكها؛ تسعى فتُسرع، وتكاد أن تغرب حين تَطلُع؛ والجوّ معقود الأزرار، فاختيّ[11]

---

(١) الأريضة: المعجبة للعين.

(٢) الأفنان: الأغصان؛ واحده فنَن، كسبب. ويريد بالفنون: ضروب النبات، واحده فن.

(٣) كذا في الأصل؛ ولم نقف فيما بين أيدينا من كتب اللغة على تعدية «باح» بهذا الحرف؛ ولعله ضمن يبوح: معنى يكشف فسوّغ له هذا التضمين ذكر «عن».

(٤) في الأصل: «وأسرارها»؛ وهو تحريف لتكرره مع ما قبله.

(٥) في الأصل: «ذبابه» بالذال المعجمة؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى. والرباب: السحاب.

(٦) في الأصل: «شبابه»؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه آخر الجملة الآتية. إذ به يتم السجع الذي التزمه الكاتب في رسالته.

(٧) في الأصل: «لا يفر» وفيه تصحيف ونقص.

(٨) في الأصل: «ولا يضر بشجراته»؛ وهو تصحيف في كلا اللفظين. والصرير والصرصرة: صوت الجندب.

(٩) في الأصل: «ضيائها»؛ وهو تحريف.

(١٠) حبك الشمس: طرائقها، الواحد حبيكة.

(١١) الفاختيّ، نسبة الى الفاختة، وهي ضرب من الحمام المطوّق لأن لونها يشبه الفخت: وهو ضوء القمر.

الإزار، غَيمُه منسكب، ونُورُه منسحب؛ وليلُه يضمّ أطراف نهاره، ويلفُّ وجهَه (١٤٤)
في حاشية إزارِه ؛ يَنفِي القذاةَ[1] عن مائِه، ويَجمع الحواسَّ على جَلْوائه[2]، ويُعشِي المقل من ضوء سَنائه

فلو أن ليـلى زارنى طيفُ أنسها * وماءُ شـبابى قاطـرٌ فى ذوائبى
ضَممتُ عليهـا البرد ضمّـةَ آلفٍ * وألصقتُ أحشائى بهـا وترائبى
ولكن أتتنى بعـد ما شاب مَفرِقى * ووَدّعتُ أحبـابى له وحبـائبى

والحاجةُ داعيـةٌ إلى ثلاثة أسهم، كأنهـا هَقعةُ[3] الأنجُمِ؛ ممتدّة آمتداد الرمح، مقوَّمة تقويم القِدْح؛ غير مُشعَّثة الأطراف، ولا معقَّدة الأعطاف، ولا مسوَّسة الأجواف؛ تُحاسِن الغصون بقوامِها، والقدودَ بتمـامِها؛ وتُخالِف هيفَها بامتلاء خصورِها، وتُساوِى [ بين ][4] هَواديها وصدورِها[5]؛ معتدلة القدود، ناعمـة الخدود؛ مع مليات أخذت النار فيها مآخذَها فاسودّت، وتطاولت عليها مدّةُ الجفاف فاشتدّت؛ وترامت بها مدّة القِدَم، كأنها فى حيّز العدم؛ صِلاب المَكاسر، غِلاظ المآزر؛ تشبه أخلاقَه فى هيجاء السِّلْم، وتَحكِي[6] صـلابة آرائه فى نفاذ الرأى ومَضاء العزم؛ تَكتِلم على المـاء بقَبضِها، فتجود على الأرض بفَيضِها[7]؛ تمدّ يدَ أيدِها[8] فى آقتضاء إرادتهـا، وتَطلُع

(١) فى الأصل : «ينفر الدوات»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه سياق الكلام.

(٢) فى الأصل : «ملوايه»؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى.

(٣) الهقعة : ثلاثة كواكب فوق منكبى الجوزاء كالأثافى إذا طلعت مع الفجر اشتدّ حر الصيف.

(٤) لم ترد هـذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن السفر الأول من هـذا الكتاب ص ٢٨٩ الطبعة الأولى بدار الكتب المصرية.

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٩٤ من هذا الجزء.

(٦) فى الأصل : «وتجلى»؛ وهو تحريف.

(٧) فى الأصل : «لقيظها» وفى السفر الأول من هذا الكتاب : «بتبيظها»؛ وهو تصحيف فى كليهما.

(٨) الأيد : القوّة.

طلوعَ الأنجم فى فلَكِ إدارتِها ؛ وتُعانِق أخواتها معانقةَ التشييع ، فآخرُ التســليم أوّلُ التوديع ؛ على أنها تؤذِن بحقائق الاعتبار، وتَجرِى جَرْىَ الفَلَك المُدار فى فَناء الأعمار

تَمــرّ كأنفاس الفتى فى حيــاته * وتسعى كسعى المرء أثنــاء عمرِه
يفارق خِلٌّ خِلَّه وهو ســائرٌ * على مِثل حال الخلّ فى إثر سيرِه
ويُعلِمه التّدوارُ لو يعقل الفتى * بأن مرور العمر فيه كمَرِّه
فمن أدركتْ أفكارُه سرَّ أمرِها * فقد أدركت أفكارُه سرَّ أمرِه
ومن فاته الإدراكُ أدركه الردى * إذا جُرِّعتْ أنفاسه كأسَ مُرِّه

هــذه آخر خَطَوات القلم، ومنتهى خَطَرات الكَلِم ؛ فقُم فى سرعة وصولِهــا وتعجيل رسولِها

بعزمٍ [غدا] يُنسِى لمروانَ عَزْمَه * براهِطَ(١) إذ جاشت عليــه القبائلُ

غيرَ معتمد عليه، ولا مفوّضٍ أمرا اليه؛ فلم أعتمد عليه اعتماد الصُّوفه(٢)، وإنمــا هو العِماد عند أهل الكوفة(٣)، وإنمــا هو حمار سَير، وذَنَب طَير؛ تَحمِل ورقة مطويّةً عن

---

(١) راهط: موضع فى الغوطة من دمشق . ( ياقوت ) ومنعه من الصرف باعتبار أنه علم على البقعة . وأشار بهذا الى وقعة مرج راهط المشهورة وكانت بين عساكر مروان بن الحكم أحد خلفاء بنى أمية وأتباع عبد الله بن الزبير، وهم القيسية، وكان النصر فيها لجنود مروان .

(٢) كذا فى الأصــل ؛ ولم نجد من معانى هــذه الكلمة ما يناسب السياق ؛ ولعل صواب العبارة : "اعتماد آل صوفة" ، وآل صوفة : قوم كانوا يخدمون الكعبة ويتنسكون ؛ قال فى الأساس : ولعل الصوفية نسبوا اليهم تشبيها بهم فى التنسك والتعبد اهـ؛ يريد الكاتب بهذه العبارة : أنه لم يعتمد على هذا الرسول اعتماد المفوض اليه فى كل أمر، كاعتماد أهل التنسك والعبادة على خالقهم وتسليمهم اليه فى جميع الأمور .

(٣) العماد عند أهــل الكوفة : هو المسمى بضمير الفصل عند البصريين مثل « هو » فى قولك : « زيد هو القائم » ؛ وتسميته عمادا لأنه يحفظ مابعده حتى لايسقط عن الخبرية كالعماد فى البيت الحافظ للسقف من السقوط كما نص على ذلك فى كتب القواعد؛ وكأن الكاتب يقول : إن هذا الرسول لا يصلح إلا لأن يحمل ما يكلف بحمله، ولا يصلح لأن يفوض اليه أمر آخر يحتاج الى فطنة ودقة نظر ، فهو كضمير العماد الذى ليس له فائدة فى الجملة لا كونه عمادا لمــا يليه .

عليه، مزوية عن فهمه؛ "كما يحمل الزند الشرار إلى العظم" والله تعالى يحله من السعادة أشرف آفاقها، ويحرسه فى طفل الشمس وإشراقها

ويجريه من ألطافه نحو غاية * تبلغه الألطاف حلو مذاقها
ويلبسه فخر السيادة والعلا * كما لبست أسماء(١) فخر نطاقها

إن شاء الله تعالى .

## ذكر شيء من إنشاء المولى [القاضي(٢) الفاضل البارع الأصيل] الأجل محيي الدين عبد الله [بن عبد الظاهر(٢)] رحمه الله تعالى

كان رحمه الله من أجل كتاب العصر، وفضلاء المصر، وأكابر أعيان الدول والذى افتخر بوجوده أبناء عصره على الأول؛ له من النظم الفائق ما راق صناعة وحسنا، ومن النثر الرائق ما فاق بلاغة ومعنى؛ فقصائده مدونة(٣) مشهوره، ورسائله بأيدى الفضلاء ودفاترهم مسطوره؛ وكلامه كاد يكون(٤) لأهل هذه الصناعة وعليهم

(١) أسماء : هى بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما؛ وكانت تلقب بذات النطاقين، وأصح الأقوال فى تعليل ذلك اللقب أنه كان لها نطاقان تلبس أحدهما وتحمل فى الآخر الزاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه وهما فى الغار. وقيل لأنها شقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار، فجعلت واحدة لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأخرى عصاما لقربته؛ وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج مع أبى بكر مهاجرين صنعنا لهما سفرة فى جراب فقطعت أسماء من نطاقها وأوكت به الجراب فلذلك كانت تسمى ذات النطاقين (تاج العروس) وتوفيت أسماء بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بليال، وكان قتله يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٨ ص ١٨٦ طبع ليدن.

(٢) هاتان العبارتان لم تردا فى (أ) وقد أثبتناهما عن (ج) .

(٣) فى (أ) : "مبينة" .

(٤) كذا فى (ج) والذى فى (أ) «كاد أن يكون» بزيادة «أن» والذى اخترناه هو الأكثر فى خبر «كاد» فإن اقتران خبرها «بأن» قليل؛ بل نص بعضهم على أن ذلك مخصوص بالشعر؛ ومنه قول الشاعر:

* كادت النفس أن تفيض عليه * الخ البيت .

ججه ، وطريقُه فى البـلاغة أسهل طريق وفى الفصاحة أوضحُ محجّه ؛ وهو رحمه الله ممن عاصرتُه[(١)] ولســوء الحظ لم أشاهدْ محيّاه الوسيم ، ولم أفُزْ بالنظر إلى طلاقة وجهه الكريم ؛ والذى أُورده من كلامه هو ممّـا نقلتــه من خطّه ، وتَلَقَّيتُه ممّن سمعه من لفظِه؛ فمن كلامه — رحمة الله عليه — ما كتبه عن السلطان الملكِ الظاهرِ ركنِ الدين بيبرس الصالحيّ — رحمه الله — إلى ملك الغرب، كتب :

تحيّاتُ الله التى تَتابَع وفودها وتتوالَى، وتشرق نجومُها وتتلالا ، وتنفق إسرافا ولا تخاف من ذى العرش إقلالا ؛ تخصّ ٱلحضرةَ السنيّةَ السَّريّه ، العاليّةَ العادليَّـةَ المستنصريّه ؛ ذخيرةَ أمـيرِ المؤمنين ، وعصمةَ ٱلدنيـا والدين ، وعُدّةَ الموحّدين ؛ لا زالت سماؤها بالعــدل مُغدِقةَ الأنواء مُشرِقةَ الأنوار ، ورياضُها بالفضــل مُورِقةَ الأغصانِ مُونِقةَ الثّمار ؛ ولا برحتْ ضَوالُّ الأمانى فى أبوابها تُنشَد ، وقصائدُ القُصود[(٢)] فى اتصافها تُنشِد ؛ وسُرى الآمال عند صباح أمرها يُحمد ، وأحاديثُ الكرم عن جودها تُرسَل وإلى وجودها تُسنَد ؛ وسلامُه الذى يكاثر نسيمَ الروض الأنيق ، ويفاخر جديدُه عتيقَ[(٣)] ٱلمسك وأين الجديد من العتيق ؛ يغاديان تلك الأنداءَ[(٤)] المباركةَ مُغاداةَ الغوادى

---

(١) فى (أ) : «عاجزته» بالجيم والزاى ؛ وهو تحريف .

(٢) القصود : جمع قصد ؛ وهذا الجمع ذكره بعض الفقهاء ، وإنما جمع القصد مع أنه مصدر — والمصــدر لا يثنى ولا يجمع — نظرا لاختلاف أنواعه ، ويدل كلامهم على أن جمع المصدر موقوف على السماع ، فإن سمع الجمع عللوا باختلاف الأنواع ، وإن لم يسمع عللوا بأنه مصدر أى باق على مصــدريته وعلى هذا فجمع القصد موقوف على السماع اه ملخصا من المصباح .

(٣) عتيق المسك : قديمه ؛ وفى كلا الأصلين : «فتيق» بالفاء وهو وإن كان صحيح المعنى إلا أن مقابلته فى العبارة بالجديد مرتين يرجّح ما أثبتنا . وفتيق المسك بالفاء : فعيل بمعنى مفعول ، وهو من فتق المسك بغيره : إذا أخرج رائحته بشىء يدخله عليه .

(٤) الأنداء : جمع النادى ، وهو القوم المجتمعون ؛ وفى حديث أبى سعيد : "كنا أنداء فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم" .

من وابل(١) المطر، ويراوحانها مُراوحةَ الرِّقّة للأُصُل والبُكَر، حيث العزّة القعساءُ يمتدّ رِواقُها، والنعمةُ الغرّاءُ تُخصَف أوراقُها(٢)، والدِّيمةُ الوَطْفاءُ(٣) يتوالى إغداقُها، ويتتالى إغراقُها؛ وحيث العدل منشور الجناح، والحقّ مشهور السلاح، والإنصافُ مبرورُ الأقسام لطالبه باقٍ لا يزاح؛ سجيّةٌ تتوارث توارُثَ الفخار، ومزيّة تَستأثِر بالهداية آستئثارَ النجوم بالأنوار، وشيمٌ تُستصحَب آستصحابَ الأهلّة للإبدار؛ فلذلك يتلفّت الأمل إليها تلفُّتَ السارى الى تبلّج الصباح، ويرتاح الى تلقّى إحسانها آرتياحَ الظامئ إلى ارتشاف الماء القَراح؛ ويحتمى بها فى المطالب آحتماءَ الليث بالغابه، وتستمدّ إسعافَها آستمدادَ الحديقة من السحابه؛ ويهزّ عدلها كما هزّ الكَمِىُّ المُرْهَف، وينبّه فضلَها تنبيهَ النسيم جفنَ الزهر الأَوْطَف(٤)؛ فيناجى بالجُؤُور(٥)، ويلتمس لها حسنَ الصنع الذى لا يزال مبتسمَ الثغور؛ فما قصّ عليه من مناجاته، وطوى عليه طويّةَ مفاوضاته، أنّ القاضىَ زينَ الدين بنَ حَباسةَ من بيتٍ أسلفَ سلفُه جميلا، وغدا هو على مكارمه دليلا؛ وكان له غلام قد سيّر معه جملةً(٦)... والآحتفالُ الحفىُّ(٧) مسئولٌ

(١) لعله : «بوابل» فإن السياق يقتضى الباء .

(٢) تخصف أوراقها : أى تتصل أجزاؤها اتصالا لا انقطاع فيه، وخصف الورق : هو أن يوصل بعضه ببعض للاستتار به .

(٣) الوطفاء من السحب : المسترخية لكثرة مائها؛ أو هى الدائمة السح الحثيثة .

(٤) الأوطف : المسترخى . والمصدر الوطف بالتحريك؛ يريد تشبيه الزهر فى سكونه بالجفن الذى غشيته سنة من الكرى فاسترخى .

(٥) فى كلتا النسختين : « بالأجور» بتقديم الهمزة؛ وهو تحريف لايستقيم به المعنى . والجؤور : جمع (جأر) بسكون الهمزة مصدر جأر يجأر : اذا دعا وتضرع؛ وانما جمع المصدر هنا نظرا لاختلاف أنواعه؛ وقد سبق الكلام فى جمع المصدر فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٢ من هذا السفر

(٦) كذا وردت هذه العبارة فى كلا الأصلين؛ وهى غير واضحة المعنى . والظاهر أن لها بقية تم معناها سقطت من الأصول التى بين أيدينا؛ ولم نقف عليها فيما راجعناه من المظان .

(٧) الحفىّ بتشديد الياء : المبالغ فى البر والإكرام . وفى (ج) «الخفى» بالخاء المعجمة؛ وهو تصحيف .

فى تقدّمٍ يجيب النجاحُ داعيَه، ويغدو الفلاحُ مُراوِحَه ومُغاديَه؛ وآعتناءٍ يستخلص حقَّه ممن عليه آعتَدَى، ويَرى مِن قبسِـه نورا يجد به هدى؛ فببارقةٍ يضيء لديه الحالك، وبلمحةٍ يهتدِى "بحيث آهتـدت أمُّ النجوم الشوابك"(١)؛ وما هو إلا رسمٌ يرسم به وقد قرب البعيد، وآبَ الشريد، وخاف الخائف، وكَفَّ الجانف(٢)؛ وجُمِعت الضَّوالّ، وضاق على آلمختزِل(٣) واسعُ المَجال؛ مَهابة قد سكنت القلوب، وسياسة قَوِيَ الطالبُ بها وضعف المطلوب، وعزّة لا يزال الرجاء يُنيب إليهـا فيما ينوب؛ وأىُّ مطلب تُناجَى فيه الآلاءُ المباركةُ فلا يُصحِب قيادُه، ويُستسـقَى له مُزْنٌ ولا تُعاهَد عِهادُه(٤)؛ وأىُّ ذاهبٍ لا يُسترجَع به ولو أنه عشيّاتُ الحمى(٥)، وأىُّ فائتٍ لا يُرَدّ ولو أنه زمن الشبيبة المعسولُ اللَّمى؛ وحسبُ العانى أن يحطّ برحابها رحالَه، أو أن يوفد إلى أبوابها آمالَه؛ وقد تبادرتْ إليه المَناجحُ متسابقه، وآنتظمتْ لديه آلمصالح متناسقه؛ فحينئـذ يُفعَم إناءُ تأميله، ويَستوعِب الإحسان لجملة(٦) قصده وتفصيـلِه؛ ويناديه

(١) الشوابك: من شبكت النجوم اذا دخل بعضها فى بعض واختلطت، وكذلك اشتبكت وتشابكت. وأم النجوم: المجرّة وهذا عجز بيت لتأبط شرا، وصدره: «يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدى» بحيث اهتدت الخ انظر ديوان الحماسة. ومعنى الشطر الثانى من هذا البيت أنه يستغنى عن الدليل فى أسفاره كما تستغنى المجرّة؛ والعرب تقول: هو أهدى من النجم.

(٢) الجانف: من الجنف بفتح الجيم والنون: وهو الميل والجور.

(٣) المختزل: الخائن؛ يقال: اختزل الوديعة: إذا خان فيها. والاختزال فى الأصل: الاقتطاع.

(٤) تعاهد بالبناء للجهول، من المعاهدة: وهى المعاقدة والمحالفـة. والعهاد، جمع عهد: وهو المطر بعد المطر؛ أو هو أول مطر الوسمىّ.

(٥) يشير بهذه العبارة الى قول الصمة بن عبد الله بن طفيل القشيرى:

وليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا

ديوان الحماسة (باب النسيب).

(٦) هذه اللام ساقطة من كلا الأصلين؛ وقد أثبتناها ليصح الإعراب بالكسر فى قوله: «وتفصيله»؛ كما هو مقتضى السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته.

السعد من تلك البقعة المباركه ، فيوافيه التوفيقُ بصحائف القبول تحملُها الملائكه ؛ أمتع الله ببركاتها التى آمتدّ رواقُها ، وأنار آلحالكَ إشراقُها ؛ ولا زالت يراوحها تسليمٌ عَطِرُ النفحه ، وتصالحها تحيّاتٌ جميلة الصفحه ؛ بمنّه وكرمه .

## وكتب رسالة صَيديّة عن[1] السلطان الملكِ الظاهرِ إلى الأمير عز الدين الحلّىّ[2] نائبِ السلطنة بالقلعة :

هذه المكاتَبة إلى المجلس لا توارت شُموسُ أنسِه ، ولا أُذبِلتْ ثمار غرسِه ولا برح غدُه فى السعد مُرْبيا على يومه ويومُه على أمسِه ؛ تتضمّن إعلامَه بأنا خرجنا إلى الصيد المبارك بجنود تملأ السهل والجبل ، وتستحيي الشمس منها فتستتر فى سحابها من كثرة الخجل ؛ تَسير على الأرض منها جبال ، وتأوِى الرمال منها الى أورَف ظلال ؛ وتوجّهنا إلى جهة الطّرّانة[3] وإذا بحشود[4] الوحوش قد توافدتْ ، وعلى مناهل المناهج قد تواردتْ ؛ والأجلُ يسوقُهم ، والبِيدُ تعقّهم[5] ، والمنايا تَعوقُهم ؛

---

(١) فى ( أ ) : «إلى» ؛ وهو غير مستقيم .

(٢) هو عز الدين أيدمر بن عبد الله الحلى الصالحى النجمىّ ؛ كان من أكابر الأمراء وأحظاهم عند الملوك ، ثم عند الملك الظاهر بيبرس ، وكان يستنيبه فى غيبته ؛ وكانت وفاته فى سنة سبع وستين وستمائة تاريخ العينى المسمى بعقد الجمان المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ والنجوم الزاهرة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ .

(٣) الطرّانة مشدّدة الراء : اسم لوادى هبيب ، وهى كورة من حوف رمسيس ، وتعرف ببرية شهاب ، وبرية الأسقط ، وميزان القلوب ، وبها قبر أبى معاذ الكبير ( مستدرك التاج ) .

(٤) الحشود : الجموع ، وهو جمع حشد بفتح الحاء وسكون الشين .

(٥) تعقهم : أى تنبو بهم ، وتتجافى عنهم .

ولم تزل أيدى الخيل تجمعهم فى صعيد، وتَطوى بهم سطورا فى طروس البِيد؛ حتى أحاطت بهم إحاطةَ الفَلَك بالنجوم الزواهر، والأجفانِ بالعيون النواظر؛ وجُرِّدَتْ السيوف فظنَّتْها غُدُرا، ورُميتْ النبال فحسِبَتْها شَرَرا؛ وعُزِلَتْ[1] الرماحُ بالسهام وحيَّتها السِّلام[2] بالسَّلام، وسَكنتْ نهارا من العَجاج فى ظلام؛ وضاقت عليها الأرض بما رَحُبتْ، وأدركتْ المنيّةُ منها ما طَلبتْ؛ وراسلتْها المنايا، وأهدت اليها رياحينَ تحايا؛ فمن صريعٍ وصديعٍ وطريحٍ وطريد، وجريحٍ ومقبِلٍ وشريد، وقائمٍ وحصيد؛ ولم تَسلم فى هذا اليوم غيرُ غزالة السماء فإنها استترت بالغيوم. وخافت أن يكون الهلال قد نُصِب فخّا لصيدها وصيد غيرها من النجوم؛ والموتُ[3] أَسَرَ كلَّ مَهاةٍ مَهابَه، ونال الحتف من كل طَلًا[4] طِلابَه؛ وفتكت الظُّبا بالظَّبى، وقالت السهام لأجيادها: مَرحبا؛ وثَنينا الأعنّة والشفار قد أُنهلتْ، والظهورُ قد أُثقلتْ؛ والكُنُسُ[5] خاوية على عروشها، والبِيدُ قد أُوحشتْ من وحوشها؛ وما نشتمل عليه من محبّة المجلس وإيثاره، ونَجده من الوحشة له مع دنوِّ داره؛ وسروره بما عساه لنا يتجدّد، وحبورُه بما يَرِد من جهتنا وهذا لا نشكّ فيه ولا نتردّد؛ أَوجب أن نخصّه به ونُتحِفَه، ونصِفَه له على جليّته إذ كنّا بالتخصيص به لن ننصفَه؛ وقد بعثْنا إليه منه قِسما، ولم نَنْس عند ذكرِنا أنفسَنا له آسما.

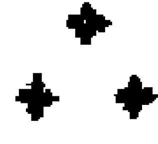
(١) لعله: «وعززت» بالبناء للجهول من التعزيز: وهو التقوية والإعانة. أو لعل المراد بقوله: «وعزلت الرماح» الخ: أن العمل فى الصيد كان بالنهام دون الرماح فشبه ترك العمل بها بالعزل.

(٢) السلام: الحجارة، واحده سلمة بكسر اللام.

(٣) فى كلا الأصلين: «وللوقت»؛ وهو تحريف.

(٤) الطلا بالفتح: من أولاد الوحش من حين يولد الى أن يشتد.

(٥) الكنس: جمع كناس بكسر الكاف، وهو مولج الوحش من الظباء والبقر تكتنّ فيه من الحر. وفى كلا الأصلين: «والكناس» بصيغة المفرد؛ وما أثبتناه هو مقتضى السياق.



## وكتب عن السلطان الملكِ المنصورِ سيفِ الدين قلاوون

إلى صاحب اليمن جوابَ كتابٍ عزّى فيه السلطانَ عن ولدِه الملكِ الصالح علاءِ الدّين علىّ(١) — وكان الكتابُ الذى ورد فى ورق أزرق، وسيَّره فى كيس اطلسَ أزرق، والعادةُ أن يكون فى كيسِ أطلسَ أصفر — :

أعزّ الله نُصرتَه وأحسن بتسليته الصبرَ على كل فادح، والأجرَ على كلّ مصاب قرَح القرائح، وجرح الجوارح؛ وأوفَد من تعازيه كلَّ مسكِّنٍ طاحت(٢) به من تلقاءِ صنعاء اليمن الطوائح، وكتب له جزاءَ المصبِّر عن جارٍ من دمعٍ طافحٍ، على جارٍ لسويداء القلب صالح(٣)؛ المملوكُ يخدُم خدمة لا يذُود المواصلةَ بها حادث، ولا يؤخّرها عن وقتها أمرٌ كارث، ولا تَنقُصها عن تحسينها(٤) وترتيبها بواعثُ الاختلاف ولا اختلافُ البواعث؛ ويُطلِع العِلمَ الكريمَ على ورود مثالٍ كريم لولا زرقةُ طرسه، وزرقةُ لَبْسه، لقال : "وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ"؛ يتضمّن ما كان حدث من رزءٍ تلافاه الله بتناسيه، وتوافَق هو والصبر فتولّى التسليمُ تبيينَ عاسيه(٥)

(١) كذا فى كلا الأصلين وتاريخ العينى المعروف بعقد الجمان؛ والذى فى ابن إياس (ج ١ ص ١١٧) (نور الدين) مكان (علاء الدين) فلعله لقب آخر له. وكانت وفاة الملك الصالح هذا فى سنة سبع وثمانين وستمائة بعد أن مرض بالدوسنطارية الكبدية؛ وكان أبوه قد عهد اليه فى الأمر من بعده، وخطب له معه على المنابر فلما مات جعل أبوه الولاية من بعده الى ابنه الملك الأشرف خليل انظر تاريخ العينى المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ.

(٢) طاحت به : أى أسرعت به، وهو مستعار من قولهم : « طاح به فرسه » اذا أسرع به كالسهم.

(٣) كذا فى صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٥٧. وفى كلا الأصلين : «صائح»؛ وهو تحريف.

(٤) فى كلا الأصلين : «تحيتها»؛ وهو تحريف لا يظهر به المعنى.

(٥) العاسى : الشديد الظلمة، يقال : عسا الليل : اذا اشتدت ظلمته؛ قال فى شرح القاموس : « والغين أعرف ».

وتمرينَ قاسيه؛ فشكرنا الله على ما أعطى وحمدناه على ما أخذ، وما قلنا : هذا جزعٌ قد انتبه إلا وقلنا : هـذا تثبّتٌ قد انتبذ(١) ، ولا توهمنا أن فلذة كبدٍ قد اختُطفتْ إلّا وشاهدنا حولنا من ذرّيتنا — والحمد لله — فلذ؛ وأحسنّا الاحتساب، ودخلت الملائكة علينا من كلّ باب، ووفّانا الله أجر الصابرين بغير حساب؛ ولنا — والشكرُ لله — صبرٌ جميلٌ لا نأسف معه على فائت ولا نأسى على مفقود، وإذا علم الله حُسنَ الاستنامة إلى قضائه والاستكانة إلى عطائه عوّض كلّ يوم ما يقـول المبشّر به : هـذا مولًى مولود؛ وليست الإبل بأغلظَ أكبادا ممن له قلبٌ لا يبالى بالصدمات كثرتْ أو قلّتْ، ولا بالتباريح حَقُـرتْ أو جلّتْ، ولا بالأزمات إن هي توالت أو تولّتْ، ولا بالجفون إن ألقت ما فيها من الدّموع والهجوع وتخلّتْ؛ ويخاف من الدهر من لم يَحلُب أشطُرَه، ويأسف على الفائت من لا تتنابه الخطوب الخطِرَه؛ على أن الفادح بموت الولد الملك الصالح — رضى الله عنـه — وإن كان مُنكيا(٢) والنائحَ بشجوه وإن كان مُبكيا، والنائجَ(٣) بذلك الأسف وإن كان لنار الأسى مُذكيا؛ فإن وراء ذلك من تثبيت الله ما ينسفه نسفا، ومن إلهـامه الصبرَ ما يجدّد لتمزيق القلوب أحسن ما به رُفا؛ وبكتاب الله وبسنة نبيّه صلّى الله عليه وسلم عندنا حُسنُ اقتداء نَضرب به عن كلّ رثاء صفحا، وما كنّا مع الله — والمنّة لله — نُعطى لمن يؤنّب ويؤبّن(٤) أذنا ولا نُعيرها لمن يَلحَى؛ إذ الولد الذاهب مَرّ فى رضوان الله تعالى سالكا

(١) انتبذ : أى ترك الحزن والجزع؛ من النبذ وهو الطرح والرمى .

(٢) كذا فى كلا الأصلين؛ ولم نجد فيا لدينا من كتب اللغة أنه يقال : «أنكاه» من «نكأ» المهموز ولا «أنكاه» من «نكى» المعتل اللام؛ والظاهر أن الكاتب أراد المجانسـة بين قوله : «منكيا» وقوله بعده : «مبكيا» . ونكأ الجرح بالهمز : أى قرفه وقشره . وهو هنا على الاستعارة .

(٣) النائج بالجيم : الصائح؛ يقال : نأج ينأج : إذا صاح .

(٤) أبنه : أثنى عليه بعد موته .

طريقا لا عِوَجَ فيها ولا أَمْتا(1)، وآنتقل سارّا بارّا صالحا وما هكذا كلُّ الموتى نعيا لا نعتا ؛ وان كان نفعنا(2) فى الدنيا فها نحن بالصدقات والترحّم عليه ننفعُه، وان كان الولدُ عملَ أبيه — وقد رَفَع الله روحَ ولدنا فى أعلى علّيّين تحقّق أنه العملُ الصالح «والعملُ الصّالحُ يرفعُه» ؛ وفيما نحن بصدده من آشتغال بالحروب، [ما](3) يُهوّن ما يَهول من الكروب ؛ وفيما نحن عاكفون عليه من مكافحات الأعداء [ما](3) بين المرء و بين قلبه يَحُول، ومُلهٍ عن تخيّل أسف فى الخاطر يَجُول

اذا آعتاد الفتى خَوضَ المنايا * فأهْوَن ما يمرّ به الوُحولُ(4)

ولنا بحمد الله ذرّيّةٌ درّيّه(5)، وعقودٌ والشكر لله كلُّها دُرّيّه

اذا سيّدٌ منهم خلا قام سيّدٌ * قَؤولٌ لما قال الكرام فعولُ(6)

---

(1) الأمت : ما ارتفع من الأرض ؛ وقوله : « لا عوج فيها ولا أمتا » أى لا انخفاض فيها ولا ارتفاع (اللسان) .

(2) كذا فى صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٥٨ . والذى فى كلا الأصلين : « نفعه » بالهاء .

(3) هاتان الكلمتان لم تردا فى كلا الأصلين ؛ وقد أثبتناهما عن صبح الأعشى اذ لايستقيم الكلام بدونهما .

(4) الوحول بالحاء المهملة ، جمع وحل بسكون الحاء : كفلس وفلوس ؛ وأما بالتحريك فجمعه أوحال كما فى المصباح ؛ والوحل بالتسكين لغة رديئة كما ذكره الجوهرى والصاغانى ، واقتصرا على ذكر الوحل بالتحريك (التاج) وفى (ج) "الوجول" بالجيم ، وهو تصحيف ؛ والبيت لأبى الطيّب المتنبي .

(5) درية بفتح الدال وتشديد الراء : نسبة الى الدر ، وهو اللبن . والمراد بهذه الكلمة ما يلزمها من معنى الانتساب ومشابهة الذرية لابيها وأمها فى الأخلاق والصفات .

(6) البيت للسموءل بن عادياء من قصيدته المشهورة ؛ وفى بيت السموءل : «منا» فغيرها الكاتب بقوله : « منهم » تبعا لسياق الكلام .

ما منهم إلا من نَظَر سَعدَه ومَن سـعدُه يُنتظَر، ومن يحسن أن يكون المبتـدا وأن تسدَّ حالُه بكَفالتِه وكِفايتِه مَسَدَّ الخبر[(١)] « والشمسُ طالعـةٌ إن غُيِّبَ القمر » لا سيّما مَن الدينُ به إذ هو صَلاحُه أعرَف ، ومَن إذا قيـل لبنـاء ملك هذا عليـه قد وهَى قيـل : هذا خيرٌ منه مِن أعلى بناءِ سعيدٍ أشرَف[(٢)] ؛ وعلى كلِّ حالٍ لا عُدِم إحسانُ المولى الذى يَتنوّع فى بِرِّه ، ويعاجِل قضـاءَ الحقوق فتساعِف مَرسومَه فى توصيله طاعةُ بحرِه وبَرِّه ؛ وله الشـكرُ على مساهمة المولى فى الفرح والترح ، ومشاركتِه فى الهناء إذا سَـنَح ، وفى الدمع اذا سَـفَح ؛ وما مِثلُ مكارم المولى من يَعزُب مِثـلُ ذلك عن علمِها ، ولا يُعـزَى الى غيرِ حُكمها وحلمِها ؛ وهو — أعزه الله — ذو التجارب التى مَخَضتْ له من هذه وهذه الزُّبده، وعَرَضتْ عليه منهما الهَضْبةَ والوَهده؛ والرغبةُ الى الله تعالى فى أن يجعل تلك المصيبة للرزايا خاتمـه وكما لم يجعلها للظهور قاصمـة فلا يجعلها لعرا الشـكر فاصمه[(٣)] ، وان يجعلها بعـد حَمل هذا الهمِّ وفِصالِه على عليِّه فاطمه؛ وأن يحبِّب الينا كلَّ ما يلهى عن الأموال والأولاد من غزوٍ وجهاد ، وأن يجعلنا ليس يُجَـدّ لدينا على مفقود تأدبا مـع الله غيرُ السيوف فإنها تُعرَف بالحِداد، وألّا تُقصَف رماحُنا إلا فى فَودٍ أو فى فؤاد، ولا تُحَوَّل

(١) يشير بهذه العبارة الى ما ذكره النحاة من وجوب حذف الخبر وسدّ الحال مسدّه ، وذلك اذا كان المبتدا مصـدرا بعده حال لا تصلح ان تكون خبرا كقولك : ضربى العبـد مسيئا ؛ انظر تفصـيل ذلك فى كتب القواعد والمعنى أن معاينة صفاته الكريمة تغنى عن الإخبار بها .

(٢) أشرف على الشيء : أى أطل عليه . وقوله : «من أعلى» متعلق به ، وفى هذا اللفظ تورية عن الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، وكان أبوه قد عهد اليه بالملك بعد وفاة أخيه الملك الصالح على المتقـدّم ذكره ؛ وجلس على سرير الملك يوم الأحد سادس ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة بعد وفاة أبيه قلاوون ؛ والملك الأشرف هو الثامن من ملوك الترك على الديار المصرية (تاريخ ابن إياس) ج ١ ص ١١٩ ، ١٢١ .

(٣) فى (أ) : «فاحمه» ؛ وهو تحريف .

سروجُ خيلنا مِن ظهر جوادٍ فى السّرايا إلّا إلى ظهر جواد ، وألا تُشَقّ لدينا إلا أكباد[1] أكّاد[2] ، ولا تُجَزّ غيرُ شعور ملوك التتار نُتَوَّج[3] بها رءوسَ الرماح ويُصعَد بها على قِمَمِ الصِّعاد[4] ، والله يشكر للمولى سعىَ مَراثيه التى لولا لطف الله بما صبّرنا[5] به لأقامت الجنائز ، وآستخفّت[6] النحائز ، ولَهَوَتْ بالنفوس فى آستعمال الجائز من الأسف وغيرِ الجائز ، ولا شغل الله لبَّ المولى [بفادحه] ، ولا خاطِرَه بسانحة من الحزن ولا بارحه ولا أسمَعه بغيرِ المَسرّات من هواتف الإبهاج صادحه ، بمنّه وكرمه .

* * *

ومن إنشائه رحمه الله تقليدُ السلطان الملكِ الأشرفِ صلاح الدين خليل بولاية عهد السلطنة من أبيه السلطان الملكِ المنصور — سقى الله عهدهما صوبَ الرحمة — وهو :

الحمد لله الذى لم يزل له السمعُ[7] والطاعةُ فيما أمر ، والرضا والشكرُ فيما هَدَم من الأعمار وما عَمَر ، والتفويضُ فى التعويض[8] إن غابت الشمس وبقى القمر

(١) أراد بالأكباد : الجاحدين ؛ ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من كتب اللغة ، كما أننا لم نجد فى كتب القواعد ما يسوّغه ؛ فإن صيغة أفعال مطردة فى جمع الأسماء الثلاثية دون الصفات ، وأما غير ذلك فسماعى . ولعل الكاتب أراد المجانسة بين «أكباد» و «أكّاد» .

(٢) فى كلا الأصلين : «تجر» بالراء المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٣) فى إحدى النسختين : (تنوح) وفى الأخرى : «تنوج» وهو تصحيف فى كلتيهما .

(٤) الصعاد : جمع صعدة ، وهى القناة التى تنبت مستوية فلا تحتاج الى تثقيف .

(٥) كذا فى (ج) وصبح الأعشى ؛ والذى فى (أ) "بها ميزنا" ؛ وهو تحريف لا يتضح به المعنى .

(٦) فى كلتا النسختين : «واستحفت» ؛ وهو تصحيف . والنحائز : جمع نحيزة وهى الطبيعة ؛ يريد هنا : طبيعة الصبر والاحتمال .

(٧) كذا فى (ج) وصبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٦ ؛ والذى فى (أ) : «الحمد» مكان «السمع» .

(٨) فى كلتا النسختين : «فى التفويض» بالفاء ؛ وهو تحريف .

نحمـده على أن جعل سـلطاننا ثابتَ الاركان ، نابتَ الأغصان ، كلّ روضـة من رياضـه ذات أفنان ؛ لا تُزعزعه ريحٌ عقيم(١) ، ولا يُخـرجه رزءٌ عظيم عن الرضا والتسليم ، ولا يُعتبَط(٢) من جملته كريم إلا ويُغتبَط من أُسرته بكريم ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزيد قائلها لله تفويضا ، وتُجـزِل له تعويضا وتُحسِـن له على(٣) الصبر الجميـل فى كل خطبٍ جليلٍ تحريضا ؛ ونشهد أن محمدا عبدُه الذى أنزل فى التسلية به : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ » والنبيُّ الذى أوضح الله به المناهج وبيّن السُّبُل ؛ صلى الله عليـه وعلى آله ما تجاوبت المحابرُ والمنابرُ فى(٤) البُكَرِ والأُصُل ؛ وما بُدِّدتْ عقود ونُظِّمتْ ، ونُسِخَتْ آياتٌ وأُحكمتْ ونُقِضتْ أمور وأُبرِمتْ ، وما عَزَمتْ(٥) آراءٌ فتوكّلتْ وتوكلت فعزَمتَ ؛ ورضى الله عن أصحابه الذين منهم من كان للخليفة نعم الخليفة ، ومنهم من لم يُدرِك أحدٌ فى تسويد النفس الحَصيفة(٦) ولا فى تبييض الصحيفة مُدَّه ولا نَصيفه(٧) ، ومنهم من يسرّه الله

(١) الريح العقيم : هى غير اللاقح ، أى لا تأتى بمطر انمـا هى ريح الإهلاك ، كما قاله أبو اسحاق الزجاج . وقيل : لا تلقح الشجر ولا تنشئ سحابا ، عادلوا بها ضدها وهو قولهم : ريح لاقح : أى أنها تلقح الشجر وتنشئ السحاب .

(٢) اعتبط الموت فلانا : أخذه شابا صحيحا من غير علة ، كأعبطه .

(٣) فى احدى النسختين : «عن» ؛ وفى الأخرى : «عز» ؛ وهو تحريف فى كلتيهما .

(٤) فى كلتا النسختين : «والبكر» بالواو مكان «فى» ؛ وهو تحريف .

(٥) يقال : عزم الرأى بالبناء للفاعل : أى عزم عليه ، وهو من قبيل القلب للمبالغة ، كما يقولون : هلك الرجل ، وإنمـا هو أهلك بالبناء للجهول ؛ ويدل على أن الفعل هنا مبنىّ للفاعل قوله : «فتوكلت» بالبناء للفاعل أيضا وفى قوله «توكلت» إسناد مجازىّ وهو المسمى بالمجاز العقلىّ .

(٦) يقال : حصف الرجل وزان « كرم » حصافة فهو حصيف : اذا كان جيد الرأى محكم العقل .

(٧) أشار بهذه العبارة الى قوله صلى الله عليه وسلم : "لا تسبوا أصحابى فإن أحدكم لو أنفق ما فى الأرض جميعا ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه" ؛ والنصيف كأمير : نصف الشىء ، كالعشير والثمين فى العشر والثمن . قال فى التاج : «ومنه الحديث» وأورد الحديث السابق .

لتجهيز جيش العُسْرة(١) فعرف الله ورسولُه معروفَه، ومنهم من عمل صالحا أرضى ربه فأصلح فى ذريته الشريفه؛ وبعد، فإن من الطاف الله بعباده، واكتناف عواطفه ببلاده(٢)، أن جعلنا كلّما وَهَى للملك ركنٌ شديدٌ شيّدنا ركنا عوضَه، وكلّما اعترضت للقادير جملةٌ بدّلنا آيةً مكانَ آيةٍ وتناسينا تجلُّدا تلك الجملةَ المعترضه؛ فلم نُحوِج اليومَ لأمسه وإن كان حميدا، ولا الغارسَ لغرسه وإن كان ثمره يانعا وظلّه مديدا؛ فأطلعْنا فى أفق السلطنة كوكبَ سعد(٣) كان لحُسن الاستخلاف مُعَدّا، ومَن لقبيل المسلمين خيرٌ ثوابا وخيرٌ مَرَدّا، ومَن يبشّر الله به الأولياءَ المتقين ويُنذر به من الأعداء قوما لُدّا، ومن لم يَبقَ [إلا به](٤) أنسُنا بعد ذهاب الذين نحبهم [وبقِى](٥) كالسيف

(١) جيش العسرة: هو الجيش الذى سار به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك. قال ابن عرفة: سمى بذلك لأنهم ندبوا اليها فى حمارّة القيظ فعسر ذلك عليهم وغلظ، وكان إبان إيناع الثمرة الخ (تاج العروس) وكان عدد ذلك الجيش ثلاثين ألفا؛ وكان ممن جهز هذا الجيش عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فانه أنفق عشرة آلاف دينار وأعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وخمسين فرسا؛ وجاء أبو بكر رضى الله تعالى عنه بكل ماله، وغيرهما من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم؛ وكانت هذه الغزوة آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجد بتبوك جيش الروم الذى أراد قتاله. انظر تفصيل ذلك فى كتب السيرة؛ وتبوك: موضع بين وادى القرى والشام.

(٢) كذا فى كلا الأصلين؛ ولم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة تعدية «اكتنف» بالباء؛ والذى وقفنا عليه انه يقال «اكتنفه» بلا واسطة حرف؛ ولعله ضمنه معنى الإحاطة؛ فسوّغ له هذا التضمين تعديته بهذا الحرف؛ أو لعله: «لبلاده» باللام.

(٣) إلى هنا انتهى ما وجد من النسخة المشار اليها ب (ج).

(٤) هذه العبارة ساقطة من الأصل. وقد أثبتناها عن صبح الأعشى (ج ١٠ ص ١٦٧) إذ لا يستقيم الكلام بدونها.

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل وصبح الأعشى؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها؛ فإنه يشير بها الى قول عمرو بن معديكرب الزبيدىّ:

ذهب الذين نحبهم * وبقيت مثل السيف فردا

كما فى ديوان الحماسة؛ وفاعل «بقى» ضمير يعود على «من».

فَرْدا، والذى ما أَمضَى حَدَّه [ فى ](١) ضَريبـــة إلا قَدَ البِيْضَ(٢) والأبدانَ قَدّا، ولا جَهَز(٣) رايةَ كَتيبةٍ إلا

أَغْنَى(٤) غَنــاءَ الذاهِبِيــن وعُدَّ(٥) للأعداء عَدّا

ولا بعثَه جزَعٌ فقال : « كم من أخٍ لى صالحٍ(٦) » إلا لقِيَــه وَرَعٌ فقال : « وخُلِقتُ يوم خُلِقتُ(٦) جَلْدا » ؛ وهو الذي بقواعد السلطنة الأَدْرَى وقوانينها الأعرَف، وعلى الأولياء الأعطَفُ وبالرعايا الأرأف، والذى ما قيل لِبناءِ مُلْكٍ : هذا عليُّه قد وَهَى إلا وقيل : هذا بناءٌ مِثلُه منه أسمى مُلْكًا وأشرَف، والذى ما برِح النصرُ يُتنسّم من مَهابِّ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل وصبح الاعشى ؛ والسياق يقتضى إثباتها . والضريبة : ما ضربته بالسيف ، وإنما دخلته الناء وان كان بمعنى مفعول لأنه صار فى عداد الأسماء .

(٢) البيض بفتح الباء : جمع بيضة ، وهى من الحديد ما يلبس على الرأس فى الحرب ، وقيل لهــا البيضة تشبيها لهــا ببيضة النعام . قاله أبو عبيدة فى كتاب الدروع ، وقال : البيضة اسم جامع لمــا فيها من الأسماء والصفات التى من غير لفظها ، ولها قبائل وصفائح كقبائل الرأس تجمع أطراف بعضها الى بعض بمسامير يشد بها طرفى كل لبيلتين ؛ قال : وربما لم تكن من قبائل وكانت مصمتة مسبوكة من صفيحة واحدة فيقال لها : صماء .

(٣) فى الأصل : «جهر» بالراء ؛ وهو تصحيف .

(٤) البيت لعمرو بن معديكرب من القصيدة التى سبقت الإشارة اليها فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ١١٣ من هــذا السفر وروايته فى ديوان الحماسة : «أغنى» بضم الهمزة وكسر النون مسندا الى ضمير المتكلم ؛ وإنمــا أسند هنا الى ضمير الغائب تبعا لسياق الكلام .

(٥) روايته فى الحماسة : « أعد » بضم الهمزة والدال المشددة وفتح العين مسندا الى ضمير المتكلم وأسنده الكاتب هنا الى ضمير الغائب لمــا قدمنا فى الحاشية التى قبل هذه . ويريد بقوله : «وعد للأعداء» الخ أن الأعداء يقولون فيه : خذوا فلانا فإنه يعدّ بألف انظر شرح التبريزى على ديوان الحماســة (ج ١ ص ٩٣) طبع بولاق عند شرحه لهذا البيت .

(٦) هذان الشطران من القصيدة التى سبقت الاشارة اليها فى الحاشيتين رقم ٤ ، ٥ من هذه الصفحة لعمرو بن معد يكرب ، أولهما صدر بيت ، والثانى عجز بيت آخر ؛ والبيتان هما :

كم مــن أخٍ لى صالحٍ * بوّأته بيـــدىّ لحـــدا

ألبستـــه أثـــوابــه * وخلقت يوم خلقت جلدا

تأميله والفلاح ، ويتبسّم ثغره فتتوسّم الثغور من تبسّمه النجاح ، وينقسم نُورُه على البسيطة فلا مصرَ من الأمصار إلا وهو يَتشرّبُ الى ملاحظة جبينِ عهده الوضّاح ويتّفق آشتقاقُ النعوت فيقول التسلّي للتملّي سواءٌ الصالح والصلاح ؛ والذي مابَرِح لِشعار السلطنة الى توقّله (١) وتنقّله أتمّ حنين ، وكأنّما كوشفت الإمامةُ العبّاسيّةُ بشرف مسمّاه فيما تقدّم مِن زمن مَن سَلَف مِن حِين (٢) ، فسمّتْ وسَمّتْ بآسمه أكابرَ الملوك [وأخايرَ السلاطين] (٣) فخوطب كلٌّ منهم مجازا لا كهذه الحقيقة بـ«خليل» أميرالمؤمنين ؛ والذى كم جلا بهاءُ جبينـه مِن بهيم ، وكم غدا المُلكُ بحُسن رأيه (٤) ويمنِ آرائه يَهيم وكم أبرأ (٥) مَورِدُه العـذبُ هيمَ عِطاشٍ ولا نُكرَ الخليلَ اذا قيـل عنـه : إنه إبراهيم ؛ ومن تَشخص الأبصارُ لكماله يوم ركوبه حَسيـره ، وتُلقِى البنانُ سلاحَها ذَهْلا وهى لا تدرى لكثرة الإيمـاء إلى جلاله إذا يبدو مَسيـرَه ؛ والذى ألهم الله الأئمّةَ بجوده ووجودِه صبرا جميلا ، وآتاهم من نَفاسة كرمه وحراسـةِ سيفه وقلمـه تأمينا وتأميلا ، وعَظّم فى القلوب والعيون ، بمـا مِن بِرّه سيكون ، فسمّته الأُبوّة الشريفـة ولدا (٦) وسمّـاه الله : خليلا ؛ ولمّـا تحتّم من تفويض أمرِ المُلكِ اليه ما كان الى

(١) توقل فلان فى مصاعد الشرف : اذا صعد فيها ؛ وهو مستعار من التوقل فى الجبل : أى التصعيد فيه .

(٢) عبارة صبح الأعشى : « من زمن سلف ومن حين » ؛ والمعنى يستقيم بها أيضا .

(٣) لم ترد هذه العبارة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ؛ وأخاير : جمع أخير ، وهذه لغة بنى عامر ؛ يقولون : هذا أخير من هذا وأشر منه بالألف فيهما ؛ وسائر العرب تسقطها منهما فتقول : هذا خير من هذا وشر منه (المصباح) .

(٤) الرأى هنا بمعنى المرآى والمنظر ؛ فلا تكرار بينه وبين قوله بعد : «آرائه» ، والذى فى صبح الأعشى : « روائه » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا ؛ والرواء : حسن المنظر .

(٥) إبراهيم : أى إبراء هيم ؛ والإبراء من البرء : وهو الشفاء . والهيم بكسر الهاء : العطاش ؛ ولا يخفى ما فى قوله : « إبراهيم » من التورية .

(٦) كذا فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٨ ؛ والذى فى الأصل : « أبا » ؛ وهو غير مستقيم .

وقته المعلوم قد تأخّر، وتُحيِّن[1] حِينُه فكَمَل[2] بزيادة كزيادة الهلال حين بادر تمامه فأبدر، اقتضى حُسنُ المناسبة لنصائح الجمهور، والمُراقبـة لمصالح الأمور، والمُصاقبـة[3] لمَناجح البلاد والثغور، والمقاربة[4] من فواتح كل أمرٍ ميسور؛ أن نفوّض اليـه ولاية العهد الشريف بالسـلطنة الشريفة المعظّمه، المكرّمة المفخّمة المنظّمه؛ وأن تُبسَـط يدُه المنيفـةُ لمصالحتهـا بالعهود، وتحكيمها فى العساكر والجنود، وفى البحور والثغور وفى التّهائم والنجود؛ وأن يُعقَدَ بسيفها وقلمها كلُّ قطع ووصْل، وكلُّ فرعٍ وأصل وكلُّ نصر ونصْـل؛ وكلُّ ما يَحمى سرحا، ويَهمى مَنحا، وفى المُثيرات فى الإعداء[5] على الأعداء نَقْعا وفى المُغيرات صـبحا؛ وفى المنع والإطلاق، وفى الإرفاد والإرفاق[6] وفى الخميس إذا ساق[7]، وفى الخُمُس[8] اذا انساق، وفى السيوف "إذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ: مَنْ رَاقٍ"، وفى الرماح إذا التفت الساقُ منهـا بالساق؛ وفى المعاهَدات والهُـدَن

---

(١) كذا فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٨؛ والتحين: الانتظار والطلب؛ والذى فى الأصل: «وتحرر»؛ وهو تحريف إذلم نجد هذه الصيغة فيا راجعناه من كتب اللغة بالمعنى المناسب لسياق ما هنا .

(٢) عبارة صبح الأعشى: «فكمل زيادة» بدون باء .

(٣) المصاقبة: المقاربة والمواجهة .

(٤) فى الأصل: «والمقارنة» بالنون؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا بقرينة ذكر «من» بعده .

(٥) الإعداء بكسر الهمز: مصدر أعداه اذا حمله على العدو بتخفيف الواو، وهو الجرى .

(٦) الإرفاد بكسر الهمزة: الإعطاء، والاسم الرفد بكسر الراء . والإرفاق بالكسر أيضا: النفع، يقال: أرفق فلان فلانا ورفقه: أى نفعه .

(٧) اذا ساق: أى اذا ساقه، فالمفعول محذوف، وهو ضمير يعود الى «الخميس» .

(٨) أراد بالخمس: خمس ما يغنمه الجيش فى الحرب، وهو المذكور فى قوله تعالى فى سورة الأنفال: (واعلموا أنمـا غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول) .

وفى الفـداء بمـا عُرِض من عَرَض وبالبَدَن للبَدَن[1] ، وفيما ظهـر من أمور المُلك وما بَطن ، وفى جميع ما تستدعيه بواعثُه فى السرّ والعلَن ، وتسترعيه[2] نوافثُه من كَبْتٍ وكَتْبٍ متفرِّقين أو فى قَرَن ؛ عهدا مباركةً عوذُه[3] وتمائمُه ، وفواتحُه وخواتمُه ، ومناسمُه[4] ومواسمُه ، وشروطُه ولوازمُه

[على عاتق المَلْك الأغرّ نِجادُه * وفى يد جبّار السموات قائمُه][5]

لارادّ لحكمه ، ولا ناقضَ لبرمه[6] ، ولا داحضَ لمـا أثبتَته الأقلام من مكنون علمه .

ويزيده مَرُّ الليالى جِـــدّةً[7] * وتقادُمُ الأيام حُسنَ شبابِ

---

(١) « وبالبدن للبدن » أى أنه متحكم فى الفداء بالأسير لأسير مثله ، كما كانت تلك عادتهم فى تبادل الأسرى ؛ والذى فى الأصل وصبح الأعشى : «بالبدن» بالباء مكان اللام ؛ وهو غير ظاهر ، اذ ليس فيما سبق ما يصح تعليقه به .

(٢) تسترعيه : تستحفظه ، والمراد بالنوافث هنا : الحوافظ ، والنوافث فى الأصل : الرواقى جمع نافثة من نفث الراقى فى العقدة نفثا وهو دون التفل . والكبت : مصدر كبت عدوّه يكبته : أى ردّه بغيظه وأذله ؛ والظاهر ان المراد بالكبت والكتب فى هذه العبارة : الحرب والكتابة ، إذ هما من أسباب حفظ الملك .

(٣) العوذ بضم العين وفتح الواو ، جمع عوذة بضم العين : وهى الرقية يرقى بها الانسان من فزع أو جنون لأنه يعاذ بها وهى التى تكتب وتعلق على الإنسان من العين ونحوها ، وأصلها : الرقية بمـا فيه «أعوذ» ثم عمت .

(٤) المناسم جمع منسم بكسر السين ، وهو هنا بمعنى الأثر والعلامة ، يريد أن هذا العهد مباركة آثاره .

(٥) لم يرد هذا البيت فى الأصل ؛ وقد أثبتناه عن صبح الأعشى ومسالك الأبصار قسم ٢ ج ٨ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ ؛ وهو من قصيدة لأبى الطيب المتنبى يمدح بها سيف الدولة عند منصرفه من حصن برذويه .

(٦) برم الأمر وإبرامه : إحكامه .

(٧) البيت لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق ويستعطفه على قومه ، ورواية البيت : « ويزيدها » بضمير المؤنث ، مرادا به القصيدة .

وتَلزَم السـنون والأحقاب ، إسـتيداعَه حتى الذَّرارىّ(١) والأعقاب ؛ فلا سـلطانَ ذا قَدْرٍ وقدره ، وذا أمرٍ و إمْرَه ؛ ولا نائبَ فى مملكة قربَتْ أو بعدَتْ ، ولا مقدّم جيوش أتهمَتْ أو أنجدتْ ؛ ولا راعىَ ولا رعيّه ، ولا ذا حكمٍ فى الأمور الشرعيّه ؛ ولا قلمَ إنشاءٍ ولا قلمَ حساب ، ولا ذوى أنسـابٍ ولا ذوى أسـباب ؛ إلا وكلٌّ داخلٌ(٢) فى قبـول عَقْد هذا العهـد الميمون ، ومتمسّك بمحكَم آيات كتابه المكنون والتسليمِ لنصّه الذى شهدتْه من الملائكةِ الكرامُ الكاتبون ؛ وأمست بَيعتُه بالرضوان محفوفه ، والأعداءُ يدْعُونهـا تضرّعا وخِيفه ، فليشكروا الصنعَ الذى بعـد أن كانت الخلفاء تُسلِطن الملوكَ قد صار سـلطانُهم يقيم لهم من وُلاة العهد خليفةً بعد خليفه ؛ وأمّا الوصـايا فأنت يا ولَدنا المـلِكَ الأشرفَ — أعزّك الله — بهـا الدَّرِب ولِسماعِ شدوِها وحدوِها الطَّرِب ، الذى لِلَّغوِلا يضطرب ؛ فعليـك بتقوى الله فإنها مِلاكُ سـدادِك ، وهَلاكُ أضدادِك ؛ وبها يُراش جناحُ نجاحك ، ويَحسُن آقتـداءُ اقتـداحِك ؛ فاجعلها دفينَ جوانح تأمّلك وَوعيِك ، ونُصْبَ عَيْنَىْ أمرِك ونهيِـك ؛ والشرعِ الشريفِ فهو قانون الحقّ المتّبَع ، وناموسُ(٣) الأمر المستَمَع ؛ وعليـه مَدارُ إيعـاءِ كلِّ إيعاز(٤) ، وبه يَتمسّك من أشار وآمتاز(٥) ، وهو جَنّة والباطلُ نار ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ

---

(١) كذا فى الأصـل . والذى فى صبح الاعشى : « للذرارى » باللام مكان « حتى » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) كذا فى صبـح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٩ ؛ وفى الأصـل : « واحد » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٣) الناموس : الوحى .

(٤) فى الأصل : « إيعار » بالراء ؛ وهو تصحيف . والإيعاز مصدر أوعز اليـه فى الشىء : أى تقدّم اليه فيه وأشار به .

(٥) فى الأصل : « امتار وامتار » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين ؛ والتصويب عن صبح الأعشى .

عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ ؛ فلا تخرج فى كلّ حال عن لوازمه وشروطه ولا تَنْكُب عن معلَّقه ومَنُوطه ؛ والعدل ، فهو مُثمِّر غروس الأموال ، ومُعمر بيوت الرجاء والرجال ، و به تزكو الأعمار والأعمال ؛ فاجعله جَامعَ أطرافِ مَراسِمك ، وأَفضلَ أيّام مواسِمك ؛ وسِمْ به فعلَك ، وسَمِّ به فرضَك ونفلَك ؛ ولا تُفرِد به فلانا دون فلان ولا مكانا دون مكان ، وٱقرِنه(١) بالفضل ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ﴾ ؛ وأَحسِن التخويل ، وأَجمِل(٢) التنويل ، وكثِّرلمن حولك التموينَ والتمويل ؛ وضاعِف ٱلخير فى كلِّ مُضافٍ لمَقامِك ، ومستضيفٍ(٣) بإنعامك ، حتى لا تَعـدَم فى كلّ مكان وكلّ زمان من النعماء ضيافةَ الخليل(٤) ؛ والثغور ، فهى للمالك مباسمُها فاجعل نواجذَها تفتَرّ عن أحسن ثنايا الصَّون ، ومَراشفَها شَنِبةً(٥) الشِّفاهِ(٦) بحُسن العَون ؛ ومنْها بما يحمى السَّرحَ منها ، وأَعِنْها بما يدفع المَكارهَ عنها ؛ فإنها للنصر مَقاعد ، وبها حفظ البلاد من كلِّ مارٍّ من الأعداء مارد ؛ وأمراء الجيوش ، فهم السُّور الواقى بين يدَىْ كلِّ

(١) كذا ضبط هذا الفعل فى اللسان بكسر الراء وضمها . وفى الأصل : «واقرضه» بالضاد ؛ وهو تحريف .

(٢) يقال : أجمل الصنيعة ، أى حسنها وكثرها .

(٣) المستضيف : المستغيث .

(٤) يشير بهذه العبارة الى قصة سيدنا ابراهيم الخليل — صلوات الله عليه — مع ضيوفه من الملائكة ؛ وقد ذكرها الله تعالى فى كتابه الكريم فى غير موضع ، فقال تعالى فى سورة الذاريات : (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) الآيات .

(٥) الشنبة بفتح فكسر من الشنب بفتحتين : وهو برد الأسنان ، كما قاله التبريزى فى شرح ديوان أبى تمام المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٠ أدب ش) عند قول أبى تمام فى قصيدته فى فتح عمورية :

كم نيل تحت سناها من سنا قمر * وتحت عارضها من عارض شنب

والكلام هنا على الاستعارة والتمثيل .

(٦) فى الأصل : «السقاه» بالسين والقاف ؛ وهو تصحيف .

سور ، وما منهم إلّا بطلٌ بالنصر مشهورٌ كما سيفه مشهور ؛ وهم ذخائر الملوك وجواهرُ السلوك ، وأخايرُ الأكابر الذين خَلَصوا من الشكوك ؛ وما منهم إلا من له حُرُماتٌ[1] سلفتْ ، وحقوقٌ عُرِفتْ ، ومَواتٌ[2] على استلزام الرعاية للعهود وُقِفتْ ؛ فكن لجنودِهم[3] متحببا ، ولمَراتِبهم مُخصِبا ، ولمصالِحهم مرتِّبا ، ولآرائهم مستصوِبا وللاعتضادِ بهم مستصحِبا ، وفى حمدهم مُطنِبا ، وفى شكرهم مُسهِبا ؛ والأولياء المنصوريِّين الذين هم كالأولاد ، ولهم سوابقُ[4] أمَتُّ من سوابق الإيجاد ؛ وهم مَن علمتَ استكانةً[5] من[6] قربِنا ، ومكانةً من قلبِنا ، وهم المساهِمون فيما ناب ، وما برحوا للدولة الظفرَ والناب ؛ فأسهِم لكلٍّ منهم من احترامك نصيبا ، وأَدِم[7] لهم ارتياحَك ، وأَلِنْ[7] جماحَك وقوِّ بهم سلاحَك ، تَجِدْ منهم ضُروبا ، وتَرَ كُلًّا منهم فى أعدائك ضَروبا ؛ وكما أنّا نوصيك بجيوش الإسلام ، كذلك نوصيك بالجيش الذى له المنشآتُ فى البحر كالأعلام ؛ فهو جيش الأمواه والأمواج ، المضافُ الى الأفواج من جيش الفِجاج ؛ وهو الجيش السُّليمانىُّ فى إسراع السَّير ، وما سُمِّيتْ شَوانيه[8] غِربانا إلا ليُجمَع بها لنا

(١) فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٠ : «خدمات» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٢) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٢٣ من هذا السفر .

(٣) فى الأصل : «لجنوهم» ؛ وهو تحريف .

(٤) المراد بالإيجاد : الولادة .

(٥) يريد بالاستكانة هنا : السكون والاطمئنان ؛ وأصل الفعل «استكن» على افتعل من السكون ، فزيدت الألف بعد الكاف فقيل : «استكان» وفى المصباح مادة سكن نقلا عن ابن القطاع : أن ذلك كثير فى كلام العرب ؛ وقال ابن سيده : وأكثر ما جاء إشباع حركة العين فى الشعر ، كقوله : «ينباع من ذفرى غضوب» الخ أى ينبع ، مدت فتحة الباء بألف كما نقل عنه فى اللسان مادة «سكن» .

(٦) لعله «إلى» كما تقتضيه تعدية «استكان» .

(٧) عبارة الاصل : «وألن لهم ارتياحك وأدم جماحك» ؛ وسياق الكلام يقتضى العكس كما أثبتنا .

(٨) الشوانى جمع شونة بفتح الشين : وهى مركب يعدّ للجهاد فى البحر ، لغة مصرية .

ما ٱجتمع لسليمان صلى الله عليه وسلم من تسخير الريح والطير؛ وهي من ٱلديار المصرية (٦) على ثَبَج البحر الأَسوار، فإن قَذَفَتْ قَذَفَتِ الرعبَ فى قلوب الأعداء و إن أَقلعتْ(١) قَلعتْ منهم الآثار؛ فلا تُخلِه من تجهيز جيشه، وسكِّن طيشَ البحر بطيشه؛ فيُصبحَ لك جيشان كلٌّ منهما ذو كرٍّ وفرّ، هذا فى برّ بحرٌ وهذا بحرٍ برّ؛ وبيوتِ العبادات فهى التى الى مصلّى سميِّك خليلِ الله تنتهى محاريبُها، وبها لنا ولك وللسلمين سُرَى الدعوات وتأويبُها(٢)؛ فوفِّها نصيبَها المفروضَ غيرَ منقوص، ومُرْ برفعها وذكرِ ٱسم الله فيها حسب الأمرِ المنصوص؛ وأخواتِها من بيوت الأموال الواجداتِ(٣) الواجبات من حيث أنها كلَّها بيوتٌ لله هذه للصَّلاة وهذه للصلات؛ وهذه كهذه فى رفع المنار، وجَمْع المبارّ، واذا كانت تلك مما أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرفَعَ ويُذْكَرَ فيها ٱسْمُه ، فهذه تُرفَع ويُذكَرُ فيها ٱسمه حتى على الدرهم والدينار؛ فاصرف اليها ٱجتهادَك فيما يعود [عليها] بالتثمير، كما يعود على تلك بالتنوير؛ وعلى هذه بإشحانها(٤) بأنواع الصروف، كإشحان(٥) تلك باستواء الصفوف؛ فإنها إذا أصبحت مصونَه ، احتملَتْ بحمد الله المعونَه

---

(١) أقلعت : أى سارت الى الأعداء؛ والذى يستفاد من كتب اللغة أن تفسير الإقلاع بالسير تفسير مجازى، فقد ذكر ابن برى أنه ليس فى قولهم «مقلعة» مايدل على السير من جهة اللفظ ، إنما يفهم ذلك من فحوى الكلام ، لأنه قد أحاط العلم بأن السفينة متى رفع قلعها فإنها سائرة ، فهذا شىء حصل من جهة المعنى لا من جهة أن اللفظ يقتضى ذلك الخ (اللسان) وأيضا فإسناد الإقلاع الى السفن إسناد مجازى، وهو المسمى بالمجاز العقلى ، فقد ذكر ابن برى أيضا أن الإقلاع ليس فعلها ، وانما هو فعل أصحابها يقال أقلع القوم سفنهم : اذا رفعوا قلعها عند المسير .

(٢) التأويب : السير بالنهار؛ وعكسه الإسآد والسرى : وهما السير عامة الليل .

(٣) الواجدات : الغنيات ، وهو من قولهم : وجد المال يجده وجدا بتثليث الواو : اذا صار غنيا .

(٤) الإشحان بالهمز : الملء ، كالشحن؛ وفى القاموس وشرحه أنه يقال : أشحن المدينة بالخيل : أى ملأها .

(٥) فى الأصل : «كامتحان» ؛ وهو تحريف .

وكَفَلَتْ بالمؤونة و بالزيادة على المؤونه ، فتكَمَّل هـذه لكلّ ولىّ دنياه كما كَمَّلت تلك لكل ولىّ دِينَه ، وحدود الله، فلا يتعدّاها أحد، ولا يَرأَف فيها ولدٌ بوالد ولا والدٌ بولد؛ فأقمها وقُم فى أمرها حتى تنضبط أتم الضبط، ولا تجعـل يد القتل مغلولةً إلى عنقها ولا تبسُطها كلَّ البسـط ، فلكلٍّ من الجنايات والقصاص شرطٌ شرطه الله وحدٌّ حَدَّه فلا يتجاوز أحدٌ ذلك الحـدَّ ولا يخرج عن ذلك الشرط ؛ والجهاد فهو الدَّيْدَنُ المألوفُ من حين نشأتنا ونشأتك فى بطون الأرض وعلى ظهور الخيـل فمِلْ على الأعداء كل المَيْل، وصبِّحهم من فَتَكاتك بالويل بعـد الويل ، وأرمِهـم بكلّ شَمَّرِىٍّ[(١)] قـد شمّر من يده عن الساعد ومن رمحـه عن السـاق ومن جواده الذَّيل[(٢)]؛ وأذهب بهم فى ذلك كلَّ مذهب، وأَبِنْ[(٣)] بنجوم الخِرْصان[(٤)] كلّ غىٍّ وغيهب وتَكثَّر[(٥)] فى غزوهم من الليل بكلّ أدهمَ ومن الشَّفَق بكلّ أحمرَ وأشقرَ [ومن الأصيل بكلّ أصـفرَ][(٦)] ومن الصـبح بكلّ أشهب، وآنتهِبْ[(٧)] أعمارهم وآجعلها آخرَ ما يُسلَب

---

(١) الشمرى بفتح الشين وتشديد الميم المفتوحة ؛ و يقال أيضا بكسر الشين والميم المشدّدة كذلك : الرجل الماضى فى الأمور .

(٢) كذا فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٢ ومسالك الأبصـار قسم ٢ ج ٨ من النسخة المأخوذة بالصور الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ . والذى فى الأصل : « على الذيل » وقوله : «على» زيادة من الناسخ وليست محرفة عن لفظ : (عن) كما يتوهم فان التشمير لا يكون عن الذيل و إنمـا يكون للذيل عما تحته ؛ ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة انه يقال : «شمر عن ذيله» والذى وقفنا عليه قولهم : « شمر ذيلا وادّرع ليـلا» بدون « عن » ؛ والكلام هنا على طريق التمثيل والمراد المضاء والجد فى السير .

(٣) فى صبح الأعشى ومسالك الأبصار : « وأثر » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) الخرصان بكسر الخـاء : أسنة الرماح ، واحده خرص بكسر فسكون ، و يضم أوّله أيضا .

(٥) التكثر : طلب الكثرة ، كما يفهم من أساس البلاغة فقد ورد فيه : « تقلل من العلم لتحفظ وتكثر منه لتفهم » .

(٦) لم ترد هـذه العبارة فى الأصل ؛ وقـد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٢ ومسالك الأبصـار . (٧) فى الأصل وصبح الأعشى : «واستهب» ؛ ولم نجده فيما لدينا من كتب اللغة .

وأوّلَ ما يُنهَب، ونرجوا أن يكون الله قـد خبأ لك من الفتوحات ما يستنجزها لك صادقُ وعدِه، وأن ينصر بك جيوش الإسلام فى كلّ إنجاد و إتهام وما النصر إلا من عنده؛ و بيت الله المحجوج من كلّ فجّ، المقصود من كل نَهْج؛ يَسِّرْ سبيلَه، ووسِّع الخير وأَحسِن تسبيلَه[١]، وأَوصِل من بِرِّك لكلٍّ من الحرمَين ماهْو[٢] له، لتصبح ربوعُه بذلك مأهولَه؛ واَحمِه ممّن يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظلم، وطهِّرْه من كلِّ مَكْسٍ[٣] وغرم؛ ليعود نفعُك على البادى والعاكف، و يصبحَ واديه وناديه مستغنيَين بذلك عن السحاب الواكف؛ والرّعايا، فهم للعدل زُروع، وللاَستثمار[٤] فروع، ولاَستلزام العمارة شُروع[٥]؛ فمتى جادهم غيثٌ أَعْجَب الزُّرّاعَ نباتُهم، ونَمَتْ بالصلاح أقواتُهم، وصَلَحتْ بالنَّماء أوقاتُهم، وكثُرت للجنود مستغَلّاتُهم، وتوافرتْ زكَواتُهم، وتنوّرتْ مشكاتُهم "وَٱللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ"؛ هـذا عهدُنا للسيّدِ الأجلّ الولدِ الملكِ الأشرفِ صلاحِ الدنيا والدّين، فخرِ الملوك والسلاطين، خليلِ أميرِ المؤمنين — أعزّنا الله ببقائه — فليكن

---

(١) التسبيل : أن تجعل الشىء فى سبيل الخير .

(٢) هو بسكون الواو لغة فى هو بفتحها ؛ وقد حكى هذه اللغة الكسائى عن بنى أسد وتميم وقيس ، كما أن بعضهم يحذف الواو إذا كان قبل « هو » ألف ساكنة فيقول : حتاه فعل ذلك .

(٣) المكس : ما يأخذه أعوان السلطان ظلما عند البيع والشراء ، قال الشاعر :

وفى كل أسواق العـراق إتاوة ٭ وفى كل ما باع امرؤ مكس درهم

(٤) كذا فى الأصل وصبح الأعشى بالسين والتاء ؛ ولم نجد هذه الصيغة فيما راجعناه من كتب اللغة غير أن فى شرح الأشمونى وحاشيته عند قول ابن مالك فى باب التصريف :

والتـاء للتأنيث والمضارعة ٭ وتاء الاستفعال والمطاوعة

ما يفيد أن هذه الزيادة مطردة ، حيث قال : وأما زيادتها حشوا فلا تطرد إلا فى الاستفعال والافتعال وفروعهما الخ والذى فى مسالك الأبصار : « ولاستثمار » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٥) الشروع : مصدر شرع فى الأمر اذا أخذ فيه ، وقد وصف الرعايا به على طريق المبالغة .

بعروته متمسّكا، وبنفحتــه متمسّكا[١]؛ وليتقلّدْ سيفَ هــذا التقليد، ويفتح مُغلَقَ كلِّ فتحٍ منه بخير إقليد[٢]، وها نحن قد كثّرنا لديه جواهرَه فدونه ما يشاء تحليتَــه: من تتويجِ مَفرِقٍ وتختيمِ أناملَ وتسويرِ زَندٍ وتطويقِ جِيد، ففى كلّ ذلك تبجيــلٌ وتمجيــد؛ والله تعــالى يجعــل آستخلافه للتقين إماما، وللدين قواما، وللجاهدين آعتصاما، وللعتــدين آنقصاما، ويطفئ بمياه ســيوفه نارَ كلِّ خطب حتى تُصبحَ كما أصبحَتْ نارُ سَمِيِّه صلّى الله عليه وسـلّم بردا وسلاما؛ إن شاء الله تعالى .

وكلامه رحمه الله كثير ورسائله مشهورة، وبيدِ الناس من إنشائه ما لو آستقصيناه لطال وانبســط، وقد قدّمنا فى كتابنا هــذا من كلامه فى باب التهانى بالفتوح ما تجده فى موضعه

ونختم كلامه بشىء من أدعية الملوك، وهى :

(٧) ومكّن الله له فى الأرض، وجعل طاعتَه واجبــةً وجوبَ الفرض، وأيّد آراءه بالملائكة فى الحَلّ والعَقد والإبرامِ والنقض .

آخر : وأنجَزَ له من النصر صادقَ وعدِه، وجعل الملوكَ من عبيــده والملائكةَ من جندِه، ومتّعه بمـا وهبه من المُلك الذى لا ينبغى لأحد من بَعدِه .

آخر : وحَفِظه بمعقّبات من أمرِه، وحَمى حِمى الدين بقِصار بِيضِــه وطوالِ سُمْرِه، وجعــل قدرَ مملكتــه فى الدهر كليالى قدرِه، وألبَس أولياءه من طاعتــه ما يجرّون أذيالَ فخرِه .

(١) المتمسك : المتطيب بالمسك .

(٢) الإقليد : المفتاح؛ وهى لغة يمانية، وقيل معرّب .

آخر : ولا زالت الدنيا بعدله مخضرّةَ الوهاد والرُّبا ، والامالُ بفضله قائلا لها النجحُ : مرحبا ، والأقدارُ لنصره مسدّدةَ السهام مرهفةَ الظُّبا ، والأيّامُ لا تَعدَم من جميل أثره وجليل تأثيره فعلا مطربا ، ووصفا مطيّبا . وجعلتْ مُلْكَه موصولا بحبل لا يُحلّ عَقدُه ، وحَرَمَه محروسا بسيف التوفيق لا يُفلّ حدُّه . ولا زالت راياته ألسنةً تنذر أعداءه بالفرار ، وتُبشِّر أولياءه بالقرار ، وآراؤه أعلاما عاليةَ المَنار واضحةَ الأنوار . وأنجز له عِداتِه فى عُداته ، وجعل النصر والتوفيق مصاحبَين لآرائه ورايِاته . وأناله النصرَ الذى يغنيه عن الحيلة والحول ، وعَقَد السعدَ بعُرا (١) ما يُمضيه من الفعل والقول ، وبوّأ أولياءه جُنّةً من النصر ما فيها غائلة وجَنّةً من العزّ ما فيها غَول . وقصم بمهابته كلَّ جبّار عنيد ، وعصم كلَّ من يَأوِى من رجائه إلى ركن شديد . وآتاه من التأييد سلطانا نصيرا ، وجعل جيشه أكثرَ قوًى وأقوَى نفيرا . ولا زالت الآمال بسحابه مخضرّةَ الرُّبا والوهاد ، والتأييدُ بتمكينه مناديا فى كلّ ناد ، والدنيا بمُلكه مسرورةَ الأسرار (٢) حاليةَ الأجياد ، والأقدارُ لأمره متكفّلةً بالنفاد (٣) . وطرّز بأيامه ملابس السِّيَر ، وأحلّ أمره أعلى هَضَباتِ النصر والظَّفَر ، وحلّى أجياد الممالك من عدلِه وبذلِه بأشرف الدُّرَر ، ولا برح القدر يوافق قُصُوده (٤) فيقول للقدر :

(١) فى الأصل : « يعزى بما » ؛ وهو تحريف .

(٢) المراد بالأسرار هنا : خطوط الوجه والجبهة ؛ الواحد سر بكسر السين وضمها ؛ وإنما أسند السرور إليها لظهور أماراته فيها . يقال : برقت أسارير وجهه اذا تهلل من الفرح .

(٣) كذا فى الأصل بالدال المهملة ؛ والذى يستفاد من كتب اللغة أن هذه الكلمة تأتى بمعنى النفاذ بالذال المعجمة : أى الجواز والمضى ؛ فقد جاء فى اللسان مادة « نفد » بالمهملة فى تفسير حديث ابن مسعود : « إنكم مجموعون فى صعيد واحد ينفدكم البصر » ما نصه : يقال : نفدنى بصره اذا بلغنى وجاوزنى . ثم قال : وأنفدت القوم اذا خرقتهم ومشيت فى وسطهم ، فان جزتهم حتى تخلفهم قلت : نفدتهم بلا ألف ا هـ ثم ذكر هذا الكلام نفسه بالذال المعجمة فى مادة « نفذ » .

(٤) القصود : جمع قصد ؛ وهذا الجمع ذكره بعض الفقهاء ، وقد أوضحنا ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٢ من هذا الجزء فانظره .

«لَقَدْ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ» . وأتمّ نعمته عليه كما أتمّها(١) ، وعمّر بعدله الآفاق وعمّها ، وأوضح مناهج كرمه لمن قصدها وأمّها ، وأنجز عداته في عُداته فأصماها وأصمّها . وأتمّ نعمته عليه كما أتمها على أبويه من قبله ، وحمى حمى الدين بنصره وفضله ، وكسا الدنيا بمُلكه حلّة فخار مُعلَمة بإحسانه وعدله ، وجعل أقاليم الأرض معمورةً بسلطانه مغمورةً بعطائه وبذله .

ذكر شيء من إنشاء المولى الماجد السالك من طريق الفضل والفضائل أوضحَ الطرق وأنهجَ المسالك ، المفصح بلسان براعته والمُوضح بأنوار بلاغته ما أبهم واستبهم من ليل الغيّ الحالك ، المتصرّف بقلمه وكَلِمه لوثوق(٢) ملوك الإسلام بديانته وأمانته وأصالته ونزاهته في الأقاليم والثغور والحصون والممالك ، العامر بفضله وفضائله والغامر بجوده ونائله باطنَ وظاهرَ من أمّله وأمّ له من زائرٍ وقاطنٍ ومارٍّ وسالك ؛ فينفصل هذا عن بابه وهو بجوده مغمور ، وهذا عن مجلسه وقلبه بولائه لما أولاه من إحسانه معمور ؛ وهذا وهو يُنفق الجمل من ماله ، وذاك وهو يجود على المُعدم من فضل نواله ؛ والآخرُ وقد امتلأ صدره سرورا ، وأشرق وجهُه بهجةً ونورا ؛ وانطلق لسانُه من عقاله بعد تقييده ، وانبسط أملُه لطلب الفضائل لمّا ظفر بمعدنها بعد تعقيده(٣) ؛ فتجده وقد اعتلق(٤) منه جملا واعتنق جمالا ، وأنفق الدرر بعد ضنّه بالأصداف فهو لا يخشى عُدْما ولا يخاف إقلالا ؛ والمولى المعنىّ

(١) متعلق هذا الفعل محذوف للعلم به وهو قوله : «على أبويه من قبل» أخذا من الآية الكريمة ، وإنما حذفه ليتم السجع الذي التزم في هذه الأدعية ، وليست هذه العبارة مكررة مع ما يأتي ، لأنه دعاء آخر .

(٢) في الأصل : «لوقوق» بقافين ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : «تقييده» ؛ وهو تحريف لتكرره مع ما قبله في آخر الجملة السابقة .

(٤) كذا في الأصل ؛ ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة أنه يقال : «اعتلقه» بمعنى علقه بتشديد اللام أي حفظه ، كما هو المراد هنا ؛ والذي وقفنا عليه أنه يقال : «اعتلقه» أي أحبه ؛ ولعل المؤلف قصد المجانسة بين هذا اللفظ وقوله بعده : «واعتنق» .

بهذه المعالى التى آبتسمت ثغورُها ، وتحلّت نحورُها ؛ والمكارمِ التى جادت سحائبُها وآمتدّت مَذانبُها(١) ، وترادفَتْ مواهبُها ، وآتّسعَتْ مذاهبُها ؛ والفضائلِ التى لجنابه الكريم تُعزَى ولفضلِه العميمِ تَنتسب ، والسيادةِ التى شادها لنفسِه لأستغنائه عمّا مهدتْه له آباؤه النُّجُب ، والمرادُ بهذه الأوصاف التى (٨)

خُلِّيَتْ والحُسنَ تأخذه * تَنتقِى منه وتَنتخِبُ(٢)

هو لسانُ الدولة ويمينُها ، وسفيرُ المملكة وأمينُها ؛ وجامعُ أشتات الفضائل ، وناظمُ أخبارِ الأواخرِ وسِيَرِ الأوائل ؛ وسيّدُ الرؤساء وجليسُ الملوك ، ومؤلِّفُ كتابِ نظمِ السلوك ؛ المولى المالكُ علاءُ الدين علىّ ابن المولى المرحوم فتح الدين محمد ابن المولى المرحوم محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر ، ذو الفضائل والمآثر ، والنسبِ العريق والأصلِ الطاهر ، والسببِ الوثيقِ والفضلِ الباهر ؛ فهذه نبذة من أوصافه أثبتناها ، ولُمعة من محاسنه أوردناها ، أسامٍ لم تَزِده معرفةً وإنما لذّةً ذكرناها ؛ وله — أعزّه الله وأوفر نعمه لديه ، وأتمّ نعمته عليه كما أتمها على أبويه ؛ وأرانا فى نجله الكريم ما رأيناه فى سلفه وفيه ، وأَنطَق الواصفَ لمحاسنهم بملءِ فيه — من الرسائل البليغه ، والتقاليدِ البديعه ؛ والعهودِ التى عاهدَتْها البلاغةُ ألا تتعدّاها فوفت بعهدِها ، وأقسمت معانيها أنها لم تَقصِدْ سواه مِن قَبل لعلمِها أنّ غيرَه لا يوفّيها حقّ قصدِها ؛ وسنورد إن شاء الله من كلامه ما هو بالنسبة الى مجموعه نبذةٌ يسيره ، ونرصّع فى كتابنا هذا من فضائله لُمعةً خطيره ؛ ونرفع بما نضعه فيه من كلامه قدرَ هذا التصنيف ، ونطرّز به

(١) المذانب : مسايل الماء ، واحده مذنب بكسر الميم وفتح النون . وفى الأصل : «مذاهبها» ، وهو تحريف لتكرره مع ما يأتى بعده .

(٢) البيت لأبى نواس .

أُرْدانَ هـذا التأليف ، ولا نحتاج إلى التعريف بمكانه وتمكُّنه من هـذه الصناعة فالشمس تستغنى عن التعريف؛ ونحن الآن نعتذر من التقصير فى الأنتهاء إلى وصف محاسنه، ونعترف بالعجز عن إدراك كنه مناقبـه الشريفة ومَيامنه ؛ ونأخذُ فى ذكر كلامه لنمحوَ ذنبَ التقصير بحسن الإخبار، (١) ونسأل الصفح عن آختصارنا واجبَ حقّه ونرجوا قبول كلماتِ الأعتذار

فمن إنشائه ما كتبه عن الخليفة المستكفى بالله أبى آلربيع سليمان — جمَّل الله به الدين ، وأيّد ببقائه الإسـلامَ والمسلمين — للسـلطان الملكِ المظفَّر ركن الدين بيبرس المنصورىّ فى شوّال سنة ثمان وسبعمائة، ابتدأه بأن قال :

هذا عَقدٌ شريف آنتظمتْ به عقودُ مصالح الممالك، وآبتسمتْ ثغورُ الثغور ببيعته التى شهِدَتْ بصحّتها الكرامُ الملائك ؛ وتمسّكت النفوسُ بمحكَم عَقده (٢) النَّضيد ومبرَم عهدِه النظيم، ووثقت الآمالُ ببركة مِيثاقه فتقرأه الألسنة مستفتحةً فيه بقول الله الكريم : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ الحمد لله الذى جعـل الملّةَ الإسلاميةَ تأوِى من سلطانها الى ركنٍ شـديد، وتَحوِى من مبايعة (٣) مظفّرِها كلَّ ما كانت ترومه من تأبيـد التأبيد ، وتَروِى أحاديثَ النصر عن مَلِكٍ لا يَمَـلّ من نُصرة الدّين الحنيفىّ وإن مَلّ الحديدُ من الحديد ؛ مُؤتى مُلكَه من يشاء من عبادِه ومُلْقِى مقاليـدِه للولىّ المَلِىّ (٤) بقَمْع أهـل عناده ؛ ومانحه من لم يزل بعزائمه ومكارمه

(١) لعله يريد « بالإخبار » : أن ذكر شىء من كلامه إخبار عن فضله وتمكنه من ناصية البلاغة . أو لعل صوابه «الاختيار» .

(٢) فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ٦٩ : «عقده» بكسر العين .

(٣) فى صبح الأعشى : «من متابعة» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) يقال : هو ملىء بهذا الأمر : أى مضطلع به « الأساس » .

مرهوبا مرغوبا، ومُوليه [وموليّه][1] من غدا مَحبوّا من الأنام بواجب الطاعة محبوبا وباسطِ أيدى الرغبات لمن حَكَم له كمالُ وصفِه ووصفُ كماله بأن يكون مسئولا مخطوبا ومفوِّضِ[2] أمرِه ونهيِه إلى من طالما صَرَف خَطِّيَّه عن حمى الدين أخطارا وخطوبا؛ والحمد لله مُجرِى الأقدار برفع الأقدار، ومُظهِرِ سرِّ الملك فيمن أضحى عند الإمامة العباسيّة بحُسن الاختبار من المصطفَينَ الأخيار، جامعِ أشتات الفخار، ورافعِ لواءِ الاستظهار[3]، ودافعِ لَاواءِ[4] الأضرار، بجميلِ الالتجاءِ الى ركنٍ أمسى بقوّة الله تعالى عالىَ المَنار وافىَ المَبار، باديَ الآثار الجميلة فى الإيثار[5]؛ والحمد لله على أن قلّد أمورَ السلطنة الشريفة لكافلِها وكافيها، وأسنَد عقدَها وحلَّها لمن يدرك بكريم فطنتِه وسليمِ فطرتِه عواقبَ الأمور من مباديها، وأيّد الكتائبَ الإيمانيَّةَ بمن لم تزل عواليه تبلِّغها من ذُرا الأمانىِّ معاليها؛ يحمده أمير المؤمنين على إعلاءِ كلمة الإيمان بأعيان أعوانها، وإعزازِ نصرها بأركانِ تشييدِها وتشييدِ أركانها؛ ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له (٩) شهادة [لا] تبرح الألسنُ تَرويها، والقلوبُ تَنويها، والمواهبُ تُجزِل لقائلها تنويلا وتنويها؛ ويشهد أنّ محمدا عبده ورسوله أكملُ نبىٍّ وأفضلُ مبعوث، وأشرفُ مُورِّثٍ لأجلِّ موروث؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تنمو بركاتُها وتنِمّ[6]، وتخُصّ حسناتُها وتعُمّ؛ ورضى الله عن عمّه العباسِ بنِ عبد المطلب جدِّ أمير المؤمنين، وعن أبنائه الأئمّة المهديّين؛ الذين ورثوا الخلافةَ كابرا عن كابر، وسَمَتْ ووُسِمَتْ بأسمائهم ونعوتهم

(١) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ٦٩

(٢) فى الأصل: «ومعرض» بالعين والراء؛ وهو تحريف.

(٣) الاستظهار: العلو والغلبة.

(٤) اللأواء: الشدّة والمحنة.

(٥) فى صبح الأعشى: «والإيثار» بالواو مكان «فى»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

(٦) يقال: نمّ المسك اذا سطعت رائحته؛ وهو هنا مستعار للانتشار والظهور.

ذُرا المنابر، أما بعـد، فإن الله تعالى لمّـا عَدَق(١) لمولانا أميرِ المؤمنين مصالحَ الجمهـور وعقَد له البَيعةَ فى أعناق أهل الإيمان فزادتهم نورا على نور، وأورثه عن أسلافه الطاهرِين إمامةَ خيرِ أمّه، وكَشَف بمُصابرته من بأس العدا غمامَ كلِّ غُمّه، وأنزَل عليه السكينةَ فى مواطن النصر والفتح المبين، وثبّته عند تَزلزل الأقدام وثبّت به قلوب المؤمنين، وأفاض عليه من مَهابة الخلافة ومواهبِها ما هو من أهلِه، وأتَمّ نعمتَه عليه كما أتَمّهـا على أبويه مِن قبـلِه، بايع ٱللهَ تعـالى على أن يختار للتمليك على البرايا، والتحكيم فى الممـالك والرَّعايا، من أَسَّس بنيانَه على التقوى، وتمسَّكَ من خشـية الله سبحانه بالسبب الأقوى، ووَقَف عند أوامر الشرع الشريف فى قضائه وحُكمِه، ونهض لأداء فرضِ الجهـاد بمعالى عزمِـه وحزمِه، وكان المقامُ الأشرفُ العـالى المَوْلوىُّ السلطانىُّ المَلكىُّ المظفَّرىُّ الركنىّ، سلطانُ الإسـلام والمسلمين، سـيّدُ الملوك والسـلاطين، ناصرُ الملّة المحمّديّه، محيى الدولة العباسيّه (أبو الفتح بيـبرس) قسيمُ أميرِ المؤمنين — أعزّ الله تعالى ببقائه حمى الخلافة وقد فَعَل، وبلغ فى دوام دولتـه الأمل — هو المَلِكَ الذى ٱنعقد الإجماعُ على تفضـيله، وشَهدتْ مناقبُه الطاهرةُ باستحقاقه لتحويل المُلْك [إليه](٢) وتخويلِه، وحَكَمَ التوفيقُ والاتفاقُ بترقّيه إلى كرسىّ السلطنة وصـعودِه، وقضت الأقدار بأن يُلقِيَ إليـه أميرُ المؤمنين أزمّةَ عهودِه؛ والذى كم خَفَقت قلوبُ الأعادى عند رؤية رايات نصرِه، ونطقت ألسنةُ الأقدار بأن سيكون مليـكَ عصرِه وعزيزَ مصرِه؛ وٱهتزّتْ أعطاف المنـابر شوقا للافتخار بٱسمِه، واعتزّتْ الممـالك بمن زاده الله بسطةً فى عِلمِه وجسـمِه؛ وهو الذى ما برح

(١) عدق: أى جمع.

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٠

مذ نشأ يجاهد فى الله حقّ جهاده، ويساعد فى كل معركة بمرهفات سيوفه ومتلفات صعاده، ويُبدى فى الهيجاء صفحته للصّفاح فيقيه ٱلله ويبقيه ليجعله ظلّه فى الأرض على عباده وبلاده، فيُردِى الأعداءَ فى مواقف تأييده فكم عفّر من خدٍّ للملوك الكفر تحت سنابك جياده؛ ويشفى بصدور سيوفه صدورَ قوم مؤمنين، ويسقى ظِماءَ أسنّته فيُرويها من مَورد وُرود[1] المشركين؛ ويُطلِع فى سماء[2] الملك من غُرَرِ رأيه نيّراتٍ لا تأفُل ولا تَغور، ويُظهِرُ من مواهبه ومَهابته ما تُحسَّن به الممالكُ وتُحصَّن به الثغور، فما من حصنٍ أغلقه[3] الكفرُ إلا وسيفُه مفتاحُه، ولا ليل خطبٍ دَجا إلا وغرّتُه الميمونةُ صباحُه، ولا عزّ أملٌ لأهل الإسلام إلّا وكان فى رأيه المسدَّدِ نجاحُه، ولا حصل خللٌ فى قطرٍ[4] من الممالك إلّا وكان بمشيئة الله تعالى وبسَداد تدبيره صلاحُه؛ ولا اتّفق مشهدُ غزوٍ إلا والملائكةُ بمضافرته فيه أعدلُ شهود، ولا تجدّد فتوحٌ للإسلام إلا جاد فيه بنفسه وأجاد، "والجُودُ بالنفس أقصى غايةِ الجود" كم أسلف فى غزوِ الأعداء من يومٍ أغرَّ محجَّل، وأنفق مالَه ٱبتغاءَ مرضات الله فحاز النصرَ المعجَّل والأجر.

---

(١) الورود جمع وريد: وهو عرق فى العنق، ويقال له: حبل الوريد، وهما وريدان؛ والظاهر أنه أراد بالورود هنا: العروق التى فيها الدم لا جمع وريد بالمعنى المعروف، فان كلام أهل اللغة يدل على أن الوريد من العروق ما جرى فيه النفس ولم يجر فيه الدم. قال أبو الهيثم: الوريدان تحت الودجين، والودجان: عرقان غليظان عن يمين ثغرة النحر ويسارها؛ والوريدان ينبضان أبدا من الانسان؛ والوريد من العروق: ما جرى فيه النفس ولم يجر فيه الدم الخ قال الأزهرى: والقول فى الوريدين ماقاله أبو الهيثم وفى المصباح نقلا عن الفراء: الوريد: عرق بين الحلقوم والعلباوين، وهو ينبض أبدا؛ فهو من الأوردة التى فيها الحياة ولا يجرى فيها دم؛ بل هى مجارى النفس بالحركات.

(٢) فى الأصل: «من فى سماء»؛ وقوله: «من» زيادة من الناسخ.

(٣) فى الأصل وصبح الأعشى: «استغلقه»؛ ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة انه يقال: استغلقت الباب بمعنى أغلقته.

(٤) كذا فى الأصل؛ والذى فى صبح الأعشى (ج١٠ ص٧١): «طرف»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

المؤجَّل، وأحيا من معالم العلوم ودوارس المدارس كلَّ داثر، وحثّه إيمانُه على عمارة بيوت الله تعالى الجامعةِ لكلّ تالٍ وذاكر، ”إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ“، وهو الذى ما زالت الأولياء تتخيّل مخايلَ السلطنة فى أعطافه معنًى وصوره، والأعداءُ يرومون إطفاءَ ما أفاضه الله عليه من أشعّة أنوارِه ”وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ“؛ طالما تطاولتْ إليه أعناقُ الممالك فأَعرض عنها جانبا، وتطفّلتْ[(١)] عليه فغدا لها رعايةً لذمّة الوفاء مجانبا[(٢)]؛ حتى أَذِن الله سبحانه لكلمة سلطانه أن تُرفَع وحكَم له بالصعود فى دَرَج المُلك الى المحلّ الأعلى والمكانِ الأرفع، وأدّى له من المواهب ما هو على آسمه فى ذخائر الغيوب مستودَع؛ فعند ذلك آستخار الله تعالى سيّدُنا ومولانا أميرُ المؤمنين (المستكفى بالله) — جعل الله الخلافةَ [كلمة][(٣)] باقيةً فى عقِبه، وأمتع الإسلامَ والمسلمين بشريفَىْ حسبِه ونسبِه — وعَهِد إلى المقام العالى السلطانىّ بكلّ ما وراء سرير خلافتِه، وقلّده جميعَ ما هو متقلّده من أحكام إمامتِه؛ وبَسَط يدَه فى السلطنة المعظّمه، وجعل أوامرَه هى النافذةَ وأحكامَه [هى][(٣)] المحكّمه؛ وذلك بالدّيار المصريّة (١٠)
والممالكِ الشاميّه، والفراتيّة والحلبيّـة[(٤)] والساحليّه، والقلاع والثغور المحروسة والبلاد الحجازيّة واليمانيّه؛ وكلّ ما هو من الممالك الإسلاميّة الى خلافة أمير المؤمنين منسوب، وفى أقطار إمامتِـه محسوب؛ وألقَى إلى أوامره أزمّةَ البسـط والقبض

---

(١) كذا فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٢؛ والذى فى الأصل: «وتطلعت»؛ وهو و إن كان كان صحيح المعنى إلا أن قوله بعد: (عليه) يقتضى ما أثبتنا .

(٢) فى صبح الأعشى: «على قربه»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى .

(٤) فى صبح الأعشى: «والجبلية»؛ وهو أظهر، فإن الحلبية داخلة فى الممالك الشامية التى سبق ذكرها .

والإبرام والنقض، والرفع والخفض، وما جعله الله فى يده من حُكم الأرض ، ومن إقامة سنّة وفرض، وفى كلّ هبة وتمليك، وتصرّف فى ولاية أمير المؤمنين (١) من غير شريك ، وفى تولية القضاة والحكام ، وفصل القضايا والأحكام ، وفى سائر التّحكّم فى الوجود، وعقد الألوية والبنود ، وتجنيد الكتائب والجنود، وتجهيز الجيوش الإسلامية فى التأييد لكلّ مقام محمود ، وفى قهر الأعداء ٱلذين نرجوا بقوة الله تعالى أن يمكّنه من نواصيهم، ويحكّم فواضبه فى ٱستنزالهم من صَياصيهم، واستئصال شأفة عاصيهم ؛ حتى يمحوَ الله بمصابيح سيوفه سوادَ خطوب الشّرك المدلهمّه، وتغدو سَراياه فى ٱقتلاع قلاع الكفر مستهِمّه (٢) ، وتَرهبهم خيلُ بعوثه وخيالُها فى ٱليقظة والمنام ، ويَدخُل فى أيّامه أهلُ الإسلام مدينةَ السلام بسلام ؛ تفويضا تامّا عامّا منضّدا منظّما، مُحْكَمًا مُحكّما، أقامه مولانا أميرُ المؤمنين فى ذلك مُقامَ نفسه الشريفه، وٱستشهد الكرامَ الكاتبين فى ثبوت هذه البيعة المنيفه ؛ فليتقلّد المقامُ الأشرفُ السلطانىُّ — أعزّ الله نصره — عِقدَ هذا العهد الذى لا تطمح لمثله الآمال، وليَستمسكْ منه بالعروة الوثقى التى لا ٱنفصامَ لها ولا ٱنفصال ؛ فقد عوّل أميرُ المؤمنين على يمن آرائك (٣) التى ما برحت الأمّةُ بها فى المعضلات تَستشفِى ، وٱستكفَى بكفايتك وكفالتك فى حياطة المُلك فأضحى وهو بذلك (المستكفِى)؛ وهو يقصّ عليك من أنباء الوصايا أحسنَ القَصَص ، وينصّ لديك ما أنت آخذٌ منه بالعزائم اذا أَخَذ

---

(١) عبارة صبح الأعشى : « أمور الإسلام » .

(٢) مستهِمّة بتشديد الميم : أى مهتمة ؛ قال فى الأساس : سمعتهم يقولون : استهمّ لى فى كذا ؛ ويجوز أن يقرأ : (مستهِمة) بتخفيف الميم؛ أى مقتسمة، من الاستهام .

(٣) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل وصبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٣ بضمير الخطاب، ولا يخفى ما فيه من الالتفات لاختلاف الضمائر بين ماهنا وبين ماسبق ، وكأن النكتة فى ذلك تأكيد اختصاصه بهذا العهد المذكور فى الجملة السابقة .

غيرُك فيه بالرُّخص ؛ فإنْ نُبِّهتَ على التقوى فطالما تمسّكتَ منها بأَوثقِ عروه، وإن هُديتَ الى سبيل الرشاد فما زلتَ ترقى منه أشرفَ ذُروه؛ وإن آسترهفْنا(١) عزمَك المـاضىَ الغِرار ، وآستدعَينا حزمَك الذى أضاء به دهرُك وأنار وآستنار(٢) ؛ فى إقامة مَنار الشرع الشريف ، والوقوفِ عنـد أمرِه ونهيِه فى كل حكمٍ وتصريف ؛ فما زِلتَ — خلّد الله سـلطانَك — قائمًا بسننِه وفرضِه ، دائبًا فى رضى الله تعـالى بإصلاحِ عقائدِ عبادِه فى أرضِـه ؛ وما برِح سيفُك المظفَّرُ للأحكام الشرعيّة خادما ، ولموادِّ الباطل حاسما ، ولأُنوفِ ذوى الزَّيغ والبِدَع مُرغِما ؛ وكلُّ ما نوصيك به من الخير فقد جُبلتْ عليه طباعُك ، ولم يزل مشتدًا فيه ساعدُك ممتدًا إليـه باعُك ؛ غيرَ أننا نُورد لمعةً اقتضاها أمر الله تعالى فى الاقتداء بالتذكرة فى كتابه المبين ، وأَوجبَها نصُّ قوله تعالى : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، ويندرج تحت أصولهـا فروعٌ يَستغنِى بدقيق ذهنه الشريفِ عن نصِّها ، وبفكره الثاقبِ عن قصِّها ؛ فأعظمُها للملّة نفعا ، وأكثرُها للباطل دفعا ؛ الشرعُ الشريف ، فليكن — أعزّ الله نصرَه — عاملا على تشييد قواعد أحكامِه ، وتنفيذِ أوامرِ حكّامِه ؛ فالسـعيدُ من قرن أمرَه بأمرِه ، ورضى فيه بحلو الحق ومُرِّه ؛ والعدلُ ، فلينشرْ لواءه حتى يأوىَ اليه الخائف وينكفَّ بردْعه حَيفُ كلِّ حائف ؛ ويَتسـاوى فى ظلّه الغنىُّ والفقير ، والمأمورُ والأمير؛ ويمسىَ الظلمُ فى أيامك وقد خَمدتْ نارُه ، وعفَتْ آثارُه ؛ وأَهمُّ ما آحتفلتْ به العزائم ، وآشتملتْ عليه همُ الملوك العظائم(٣) ، وأُشرِعتْ له الأسِـنّةُ وأُرهِفتْ من أجله الصوارم ؛ أمرُ الجهاد الذى جعله الله سبحانه حصنا للإسلام وجُنّه ، وآشترى

(١) كذا ورد هذا الفعل فى الأصل وصبح الأعشى بالسين والتاء ؛ ولم نجده بهذه الصيغة فيما لدينا من كتب اللغة ، والذى وقفنا عليه أنه يقال : رهفه وأرهفه ، أى رققه وأحده .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى صبح الأعشى .

(٣) العظائم صفة للهمم .

فيه من المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم بأن لهم الجنّه، فجنّد له الجنودَ وجمّع له الكتائب وأقيض فى مواقفه على الأعداء من بأسك بالقَواضى القَواضب، وأغزُهم فى عقر الدار، وأرهِفْ سيفَك البتّار، لتأخذَ منهم للسلمين بالثار، والثغور والحصون، فهى سرُّ المُلك المصون، وهى معاقلُ النفوس" اذا دارت رحى الحرب الزَّبون"(١)، فلتقلّد أمرَها لكُفاتها، وتحصّن حِماها بحُماتها، وتضاعف لمن بها أسبابَ قوّتها ومادّةَ أقواتها، وأمراء الإسلام، وجنود الإيمان، فهم أولياء نصرك، وحفَظةُ شامك ومصرك، وحزبُك الغالب، وفريقُك الذى تفْرَق منه قلوبُ العدوّ فى المشارق والمغارب، فليكن المقام العالى السلطانىُّ — نصره الله تعالى — لأحوالهم متفقّدا وببسطِ وجهِه لهم متودِّدا، حتى تتأكّدَ لمقامه العالى طاعتُهم، وتتجدّدَ لسلطانه العزيز (١١)
ضراعتُهم، وأما غير ذلك من المصالح فما برح تدبيرُه الجميلُ لها ينفّذ ورأيُه الأصيلُ بها يشير، ولايحتاج مع علمه بغوامضها الى إيضاحها «وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» واللهُ تعالى يخصّ دولتَه من العدل والإحسان بأوفر نصيب، ويمنح سلطانَه مايرجوه من النصر المعجّل والفتح القريب، بمنّه وكرمه .

وكتب تقليدا مظفّريّا للأمير سيف الدين سَلّار المنصورىّ بنيابة السلطنة الشريفة فى سنة ثمان وسبعمائة، وهو :

الحمد لله الذى شيّد ركنَ الإسلام بسيفه المنتضَى، وجدّد للمُلك مزيدَ التأييد بكافله الذى مابرح وفاؤه للملوك الأواخر والأوائل مرتضَى، وأنجزَ من وعوده الاتفاقُ والتوفيقُ ما كان من ذمّة الدهر مُقتضَى، جامع شملِ الأوامر والنواهى بتفويضها

(١) الزبون، من الزبن بفتح فسكون : وهو الدفع ومنه قيل : حرب زبون، لأنها تدفع الأبطال عن الإقدام خوف الموت .

الى مَن تبيت العدا مِن مهابته على جمر الغَضَى ، ومُنيلِ المنى بمواهبه التى تحوز موادَّ الاختيار وتجوز أمَدَ الرضا ، ومُلقِى مقاليدِ التدبير الى من أضحى جميلَ التأثير اذا تصرّف فى الرفع والخفض حكمُ القضا ، ومصرِّف أزِمّةِ الأمور فى يد من غدا ثابتَ العزَمات فى الأزَمات ، فما أظلمَ خطبٌ إلا انجلى بمصابيح آرائه وأضا ؛ نحمده على أن عضَـد دولتَنا بالكافل الكافى الذى اختاره الله لنا على عِلم ، ومنح أيّامَنا موالاةَ الولىّ الذى جُمِعت فيه خَلّتان يحبّهما اللهُ ورسولُه : وهما الأناةُ والحِلم ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مشرقةَ الأنوار ، مغـدقةً سحبُها بأنواء المِنَنِ الغزار ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بعثه الله لإقامة شـعائر الإيمان ، وخصّ ملّته فى الدنيا والآخرة باليمن والأمان ؛ صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أضحى بفضل السَّبْق للإيمان به صِدّيقَه وصَديقَه ، وأمسى لفرط الأُلفة أنيسَه فى الغار ورفيقَه ؛ ومنهم من ضافَرَه فى إظهار النبوّة ووازرَه[1] ، وظاهَرَه على إقامة منارها بإطفاء كل ثائرة وإخمادِ كلّ نائره[2] ؛ ومنهم من ساعد وساعف فى تجهيز جيش العُسره[3] ، وأحسَن وحسَّن مع إخوانه المؤمنين الصحبةَ والعشره ؛ ومنهم من كان سيفَه المـاضىَ الحدّ ، ومهنَّدَه الذى كم فَلّ بين يديه الجموع فمـا اعترَض إلا قطّ[4] ولا اعتَلى إلا قدّ ؛ وسـلَّم تسليما كثيرا ؛ أما بعد ، فان الله تعالى لمـا هنّأ لنا مواهبَ الظَّفَر ، وهيّأ لنا من الملك مَوادَّ إدراكِ المنى وبلوغ الوَطَر ، وأيدنا من أنصارنا بكلِّ ذى فعلٍ أبَرّ ووجهٍ أغَرّ ؛ وشدَّ أزْرَنا بمضافرة سيف يُزهَى المُلكُ بتقليدِه ، وأمَدّنا بمؤازرٍ تَتصرّف المنى والمنونُ

(١) وازره : أعانه وقوّاه ، والأصل آزره بالهمز ، وفى القاموس وشرحه مادة «أ ز ر» أن المؤازرة بالهمز أفصح ، وبالواو شاذ ؛ وقال الفراء : إنه عامىّ .

(٢) النائرة : اسم فاعل من نارت الفتنة تنور ، إذا وقعت وانتشرت .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١١٣ من هذا السفر .

(٤) القط : القطع .

بين وعده ووعيده ؛ وجب علينا أن نحوط دولتنا بمن لم تزل حقوقُ مودّته بحسن الثناء حقيقَه ، وعهودُ محبته فى ذمام الوفاء متمكّنةً وثيقَه ، وطريقتُه المثلى فى المحاسن والإحسان مشهورةً ولا نرى مثـلا لتلك الطريقه ؛ وتقلّد كفالةَ ممالكنا للولىّ الذى مابرح يتلقّى أمورَنا بفسيح صدرِه ، و يتوقّى حدوثَ كلّ مانكرهه فينهض فى دفعه بصائب رأيه وثاقبِ فكرِه ؛ وكان الجنابُ الكريمُ العـالى الأميرىُّ الكبيرىُّ العالمىُّ العادلىُّ الكافلىُّ المؤيّدىُّ الزعيمىُّ الغيـاثىُّ(١) المُسندىُّ الممهّدىُّ المثاغرىُّ المظفّرىُّ المنصورىُّ السّيفىُّ ، معزُّ الإسلام والمسلمين ، سيّدُ أمراء العالمين ؛ سندُ الممالك ، مدبّرُ الدُّوَل ، مقدّمُ العساكر ، أميرُ الجيوش ، كهفُ الله ، حصنُ الأمّة ، نُصرةُ الملوك والسلاطين ، (سَلَارُ المنصورىُّ) نائبُ السلطنة المعظّمة ، وكافلُ الممالك الاسلامية ، — أعز الله نصره — هو واسـطةَ عِقد الأوليـاء ، وسـيفَ الدولة الفاتكَ بالأعداء ، والذى أسلف فى نُصرة الإسـلام حقوقا غدت مرقومةً فى صحف الفخار ، واستأنف فى مصالح الأمّة المحمديّة تدبيرات أظهَر بها أسباب التأييد على الأعداء والآستظهار ؛ كم أصلح بيمن سياسته ذاتَ البَين ، وكم أبهج ببركة تأتّيـه(٢) وتأنّيه كلّ قلب وأقرّ كلّ عين ؛ وكم ساس من مُلك فأضحى ثابتَ الأساس ، وجعـل شعارَه دفعا للباس ونفعا للنـاس ؛ ما عوهـد إلا وأوفَى ، ولا عوند إلا وعَفّ وعفا ، ولا آستُشفِيَ فى طبّ (١٢) معضلة إلا وشَفَى ، ولا آستدرَك تدبيرُه فارطَ(٣) أمرٍ كان على شفا ؛ فما يومُه فى الفضل بواحد ، ولا أحد لمثل محاسـنه الجميلة بواجد ؛ لِعزماته فى مواقف الجهاد السوابقُ

---

(١) فى الأصل : «الغيانى» بالغاء والنون ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٢) التأتى للأمر : الترفق له والتلطف فيه .

(٣) الفـارط : الفائت ؛ يريد بهـذه العبارة وصفه بالحزم وأنه لا يترك الأمور ينفذ الخلل إليها ثم يستدركها بعد فواتها ، بل إنه يتوقى الخلل فيها بتدبيره قبل حصوله .

الغُرُّ المحجَّله، ولتدبيراته فى مصالح العباد والبلاد المنافعُ المعجَّلةُ والمؤجَّله ؛ وهو الذى خافت مَهابَتَه الكتائب، وأُمِّلَت مواهبُه الرغائب(١)، ولعبتْ(٢) سَطَواتُه للعـدا خيالا فى المراقدِ وخيلا فى المَراقب، وآمتَـطَى من الشهامة كاهلَها فأَحجَم عنه لمـا أقدم كلُّ مُحارِب، وصـدق مَن نعَتَه بالسيف ، فلو لم يُنعَت به لقيـل : هذا سيف يفتِك بالضَّريبة ولا تُفَلّ له مَضارب؛ وكم لقِىَ بصدره الألوفَ من التتار — خذلهم الله — والمنايا قد بلغتْ من النفوس المنى، وأمضَى سـيفَه فى الحروب وما شكا الضنى ؛ وحمل حملة فرّق بها كلّ شَملٍ للكفّار آجتمع، وقطع أعناق العداقى رضى الله تعالى ولا يُنكَر السيفُ إذا قطع؛ و وصل من العلياء إلى غايةٍ تُزاحِم الكواكبَ بالمناكب، وتفرَّد بأمر الجيـوش فاضحى بدرَ الكتائب وصـدرَ المواكب ؛ إذا جاش الجيشُ ثبت عنـد مشتجر الرماح ، وإذا أظلم ليـلُ النَّقع وَضَحت أسارِيرُ جبينِه وضـوحَ الصباح ، و إذا أقدم فى كتيبة "رأيتَ البرَّ بحرا من سلاح" واذا رُفعت راياتُه يوم الوغى كبّرَتْ بالظَّفَر على ألسنة الرماح، و إذا كان فى جحفلٍ كانت عزائمُهُ للقلب قلبا وصوارمُه جناحا للجناح ، و إذا قَدَر فى السِلم عفا لكنه فى الحرب قليلُ الصفح بيْنَ الصِّفاح؛ وهو الذى ما برحت أيدى آنتقامه تهدم من أهل الشرك العمائرَ والأعمار، و بروقُ سيوفه تَذهَب بالنفوس لا بالأبصار ، و يمنُ يمينه وصبحُ جبينه هذا يَستهِلّ بالأنواء وذا بالأنوار ؛ اقتضَى حسنُ الرأى الشريف أن نوفىَ حقـوقَ مودّته التى أسلفها لنا فى كل نُعمى و بُوسى ،وأن نضاعفَ علوَّ مكانه من أخوّتنا ليكون منا كهرون

(١) الرغائب : النفائس المرغوب فيها ، واحده رغيبة .

(٢) كذا ورد هـذا اللفظ فى الأصل ؛ يريد أن سطواته فى تشكلها للأعداء فى النوم بالخيال وفى اليقظة بالخيل تشـبه فعل اللاعب حين يتشكل للناظر بأشـكال مختلفة . أو لعله : « ولقبت » بالبناء للجهول أى سميت وعلى الأول فقوله : « خيلا » حال من سطوات وعلى الوجه الآخر فهو مفعول ثان ، و إنما لم يتعدّ اليه بالباء كما هو مقتضى اللغة لتضمنه معنى التسمية .

من موسى؛ فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى المولوىّ السلطانىّ الملكىّ المظفّرىّ الركنى — لا برح يوفى بعهود الأولياء و يفى، و يمنح من أخلص النيّة فى ولائه البرّ الخفىّ والفضل الحفى — أن تكون كلمة الجناب الكريم العالى الأميرىّ السيفىّ المشار إليه — أعزّ الله نصره — نافذةً فى كفالة الممالك الإسلاميّة، متحكّمةً فى نيابة السلطنة المعظّمة، وأوامره المطاعة فى إمرة الجيوش وحياطة الثغور التى غدت بدوام كفالته متبسّمة، على أجمل عوائده[1]، وأكمل قواعده، نيابةً ثابتةَ الأساس، ناميةَ الغراس، لا يضاهى فيها ولا يشارَك، ولا يخرج شىءٌ من أحوالها عن رأيه المبارك؛ فليبسُط نهيَه وأمرَه فى التدبير والإحكام، وليَضبط الممالكَ حتى لا تسامَى ولا تُسام، وليُطلع من آرائه فى سماء الملك نجوما بها فى المصالح يُهتدَى، وليَرفع من قواعده ما يخفض به قدرَ العدا؛ وليُضاعف ما ألِفته الأمّةُ من عدله، وليَجرِ على أكرم عاداته من نشر إنصافه وشمول فضله، وليعضّد جانب الشرع المطهَّر فى عَقده وحَلّه، وتحريمه وحِلّه؛ ولينفذ كلمتَه على ما هو من ديانته مألوف، وليَستكثر من الأقتداء بأحكامه فى النهى عن المنكر والأمر بالمعروف؛ وأمراء الإسلام وجنوده، فهم ودائعُ سرّه، وصنائعُ شكره، وطلائعُ نصره، وما منهم إلا من غُذِىَ بلبان[2] درّه، وغدا [من][3] ثناء[4] عصره متقلدا لعقود دُرّه؛ فليستدم حُنوّه عليهم و إشفاقَه، وليوال إليهم برّه و إرفادَه و إرفاقَه؛ والوصايا كثيرةٌ لكنها منه تُستملَى، والتنبيهاتُ على المصالح منه تستفاد نقلا وعقلا، وما زلنا نستضئ فى المهمّات بِمن آرائه التى جَمعتْ للصالح شملا؛ فمثله لا يُدَلّ على صواب وهو المتفرّد بالسداد، والخبيرُ بتفريج كُرَب الخطوب والسيوفُ

---

(١) كذا فى الأصل، وهو جمع عادة كافى المصباح، ولم نجده فى غيره من كتب اللغة التى بين أيدينا.

(٢) اللبان بالكسر: الرضاع، يقال: هو أخوه بلبان أمه، ولا يقال: بلبن أمه.

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل والسياق يقتضى اثباتها

(٤) فى الأصل: «ساء»؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى.

غامضةُ الجفون فى الأغماد ؛ والله تعالى يمتعنا من بركة كفالته بالخِلِّ المُوافِى(١) والأخ المواسِى، ويشدّ أزرَ سلطاننا من مضافرته بمن أمسى جبل الحُلوم(٢) الرواسى؛ إن شاء الله تعالى .

(١٣) ومن انشائه أيضا أعزه الله تعالى مقامة عملها فى سنة اثنتين وسبعمائة، على لسان من التمسها منه، فقال :

حَكَى أليفُ الغرام ، وحليفُ السَّقام، وقتيلُ العيون، وصريعُ الجفون ؛ وفريسةُ الأسود، والمصابُ بنبال الحَدَق السود؛ عن قصّتهِ فى هواه، وقضيّته التى كان فى أوّلها غِناه ، وفى آخرها عَناه(٣)؛ قال : لم أزل فى مدّة العمر أترقّب حبيبا أتلذّذ بحبِّه، وأتنعّم بقربِهِ ؛ وأحيا بانعطافِه، وأسكر من ريقه بسلافِه؛ وأستعذب العذابَ فيه ، وأرشُف خمر الرضاب مِن فيــه ، وأقتطِف ورد السرور من وجنتيه وأجتنيه ؛ وأكتسِى به لطفا، وأكتسِب بمصاحبته ظَرْفا ؛ حتى ظفِرتْ يداى بمن رَقّ وراق، ولطُفَتْ حدائقُ معانيه حتى كادت تخفى عن الأحداق

لطُفَتْ معانيه فهبّ مع الصَّبا * ورقيبُــه بهبوبه لا يعـــرِفُ

قد جمع أوصاف المحاسن والمعانى ، وفاق كلَّ مليح فليس له فى الحسن ثانى ؛ أما قوامُه ، فقــد ملك الفؤاد فأضحى مَلِكا عادلا ، وآستباح النفوسَ من آعتــداله فلا غرو إن أضحى لهـا قاتلا

(١) المواقى ، من وافى يوافى : وهو بمعنى وفى، يقـال : وفى له بالعهد يفى و وافى يوافى كلاهما بمعنى واحد انظر اللسان .

(٢) فى الأصل : «الحلقوم» والقاف زيادة من الناسخ . والحلوم، جمع حلم بالكسر : وهو الأناة وعدم الخفة . والرواسى : صفة للحلوم .

(٣) فى الأصل : «غناه» بالغين؛ وهو تصحيف .

عَجَبا لقــدّك ما ترنّح مائلا * إلا وقد سلب الغصونَ شمائلا

وأما لحاظُه فقد غَنِيتْ عن الكُحْل بالكَحَل، وأذابت حبّاتِ القلوبِ فى حُبّ تلك المقَــل

وإذا رأيتَ الطرف يعمل فى الحشا * عمــلَ الأسنّة فالقــوامُ مثقّفُ

إلى غير ذلك من وجه كالبدر فى تمامه، يعلوه مِن شعرِه مايصير به كالبدر تحت غمامه

قمر تبلّج وجهُــه فى حندسٍ * من شعره فأضاء منه الحندسُ

ومقبَلٍ أشهى من الراح، وأعطرَ من زهر الربا تفتّحت أكمامُه عند الصباح

ومقبّل عذب كأنّ * رضابَه بَرَدٌ وراح

وخدٍّ أمسى شقيقَ الشّقيق(١)، ومَبسِمٍ يُرشَف مِن شفاهه العقيقِ الرحيق

شــفة كمحمرّ العقيـ * ـق ومَبسِم مِثلُ الأقاح(٢)

وصُدْغٍ سال على خدّه القانى، وامتدّ كدمع محبّه الأسيرِ العانى

صبّ له دمعٌ كصُدغك سائلٌ * فعساك يا مُثْرِى الجمال تُواسى

وخصرٍ لَطُف ودَقّ، وعلاه كَثيبُ ردفٍ فأثقله حتى ضَنِيَ ورَقّ

يا ردفَه رفقا على خصره * بينكما حرمــةُ جيرانِ

الى غير ذلك مـن أنواع حسنٍ قصر عن وصفها قلمى، وعجز عن حصرها كَلِمى؛ وأشفقتُ من شرحها خوفا أن أَنِمّ عليــه، أو أذكر ما تفرّد به من الحسن فأكون

---

(١) يريد بالشقيق : شقائق النعمان، وهو زهر أحمر، وانما أضيف الى النعمان لأن النعمان بن المنذر حمى أرضا فكثر فيها هذا النبت؛ وقيل : النعمان اسم الدم، وشقائقه : قطعه، فشبهت حمرة هذه الزهرة بحمرة الدم .

(٢) الأقاحى بتخفيف الياء وتشديدها : جمع أقحوان، وهو من نبات الربيع، دقيق العيدان، له نور أبيض كأنه ثغر جارية حدثة السن؛ وهو المسمى بالبابونج والبابونك عند الفرس .

قد أشرتُ اليه ؛ وأنا قد تدرّعتُ ثوبَ الكتمان، وتستّرتُ حتى غاض منى الدمعُ وأغضى الطرفُ وسكت اللسان

يقولون من هذا الذى مُتَّ فى الهوى * به كلفا يا ربِّ لا علموا الذى

غيرَ أنّى قد متعت بذكر ملاحته فؤادى، ولا بدّ أن أُوردَها مجملةً لأَكْبِد[1] بلفظها[2] المُعادى

حكاه من الغصن الرطيبِ وَرِيقُه * وما الخمرُ إلاّ وجنتاه ورِيقُـه
هـلالٌ ولكن أفْقُ قلبى محلُّه * غزالٌ ولكن سفحُ عينى عقيقُه
بديعُ التثنّى راح قلبى أسيرَه * على أن دمعى فى الغرام طليقُه
أقرّ له من كل حسنٍ جليلُه * ووافقه من كل معنًى دقيقُه
من التُّرك لا يصبيه وجدٌ إلى الحِمى * ولا ذكرُ باناتِ الغُوَيْر[3] يشُوقُه
ولا حلَّ فى حىٍّ تلوح قبابُه * ولا ساق فى ركبٍ يساق وسيقُه[4]
ولا بات صبّاً للفُرَيق[5] وأهله * ولكن إلى خاقانَ يُعزَى فَرِيقُه
يهدّد منه الطرفُ من ليس خصمَه * ويُسكِر منه الريقُ من لا يذوقُه
على خدّه جمر من الحسن مضرَمٌ * يُشَبّ ولكن فى فؤادى حريقُه
له مَبسِمٌ يُنسِى المُدامَ بريقِه * ويُخجِل نُوّارَ الأقاحى بَرِيقُه

(١) فى الأصل : « لا لمد » ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٢) بلفظها : أى بذكرها ؛ فالمراد من اللفظ المصدر، أى التلفظ .

(٣) الغوير : ماء لكلب بأرض السماوة بين العراق والشام ؛ وقال أبو عبيد السكونىّ : إنه ماء بين العقبة والقاع فى طريق مكة .

(٤) كذا فى الأصل ؛ ولعل المراد بالوسيق : الموسوق ، فعيل بمعنى مفعول أى الذى حمل عليه الوسق بفتح الواو وهو الحمل .

(٥) فريق بالتصغير : اسم موضع بتهامة ، كما فى معجم البلدان والقاموس ، وهو فيهما غير معرّف بأداة التعريف .

قال الراوى : فأعلمتُه ما خامر قلبي من هواه ، و بذلتُ نفسى ٱبتغاءً لرضاه

بَثَثتُ له سرّى ونحن بروضـةٍ * فمـالت لتُصغِى لِلحديث غصونُ

فتلقّى ضراعتى بالرُّحْب والإقبال، وسَفَرَ عن وجه الرضا فبشّرتُ نفسى ببلوغ الآمال، وقلتُ (١) :

تذلّلتُ فى الشكوى إليه فرقّ لى * حُنوّا لدمعى فى الهـوى وتذلُّلِى
غزالٌ لبستُ السُّقمَ خلعةَ جفنه * على أننى فيـه خلعتُ تجمُّلى
تَعَلّلَ بالأعذار حتّى خدعتُـه * بسحر الرُّقَى أفديه مِن متعلّلِ (١٤)
فراقَبَ إغفاءَ الرقيب وهجعـةَ الـ * ـسمير وراعَى حينَ غفـلةِ عُذّلى
ووافى أخا الأشواق حلفَ صبابةٍ * أسـيرَ هوًى مِن وجدِه فى تململِ
فلم أر روضا كان أحسنَ بهجةً * ـ لعمرِ الهوى ـ من وجهه المتهلّلِ
فأعظمتُ مَسراه وقبّلتُ خاضعا * ثرى خَطوِه شكرا لفضل التطوّلِ

وٱنعطف علىّ ٱنعطافَ الغصن الرطيب ، وتمازجتْ قلوبُنـا حتى أشـكل علىّ أينا الحبيب (٢) ؛ وفزتُ منه ببديع جمـال تلذّ به النفوس، ورَشَفتُ من رضابه أحلى ما تَرشُفه الأفواهُ من شفاهِ الكؤوس

تَعلّقتُـه صائدا للقـلوب * بألحاظـه سالبـا للنُّهى
بديعَ الجمـال إذا ما بـدا * ترى فيه للعين مستنزَها (٣)
فكم فيـه للعين مِن روضةٍ * وكم فيه للنفس من مشتهى

(١) فى الأصل : « وقال » ؛ وما يأتى بعده من الشعر يقتضى ما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : « أتيا » ؛ وهو تصحيف .

(٣) قال المطرزى فى المغرب : الاستنزاه بمعنى التنزه غير مذكور إلا فى الأحاديث ا ه .

يا حسنَه لمّـا أتى بوعد وعلى غير وعد ، ويا لذاذةَ قربه ويا حرارةَ ما ذقناه بعدها من هجرٍ وصـدٍ؛ فلم نزل على ذلك مدّةً أَغفى الدهرُ عنّا فيهـا، أُقضّى حياةً طابت تلذّذا وترفيها

رعى الله محبوبا نعمتُ بوصلِه * وقد بعدتْ عنّا الغـداةَ عيونُ

حتى شعَّر بنـا الدهرُ الخؤون ، ورمانى بسهم فرقةٍ أبعدت ٱلمنى وجلبت ٱلمنون ؛ وعلم بمـا كتمناه الرقيب ، وعجز عن داء قلبي ٱلطبيب

لو كان للعشاق حظٌ فى الهوى * ما كان يُخلَق فى الزمان فـراقُ

فتجزعتُ بعد الشُّهد علقما ، ولَم أستطع أفتحُ[(١)] من الحزن فما ؛ وهمتُ فى ساحة الشوق والٱلتياح[(٢)]، وفضحتْنى الأدمعُ التى طال بها على المحبّين الٱفتضاح

لا جزى اللهُ دمعَ عيـنىّ خيرا * وجزى اللهُ كلَّ خيرٍ لسانى
نمّ دمـــعى فليس يكتم شيئا * ووجدتُ اللسـانَ ذا كتمانِ
كنتُ مثلَ الكتّاب أخفاه طىٌّ * فٱســتدلّوا عليه بالعُنـــوانِ

فاذا هو مُرُّ المَذاقِ ، وأمنع الدمعَ فيقول : وهل خبأتَنى لأعظمَ من يوم الفراق

أبَى الوجدُ أن يُخفيه قلبٌ متيّمٌ * يكابده والدمعُ يُبديه والضّنى

---

(١) يريد : أن أفتح ؛ فأن فى هذه العبارة محذوفة ، وقد أجاز الأخفش حذفها مع رفع الفعل بعدها وجعل منه قوله تعالى : (أفغير الله تأمرونى أعبد) الآية ، « وتسمع بالمعيـدىّ خير من أن تراه » برفع «أعبد» و «تسمع» وظاهر شرح التسهيل موافقته حيث قال فى قوله تعالى : (ومن آياته يريكم البرق) : أنّ «يريكم» صلة أن حذفت وبقى الفعل مرفوعا ، وهذا هو القياس ، لأن الحرف عامل ضعيف فحذفه يبطل عمـله اهـ . وأما حذف أن مع نصب الفعل بعدها فهو شاذّ عنـد البصريين فى غير المواضع المنصوص عليها فى كتب القواعد .

(٢) فى الأصل : « الأرتياح » بالراء؛ وهو تحريف إذ لم نجد له معنى يناسب السياق . والالتياح فى الأصل : شدة العطش من اللوح بفتح اللام ، والمراد هنا الهيام والعشق لشبههما بالعطش فى شدة الغليل .

وكم ذاب القلبُ حسره، وتفتّت ٱلكبدُ فى تلك الفتره؛ على خَلوة أبُثّ فيها حَزَنى، وأفْسَح فيها المجالَ الذى ضاق به عَطَنى؛ فلم أُظفَر بخَلوة فى لمحة بصر، ولا فزتُ بذكر كلمة أفرّج بها ما عرض من حَصَر

تعرّضتُ من شوق إليه فأعرضا * ولولا الهوى لم أمنح ٱلحبَّ مُبغِضا
وبُحتُ إليه أنّ عندى رياضةً[1] * عليه وما تلك الرِّياضةُ عن رضا
قَضى حبُّه أنّى إذا عزّ فى الهوى * أذِلّ وإنى قد رضِيتُ بما قضى
لقلبىَ من عينيه سُقمٌ وصحّةٌ * فكم مرّة فى الحبّ داوَى وأمرَضا
مضى لى به عيشٌ بكَيتُ لفقده * وهيهات أن يرتدّ عيشٌ إذا مضى

وبُلِيتُ[2] برقيب قد سلب ٱلله من قلبه الإيمان، وسلّطه علىّ بغلظ الطباع وفظاظة اللسان؛ كأنه شيطان لا بل هو بعينه، لكنّه أربى عليه فى بهتانه ومَينه؛ يُحاقّ[3] على الكلمة الواحده، ولا يسمح بأن طرفى يمتدّ إلى تلك ٱلمحاسن التى غدت القلوبُ بها واجده؛ يوَدّ لو غُطِّىَ على بصرى، ويبدلنى مَغيبى من مَحضَرى؛ لا يَفتُر عن اللّوم والعَذل، ولا يرى أن يقضىَ ساعاتِه إلّا فى بذل الحِيَل؛ يرغب فى شتات شملى، وانقطاع وصلى؛ وليس لى فى دفعه حيله، ولا فى الأنتقام منه وسيله؛ وما زال حتى أحال الحبيبَ عن ودادِه، وكدر ما صفا من حُسن ظنّه وٱعتقادِه؛ وأنا أُرَوِّض نفسا كادت تذوب، وأتسلّى بأيّام وصاله وأقول: لعلها ترجع وتؤوب

لئن ذقتُ مرَّ الصبر أو ملحَ أدمعى * لقد أعذبتْ تلك المَذاقاتُ مَنهلى

(١) يريد بالرياضة هنا: ملازمة هواه والاعراض عن كل ما سواه، أخذا من الرياضة عند العباد وأهل التصوّف.

(٢) فى الاصل: «وتلفت»؛ وهو تحريف.

(٣) يحاقّ، من المحاقة بتشديد القاف: وهى المخاصمة والمنازعة لاظهار الحق؛ وفى الأصل: «يحاقق» بقافين؛ وهو مما يجب فيه الإدغام.

فلم يقنع ٱلدهرُ لى بذلك ، ولا رضى بالصـدّ والعذل والهجر الذى هـو أعظمُ المهالك ؛ حتى قضى بالفرقة والبِعاد ، ورمتنى النوى بسهم فلم يخطئ ٱلفؤاد ؛ وكنتُ أتعلّل بالنظر ، وأقول : مشاهدةُ هـذا الوجه القمرىّ عنـدى أكبرُ وطر ؛ حتى (١٥) مُنِعتُ الوصالَ والمشاهده ، ونَدَبتُ قلبى القريحَ بأدمع عينى ٱلجامده

أحبابَ قلبى لقد قاسَيتُ بَعدكمُ * نوائبـا صيرّتنى فى الهوى مَثلا

وقد تعجّبتُ أنّى بعـد فرقتكم * أحيا وأيسرُ ما لاقيتُ(١) ما قَتَلا

وٱنقطعتْ عنّى الرسائل ، وذهبت لذاذةُ ما ٱعتدتُه من تلك الوسائل

هل مُخـبِرٌ عنكم يعيش بقربِه * ميتُ الرجا والصبرِ بعـد إياسِ

أحبابَنـا قسما بسـاعة وصلنا * لَمْ أَكتحِل من بَعدكم بنعاس

غبتم فعنـــدى بالفراق مآتمٌ * فمتى تعـود بعَودكم أعراسى .

وذَوَى غصنُ السرور بعـد أن كان رطيبا ، وفقدت لنـداء أملى مجيبا ؛ وأغلقتُ بابَ الدَّعه ، وأسبلتُ هواطلَ أدمعى قائلا للأجفان : لا تخشَىْ فأنت منفقة من سَعه ؛ ولولا التعلُّلُ بالذكرى ، والتأمّلُ(٢) فى حسنه(٣) الذى تَشكّل فى مرآة القلب فَسَرَّ سِرّا ؛ لقلت :

كأنّك قـد خَتمتَ علىٰ ضميرى * فغـيرُك لا يمر على لسـانى

ولى عينٌ تراك وأنت تَنـآى * كما ترنو إليـك وأنت دانى

وأقربُ ما يكون هـواك منّى * إذا ما غاب شخصُك عن عِيانى .

---

(١) فى ديوان أبى الطيب المتنبى (ما قاسيت) والمعنى يستقيم عليه أيضا ؛ وهذا صدر بيت له من قصيدة يمدح بهـا سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابى المنبجى ؛ وتمـام البيت :

* والبين جار على ضعفى وما عدلا *

(٢) فى الأصل : « والتأمن » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : « بحسنه » بالباء ؛ وهو تحريف .

شَغلتَ عن الورى بصرى وسمعى * كأنهما بحبِّك مفردان
فهأنا لا أعاين ما بدا لى * سواك ولا أُصِيخ لمن دعانى

ثم إنّى فارقتُ الحياه، وبذلتُها راغبا فى هواه ؛ ولم أزل كذلك الى أن ظهرت آثار قربه ، وسَرَى النسيمُ عِطرا فعلمتُ قربَ ركبِه

وأذكرنى ذاك الصَّبا[1] زمنَ الصِّبا * وما التشوقُ إلا ما تجدَّدَ بالذكرِ

فكاد قلبى يطير للقائه ، ولولا تستُّره بحُجب الفؤاد لخرج من قوة برحائه ؛ وتذكرتُ كيف يكون اللقاءُ والاجتماع ، والرقباءُ قد أزمعوا على المنع والدِّفاع ، وقلتُ : فارقنى على غير رضا ، وجفانى من غير ذنب ، ونآى عنّى من غير وداع ؛ وهأنا فى غيابه وحضورِه ، وسخطه وسرورِه ، لا أَحُول عن ودِّه ، ولا أرى إلا الوفاء بعهدِه

هيهات ما وجدى عليك بزائل * فإلام يُطنِب فى الملامة عاذلى
ناشدتك العهدَ القديمَ ويومَنا * بلوى الصَّريم وبانه المتمايِل[2]
هل تعلمنّ سوى هواك وسيلةً * تدنى رضاك وقد جهلتُ وسائلى
أدنيتَنى حتى إذا تيمتَنى * بمحاسنٍ ومعاطفٍ[3] وشمائلِ
وبحسنِ وجهٍ لو تجلَّى فى الدجى * سجد الصباحُ لضوئه المتكاملِ
ونواظرٍ سحّارةٍ بجفونها * فضلُ الصناعة[4] لا لساكنِ بابلِ[5]

(١) الصبا بالفتح : ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش ؛ قاله ابن الاعرابى ، وتثنيتها صبوان وصبيان ؛ وهى مؤنثة ، وإنما أراد هنا النسيم فأوردها بالتذكير .

(٢) عبارة الاصل : « وبانة المتمائل » وهو تحريف .

(٣) أراد بالمعاطف : مواضع الانثناء من البدن كالخاصرتين والجيد جمع معطف بفتح الميم وكسر الطاء كما هو قياس اشتقاق اسم المكان من الفعل المكسور العين فى المضارع .

(٤) يريد : صناعة السحر .

(٥) بابل : اسم ناحية منها الكوفة والحلة ينسب إليها السحر والخمر .

ووقعتَ من قلبي بودٍّ قد جرى * مَجْرَى دمى بجوانحى ومفاصلى (١)
قاطعتنى وسمعتَ قول حواسدى * وصرمتَ من بعد الوصال حبائلى (٢)
ولرب ليـــل بتُّ فيــه مسهّدا * فردا أسامر لوعتى وبلابلى
أطوى على حرّ الغرام أضالعا * يُطوَين فيــه (٣) على قداح (٤) النابل (٥)

وها أنا أترقّب وصلَه ، وأتوقّع عدلَه .

أتراه من جَور الصبابة ينصفُ * ويرقّ للعــانى عليه ويَعطفُ
صبٌّ يرى السُّلوانَ عنه محرَّما * فــله إليـــه تولّهٌ وتلهّفُ
يا أهـــل كاظمةٍ (٦) وحقِّ هواكمُ * قسما بكم وبغـــيركم لا يُحلَفُ
مشتاقُكم ألِفَ الصــبابة فيكمُ * فكــأنه لســواكمُ لا يَعرفُ
فعــدوه منكم بالوصـــال تَعلّةً * ولكمْ بأن تعِدوا الوصال ولا تفوا
وحياتَكم (٧) يرعاكــمُ فى بُعــدكم * ولقربِكم فى بُعـــدكم يَتشوّفُ (٨)

---

(١) فى الأصل : « حوى » ؛ وهو تحريف .

(٢) الحبائل : الأسباب والعهود واحده حبال جمع حبل ، فحبائل جمع الجمع اللسان .

(٣) لعله « منه » أى من الغرام .

(٤) المراد بالقداح هنا السهام على طريق التجوّز فى استعمال اللفظ ، فان القـــداح فى الأصل : هى السهام قبل أن تراش وتركب فيهـا النصال ، واحده قدح بكسر القاف وسكــون الدال ، فاستعمالها فى السهام ذات النصال مجاز مرسل باعتبار شأنها الأول .

(٥) النابل : الرامى بالنبل ؛ والذى فى الأصل : « البابل » بالباء فى أوله ؛ وهو تصحيف اذ لم نجد له معنى يناسب السياق .

(٦) كاظمة : جوّ على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان ، وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها .

(٧) نصب هذا اللفظ على الظرفية ، أى أنه يرعاكم ويتشوف لقربكم ما حييتم ؛ ولا يجوز الإعراب بالكسر على القسم لأن الفعل بعده لا يصلح أن يجعل جوابا له لعدم تأكيده باللام والنون .

(٨) عبارة الأصل : « ولبعدكم فى قربكم » وفيها تقديم وتأخير مفسدان للمعنى .

وليس لى ما أمُتّ به إلا صِدقُ الغرام، والإقدامُ فى حبّه[١] على ارتكاب[٢] الحِمام

جدِّدْ عهودَ تواصُلٍ وتَلاقِ * وٱستبقِ لى رمقًا فليس بباقِ (١٦)

وٱشفَع إلى مارقٍ من تَرَفِ الصِّبا * من وجنتيك برقّةِ الأخلاقِ

ما حقُّ ذى قلبٍ صفا لك ودُّه * تقطيعُه بقطيعةٍ وفراقِ

معاذ وذا كيف استهنتَ فكن أنا الـ * ـموثوقُ[٣] بى مولاى فى الميثاقِ

قال الراوى : فسمع شكواى وما أشكَى[٤]، وقابل رقّتى بجفوة بها القلبَ أنكَى[٥] والطرفَ أبكَى، ولفق أعذارا، وأقسمتُ عليه أن يزُور فلم يرِ لقسمى إبرارا

هـذا ما ٱتّفق إيرادُه من كلامه — أدام الله علوّه — فى هـذا الموضع ، وسنورد إن شـاء الله من كلامه أيضا ما نقف عليـه فى آخر فن الحيوان فى السفر الذى يليه إن شاء الله تعالى .

## ذكر شيء من إنشاء ٱلمولى الفاضل الصدرِ الكبيرِ الكامل، البارعِ الأصيل، الأوحدِ النبيل، تاجِ الدين عبد الباقى بنِ عبد المجيد اليمانى

هو الذى أتقن صـناعة الأدب فى غرّة شـبابِه ، وبرّز على من ٱكتهـل فى طلبِها وشابَ فى الترقّى الى رتبِها، فما ظنُّك بأترابِه، وجارَى[٦] ذوى الفضل فى الأقطار[٧] اليمنيّة

(١) فى الأصل : « فى جنة » بالجيم والنون ؛ وهو تصحيف .

(٢) يقال : ركبه وارتكبه، كلاهما بمعنى واحد .

(٣) كذا فى الأصل . وقوله : «أنا الموثوق بى» خبر لقوله : «كن» واسمها ضمير مستتر، أى كن أنت، والعائد مقدّر فى جملة الخبر؛ أى أنا الموثوق بى منك .

(٤) يقال : أشكى فلان فلانا ، إذا أزال شكواه، فالهمزة للسلب .

(٥) كذا ورد هذا الفعـل فى الأصل بالألف فى أوّله ، والذى وقفنا عليه أنه يقال : نكأ القرحة بدون الألف فى أوّله إذا قشرها بعد البرء وأنظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٨ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : « وجاذى» بالذال؛ وهو تحريف .

(٧) عبارة الأصل : « بل فى الأقطار » ؛ وقوله : بل زيادة من الناسخ .

فطلع مُجَلِّيَ[1] الحَلْبة ، وبارَى نجباءَ الأفاضل بالمملكة التَّعزِّيَة[2] وكان المُؤَمَّلَ[3] منهم بالنسبة إليه أرفعَهم رتبــه ، وسما إلى سماء البـلاغة فكان نجمَها الزاهر ، وآرتَقى إلى أفلاك البراعة فكان نيِّرَها الباهر ، ورام مَن سواه الآرتقاءَ إلى محلّه والمنـاوأةَ[4] لفضله فغدا وهو فى ذيول حَيرته عاثر ؛ فعنـد ذلك علمـوا عجزَهم عن إدراك غاياته ، واعترفوا بالتقصير عن مجاراته ومباراته ؛ وحين لم يجد لفضله مُجاريا ، ولاعاين لفضائله مُباريا ، صار بها كالغريب وإن كان فى أهله ووطنه ، والفريد[5] مع كثرة أبنائه وإخوان زمنه ؛ فسمتْ[6] به نفسُه إلى طلب العـلوم من مَظانِّها ، والآحتواء عليها فى إبّانها ؛ والّلحاق بأعيان أهلِها ، والآختلاطِ بمن آرتدى بأردية فضلِها ؛ ورؤيةِ من توشَّح بقلائدها ، وترشَّح لبذلِ فوائدِها ونظمِ فرائدِها ؛ ففارق الأقطارَ اليمنيةَ وهى تسأله التأنّى ، وتَبذُل لرضاه الرغبــةَ والتمنّى ؛ وهو لا يجيب مناديَها ولا يعرِّج على ناديها ، ولا يميــل الى حاضرها ولا ينظر الى باديها ؛ وصَرف وجهَه عنها ، ونفض يدَه منها ؛ وآلتحق[7] بالديار

---

(١) المجلى من الخيل : السـابق فى الحلبة .

(٢) فى الأصل : « الثغرية » بثاء مثلثة بعدها غين معجمة وراء ؛ وهو تصحيف إذ لم نجـد وجها لتخصيص اليمن بهذه النسبة . والتعزية : نسبة إلى تعز بفتح التاء وكسر العين وتشديد الزاى وهى قاعدة اليمن كما فى القاموس ؛ وقال فى التاج : انها مدينــة عظيمة ذات اسوار وقصور ، كانت دار ملك بنى أيوب ثم بنى رسول من بعدهم اهـ . وقال أيضا فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٨ نقلا عن كتاب تقويم البـلدان : إنهـا مقرّ ملوك اليمن يعنى من أولاد رســول . ثم قال : وهى حصن فى الجبال مطــل على التهائم وأراضى زبيد الخ .

(٣) المؤمل بتشديد الميم المفتوحة : الثامن من خيل الحلبة .

(٤) المناوأة بالهمز والنواء بكسر النون : المفاخرة والمعارضة .

(٥) فى الأصل : « والقرير » ؛ وهو تحريف .

(٦) فى الأصل : « فنمت » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٧) قولهم . التحق به بمعنى لحق كلمة مولدة ؛ قال الصاغانى : لم أجده فيما دوّن من كتب اللغة فليجتنب ذلك انظر تاج العروس مادة «لحق» .

المصريّه، وآنبتّ [(١)] فى طلب العلوم بأجمل سريرةٍ وأحسنِ سيرةٍ وأخلصِ نيّه؛ فبلغ فيها [(٢)] مناه، وأدرك بها ما تمنّاه؛ وغدا وثغرُ فصاحته بالعلوم أشنَب، وبُرْدُ بلاغته بالآداب مُذْهَب

تَتَـاهَى علاءً والشَّـبابُ رداؤه * فما ظنُّكم بالفضل والرأسُ أشْيَبُ

ولمـا عاينه أعيانُ أهلِ هــذا الوادى، وشاهدوه يُبكّر فى طلب العـلوم ويُغادى؛ تلقّوه بالإكرام والترحيب، وقابلوه بالتبجيل والتقريب، وأنزلوه بالمحلّ الأرفعِ والفِناءِ الخصيب؛ وعاملوه بمحض الوداد، وساواه شـبابُهم بالإخْوة ومشايخُهم بالأولاد؛ وخلطوه بالنفس والمـال، وظهر له فى آبتداء أمرِه بقرائن الأحوال حسنُ المآل؛ فأصبح من عُدول المصر، وأمسى وهو من أعيان العصر؛ فشكر عاقبــةَ مَسيرِه وحَمِد صباحَ سُراه، وأجابه لسانُ الفضائل بالتَّلبيةِ لمَـّا دعاه؛ ثم آرتحل الى الشام فجعـل دِمَشقَ مَقَرَّ وطنِه، وموطنَ سَكنِه، ومحلَّ آستفادته وإفادته، ونهايةَ رحلته وغايةَ إرادته؛ فعامله أهلُها بفوق [(٣)] ما فى نفســه، فحمد يومَه بها على أمسِه؛ وغدا لأهل المصرَين شاكرا، ولمناقبهم تاليا ولمحاسنِهم ذاكرا؛ وله من النظم ما رقّت حواشـيه، وراقت معانيــه؛ ومن النثر ما عَذُب وصَفا، وكَمُل بلاغةً ولطفا؛ وحسُن إعجازا، وتناسَب صدورا وأعجازا؛ وقد قدّمنا من كلامه فى هذا الكتاب ما بآسمه ترجمناه، ولفضائله نسبناه؛ ممـا تقف عليه فى مواضعه، وتغتذى بلِبان مَراضعه؛ فانورد له

---

(١) انبت : انقطع، أى انقطع عن الشواغل فى طلب العلوم .

(٢) فى الأصل : «بها»، وهو مكرر مع ما بعده فى الجملة الآتية .

(٣) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل مجرورا بالباء والذى فى كتب القواعد أن «فوق» و «تحت» من الظروف غير المتصرفة فجرهما بالباء كما هنا غير سائغ . وأجاز بعض النحويين تصرفهما فى نحو فوقك رأسك وتحتك رجلاك برفع فوق وتحت على الابتداء، والذى حكاه الأخفش عن العرب فى هذا المثال هو نصبهما .

فى هــذا الباب غيرَ ما تقدّم إيرادُه وما تأخّر، ونأخذ لتصنيفنا من بلاغته بالنصيب الأَوْفَى والحظّ الأَوْفَر .

(١٧) فمن إنشائه كتاب عن الخليفة المستكفى بالله أميرِ المؤمنين أبي الربيع سليمان لِمَلِكِ[١] اليمن — عمِلَه تجربةً لخاطره عند ما وُسِم بمكاتبته، ابتدأه بأن قال :

أما بعد حمد الله مانِحِ القلوبِ السليمةِ هداها، ومرشدِ العقولِ إلى أمرِ معادها ومبتداها؛ وموفِّقِ من آختاره الى مَحَجّة صوابٍ لا يضِلّ سالكُها، ولا تُظلِم عند اختلاف الأمور العظام مسالكُها؛ وملهِمِ من آصطفاه آقتفاءَ آثارِ السنن النبويّه، والعملَ بموجب القواعد الشرعيّه؛ والانتظامَ فى سلك من طوّقته الخلافةُ عقودَها، وأفاضت على سُدّته الجليلةِ بُرودَها؛ وملّكته أقاصيَ البلاد، وناطت بأحكامه السديدةِ أمورَ العباد؛ وسارت تحت خوافق أعلامه أعلامُ الملوك الأكاسره، وسِرت[٢] بأحكامه النيّرةِ مناجحُ الدنيا ومصالحُ الآخره؛ وتَجتَر[٣] كلُّ منبر من ذكرِه فى ثوبٍ من السيادة مُعْلَم، وتهلّلت من ألقابه الشريفةِ أساريرُ كلِّ دينار ودرهم؛ يحمده أميرُ المؤمنين على أن جعل أمورَ الخلافة ببني العباس مَنُوطه، وجعلَها كلمةً باقيةً فى عَقِبِه الى يوم

(١) فى صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٢ أن المكتوب اليه بهــذه الرسالة هو الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن الملك المظفر صلاح الدين يوسف بن رسول، وان هذه الرسالة كتبت فى دولة الملك الناصر محمد ابن قلاوون فى سنة سبع وسبعمائة، وذلك حين منع صاحب اليمن الهدية التى جرت العادة بارسالها الى الأبواب الشريفة بالديار المصرية .

(٢) فى الأصــل : «وسدّت» بالدال؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه وصف الأحكام بالنيرة؛ وعبارة صــبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٢ : «وشيدت بأحكامه مناجح» الخ دون كلمة «النيرة» والمعنى يستقيم عليها أيضا .

(٣) كذا فى صبح الأعشى؛ وقد وردت هــذه الكلمة فى الأصل مهملة من النقط .

القيامة محوطه؛ ويصلّى على ابن عمه محمدٍ الذى أخمد الله بمبعثه ما ثار من الفتن، وأطفأ برسالته ما اضطرم من نار الإحَن؛ صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين حَمَوا حِمى الخلافة فذادوا عن مواردِها، وتجهّزوا(١) لتشييد المعالم الدينيّة فأقاموها على قواعدِها؛ صلاةً دائمةَ الغدوِّ والرواح، متصلا أوّلُها بطرّة الليل وآخرُها بجبين الصباح؛ هذا وإن الدين الذى فرض الله على الكافّة الانضمامَ الى شعبه، وأطلع فيه شموسَ هداية تشرق من مشرقه ولا تغرُب فى غربِه؛ جعل الله حُكمَه بأمرنا منُوطا، وفى سلك أحكامنا مخروطا(٢)؛ وقلّدَنا من أمر الخلافة سيفا طال نجادُه، وكثُر أعوانُه وأنجادُه(٣)؛ وفوّض إلينا أمرَ الممالك الإسلاميّة فإلى حرمِنا تُجْبَى ثمراتُها، ويُرفَع الى ديواننا العزيز نفيُها وإثباتُها؛ يخلُف الأسدُ إن مضى فى غابه شبلَه، ويُلْفَى فى الخُبْر والخِبر مثلَه؛ ولما أفاض الله علينا حلّةَ الخلافة، وجعل حرمَنا الشريفَ محلَّ الرحمة والرافه؛ وأقعَدَنا على سُدّة خلافة طالما أشرقَتْ بالخلائف من آبائنا، وابتهجتْ بالسادة الغطاريف(٤) من أسلافِنا؛ وألبسَنا خلعةً هى من سواد السؤدُد مصبوغه، ومن

---

(١) كذا فى الأصل؛ والذى فى صبح الأعشى: «وعمدوا»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين والتجهز للأمر: التهيؤ له.

(٢) قال فى مستدرك (التاج) مادة «خرط» نقلا عن شيخه مانصه: استعمل الناس كثيرا الانخراط بمعنى الانتظام والدخول، كانخرط فى السلك اذا انتظم فيه وقد وقع فى كلام الفصحاء الثقات من علماء اللسان كالسكاكىّ والزمخشرى وأضرابهما، ولا يكاد يوجد فى كلام العرب ونصوص أهل اللغة ما يؤيده ثم رأيت الشهاب وقع له مثل هذا، ولكنه رحمه الله وقع فى جامع اللغة لابن عباد على قولهم: خرطت الجواهر، جمعتها فى الخريطة؛ قال: فعلمت أنهم تجوّزوا به عن جعلها فى العقد الخ.

(٣) الأنجاد: الشجعان الماضون فيما يعجز غيرهم، واحده: «نجد» بفتح النون مع كسر الجيم وضمها وزان كتف ورجل.

(٤) فى الأصل: «العصاريف» بالعين والصاد؛ وهو تصحيف؛ والغطاريف من الناس: أشرافهم وسراتهم.

سوادِ العيون وسُوَيداواتِ القلوب مَصُوغه ؛ وأمضَينا على سُدّتنا أمورَ الخاصّ والعامّ، وقلّدنا أربابَ الكفاية كلَّ إقليم من عملنا ممن تَصلُح سياستُه على الدوام، واستكفَينا بالكُفاة من عمّالنا على أعمالنا، واتخذنا مصرَ دارَ مُقامنا، وبها سُدّة مقامنا لما كانت فى هذا العصر قبّةَ الإسلام، وفَيئةَ[1] الإمام، وثانيةَ دارِ السلام؛ تَعيّن علينا أن نتصفّح جرائد عمّالنا، ونتأمّل نظامَ أعمالنا، مكانا فمكانا، وزمانا فزمانا؛ فتصفّحناها فوجدنا[2] قطرَ اليمن، خاليا من ولايتنا فى هذا الزمن، والعادةُ مستمرّةٌ بأن لم تزل نوّابُنا فى بلاد اليمن؛ عرّفنا[3] هذا الأمرَ من اتخذناه للممالك الإسلاميّة عينا وقلبا، وصدرا ولبّا؛ وفوّضنا اليه أمرَ الممالك الاسلامية فقام فيها قياما أقعد الأضداد، وأحسن فى ترتيب ممالكنا نهايةَ الإصدار وغايةَ الإيراد؛ وهو السلطان الأجلّ السيّدُ الملكُ الناصر، لا زالت أسبابُ المصالح على يديه جاريه، وسحائبُ الإحسان من أُفق راحته ساريه؛ فلم يُعِدَّ جوابا لما رسمناه، ولا عذرا عما ذكرناه؛ إلا تجهيزَ شِرْذِمَةٍ من جحافله المنصوره، وتعيينَ أناس من فوارسه المذكوره؛ يقتحمون الأهوال، ولا يعبأون

---

(١) وفيئة الامام : أى محل فيئته ؛ والفيئة : الرجوع كالفئ من فاء يفئ، اذا رجع ؛ يريد أن مصر هى التى رجعت اليها الامامة العباسية ؛ وكان ذلك بعد سقوط بغداد فى يد هولاكو ملك التتار فى سنة ست وخمسين وستمائة كما فى تاريخ أبى الفداء ج ٣ ص ٢٠٢ طبع القسطنطينية ؛ وكان رجوع الامامة العباسية ثانيا فى سنة تسع وخمسين وستمائة على يد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس — وهو الرابع من ملوك الترك بالديار المصرية — وكان أوّل خليفة بايعه الملك الظاهر هو الامام أحمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله، ولقب بالمستنصر بالله ؛ ولم يقم بمصر ؛ والذى أقام بها هو الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن على بن أبى بكر ابن الخليفة المسترشد بايعه الملك الظاهر أيضا فى سنة ستين وستمائة وأسكنه فى مناظر الكبش التى أنشأها الأمير أحمد بن طولون ؛ والحاكم بأمر الله هذا هو جدّ الخلفاء الذين تولوا الخلافة بمصر انظر بدائع الزهور لابن إياس فى حوادث سنتى تسع وخمسين وستمائة وستين وستمائة .

(٢) فى الأصل : «فوجدناها» ؛ والهاء زيادة من الناسخ .

(٣) لم ترد هذه الجملة فى صبح الأعشى .

بتغيّرات الأحوال؛ يَرون الموتَ مغنما إن صادفوه، وشَبا المُرهَف مكسبا إن صالحوه؛ لا يشربون سوى الدماء مدامَه، ولا يلبسون غيرَ التَّرائك(١) عمامه؛ ولا يَعرِفون طربا إلا ما أَصدَره صَليلُ الحسام من غِنا(٢)، ولا يترلون قفرا إلا وأنبَت ساعةَ نزولهم عن صَهوات خيلهم قَنا؛ ولما وثقنا منه بإنفاذهم راجَعْنا رأينا الشريف فاقتضى أن نكاتب مَن بَسَط يدَه فى ممالكِها، ومَلَك جميعَ مسالكِها؛ واتخذ أهلَها خَوَلا، وأبدَى فى خلال ديارها مِن عدم سياسته خَلَلا؛ فبرز مرسومُنا الشريفُ النبوىُّ أن نكاتب من قعد على تخت مملكتها، وتصرَّف فى جميع أمور دولتها؛ فطُولع بأنه ولدُ السلطان الملكِ المظفرِ يوسفَ بنِ عمر الذى له شُبهةُ(٣) تمسُّك بأذيال (١٨)
المواقف المستعصمية(٤)، وهو مستصحِبُ الحالِ على زعمِه، أو ما علم الفرقَ بين الأحياء والأموات؟ أو ما تحقَّق الحالَ بين النفى والإثبات؟ أصدرناها إلى الرِّحاب التَّعزِّيه(٥)، والمعالِم اليمنيّه؛ تُشعِر من تَولّى فيها فاستبدّ، وتَولّى كبره فلم يعرِّج على أحد؛ أنّ أمر اليمن ما برحتْ حكّامُنا ونوابُنا تحكم فيه بالولاية الصحيحه، والتفويضاتِ التى هى غيرُ جريحه(٦)؛ وما زالت تَحمِل إلى بيت المال المعمورِ ما تمشى به الجمالُ وئيدا(٧)، وتَقذِفه بطونُ الجوارى(٨) الى ظهور

(١) الترائك جمع تريكة، وهى بيضة الحديد التى تلبس على الرأس فى الحرب.

(٢) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصل وصبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٤.

(٣) كذا فى صبح الأعشى؛ والذى فى الأصل: «سهه» بسين مهملة وهاءين؛ وهو تحريف لا معنى له.

(٤) المستعصمية: نسبة إلى المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين ببغداد، وهو الذى قتله هولاكو ملك التتار فى سنة ست وخمسين وستمائة.

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٥٠ من هذا السفر.

(٦) فى الأصل: «صريحة» وهو تحريف يفسد المعنى؛ والتصويب عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٤

(٧) مشى مشيا وئيدا، أى على تؤدة وتأن؛ يريد أن ثقل ما تحمله هذه الجمال قلل من خطوها.

(٨) أراد بالجوارى: السفن.

اليَعْمَلات[1] وليـدا ، وتُطالعُنا بأمر مصالحه ومفاسِده ، وبمجال معاهده ومقاصِده[2] ؛ ولك أُسوةٌ بوالدك السلطان الملكِ المظفَّر ، هلّا آقتفيتَ ما سـنّه من آثاره ، ونقلتَ ما دوّنتْه أيدى الزمن من أخبـارِه ؛ واتصل بمواقفنا الشريفة أمورٌ صدرت منك : منهـا[3] — وهى العظمى التى تَرتَّب عليها ما تَرتَّب — قطعُ الميرة عن البيت الحرام ، وقد علمتَ أنه وادٍ غيرُ ذى زرع ، ولا يحـلّ لأحدٍ أن يَتطرّق إليه بمنع ؛ وكفتك الآيةُ[4] دليلا على ما صنعت ، و برهانا على ما فعلت ؛ ومنها آنصبابُك[5] على تفريغ مال بيت المـال فى شراءِ[6] لهوِ الحديث ، ونقضُ العهود القديمة بما تبديه من حديث ؛ ومنها تعطيلُ أجيـاد المنابر من عقود آسمِنا ، وخلوُّ تلك الأماكن من أمرٍ عقـدنا وحَلّنا ؛ ولو أوضحنا لك ما آتصل بنـا من أمرك لطال ، ولا آتسعتْ فيـه [دائرة][7] المقال ؛ رسمنا بهـا والسيفُ يَوَدّ لو سبق القلمَ حدُّه ، والعَلَمُ المنصور يحب لو فات القلمَ وآهتزَّ بتلك الروابى قدُّه ، والكتائبُ المنصورةُ تختار لو بَدَرتْ[8] عُنوانَ الكتاب و [أهـلُ][9] العزم والحـزم يَوَدّون اليك إعمـالَ الرِّكاب ، والجـوارى المنشآتُ قد

(١) اليعملات : جمع يعملة ، وهى الناقة النجيبـة المعتملة المطبوعة على العمل ؛ ولا يوصف به ، وإنمـا هو اسم ، والياء فيه زائدة .

(٢) عبارة صبح الأعشى : « و بمجال دياره ومعاهده » .

(٣) فى الأصل : « بها » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٤) يريد بالآية قوله تعالى حكاية عن سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله تعالى عليه : (ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع) الخ الآية .

(٥) يقال : انصب البازى على الصيد اذا انقض عليه ، وما هنا مستعار منه .

(٦) فى الاصل : «فى سرى» ؛ وهو تحريف .

(٧) لم ترد هذه الكلمة فى الاصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٥ .

(٨) « لو بدرت عنوان » الخ أى لو سبقته إلى حربك ؛ يقال : بدرت فلانا إلى الأمر و بادرته ، اذا سابقته اليه .

(٩) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى اذ بها يستقيم الكلام .

تكونت من ليل ونهار، وبرزت كصور الفيلة (١) لكنها على وجه الماء كالأطيار، وما عمدنا (٢) الى مكاتبتك إلا للإنذار، وما جنحنا لمخاطبتك الا للإعذار؛ فأقلع عما أنت بصدده من الخيلاء والإعجاب، وانتظم فى سلك من استخلفناه على أعمالنا فأخذ بيمينه ما أعطى من كتاب؛ وصن بالطاعة نفوس من زعمت أنهم مقيمون تحت لواء علمك، ومنتظمون فى سلك أوامر كلمك، وداخلون تحت طاعة قلمك؛ فلسنا نشن الغارات على من نطق بالشهادتين لسانه وقلبه، وامتثل أوامر الله المطاعة عقله ولبه؛ ودان الله (٣) بما يجب من الديانه، وتقلد عقود الصلاح والتحف بمطارف (٤) الأمانه؛ ولسنا ممن يأمر بتجريد سيف الا على من علمنا أنه خرج عن طاعتنا، ورفض كتاب الله ونزع عن مبايعتنا؛ [فأصدرنا] (٥) مرسومنا هذا اليه يقص عليه من أنباء حلمنا ما أطال مدة دولته، وشيد قواعد صولته؛ ويستدعى منه رسولا إلى مواقفنا الشريفه، ورحاب ممالكنا المنيفه؛ لينوب عنه فى قبول الولاية مناب نفسه، وليجنى بعد ذلك ثمار شفقاتنا إن غرس شجر طاعتنا ومن سعادة المرء أن يجنى ثمار غرسه؛ بعد أن يصحبه من ذخائر الأموال ما كثر قيمة وخف حملا، وتغالى (٦) فى القيمة (٧) رتبة وحسن مثلا؛ واشرط على نفسك فى كل

(١) فى الأصل وصبح الأعشى: «الافيلة»؛ ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من كتب اللغة، وأنكره ابن السكيت.

(٢) فى الأصل: «عهدنا» بالهاء؛ وهو تحريف.

(٣) دان الله: أى أطاعه، يقال: دنته ودنت له: وهو من الدين بمعنى الطاعة (انظر اللسان)، وقال فى الأساس: دانوه، أى انقادوا له.

(٤) هذه الباء ساقطة من الأصل وصبح الأعشى؛ واللغة تقتضى إثباتها.

(٥) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل، وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٥ اذ بها يستقيم الكلام.

(٦) تغالى: ارتفع وفى المحكم: كل ما ارتفع فقد غلا وتغالى انظر تاج العروس. والذى فى صبح الأعشى: «وتعالى» بالعين المهملة؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

(٧) عبارة صبح الأعشى: «وتعالى رتبة» الخ بدون قوله: «فى القيمة» والمعنى يستقيم عليه أيضا.

ســنة قطيعةً[1] ترفعها الى بيت المــال، وإيّاك ثم إيّاك أن تكون عن هذا الأمر ممن مال؛ ورتّب جيشا مقيما تحت لواء علم السـلطان الأجلّ الملكِ الناصرِ للقاء العدوّ المخذول التتار، ألحق الله أولهم بالهلاك وآخرهم بالبوار؛ وقد علمتَ تفاصيل أحوالهم المشهوره، وتواريخَ سِـيَرهم المذكوره؛ واحترِصْ[2] على أن يخصك من هذا المشرب السائغ أوفى نصيب، و[أن تكون][3] ممن جهّز جيشا فى سبيل الله فرمى بسهم فله أجرٌ كان مصيبا أو غيرَ مصيب؛ ليعود رسـولك من دار الخلافة بتقاليدها وتشاريفها حاملا أهـلّةَ أعلامنا المنصوره، شاكرا برّ مواقفنا المبروره؛ وإن أبى حالُك[4] إلا أن استمررتَ على غيِّك، واستمرأتَ مرعى بَغيِك؛ فقد منعناك التصرّف فى البلاد، والنظرَ فى أحكام العبـاد؛ حتى تطأ خيلنا العتاقُ مشمخرّاتِ حصـونِك، وتعجّل حينئذ ساعة منونك؛ وتُمسى لهوادى قِلاعِك عقودا، ولعرائسِ حصونك نهودا؛ وما علّمناك غير ما علمه قلبُك، ولا فهّمناك غير ما حدَسَه[5] لُبُّك؛ فلا تكن كالصغير تزيده كثرةُ التحريك نوما، ولا ممن غرّه الإمهالُ يوما فيوما؛ وقد أعلمناك ذلك فاعمل بمقتضاه، موفّقا إن شاء الله تعالى؛ والحمد لله وحده .

---

(١) القطيعة : الضريبة والوظيفة .

(٢) يقال : احترص واحرص، كلاهما بمعنى واحد .

(٣) التكلة عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٦ .

(٤) المشهور فى كتب اللغة أن الحال تذكر كما هنا وتؤنث، فيقال : حال حسن، وحال حسنة (المصباح) .

(٥) حدس : ظن ظنا مؤكدا، « المصباح » والمراد بالحدس هنا : اليقين، كما يستعمل الظن فى معنى اليقين أيضا كقوله تعالى : (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) الآية .

ومن إنشائه تقليد السلطان الملك الناصر لما ترك الديار المصرية (١٩)
وأقام بالكَرَك[(١)] — وكُتب له بذلك من ديوان الإنشاء عن الملك المظفّر ركن الدين، فلم يمكن الكاتب الإطناب ، ولا وسعه غيرُ[(٢)] الاختصار ، فلم يُرضه الكتّاب، وعمل جماعةٌ منهم فى ذلك تجربةً لخواطرهم ولم يُكتب بشىء منها فعمِل هو — :

الحمد لله مدبّرِ الأمر على ما يشاء فى عباده ، ومنقّلِ الحالِ على حكم اختياره ووَفقِ مراده، ومُجرى أسبابِ الممالك على يد من اختاره من عباده لإصدارِ الأمر وإيراده ، ومجيب من أصبح قاصدا بابَه الشريفَ والزهادةُ فيما حوله من اعتقاده، ومعزّ من أضحى له من حِقونا[(٣)] ركنٌ استَنَد إليه الدهرُ فى استناده، يلبّى دعوةَ مرامه حيث كان من بلاده؛ ويجيب داعىَ ندائه و إن بعد فيكون أقربَ من سرّه الى فؤاده؛ يَذُبّ عن حَوزة نسائه ببيض مرهَفاته وسُمرِ صعاده، ويحمى بيضةَ جاهه بالغُلْب من أشياعه والجُرْدِ من جياده ؛ نحمده على أن جعل مُوالاتَنا لهذا البيت الشريف المنصورىّ تستديم عهودَه ، وتَلتحف من المحافظة على مَراضيه الشريفة فى كلّ حالٍ بُرودَه ؛ وتَرِدُ من القيام بواجب حقّه أَعذبَ منهل شَرَعه الصفاءُ وسَنّه ، وأكّد مُوالاتَه الوفاءُ وحسنُ الوفاء من شعار أهل السُّنّة ؛ ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تَرفع أعلامَ الهدى بكَلِمها، وتُخمِد نارَ الشرك بنور هداية

(١) الكرك بفتح الكاف والراء كما ذكره ياقوت : اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم والبيت المقدّس ، وهى على سن جبل عال، تحيط بها أودية إلا من جهة الربض .

(٢) فى الأصل : «عن» ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «بجقونا» بالجيم؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا . والمراد بالحقو هنا : الجناب الذى يستجار به و يلتجأ اليه ، وهو مجاز، والعرب تقول : عذت بحقوه اذا عذت به ليمنعك قال الشاعر :

سماع الله والعلماء أنّى * أعوذ بحقو خالك يابن عمرو

عِلْمها وعَلَمِها ، وتُطهِّر أديمَ البسيطة من أرجاس الكفرة بالحـدَين من غَربَىْ(١) صَمصامها وقلمِها ، وتُروِى كلَّ قُطر أصبح ماحلًا من قَطرَىْ عدلها ونعمها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورســوله الذى كانت الزهادة مَلاكَ أمره و [ المــلوكُ ](٢) تحت وطأة أقدامه ، والملائكةُ يحفّونه مِن حوله ومن أمامه(٣) ، ومعادنُ الذهب تُعرَض عليــه فيساوِى لديه لزهادته بين نُضاره ورَغامه ؛ صلّى الله عليــه وعلى آله وصحبه صــلاة تُحاكِى أرجَ الصَّــبا وقد سرَى عن خزامِه(٤) ، وتُضاهِى فَتيقَ(٥) المِســك وقد تنفّس عن ختامه ، مشــفوعةً إلى يوم القيامة برضوانه وســلامِه ؛ وبعد ، فإنه لمــا كان المقامُ العالى الملكىُّ الفلانىُّ هو الذى ربّته الممالكُ فى حجرها وليدا ، وخوّلتْه السلطنةُ الشريفــةُ من نفائس ذخائرها طارفا وتليــدا ؛ وبوّأتْه من مراتب العز أقصى غاية لا ترام ، وأبادت بمرهَفه البتّار جمعَ التتار الطَّغام ؛ وآستخدمتْ لطاعتــه جيشَين : جيشَ نهارٍ بكَرّ فيه مواليه على أعدائه بسابِق خيــلِه ومرهَف حسامه ، وجيشَ ليلٍ تَبسُــط أولياءُ دولته أكُفَّهــم للدعاء ببقائه فى جنح ظلامه ؛ طالمــا هزّت المنابرُ أعطافَها طربا عنــد ذكر آسمِه ، وآزدادت وسامةُ الدّينارِ حُســنا لمّــا شرّفها بحسن

(١) فى الأصل : «عزى» ؛ وهو تصحيف .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٣) لعله : «من خلفه» كما تدل عليه مقابلته بالأمام .

(٤) يريد بالخزام : الخزامى ، وإنمــا أسقط الألف لضرورة السجع الذى التزمه فى هــذا التقليد ؛ أو لعــل الخزام بدون الألف لغة فى «الخزامى» ، ولم نجده فيما بين أيدينا منْ كتب اللغة غير كتاب أقرب الموارد ؛ والخزامى : خيرىّ البرّ وهى عشبة طويلة العيدان ، صغيرة الورق ، حمراء الزهرة ، طيبة الريح ، لها نور كنور البنفسج ؛ قال أبو حنيفة : ولم نجد من الزهر زهرة أطيب نفحة من نفحة الخزامى ؛ وواحد الخزامى خزاماة .

(٥) الفتيق — فعيل بمعنى مفعول ، من فتقت المسك بغــيره : اذا استخرجت رائحته بشىء آخر تدخله عليه .

وسْمِه ورَسْمِه ؛ وتلت أوصافَ بأسه ألسنةُ خرصانه (١) ، ورجعتْ سوابقُ الهمم عن التطاوُل للمطاوَلة فى مَيدانه ، وقالت فوارس الحروب لمّا رأت كرّه : هذا سِباق لسنا من رهانِه ؛ كم فرّق بجيشه اللُّهامِ (٢) جيشا أرمَدَ جفنَ الشمس بقتامِه ، ونصرَ الأحزابَ يوم الكريهة بالعاديات من خيله والمرسَلاتِ من سهامِه ، فالدهرُ يشكر مواقفَ إقدامِه ، والعدلُ ينشر منشور فضله وسديد أحكامِه ؛ والممالكُ تُثنِى على عليائه بالسَّداد ، والمسالكُ تُهدِى لسالكها ما خصّها به مِن أمنها المعتاد ؛ والناسُ فى ظلّ عدلٍ لياليه [ خُلِقتْ (٣) ] كما شاءوا أسحارا ، والوحشُ والغنمُ كلٌّ منهما قد جعل صاحبَه جارا ؛ ومواطنُ العلوم أمست تطرّز بمحاسن أوصافه ، وحُكّام الشرع الجليل أضحت تَميس فى حلل عدله وإنصافِه ؛ والأماكنُ التى تُشَدّ لها الرحالُ يفترّ ثغرها عن عدلِه ، والمَشاعرُ المعظّمةُ قد حمى حَوزتَها بالسهم من نصلِه والشهمِ من رَجْلِه (٤) ؛ تنقّل فى مراتب الملك صغيرا الى أن آشتدّ بالعزم القوىّ كاهلُه ، وآستوطن ربعَ العزّ مذ كان يَجتلِى بدورَه وتجتليه عقائلُه ؛ فلم تَبقَ له مأرُبةٌ إلا قضاها ، ولا حالةٌ إلا ابتلاها ، ولا غمّةٌ إلا جلاها ، ولا آيةُ شكر إلا تلاها ؛ الى أن قمع بحدّ

(١) الخرصان : جمع خرص بكسر الخاء وضمها ، وهو سنان الرمح .

(٢) اللهام : الجيش الكثير ، كأنه يلتهم كل شىء .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل والسياق يقتضيها إذ بها يستقيم الإعراب بالنصب فى قوله «أسحارا» ، وبنصبه يتم السجع الذى التزمه الكاتب فى هذا التقليد ؛ وقد استنسبنا زيادة هذا اللفظ دون غيره لوروده فى بعض رسائل القاضى الفاضل إذ قال : والليالى التى طابت فكأنما خلقت جميعها أسحارا انظر صفحة ٢٠ سطر ٧ من هذا الجزء .

(٤) الرجل : اسم جمع عند سيبويه للراجل ، وهو ضد الراكب .

سيفه كلّ مُجترى، وقال للسحابة كما قيل : آمطُرى؛(١) رأى(٢) أن المواردَ الدنيويّة لا بدّ لهــا من مصادر، وأن أوائلَ الأمور تَستدعِى الأواخر، وأن للزهادة فى الدنيا و إن عظُم قدرُها الشأنَ الكبير، وأن الانقطاعَ الى الله تعالى مَنهلُ صفو لا يَقبل شوائبَ التكدير؛ وقوىَ عزمُهُ فى الرّحلة عن مَقرّ ملكه الى أعزّ حصونه المنيعه ، بل الى [٢٠] أجلّ معاقله الشامخة الرفيعه؛ قاصدا بها آلآنفراد ، عالمــا بأن الله يطلع على خفيّات الفؤاد؛ فرحل ركابُه العــالى ونظامُ المملكة من حُسن الهيئة قائم على ساق، وقلوب كفّال الممــالك الشريفةِ متّفقةٌ على الآتفاق؛ واثقا بأن للمُلك من أولياء بيته الشريف كلّ ولىِّ عهــدٍ لا تُخفَر لديه الذمم ، وكلّ سلطانِ أُفُقٍ(٣) تَضؤل دون عزمــه الهمم؛ يَحمِى بيضةَ خدره من كلّ متطاولٍ إليها، ويقصِّر أسبابَ الحرص من كلّ شانٍّ(٤) عليها؛ وآختار الآنفراد، وتَيقّن أنّا لا نعدل عمّا أراد؛ ونصَبَ عُمُدَ خيامه الشريفةِ على سفح روضِ الكَرَك النَضِر، وحَلّ منه رأسَ شاهقةٍ نبتُها خَضِر؛ ورغب فى الزهادة وشعارِها، وآستوت(٥) عنده الدنيا فى حالتَىْ إقبالها و إدبارِها؛ فاقتَضَى آعتناؤنا الشريفُ أن نبلّغه من مآربه الشريفــة أقصى المرام، وأن نساعده فى كلّ أمرٍ يعرف منــه الموافقــة منّا على الدوام؛ وأن ننظِم الأمرَ فى سلك الإرادة على مُرادِه، وأن نبادر إلى راحة سرّه الشريف وفؤادِه؛ ولسوف نعامل مقامَه العالىَ بكلّ آحترامٍ يصــل

(١) يشير بهذه العبارة الى ما روى عن بعض الخلفاء أنه رأى سحابة تسير فى الأفق ملأى بالمطر فقال : امطرى حيث شئت فإن ما تنبتينه سيجيء الينا . يريد بهذا أن مملكته واسعة الأطراف فلن تجاوزها السحابة مهما أبعدت فى المسير .

(٢) رأى : جوابٌ لــا السابقة فى قوله : «لمــا كان المقام العالى» الخ .

(٣) المراد بالأفق هنا : الناحية من الأرض ، وتضم فاؤه وتسكن .

(٤) الشانّ بتشديد النون : اسم فاعل من شن الغارة على القوم اذا صبها عليهم من كل وجه .

(٥) فى الأصل : «واستهوت» ؛ والهاء زيادة من الناسخ .

إليه تفصيلا وإجمالا ، ونراعى معه أدبَ أسلافه الكرامِ حالا فحالا ، وإنّا لا نخليه من تجهيزِ مثالٍ يتضمّن من محاسنه سِيَرا وأمثالا ، ولولا عرفُ السلطنة ونظامُ المملكة يقتضيان ذلك ما جهّزنا إلى بابه الشريف مثالا ، فلذلك خرج الأمرُ الشريفُ بكذا وكذا .

هذا ما آتفق إيرادُه فى هذا الفصل من رسائل الكُتّاب ، وكُتّابُ العصر — أعزّهم الله تعالى — كثير ، وكلامُهم مشهور ، ومدوّنٌ بأيدى الناس ومحفوظٌ فى صدورهم ، ولَم نشترِطْ أن نورد لجميعهم فنلتزم الشرط ، ولو فعلنا ذلك لطال الكتابُ وخرج عن شرطه ، وإنما خصصنا هؤلاء بالذكر لتعلُّقنا بهم ، وآتصال سببنا فى الوداد بسببهم .

---

## ذكر شىء من الأبيات الداخلة فى هذا الباب(١)

فمن ذلك قول بعض الشعراء :

إنّى لِعُظْمِ تشوُّقى * وشديدِ وجدى واكتئابى
أصبحتُ أحسُد من يفو * ز بقربكم حتى كتابى

وقال آخر :

وما تأخُّرُ كُتْبِى عنك من مللٍ * طُوبَى(٢) لوُدِّك يآبن السادة النُّجُبِ
لكن حسدتُ كتابى أن يراك وما * أراك فاخترتُ إمساكى عن الكُتُبِ

---

(١) المراد بالباب هنا : باب الرسائل الإخوانية فقد سبق أن ترجم لها فى السفر السابع من هذا الكتاب ص ٢١٣ إذ قال : « وأما الرسائل الإخوانية وما يتجدد من الأمور ويطرأ من الحوادث » .

(٢) طوبى وزان فعلى ، من الطيب ، كأن أصله طيبى بضم الطاء فقلبوا الياء واوا للضمة قبلها .

[وقال آخر] (١) :

عفتُ الرسائل طامعا أن نلتقى * فأبَى الزمانُ يُتيح لى ما أطلبُ
وتأخرتْ كُتْبى فقلتُ أعاتبٌ * فى ذاك أنت علىّ أم متعتِّبُ (٢)
فإذا وجدتك فى الضمير ممثَّلا * أبدا تناجينى إلى مَن أكتبُ (٣)

وقال آخر :

الكُتْبُ تُكتب للبعيـ * ـد وانت من قلبى قريب
فإذا وجدتك فى الفؤا * دِ فمَن أكاتب أو أجيب

وقال آخر :

لو أنّ كُتْبى بقدر الشوق واصلةٌ * كانت إليك مع الأنفاس تتّصلُ
لكنّنى والذى يبقيك لى أبدا * على جميل آعتقادى فيك أتّكلُ

وقال آخر :

وفى الكُتْب نجوى من يَعِزّ لقاؤه * وتقريبُ من لم يدنُ منه مَزارُ
فلِمْ تُخلِنى (٤) منها وتعلمُ أنّها (٥) * لعينى وقلبى قُرّةٌ وقَرارُ

وقال آخر :

سألتك عوِّذْنى بكُتْبك إنّ لى * شياطينَ شوق لا تفارق مَضْجَعى
إذا آسترقتْ أسرارَ فكرى تمرُّدا * بعثتُ إليها فى الدجى شُهْبَ أدمعى

(١) لم ترد هذه العبارة فى الأصل .

(٢) التعتّب : التجنّى، يقال : تعتب عليه وتجنى عليه، كلاهما بمعنى واحد .

(٣) ورد هذا البيت فى صفحة ٣٢ من هذا السفر أيضا وروايته ثم : « مهما وجدتك » الخ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) كذا ورد هذا الفعل فى الأصل بحذف الياء، ولا نرى مقتضيا لجزمه غير ضرورة الوزن، أولعله : « فلا تخلنى » وإذن فهو مجزوم بلا الناهية .

(٥) فى الأصل : « أنى » ؛ والسياق يقتضى الهاء كما أثبتنا .

وقال آخر :

أَتَبْخَل بالقرطاس والخط عن أخٍ * وكفّاكَ أَنْدَى بالعطايا من المزنِ

لَعمرى لقد قوَّى جفاؤك ظِنَّتى * وأَوهن تأميلى وما كان ذا وَهْنِ

وقال آخر :

أظنُّ القراطيسَ فى مصركُم * تخوَّنَها ريبُ دهرٍ خؤون

فلو أنها صفحاتُ الخدو * د يُكتَب فيها بماء الجفون

لما أَعوزَتْك ولكن جفَوت * فألقيتَ شأنى خلالَ الشؤون (٣١)

وقال المتنبّى فى جواب كتاب وَرَدَ عليه :

بكُتْب الأنام كتابٌ[(1)] ورد * فَدَتْ يدَ كاتبِه كلُّ يد

يعبِّر عما له عندنا * ويذكر من شوقه ما نَجِدْ

وقال أبو الفتح البُسْتىّ :

لمّا أتانى كتاب منك مبتسمٌ * عن كل فضلٍ وبرٍّ غيرِ محدودِ

حَكَتْ معانيه فى أثناء أسطره * آثارَك البيضَ فى أحوالىَ السودِ

وقال آخر :

طلع الفجر من كتابك عندى * فمتى باللقاء يبدو الصباحُ

وقال آخر :

ولمّا أتانى بعد هجرٍ كتابُكم * وفيه شفاءُ الواله الدنف المُضْنَى

سُررتُ به حتى توهّمتُ أنه * كتابى وقد أُعطيتُه بيدى اليُمنَى

---

(١) قوله : «كتاب» بالرفع على الابتداء، أى كتاب ورد مفدىً بكتب الخ ويجوز أن يقرأ بالنصب على المفعولية، أى أفدى بكتب الأنام كتابا، وقد جوّز العكبرىّ الوجهين عند شرحه لقول المتنبى أيضا : * بأبى الشموس الجانحات غواربا *

انظر شرحه لديوان المتنبى ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق .

وقال آخر :

نفسى الفداءُ لغائب عن ناظرى * ومحــــلُّه فى القلب دون حجابِه
لولا تمتُّـــع مقلتى بلقـــائه * لوهبتُها لمبشِّرى بكتابِه

وقال آخر :

ورد الكتابُ مبشِّرا * نفسى بأوقات[1] السرور
وفضضــــتُه فوجـــدتُه * ليــــلا عـــلى صفَحات نور
مثــــلَ السوالفِ والخدو[2] * د البيضِ زينَتْ بالشـــعور
أنزلتُـــــه مـــــنّى بمـــنـ * ـزلة القــلوبِ من الصدور

وقال آخر فى كتاب عُدِم فلم يصل إليه :

نُبِّئتُ أنّ كتابا * أرسلتَه مع رسـولِ
ملأتَه منــك طِيبا * فضاع قبل الوصولِ

ومما يتصل بهذا الباب ويلتحق به[3]، ويحتاج الكاتبُ إلى معـرفته والاطلاع عليه الحجّةُ البالغةُ والأجوبةُ الدامغة .

فمن ذلك فى التنزيل قولُه عزّ وجل : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾.

وقولُه تعـالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ .

(١) فى الأصل : « بأوراد » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « والحدوق » بالحاء المهملة والقاف ؛ وهو تحريف .

(٣) انظر الحاشية رقم ٧ من صفحة ١٥٠ من هذا السفر .

وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ .

وقال تعالى فى الدّلالة على إثبات نبوّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ ، فإنه صلّى الله عليه وسلّم كان يُعرف فى قريش بالصادق الأمين

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

ولمّا بُعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قال : " يا معشر قريش لو قلتُ (٣٢) لكم إنّ خيلا (١) تَطلُع عليكم من هذا الجبل كنتم تصدّقونى ؟ قالوا : نعم ؛ قال :

(١) روايته فى صحيح البخارى من طريق يوسف بن موسى : أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقىّ ؟ الخ وفى رواية أخرى من طريق محمد بن سلّام : أن العدوّ مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدّقونى ؟ الخ وحذفت نون الرفع من قوله : تصدقونى تخفيفا ؛ ويروى تصدّقوننى بإثباتها انظر ارشاد السارى ج ٩ ص ٢٩٥ طبع الأستانة .

"فإنّى نذيرٌ لكم بين يدَىْ عذابٍ شديد" فلمّا أقرّوا بصدقه خاطبهم بالإنذار، ودعاهم إلى الإسلام . فهذه حججٌ من الكتاب والسنّة لا جواب عنها

ولـمّـا ٱنتهى إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يومَ السَّقيفة أنّ الأنصارَ قالت : منّا أميرٌ ومنكم أمير؛ قال علىّ : فهلاّ ٱحتججتم عليهم بأنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أوصى بأن يُحْسَن إلى محسنهم، و يُتجاوَز عن مسيئهم؛ قالوا : وما فى هذا من الحجة عليهم ؟ قال : لو كانت الإمارةُ فيهم لم تكن الوصيّةُ بهم .

ولـمّـا قال الحُبـابُ بنُ المنـذر فى يوم السَّقيفة أيضـا : أنا جُذَيْلُها(١) المُحكَّك وعُذَيْقُها(٢) المُرجَّب، إن شئتم كررناها جَذَعة(٣)، منّا أميرٌ ومنكم أمير، فإن عمل المهاجرىُّ شيئا فى الأنصارىّ ردّه عليـه الأنصارىّ ، و إن عمل الأنصارىُّ شيئا فى المهاجرىّ ردّه عليه المهاجرىّ ؛ أراد عمر الكلام ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : على رِسْلك(٤)، نحن المهاجرين أوّلُ النـاس إسـلاما ، وأوسطُهم دارا، وأكرمُ النـاس حسبا ، وأحسنُهم وجوها ، وأكثرُ الناس ولادةً(٥) فى العرب، وأمسُّهم رحما بالرسول صلى الله

(١) الجذيل : تصـغير جذل بكسر الجيم قال يعقوب : عنى بالجذيل هنـا الأصل من الشجرة تحتك به الإبل فتشتفى به؛ أى قد جربتنى الأمور ، ولى رأى وعلم يشتفى بهما كما تشتفى هذه الإبل الجربى بهذا الجذل؛ وصغره على جهة المدح .

(٢) العذيق : تصغير تعظيم للعذق بالفتح، وهو النخلة . والمرجب : من الترجيب، وهو أن تدعم النخلة من جانب ليمنعها ذلك من السقوط ؛ يريد أن له عشيرة تعضده وتمنعه وترفده ؛ وقيل : الترجيب هنا بمعنى التعظيم .

(٣) قال فى اللسان : اذا أطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم : ان شئتم أعدناها جذعة : أى أوّل ما يبتدأ فيها اهـ .

(٤) الرسل : التؤدة، يقال : على رسلك، أى اتئد، كما يقال : على هينتك .

(٥) كذا فى الأصل وعيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٣ طبع دار الكتب المصرية، يريد بهذه العبـارة أنهم أكثر عددا وأغزر نسلا ؛ ويحتمل أن يريد أن كثرة مصاهرتهم لغيرهم من القبائل جعلت أبناءهم فى قبائل العرب أكثر من سواهم ، أى أن اتصالهم بالعرب أوثق ، وأشياعهم من القبائل أكثر .

عليه وسلّم ، أسلمنا قبلكم ، وقُدِّمنا فى القرآن عليكم ، وأنتم إخواننا فى الدِّين ، وشركاؤنا فى الفىء ، وأنصارُنا على العدوّ، آويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيرا، نحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تدين العرب الا لهذا الحىّ من قريش . قالوا : قد رضينا وسلّمنا .

قال بعض اليهود لعلىّ رضى الله عنه : ما دفنتم نبيّكم حتى آختلفتم؛ فقال : انما آختلفنا عليه لا فيه، ولكنكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيّكم :﴿ٱجْعَلْ لَنا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ .

وقال حاطب بن أبى بَلْتَعة : لما بعثنى النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم الى المقوقس مَلك الإسكندريّة بكتابه ، أتيتُه وأبلغته الرسالة ، فضحك ثم قال : كتب إلىّ صاحبك يسألنى أن أتبعه على دينه ، فما يمنعه إن كان نبيا أن يدعوَ اللهَ فيسلّط علىّ البحرَ فيغرقَنى فيكتفىَ مؤنتى، ويأخذَ مُلكى؟ قلتُ : ما منع عيسى عليه السلام إذ أخذته اليهودُ فربطوه فى حبل، وحلقوا وسطَ رأسه، وجعلوا عليه إكليلا من شوك، وحمّلوا خشبته التى صلبوه عليها على عاتقه، ثم أخرجوه وهو يبكى حتى نصبوه على الخشبة ثم طعنوه حيّا بحربة حتى مات — على زعمكم — فما منعه أن يدعوَ اللهَ فينجيَه ويهلكهم ، ويكتفىَ مؤنتهم ، ويظهرَ هو وأصحابه عليهم ؟ وما منع يحيى بن زكريّا حين سألت آمرأةُ المَلِكِ المَلِكَ أن يقتله فقتله وبعث برأسه اليها حتى وُضع بين يديها أن يسأل الله أن يحميَه ويهلكهم ؟ فأقبل على جلسائه وقال : والله إنه لحكيم، وما تخرج الحِكَم إلّا من عند الحكماء.

---

(١) كذا فى عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٤ والذى فى الأصل : «فى» ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «ما دفعتم» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) عليه : أى على الأولوية به ومن أحق بخلافته قرابته أم غيرهم؟ لا فيه : أى لا فى صدق رسالته.

وخطب معاويةُ بنُ أبى سفيان ذات يوم وقال : إنّ الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ فما نلام نحن ؛ فقام اليه الأحنفُ بنُ قيس فقال له : يا معاوية ، إنا والله ما نلومك على ما فى خزائن الله ، وإنما نلومك على ما آثرك الله [به][1] علينا[2] من خزائنه فأغلقتَ بابكَ دونَه .

وقال معاويةُ لرجل من اليمن : ما كان أحمقَ قومَك حين ملّكوا عليهم امرأة ! قال : قومُك أشدُّ حماقةً إذ قالوا : " ٱللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ " أفلا قالوا : اهدِنا له .

وقيل : مرّت امرأةٌ من العرب بمجلس من مجالس بنى نُمير، فرماها جماعةٌ منهم بأبصارهم ، فوقفت ثم قالت : يابنى نُمير، لاأمرَ الله تعالى أطعتم ، ولا قولَ الشاعر سمعتم ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾
وقال الشاعر[3] :

فغُضَّ الطرفَ إنّك من نُميرٍ * فلا كعبا بلغتَ ولا كلابا

فما اجتمع منهم بعد ذلك اثنان فى مجلس .

وقيل : استعمَل عُتبةُ بنُ أبى سفيان رجلا من أهله على الطائف ، فظلَمَ رجلا من أَزْدِ شَنُوءة ، فأتى الأزدىُّ عُتبةَ فقال :

أمرتَ مَن كان مظلوما ليأتيَكم * فقد أتاكم غريبُ الدار مظلومُ

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) فى الأصل : « عليك » ؛ وهو تحريف .

(٣) هو جرير ؛ والبيت من قصيدة له يهجو الراعى النميرى انظر ديوان جرير ص ٣١ طبع المطبعة

ثم ذكر ظلامته ، فقال عُتبة : إنّى أرى أعرابيّا جافيا، والله ما أحسبك تدرى كم تصلّى فى اليوم والليلة؛ فقال : إن أنبأتُك ذلك تجعلُ لى عليك مسألة ؟ قال : نعم؛ فقال الأعرابىّ :

إنّ الصلاةَ أربعٌ وأربعُ * ثم ثلاثٌ بعدهنّ أربعُ
* ثم صلاةُ الفجر لا تُضيّعُ *

قال : صدقتَ فاْسألْ؛ فقال : كم فَقارُ ظهرك ؟ فقال : لا أدرى؛ قال : أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك ؟ فأمر بردّ ظلامته عليه .

وقال الحجّاج بن يوسف ليحيى بن سعيد بن العاصى(1) : بلغنى أنّك تشبه إبليس فى قبح وجهك؛ قال : وما ينكر الأميرُ من أن يكون سيّدُ الإنس يشبه سيّدَ الجنّ؟ .

وقال لسعيد بن جُبير : اختر لنفسك أىّ قِتْلة شئت؛ قال : اختر أنت فإنّ القصاص أمامك . ٣٣

وحكى أن حُويطِب(2) بن عبد العُزّى بلغ عشرين ومائة سنة ، ستين فى الجاهليّة وستين فى الإسلام، فلما ولىَ مروانُ بنُ الحكم المدينةَ دخل عليه حُويطِب(2)، فقال له مروان : لقد تأخّر إسلامُك(4) أيها الشيخ حتى سبقك(3) الأحداث؛ فقال : والله لقد هممتُ

---

(1) قال المبرد : انه العاصى بالياء لايجوز حذفها ، وقد لهجت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة؛ يعنى أنه من الأسماء المنقوصة فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها مستدرك التاج مادة «عصى» .

(2) فى الأصل : «خويطب» بالخاء المعجمة ؛ وهو تصحيف ، والتصويب عن القاموس وغيره . وهو حويطب بن عبدالعزى بن أبى قيس بن عبد ودّ ، ينتهى نسبه الى عامر بن لؤى ؛ ويكنى أبا محمد ؛ وأسلم يوم فتح مكة ؛ وكانت وفاته سنة أربع وخمسين فى خلافة معاوية كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٥ ص ٣٣٥ طبع ليدن .

(3) فى الأصل : «تنعك» ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(4) هـذه الكلمة فى الأصل مطموسة الحروف تتعذر قراءتها ؛ وقد أثبتناها عن العقد الفريد ج ٢ ص ١١٧ طبع المطبعة الشرفية بمصر .

بالإسلام غيرَ مرّة كلُّ ذلك يَعُوقنى[1] أبوك عنه و ينهانى ، و يقول : أتَدَع دين آبائك[2] [لدينٍ مُحْدَث][3] ؟ ! أما أخبرك عثمانُ ما كان قد لَقِىَ من أبيك حين أسلم .

وقيل : لمّـا ظفِر الحجّاج بابن الأشعث وأصحـابِه أمرَ بضرب أعناقهم ، حتى أُتِىَ على رجلٍ من تميم ، فقال التميمىّ : أيها الأمير ، والله لئن أسأنا[4] فى الذنب ما[5] أحسنتَ فى العقوبة ، فقال الحجاج : وكيف ذاك ؟ قال : لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ فوالله ما مَننتَ ولا فاديتَ[6] ، فقال الحجّاج : أفٍّ[7] لهـذه الجِيَف ، أما كان منهم من يُحسن مثلَ هذا ؟ وأمر بإطلاق من بقِىَ وعفا عنهم .

وحُكِىَ أن الرشيد سأل موسى بنَ جعفرٍ فقال : لِمَ قلتم إنّا ذرّيّةُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وجوّزتم للناس أن ينسُبوكم اليــه ويقولوا : يا [ بنِى ][8] نبىِّ الله وأنتم

---

(١) فى الأصل : « به » وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ، وانظر العقد الفريد .

(٢) فى الاصل : «امامك» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر العقد الفريد .

(٣) لم ترد هذه العبارة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن العقد الفريد ج٢ ص١١٧ طبع المطبعة الشرفية .

(٤) فى الأصـل : « أمرنا » ؛ وهو تحريف صـوابه ما أثبتنا كما تدل عليـه مقابلتـه بقوله : ما أحسنت .

(٥) فى الأصل : « لمـا أحسنت » واللام زيادة من الناسخ فان الجملة جواب للقسم السابق وليست جوابا للشرط لتقدّم القسم عليه ؛ وفى كتب القواعد أن جواب القسم اذا نفى « بما » لم يقترن باللام وما ورد من اقترانه بها شاذ لا يقاس عليه ، ومنه قول الشاعر :

أما والذى لو شاء لم يخـلق الورى ❊ لئن غبت عن عينى لمـا غبت عن قلبى

انظر حاشية الصبان ج ٤ ص ٢٢ طبع بولاق .

(٦) يقال : فاديته مفاداة : أى أطلقته وأخذت فديته المصباح .

(٧) فى الأصل : « ان » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ ولا يستقيم الكلام بدونها ، ويرشد اليها قوله بعد : «وأنتم بنو» الخ .

بنو عليّ ، وانما يُنسَب الرجلُ إلى أبيه دون جدّه ؛ فقرأ[1] : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ﴾ وليس لعيسى أب ، وانما لحق بذرّيّة الأنبياء مِن قِبَل أمّه ؛ وكذلك أُلحقنا بذرّيّة الرسول صلّى الله عليه وسلّم مِن قِبَل أمّنا فاطمةَ – عليها السلام – وأزيدك يا أمير المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ولم يدعُ صلّى الله عليه وسلّم فى مباهلة[2] النصارى غيرَ فاطمة والحسن والحسين[3] ، وهما[4] الأبناء .

قيل : لمّا وُلّى يحيى بنُ أكثم قضاءَ البَصرة آستصغر الناسُ سنَّه ، فقال له رجل : كم سنُّ القاضى – أعزّه الله – ؟ فقال : سنُّ عتّابِ بنِ أَسِيد[5] حين ولّاه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قضاءَ مكّة . فجعل جوابَه آحتجاجا .

قال يزيد بن عروة : لمّا مات كُثيِّرٌ لم تتخلّف بالمدينة آمرأةٌ ولا رجلٌ عن جنازته ، وغَلَب النساءُ عليها ، وجعلن يبكينه ويذكُرن عزّةَ فى ندبهنّ له ؛ فقال

---

(١) فى الأصل : «فقدا» ؛ وهو تحريف .

(٢) المباهلة : أن يجتمع القوم اذا اختلفوا فى شىء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا .

(٣) لم يذكر عليًّا رضى الله عنه مع أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه المباهلة انظر روح المعانى عند تفسير الآية المتقدّمة .

(٤) وهما الأبناء : أى وهما المقصودان بلفظ الأبناء فى الآية وإذن فالخبر مطابق للبتدا فى التثنية .

(٥) هو عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس ؛ أسلم يوم الفتح فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى حنين استعمله على مكة يصلى بالناس وأقام عتاب للناس الحج تلك السنة ، – وهى سنة ثمان – وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعتاب بن أسيد عامله على مكة الطبقات الكبير لابن سعد ج ٥ ص ٣٣٠ طبع ليدن .

أبو جعفر محمدُ بن عليّ الباقر : أفرِجوا لى عن جِنازة كُثَيِّر[1] لأرفعها ، فجعلْنا ندفع النساء عنها ومحمدُ بنُ عليّ يقــول : تَنَحَّين يا صُوَيحبات يوسف ، فانتَدَبتْ له امرأةٌ منهن فقالت : يابن رسول الله ، لقــد صدقتَ ، إنّا لصُوَيحباته ، ولقد كنّا له خيرا منكم له ، فقال أبو جعفر [ لبعض مواليه ][2] : احتفِظْ بهـا حتى تجيئني[3] بها إذا انصرفتُ ، قال : فلما انصرف أُتِيَ بها وكأنها شَرَرةُ النار ، فقال لهـا محمد بنُ عليّ : إيهٍ[4] ، أنتِ القائلة : إنّكنّ ليوسفَ خيرٌ منّا ؟ قالت : نعم ، تُؤَمّنني غضبَك يابنَ رسول الله ؟ فقال : أنتِ آمنةٌ من غضبي فأنبئيني ، فقالت : نحن دعوناه إلى اللّذّات من المطعم والمشرب والتمتّع والتنعّم ، وأنتم معــاشر الرجال ألقيتموه فى الجبّ وبعتموه بأبخس الأثمان ، وحبستموه فى السجن ، فأيُّنا كان عليه أحنَى ، وبه أرأف ؟ فقال محمد : لله درّكِ ! لن تُغالَب امرأةٌ إلا غَلَبتْ ، ثم قال لهـا : ألكِ بعلٌ ؟ فقالت : لى من الرجال من[5] أنا بعلُه ، فقال أبو جعفر : ما أصــدقكِ ! مثلُكِ من تَملِك الرجلَ ولا يملكها ، فلما انصرفتْ قال رجل من القوم : هــذه فلانةُ[6] بنت معقب[7] .

وقال المأمون ليحيى بن أكثم : من الذى يقول :

قاضٍ يَرَى الحدَّ فى الزناء ولا * يَرَى على من يلوط من باسِ

(١) فى الأصل : «أقرحوا لى» بالقاف المثناة والحاء المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأغانى ج ٨ ص ٤٣ طبع بولاق .

(٣) فى الأصل : «تحيني» ؛ وهو تحريف .

(٤) إيه بكسر الهاء ويجوز تنوينها : كلمة استزادة واستنطاق .

(٥) فى الأغانى ج ٨ ص ٤٣ طبع بولاق : «بعلها» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٦) كذا فى الأصل بلا تعيين لاسمها ؛ وذكر أبو الفرج أنها زينب .

(٧) كذا فى الأصل ؛ والذى فى الأغانى : « معيقب » ولعله معيقيب بن أبى فاطمة الدوسىّ انظر ترجمته فى كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٤ ص ٨٦ طبع أوربا .

فقال : يا أمير المؤمنين، هو (١) الذى يقول :

شاهــدُنا يَرتَشِي (٢) وحاكمُنا * يلوط والراسُ شــرُّ ما راسِ

لا أحسَب الجورَ ينقضى وعلى (٣) الأ مّــة والٍ من آل عبّاسِ

قال ومن هو ؟ قال : أحمد بن [ أبى ] نُعيم (٤)؛ فأمَر بنفيه إلى السِّند (٥) .

وحُكِى أنّ أهــل الكوفة تظلّموا إلى المأمون من عاملٍ ولّاه عليهم ؛ فقـال : ما علمتُ فى عَددِ عمّـالى أعدَلَ ولا أقوَمَ بأمر الرعيّة ولا أعوَدَ بالرفق عليهم منه ؛ فقام رجل من القوم فقال : يا أمير المؤمنين، ما أحدٌ أولى بالعدل والإنصاف منك، فاذا كان الأمر على هــذه الصفة فينبغى أن تعــدل فى ولايتــه بين أهل البُلدان ، وتُسوِّى بنـا (٦) أهلَ الأمصار، حتى يَلحَقَ أهلَ كلِّ بلد من عدلِه وإنصافه مثلُ الذى لحقنا ، فاذا فعل أميرُ المؤمنين ذلك فلا يخصُّنا منه أكثر من ثلاث سنين؛ فضحك المأمون وعزَلَ العاملَ عنهم .

(٢٤) ولنصِل هذا الفصل بذكر هفوات الأمجاد (٧) وكبوات الجياد (٧) — وقد رأيتُ بعضَ أهل الأدب ممن يستحِقّ الأدب تَعرّض فى هذا الفصل الى ذكر قصص

(١) فى الأصل : «من هو» وقوله : «من» زيادة من الناسخ .

(٢) فى وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق : «أميرنا» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) هذه الواو ساقطة من الأصل ؛ واستقامة الوزن تقتضيها .

(٤) كذا فى وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهانى ج ١ ص ١٢٥ طبع مطبعة جمعية المعارف ؛ والذى فى الأصل : «ابن نعيم» باسقاط لفظ أبى ؛ ولم نجده فيما راجعناه من المظان .

(٥) السند : بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان ؛ وقد فتحت فى أيام الحجاج بن يوسف (ياقوت) .

(٦) فى الأصل : «به» ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٧) ورد فى الأصل كل من هاتين الكلمتين مكان الأخرى ؛ والمقام يقتضى ما أثبتنا ، فان الهفوات من صفة الإنسان ، والكبوات من صفة الخيل وانظر هذه الترجمة أيضا فى المستطرف ج ١ ص ٧٤، ٧٥ طبع بولاق .

الأنبياء — صلوات الله عليهم — كآدمَ و يوسفَ وداودَ وسليمانَ فكرهتُ ذلك منه، ونزّهتُ كتابى عنه —

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ فكانت هذه هفوةً من المسلمين غفرها الله وعفا عنها .

وقال الأحنف بن قيس : الشريفُ من عُدّتْ سَقطاتُه .

وقال النابغة :

ولستَ بمستبقٍ أخًا لاتَلُمُّه * على شَعَثٍ(١) أىُّ الرجال المهذَّبُ

وقالوا : كلُّ صارمٍ ينبو، وكلُّ جوادٍ يكبو .

وكان الأحنف بن قيس حليما سيّدا يضرب به المثل ، وقد عُدّت له سقطات فمن ذلك أنه نظر الى خيلٍ لبنى مازن فقال: هذه خيل ما أُدركَتْ بالثار، ولا نَقَصت الأوتار(٢)؛ فقال له سعيد بن القاسم المازنىّ : أمّا يومَ قتلَتْ أباك فقد أدركتْ بثارها؛ فقال الأحنف : لشىءٍ ما قيل : "دَعِ الكلام حذرَ الجواب" — وكانت بنو مازن قتلت [أبا](٣) الأحنف فى الجاهليّة .

ومنها أنه لمّا خرج مع مُصعَب بنِ الزبير أَرسَل اليه مائةَ ألف درهم، ولم يرسل الى زَبْراء(٤) جاريتِه بشىء، فجاءت حتى وقفت بين يدى الأحنف، ثم أرسلَتْ عينيها،

(١) «لا تلمه على شعث» : أى لا تحتمله على مافيه من زلل فتلمه وتصلحه وتجمع ما تشعث من أمره «اللسان» .

(٢) الأوتار جمع وتر بكسر الواو، وهو الذحل، أى الثأر؛ يقول : ان هذه الخيل لم تقلل عدد الذحول والثارات التى لفرسانها عند غيرهم من القبائل .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل واستقامة الكلام تقتضى اثباتها .

(٤) فى الأصل : «دبرا» بالدال والياء المثناة؛ وهو تحريف، والتصويب عن القاموس .

فقال لها : ما يُبكيك؟ فقالت : ما لى لا أبكى عليك إذ لم تبك على نفسك ، أقعدتَها وتذر مَرْوَ الرُّوذ[1] تَجمع بين غارِين[2] من المسلمين؛ فقال: نصحتِنِى واللّه فى دينى إذ لم أتنبّه لذلك؛ ثم أمَر بفُسطاطه فقُوِّض، فبلغ ذلك مُصعَبا فقال : ويْحكم ، مَن دهانى فى الأحنف؟ فقيل : زَبْراء، فبعث إليها بثلاثين ألف درهم، فجاءت حتى أرخت عينيها بين يديه؛ فقال : مالك يازَبْراء؟ قالت : عجبتُ لأحوالك[3] فى أهل البَصرة، تَزُفّهم كما تُزَفّ العروس ، حتى اذا ضربتَ بهم فى نحور أعدائهم أردتَ أن تَفُتّ فى أعضادهم؛ قال : صدقتِ والله ، يا غلام دَع الفساطيط؛ فاضطرب العسكر بمجىء[4] زَبْراء مرّتين .

ومن سقطاته التى عُدّت عليه أن عمرو بن الأهتم دسّ[5] إليه رجلا ليسفّهه ، فقال له : ياأبا بحر، من كان أبوك فى قومه ؟ قال : كان من أوسطِهم، لم يسُدْهم ولم يتخلّف عنهم ؛ فرجع إليه ثانية ، ففطن الأحنف إلى أنه من قِبَل عمرو، فقال:

(١) مرو الروذ : مدينة بخراسان بين بلخ ومرو؛ افتتحها الأحنف بن قيس فى خلافة عثمان رضى الله عنه ؛ وأكثر ما يقال فيه : مَرُّوذ كسفود التاج مادة (روذ) وهى على نهر عظيم ؛ والروذ بالفارسية : النهر، فلهذا سميت بذلك (ياقوت) .

(٢) فى الأصل : عاذين بالعين المهملة والذال، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ؛ والغار : الجيش الكثير، ومنه قول الأحنف فى عبد الله بن الزبير عند انصرافه من وقعة الجمل : وما أصنع به إن كان جمع بين غارين من الناس ثم تركهم وذهب . والضمير فى قولها : « تجمع » يعود إلى مرو الروذ؛ ومعنى العبارة أنها تلومه على قعوده مع مصعب بن الزبير وتركه المسير الى مرو الروذ وفيها جيشان من المسلمين يتحاربان — وهما جيش الخوارج وجيش المهلب — فهى تحرض الأحنف على أن يسير بجيشه الى مرو الروذ ويترك مصعبا .

(٣) فى الأصل : «من» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به الكلام .

(٤) فى الأصل : «بمتحى» ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٥) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٦٢ من هذا السفر .

ما كان مال أبيـك ؟ قال : كانت له صِرْمة[(١)] يَمنح منهـا ويَقْرِى ، ولم يكن أهتمَ سَــلّاحا .

وقيل : إن الحسـن[(٢)] سئل عن قوله تعالى : ﴿قَدْ جَعَـلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ فقال : إنْ كان لَسَريًّا ، وإنْ كان لَكريما ؛ فقيل له : من هو؟ قال : المسيح ؛ فقال له حُمَيد بن عبد الرحمن[(٣)] : أَعِدْ نظرا ، إنما السرىُّ : الجَدول ؛ فأَنعم له[(٤)] ، وقال : يا حُمَيد ، غَلَبنا عليك الأمراء .

ومات ولدٌ طفلٌ لسليمان بن علىّ[(٥)] ، فأتاه الناس بالبَصرة يعزّونه وفيهم شَبِيبُ بنُ شَيْبَة وبكرُ بنُ حبيب السَّهْمىّ[(٦)] ؛ فقال شبيب : أليس يقـال : إنّ الطفل لا يزال

---

(١) فى الأصل : «حرمة» بالحاء ؛ وهو تحريف . والصرمة : القطعة من الإبل نحو الثلاثين .

(٢) الحسن : هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرىّ ؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة ؛ وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصارىّ رضى الله عنه وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ؛ قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصرى ومن الحجاج بن يوسف ؛ فقيل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن ؛ وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ؛ وتوفى بالبصرة مستهل رجب سـنة عشر ومائة رضى الله تعالى عنه اهـ ملخصا من وفيات الأعيان ج ١ ص ١٨٠ طبع بولاق .

(٣) هو حميـد بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ، ينتهى نسبه إلى زهرة بن كلاب ؛ وكنيته أبو عبد الرحمن ؛ روى عن سعيد بن زيد ومعاوية بن أبى سفيان وأبى هريرة والنعمان بن بشـير ؛ وكان ثقة عالما كثير الحديث ؛ وتوفى بالمدينة سنة خمس وتسعين اهـ ملخصا من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٥ ص ١١٤ ، ١١٥ طبع مدينة ليدن .

(٤) أنعم له : أى قال له نعم . والذى فى الأصل : «فنعم له» بدون ألف ؛ ولم نجده فيما لدينا من كتب اللغة بالمعنى المراد هنا .

(٥) كذا فى الأصل ؛ والذى فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٩٦ طبع بولاق أن الذى مات ولده هو إسحاق بن عيسى ؛ وعبارته : ودخل شبيب بن شبة على إسحاق بن عيسى يعزيه عن طفل أصيب به .

(٦) لم يرد هذا الأسم فى العقد الفريد ضمن هذه الحكاية .

محبنطئا[1] بباب الجنّة حتى يدخُل أبواه ؟ فجاء بظاء معجمة ؛ فقال له بكر[2] بن حبيب : مُحبنطِئا[1] ، بطاء مهملة ؛ فقال شَبِيب : إلّا أنّ مَن بين لابتَيها يعلم أن القول كما أقول[3] ؛ فقال بكر : وخطأٌ ثانٍ[4] ، ما للبَصرة لابتان ، أذهبتَ إليه[5] بالمدينة ؟ . (مَن بين لابتَيها : أى حرّتيها[6]) .

قيل : جلس محمدُ بنُ عبد الملك[7] يوما للظالم ، وحضر فى جملة النـاس رجلٌ زيُّه زىُّ الكُتّاب ، فجلس بإزاء محمد ، ومحمد ينقُد الأمور وهو لا يتكلّم ، ومحمدٌ يتأمّله ؛ فلما خفّ المجلسُ قال له : ما حاجتك ؟ قال : جئتُك — أصلحك الله — متظلّما ؛ قال : ممّن ؟ قال : منك ، ضـيعةٌ لى فى يدِ وكيلك يَحمل إليك غلّتها ، ويَحُول بينى وبينها ؛ قال : فمـا تريد ؟ قال : تكتب بتسليمها إلىّ ؛ قال : هـذا يُحتاج فيـه إلى شهودٍ و بيّنة وأشياءَ كثيرة ؛ فقال له الرجل : الشهودُ هم البيّنة ، وأشـياء كثيرة عِىٌّ منك ؛ فخجل محمدٌ وهاب الرجلَ ، وكتب له بمـا أراد .

---

(١) فى الأصل : « محتبظئا » و « محتبطئا » بالتاء والباء فى كلتا الكلمتين ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا انظر العقـد الفريد ج ١ ص ٢٩٦ طبـع بولاق ؛ ونص هذا الحـديث فى اللسـان : «ان السقط ليظل محبنطيا على باب الجنة » قال ابن الأثير فى النهاية : المحبنطئ بالهمز وتركه : المتغضب المستبطئ للشئ .

(٢) فى العقد الفريد : قال إسحاق بن عيسى .

(٣) كذا فى الأصل ؛ وعبارة العقد الفريد : ألى يقال مثل هـذا وما بين لا بتيها أعلم منى بها ؟ . ومعنى العبارتين مختلف ؛ وكلا المعنيين يستقيم به الكلام .

(٤) عبارة العقد : فقال له إسحاق : وهذه أيضا ، ألبصرة لابتان يالكع ؟ .

(٥) إليه : أى إلى سليمان بن على ؛ ويريد بهذه العبارة أن اللابتين إنمـا هما للدينة لا للبصرة .

(٦) فى الأصل : « الى » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٧) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٧٣ من هذا السفر .

ووُصِف ذو الرُّمّة[1] لعبد الملك[2] بن مروان بالذكاء وحسنِ الشعر، فأمر بإحضاره، فلما دخل عليه أنشده قصيدةً آفتتحها بقوله : "ما بال عينِك منها الماءُ ينسكبُ" وكانت عينا عبد آلملك تَدْمَعان دائمـا، فظَنّ أنه عَرّض به، فغضب وقال : مالك ولهـذا السؤال يابن آلخَناء ؟ وقطع إنشادَه، وأمر بإخراجه .

ودخل أبو النجم[3] على هشـام بن عبـد آلملك وأنشـده أُرجوزتَه التى أوّلُهـا : "الحمـد لله الوهوبِ آلمُجزِلِ"[4] حتى آنتهى إلى قوله يصف الشمسَ عند الغروب : " وهى على الأُفْق كعين الأحوَلِ "، وآستَدرَك سقطةَ لسانه، وقطع إنشادَه، وعلِم أنها زلّة، لأنّ هشاما كان أحوَل، فقال له هشام كَمِّلْ إنشادَك ويلك وأَتِمّ البيت، (٣٥) وأمر بوجء[5] عنقه وإخراجه من الرُّصافة[6] .

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٧٤ من هذا السفر .

(٢) كذا فى الأصل ؛ وقد وردت هذه القصة فى محاضرات الأدباء للراغب ج ١ ص ١١٨ طبع جمعية المعارف بين ذى الرمة وهشام بن عبد الملك ؛ ويؤيد ذلك أن وفاة عبد الملك كانت فى سنة ست وثمانين كما فى كتب التاريخ وسن ذى الرمة إذ ذاك تسع سنين فإنه ولد فى سنة ثمان وسبعين كما يستفاد من ترجمته فى وفيات الأعيان، فقد ذكر فى وفاته ما نصه وكانت وفاته سـنة سبع عشرة ومائة رحمه الله تعالى، ولما حضرته الوفاة قال : أنا آبن نصف آلهرم، أنا آبن أربعين سنة اهـ

(٣) أبو النجم : هو المفضل، وقيل : الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة ينتهى نسبه إلى ربيعة بن عجل بن لجيم ؛ وهو من رجاز الإسلام الفحول المقدمين، وفى الطبقة الأولى منهم، وكان أبلغ فى النعت من العجاج انظر الأغانى ج ٩ ص ٧٧ طبع بولاق ؛ وكانت وفاته فى آخر دولة بنى أمية كما فى معاهد التنصيص ص ١٢ طبع بولاق .

(٤) كذا فى الأصل والأغانى ج ٩ ص ٨٠ طبع بولاق ؛ وروايته فى معاهد التنصيص ص ٩ طبع بولاق : "الحمد لله العلى الأجلل" وبعده : "الواهب الفضل الوهوب آلمجزل" .

(٥) الوجء : اللكز، يقال : وجأ عنقه وفى عنقه .

(٦) يريد بالرصافة : رصافة هشام بن عبد الملك ؛ وهى فى غربى الرقة، بينهما أربعة فراسخ على طرف البرية ؛ بناها هشام لمـا وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها فى الصيف ؛ ثم أورد ياقوت بعد هـذا الكلام ما يفيد أن الرصافة كانت مبنية قبل الإسلام بدهر ليس بالقصير .

قال المدائنيّ : كان رجل من وَلَد عبد الرحمن بن سَمُرَة أراد الوثوب بالشام فى زمن المهدىّ ، فأُخذ وحُمِل إليه ، فلمّا مَثَل بين يديه ٱعتذر ، فرأى منه المهدىّ نُبلا وفضلا ، فعفا عنه وخلطه بجلسائه ؛ ثم قال له يوما : أنشِدْنى شيئا من شعر زهير ، فأنشده قصيدته التى أوّلها : "لِمَن ٱلديارُ بقُنّة الحِجْرِ"[1] حتى أتى على آخرها ؛ فقال المهدىّ : مضى من يقول مثلَ هذا ؛ فقال السَّمُرِىّ : وذهب والله من يقال فيه[2] مثلُه ؛ فٱستشاط[3] المهدىُّ غضبا ، وأَمر أن يُجَرّ برجله ، وألّا يُؤذَنَ له بعدها .

ولنختم ما ذكرناه من أمر كتابة الإنشاء بشىء من الحِكَم .

## ذكر شىء من ٱلحكم

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "الحِكمةُ ضالّةُ المؤمن" .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : لكلّ جوادٍ كبوه ، ولكلّ حكيم هفوه ؛ ولكلّ نفسٍ ملّة[4] ، فاطلبوا لها طرائفَ ٱلحكمة .

ومن ٱلحديث النبوىّ — صلواتُ الله تعالى وسلامُه على قائله — ممّا يدخل فى هذا الفصل قولُه صلّى الله عليه وسلّم : "كرمُ الرجل دينُه ، ومروءتُه عقلُه ، وحسَبُه عملُه" . "خيرُ الأمور أوسطُها"[5] . "كلٌّ ميسّرٌ لما خُلِق له" .

(١) قنة الحجر : جبيل ليس بالشامخ بحذاء الحجر ؛ والحجر : قرية بحذائها قرية يقال لها : الرحضية للأنصار وبنى سليم من نجد (ياقوت) وقال فى مستدرك التاج مادة قنن : قنة الحجر : قرب معدن بنى سليم .

(٢) فى الأصل : «يقول» بالبناء للفاعل ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٣) استشاط : التهب .

(٤) فى الأصل : «ملمة» ؛ والميم زيادة من الناسخ .

(٥) رواه ابن الأثير فى النهاية : «أوساطها» بصيغة الجمع .

"زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حبّا" . "الوُحدةُ خيرٌ من قرين السوء" . "البركةُ فى الحركة" . "صِلوا أرحامَكم ولو بالسلام" . "من كَثَّر سوادَ قوم فهو منهم" . "ما قلّ وكفى خيرٌ ممـا كثُر وألْهَى" . "ليس الغِنى عن كثرة العَرَض، إنّمـا الغِنى غِنى النفس" .

وقال أبو بكر الصِّدّيقُ — رضى الله عنه — : صنائعُ المعروف تَقِى مَصارعَ السوء.

وقال علىّ بن أبى طالب : اِستغنِ عمّن شئتَ فأنت[1] نظيرُه، وآحتَجْ إلى من شئتَ فأنتَ[1] أسيرُه، وأَفْضِلْ على من شئتَ فأنت[1] أميرُه .

قال بعض الشعراء :

وإذا ما الرجاء أُسْقِطَ بين النـ * ـاس فالناسُ كلُّهم أَكْفاءُ

وقال لقمان لأبنه : ثلاثةٌ لا يُعرَفون إلّا فى ثلاثة مواضعَ : لا يُعرَف الحليم إلّا وقت الغضب ، ولا الشجاعُ إلا فى آلحـرب اذا لاقى آلأقران ، ولا أخـوك إلا عند حاجتك .

وقال عمر بن آلخطّاب رضى الله تعالى عنه : أَحَبُّكم إلينا قَبل أن نختبرَكم[2] أحسَنُكم صمتا، فإذا تكلّم فأَبْيَنُكم منطقا، فإذا آختبرناكم فأَحْسَنُكم فعلا .

وفى رواية : أَحبُّكم إلينا أَحْسَنُكم آسمـا ، فإذا رأيناكم فأَجْمَلُكم مَنظَرا ، فإذا آختبرناكم فأَحْسَنُكم مَخبَرا .

وخطب علىّ رضى الله عنـه يوما فقال فى خطبته : وأَعْجَبُ ما فى الإنسـان قلبُـه ، له أمدادٌ[3] من آلحكمة ، وأضدادٌ من خلافها ، فإذا سَنَح له الرجاءُ هاج به

---

(١) المشهور فى روايته « تكن » فى المواضع الثلاثة مكان قوله : « فأنت » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) فى الأصل : « نحركم » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه قوله : فإذا آختبرناكم .

(٣) الأمداد : الأعوان ، واحده مدد بالتحريك .

الطمع ، وإن هاج به الطمعُ أهلكه الحرص ، وإن ملكه اليأسُ قتله الأسف ، وإن عَرَض له الغضبُ اشتدّ به الغيظ ، وإن أُسعِد بالرضا نَسِيَ التحفُّظ ، وإن ناله الخوفُ شغله الحزن ، وإن أصابته مصيبةٌ قصَمه الجزع ، وإن أفاد مالا أطغاه الغِنى ، وإن عضّته فاقةٌ شغله البلاء ، وإن جَهَده الجوعُ أقعده الضعف ، فكلُّ تقصيرٍ به مُضِرّ ، وكلُّ إفراطٍ له مفسِد .

ومن كلامه — رضي الله عنه — : فَرَضَ الله تعالى الإيمانَ تطهيرا من الشِّرك ، والصَّلاةَ تنزيها عن الكِبر ، والزكاةَ سببا للرزق ، والصيامَ ابتلاء لإخلاص الخلق ، والحجَّ تقويةً للبَدَن ، والجهادَ عزًّا للإسلام ، والأمرَ بالمعروف مصلحةً للعوامّ[1] ، والنهيَ عن المنكر رَدْعا للسفهاء ، وصِلةَ الرحم منماةً للعَدد ، والقِصاصَ حَقْنا للدماء ، وإقامةَ الحدود إعظاما للمحارم ، وتَرْكَ شربِ الخمر تحصينا للعقل ، ومجانَبةَ السرقة إيجادا[2] للعفّة ، وتَرْكَ الزنى تصحيحا للنَّسب ، وتَرْكَ اللواط تكثيرا للنسل ، والشهاداتِ استظهارا على المجاحَدات ، وتَرْكَ الكذب تشريفا للصدق ، والسلامَ أمانا[3] من المخاوف ، والإمامةَ[3] نظاما للأمّة ، والطاعةَ تعظيما للإمامة .

وقال فَرفُوريوس[4] : لو تميّزت الأشياء بأشكالها لكان الكذبُ مع الجبن ، والصدقُ مع الشجاعة ، والراحةُ مع اليأس ، والتعبُ مع الطمع ، والحرمانُ مع الحرص ، والعزُّ مع القناعة ، والأمنُ[5] مع العفاف ، والسلامةُ مع الوَحدة .

(١) العوام : جمع عامة ، كدابة ودواب (المصباح) .

(٢) فى الأصل : «إيجازا» بالزاى ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٣) فى الأصل : «الأمانة» بالنون فى كلتا الكلمتين ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) كذا فى كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ٢٥٦ طبع ليبسك ؛ والذى فى الأصل : «فرفوريس» . وفرفوريوس هـذا من أهل مدينة صور من ساحل الشأم ؛ وكان بعد زمن جالينوس ؛ وله النباهة فى علم الفلسفة والتقدم فى تفسير كتب أرسطوطاليس .

(٥) فى الأصل : «والأمر» بالراء ؛ وهو تحريف .

وقال آخر: الشكرُ محتاجٌ إلى القبول، والحسبُ محتاجٌ إلى الأدب، والسرورُ محتاج إلى الأمن(١)، والقرابةُ محتاجة إلى المودّة، والمعرفةُ محتاجة إلى التجارِب، والشرفُ محتاج إلى التواضع، والنَّجدةُ محتاجة إلى الجَدّ.

وقال حكيم يونانيّ: السعاداتُ كلُّها فى سبعة أشياء: حُسنُ الصورة، وصحّةُ الجسم، وطولُ العمر، وكثرةُ العِلم، وسَعَةُ ذات اليـد، وطِيبُ الذكر، والتمكّنُ من الصديق والعدوّ.

وقال بعض الأدباء — وقد سئل عن العيش — فقال: فى الغِنى فإنى رأيتُ الفقير لايلتذّ بعيش أبدا؛ فقال له السائل: زِدْنى، قال: فى الصحّة، فإنى رأيت المريض لايلتذّ بعيش أبدا؛ فقال له: زِدْنى، قال: فى الأمن، فإنى رأيت الخائف لا يلتذّ بعيش أبدا؛ قال: زِدْنى؛ قال: لا أجد مَزيدا. وهـذا الكلام مأخوذ من قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

"من أصبح آمنا فى سِربِه(٢)، مُعافًى فى بَدَنه، عنـده(٣) قوتُ يومه، فكأنّمـا حِيزتْ له الدنيا بحذافيرها".

وقال فيلسوف: كثيرٌ من الأمور لا تَصلُح إلّا بقُرَنائها: لا ينفع العِلمُ بغير ورع، ولا الحفظُ بغير عقل، ولا الجمالُ بغير حلاوة، ولا الحسبُ بغير أدب، ولا السرورُ بغير أمن، ولا الغِنى بغير كفاية، ولا الاجتهادُ بغير توفيق.

---

(١) فى الأصل: "الأمر" بالراء؛ وهو تحريف.

(٢) السرب بكسر السين: النفس.

(٣) كذا فى الجامع الصغير ج ٢ ص ٣٥٢ طبع بولاق ومحاضرات الأدباء ج ١ ص ٣٢٢ طبع جمعية المعارف بمصر؛ والذى فى الأصل: «له» بدل قوله: «عنده»؛ ولم نقف على هذه الرواية فيما بين أيدينا من المظان.

وقالوا : المنظرُ يحتاج إلى القبول، والحسبُ إلى الأدب، والسرورُ إلى الأمن، والقُرْبى إلى المودّة ، والمعرفةُ إلى التجارِب ، والشرفُ إلى التواضع ، والنجدةُ إلى الجَد (١) .

وقال علىٌّ رضى الله عنه : يَغلِب المقدار على التقدير ، حتى تكون الآفةُ فى التدبير .

أخَذه ابنُ الرومى فقال :

غَلِطَ الطبيبُ علىَّ غلطةَ مُورِدٍ * عَجَزتْ مَوارِدُهُ (٢) عن الإصدارِ
والناس يلحَون الطبيبَ وإنّما * غَلَطُ الطبيبِ إصابةُ المقدارِ

وقال : اذا انقضت المدّه، كان الهلاك فى العُدّه .

وقال القدماء : لا خيرَ فى القول إلّا مع الفعل ، ولا فى المَنظَرِ إلّا مع المَخبَر ، ولا فى المالِ إلّا مع الجود ، ولا فى الصديق إلّا مع الوفاء ، ولا فى الفقهِ إلّا مع الورع ، ولا فى الصدقةِ إلّا مع حسن النيّة ، ولا فى الحياةِ إلّا مع الصحّة ، ولا فى السرورِ إلّا مع الأمن .

قال بعض بنى تميم : حضرتُ مجلس الأحنف بنِ قيس وعنده قوم مجتمعون، فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال : إن الكَرَم، مَنْعُ الحُرَم، ما أَقربَ النِّقمةَ من أهل البغى! لا خيرَ فى لذّة تُعقِب ندما؛ لن يَهلِكَ مَن قَصَد ، ولن يفتقرَ مَن زَهَد ؛ ربّ هزل قد عاد جِدّا؛ من أَمِن الزمانَ خانه ، ومن تَعظَّم عليه أهانه؛ دَعوا المزاح فإنه

(١) تقدّم هذا الكلام فى صفحة ١٨٤ مع تغيير يسير فى عباراته .

(٢) كذا فى وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٠٠ طبع بولاق وغيره من المصادر التى بين أيدينا ؛ والذى فى الأصل : « مجانيه » ؛ وهو تحريف .

يؤرّث[1] الضغائن؛ وخيرُ القول ما صدّقه الفعل؛ احتملوا مَن أَدَلّ عليكم ، وآقبلوا عذرَ من آعتذر إليكم؛ أطع أخاك وإن عصاك، وصِله وإن جفاك؛ أَنصِفْ مِن نفسِك قبل أن يُنتصَف منك ؛ وإيّاكم ومشاورةَ النساء ؛ وآعلم أنّ كفر النعمة لؤم، وصحبةَ آلجاهل شؤم؛ ومِن الكرم، الوفاء بالذمم؛ ما أقبحَ القطيعةَ بعد الصِّلة؛ والجفاء بعد اللُّطْف، والعداوةَ بعد الوُدّ ! لا تكوننّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان ، ولا إلى البخل أَسرَعَ منك إلى البذل ؛ وآعلم أنّ لك من دنياك ، ما أصلحتَ به مَثواك، فأَنفِق فى حقّ ولا تكوننّ خازنا لغيرك ؛ واذا كان الغدرُ موجودا فى الناس فالثقةُ بكلّ أحد عجْز ؛ اعرِف آلحقَّ لمن عرَفه لك؛ وآعلم أنّ قطيعةَ الجاهل، تعدل صِلةَ العاقل . قال : فما رأيتُ كلاما أبلغَ منه ، فقمتُ وقد حفظتُه . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ومن كلام علىّ رضى الله عنه : من أبصَر عيبَ نفسه شُغِل عن عيب غيره ؛ ومن سَلّ سيف البغيِ قُتِل به ؛ ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ؛ ومن هتَك حجابَ أخيه آنهتكتْ عوراتُ بيته[2] ؛ ومن نسىَ خطيئته آستعظَم خطيئةَ غيره ، ومن تكبّر على الناس ذَلّ ؛ ومن سَفُه على الناس شُتِم ؛ ومن خالط العلماءَ وُقِّر، ومن خالط الأنذالَ حُقِّر؛ ومن أكثر من شيءٍ عُرِف به ؛ والسعيدُ من وُعِظ بغيره ؛ وليس مع قطيعة الرحم نُمّى ، ولا مع الفجور غِنى ؛ رأسُ العلم الرفق ، وآفتُه الخُرْق ؛ كثرةُ الزيارة تورث آلملالة .

وقال موسى بنُ جعفر: ماتَسابَّ[3] آثنان إلّا آنحطّ الأعلى إلى مرتبة الأسفل .

(١) يقال : أرّث النار تأريثا ، إذا أوقدها ؛ وما هنا مستعار منه .

(٢) فى الأصل : « بنته » بالنون؛ وهو تصحيف .

(٣) فى الأصل : « ما أشب » ؛ وهو تحريف .

وقال آخر : ما تَسابّ اثنان إلا غَلَبَ ألأمُهما .

وقال الحسن بن علىّ بن موسى الرِّضىّ : اعلم أن للحِباء(١) مقدارا فإن زاد عليه فهو سَرَف ، وللحزم مقدارا فإن زاد عليه فهو جبن ، وللاقتصاد مقدارا فإن زاد عليه فهو بخل .

قال مهدىّ بن أبان : قلتُ لوَلّادةَ العَبْدِيّة — وكانت من أعقل النساء — : إنّى أريد الحج فأوصينى ، قالت : أُوجِزُ فأبلغ ، أم أطيلُ فأُحْكِم ؟ فقلت : ماشئتِ ؛ فقالت : جُدْ تَسُدْ ، واصبر تفُز ؛ قلت : أيضا ؛ قالت : لا يُبعد غضبُك حلمَك ، ولا هواكَ علمَك ؛ وقِ دينَك بدنياك ، وقِ عِرْضَك بعَرَضك ؛ وتَفَضَّلْ تُخدَم ، واحلُمْ تُقدَّم ؛ قلت : فيمن أستعين ؟ قالت : بالله ؛ قلت : من الناس ؛ قالت : الجَلْد النشيط ، والصالح الأمين ؛ قلت : فمن أستشير ؟ قالت : المجرِّبَ الكَيّس ، أو الأديبَ الأريب ؛ قلت : فمن أستصحب ؟ قالت : الصديقَ المسلِّم ، أو المؤاخى(٢) المتكرِّم ؛ ثم قالت : يابنـاه ، إنك تَفِد إلى مَلِك الملوك فانظر كيف يكون مقامُك بين يديه .

وقال حكيم : مَن الذى بلغ جسيما فلم يَبطَر(٣) ، واتبع الهوى فلم يَعطَب ؛ وجاوَر النساء فلم يَفتتن ، وطَلب إلى اللئام فلم يُهَن ، وواصَل الأشرارَ فلم يندم ، وصَحِب (٣٧) السلطانَ فدامت سلامتُه .

---

(١) الحِباء بالكسر : العطاء .

(٢) فى الأصل : « المداجى » بالدال والجيم ؛ وهو تحريف مفسد للمعنى ، فإن المداجاة : المداراة ومساترة العداوة .

(٣) فى الأصل : « ينظر » ؛ وهو تصحيف لا يستقيم به المعنى .

وقال : الاعتبارُ يفيدك(١) الرشاد، وكفاك أدبا لنفسك ما كرهتَ من غيرك .

وكان يقال : عليكم بالأدب فإنه صاحبٌ فى السّـفر ، ومُؤنسٌ فى الوُحدة، وجمالٌ فى المَحْفِل، وسببٌ إلى طلب الحاجة .

وقال بعضهم : احذر كلَّ الحذر من أن يخدعك(٢) الشـيطان فيمثّلَ لك التوانىَ فى صورة التوكّل، و يُورثك الهُوَينَى(٣) بالإحالة على القَدَر، فإن الله تعالى أمر بالتوكّل عند انقطاع الحِيَل، وبالتسليم للقضاء بعد الإعذار، فقال تعالى : «خُذُوا حِذْرَكُمْ» « وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَة » .

وقال آخر : لا تجاهـد الطلبَ جهادَ الغالـب، ولا تتّـكل على القـدر اتّكالَ المستسلم، فإنّ ابتغاءَ الفضل(٤) من السنّة، والإجمالَ فى الطلب من العفّة، وليست العفّةُ بدافعة رزقا، ولا الحرصُ بجالب فضلا .

وقالوا : عشرُ خصـالٍ فى عشرة أصـناف أقبحُ منهـا فى غيرهم : الضيقُ فى المـلوك، والغدرُ فى الأشراف، والكذبُ فى القضـاة، والخديعـةُ فى العلماء، والغضبُ فى الأبرار(٥)، والحرصُ فى الأغنياء، والسَّفَهُ(٦) فى الشيوخ، والمرضُ فى الأطبّاء، والزّهوُ فى الفقراء، والفجورُ فى القُرّاء(٧) .

---

(١) فى الأصل : « يعتدك » بالعين والتاء؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «يدعك» بسقوط الخاء؛ والتصويب عن محاضرات الأدباء للراغب ج١ ص ٢٠٥ طبع جمعية المعارف بمصر .

(٣) كذا فى محاضرات الأدباء؛ والذى فى الأصل : «يريك تهوينا» ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين .

(٤) فى الأصل : «بالفضل» ؛ والباء زيادة من الناسخ .

(٥) لعله : «فى الأمراء» .

(٦) فى الأصل : « والسعة » ؛ وهو تحريف .

(٧) المراد بالقرّاء : حفظة القرآن والتالون له .

وقالوا : ثمانيةٌ إذا أهينوا[1] فلا يلوموا إلّا أنفسهم : الآتى طعاما لم يُدْعَ إليه، والمتأمّرُ على ربّ البيت فى بيته، وطالبُ المعروف[2] من غير أهله، وراجٍ منن الفضلِ من اللئام، والداخلُ بين اثنين لم يُدخِلاه، والمستخفّ بالسلطان، والجالسُ مجلسا ليس له بأهل، والمقبِلُ بحديثه على من لا يسمعه .

ومن الأبيات المناسبة لهذا الفصل قولُ الأضبط بن قُرَيع :

لِكلّ ضِيقٍ من الهموم سَعَه * والمُسْىُ والصبح لا بقاءَ معَه
فصِلْ حبالَ البعيد إن وصل الـ * ـحبلَ وأَقصِ القريبَ إن قطعَه
وخذ من الدهر ما أتاك به * من قرّ عينا بعيشه نفَعَه
لا تَحْقِرَنّ[3] الفقيرَ علّك أن * تَركَعَ[4] يوما والدهرُ قد رفَعَه
قد يجمع المالَ غيرُ آكلِه * ويأكل المالَ غيرُ من جَمَعَه

وقال أُحَيحَة :

فما يدرى الفقيرُ متى غِناه * ولا يدرى الغنىُّ متى يَعِيلُ[5]
ولا تدرى إذا أزمعتَ أمرا * بأىّ الأرض يأتيك المَقِيلُ

---

(١) فى الأصل : « هينوا » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « المعروه » بالهاء؛ وهو تحريف .

(٣) فى اللسان مادة «ركع» ولا تهين الخ . وقال : أراد «ولا تهينن» فجعل النون ألفا ساكنة فاستقبلها ساكن آخر فسقطت .

(٤) يقال : ركع الرجل، إذا افتقر بعد غنى وانحطت حاله .

(٥) يعيل : يفتقر .

وقال الصَّلَتان العبدىّ[(١)] :

أشاب الصغيرَ وأفنَى الكبيـ * ـرَ كَرُّ الغداة ومَرُّ العَشِى[(٢)]

إذا ليلةٌ هَرِمَتْ[(٣)] يومَها * أتَى بعد ذلك يومٌ فَتِى

نروح ونغدو لحاجاتنا * وحاجةُ من عاش لا تنقضِى

تموت مع المرء حاجاتُه * وتَبقَى له حاجةٌ ما بَقِى

وقال المتنبّى :

ذِكْرُ الفتى عُمرُه الثانى وحاجتُه * ما قاته وفضولُ العيش أَشغالُ

وقد جُمِعَ من شعر أبى الطيّب فى ذلك ما وافق كلام أَرِسْطوطاليسَ فى الحكمة؛ فمن ذلك قول أَرِسْطوطاليسَ : إذا كانت الشهوةُ فوق القدرة كان هلاكُ الجسم[(٤)] دون بلوغ الشهوة .

قال المتنبّى :

وإذا كانت النفوس كِبارا * تَعِبتْ فى مُرادها الأجسامُ

وقال أَرِسْطوطاليس : قد يفسد العضو لصلاح أعضاء، كالكَىّ والفصد اللّذين يُفسِدان الأعضاءَ لصلاحِ غيرِها . نقله المتنبّى إلى شعره فقال :

---

(١) كذا فى الأصل ومعاهد التنصيص ص ٣٥ طبع بولاق؛ ونقل صاحب معاهد التنصيص أيضا عن الجاحظ فى كتاب الحيوان نسبة هذه الأبيات الى الصلتان السعدى، وقال — أى الجاحظ — : هو غير الصلتان العبدى .

(٢) كذا فى معاهد التنصيص؛ والذى فى الأصل : «لواء» ولعله مقلوب «ولاء» بتقديم الواو المكسورة، وهو المتابعة، مصدر والى الشىء : أى تابعه، فإن المعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) فى الأصل : «هزمت»؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما فى اللسان؛ ويدل عليه أيضا مقابلته بقوله فى آخر البيت : «يوم فتى» .

(٤) فى الأصل : «الهم»؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

لعلّ عَتْبَك محمودٌ عواقبُه * فربّما صحّت الأجسادُ بالعِلَلِ

وقال أرِسْطوطاليس : الظلم من طبع النفوس، وإنما يصُدّها عن ذلك إحدى علّتين : إمّا علّة دينيّة خوف مَعاد، أو علّة سياسيّة خوف سيف

قال المتنبّي :

والظلمُ من شِيَمِ النفوس فإن تَجِدْ * ذا عفّةٍ فلعلّةٍ لا يَظلِمُ

هذا ما اتفق إيرادُه فى هذا الباب من أمر كتابة الإنشاء، وكلامِ الصحابة والخلفاء، وذوى الفصاحة من الأمراء، وبلاغاتِ الخطباء والفصحاء، ورسائلِ الفضلاء والبلغاء، وفِقَرِ الكتّاب والأدباء، وحِكَمِ أوائل الحكماء ؛ وهو ممّا يُضطرّ الكاتبُ إليه، ويَعتمِد فى الاطلاع على ما خفى من أمر هذه الصناعة عليه ؛ وهى إشاراتٌ إلى مجموعها، ورشفاتٌ من يَنبوعِها ؛ وبابٌ يتوصّل منه إلى رحابِها، وسلّمٌ يرتقى عليه إلى هضابِها، ومَسِيلٌ عذبٌ يتّصل بعبابِها ؛ فقد وَضَحَ لك أيّها الطالبُ السبيل، وظهر لك أيّها الراغبُ قيام الدليل ؛ وفيما أوردناه كفايةٌ لمن تمسّك بهذه الصناعة ورغب فيها، وغُنيةٌ لمن تأمّل مقاصدها وتدبّر معانيها ؛ فلنذكر كتابةَ الديوان والتصرّف .

---

## ذكر كتابة الديوان وقلم التصرف وما يتصل بذلك

قد ذكرنا فى أوّل هذا الباب فى السفر السابع من هذا الكتاب اشتقاقَ الكتابة، ولِمَ سُمّيت بذلك، وذكرنا أيضا أصلَها وشرفَها وفوائدَها ، فلا حاجة إلى إعادته فى هذا الموضع ، فلنذكر الآن ما يتعلّق بقلم الديوان والتصرّف والحساب ؛ وإن كنّا قدّمنا ذكرَ كتّابِ الإنشاء لِما هم بصدده من الصدارة والوجاهه، والنبالة والنباهه ؛ والفصاحةِ والصباحه، والنزاهةِ والسماحه ؛ والأمانةِ والديانه، والسيادة والصيانه ؛

ولمـا تصدّوا له من كتم أسرار الدُّوَل ، وتردّوا به من محاسنِ الأواخرِ ومآثرِ الأُوَل ، وٱلتحفوا به من مَطـارف الفضائل والمكارم ، وتحلّوا به من صـفات الأفاضل والأكارم ؛ الى غير ذلك من مناقبهم ٱلجمّـه ، وأياديهم ٱلتى وَضَحَتْ غررا فى ليالى ٱلخطوب ٱلمدلهمّه ؛ فكُتّابُ ٱلحساب أكثرُ تحقيقا ، وأقربُ إلى ضبط الأموال طريقا ، وأدَلُّ برهانا ، وأَوضحُ بيانا ، قال ٱلله تعالى فى كتابه ٱلعزيز : ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ وذهب بعض ٱلمفسرين لكتّاب الله تعالى فى قوله تعـالى إخبارا عن يوسف عليـه السلام : ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ، أى كاتبٌ حاسب .

وروى البخارىّ عن أبى حُمَيد ٱلساعدىّ قال : "استعمل رسولُ ٱلله صلّى الله عليه وسلّم رجلا من الأَسْد (١) على صدقات بنى سَليم يُدعَى ٱبنَ ٱللُّتْبِيَة (٢) فلمّا جاء حاسَبَه" فقد صحّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حاسَبَ ؛ وبكُتّاب ٱلحساب تُحفَظ الأموال وتُضـبَط الغلال ، وتُحدُّ قوانينُ البلاد ، وتُميَّز الطوارفُ من التّلاد ؛ لم يفخَر كُتّاب الإنشاء بمَنقَبة إلا فَخَروا بمناقب ، ولا سَمَوا إلى مرتبـة إلّا وقد رَقَوا إلى مراتب ؛ ولا تميّزوا برسالة (٣) إلّا ولهؤلاء فيها القِدْحُ المعلَّى ، ولا نُسبوا إلى نباهة إلّا ومحلُّهم فيها

(١) كذا فى الأصل بالسين ، وهو أفصح ؛ ويقال فيه : "الأزد" بالزاى ، وهو أبو حى من اليمن ، ومن أولاده الأنصار كلهم .

(٢) هذه الكلمة فى الأصل مهملة الحروف من النقط ؛ وقد أثبتناها هكذا نقلا عن صحيح البخارى ج ١ ص ٣٨٢ طبع ليدن واللتبية : أمه ، نسبة إلى بنى لتب بالضم ، وهم حى من الأزد ؛ ومنهم من يفتح اللام والتاء المثناة ؛ وفى بعض الروايات : «الأتبية» بالهمز ؛ وفى رواية أخرى بضم ففتح ؛ واسم ابن اللتبية هذا : عبد الله انظر شرح القاموس مادة (لتب) .

(٣) كذا وردت هـذه الكلمة فى الأصل ، ولعل فيها تحريفا فإن رسائل المنشـئين ليس لكتاب التصرف فيها القدح المعلى كما قال إلا اذا كانوا منشئين أيضا ؛ ولعـل صوابه « بنبالة » ويرجحه حصول الجناس بها مع قوله فى الجملة الآتية « نباهة » والمؤلف يميل إلى هذا النوع فى كتابته ؛ وقد سبق أن جمع بين الكلمتين فى صفحة ١٩١ س ١٩ .

المحلُّ الأرفعُ ومقامُهم المقامُ الأعلى؛ ولا اتصفوا بكتمان سرٍّ إلّا اتصف هؤلاء بمثله، ولا شُهِروا ببذل بِرٍّ إلا وهؤلاء هم أعيان أهله؛ ثم اختصّ كُتّابُ التصرف بأمورٍ مُنِع أولئك منها، وأُطلِقتْ أقلامُهم في أقلام[(١)] حُبِستْ أقلامُ أولئك عنها؛ وارتقوا إلى قُلَل مراتبَ كَبَتْ جيادُهم عن إدراك غايتها، وتسنّموا ذرا مناصبَ لا تمتدّ الآمالُ[(٢)] إلى أكثرَ من نهايتها؛ ولسنا نقيمهم في محلّ المناظرة، ولا نوقفهم في موقف المكاثرة والمفاخرة؛ بل لكلّ طائفة فضلٌ لا ينكَر، وفضائلُ هي أشهرُ من أن تملى وتسطَّر؛ ولمّا انتهيتُ في كتابي هذا إلى باب الكتابة، أردت أن أضرب عن ذكر كتابة التصرّف صفحا، ولا أُعيرها من النظر لحا، وأقتصر على كتابة الإنشاء جريا على عادة من صنّف، وقاعدةِ من ألّف؛ فسألني بعض إخواني أن أضع في ذلك (٣٩) ملخّصا يَعلم منه المباشرُ كيف المباشرة، ويستضيء به فيما يسترفعه[(٣)] أو يرفعه من ضريبةٍ ومُوافَرة[(٤)]؛ فأوردتُ[(٥)] هذه النُّبذة إزالةً[(٦)] لسؤاله، وتحقيقا لآماله؛ وذكرتُ من صناعة الكتابة ما هو بالنسبة إلى مجموعها قطرةٌ من بحرها، وشذرةٌ من عقود درّها؛ ممّا[(٧)] لا بدّ للمبتدئ من الإحاطة بعلمه، والوقوف عند رسمه؛ وحين وضعتُ ما وضعتُ من هذه الصناعة لم أقف قبل ذلك على كتاب في فنّها

(١) المراد بالأقلام هنا: أنواع كتابة الديوان كما هو المصطلح عليه عند كتاب الدواوين في زماننا؛ وبالتي قبلها والتي بعدها: جمع القلم بالمعنى المعروف.

(٢) في الأصل: «الأمثال»؛ والثاء زيادة من الناسخ.

(٣) يسترفعه: أي يطلب من غيره أن يرفعه إليه. ويرفعه: أي يرفعه هو إلى غيره.

(٤) في الأصل: «موامره» بالميم؛ وهو تحريف.

(٥) في الأصل: «فأوردت» بسقوط الواو؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا.

(٦) في الأصل: «إرادة» وهو تحريف؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا.

(٧) في الأصل: «فيما»؛ وهو تحريف.

مصنَّف، ولا آنتهيتُ إلى فصل مترجَم[1] بهـا أو مؤلَّف؛ ولا لمحتُ فى ذلك إشاره، ولا سمعتُ من نخّص فيها عباره؛ ولا من تفوّه فيها ببنت شـفة ولسان، ولا من صرَّف ببنانٍ[2] بلاغتـه فى ميادينها آلعِنان؛ حتى أقتدىَ بمثاله، وأَنْسِجَ[3] على منواله؛ وأسلك طريقه فى الإجاده، وأحذوَ حذوَه فى الإفاده؛ بل وجدتُها مقفَلةَ آلبـاب، مسبَلةَ الحجَـاب؛ قد آكتفَى كلُّ كاتب فيهـا بعلمِه، وآقتصر على حسب فهمه؛ فراجعتُ فيها الفكره، وعطفتُ بالكرّة بعد الفتره؛ ثم قرعتُ بابها ففُتح بعد غَلْقِه[4]، ورفعتُ حجابَها ففُتِق بعد رَتْقه؛ وآمتطيتُ صهوتَها[5] فلانت بعد جماحِها، وآرتقيتُ ذُروتها فظهر للفكرة طريقُ نجاحها؛ فشرعتُ عنـد ذلك فى تأليف ما وضـعتُه[6]، وترصيف[7] ما صنَّفتُه؛ وبدأتُ بآشتقاق تسمية الديوان، ولِمَ سُمِّىَ ديوانا؛ ثم ذكرت ما تفرّع من كتابة الديوان من أنواع الكتابات، وأوّلَ ديوان وُضع فى الإسـلام، وسببَ وضـعِه؛ ثم ذكرت ما يحتاج اليه كلُّ مباشر من كيفيّة المباشَرة وأوضاعها، وما آستقرّتْ عليه آلقواعد العرفيّـة، والقوانينُ الاَصطلاحيّة، وما يرفعه كلُّ مباشر ويسترفعه[8]، والأوضاع آلحسابية؛ على ما ستقف إن شاء آلله تعالى عليه، وترجع فيما أشكَل من أمورها إليه .

---

(١) فى الأصل : «لفظ» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . ومترجم بفتح الجيم : أى مسمى .

(٢) فى الأصل : «بنيان» ؛ وهو تصحيف .

(٣) فى الأصل : «وأبيح» ، وهو تحريف .

(٤) الغلق : مصدر غلقت الباب بدون ألف ، وهى لغة قليلة قال الشاعر : «ولا أقول لباب الدار مغلوق» .

(٥) فى الأصل : «صهرتها» بالراء ؛ وهو تحريف .

(٦) لعله : «وصفته» إذ به مع قوله : «صنفته» فى الجملة الآتية يستقيم السجع الذى التزمه المؤلف .

(٧) الترصيف : التجميع والتنضيد ، يقال : رصف الحجارة ورصفها بتخفيف الصاد وتشديدها .

(٨) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٩٣ من هذا السفر .

## ذكر ٱشتقاق تسمية الديوان ولم سمّى ديوانا ومن سمّاه بذلك

قد ٱختُلِف فى تسمية الديوان ديوانا على وجهين : أحدهما أنّ كسرى ٱطّلع ذات يوم على كتّاب ديوانه ، فرآهم يحسُبون مع أنفسهم ، فقال : دِيوانه : أى مجانين ، فسُمِّىَ موضعُهم بهذا الآسم ، ثم حُذفت الهاء لكثرة الآستعمال تخفيفا للآسم ، فقيل : ديوان . والثانى أن الديوان بالفارسيّة ٱسمٌ للشياطين ، فسُمِّىَ الكُتّابُ بٱسمهم لحذقهم بالأمور (١) ، ووقوفهم على ٱلجلىّ وٱلخفىّ ، وجمعهم لما شذّ (٢) وتفرّق ، وٱطلاعهم على ما قرُب وبعُد ، ثم سُمِّىَ مكانُ جلوسهم بٱسمهم (٣) ، فقيل : ديوان . هذا ما قيل فى تسميته على ما حكاه ٱلماوردىُّ فى الأحكام السلطانيّة ؛ والله أعلم .

---

## ذكر ما تفرّع عن كتابة الديوان من أنواع الكتابات

هذه الكتابة تنقسم إلى أقسام ووظائف : أصولٍ وفروع ، وهى : مباشَرةُ ٱلجيوش ، ومباشَرةُ الخزانة ، و بيت المال ، وأهراءِ (٤) الغلال ، ومباشَرةُ البيوت ، ومباشَرةُ ٱلهلالىّ (٥) ، ومباشَرةُ ٱلجوالى (٥) ، ومباشَرةُ ٱلخراجىّ ، ومباشَرةُ الأقصاب وٱلمعاصر ومطابخ السكّر ؛ ويحتاج مباشرُ كلِّ وظيفة من هذه الوظائف إلى معرفة قواعدَ يأتى ذكرها إن شاء الله تعالى ؛ ولنبدأ بذكر مباشرة ٱلجيوش .

---

(١) كذا فى الأصل وصبح الأعشى ج ١ ص ٩٠ بالباء ؛ ولعله « فى الأمور » ؛ إذ لم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أنه يقال : حذقت بالشىء ؛ والذى وقفنا عليه أنه يقال : حذقته ، وحذقت فيه .

(٢) فى الأصل : « شذّد » بدالين مهملتين ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «تسميتهم» والميم زيادة من الناسخ ، فإن المراد تسمية الديوان .

(٤) الأهراء : جمع « هُرِىّ » بضم الهاء وكسر الراء وتشديد الياء ، وهو بيت كبير تجمع فيه الغلال التى للسلطان ؛ قال الأزهرى : لا أدرى أعربى هو أم دخيل .

(٥) سيأتى شرح الهلالى والجوالى عند الكلام على ما يحتاج إليه مباشر كل منهما .

## ذكر مباشرة ديوان الجيش وسبب وضع الدواوين وأول من وضعها فى الإسلام

وديوانُ الجيش هو أوّلُ ديوان وُضع فى الإسلام[1]، وضعه عمرُ بنُ الخطّاب — رضى الله عنه — فى خلافته؛ وقيل: بل وُضع فى عهد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، ويدلّ على ذلك أن البخارىّ — رحمه الله — ترجم على هذا بقوله: باب كتابة الإمام الناسَ، قال: حدّثنا محمدُ بن يوسف، قال: حدّثنا سفيانُ عن الأعمش عن أبى وائل عن حُذيفة: قال النبى صلّى الله عليه وسلّم: "اكتبوا لى من تلفّظ بالإسلام من الناس، فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل" وقد روى البخارىّ أيضا بسنده عن ابن عبّاس — رضى الله عنهما — قال: "جاء رجل إلى النبى صلّى الله عليه وسلّم فقال: يارسول الله، إنى اكتُتِبتُ[2] فى غزوة كذا وكذا، وامرأتى حاجّة؛ قال: ارجع فاحجج مع امرأتك".

واختلف الناس فى سبب وضعه فى أيام عمر؛ قال قوم: سببه أن أبا هُرَيرة — رضى الله عنه — قدم بمال من البحرين، فقال له عمر رضى الله عنه: ما ذا

(١) فى صبح الأعشى ج ١ ص ٩١ أن أول ديوان وضع فى الإسلام هو ديوان الإنشاء؛ قال: وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم ويكاتبونه الخ ثم قال أيضا: وهذه المكتوبات متعلقها ديوان الإنشاء.

(٢) كذا فى اللسان مادة كتب؛ والذى فى الأصل: «إنى اكتسبت»؛ وهو تحريف؛ وفى صحيح البخارى ج ٤ ص ٧٢ طبع بولاق سنة ١٣١١: «كتبت»؛ وقد روى البخارى هذا الحديث أيضا فى ج ٣ ص ١٩ طبع بولاق برواية أخرى، وهى: قال النبى صلى الله عليه وسلم: «لا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم؛ فقال رجل: يارسول الله، إنى أريد أن أخرج فى جيش كذا وكذا وامرأتى تريد الحج؛ فقال: اخرج معها». ولا شاهد فيه على هذه الرواية حيث قال: «إنى أريد أن أخرج» ولم يقل: «إنى كتبت».

جئتَ به ؟ قال خمسمائة ألف درهم، فٱستكثره عمرُ وقال : أتدرى ماتقول؟ قال : نعم، مائة ألف خمس مرات؛ فقال عمر : أطَيِّبٌ[1] هو ؟ فقال : لا أدرى؛ فصعِد عمرُ رضى الله عنه ٱلمنبرَ، فحمِد ٱلله وأثنَى عليه، ثم قال : أيها الناس، قد جاءنا مالٌ كثير، فإن شئتم كِلنا لكم كيلا، وإن شئتم عَددنا [لكم عدًّا][2]؛ فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، قد رأيتُ الأعاجم يدوِّنون ديوانا لهم، فدوِّن أنت [لنا][3] ديوانا .

وقال آخرون : بل سببه أن عمر — رضى ٱلله عنه — بعث بعثا وعنده الهُرمُزانُ[4]، فقال لعمر: هذا بعثٌ قد أعطيتَ أهلَه الأموال، فإن تخلَّف رجلٌ منهم وأَخَلَّ[5] بمكانه فمن أين يعلَم صاحبُك[6]؟ فأثبِتْ لهم ديوانا؛ فسأله عن الديوان حتى فسّره له .

وروى [عابد بن يحيى][7] عن [الحارث][7] بن نُفَيل أن عمر رضى الله عنه استشار ٱلمسلمين فى تدوين الدواوين، فقال علىّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه : تَقسِم فى كلِّ سنة ما ٱجتمع إليك من ٱلمال ولا تُمسِك منه شيئا؛ وقال عثمان بن عفّان — رضى الله عنه — : أرى مالا كثيرا يسَع الناسَ، وإن لم يُحصَوا حتى يُعرَف من أخَذ ممن لم يأخذْ خشيتُ أن ينتشر الأمر؛ فقال خالد بنُ الوليد : قد كنتُ بالشأم

(١) الطيب : الحلال، وهو ضد الخبيث، أى هل ٱكتسبه دافعوه من حلال ؟ .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٢٠٤ طبع ٱلمنيا .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية .

(٤) كذا فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٠٦ والأحكام السلطانية؛ والذى فى الأصل : « الفيرزان »؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « آخر » وفى الأحكام السلطانية : « وأجل » وهو تحريف فى كليهما والتصويب عن صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٠٦ ومقدمة ابن خلدون ص ١١٨ طبع بولاق .

(٦) يريد بقوله : « صاحبك » أمير الجيش؛ وزاد فى الأحكام السلطانية بعد هذه الكلمة قوله : به .

(٧) هاتان الكلمتان ساقطتان من الأصل؛ وقد أثبتناهما عن الأحكام السلطانية .

فرأيتُ ملوكها دَوّنوا ديوانا، وجَنّـدوا جنودا، [فدَوِّن[1] ديوانا، وجَنِّد جنودا] فأَخَذ بقوله، ودعا عَقيــلَ بنَ أبى طالب ومَخْرَمةَ[2] بنَ نوفل وجُبيرَ بنَ مطعم — وكانوا من كُتّاب قريش — فقال: اكتبوا الناس على منازلهم، فبدءوا ببنى هاشم فكتبوهم، ثم أتبعوهم قومَ أبى بكر، ثم عمرَ وقومَه، وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة[3]، ثم رفعوا ذلك إلى عمر رضى الله عنه، فلمّا نظر فيه قال: لا، [ما][4] وَدِدتُ أنّه كان هكذا، ولكن ٱبدءوا بقرابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه ٱلله؛ فشكره العباس رضى الله عنه على ذلك؛ وكان ذلك فى ٱلمحرّم سنة عشرين من ٱلهجرة، وقيــل فى سنة خمس عشرة، — والله أعلم —؛ فلمــا ٱستقرّ ترتيب الناس فى الدواوين على قَدْر[5] النسب ٱلمتصلِ برسول ٱلله صلّى ٱلله عليه وسلّم فَضّل بينهم فى العطاء على قدر السابقة فى الإسلام. وسنذكر إن شاء ٱلله فى خلافة عمر رضى ٱلله عنه ما فرضه من العطاء لكلّ طائفة على ما ستقف عليه — إن شاء ٱلله تعالى — فى موضعه من فنّ ٱلتاريخ، وهو فى السفر السابع عشر من كتابنا هذا؛ فهذا كان سببَ وضعِ ديوانِ ٱلجيش.

وأما دواوين الأموال — فإنها كانت بعد ظهور الإسلام بالشأم والعراق على ما كانت عليه قبل الإســلام، فكان ديوان الشأم بالروميّة لأنه كان من ممالك

---

(١) التكملة عن الأحكام السلطانية ص ٣٤٥ طبع المنيا.

(٢) كذا فى مستدرك التاج؛ والذى فى الأصل والأحكام السلطانية: «مخرمة» بالحاء المهملة والزاى المعجمة؛ وهو تصحيف.

(٣) لعله يريد بقوله: ووضعوها على الخلافة، أنهم جعلوا ترتيب القبائل فى الديوان على حسب قربهم فى النسب من القبيلة التى فيها الخلافة.

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية إذ بها يستقيم الكلام.

(٥) كذا فى الأحكام السلطانية؛ والذى فى الأصل: «تعدد»؛ وهو تحريف.

الروم ، وكان ديوان العراق بالفارسيّة لأنه كان من ممالك الفُرس ، فلم يزل أمرهما جاريا على ذلك إلى زمن عبد الملك بن مروان ، فنقل ديوان الشأم إلى العربيّة فى سنة إحدى وثمانين من الهجرة ، وكان سبب نقله — على ما حكاه المدائنىّ — أن بعض كتّاب الروم فى ديوانه أراد ماءً لدواته ، فبال فى الدواة ، فبلغه ذلك فأدّبه ، وأمر سليمانَ بن سعد أن ينقل الديوانَ إلى العربيّة ، فسأله أن يُعينه بخراج الأُردُنّ[١] سنةً ، ففعل وولّاه الأُرْدُنّ ، وكان خراجُه مائةَ ألف وثمانين ألف دينار ، فلم تنقضِ السنةُ حتى فرغ من الديوان ونَقَلَه ، وأتى به عبدَ الملك فدعى سرجون[٢] كاتبَه فعرضه عليه فغمّه وخرج كئيبا ، فلقيَه قوم من كتّاب الروم ، فقال لهم : اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم .

وأما ديوان العراق — فكان سبب نقله إلى العربيّة أنّ كاتب الحجّاج بن يوسف كان زاذان فَرّوخ[٣] ، وكان معه صالح بنُ عبد الرحمن يكتب بين يديه بالعربيّة والفارسيّة ، فأوصله زاذان فَرّوخ[٣] إلى الحجّاج ، نخفّ على قلبه ، فقال صالحٌ لزاذان فَرّوخ[٣] إنّ الحجّاج قد قرّبنى ولا آمن أن يقدّمنى عليك ؛ فقال : لا تظنّ ذلك فهو إلىّ أحوجُ منّى إليه ، لأنه لا يجد من يكفيه حسابَه غيرى ؛ فقال له صالح : والله لو شئتُ أن أحوّل الحساب إلى العربيّة لفعلت ؛ فقال : فحوّلْ منه ورقة أو سطرا حتى أرى ، ففَعَل ؛ ثم قُتِل زاذان فَرّوخ فى حرب عبد الرحمن بن الأشعث ، فاستخلف

(٣١)

---

(١) الأردنّ بضم الهمزة وتشديد النون : كورة واسعة ، منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك .

(٢) كذا فى تاريخ الطبرى قسم ٢ ص ٨٣٧ طبع ليدن ؛ والذى فى الأصل : « سرحون » بالحاء المهملة .

(٣) كذا فى مقدمة ابن خلدون ص ١١٩ طبع بولاق وتاريخ الطبرى قسم ٢ ص ٤٥٨ طبع ليدن ؛ والذى فى الأصل : «زاذا بقروخ» ؛ وهو تحريف .

الحجّاج صالحا مكانَه، فذكر له ما جرى بينه وبين زاذان فَرُّوخ فأمره أن ينقله، فأجابه إلى ذلك وأجّلَه فيــه أجلا حتى نقله إلى العربيّة، فلمّا عرف مَرْدانشاه بن زاذان فَرُّوخ ذلك بذَل له مائةَ ألف درهم ليُظهِر للحجّاج العجزَ عنــه، فلم يفعل؛ فقال له: قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسيّة.

وكان عبدُ الحميد بنُ يحيى كاتبُ مروانَ يقول: لله درُّ صالح ما أعظم مِنّته على الكُتّاب!.

هــذا ما حُكِيَ في ابتــداءِ نقلِ الدواوين، فلنرجع إلى الجيش وما يحتاج إليه مباشِرُه.

---

## ذكر ما يحتاج اليه كاتب الجيش على ما استقر في زماننا[(1)] هذا من المصطلح

يحتاج كاتب الجيش إلى أن يرصِّع[(2)] أسماءَ أربابِ الإقطاعات والنقود والمكيلات من الأمراء على اختلاف طبقاتهم، والمماليك السلطانيّة، وأجنادِ الحَلْقة، وأمراءِ التركمان والعربان؛ ويضعُ لذلك جريدةً مُقفّاةً على حروف المُعجَم يُثبِت فيها أسماءهم، ويذكر الاسمَ وابتداءَ إمرته أو جنديته في أيّ سنة كانت من السنين الهلاليّة لاستقبال ما يكتب من مَغَل السنة الخراجيّة، وعمّن انتقل إليه الإقطاع؛

(١) في الأصل: «في مكاننا»؛ ويرجح ما أثبتناه قوله فيما سيأتي في صفحة ٢٠٨ س ١١: فهــذه هي القواعد التي استقرّت في زماننا.

(٢) كذا وردت هذه الكلمة في مواضع كثيرة من هذا الباب؛ ولعلّ كُتّاب الدواوين إذ ذاك كانوا يستعملون الترصيع بمعنى التنظيم، كما يفهم من سياق الكلام؛ وفي كتب اللغة أنه يقال: رصّع العقد بالجوهر ترصيعا اذا نظمه فيــه وضم بعضه الى بعض، والمعنى أن كاتب الجيش يضم أفراد كل طائفــة الى بعضها ولا يدخل فيها ما ليس منها.

ويَرمُز قُبالةَ كلّ آسم إلى عِبْرة[(١)] إقطاعه رمزا لا تصريحا، ويشير فى جندىّ الحَلْقة إلى مقدَّمه، ويعيِّن فى آسم التُّركانىّ أو البدوىّ ما قدّمه إلى الإصطبلات السلطانيّة والمُناخات من الخيل والجمال، وفى عربان مصر المقرّر عليهم فى مقابلة الإقطاعات من التَّقادِم[(٢)]، وإقامةِ خيل البريد فى المراكز، وغير ذلك من نقل الغلال، وما هو مقرّر عليهم فى آبتداء أمرهم عند خروج الإقطاعات بأسمائهم، وغير ذلك على جارى العادة؛ فإن آنتقل أحدٌ منهم من إقطاع إلى غيره فى ذلك العمل بعينه وَضَع تحت إقطاعه الأوّل ما صورتُه: ثم آنتقل إلى غيره بمقتضى منشور تاريخُه كذا عن فلان المنتقلِ إلى غيره، أو المتوفَّى، أو المفارِق، أو غير ذلك؛ فإن كان على سياقته فى إقطاعه الأوّل قال: على سياقته، وضَبَط تاريخ الأوّل، وإن كان لآستقبال مُغَلّ أو شىء من مُغَلّ ميّزه، وآحتاج إلى محاسبة ربّ الإقطاع على إقطاعه الأوّل؛ والمحاسَبات غالبا إنّما تقع بعد وفاة الأمير أو الجندىّ، أو آنفصاله بوجه من وجوه الآنفصالات، وأما ما دام فى الخدمة فهى يتلو بعضُها بعضا؛ وصورة المحاسبة أن يُقيم تاريخ منشوره إلى تاريخ آنفصاله أو نقلته، ويَعقِدَ على ذلك جملةً، ويوجِبَ له عن نظير خدمته آستحقاقا، وينظرَ إلى ما قبضه من المُغَلّات فيجمعها، فإن كان قبضُه نظيرَ خدمته فلا شىء له ولا عليه، وإن زاد قبضُه على مدّة خدمته آستعاد منه ما زاد بنسبته، وإن كانت خدمتُه أكثرَ من قبضه أفرَج له عن نظير ما فَضَل له؛ ومن العادة فى غالب الأوقات أن يُسقط من آستحقاق أرباب الإقطاعات فى كل سنة أحدَ عشر يوما وربع يوم، وهى التفاوتُ بين السنة الشمسيّة والقمريّة، ويُبرِز له ما بقى

(١) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصل فى عدّة مواضع من هذا الباب وكتاب التحفة السنية لابن الجيعان؛ والظاهر أن المراد بها ما يقدّر على الإقطاعات، أخذا من سياق الكلام؛ وسميت بذلك لأنهم كانوا يعبرون الدراهم المتحصلة من البلد، أى يقوّمونها بدنانير جيشية كما يفهم من التحفة السنية.

(٢) المراد بالتقادم: الهدايا، وهو جمع تقدمة.

ويُعطيَه المِثل من نسبة البارز، وقد سومح بذلك فى بعض الأوقات دون بعض ؛ وهذه الجريدة تسمَّى الجريدةَ الجيشيَّة .

ويَحتاج إلى بسط جريدة إقطاع صورتها : أنه يوضع[(1)] الأعمال كلّ عمل و بلاده وضياعه وكفوره و قراه و جزائره و جروفه وجهات الهلالىّ والجوالِى ، وغير ذلك من معالمه وحدوده[(2)] والجهات المستظهر بها والبذول[(3)]، وسائرِ ما هو متعلّق بذلك المكان ؛ ويَذكُر عِبرةَ[(4)] البلد الجيشيّة ، وما استقرّ عليه حال متحصّلها أخيرا، وإن كان بالشأم ذَكَر العِبرةَ الجيشيّة ومتحصَّلَ البلد لثلاث سنين: مُبقلة[(5)] ومتوسّطةٍ ومجدبة، ثم يشطب[(6)] قُبالةَ كلّ جهة أسماءَ مُقطَعيها، وما هو باسم كلّ واحد منهم ، لِيَتحرّر[(7)] له بذلك هل استوعب الإقطاعُ جملةَ النواحى والجهات ، ويتميّز له ما بقِىَ من المحلولات ؛ وإن انتقل ربُّ إقطاع من إقطاع إلى غيره بادَرَ بشطبه لوقته فى موضعه لئلا يدخُل عليه الوهَمُ[(8)] والاختلاف .

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر .

(٢) فى الأصل : «حقوقه» ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا فى الأصل ؛ ولم نجد من معانى هذه الكلمة ما يناسب سياق ما هنا .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٥) فى الأصل : مقبلة . وفيه قلب صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه عطف المتوسطة والمجدبة عليه ؛ والمبقلة : التى كثر بقلها .

(٦) كذا وردت هذه الكلمة فى عدّة مواضع من هذا الباب والشطب هو أن تمدّ خطا على الغلط الواقع فى الكلام كما فى شفاء الغليل ، وليس هذا مرادا هنا ؛ والظاهر أن كتّاب الدواوين فى عصر المؤلف اصطلحوا على استعمال الشطب بمعنى التقييد والنقل من المستندات الى الدفاتر، كما هو مصطلح كتّاب الدواوين عندنا فى استعمال هذه الكلمة ، ولديهم دفاتر تسمى دفاتر الشطب ؛ وهذا المعنى هو المراد بالشطب فى هذا الباب، كما يفهم من السياق .

(٧) فى الأصل : « ليتحرز » بالزاى المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٨) الوهم بالتحريك : الغلط .

ويحتاج إلى أن يتعاهد مباشرى المعاملات والبرور[1] بطلب الكشوف الجيشيّة فى كل ثلاث سنين ويشطبها[2] على ما عنده لتتحرّر[3] عنده العبر[4]، ويتميّز له ما تعيّن من الزيادة والنقص .

ويحتاج أيضا إلى بسط جريدة ثالثة بأسماء أرباب النقود والمكيلات خاصّة، لأنه يحتاج أن يفرج لكلّ منهم فى كلّ سنة عن نقده ومكيله بمقتضى ما شهد به منشوره، وعادةُ قبضه وجهته، أو ممّا تعيّن بقلم الاستيفاء إن كان، فإذا أفرج لكلّ منهم شطب[5] تاريخ إفراجه قبالة اسمه لتنضبط له بذلك تواريخ قبوضهم ويأمن من التّكرار والغلط، وهذه الجريدة هى فرع من الجريدة الجيشيّة، فإنه يبسطها منها .

ويحتاج فى أجناد[6] الحلقة السلطانيّة إلى أن يُضيف كل جماعة منهم إلى مقدّم مشهور من أعيانهم ممن هو متميّز الإقطاع، ويقيم عليهم نقيبا يعرف مساكنهم ومظانّهم، فإذا طُلبوا جمعهم، أو طُلب أحدٌ منهم أحضره، ويُسمّى هذا المقدّمُ : مقدّمَ الحلْقة، ويضيف كلّ جماعة من أمراء الطّبلخاناه[7] وأمراء العشرات،

(١) كذا فى الأصل ؛ ولم نجد من معانى هذه الكلمة ما يناسب السياق .

(٢) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٣) فى الأصل : «لتتحرز» بالزاى المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٥) المراد بالشطب هنا : التقييد ؛ كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : «من أخبار» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) الطبلخاناه : أى بيت الطبل ؛ وخاناه : لفظ فارسى معناه البيت إلا أنهم يؤخرون المضاف عن المضاف إليه على عادة العجم فى ذلك ؛ وقال فى صبح الأعشى ج ٤ ص ٨ عند الكلام على الطبلخاناه : إنها طبول متعددة معها أبواق وزنارات تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص تدق فى كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب وتكون صحبة الملك فى الأسفار والحروب، وهى من الآلات العامة لجميع الملوك .

ومقدّمى الحَلْقة، ومضافيهم إلى مقدّم كبير من أمراء المـائة، ويسمَّى هذا الأميرُ: مقدَّم الألف؛ ويحتاج إلى أن يضع لهاتين الطائفتين جريدةَ عِدّة[1]، يضع فيها اسم مقدّم الألف وعِدّته من غير تفصيل لأسمائهم وقُبالةَ اسمه عِبرة[2] إقطاعه، ما هو لخاصّه، وما هو لأصحابه؛ ثم أمراء الطّبْلخاناه كلّ أمير وعِدّته، وعِبْرة إقطـاعه، على ما تقدّم فى مقدّم الألف، ويرتّبهم فى التقـديم والتأخير على مراتبهم؛ ثم أمراء العَشرات كذلك؛ ثم يذكر مقدّمى الحَلْقة فيعيّن اسم المقـدّم ونسبته وأتبـاعه إن كان له أتباع، وعِبْرةَ إقطاعه، ثم يذكر مضافيه من الحَلْقة على هذا الحكم، ويرتّبهم بحسب مراتبهم، يبـدأ فى كلّ تقدمة باسم المقـدّم، ويختمُ باسم النقيب، ليسهل عليه طلبُ كلّ جندىٍّ من مقدّمه، ويطلبه مقدّمه من نقيبه؛ وإن انتقل أميرٌ أو جندىٌّ من مقدّم ألف أو مقدّم حَلْقة وانضاف إلى مقدّم آخر نقلَه لوقتـه لئلا يضطربَ عليه حالُهم، ويلتبسَ أمرُهم؛ وكذلك أيضا يفعل فى المماليك السلطانيّة من إضافة كلّ جمـاعة منهم إلى مقدّم من أعيانهـم، ويميّز أربابَ الوظائف منهـم: من السلاحدارية[3] والجَمَدارية والرَّمحدارية والجُمَقْـدارية[4] والزَّردكَشيـة[5]

(١) يريد بالطائفتين: الأمراء وأجناد الحلقة.

(٢) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر.

(٣) السلاحدارية: نسبة الى السلاحدار وقد ذكر فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٧ أن دار لفظة فارسية معناها ممسك، فاعل من الإمساك؛ وكثير من كتاب الزمان أو أكثرهم بل كلهم يظنون أن لفظ دار فى ذلك عربىّ بمعنى المحل كدار السلطان أو الأمير؛ وهو خطأ الخ ماقال؛ فمعنى سلاحدار: ممسك السلاح؛ وكذا يقال فيا يأتى بعده.

(٤) الجمقدارية: نسبة الى الجمقدار وهو الذى يكون دائما حامل الدبوس، كما فى كتاب معيد النعم ومبيد النقم ص ٥٠ طبع أوربا.

(٥) الزردكشية: هم لابسو الدروع؛ وكش باللغة الفارسية، معناه لابس انظر المعجم الفارسى الانجليزى تأليف ستاين جاس مادة «كشيدن».

والبُنْدُقَـنداريّة(١) ومن السُّقاة(٢) والجَمَـداريّة(٣) والخِزنداريّة(٤) والحُـرّاس(٥) والبَشْمقداريّة(٦) وغيرِهم؛ ويضيف كُلَّ جماعة من كلّ طائفة منهم إلى متعيَّن من جملتهم، ويجمع عِدّة كلِّ طائفة ويقدِّم عليهم أمثلَهم؛ وأمّا المماليك الكتابيّة(٧) أربابُ الجامكيّات(٨) فينسب كلَّ جماعة منهم إلى طبقةٍ مُقدَّمُها من الطواشيّة، ويَنسب المماليكَ البُرْجيّة(٩)

---

(١) البندق: الذى يرمى به، وهو معروف؛ والبندقدارية: هم الذين يحملون هذا البندق خلف السلطان أو الأمير. انظر صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٨ فى تفسير البندقدار.

(٢) السقاة: جمع ساق، قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٤ هو لقب على الذى يتولى مدّ السماط وتقطيع اللحم وسقى المشروب بعد رفع السماط ونحو ذلك، وكأنه وضع فى الأوّل للساقى المشروب فقط ثم استحدثت له هذه الأمور تبعا الخ.

(٣) قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩ عنـد الكلام على الجمدار: إنه الذى يتصـدّى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه؛ وأصله: «جامادار» فحذفت الألف بعد الجيم وبعد الميم استثقالا وقيل: جمدار وهو فى الأصل مركب من لفظين فارسيين أحدهما جاما ومعناه الثوب والثانى دار ومعناه ممسك.

(٤) فى الأصل: «والجريدارية» وهو تحريف لتكرره مع ما سبق ولعل صوابه ما أثبتنا؛ قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٢ فى الخزندار بكسر الخاء وفتح الزاى المعجمة: هو لقب على الذى يتحدّث على خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما الخ.

(٥) فى الأصل: «والحران» بالنون؛ ولم نجده فيما راجعناه من المظان.

(٦) قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩ فى تفسير البشمقدار: إنه الذى يحمل نعل السلطان أو الأمير؛ وقال: إن البشمق باللغة التركية معناه النعل؛ ثم نقل عن صاحب الأنوار الضوئية: أن الصواب فيه «بصمق» بالصاد بدل الشين؛ ثم قال: والمعروف فى ألسنة الترك بالديار المصرية ما تقدّم والذى فى الأصل: «السمقداوية» بالسين، ولم نجده فيما راجعناه من المظان.

(٧) الكتابية: أى الذين يشتغلون بالكتابة.

(٨) الجامكيات: الرواتب والأجور، واحده جامكية؛ وأصله باللغة الفارسية: «جامكى» بفتح الميم وكسر الكاف. انظر المعجم الفارسى الإنجليزى تأليف ستاين جاس.

(٩) سميت هـذه الطائفة بهذا الاسم نسبة إلى الأبراج التى كانوا يسكنونها فى القلعة، ومنهم كانت دولة المماليك الثانية التى حكمت الديار المصرية.

الى مساكنهم ومقـدّميهم ، والبحريّة[(١)] إلى مراكزهم ومقدّميهم ، والأُوشاقيّـةَ ٱلذين إقامتُهم بالإسطبل إلى المقدّم عليهم من الطواشيّة، ويرجع سائرَ المماليك السلطانيّة إلى مقدّمهم الكبير، ولا يكون فى الغالب إلّا من الطواشيّة ٱلأمراء .

ويحتاج أيضـا الى أوراقٍ أخر تتضمّن أسمـاءَ أمراء الميمنة وأمراء الميسرة، والجالس — وهو المقدّم — أمامَ قلبِ ٱلجيش، وهذه الأوراق (٣٣) تكون جُمليّة يُستغنَى فيها بذكر مقدِّمي الألوف دون مضافيهم .

ويتلو هذه الأوراقَ أوراقٌ أخرُ — تتضمّن أسماءَ الأمراء الذين جرت عادتهم بصحبة ركاب السلطان فى الصَّيد والركوبِ للمُتنزّهات وفى الميادين للّعب بالكرة ، وفى غير ذلك، هذا ما يحتاج إليه فى الأمراء والمماليك السلطانيّة ورجالِ ٱلحَلْقة .

وأما أجناد الأمراء فإنّ مباشرَ ٱلجيش يَسترفِع[(٢)] من دواوينهم أوراقا بعِـدّة أجناد كلّ أمير منهم، يُصْدِرُها كاتبُ عِدّة[(٣)] الأمير على عدّة نُسخ بحسب المباشِرين للجيش ، ويقـول فى صدرها ما مثـاله : عَرضُ رَفعـه[(٤)] ٱلمملوكُ فلان الفلانىُّ على ما ٱستقرّ عليه ٱلحال إلى آخر كذا، والعِدّةُ خاصّته ،وكذا كذا طواشيّا ،ويشرح أسماء

(١) قال فى صبح الأعشى ج ٤ ص ١٦ : ومن الأجناد طائفة ثالثة يقال لهم : البحرية ، يبيتون بالقلعة وحول دهاليز السلطان كالحرس ؛ وأول من رتبهم وسماهم بهذا الاسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب . اهـ كلامه وإنما سميت هـذه الطائفة بهـذا الاسم لأنهـم كانوا يسكنون بجزيرة فى النيل وهى جزيرة الروضـة ؛ ومن هؤلاء كانت دولة المماليك الأولى ، كما فى كتب التاريخ .

(٢) يسترفع : أى يطلب أن يرفع إليه ، كما سبق فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٩٣ من هذا السفر.

(٣) فى الأصل : «هذه» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) فى الأصل : « رقعة » ؛ وهو تصحيف .

آلجنـد، وما أُقطِع بآسم كلٍّ منهم من إقطاع ونقـد ومكيل، مبتدئا برأس المدْرَج ومن يليه فى آلجند، ثم مماليك الأمير وألزامه، ويختمهم بالنقيب، ثم يعيِّن فى آخر المدرج ما بقى لخاصّ الأمير من النواحى وآلجهات، وما عليـه منه لأصحابه من نقد ومكيل إن كان؛ ويلزمه عملُ مَسِير على نواحى الإقطاع يَشْطُب(1) كلَّ جهـة بأسماء من أقطعتْ لهم، وما بَقِىَ منها للخاصّ إن كان؛ فإن كان منشور الأمير قد عُيِّن فيه ما هو لخاصّـه وما هو لأصحـابه فليس له أن يَقتطِع من المعيَّن لجنـده ما يضيفه لخاصّه، ولا يُمنَع أن يقتطع من خاصّه زيادةً لأصحابه؛ وهذه القاعدة لاحقة بقواعد الفقه، فإنّ له التصرّف فى ماله دون مال غيره، وله أن يميِّز بعضهم على بعض بحسب أحوالهم ومراتبهم؛ فإذا رُفعتْ إليه هـذه الأوراقُ عَرَضَ جندَ كلِّ أمير فى مجلس ولىّ الأمر بمشهد من الأمراء وغيرهم، فمن أجاز ولىُّ الأمر عَرْضَه حَلّاه(2) قُبالةَ آسمه، ويعيِّن فى حُلاه سِنَّه ولونَه وقامتَه، ثم يذكُر حلية وجهـه، ويصف ما يتميّز به عن غيره من أثرٍ فى وجهه أو غيرِ ذلك؛ ومَن ردّه ولىُّ الأمر من العَرْض طولب الأمير بإقامة غيره، فإذا أقامه وعرَضـه وأجاز ولىّ الأمر عرَضـه حلّاه عند ذلك، وعيَّن تاريخ عَرْضه إن كان عَرْضه بعـد يوم العَرْض الشامل؛ ويرقُم المباشر بقلمه على رأس أوراق العَرْض تاريخَ عَرْض آلجند؛ وتستحقّ هؤلاء آلجندُ الإقطاعاتِ والنقودَ والغلالَ من تاريخ عرضهم وتدوينهم فى الديوان، والأميرُ من تاريخ منشـوره؛ فإن مات جندىٌّ منهم أو فارق الخدمة أقام الأميرُ عوضَه، وعَرَضَه على ولىّ الأمر، وأثبت آسمه بالديوان؛ وإن قطعه الأمير فلا يخلو قطعُه: إمّا أن يكون لسبب كالعجز ونحوه فله ذلك، وإما أن يكون بغير سبب فلا يخلو:

(1) يشطب: أى يقيد كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر.

(2) حلاه: أى وصفه، والحلية: الهيئة والصفة.

إما أن يكون قطعُه له فى قرب زمن إدراك المُغَلّ فلولىّ الأمر منعُه من ذلك، أو فى غير وقت المُغَلّ ، فإن عَرَضَ من هو أكفى منه وأقدر على الجندية أجيز ، وإن عرض من هو دونه مُنِع أميره من ذلك، وأُلزِم باستمرار الكافى أو إقامة من يماثله فى الكفاية والقدرة ؛ وإذا عرض الأمير أصحابه فى السنة الثانية جدّد كاتبُه أوراقا بالعرض نظير الأولى، وشطب كاتبُ الجيش(١) حُلَى(٢) الجند من العرض الأول، ثم يقابلها بالصورة الجديدة فى وقت العرض الثانى ، فإن وافقت وطابقت أجازه(٣) ، وإن اختلفت الحُلَى وتباينت ردّه وطالع ولىّ الأمر به ليقع الإنكار على من تجاسر على فعل ذلك لما فيه من التلبيس ؛ فهذه هى القواعد التى استقرّت فى زماننا والله أعلم .

ويحتاج الكاتب إلى تحرير شواهده وحفظها، فإن كان بين يدى السلطان ورسم له بإقطاع أمير أو جندىّ كتب مثالا بالإقطاع ، وكتب السلطان أو نائبُه بقلمه أعلى المثال ما مثاله : يُكتَب ، وعيّن ناظر الجيش بقلمه تحت خط [٣٤] السلطان أو نائبه ما مثاله : رسم أن يكتب باسم فلان لاستقبال مُغَلّ سنة كذا ، ولاستقبال كذا من مُغَلّ سنة كذا ، وخلّد الكاتب هذا الشاهد عنده ، وكتب مثالا ثانيا مربّعا بما مثاله : رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الفلانى — ويدعو للسلطان — أن يقطع ويقرر باسم فلان الفلانىّ — وينعته بما يستحق — ما رسم له به الآن من الإقطاع والنقد والمكيل إن كان فيه نقد أو مكيل فى السنة ، خارجا

---

(١) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٢) فى الأصل : «جدا» بالجيم والدال ، وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «الجندى» ، وهو تحريف ظاهر .

عن الجَوالِى[1] والموارِيثِ الحَشْرِيّةِ[2] والرِّزَقِ[3] الإحباسيَّة، إن كان الإقطاع بالديار المصريّة؛ وإن كان بالشام قال: خارجًا عن المِلْك والوقف، ثم يقول: خُبْز[4] فلان الفلانى، إن كان عن أحد، وإن كان من الخاصّ أو مستجدًا أو مستظهَرا به عَيَّنه، ويَذْكُر خاصّته وعِدّته وأتباعَه، أو بمفرده، ثم يعيِّن جهاتِ إقطاعه، ويُثْبِت هذا المثال الثانىَ فى الديوان، وتَشْمَله علامةُ السلطان ونائبِه، ثم يُخلَّد بديوان الإنشاء، وهو شاهدُ الموقِّع، ويُكتَب منشورُه بمقتضى ذلك المثال، وتَشْمَلُه علامةُ السلطان وخطُّ نائبه ووزيره بالامتثال، ويُثْبَت بديوان الجيش ثم بالدواوين؛ وإن كان الكاتب فى جهة خارجة عن باب الملك من الممالك الشاميّة وأَمَره النائب بإقطاع أحد كتب مثالا بالإقطاع، وكتب النائبُ بالعلامة بـ يُكتَب، ثم يَكتُب عليه الناظر نحوَ ما تقدّم، وهو شاهدُ الكاتب، ثم يكتب المثالَ الثانىَ فى ورقة مُرَبَّعة بما مثاله: رُسِم بالأمر الشريف العالى المولوىّ السلطانىّ المَلَكىّ الفلانىّ أن يُقطَع ويُقرَّر بآسم فلان ما رُسِم له به الآن من الإقطاع، ويعيِّن خُبْز[4] من كان وسبَبَ حَلِّه عنه، إما بوفاة، أو بمفارقة، أو بآنتقال إلى غيره، أو غير ذلك من الأسباب الموجبة لإخراج الإقطاع عنه،

---

(١) الجوالى: جمع جالية، وهى الجزية التى تؤخذ من أهل الذمة؛ وسيأتى الكلام عنها فى ذكر الجزية.

(٢) المواريث الحشرية: هى مال من يموت وليس له وارث خاص بقرابة أو غيرها؛ أو الباقى بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عاصب له (انظر صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٦٤).

(٣) فى الأصل: «الورق» وهو تحريف؛ والرزق بكسر ففتح وزان عنب: جمع رزقة بكسر الراء، وهى الجراية: يقال: كم رزقتك فى الشهر: أى جرايتك. (مستدرك التاج) والإحباسية بكسر الهمزة: نسبة الى الإحباس، وهو مصدر أحبست المال، إذا وقفته.

(٤) كذا فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٦، ١٥٣؛ والذى فى الأصل: «خير»؛ وهو تصحيف.

ويكتب نائب السلطنة عليه بالترجمة، ويترجم عليه الناظر بقلمه تحت خطّ النائب بما مثاله : المملوك فلان يقبّل الأرض وينهي أن هذا مثال كريم بآسم فلان المرسوم إثباته فى جملة الأمراء والمماليك السلطانيّة، أو البحريّة، أو رجال الحلقة المنصورة، أو رجال التّركمان، أو العربان، أو الجبليّة بالمملكة الفلانيّة، أو بالجهة الفلانيّة بما رُسم (١) له به الآن من الإقطاع عن فلان، والعدّة خاصته (٢)، وكذا كذا طواشيّا، أو بحسب ما يكون لاستقبال ما عيّن فيه على ما شرح باطنه (٣)، والأمر فى ذلك معذوق بإمضائه أو بما يؤمر به من الأبواب . ثم يثبت بديوان الجيش، ويجهّز إلى باب السلطان، فإذا وصل إلى الباب كتب عليه الناظر ومن معه من الرّفاق بالمقابلة، وقوبل به، ثم تشمله علامة السلطان أو نائبه بالكتابة، ويخلّده كاتب الجيش بالباب عنده، ويكتب مثالا من جهته على ما تقدم، فإذا خرج المنشور الشريف ووصل الى تلك المملكة شمل خطّ نائبها بالامتثال، وكتب عليه ناظر الجيش ورفقته بالثبوت تحت خط ناظر الجيش بالباب ورفاقه، ثم يثبت بالدواوين، ويفرج لربّ الإقطاع على حكمه، ويثبت إفراجه، ويسلّم اليه إقطاعه؛ فهذه شواهد المناشير والأمثلة .

وأما غيرها من شواهد الكشوف فعلى حسب الوقائع؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ويحتاج إلى ضبط أسماء من توجّه بدستور (٤) إلى جهة من الجهات، ويراعى انقضاء مدّة الدّستور، ثم يكشف عنه، ويطالب مقدّمه به،

---

(١) فى الأصل : « ما رسم » بدون الباء ؛ والسياق يقتضى إثباتها كما فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٥ ؛ أى هذا مثال بما رسم الخ .

(٢) كذا فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٩ ؛ والذى فى الأصل : «خاصة» بدون هاء .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر .

(٤) المراد بالدستور : الإذن . واطلاقه على هذا المعنى إطلاق عامىّ ؛ انظر شرح القاموس .

وكذلك من تَوجّه إلى ٱلحجاز وغيره، وكذلك من تخلّف عن العَوْد مع ٱلجيش المجرّد (٣٥) فى ٱلمهمّات، فيراعِى ذلك حَسَب الطاقة والإمكان، وإن تعذّرت عليه معرفة من تأخّر بعينه يَستعلِم(١) أخبارهم مجمَلة من مقدّميهم ونقبائهم .

ويحتاج إلى أنه مهما ٱنحلّ من الإقطاعات، أو تعيّن من تفاوت المُدَد عمّن دَرَج(٢) وفارق(٣) وٱنتقل(٤)، أو ما تعيّن فى خلال المُدَد بين منفصل ومتّصل يحرِّر ذلك، ويكتُب به حَوطةً(٥) جيشيّة يضمّنها ٱسمَ ربّ ٱلإقطاع ٱلمتّصل ونواحىَ إقطاعه ونقدَه ومَكِيلَه إن كان، ويعيِّن ٱستقبالَ ٱلحَوْطة، ويميِّز ما ٱستحقّه الديوان من المُغَلّ، وتُصدَر الى ديوان التصرّف بعد شمولها بالعلامة وثبوتها، ويطالِب المستوفى(٦) بكتابة رُجْعة بوصول ذلك إليه ليَبرأ من عُهدته، ويُلزَم المثبِتون التعريفَ بذلك وإضافةَ ما يتحصّل منه، فإن أخّر كاتب ٱلجيش إصدارَ ٱلحَوطات الى ديوان التصرّف حتى يفوت الزمن الذى يمكن فيه تحصيلُ ما فيها، كان تحت دَرَكه(٧) وتَبِعته؛ والله أعلم .

---

(١) فى الأصل : «يستعمل»؛ وفى حروفه قلب لا يستقيم به المعنى .

(٢) درج : أى مات .

(٣) يريد بالمفارقة مفارقة الخدمة .

(٤) المراد بالانتقال : الانتقال من إقطاع الى إقطاع آخر .

(٥) الظاهر أنه يريد بالحوطة ما يسميه كتّاب الدواوين فى زماننا بالحافظة، أخذا من السياق؛ وفى كتب اللغة أن الحوطة ٱسم من الاحتياط، وهو الأخذ بالحزم والثقة؛ والحوط : الحفظ .

(٦) المستوفى : هو الذى يضبط الديوان، وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك؛ وفى بعض المباشرات قد ينقسم المستوفى الى مستوفى أصل، ومستوفى مباشرة؛ ولكل منهما أعمال تخصه صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦ .

(٧) الدرك بالتحريك والتبعة كلاهما بمعنى واحد، ومنه ضمان الدرك فى البيع، وتسكن راؤه أيضا .

ويحتاج مباشر الجيش إلى مراجعة جرائده : الجيشيّة والإقطاعيّة وأوراق العدّة فى كلّ وقت من غير احتياج إلى كشف ، لتكون على خاطره أسماءُ الجند ونواحى إقطاعهم ، فإنه بصدد أن يُسأل عن شىء من ذلك بين يدى مَلِك أو نائب ، فإن أخّر الجواب بالجملة(١) إلى أن يكشف عنه ربّما يُنسَب إلى عجز فيتعيّن أن يكون على خاطره من جليّات الأحوال ما يجيب به فى المجلس على الفور ، ولا يتأتّى له ذلك إلا بمراجعة حسابه ومداومة النظر فيه ، والناظرُ إلى ذلك أحوجُ من غيره من المباشرين ، لأنه المسؤول والمخاطَب فى غالب الأوقات ؛ والله أعلم بالصـــواب .

ويحتاج أيضا إلى معرفة الحِلَى(٢) واختلافها على ماذكره فى فصل الوراقة(٣) ، ولا بدّ له من معرفة الأوضاع التى اصطلح عليهـا كُتّاب الجيوش فى كتابة الحِلَى من الاختصار ؛ فهذه أمورٌ كليّةٌ لا بدّ لمباشر الجيش من معرفتها وإتقانها .

ويتجنّب(٤) مباشر الجيش أن يرقُم بقلمـه عِدّةَ جيش تصريحا ، لمـا يتعيّن من إخفاء عِدّته وذِكرِ تكثيره ، فإنه إن وَضـع ذلك بقلمه لا يأمن من الاطّلاع عليه

(١) لعله : «بالحالة» كما يرشد إليه قوله بعد : «من جليات الأحوال ما يجيب به» .

(٢) الحلى : جمع حلية ، وهى الصفة والهيئة وانظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٧ من هذا السفر .

(٣) فى كتب اللغة أن الوراقة هى حرفة من يورّق ويكتب ؛ والمراد بها هنا القواعد التى اصطلح عليها الكتّاب فيما يكتبونه من الأوراق ، كما يستفاد مما يأتى فى كتابة الحكم والشروط ، فإنه ذكر فيما يحتاج اليـه كاتبها أن يكون قد أتقن صـناعة الوراقة وعلم قواعدها وكيفية ما يكتب فى كل واقعة وحادثة الخ . وقال أيضا بعـد ذلك ما نصه : وأما معرفة صناعة الوراقة فى الأمور التى ذكرناها فلذلك من الفوائد ما لا يخفى على ذى لب لأن الكاتب اذا أخرج المكتوب من يده بعد إتقانه وتحرير ألفاظه على ما استقر عليه الاصطلاح من التقديم والتأخير ومتابعة الكلام وسياقته وترصيعه وترصيفه حسن موقعه وعذبت ألفاظه الخ .

(٤) فى الأصل : «ويجتنب» ؛ وهو تصحيف .

فيشيع ويذيع(١)، وقد يتّصل بالعدوّ والمعاند والمُناوى(٢) فيترتّب عليه من الفساد مايترتّب وهذا بابٌ يجب على كاتب الجيش الاحتفال به(٣)، والاحترازُ من الوقوع فيه، وكتمانُه عن سائر الناس؛ وإن دعته الضرورة الى تسطير ذلك خشيةَ(٤) أن يسأله ولىُّ الأمر عن شيء منه، فليكن وضعه لذلك رمزا خفيًا يصطلح عليه مع نفسه لايعرفه إلا هو، أو من له دُرْبةٌ بمباشرة الجيش .

ويتجنّب أن يكشف عبرةَ إقطاع(٥) أو متحصَّله، أو يذكر ذلك لأحد إلا بمرسوم ولىّ الأمر، ثم يذكره باللفظ دون الخطّ، ووجوهُ الاحتراز كثيرة، وهى بحَسَب الوقائع، فيتعيّن على مباشر الجيش ملاحظةُ ذلك والاحترازُ من الوقوع فيما يُنتَقد عليه، أو يصلُ سببُ ضررٍ منه إليه؛

هذا ما أمكن إيراده مما يحتاج مباشر الجيش إلى اعتماده، والله أعلم .

(٣٦) وأما مباشرة الخزانة — فالعُمدة فيها على العدالة والأمانة، لأن خزائن الملوك فى هذا العصر لسَعتها، وكثرةِ حواصلها، وعظيمِ ذخائرها لا تنضبط بسياقة، فإنه لو طولب كاتبُ الخزانة بعمل سياقة لحواصلها عن سنة احتاج إلى أن ينتصب لكتابتها سنةً كاملةً لا يشتغل فيها بغيرها، فإذا تحرّرت سياقة السنة فى آخر السنة الثانية وكشفها مباشر الأصل وحرّرها فى مدّة أخرى من السنة الثالثة فاتت المصلحة المستقبَلة، وتعطّل على المباشر ما بعد تلك السنة، لاشتغاله بنظر(٦) تلك السّياقة، فإذا تقرّر عجزُ

(١) فى الأصل : «تيسيع»؛ وهو تصحيف لا معنى له .

(٢) فى الأصل : « بالعدد والمعاند »؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين .

(٣) الاحتفال به : أى الاهتمام بأمره .

(٤) فى الأصل : «حسبة»؛ وهو تصحيف .

(٥) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : «بنظم» بالميم؛ وهو تحريف؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

الكاتب عن عمل السِّياقة بهذه المقدِّمة فقد تعيَّن أنّ[1] العمدة فى مباشرتها على الأمانة والعدالة؛ ومع ذلك فيحتاج كاتبها إلى أمور :

منها ضبطُ[2] ما يصل إليه من حمول الأموال والأصناف، ويقابِل ما يصل منها على رسائِله، ويحرّره بالوزن والذّرع والعَدَد والأحمال على آختلاف أجناسه وأنواعه وأوصافه، ويميِّز ما يصل إليه من الأقاليم والثغور والأعمال والممالك، وما يصل من آلهدايا والتّقادِم[3] على آختلافها، فيضيف كلَّ نوع إلى نوعه، وصنفٍ إلى صنفه؛ وكذلك يحرِّر ما يبتاعــه من الأصــناف التى تدعو الضرورة إليهــا وجرت العــادة بآبتياعها .

ومنها معرفة عوائد[4] أرباب الصِّلات والإنعام، ومصاريِف[5] أرباب المنــاصب عند ولاياتهم، وما جرت عليــه عوائدهم[6] من الإنعام فى خلال مباشراتهم بالأسباب الموجِبة لذلك وغيرِ الأسباب، وعوائد أرباب التّقادِم والصنّاع وغيرِهم .

ومنها ضبطُ ما يصل إلى آلخِزانة من تَقادِم آلملوك والنوّاب، ويقابل ما يصل منها فى الوقت الحاضر على ما تَقدَّم، ويحرِّر زيادتَه من نقصِه، ويكون ذلك على خاطره،

---

(١) فى الأصل : «لأن» ؛ واللام زيادة من الناسخ .

(٢) فى الأصل : «فضل» ؛ وهو تحريف .

(٣) التقادم : جمع تقدمة بكسر الدال، وهى الهدية ؛ فعطفه على الهدايا من قبيل عطف المرادف .

(٤) المراد بالعوائد هنا : الصلات، واحده عائدة .

(٥) فى الأصل : «وتصاريف» بالتاء ؛ وهو تحريف .

(٦) المراد بالعوائد جمع عادة، كما فى المصباح المنــير ، ولم نجد هذا الجمع فى غيره من كتب اللغة ؛ وقد سبق أن نبهنا على ذلك فى الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣٩ من هذا السفر .

فإن سأله ولىّ الأمر عنه أجابه، وإلّا فلا يبدؤه ؛ ويضبط عادات مُهاداة الملوك وما جُهِّز إلى كلٍّ منهم فى السنين الخالية، وما كان قد وصل من هداياهم، وما جرت عليه عاداتُ رسلِهم وقُصّادِهم (١) من التشاريف والإنعام .

ومنها ضبطُ ما جرت به العادة من كُسا أرباب العوائد (٢) المقرَّرة فى كلّ سنة على آختلاف طبقاتهم من أرباب الرتب والمناصب والمماليك السلطانيّة وغيرِهم، وتواريخ صرف الكسوة إليهم .

ومنها تجهيزُ ما جرت العادة بأن يُجهَّز فى خزائن الصحبة عند آستقلال ركاب السلطان من مَقرّ مُلكه، إما إلى الصيد والنزهة، وإما لكشف ممالكه (٣) عند آنتقاله من مملكة إلى أخرى، أو فى حروبه عند ملاقاة الأعداء، فيجهِّزُ ما جرت به العادة فى ذلك، ولا يزيد عليه إلا بمرسوم ولىّ الأمر، ولا يَستكثر من آستصحاب صنف من الأصناف عند تَوجُّهه إلى مَعدِن ذلك الصنف ومَظِنّته، ولا إلى الخزانة منه بحملِه (٤)، بل يستصحِب منه مايكون معه ذخيرة واحتياطا، إذ لو طلب المَلِكُ ذلك الصنفَ فى مَسِيره قَبْل وصوله إلى معدن ذلك الصنف كان معه منه ما يَسُدّ به الضرورة، ولا يَعتذِر بأنه ما آستصحبه معه بحُكم تَوجُّهه إلى مَعدِنه، وأنه فعل ذلك للصلحة الظاهرة، فإن آلملوك لا تحتمل مثل ذلك، ولا تصبر على أن يُفقَد

(١) فى الأصل : «ونضادهم» ؛ وهو تحريف .

(٢) العوائد : الصلات .

(٣) فى الأصل : « مماليكه » والياء زيادة من الناسخ .

(٤) فى الأصل : «بالجملة» ؛ وهو تحريف لا يظهر به المراد من هذه العبارة، والمعنى على ما أثبتنا : أنه لا يستكثر من حمل ذلك الصنف إلى الخزانة، بل يحمل منه إليها ما تدعو الحاجة إلى حمله .

من ذخائرها ما تطلبه ؛ ويَستكثِر من آستصحاب الصنف المعـدوم فى ذلك الوجه الذى يتوجّه إليه، ويحمل منه ما يعلم أنه يكفيه فى مَسِيره وعَودِه؛ والله أعلم .

ومنها[1] ضبطُ ما يتسلّمه الصُّنّاع من مُزركش وخيّـاط وفرّاء ونجّـاد[2] وسرّاج وخَرْدَفُوشِى[3] وغيرهم بالوزن والذَّرع والعَدد، ويُحرِزه عند آستعادته من صانعه .

ومنها تحريرُ ما يصل إليه من الأقمشة من دار الأعمال وما جرت به العادة أن يُحمَل منها فى كلّ مُدّة ليطالِبَ به إن تأخّر عن وقته؛ وإن قلّ صنف من الأصناف عنده يبـادِر بمطالعة وزير آلملكة أو مدبِّرها بذلك ليَخلُص من عُهدته، وعلى وزير المملكة ومدبِّرها طلبُ ذلك الصنف من مظانّه وحَملُه إلى الخزانة .

وأما ملبوس الملك المختصّ بنفسه وعادتُه فى التفصيل والحبس[4] والطُّول والسَّعة فهو أمر متعلّق برأس نَوبة آلجمدارية[5]، وهو المقدَّمُ عليهم، فعليه أن يحضُر إلى الخزانة ويختار من الأقمشة ما يعلم أنه ملائم لخاطر السلطان وموافقٌ لغرضه، فيفصِّل منـه ما يراه على ما يراه من أنواع التفصيل، وعلى معـلِّم الخيّاطين الدَّرْك فى طوله وسَعته وهِنْدامه، ولا يَستغنِى آلمباشِرُ عن معرفة ذلك، ولا يستغنى أيضا عن معرفة

(١) فى الأصل : «وفيها» ؛ وهو تحريف .

(٢) النجاد بتشديد الجيم : من يعالج الفرش والوسائد و يخيطها .

(٣) كذا ضبط هـذا اللفظ بالقلم فى كتاب المعرّب والدخيل للمدنى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة وورد فى هذا الكتاب فى تفسير هذه الكلمة أنها كلمة يقولها أهل الحرمين لصانعى السروج ونحوها، وليس له أصل فى اللغة العربيـة اهـ والذى فى الأصل « خردقوشى » بالقاف والسين، ولم نجده فيما راجعناه من المظان .

(٤) كذا فى الأصل ؛ ولعله يريد بالحبس هنا : ضيق الثياب .

(٥) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .

قيمَ الأشياء على اختلافها وعادةِ التفصيل والترفئة[1] والجندرة[2] والحشو ليشارك ربَّ كل صنعة فى صناعته بنظره ولسانه، ولا يكون فى ذلك مقلّدًا جملة، بل يشاركهم فيما هم فيه، وعليهم الدَّرَكُ دونه فيما لعلّه يعرض فى ذلك من خللٍ إن وقع، لأن هذه الصناعات زائدةٌ على وظيفته ولازمةٌ لأولئك؛ فأيّما رجل اجتمعت فيه هذه الأوصافُ تعيّنَ على ولىّ الأمر ندبُه لمباشرة الخزانة، وقرّر له كفايتَه، وألزمه إن امتنع .

وأما مباشر بيت المال — فعُمدتُه على ضبط ما يدخُل إليه وما يخرُج منه، ويحتاج فى ضبط ما يصل إليه من الأموال إلى أن يُقيم لكلّ عمل من الأعمال وجهةٍ من الجهات أوراقًا مترجَمةً باسم العمل أو الجهة، ووجوهِ أموالها، فإذا وصل إليه المال وضع الرسالةَ الواصلةَ قريبةً من ذلك العمل[3]، ثم شطّبها[4] بما يصحّ عنده من الواصل إليه، وذلك بعد وضعه فى تعليق المياومة، فإن صحّ الواصلُ صحبةَ الرسالة كَتَب لمباشر ذلك العمل رُجعةً بصحّته، وإن نقص ضمّن رُجعتَه : من جملة كذا، واستثنى بالعجز والردّ، وبرز بما صحّ، وأعاد الردّ على مباشر ذلك العمل وأثبت فى بيت المال ما صحّ فيه، فإن كان العجز عن اختلاف الصِّنج[5] عيّنه فى رُجعته

(١) فى الأصل : التقربة؛ وهو تحريف إذ لم نجده فيما راجعناه من المظان . والترفئة : مصدر رفّأ الثياب بتشديد الفاء، إذا لأم خروقها، والتشديد فى هذا الفعل للتكثير والمبالغة، وهو وإن لم يوجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة فقد ورد فى شعر أبى العلاء المعرّى، قال :

ألقى عليها جليسى فى الدجى حمما * فقام عنها بأثواب يرفّئها

انظر هذا البيت فى لزوم ما لا يلزم ص ٥١ طبع مطبعة المحروسة بمصر .

(٢) فى الأصل : «العبدرة» ؛ وهو تحريف إذ لم نجده فيما بين أيدينا من المظان؛ والجندرة : من جندرت الثوب، اذا أعدت وشيه بعد ذهابه قال الجوهرى : وأظنه معرب .

(٣) من ذلك العمل : أى من أوراق ذلك العمل .

(٤) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٥) الصنج : جمع صنجة بفتح فسكون ، وهى ما يوزن به؛ وهذا الجمع ذكره صاحب المصباح مادة «سنج» والسين فيها أفصح من الصاد؛ وهو معرّب .

ولا شيء على مباشر العمل، وإن كان مع ٱتفاقها فلا يعتدّ لمبـاشر العمل أو ٱلجهة إلا بما صحّ فى بيت المـال .

ويحتاج كاتب بيت المـال إذا عمل جامعةً لسنةٍ إلى أن يضمّ كلَّ مال وصل إليه إلى ما هو مِثلُه، من الخراج والجَوالِى والأخماس وغيرِ ذلك بحَسَب ما يصل إليـه، ويفصِّل جملةَ كلِّ مالٍ بنواحيه التى وصل منها، ويَستشهِد فيـه برسائل ٱلحمول، ويضيف إلى جملة ما ٱنعقد عليـه صدرُ ٱلجامعة من الأموال ما ٱنسـاق عنده من الحاصل إلى آخر السنة التى قبلها، ويُفذلِك[1] [بعد ذلك][2]، ويعرف ما لعلّه صرّفَه من نقدٍ بنقدٍ فى تواريخه، ويستقرّ بالجملة بعد ذلك؛ ثم يشرع فى الخصم، فيبدأ منه بما (٣٨) حمله إلى المقام على يد من حمل على يده وتَسلَّمه، من الخَزنْدارية[3] والجَمَدارِيّة وغيرِهم إن كان، ثم يذكر ما نقله إلى الخزانة ويستشهد فيه برُجْعاته، وما نقله إلى ٱلحوائج خاناه والبيوتِ والعمائر وغيرِها بمقتضَى ٱستدعاءاتِ[4] هـذه الجهات ووُصولاتِ مباشريها، وفى أرباب الجامكِيّات[5] والرواتبِ والصِّلاتِ بمقتضَى الٱستئمارات[6] والتواقيع السلطانيّة؛ فإذا تكامل الحَمْلُ والمصروفُ عقد عليهما جملةً وساق ما بقِىَ إلى ٱلحاصل؛ والله أعلم .

وطريقُ مباشر بيت المـال فى ضبط المصروف أن يبسط جَريدةً على ما يصـل إليه من الٱستدعاءات[4] والوُصولات من ٱلجهات، وأسمـاءِ أرباب الٱستحقاقات

---

(١) يقال : فذلك الحاسب حسابه، إذا أنهاه وفرغ منه، وهذا اللفظ منحوت من قول الحاسب : فذلك كذا وكذا إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته .

(٢) موضع هاتين الكلمتين فى الأصل حروف مطموسة تتعذر قراءتها؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٣) انظر تفسير الخزندارية والجمدارية فى الحاشيتين رقم ٣ و ٤ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .

(٤) فى الأصل : «استيدعات» وهو تحريف .

(٥) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : «الأستئار» ؛ بالثاء، وفيه تصحيف ونقص ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

والجامكيّات والرواتب والصِّـلات، وما هو مقرّر لكلٍّ منهـم فى كلِّ شهر بمقتضى تواقيعهم أو ما شَهِدتْ به الآستثمارات القـديمةُ المخلَّدة فى بيت المـال، ويشطب(١) قُبالةَ كل آسم ما صرفه له على مقتضى عادته إما نقـدا من بيت آلمـال، أو حَوالة تُفرَّع(٢) على جهـة تكون مقرَّرة له فى توقيعه، ويوصل إلى تلك الجهة ما قرّعه عليها، وكذلك إذا أحال ربُّ آستحقاق غيرِ ثمن مَبيع(٣) أو غيرِه على جهةٍ عادتُها تَحمِل إلى بيت المـال سَوَّغ(٤) ذلك المـالَ فى بيت المـال، وأوصله إلى تلك آلجهة، والتسويغ(٥) فى بيت المـال هو نظير المجرى؛ وإذا وصل إليه آستدعاءٌ(٦) من جهة من الجهات أو وُصولٌ وَضَعه فى جريدته، وخصمه بمـا يُقبضه لربّه، ويُشهِد عليه بمـا يقبضه، ويُورد جميعَ ذلك فى تعليق المياوَمة .

وأما مباشر أهراء(٧) الغلال — فبنيٌّ أمرُه أيضـا على ضبط ما يصـل إليه، وما يُصرَف من حاصله؛ ويحتاج فى مبدإ مباشرته إلى تحرير ما آنسـاق من حواصل الغلال بأصنافها، وإن أمكنه تميزُ ذلك بيّنه، ويكون أتقَنَ لعمله؛ ثم يبسط جريدة يرصع(٨) فيهـا أسماء نواحى آلخاصّ السلطانى التى تصل الغلال منها إلى الأَهراء

(١) يشطب : أى يقيد كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٢) فى الأصل : «يفرع»؛ وهو تحريف . (٣) فى الأصل : «متبع» بالتاء؛ وهو تصحيف .

(٤) فى الأصل : « صوّغ » بالصاد؛ وهو تحريف اذ لم تقف على معنى له يناسب السياق . ولعل صوابه ما أثبتنا كما يستفاد من صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١ فإنه قال فى نظر بيت المـال ما نصه : وموضوعها حمـل حمول المملكة الى بيت المـال والتصرف فيـه تارة قبضا وصرفا وتارة بالتسويغ محضرا وصرفا الخ. والتسويغ : التجويز، يقال : سوّغه له، أى جوّزه، والمراد به هنا : الإذن فى تناول الاستحقاق من جهة معينة تيسيرا وتسهيلا على الآخذ (التاج) .

(٥) فى الأصل : «والتصويغ» بالصاد؛ وهو تحريف انظر الحاشية السابقة .

(٦) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصل . (٧) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٩٥ من هذا السفر . (٨) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر .

فإذا جاءته رسالة من جهة من تلك الجهات وضعها تحت آسم الجهة وعبر[2] ما وصل قرينها[1]، فإن صح صحتها كتب لتلك الجهة رُجعةً بالصحّة، وإن نقص فلا يخلو: إما أن يكون المَرْكَب أو الظهر الذى حمل ذلك الصنف قد سُفِّر من ديوان الأصل، أو سَفَّره مباشر العمل من جهته، فإن كان قد سُفر من ديوان التسفيرات طالب مباشرُ الأهراء مقدَّمَ رجال المَرْكَب والأمينَ المسفَّرَ عليه بالعجز، وألزمهما بحمله، فإن كان قد سُفِّر من الأعمال كان دركُ ذلك على مَن سفّره، ومباشرُ الأهراء بالخيار بين أن يطالب محضرَ الغلّة بالعجز، أو يرجع على مباشر العمل به، ويكون مباشرُ العمل هو المطالِبَ لمن سفَّره، والأولى طلبُ محضر الغلّة، فإنه إذا أطلقه ورجع إلى المباشر الذى سفّره فقد يعود إلى العمل وقد لا يعود، فإن لم يعُد كان مباشرُ الأهراء قد أضرّ بمباشر العمل، لأنه ألزمه الغُرْم[3] مع قدرته وتمكّنه من آستر جاعه ممن غدا عليه، ويكون هو أيضا ممن شارك فى التفريط، وإن وصلت إليه الغلّة متغيّرةً تغيّرا ظهر له منها أنها خُلطت بغيرها، إما بوصول عين تلك الغلّة إليه، أو بقرينة الحال التى يعلم منها أن تلك الغلّة لا يوجد مثلُها من فلاح، ولا يُعتدّ بها من خراج السلطنة لظهور غَلَثها[4]، أو وصلت إليه الغلّة مبلولة بللا ظاهرا لتزيد عند الكيل وتُميِّز[5] نظيرَ ما أُخذ منها، فله أن يعمل لذلك معدّلا، وهو أن يَكيل منها جزءا معلوما ويغربله حتى يصير مثل العين التى عنده، أو بتجفيف ذلك حتى يعود إلى حالته

(١) فى الأصل: «جهذه» وهو تحريف.

(٢) يقال عبرت الشئ: إذا نظرت كم هو كيلا أو وزنا.

(٣) فى الأصل: «الغريم» ؛ والياء زيادة من الناسخ.

(٤) الغلث بفتحتين: اسم لما يخلط به الحنطة، يقال: غلثت الحنطة بالشعير: أى خلطتها به (المصباح).

(٥) تميز: اى ترتفع؛ وهو من الميز بمعنى الرفعة، كما فى مستدرك التاج.

(٣٩) الأولى، ويحرِّر العجزَ على هذا الحكم، ويطالِب به مُحضِرَ الغلّة؛ وينبغى له أن يبدأ بصرف ما وصل إليه من الغلال المبلولة ولا يخلطها بغيرها، فإنها بعد بللها لا تحمل طولَ البقاء؛ هذا ما يعتمده فى القبض.

وأما فى المصروف، فإن كان لصاحب جراية أو صلة أو إنعام أو تقاوى(١) لفلّاح صرف ذلك من عرض حاصله، ويراعى فى صرف التّقاوى أن(٢) تكون من أطيب الغلال وأفضلها، لأنه يجنى ثمرة ذلك عند آستيفاء الخراج؛ وإن كان ما يصرفه مما ينقله إلى الطواحين برسم المخابز، أو للإسطبلات والمُناخات برسم العليق غربَلَه، وحرّر نقصه، وأورده فى جامعته من الفَذْلَكة(٣) وآستقرار الجملة؛ ومباشرةُ الأهراء مناسبةٌ فى أوضاعها لمباشرة بيت المال.

## ذكر مباشرة البيوت السلطانية

وهى الحوائج خاناه، والشراب خاناه، والطشت خاناه، [والفراش خاناه](٤)، والسلاح خاناه؛ وأمر(٥) البيوت معذوق(٦) بأستاذ الدار.

فيحتاج مباشر الحوائج خاناه إلى أمور: منها ما يُحتاج إليه من راتب السِّماط العام والطارئ — وهو الطعام الثانى الذى يُمَدّ بعد قيام السلطان من المجلس العام، ويأكله

(١) التقاوى من الحبوب: ما يعزل لأجل البذر، وهى عامية (مستدرك التاج).

(٢) فى الأصل: «وأن»؛ والواو زيادة من الناسخ.

(٣) الفذلكة: حاصل الحساب، وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢١٨ من هذا السفر.

(٤) هذه التكملة ساقطة من الأصل، وقد أثبتناها لأن الفراش خاناه من البيوت التى سيذكرها فيما يأتى.

(٥) فى الأصل: «وأمراء»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٦) معذوق: أى منوط ومرتبط كما يناط العذق بكسر العين — وهو القنو — بالنخلة؛ وقد ورد هذا اللفظ فى مواضع من هذا الكتاب وفى مؤلفات أخرى مرادا به هذا المعنى.

خواصّ المَلك ومن يَحضُره بين يدى السلطان ، وهو أخصُّ من السِّماط الأوّل — وطارئُ الطارئ وهو الطعام الثالثُ الذى يُمَدّ بعد رفع الطارئ، ومنه يأكل المَلك وخواصّه، وقد يأكل السلطان من الطارئ الذى قبله ؛ فيحترز ما يُحتاج إليه من لحوم وتوابلَ وخَضْراواتٍ وأَبازيرَ[1] وتَحالٍ وقلوبٍ[2] وطيبٍ وبَخور وأحطاب وغير ذلك ؛ ولذلك عندهم معدَّلٌ قد عرفوه فلا يتجاوزه، فإنه إن صرف زيادةً عنه[3] بغير سبب ظاهر خرج عنه وكان تحت دَرَكه .

ومنها معرفة مقاديرِ الأسمطة فى أوقات المهمّات والأعياد ليجرىَ الأمر فيها على العادة، ولا يتجاوزها إلا بمرسوم .

ومنها تَعاهُد أسماء الحوائج خاناه ، فيستدعِى ما يراه قد قلّ عنده منها قَبْلَ نفاده بوقت يمكن فيه تحصيلُه ، فإن أخّر طلبَ ذلك إلى أن يَنفَد، أو طلبه فى وقت ولم يَبقَ عنده منه ما يكفيه إلى أن يأتيَه ذلك الصنف من بلد آخر كان المباشر تحت دَرَك إهماله[4]، ومتى طَلَبَ ذلك فى وقته وطالع ولىَّ الأمر به فقد خَلَص من عُهْدته.

ويحتاج إلى بسط أسماء مَن يُعامِل[5] بالحوائج خاناه من قصّاب وحَيَوانىٍّ وطيورىٍّ وغيرهم، ويَحصُر[6] لكلٍّ منهم ما أحضره فى كلّ يوم، فإذا اجتمع له من ذلك

(١) الأبازير : جمع أبزار، وهو جمع بزر بالفتح والكسر، فأبازير جمع الجمع .

(٢) يريد بالقلوب هنا : لب اللوز والبندق والفستق وغيرها مما يؤكل قلبه ، كما يستفاد من خطط المقريزى ج ١ ص ٤٢٦ طبع بولاق فى الكلام على دار الفطرة .

(٣) «عنه» : أى عن المعدّل.

(٤) فى الأصل : «اشتماله» ؛ وهو تحريف .

(٥) من يعامل : أى من يعاملهم ، وهم الذين يشترى منهم الأصناف المطلوبة لحوائج خاناه ؛ والذى فى الأصل : «من العامل» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .

(٦) فى الأصل : «ويحضر» بالضاد ؛ وهو تحريف .

ما يقتضى محاسبتَه جَرَّد له محاسبةً ضَمَّ فيها كلَّ صنف إلى صنفه وثَمَّنه، إما بتعريف الحِسْبة، أو بعادة آستقرّت له، وأحاله بمبلَغ ما وجب له على بيت المال، أو آستدعَى من بيت المـال ما يُنفِق منه[(١)] وأَشهَد عليه بقبض ذلك .

ويحتاج أيضا إلى بسط أسمـاء أرباب الرواتب السلطانيّة وأرباب الصِّلات، وما لكلٍّ منهم فى كلّ يوم، وخصْمه بقبوضهم مياومة أو مشاهرة، صنفا أو حَوالة؛ ويراعى حالَ مَن مَرِض من المماليك السلطانيّة ونُقِـل من آللّحم إلى المَزَاوِير[(٢)] أو المَساليق[(٣)] فيَقطع مُرتَّبَـه من اللحم فى مدّة مرضه، ونظيرَ ذلك من التوابل فى مدّة مرضــه .

ويحتاج إلى معرفة عادات الرُّسُـل الواردين، والأضياف[(٤)] المتردِّدين، ومرتَّب الصــدقة فى شهر رمضان، وعاداتِ الأضَاحِى والصِّــلات فى عيد النحر، فيجرِى ٱلأمرَ على حكم العادة؛ ويَضْبِط جميعَ ما يَصِل إليه من ديوان المتجَر ومطابخ السكّر وغيرِها، ويكتب لهم بما يحملونه إليه من الأصناف؛ ويَضْبِط أيضا ما آستَقرّ فى كلّ ليلة (٤٠) من الوَقود من شَمَع وزيت، ويَصرِف على ما آستقرّ عنده، وإذا سَـلَّم شَمَع ٱلوَقود إلى الطَّشْتداريّة وَزَنه عليهـم، وعَبَره[(٥)] عنـد إعادته فى بُكرة النهار ليتميّز له النقص؛

(١) عبارة الأصل : «ما نفق فيه» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، كما يقتضيه السياق .

(٢) كذا فى الأصل؛ ولعلـه يريد جمـع "مزوّرة" بتشديد الواو المفتوحة ، وهى مرقة يطعمها المريض، وهى مولّدة ، كما فى شفاء الغليل ؛ ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من المظان .

(٣) فى الأصـل : « المصاليق» بالصاد ؛ وهو تحريف إذ لم نجده فيما راجعناه من المظانّ . والمساليق : جمع مسلوق، وهو من سلقت البقل ونحوه : إذا أغليته بالنـار ؛ والمراد هنا ما شاع استعماله عند العامة، وهو ما طبخ بالمـاء وحده .

(٤) فى الأصل : «والأصناف» ؛ وهو تصحيف .

(٥) عبره : أى نظر كم وزنه .

وَيَضْبِطَ غيرَ ذلك مما يصل إليه و ينزل عنده من عادات مَن قَنِع وتَبَتَّل (١) ، وغير ذلك من جميع ما يَرِد وما يُرَتَّب ويزاد و يُقْطَع .

وأما الشراب خاناه — وهى بيت يشتمل على أنواع المشروب من المياه على اختلافها ، والسكر والأشربة والدِّرياقات (٢) والسَّفوفات والمعاجين والأقراص والأَقْسِما (٣) والفُقَّاع (٤) والبلج والأبقال والحَلْوِيَّات (٥) والجُوارِشات (٦) والفواكه ، وما يجرى هذا المَجرَى ، وأمر هذا البيت الخاص (٧) معذوق بأمير مجلس ، والعامّ بأستاذ الدار (٨) ، فيحتاج مباشر هذه الوظيفة الى ضبط ما يصل إليه من جميع هذه الأصناف ،

---

(١) عبارة الأصل : «من داعابت ما نعق» وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، والمراد : الرواتب التى جعلت للزهاد والمنقطعين إلى العبادة من طعام وشراب .

(٢) الدرياق والترياق بالدال والتاء : ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين ، وهو فارسى معرب .

(٣) الأقسما : شراب يصنع من السكر المحلول بالماء والليمون و يطرح فى ذلك يسير من السذاب ، وهو شراب جيد للهضم انظر كتاب الأطعمة المعتادة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية . وفى شفاء الغليل أن الأقسما : نقيع الزبيب ، قال : وأظنه معرب «أبسما» .

(٤) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير ، وسمى بذلك لما يرتفع فى رأسه و يعلوه من الزبد انظر القاموس وشرحه . وفى كتاب الأطعمة المعتادة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية أن هذا الشعير يبقل ويجفف و يطحن و يضاف إليه من دقيق الحنطة قدر مثليه . إلى آخر ما ذكر فى كيفية صنعه .

(٥) الحلويات : جمع حلوى بفتح فسكون : نسبة الى الحلوى بقصر الألف .

(٦) الجوارشات : أنواع من الحلواء ، وهو معرب ، وفى المعجم الفارسى الانجليزى تأليف استاينجاس أن الجوارش يصنع من دقيق وعسل أو سكر ، وأنه يساعد على الهضم .

(٧) فى الأصل : «خاص» بدون أداة تعريف ؛ والسياق يقتضى إثباتها كما يدل عليه قوله بعد : «والعام» .

(٨) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر .

وما يستعمله من ذلك فى عَقد الأشربة والحَلْويّات، وما يَعقده للشروب وما يَصرفه من ذلك، ومعرفةِ عادات الأسمِطة والطَّوارئ والرواتبِ المقرَّرة فى كلّ يوم، فيُجرِى الأمرَ فيها على العادة المستقِرّة، وما يستدعيه السلطان على حَسَب الاتّفاق، وما يصرف للرضى من الممــاليك السلطانيّة من أنواع الأشربةِ والمعاجينِ وغيرِها بمقتضَى أوراق الأطبّاء؛ هذا ما يَعتمِد عليه مباشرُها والله أعلم.

وأما الطَّشْت[1] خاناه — فهى بيت تكون فيه آلةُ الغسل والوضوء، وقماش[2] السلطان البياضُ[3] الذى لا بدّ له من الغسل، وآلةُ الحمّام، وآلاتُ الوَقود؛ فيكون فى هذا البيت من الآلات: الطُّشوتُ[1] والأباريقُ والسخّاناتُ والطاساتُ والكراسىُّ والستائرُ واللّبابيدُ[4] المختصّةُ بالحمّامات والسَّجّاداتُ والنُّمْرُقاتُ[5] والمَناشفُ وفُوَطُ الخدمة ومقاعدُ الجلوس من الجوخ والبُسُط، وغير ذلك، والمَباخرُ وأنواعُ البَخُورات والطِّيب والغــوالى[6] وماءُ الورد والمِسْكُ، وغيرُ ذلك من الأصناف التى تلائم هــذا البيت؛ ويُستدعَى ما يُحتاج اليه برَسْم هذا البيت من الحوائج خاناه والخِزانة؛ والله أعلم.

---

(١) الطشت بالشين المعجمة لغة فى الطست بالسين المهملة؛ وقد نقلت هذه اللغة فى شروح الشفاء، فقيل: هى خطأ، وقيل: بل هى لغة.

(٢) الذى يستفاد من مستدرك التاج وكتاب المعرّب والدخيل للدنى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦ لغة أن إطلاق القماش على الثياب كما هنا إطلاق عامىّ.

(٣) البياض: أى ذو البياض، فوجه الوصف به ظاهر.

(٤) كذا ورد هذا الجمع فى الأصل؛ ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة؛ والمراد بها هنا: اللبود، وهى البسط من الصوف المتلبد، واحده لبد بكسر اللام.

(٥) وردت هذه الكلمة فى الأصل هكذا «المرلقات»؛ باهمال النون وزيادة لام بين الراء والقاف وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا. والنمرقات بضم النون والراء: الوسائد.

(٦) الغوالى: جمع غالية، وهى ضرب من الطيب؛ وإنما سميت بهذا الاسم لأنها أخلاط تغلى على النار مع بعضها، وأول من سماها بذلك سليمان بن عبد الملك (انظر تاج العروس).

وأما الفِراش خاناه — فيكون فيها أنواعُ الفُرُش والخيام والخَرْكاهات(١) والتُّخوت وقُصور الخشب التي تُنصَب فى الدهاليز، وحمّامات الخشب التي تُنقَل على الظَّهر فى الأسفار، ومايتعلّق بذلك من اللَّبابيد(٢) وشلائت(٣) النوم وغير ذلك؛ وهو بيتٌ متّسعٌ فيه حواصلُ كثيرةٌ لها قِيَمٌ جليلةٌ تحتاج الى ضبط ومعرفة، فإن(٤) مباشر هـذا البيت يحتاج الى معرفة ما يحتاج الى آستصحابه فى أسـفار السلطان لخاصّته(٥) ولمماليكه على آختلاف طبقاتهم ووظائفهم، وما يُنصَب برسم آدُر(٦) السلطان ومَن يتبعها من الخُدّام وما يُنصَب برسم البيوت السلطانيّة الخزائنِ فما دونها، وما يُنصَب لأرباب الوظائف من المبـاشرين الذين يكونون فى صحبة الرِّكاب السلطانىّ، ومن غير المبـاشرين حتى الكِلابِ السلطانيّـة والكلابزيّة(٧) والجوارى؛ ويميّز بين خيام الصيد والنُّزَه والأسفار والحروب، وغير ذلك من الحركات التي يحتاج فيها إلى آستصحاب الخيام ٤١

(١) فى الأصل : «والخزكاهات» ؛ وهو تصحيف اذ لم نقف عليه فيما راجعناه من المظان . والخركاهات : جمع خركاه ، وأصله بالفارسية «خرجاه» ، ومعناها : القبة ، كما فى المعجم الفارسى الانجليزى تأليف ستينجاس .

(٢) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٢٥ من هذا السفر .

(٣) الشلائت : لفظ يستعمله العامة ويريدون به الفرش المحشوة . ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة التي بين أيدينا .

(٤) فى الأصل : «قال» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٥) فى الأصل : «الخاصة» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه ما بعده .

(٦) الآدر : جمع دار .

(٧) وردت هذه العبارة فى الأصل هكذا : «ومن غير المباشرين حتى الكلاب السلطانية ومن غير المباشرين حتى الكلابزية» وفيها تكرار وقع من الناسخ ؛ واستقامة الكلام تقتضى ما أثبتنا ؛ والكلابزية : هم الذين يكلفون بخدمة الكلاب والقيام عليها ، كما يستفاد من كتاب معيد النعم ص ٢٠٧ طبع ليدن . وفى شفاء الغليل : أن الكلبزة هى المعرفة بحال الكلاب السلوقية .

(٨) فى الأصل : «خادم» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه السياق .

ولكلّ حركة منها ما جرت به العادة من خيام المُقام والسَّفر(١)، ويَعرِض ما يسلّمه للفرّاشين عليهم، ويَضبِط صفاته عند السَّفر، ويستعيده منهم عند العَود بعَرْض ثان، وكذلك ما يسلّمه لأرباب الوظائف؛ ويَضبِط أيضا ما يتسلّمه الصُّنّاعُ الذين يفصّلون آلخامَ الجديدَ وغيرَه من آلات الفِراش خاناه: من قُماشٍ بياض(٢) ومصبوغٍ وغَزْلٍ وجلودٍ ومُشمَّعاتٍ وشعرٍ وأخشاب، وغيرِ ذلك، ويَعرِف عوائدَهم فى الأَجْر(٣)، ويحاسبهم على ما يستحقّونه من الأجر بحسب أعمالهم فيُحيلهم بمَبلَغه.

وأما السلاح خاناه — فهى من أعظم البيوت وأهمّها، وأمرُها راجعٌ الى أميرِ سلاح؛ وعلى المباشر فيها(٤) حفظُ ما يدخُل إليها، وضبطُ ما يخرُج منها مما يتسلّمه السلاح دارية والزَّرْدكَشيّة(٥) والحَرْب دارية والرُّمْح دارية من أنواع السلاح وأصنافه اذا ركب السلطان أو جلس فى المجلس العامّ، وآستعادتُه منهم، وإعادتُه لهم، والاعتدادُ لهم بما أَنعَم به السلطان وذهّبه مما كان بأيديهم؛ ويوصِلُ ما يَصل إلى السلاح خاناه من خزائن السلاح وغيرِها، وما يَصل اليه من سيوف الأمراء الذين يُرسَم بآعتقالهم، وما يُحمَل اليه من سلاح من تُوُفِّىَ من الأمراء على جارى العادة. «ويميّز(٦) ذلك من غيره» وعليه أن ينبّه أميرَ سلاح على ما عنده من العُدَد التى يُخشى عليها التلف

(١) فى الأصل: «والسبق»؛ وهو تحريف.

(٢) المراد بالبياض: ذو البياض، كما سبق فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٢٥ من هذا السفر.

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣٩ ورقم ٦ من صفحة ٢١٤ من هذا السفر.

(٤) لعله: «لها».

(٥) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٠٤ من هذا السفر.

(٦) فى الأصل: «ويمن»؛ وهو تحريف. وقد وردت هذه الجملة فى الأصل قبل قوله: «وما يحمل اليه» وسياق الكلام يقتضى تأخيرها عنها كما أثبتنا.

يتطاول المدّة ليأمر بكشفها و إصلاحها : من مسح ودهان وصقل وجلاء وشحذ[(١)] وتثقيف وخرز، وغير ذلك .

وجميع ما قدمنا ذكره من البيوت ليس بشيء من صناعة الكتابة العلميّة ، بل العمليّة خاصّة، فإن علوم الكتابة إنما تظهر في نظم الحسبانات، ولا نظم فيما قدمناه؛ والعمدة في صناعة الكتابة على مباشرة الهلالى والخراجى على ما يأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

## ذكر جهات أموال الهلالى ووجوهها[(٢)] وما يحتاج إليه مباشرها

والهلالى عبارة عما تستأدى أجوره مشاهرة، كأجر الأملاك المسقفة من الآدر[(٣)] والحوانيت والحمامات والأفران وأرحية[(٤)] الطواحين الدائرة بالعوامل[(٥)]، والراكبة على المياه المستمرة الجريان، لا الطواحين التى تدور بالمياه الشتوية فى بعض نواحى الشام، فإنها تجرى مجرى الخراجى، وسنذكر ذلك إن شاء الله فى موضعه؛ ومما نورد فى أبواب الهلالى عداد الأغنام والمواشى، ومن الهوائى[(٦)] الجهات الهلالية المضمونة والمحلولة؛ والذى يعتمد عليه مباشره أن يتخير لكل جهة من يستأجرها بقيمتها، وما لعله يتعين

(١) فى الأصل : « وتجد » بالنون والدال؛ وهو تحريف .

(٢) يريد بالوجوه هنا : الطرق، أى طرق الكتاب واصطلاحاتهم فى كتابة هذه الأموال، فلا تكرار بينه وبين قوله : « جهات » .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢٦ من هذا السفر .

(٤) الأرحية : جمع رحى، وهذا الجمع نادر، بل نقل الأزهرى عن أبى حاتم أنه خطأ وأن الصواب فى جمعه أرحاء .

(٥) العوامل : البقر .

(٦) المراد بالهوائى : ماليس له سقف؛ وعبارة المقريزى فى الخطط ج ١ ص ١٠٧ طبع بولاق : « والجهات الهوائية المضمونة والمحلولة » .

من الحيطة[1]، ويلزم المستأجر بكتابة إجارة شرعية لمدة معلومة بأجرة معينة؛ ويخلدها فى ديوانه؛ وإن كانت الجهة هوائية ألزم ضامنها بكتابة حجة بمبلغ الضمان، وطالبه بمن يكفله من الضمان الأملئاء[2] القادرين بالمال[3] فى الذمة، فإن تعذر فبالوجه[4]؛ فإذا خلدت الحجة عنده كتب له من ديوانه تقريرا عين له فيه استقبال مدة ضمانه، ومبلغ الضمان وأقساطه مبسوطة[5] أو منجمة[6]، ويذكر فيه ما يتأديه من رسوم تلك الجهة على ما تشهد به الضرائب المخلدة فى الديوان، ويسلمه إليه؛ فإذا تكاملت عنده إجارات الأملاك وحجج الضمان بسط على ذلك جريدة يشرح فيها الجهة، واسم مستأجرها أو ضامنها، واستقبال مدة إيجاره[7] أو ضمانه، ومبلغ الأجرة أو الضمان فى السنة والشهر واليوم؛ وإنما ذكرنا اليوم لما يتحصل من أقساط أيام سلوخ[8] الشهور الناقصة، ولما كانت العادة جارية به من استخراج قسط يوم التعديل من سائر ضمان الجهات ٤٢

(١) فى الأصل : «الغبطة» بالغين والباء الموحدة؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق؛ والحيطة اسم من الاحتياط؛ والمعنى أنه يلزمه القيام بما يتعين عليه من الاحتياط والأخذ بالثقة فى إجارة كل جهة .

(٢) «الأملئاء» بهمزتين : جمع مليء، وهو الثقة الغنى؛ وقد أولع الناس فيه بترك الهمزة وتشديد الياء .

(٣) «بالمال» متعلق بقوله : يكفله .

(٤) الظاهر أنه يريد بالوجه هنا : الجاه؛ أى إن تعذر الكفيل ذو المال والغنى قبلت الكفالة بذى الجاه وإن لم يكن غنيا .

(٥) الظاهر أن المراد بالمبسوطة هنا : المدفوعة مرة واحدة، كما تدل عليه مقابلته بالمنجمة؛ ولم نجد هذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة؛ فلعله اصطلاح لكتاب الدواوين فى زمن المؤلف لأن دافع المال يبسطه فى المجلس ولا يؤجله .

(٦) المنجمة : هى التى يقدر عطاؤها فى أوقات معلومة متتابعة، مشاهرة أو مساناة؛ وأصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت حلول ديونها، فتقول : اذا طلع النجم حل عليك مالى .

(٧) الإيجار مصدر آجر، يقال : آجرت زيدا الدار مثلا اذا أكريتها .

(٨) فى الأصل : «لوح» باللام والحاء؛ وفيه نقص وتصحيف .

الهوائيّة ، وهو قسط يومٍ واحدٍ فى سَلْخ ثلاثِ سنين يُؤخَذ من الضَّمّان خالصا للديوان زيادةً على الأقساط ، وهـذا يُستأدَى فى بعض أقاليم الشأم ، و إنما أوردناه خشيةَ الإخلال به ، و يكون بَسْطُه لذلك فى يَمْنة القائمة إلى الشطر المكسور المعتاد الذى يتخلّله خيط آلجريدة ، فإن آتّفق فى جهةٍ زيادةٌ فى أثناء السنة قرّرها فى تعليق المُياوَمة ، ووضعها فى الجريدة بمـا صورته : ثم آستقرّت بآسم فلانٍ لآستقبال التاريخ الفلانىّ بكذا وكذا ، العِبرة(1) كذا ، والزيادة كذا ، ويحاسِب المستأجِر أو الضامن المنفصلَ عمّا آستُحِقّ عليـه إلى حين آنفصاله ، ويُلزِمه بالقيام به ، وذلك بعـد أن يَعرِض على الضامن آلمستقرّ مازاد عليه ، فإن آختار قبولَ الزيادة على نفسه قَبِل ذلك منه ، وكان ذلك له ، فإن زِيدت عليه فى الوقت زيادةٌ ثانيةٌ لم يكن له الآستمرارُ فى الجهة إلا بزيادةٍ على تلك الزيادة الثانيـة ، وإذا انقضت مدّة مستأجِرٍ أو ضامنٍ وأراد الخروج من تلك الجهة ، فإن كان قد غَلَّق(2) ما عليـه من الأجرة أو الضَّمان لم يكن للباشِر إلزامُه بالآستمرارِ بها ، و إن آنطرد(3) عليه باقٍ كثيرا كان أو قليلا لزمه آستئنافُ عَقـدٍ جديدٍ نظيرِ العَقد الأوّل ، هذا آصطلاحهم فى الديوان ، ولهم آصطلاحات أيضا نحن نذكر ما تيسّر منها ، إذ لا تمكن الإحاطـة بجميعها لآختلاف أحوال المباشَرات ، ولو آستقصينا ذلك لطال ، فمن آصطلاحاتهم أن المبـاشِر يسلِّم للستأجِر الطاحونَ عند أذان المغرب من اليوم الذى حصل فيه الإيجارُ أو الزيادةُ لآستقبال

---

(1) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(2) فى الأصل : « علق » بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف إذ لم نجد من معانيـه ما يناسب سياق الكلام ؛ وغلق بالغين المعجمة وتشديد اللام : أى تم وكمل ، وهـذا الاستعمال لا يزال شائعا بين العامة فى زماننا ؛ ولم نجده فيا راجعناه من كتب اللغة ، وكأنهم أخذوه من أن المستأجر اذا دفع كل ما عليه فقد أغلق باب المطالبة .

(3) فى المصباح وغيره أنه لايقال انطرد إلا فى لغة رديئة .

اليوم الثانى، ويسلِّم الحَمَّامَ من وقت التسبيح، ويسلِّم بقيّة الجهات لاستقبال غُرّة النهار؛ وإذا دخل ضامنُ نيلة قوم[1] للمنفصل ماله بالخوابى من مياه الأصباغ المختلفة بالقيمة العادلة، ولا يُمكَّن من أخذ ذلك من المصبغة لما فيه من الإضرار بهما، أما ضررُ المنفصل فلفساد المياه، وأما ضررُ المتصل فلأنه يتعطّل مدّةً إلى أن تختمر له مياهٌ غيرُها، ولا يُمكَّن ضامنُ المصبغة المنفصل من أخذ خابية وإن كانت ملكَه، بل القيمة عنها، هذا اصطلاحهم؛ وليحترز مباشرُ الجهات الهلالية من قبول زيادة بسطا فى جهة منجّمة قد مضت أقساطُها الخفيفةُ[2] وبقيت الأقساطُ الكبار، لما يحصُل فى ذلك من التّفاوت والنقص على الدّيوان مع وجود الزيادة الظاهرة، مثال ذلك أن تكون جهةٌ مضمونةٌ فى كلّ سنة بأربعة آلاف درهم منجّمة، قسط ستة شهور ألفُ درهم، وقسطُ الستة شهور الثانية ثلاثةُ آلاف، فانقضت السّتةُ الأُوَل، وحصلتْ زيادةٌ فى الجهة فى أوّل السّتة[3] الثانية مبلغ خمسمائة درهم فى السنة على أن تكون قسطين، فيصير بمقتضى البسط قسطُ الستّة شهور الثانية ألفين ومائتين وخمسين درهما، وهى على الضامن المنفصل بثلاثة آلاف، فتكون هذه الزيادة على هذا الحُكم نقصا؛ فيراعى المباشرُ ذلك، فإنه متى وقع فيه خرج عليه وكان مخرجا لازما؛ ومهما استخرجه المباشرُ من مستأجر أو ضامن أو أجراه بوُصول[4] لربّ استحقاق أو ثمن صنف، أو غير ذلك من وجوه المصارف أورده فى تعليق المياومة، وصورةُ وضعه لذلك أن يرصع[5] المُحضَر أو المُجرَى عن يمنة القائمة، ويخصم عن يسرتها قُبالةَ

(١) فى الأصل: «مثله»؛ وهو تحريف لايستقيم به المعنى، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.
(٢) فى الأصل: «الحقيقة»؛ وهو تصحيف.
(٣) فى الأصل: «السنة»؛ وهو تصحيف.
(٤) الوصول بصيغة المصدر: هو المعروف الآن بين الناس فى معاملاتهم بالإيصال. وفى شفاء الغليل أن هذه الكلمة مولدة عامية لم يستعملها متقدم ولا متأخر محسن، إلا أنها وقعت فى الأشعار النازلة كثيرا.
(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر.

المُجرَى، فيقول فى يمْنتها : من جهة فلان كذا، وفى مقابلته : ينصرف فى كذا؛ ثم يَشطُب المُحضَرَ والمُجرَى من تلك الجهة فى يَسْرة قائمة الجريدة التى بَسَطها قُبالةَ كلّ آسم آستخرج منه أو أُجرَى عليه، يَفعل ذلك فى مدّة السنة، ويرمُز على تعليقه إشارةَ الخدمة على الجريدة، وصورتُه [له](٢)؛ وكذلك اذا كتب وُصولا رَمَزَ عليـه إشارةَ الكتابة، وصورتُه له؛ فإذا آنقضت السَّنة عَمِـلَ محاسَبةَ كلِّ جهةٍ بمـا آستخرجه من مستأجرها أو ضامنها وأجراه عليـه، وعقَدَ على ذلك جملةً، فان كان المستخرَجُ والمُجرَى نظيرَ الأجرة أو الضَّمان فقـد تَغَلَّقت(٣) تلك الجهة عن تلك السنة، وإن زاد المستخرَجُ على الأجرة أَوْرَدَه فى حسابه مضافا، ويسمّيه : زائدَ مستخرَجٍ، على ما يأتى بيانُه فى كيفيّة الأوضاع الحسابيّة، وآعتَـدَّ(٤) له بذلك فى السنة المستقبلَة؛ وإن تعيّن للضامنِ أو المستأجِرِ آعتدادٌ بما يجب الآعتدادُ به كبِطالة الحمّامات من آنقطاع المياه عنها أو وقوفها فيها، وإصلاح القدور، وعُطْلِ العمائر، وبِطالةِ الطواحين لآنقطاع المياه وآنكسارِ الأحجار أو السهامِ أو العُدد، أو حصولِ جائحةٍ(٥) أرضيّةٍ أو سمائيّـة كآنقطاع الأجلاب(٦) عن الجهات الهوائيّة بسبب مداوَمة الأمطار، أو سقوطِ الثلوج، أو طُروقِ عدوٍّ للبلاد، أو حادثةٍ عُطِّلت تلك الجهةُ بسببها آعتَدّ له بقسط تلك المدّة محسوبا (٤٣)

(١) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٣) فى الأصـل : « تعلقت » بالعين؛ وهو تصحيف اذ لم نجد من معانيه ما يناسب السياق . «وتغلقت» الخ : أى تم دفع ما على هذه الجهة من الأجرة أو الضمان، كما يرشد اليه السياق؛ وهو استعمال عامىّ كما سبق توضيح ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر .

(٤) فى الأصل : «وامتد»؛ وهو تحريف . وفى المصباح انه يقال : اعتددت بالشىء، أى أدخلته فى العد والحساب .

(٥) فى الأصل : «حاجة»؛ وهو تحريف . والجائحة : الآفة والنازلة .

(٦) الأجلاب بفتح الهمزة : جمع جلب بالتحريك، وهو المجلوب .

"هذا إذا شرط ذلك فى تقريره" (١) على ما يأتى شرح ذلك (٢)؛ هذا ما يعتمد عليه المباشرُ للجهات الهلاليّة فى أصولها .

وأما مضافاتُها فلا فرق بينها وبين سائرِ الأموال ، وسيَرِد الكلام إن شاء الله على ذلك مفصَّلا ؛ وقد اصطَلَح بعضُ مباشرى الجهات على إيراد أَحكارِ البيوت والحوانيت ، ورَيع البساتين التى تُستخرَج أجورُها (٣) مشاهرةً ، ومَصايد السمك ، ومَعاصِر الشَّيْرَج (٤) والزيت فى مال الهلالىّ ؛ ومنهم من يوردها فى أبواب الخراجىّ ، وهو الأليق ، وإنما نبّهْنا عليه لبيان الاختلاف فيه . ولا أرى فى إيراد رَيْع البساتين فى مال الهلالىّ وجها ، بل يتعيّن ألّا يَرِدَ إلا فى أبواب الخراجىّ ؛ وإن قال قائل منهم : قد يكون فى أرض البستان مَسكَنٌ يستحِقّ أجرة ، قلنا : إن أمكن إفرادُ ذلك المَسكَن بأجرةٍ معيّنةٍ تُقيَّدُ أموالُه فى أموال الهلالىّ دون البستان ، وإن تعذّر إفرادُه وأُوجِرا بعقدٍ واحد فالمَسكَن هنا فرعُ البستان ، والفرعُ يتبع الأصلَ ولا ينعكس ، هذا ما لخّصناه من حال مالِ الهلالىّ ، فلنذكر الجَوالِى (٥) .

---

(١) وردت هذه الجملة فى الأصل قبل الجملة السابقة ، أى قبل قوله : «اعتد» الخ ؛ والسياق يقتضى تأخيرها عنها كما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : « تقليله » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه قوله فى صفحة ٢٢٩ س ٤ : « كتب له من ديوانه تقريرا » الخ .

(٣) فى الأصل : « أصولها » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا ، كما فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٢ طبع المعهد الفرنسى .

(٤) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى مستدرك التاج مادة «شرج» بالمعجمة ، وذكر أن العوام يلفظون به بالسين المهملة مكسورة ؛ وهو دهن السمسم .

(٥) موضع هذه الكلمة فى الأصل حروف مطموسة تتعذر قراءتها ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

## ذكر الجزية الواجبة على أهل الذمّة وما ورد فيها من الأحكام الشرعيّة وأوّل مَن ضربها وقرّرها على الرءوس وما اصطلح عليه كُتّابُ التصرّف فى زماننا من آستخراجها وموضع إيرادها فى آلحساب ونسبتها فى الإقطاعات الجيشيّة وما يلزم مباشرَها من الأعمال وما يحتاج إليه والله أعلم

أما الأحكام الشرعيّة فالأصل فى وجوبها قولُه تعـالى : ﴿ قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَـرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ وَرَسُـولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا ٱلْجِـزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ وقد ورد فى هـذه الآية تأويلاتٌ ذكرها أقضى القضاة أبو الحسن علىُّ بنُ محمد بن حَبيب آلمـاوردى — رحمه الله — فى الأحكام السلطانيّـة ، نحن نذكرها على ما أُورَده ، قال : أما قولُه : « الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ » فأهـلُ الكتاب [ وإن](1) كانوا معترفين بأن الله سبحانه واحد ، فيَحتمِل [ نفيُ](2) هـذا الإيمانِ بالله تأويلين ، أحدهما : لا يؤمنون بكتاب الله سبحانه وهو القرآن ، والثانى : لا يؤمنون برسوله محمد صلّى الله عليه وسلّم ، لأن تصديقَ الرُّسُل إيمانٌ بالمرسِل ؛ وقولُه : « وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ » يَحتمِل تأويلين ، أحدهما : لا يخافون وعيدَ اليوم الآخِرِ وإن كانوا معترفين بالثواب والعقاب ، والثانى : لا يصدّقون بمـا وصفه الله تعالى من أنواع العـذاب ؛ وقولُه تعالى : « وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ » يَحتمِل تأويلين ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٢٤٦ طبع ألمـانيا .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصـل ومن نسخة الأحكام السلطانيـة طبع ألمـانيا ، وقد أثبتناها عن نسخة الأحكام السلطانية طبع مصر اذ بها يستقيم الكلام .

أحدهما : ما أَمَرَ الله سبحانه بنَسْخِه مِن شرائِعهم ، والثانى : ما أَحَلّه لهم وحَرّمَه عليهم؛ «وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ» فيه تأويلان، أحدهما : ما فى التوراة والإنجيل من آتّباع الرسول — وهو قول الكلبيّ — ، والثانى : الدخولُ فى دين الإسلام — وهو قول الجمهور — ،وقولُه : «مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ» فيه تأويلان، أحدهما: من أَتْباع(١) الذين أوتوا الكتابَ، والثانى : مِن الذين مِلّتُهم الكتابُ، لأنهم فى آتّباعِه كإيتائه(٢)؛ وقولُه : «حَتَّىٰ يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ» فيه تأويلان، أحدهما: حتى يدفعوا آلجزية، والثانى حتى يَضمَنوها ، لأنه بضمانها يجب الكفُّ عنهم؛ وفى الجزية تأويلان، أحدهما : أنها من الأسماء المُجْمَلة التى لا يُعرَف منها ما أُريد بها إلا أن يَرِدَ بيان(٣)، والثانى: أنها من الأسماء العامّة التى يجب إجراؤها على عمومها إلا ما خصصه دليل؛ وآسمُها مشتقٌّ من آلجزاء، وهو إما جزاءٌ على كفرِهم ، أو جزاءٌ على أمانِنا لهم؛ وفى قوله : «عَنْ يَدٍ» [تأويلان، أحدهما: عن غِنًى وقُدرة ، والثانى: أن يَعتقِدوا أن لنا فى أخذها منهم يدًا وقُدرةً عليهم؛وفى قوله(٤)] : «وَهُمْ صَاغِرُونَ» تأويلان، أحدهما : أَذِلّاءُ مساكين(٥)، والثانى : أن تُجْرَى عليهم أحكامُ الإسلام . وقال غيرُه : الصَّغار أن يُضرَب على فَكّ الذمّيّ برءوس الأنامل عند قيامه بالجزية ضربا لطيفا غيرَ مؤلم . وقال الماوردىّ :



(١) انما قدر هذا المضاف لأن الذين أوتوا الكتاب أنفسهم لم يكونوا فى زمن الإسلام فتؤخذ منهم الجزية؛ والذى فى نسخ الأحكام السلطانيــة « من أبناء » وكذلك فى كتاب الحاوى الكبير للماوردى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقه شافعى؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٢) فى الأصل : « كإتيانه » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا فان الإيتاء هو مصدر « أوتوا » لا «الإتيان» ؛ والمعنى أنهم فى آتباعه كأنهم أوتوا الكتاب ؛ والذى فى الأحكام السلطانية : « كأبنائه » ؛ وهو تحريف .

(٣) عبارة الأصل : « تروتبان » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، كما فى الأحكام السلطانيــة ص ٢٤٧ طبع ألمانيا .

(٤) هذه التكملة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية إذ بها يتم الكلام .

(٥) فى الأصل : «مسألتين» ؛ وهو تحريف .

فيجب على ولىّ الأمر أن يضربَ ٱلجزيةَ على رقاب من دخل فى الذمّة من أهـل الكتّاب ليقرّوا بها فى دار الإسلام؛ ويَلتزم لهم ببذلها حقّين : أحدهما الكفُّ عنهم، والثانى ٱلحمايةُ لهم، ليكونوا بالكفّ آمنين، وبالحماية محروسين؛ روى نافعٌ عن ٱبن عمر رضى الله عنهم قال : آخر ما تكلّم به النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم : "احفظونى فى ذِمّتى"(١)

قال المـاوردىّ : ولا تؤخَذ من مُرتدٍّ ولا دَهْرىٍّ ولا عابدِ وَثَن، وأخَذَها أبو حنيفة من عَبَدة الأوثان من العجم، ولم يأخذْها منهم إذا كانوا عربا(٢)؛ وأهلُ الكتّاب هم اليهود والنصارى، وكتابهم التوراةُ والإنجيل، وتجرى ٱلمجوسُ مجراهم فى أخذ الجزية منهم؛ وتؤخَذ من الصابئين(٣) والسامِرة(٤) اذا وافقوا اليهودَ والنصارى فى أصل معتقدِهم وان خالفوهم فى فروعه، ولا تؤخَذ منهم إن خالفوا اليهودَ والنصارى فى أصـل معتقَدِهم؛ ومن جُهِلتْ حالُه أُخذتْ جزيتُه، ولا تؤكَل ذبيحتُه؛

والجزية تجب على الرجال الأحرار(٥) العقـلاء، ولا تجب على صبىٍّ ولا ٱمرأةٍ ولا مجنونٍ ولا عبدٍ، لأنهم أتْباعٌ وذَرارىّ؛ ولو تفرّدت ٱمرأةٌ منهم [عن](٦) أن تكون تبعا لزوجٍ أو نسيبٍ لَم تؤخَذْ منهـا ٱلجزية، لأنها تبعٌ لرجال قومها وإن كانوا أجانب

---

(١) أراد : فى أهل ذمتى .

(٢) فى الأصل : «غرباء» ؛ وهو تحريف .

(٣) الصابئون : قوم يشبه دينهم دين النصارى الا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب، يزعمون أنهم على دين نوح ( تاج العروس ) .

(٤) السامرة : قوم من اليهود يخالفونهم — أى اليهود — فى بعض أحكامهم، كإنكارهم نبوة من جاء بعـد موسى عليه السلام وقولهم : « لا مساس »، وزعمهم أن نابلس هى بيت المقدس؛ وهم صنفان : الكوشان؛ والدوشان؛ واليهم نسب السامرىّ الذى عبد العجل ( تاج العروس ) .

(٥) فى الأصل : «والأحرار» ؛ والواو زيادة من الناسخ .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها ؛ والذى فى نسختى الأحكام السلطانيـة طبع ألمـانيا وطبع مصر مكان هذه الكلمة : «على» ؛ وهو تحريف .

منها ؛ ولو تفردت امرأة فى دار الحرب فبذلت الجزية للمقام فى دار الإسلام لم يلزمها ما بذلته ، وكان ذلك منها كالهبة لا يؤخذ منها إن امتنعت ؛ ولا تؤخذ الجزية من خنثى مشكل ، فإن زال (١) إشكاله وبان رجلا أخذت منه فى مستقبل أمره وماضيه ؛

واختلف الفقهاء فى قدر الجزية ، فذهب أبو حنيفة إلى تصنيفهم ثلاثة أصناف : أغنياء يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهما ، وأوساط يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهما وضرب (٢) يؤخذ منه اثنا عشر درهما ، (٣) [ فجعلها مقدرة الأقل والأكثر ] ومنع من اجتهاد الولاة فيها .

وقال مالك : لا يقدر أقلها ولا أكثرها ، وهى موكولة إلى اجتهاد الإمام فى الطرفين .

وذهب الشافعى إلى أنها مقدرة الأقل بدينار لا يجوز الاقتصار على أقل منه ، وعنده أنها غير مقدرة الأكثر ، يرجع فيه إلى اجتهاد الولاة ، ويجتهد رأيه فى التسوية بين جميعهم ، أو التفضيل (٤) بحسب أحوالهم ، فإذا اجتهد رأيه فى عقد الجزية معهم على مراضاة أولى الأمر منهم صارت لازمة لجميعهم ولأعقابهم قرنا بعد قرن ، ولا يجوز لوال بعده أن يغيره (٥) الى زيادة عليه أو نقصان منه .

---

(١) فى الأصل : « زاد » بالدال ؛ وهو تحريف .

(٢) الذى فى الأحكام السلطانية : « وفقراء » ؛ وهو أظهر لأنه قد عين الصنفين السابقين بقوله : « أغنياء» « وأوساط » .

(٣) لم ترد هذه العبارة فى الأصل ، وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية كما تقتضيه المقابلة بما يأتى فى قول مالك والشافعى .

(٤) فى الأصل : « والتفصيل » ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما فى الأحكام السلطانية ص ٢٤٩ طبع ألمانيا .

(٥) أن يغيره ، أى أن يغير عقد الجزية .

ويُشتَرَط عليهم فى عقد الجزية شرطان : مســتَحَقٌّ ومستَحَب، أما المستحَق فستة أشــياءَ (١) : أحدها ألّا يذكُروا كتابَ الله تعـالى بطعنٍ فيــه ولا تحريفٍ له ، والثـانى ألّا يذكُروا رسولَ الله صلّى الله عليه وسـلّم بتكذيبٍ له ولا آزدراءٍ به ، والثـالث ألّا يذكُروا دينَ الإســلام بذمٍّ له ولا قدحٍ فيــه ، والرابع ألّا يُصيبوا مسلمةً بزنًى ولا بآسم نكاح، والخامس ألّا يفتِنوا (٢) مسلما عن دينه ولا يتعرّضوا لمـاله ولا دمه (٣)، والسادس ألّا يُعِينوا أهلَ الحرب ولا يؤوُوا أغنياءَهم؛ فهذه الستةُ حقوقٌ ملتزَمةٌ بغير شرط، وإنمـا تُشتَرط إشعارا لهم، وتأكيدا لتغليظ العهد عليهم، فيكون آنتهاكُها بعد الشرط نقضا لعهدهم .

وأما المستحَبّ فستة أشياءَ : أحدها تغيير هيآتهم بلُبس الغِيار (٤) وشدّ الزُّنّار (٥)، والثانى ألّا يعلُوا على المسلمين فى الأبنية، ويكونوا إن لم ينقصوا مساوِين لهم، والثالث ألّا يُسمِعوهم أصواتَ نواقيسهم، ولا تلاوةَ كتبهم، ولا قولَهم فى عُزَير والمسيح، والرابع ألّا يجاهروهم بشرب خمورهم، ولا بإظهار صلبانهم وخنازيرهم، والخامس أن يُخفُوا (٦) ٤٥
دفنَ موتاهم ولا يَجهَروا بندبٍ عليهم ولا نياحة ، والسادس أن يُمنَعوا من ركوب الخَيل عِتاقا وهُجْنا، ولا يُمنَعوا من ركوب البغال والحمير؛ قال : فهذه الستة المستحَبّة

(١) كذا فى نسخ الأحكام السلطانية التى بين أيدينا؛ والذى فى الأصل : «فيه أشياء» وهو تحريف ويرشد الى ما أثبتناه أيضا مقابلته بقوله الآتى : «وأما المستحب فستة أشياء» .

(٢) فى الأصل : «يعينوا» ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «ذمته» ؛ وهو تحريف .

(٤) الغيار : علامة أهل الذمة كالزنار؛ قال فى شفاء الغليل نقلا عن شرح المهذب : الغيار أن يخيطوا على ثيابهم الظاهرة مايخالف لونه لونها ، وتكون الخياطة على الكتف دون الذيل ، والأشـبه ألا تختص بالكتف . اهـ

(٥) الزنار وزان رمان : ما يلبسه الذمّىّ يشدّه على وسطه .

(٦) فى الأصل : «أن لا يخفوا» ؛ وقوله : «لا» زيادة من الناسخ مفسدة للمعنى .

لا تلزم بعقد الذِّمّة حتى تُشترَط فتصيرَ بالشرط ملتزمة، ولا يكون ارتكابها بعد الشرط نقضا للعهد، لكن يؤخَذون(١) بها إجبارا(٢)، ويؤدَّبون(٣) عليها زجرا، ولا يؤدَّبون إن لم يُشترَط ذلك عليهم(٤)، ويُحتاط به .

[وتجب الجزية عليهم](٥) فى كل سنة مرّةً واحدةً بعد انقضائها(٦) بالشهور الهلاليّة، ومن مات منهم فى أثناء السنة أُخذ من تركته بقدر ما مضى منها، ومن أسلم كان ما لزم من جزيته دَينا فى ذمّته يؤخَذ منه؛ وأسقطها أبو حنيفة بإسلامه وموته؛ ومَن بلَغ من صغارهم، أو أفاق من مجانينهم آستُقبل به حولٌ [ثم أُخذ](٧) بالجزية ويُؤخَذ الفقيرُ بها إذا أيسر، ويُنظَر بها إذا أعسر؛ ولا تسقط عن شيخ ولا زَمِن، وقيل: تسقط عنهما وعن الفقير؛ ولأهل العهد إذا دخلوا دارَ الإسلام الأمانُ على نفوسهم وأموالهم، ولهم أن يقيموا فيها أربعةَ أشهر بغير جزية، ولا يقيموا سنةً إلا بجزية، وفيما بين الزمانَين(٨) خلاف؛ ويلزَم الكفُّ عنهم كأهل الذمّة، ولا يلزَم الدفعُ عنهم؛ وإذا أمّن بالغٌ عاقلٌ من المسلمين حربيًّا لزِمَ أمانُه كافّةَ المسلمين، والمرأةُ

(١) فى الأصل: «يوجدون»؛ وهو تصحيف.

(٢) فى الأصل: «اخبارا» بالخاء، وهو تصحيف.

(٣) فى الأصل «ويؤذنون»؛ وهو تصحيف.

(٤) وردت هذه العبارة فى الأصل مكتوبة بخط كبير مشبه لما تكتب به تراجم الأبواب والفصول؛ ولم ترد فى الأحكام السلطانية؛ والمعنى أنه ينبغى للامام أن يحتاط باشتراط ذلك عليهم ليعاملهم بمقتضاه.

(٥) هذه التكملة ساقطة من الأصل؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها؛ وعبارة الأحكام السلطانية ص ٢٥١ طبع ألمانيا: «ولا تجب الجزية عليهم فى السنة الا مرة واحدة».

(٦) هذه الهاء والباء ساقطتان من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتهما، كما فى الأحكام السلطانية.

(٧) هذه التكملة ساقطة من الأصل وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٢٥٢ طبع ألمانيا.

(٨) كذا فى الأحكام السلطانية ص ٢٥٢ طبع ألمانيا و ص ١٣٩ طبع مصر؛ والذى فى الأصل: «دون»؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى.

فى بذل الأمان كالرجل، والعبدُ فيه كالحـرّ؛ وقال أبو حنيفة : لا يصحّ أمانُ العبد إلا أن يكون مأذونا له فى القتال؛ و[١] إذا تَظاهَر أهلُ الذمّة والعهدِ بقتال المسلمين كانوا حربا لوقتهم، يُقتَل مُقاتِلُهم، ويُعتبَر حالُ مَن عدا المُقاتِلة منهم بالرضا بفعلِهم والإنكارِ له؛ وإذا آمتنع أهـلُ الذمّة من أداء الجزية كان نقضـا لعهدِهم؛ وقال أبو حنيفة : لا يَنتَقِض به عهدُهم إلّا أن يلحقوا بدار الحرب، وتُؤخَذ منهـم جَبْرا كالدّيون؛ وإذا نَقَض أهلُ الذمّة عهدَهم لم يُستَبَح بذلك قتلُهم، ولا غُنْم أموالهم، ولا سَبْيُ[٢] ذرارِيِّهم ما لَم يقاتِلوا، ووجب إخراجُهم من بلاد المسلمين آمنِـين حتى يَلحَقوا مأمَنَهم من أدنى بلاد الشِّرك، فإن لم يَخرُجوا طوعا أُخرِجوا كَرْها؛ فهذه هى الأحكام الشرعيّة فى أمر الجزية .

وأوّلُ ما ضُربت آلجزية وجُعِلتْ على الرءوس[٣] فى خلافة عمـر بن الخطّاب — رضى الله عنـه — وكانت قبل ذلك تُحمَل قطائعَ؛ وآختُلِف : هل آستأداها سَلَفا أو عند آنقضاء الحَوْل .

(١) هذه الواو ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها .

(٢) فى الأصل : «ولا بنى»؛ وهو تحريف .

(٣) فى كتب الفقه ما يفيد أن الجزية كانت على الرءوس فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب من كل حالم دينارا ولم يفصل . وروى مسروق عن معاذ بن جبل أنه قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وأمرنى أن آخذ من كل حالم دينارا أو عدله معافر، انظر كتاب الحاوى الكبير للماوردى ج ١٩ من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقـه شافعى وكتاب الخراج ليحيى بن آدم ص ٧٢ طبع المطبعة السلفية . والمعافر : ثياب تصنع باليمن . أما ما كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فهو أنه جعل أهل الذمة طبقات، فأخذ من الأغنياء ثمـانية وأربعين درهما، ومن المتوسطين أربعة وعشرين درهما، ومن الفقراء آثنى عشر درهما، وذلك فى سواد العراق لمـا افتتحه، انظر كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٢٠ و ٢١ و ٢٢ طبع المطبعة الأميرية وكتاب الأوائل لأبى هـلال العسكرى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٠٥ تاريخ . ولمْ يكن هذا التقسيم قبل خلافة عمر .

وأما ما ٱصطلح عليه كُتّاب التصرّف فى زماننا هذا من ٱستخراجها وموضع إيرادها فى حُسباناتهم، فهُم يستخرجونها سَلَفا وتعجيلا فى غُرّة السنة، وفى بعض الأقاليم تُستَخرَج قبل دخول السنة بشهر أو شهرين؛ وتُورَد فى الحُسبانات قلما مستقلّا بذاته، بعد الهلالىّ وقبل الخراجىّ ، وسببُ تأخيرها عن الهلالىّ أنها تُستأدَى مُسانَهةً ، وسببُ تَقدُّمها على الخراجىّ ما ورد من وجوبها مشاهَرةً على الأشهر من أقوال الفقهاء؛ وقد تقدّم ذكرُ الحُكم فيمن أسلم أو مات فى أثناء الحَوْل، وأنه لا يَلزَمه منها إلا بقدر ما مضى من السنة قبل إسلامه أو وفاته، فلذلك وردتْ بين الهلالىّ والخراجىّ .

وأما نسبتُها فى الإقطاعات الجيشيّة عند خروج إقطاعٍ ودخولِ آخر[1] فإنها تَجرِى مَجرِى المال الهلالىّ ، لأنها تُستخرَج على حكم شهور السنة الهلاليّة دون الشمسيّة ، فإن تعجّلها مُقطَعٌ فى غُرّة السنة على العادة وخرج الإقطاعُ عنه فى أثنائها بوفاةٍ أو نقلة إلى غيره استَحقّ منها نظيرَ ما مضى من شهور السنة إلى حين ٱنتقاله ، لا على حُكم ما ٱستَحَقّ من المُغَلّ ؛ ويَستحِقّ ٱلمتّصلُ من ٱستقبال[2] تاريخ منشوره كعادة النقود[3]؛ وإن تَحَلَّل بين المنفصل والمتّصل مدّةٌ كان قسطُها للديوان، يَرِد فى جملة ٱلمحلولات من الإقطاعات .

---

(١) كذا فى الأصل ؛ ويوضح ذلك ما ورد فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد الفرنسى ؛ وعبارته : عند خروج إقطاع عن مقطع — بفتح الطاء — ودخول آخر على ذلك الاقطاع .

(٢) كذا فى كتاب الخطط للمقريزى ؛ والذى فى الأصل : « لاستقبال » باللام مكان « من » وما أثبتناه هو مقتضى السياق .

(٣) كذا فى كتاب الخطط للمقريزى ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد الفرنسى ؛ والذى فى الأصل : «النقوذ» ؛ وهو تصحيف .

وأما ما يَلزَم مباشِرَ الجوالى وما يَحتاج الى عمله، فالذى يلزمه أن يبسُط جريدةً على أسماء الذمّة[1] بمقتضَى الضريبــة المرفوعةِ إليه، أو الكشفِ الذى كَشَفَه إن كان العمــلُ[2] مفتوحا[3] أو مستجَدًا، يبدأ فيها بذكر أسمـاء اليهود، ويثنّى (٤٦) بالسامِرة[4] لأنّهم شَعْبٌ منهم، ويثلّث بالنصارى، وإن كان فى عمله طائفــةٌ من الصابئة والمجوس ذَكَرهم بعد النصــارى؛ وفى بعض بلاد الشأم تؤخذ الجزية من طائفة تُعرف بالشّمسيّة، يوحّدون الله تعالى وينكرون نبوّةَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، ومنهم من يقول بنبوّة عيسى عليه السلام وأن لا نبىَّ بعده؛ ويكون بَسْطُ الكاتب لهذه الجريدة على التقفية إذا كانت الأسماء كثيرة، ليسهل عليه بذلك الكشفُ والشطب، وإذا آستخرَج جاليةً أوْرَدها فى تعليق المياوَمة، وكَتَبَ له بها وُصولا[5]، وشَطَبها عن آسم من آستُخرِجتْ منه فى جريدته، ويرمُز فى تعليقه إشارةَ الكتابة والخدمة على ما تقدّم بيانه فى الهلالىّ .

ويَحتاج مباشر الجوالى فى كلّ ســنة إلى إلزام رئيس اليهود ورئيس السامِرة وقِسّيس النصارى أو أُسْقُفِّهم[6] بكتابة أوراق يسمّونها : الرِّقاعَ بمن عنــد كلٍّ منهم من الرواتب[7]، وما لعــلّه آستجَدّ[8] من الطّوارئ[9] والنّوابت، ويعــيّن فى آخر الرِّقاع من

(١) أسماء الذمة : أى أسماء أهل الذمة . (٢) يريد بالعمل : البلد . (٣) مفتوحا : أى مما فتحه المسلمون من دار الحرب . (٤) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣٦ من هذا السفر.

(٥) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : «أو استفهم» ، وهو تحريف ، والأسقف بتخفيف الفاء وتشديدها فوق القسيس ودون المطران .

(٧) يريد بالرواتب : المقيمين ، وهو من رتب رتبا إذا أقام بالبلد ، كما فى المصباح ؛ وإنما جمعه على فواعل لأن واحده «راتبة» ، صفة للطائفة .

(٨) فى المصباح أن استجدّ قد يستعمل لازما — أى بمعنى تجدّد — فلذلك ضبطناه بفتح التاء والجيم .

(٩) الطوارئ : الذين طرأوا على البلد ولم يكونوا منه . والنوابت : جمع نابتة ، أى النشء الصغار ، والمراد بهم هنا من دون البلوغ .

آهتدى بالإسلام ، ومَن هلك بالموت ، ومَن تَسحّب(1) من العمل ، و إلى أىّ جهة توجّه ، و يَجعل تلك الرِّقاعَ شاهدا عنده بعد الإشهاد فيها على(2) الصادرةِ عنه بأنه لم يُخلّ بشىء من الأسماء ، و يُلزمه بكَتْب مَشاريحَ بمَن ضَمّن رِقاعه أنه آهتدى أو هلك أو تَسحّب(1) كلّ اسمٍ بمشروح ، ويخلّد المشاريحَ عنده و يُشطّبها(3) على جريدته ؛ والكتّاب فى إيراد من آهتَـدَى ونَزَح وهَلَك مختلفون : فمنهم من يُوصِل العِدّةَ المستقِرّةَ عنده عن يَمْنة العمل(4) ، و يَستثنِى بالتعدية عمّن آهتَدَى وهَلَك وتَسحّب(1) ، كلّ آسم بمقتضَى مشروحه المشهودِ فيه ، و يبرز بما تحرّر بعـد ذلك ؛ ومنهم من يُوصِل الجميعَ على ما آستقرّت عليه الحالُ الى آخر السنة المـاضية ، ويَستخرِج ممّن آستخرج منه ، و يَعتدّ(5) بما يجب على المهتدى والهـالكِ والمتسحِّب(1) محسوبا فى باب المحسوب قَبْل فَذْلَكة الواصل فى الرِّقاع — على ما نبيّنه إن شاء الله فى الأوضاع الحسابيّة — ويكون ما على النازحين موقوفا الى أن يتحرّى أمرهم ؛ فإن عاد أحدٌ منهـم الى ذلك الإقليم ولم يكن قد قام بالجزية فى بلد آخر آستُخرِجتْ منه ، ووَرَدتْ فى باب المضاف فى حساب السنة ، و إن كان قد قام بالجزية فى بلد آخرَ وأَحضر وُصولَ مباشرِ تلك الجهة بمـا آعتَدّ له

---

(1) تسحب : أى نزح من بلد الى بلد آخر ، ولم نجـده فيما راجعناه من كتب اللغـة بهذا المعنى ، والظاهر أنها عامية .

(2) فى الأصل : «عن» ، وهو تحريف ، واللغة تقتضى ما أثبتنا .

(3) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(4) يريد بالعمل هنا : مايسميه الكتّاب بالقائمة ، كما يرشد اليه السياق ، وسيأتى هـذا اللفظ مرادا به هذا المعنى فى موضع آخر ، وسننبه عليه فى مكانه .

(5) يقال : اعتددت بالشىء : أى أدخلته فى العدّ والحساب (المصباح) .

به عن تلك السـنة، نَقَل[1] مَبلغَ الوُصول على تلك الجهة التى حَضَر وُصولُها قربت أو بعـدت، وٱستَشهَد فى حسابه بمقتضى الوُصول؛ وكلتا الطريقتين سائغـةٌ عند الكُتّاب؛

وأما النّوابت[2] والطّوارئ فإنهـا تَرِد فى باب المضـاف باتفاق الكُتّاب فى أوّل سنة، وتستقِرّ أَصْلا فى السنة التى تليها وما بعدها؛ ويحتاج المباشر الى تفقُّد أحوال النوابت فى كلّ مدّة لِٱحتمال بلوغ صبىٍّ فى أثناء ٱلحَوْل، واختبار ذلك بأمور شرعيّة واصطلاحيّة: أما الشرعيـة فبإنبات[3] الشّعر الخَشِن[4]، أو بكمال خمس[5] عشرةَ سنة؛ وأما الاصطلاحيّة فبٱنفراق[6] رأس الأنف، وغِلَظ الصوت، وبظهور شىء على حَلَمة الثَّـدْى من باطنه كالتُّرمُسة، وبأنْ يُدارَ خَيطٌ على عنق الصبىّ مرّتين تحريرا، ثم يوضَع طرَفُ الخيط بين أسنانه وتُدخَل أُنْشوطةٌ[7] فى رأسـه، فإن دخلت دلّ ذلك على بلوغه، وإلا فلا؛ وٱصطَلَح بعضُ مباشِرى الجوالى فى بعض الأقاليم على إلزام عُرَفاء الذمّة[8] بالمطالَعـة بكل صبىٍّ يُولَد لوقتِـه، وبمن هلك منهم، ويرصع[9] أسماءهم

(١) فى الأصل: «ونقل»؛ والواو زيادة من الناسخ.

(٢) انظر الحاشية رقم ٩ من صفحة ٢٤٢ من هذا السفر.

(٣) يقال: أنبت الغلام، اذا نبت شعرعانته، وهو حدّ معتبر لبلوغ صبيان أهل الذمة لأنه لا يمكن الوقوف على سنهم لاتهام أقوالهم.

(٤) فى الأصل: «الحسن»؛ وهو تصحيف.

(٥) عبارة الأصـل: «أو الكمال فمن عشرة»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا إذ به يسـتقيم الكلام؛ وتحديد سن البلوغ بخمس عشرة سنة مذهب الشافعى وأبى يوسف ومحمد، وعليه الفتوى عند الحنفية.

(٦) هذه الكلمة فى الأصل مهملة الحروف من النقط؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا.

(٧) الأنشوطة: ربطة دون العقدة، إذا شدّت من أحد طرفيها انحلت.

(٨) الذمة، أى أهل الذمة.

(٩) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر.

فى جريدة مفردةٍ بهم ، فمن بلغ عمره ثلاثَ عشرةَ سنةً استخرج منه الجزيةَ سواء ظهرت أماراتُ بلوغه أم لا ، ويلازم المباشرُ الكشفَ والتنقيبَ عمّن لعلّه أُخفِىَ من الرواتب، أو آستجدّ من الطّوارئ والنّوابت ولم يُرِد الدفع، فمن ظهر له أمرُه آستخرَج الحاليةَ منه لأستقبال وجوبها عليه، ويقابل من أخفاه بالإهانة والنكال؛ والمباشَرةُ تُظهِر ما لا تحيط به الكُتُب؛ هذا ما يتعلّق بالجوالى، فلنذكر الخراجىّ — إن شاء الله تعالى — .

## ذكر جهات الخراجىّ وأنواعه وما يحتاج اليه مباشره

[٤٧] والخراجىُّ عبارةٌ عما يُستأدَى مسانَهةً مما[(١)] هو مقرَّرٌ على الأراضى المُرصَدة للزراعة والنخلِ والبساتينِ والكرومِ والطواحينِ السنويّةِ التى تدور أحجارُها بمياه السيول فى آلجهات[(٢)] الشاميّة، وما يُستأدَى من خدم الفلّاحين، ويسمّى ذلك بمصر: الضِّيافة، وبالشأم: رَسْمَ الأعياد والخميس، وهو أغنامٌ ودَجاجٌ وكَشْكٌ[(٣)] وبَيض — على ما آستقرّ على كلّ جهة — وهو إنما يكون على النواحى الإقطاعيّة غالبا، وأما فى نواحى الخاصّ فلا يُستأدَى، لِما هو مقرر على الأراضى بمصر من الحقوق التى تُستخرَج دراهمَ، وبالشأم من التّضْييف[(٤)] المقرَّر عليهم فى أيّام الفَتْح[(٥)] عن مدّة ثلاثة

(١) فى الأصل : «من»، وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «فى المياه»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) فى شرح القاموس أن كسر الكاف فى هذا اللفظ مما ولعت به العامة .

(٤) فى الأصل : «المضيف»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما تقتضيه اللغة .

(٥) فى الأصل : «القسم»؛ وهو تحريف إذ لم نجد له معنى يناسب السياق؛ ولعل صوابه ما أثبتنا فإنه جاء فى صلح عمر رضى الله تعالى عنه لنصارى الشأم ضيافة من يمر بهم من المسلمين ثلاثة أيام مما يأكلون من غير أن يكلفوا ذبح شاة ولا دجاجة وتبييت دوابهم من غير شعير، وجعل ذلك على أهل السواد دون المدن . الأحكام السلطانية ص ١٣٨ طبع مصر .

أيام؛ ومن أبواب الخراجىّ ما يُستأدَى بالشأم فى خدمة رؤساء الضِّيَاع فى مقابَلة ما لهم من المُطلَقِ والوُلاةِ والوكلاءِ والنُّقباءِ والصَّيارِفةِ والكيّالين والضَّوئيّة[1] فى مقابَلة ما يستأدونه من الرسم ، وذلك يَرِد فى أبواب المضاف؛ والخراجىُّ تختلف أحكامه وقواعده بمصر والشام؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

أما الديار المصريّة وأوضاعها وقوانينهـا وما جرت عليـه قواعدها على ما ٱستَقَرّ فى زماننا هـذا وتَداوَله الكُتّاب، فقانون الديار المصريّة مبنىٌّ على ما يَشمَله الرِّىُّ من أراضيها و يعلوه النيـل ؛ وقد ذكرنا فى باب الأنهار فى الفن الأوّل من كتابنا هذا نيلَ مصر، ومَبدأَه، والٱختلافَ فيه، وما يَمُرّ عليه من البـلاد، وكيفيّة الٱنتفاع به مِن حَفْرِ التُّرَع ، وضَبْطِ ٱلجُسور ، وتصريفِ الميـاه عن الأراضى بعد رَيِّهـا ؛ ونيلُ مصر هو من أعاجيب الدنيا ؛ وقـد رُوِىَ عن ذى القرنين أنه كتب كتابا عمّا شاهده من عجائب الوجود فذَكَر فيه كلَّ عجيبة، ثم قال فى آخره : وذلك ليس بعَجَب ، ولكنّ العَجَب نيلُ مصر، ولولا ما جعل الله تعالى فيـه من حِكمة هذه الزيادةِ فى زمن الصيف على التدريج حتى يَتكامَل رِىُّ البلاد، وهبوطِ المـاء عنها عند بَدْءِ وقتِ الزراعة لفسد أمرُ هذا الإقليم، وتَعذَّرتْ سكناه، إذ ليس به أمطارٌ كافية ولا عيونٌ سارحةٌ[2] تعمّ أراضيَه، وليس ذلك إلا فى بعض إقليم الفيّوم؛ فسبحان من بيـده الخلقُ والأمرُ القادرِ على كلّ شىء، والمدبرِ لكلّ شىء، سبحانه وتعـالى لا إله إلاّ هو .

(١) فى الأصل : «الصوية» ؛ وهو تصحيف . والضوئية : نسبة الى الضوء ، والمراد بهم الذين يحملون المصابيح و يمشون بها ليلا ، ولا تزال طائفة منهم الى وقتنا هذا تعرف بهــذا الاسم وان لم يعملوا ذلك الآن .

(٢) السارحة : الجارية .

والذى يحتاج إليه مباشرُ الخراج بمصر ويَعتمِد عليه فى مباشَرته أنه اذا شَمِل الرِّىّ أرضَ الجهة التى يباشرها أن يبدأ بإلزام خولَة(١) البلاد برَفع قوانين الرِّىّ، وصورتُها أن يكتب فى صدر القانون ما مثالُه : قانونٌ رَفَعَــه كلٌّ واحدٍ من فلان وفلان الخَولَة(١) والمشايخ بالناحية الفلانيّة، بما شَمِله الرِّىّ وعلاه النِّيلُ المبارك من أراضى الناحية لسنة كذا وكذا الخراجيّة، وهو من الفُدُن(٢)؛ ويذكُرون جملةَ قانون البلد، ويُفَصِّلونه بالرِّىّ والشَّراقِى، فالرِّىّ : ما شَمِله النيل . والشراقِى : ما لم يشمله؛ وللرِّىّ تفصيل : منه ما هو نَقاء(٣)، ومنه ما هو مزروعٌ، وخَرْسٌ، وغالب، ومستبحِر؛ ويُفَصَّل بقبائله(٤)، ويُشرَح فى كل قَبالة هذا التفصيل؛ والنقاء : هو الطينُ السوادُ(٥) الذى يَصلُح للزراعة ويَنبُت فيــه اذا لم يُزرَع الكلأُ الصــالحُ للرَّعْى(٦)، ويسمَّى نبــاتُه بصعيد مصر : الكُتَّيح(٧)، وهو نباتٌ تَستغنِى به الخيلُ والدوابُّ والمــاشيةُ عن البِرسيم(٨) . وأما المزروع :

(١) كذا ورد هذا الجمع فى الأصل بالتاء، ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة، غير أنه شائع الاستعمال بين العامة، وواحده خولى، وفى مستدرك التاج أنه هو الذى يقيس الأرض بقصب المساحة .

(٢) الفــدن بالضم — والعامة تكسر الفاء — : جمع فدان بتخفيف الدال، وهى لغة فى الفدّان بالتشديد؛ قال فى شفاء الغليل ما نصه : الفدان : نبطى معرّب ويخفف ويشدّد جمعه فدن وأفدنة الخ . وكذلك فى كتاب المعرّب للجواليق؛ والذى يستفاد من شرح القاموس أن الفدان للقدار المعلوم بتشديد الدال لا غير .

(٣) النقاء فى الأصل : مصدر، وقــد أريد به هنا اسم المفعول، أى الأرض النقية عمــا يعوق الزارعين عن زراعتها .

(٤) القبائل : جمع قبالة بفتح القاف، وهى الأرض التى يقبلها أصحابها، أى يضمنونها بمبلغ من المــال يؤدّونه عنها فى كل سنة .

(٥) السواد : أى ذو السواد، وهذه التسمية لا تزال مستعملة بين العامة حتى اليوم .

(٦) فى الأصل : «للزرع»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) فى الأصل : «الكثيح» بالثاء المثلثة؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما فى مستدرك التاج .

(٨) كذا ضبط هذا اللفظ فى القاموس، والذى فى شرحه أن فتح الباء من لغة العامة .

فهو ما عادتُه أن يُزرَع فى كلّ سنة . وأما الخرْس : فهو الأرض التى تَنبُت فيها الحَلْفاء(١)، فلا تُزرَع إلا بعد قلعها منها وتنظيفها، وقَطيعتُه(٢) دون قطيعة النَّقاء. وأما الغالب : فهو ما غَلَبتْ على أرضه الحَلْفاء وتكاثفتْ فلا تُقلَع إلّا بكُلْفة، وقَطيعتُه دون قطيعة الخرْس، وقلّما يُزرَع، وأكثرُما يكون الخرْس والغالبُ ببلاد الصعيد الأعلى لسعتها، وكثرة أرضها، وتعطيلها من الزراعة سنةً بعد أخرى(٣). وأما المستبحِر : فهو أراضى الخلجان المشتَغلة التى تستمرّ المياه فيها إلى أن يَفُوت زمنُ الزراعة، فمنها ما يبُور، ومنها ما يُزرَع مَقاثىَ(٤)، وقَطيعتُه متوسّطة، وتكون غالبا بالدراهم دون الغلّة . وعندهم أيضا الترطيب(٥) : وهو الذى تخلّلت المياه باطنَ أرضه شبه النّزّ(٦) ولم تَعلُها، ولا تَصلُح لغير المقاثىّ؛ فاذا رُفِع الى المباشر قانونُ الرِّى أشهدَ فيه على رافعيه(٧) بأن الأمر على ما تَضَمَّنه، ثم ينظُرُ المباشرُ إلى سنة يكون نيلها نظيرَ نيل تلك السنة، ويبرز الكشوف، ويُحضِر(٨) البلد على الفلّاحين القَراريّة نظيرَ ما حضَّروه فى السنة الموافق نيلُها لنيل تلك السنة الحاضرة(٩)، ويُشهِد على كلّ مزارِع بما يُسجِّله من ﴿٤٨﴾

(١) الحلفاء : نبت من الأغلاث، وقلما تنبت الحلفاء إلا قريبا من ماء أو بطن واد، وهى سلبة غليظة المس، وتأكل منها الإبل والغنم أكلا قليلا، وهى أحب شجرة إلى البقر .

(٢) القطيعة : الضريبة .

(٣) فى الأصل : «الأغلال» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) المراد بالمقاثىّ هنا : أنواع القثاء، فهو مجاز من إطلاق الموضع وارادة ما يكون فيه .

(٥) فى الأصل : «الترتيب» ؛ وهو تحريف ؛ يريد : الأرض ذات الترطيب .

(٦) فى الأصل : «النزز» ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ وكسر النون فيه أجود من فتحها وهو فارسى معرب .

(٧) فى الأصل : «بايعيه» وهو تحريف .

(٨) فى الأصل : «ويحصر» بالصاد، وهو وان صح معناه إلا أن الذى يمنع منه قوله بعد ذلك فى ص ٢٤٩ س ١١ فاذا تكامل تحضير البلد على المزارعين القرارية ؛ الخ والظاهر أن المراد بالتحضير : التسجيل، كما يدل عليه قوله بعد : «ويشهد على كل مزارع بما يسجله» وهو من المحضر بمعنى السجل، كما فى كتب اللغة .

(٩) فى الأصل : «الحاصرة» بالصاد ؛ وهو تصحيف .

أراضى كلِّ قَبـالة وقَطيعتِها المستقرّة، ويعيِّن منها ما هو بحقوق وما هو بغير حقوق[(١)]، والحقوقُ: دراهمُ يقُوم بها المزارع عن كلِّ فدّان غير الغلّة، وتكون من أربعة دراهمَ إلى درهمين، والغلّةُ بحَسَب قَطيعة الأرض وعادتِها، وأكثرُ ما عُرِف من الخراج عن كلِّ فدّان — وهو أربعمائة قصبة بالقصَبة الحاكميّة[(٢)]، والقصَبةُ ستة أذرعٍ وثلثا ذراع بذراع القماش — ثلاثة أرادبّ[(٣)]، وهذه الأرض جزيرةٌ بالأقْصُر من أعمـال قُوص، وأقلّ ما علمناه من القطيعة عن كل فدان سـدسُ إردبّ، وهى فى الأراضى التى غَلَبت عليهـا الأحراسُ وقلّ الآنتفاع بهـا، فهى تُستَجَل بهذه القطيعة عليها، وتنصلح فى المستقبل؛ وأما الأراضى التى تُستَجّل بالدراهم فأكثرُ ما علمناه بأراضى الحِـيزيّة[(٤)] قُبالة فُسطاط مصر عن كلِّ فـدّان مائتان وخمسون درهما، وهو كثير فى أراضيها وسُجِّل فى بعض السنين ثلاثةُ أفدنة بألف درهم، ولم تستقِرّ هذه القَطيعة، وهـذه الأراضى تُزرَع غالبا كَتّانا؛ فاذا تكامل تحضير البلد[(٥)] على المزارعين القَراريّة والطّوارئ نظم المباشرُ أوراقا بجمـلة ما آشتمل عليه التحضيرُ[(٥)] مفصَّـلةً بالأسماء والقبائل[(٦)] والجزائر

(١) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٢) قال فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٦ عند الكلام على القصبة الحاكية : كأنها حررت فى زمن الحاكم بأمر الله الفاطمى فنسبت اليه، وطولها ستة أذرع بالهاشمى، وخمسة أذرع بالنجارى، وثمانية أذرع بذراع اليد .

(٣) فى الأصل : «ثلاثة عشر اردبا» ولم نجد هذا المقدار فيما راجعناه من المصادر التى بين أيدينا، كخطط المقريزى وقوانين الدواوين وصبح الأعشى وغيرها وما أثبتناه هو الموافق لما ورد فى هذه الكتب، فقد جاء فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٢ نقلا عن ابن مماتى أن قطيعة القمح كانت الى آخر سنة سبع وستين وخمسمائة عن كل فدان ثلاثة أرادب ثم إنه تقرر عند المساحة فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة عن كل فدان إردبان ونصف إردب .

(٤) فى الأصل : «الخيرية» ؛ وهو تصحيف .

(٥) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٤٨ من هذا السفر .

(٦) تقدم تفسير القبائل فى الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

والحُروف ، وتَكتُب عليها الشهودُ الذين حُضِر البلد بحضورهم[(١)] ، ثم يَصْرِف الكلّ مزارع ما جرت العادة به من التَّقاوِى[(٢)] بحَسَب ما يُسَجِّله ، و يكون ما يصرفه من التقاوى من أطْيَب الغلال وأفْضَلِها وأَنْصَعها ، ثم يَبسُط جريدةً على أوراق السجلّات يَشرَح فيها آسمَ كلّ فلّاح وما يُسَجّله من الفُدُن[(٣)] ، و يفصِّل ذلك بقبائله وجهاته وقطائعه ؛ فاذا نبت الزرعُ وآستوى على سُوقه نَدَب عند ذلك من يباشر مساحة الأراضى : من شادٍّ وعُدولٍ ذوى خِبْرة بعلم المساحة ، و كاتبٍ عارفٍ خبيرٍ أمين ، وقصّابين : وهم الذين يقيسون الأراضىَ بالأحكام[(٤)] الحاكمّية المحرَّرة ؛ فيمسحون الأراضىَ المزروعةَ بأسماء أربابها وقبائلها ، و يعيِّنون أصنافَ المزروعات بها ، و يكون مباشرو المساحة قد بسطوا أيضا سِجلّات التحضير ، فإذا تكاملت المساحة نظم مباشروها أوراقا يسمّونها : المكلّفة ، يترجَم صدرُها بمامثاله مكلّفةُ تأرِيجِ[(٥)] فُنْداقِ مساحةِ الأراضى بالناحية الفلانيّة لمُغَلّ سنةِ كذا وكذا الخراجيّة . والتأريجُ[(٥)] : هو الأوراق التى يبسُطها مباشرُ المساحة بما فى السِّجلّات ويختِمها[(٦)] بما انتهت اليه المساحة . والفُنْداق : هو عبارة عن التعليق ، وهو الذى تُكتَب فيه المساحاتُ حالَ قياسها . فإذا انتهت ترجمةُ صدرِ المكلّفة عَقَد

---

(١) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٤٨ من هذا السفر .

(٢) التقاوى : ما يعزل من الحبوب للزرع ، وهى عامية .

(٣) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٤) بالأحكام : أى بحسب الأحكام ؛ و يريد : أحكام المساحة ؛ وقد تقدم بيان القصبة الحاكمية فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٩ من هذا السفر .

(٥) فى الأصل : « تاريخ » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما فى القاموس وشرحه ، فقد جاء فى مادة «أرج» ما نصه : والأوارجة من كتب أصحاب الدواوين فى الخراج ونحوه ؛ و يقال : هذا كتاب التأريج الخ .

(٦) فى الأصل : «يخدمها» بالدال ؛ وهو تحريف .

جملةَ قُدُّنها(١) فى صدرها وفصّلها بأصناف المزروعات وأسماء المزارعين، فإن طابقت المساحةُ السّجلّات من غير زيادة ولا نقص قال: وذلك بمقتضى السّجلّات. وإن تميّزتْ قال: ما تضمّنته السّجلّات كذا، زائد المساحة كذا، وإن نقصتْ ذكر ما صحّ بمقتضى مساحته، وكمّله بالقلم تتمّة(٢)؛ وإن نقص مزارعٌ عن سجلّه فى قَبالةٍ وزاد على سجلّه فى قَبالةٍ أخرى كَمّل(٣) عليه ما نقص بمقتضى سجلّه، وأورد ما زاد فى القبالة الأخرى زيادة، ولا يَنقُل الزائدَ إلى الناقص، ويُلزِمه المباشرُ بالقيام بخراج ما نقص من تلك القبالة وما زاد فى الأخرى؛ هذا مصطلَحُهم، وليس هو منافيا للشرع، إلا أنّى أرى فى هذا النقص تفصيلا هو طريقُ العدل والحقّ، وهو إن كان النقص مع وجود أرضٍ بائرة(٤) بتلك القَبالة لَزِمه القيامُ بخراج النقص، لأنه عطّلها مع قدرته على الانتفاع بها وزراعتها؛ ويسلّم إليه من الأراضى البائرة التى شملها الرّىُّ بتلك القَبالة نظير ما نقص عنده لينتفع بما لعلّه نبت فى تلك الأرض من الكلإ؛ وإن كان النقص مع تغليق(٥) أرض تلك القَبالةِ بالزراعة فلا شىء عليه لأنه لم يتسلّم ما بسجلّه، ويعتدّ له بما لعلّه زاد على تسجيل غيره بتلك القَبالة، فإنه يعلم بالضرورة القطعيّة أن الذى زُرِع بها أكثرُ مما بسجلّه أُخذ من جملة سجلّ غيره؛ وإن صحّت تلك القَبالةُ فى جميع(٦) المزارعين بمقتضى سجلّاتهم بغير زيادة، ونقص عند واحد بعينه

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

(٢) هذه الكلمة فى الأصل مهملة الحروف من النقط.

(٣) كمّل عليه: أى كتب ذلك عليه كاملا وإن لم يكن كاملا عند المساحة.

(٤) فى الأصل: «مباشرة»؛ وهو تحريف.

(٥) فى الأصل: «تعليق» بالعين المهملة ولم نجد من معانيه ما يناسب سياق الكلام؛ والمراد بالتغليق: التكميل والتتميم؛ والظاهر أن هذا الاستعمال عامى كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر.

(٦) فى جميع: أى فى مساحات جميع.

جميعُ ما آشتملت عليــه المساحة بهـا . فإن وافق جمـلةَ قانونها تعيَّن أن الخلل إنمـا جاء من قِبـل المباشر، لأنه سجّـل فى قَبالة أكثر من قانونها . فلا يُلزَم المزارعُ بالنقص؛ هذا هو العدل والإنصاف. فمن خرج عنه فقد ظلم وحاف ؛ فاذا تكمَّلتْ تكملة المساحة وضع المبـاشرُ زائدَ مساحةِ كلِّ آسمٍ تحت آسمه ، وضمّه إلى سجـلّه ، ورفَع(١) الجملةَ بالعَين والغلّة، وأضاف [إلى](٢) كلِّ آسم مالعلّه قدتَسلَّمه من تَقاوٍ وقُروض، وما عليه من عُشْرٍ ووفرٍ ورسوم ، وما لعلّه آنساق من الباقى الى آخر السنة الماضية إن كان؛ وهم(٣) يُضيفون عُشْرَ التقاوى ،وهو حرام لا شُبهةَ(٤) فى أخذه، وهو الرِّبا بعينه، فإنه يُقرِض الرجلَ عشرة فيأخذها أحدَ عشر؛ ويُضيفون أيضا فى بعض البلاد عُشرَ العُشر فيَقبِضُ كلَّ مائة إردبّ مائةَ إردبٍّ وأحدَ عشرَ إردبّا؛ وإنمـا آشتدّت هذه المظالم وأُحدِثت من قِبَل أرباب البذول(٥) الذين يَقترِفون(٦) المظالم ولا يجدون من يردعهم ويردّهم عنها فتستمرّ، وهى من السنن السيئة التى عليهم وِزْرُها ووِزْرُ من عَمِلَ بها إلى يوم القيامة .

---

(١) فى الأصل : « ربع » بالباء، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا؛ يقال : رفع الحاسب حسابه : اذا عدّده ثم أجمله ، و يقال لجملته وفذلكته : مرفوع؛ وهذا اصطلاح للحساب والكتّاب مشهور فى كتبهم ورسائلهم انظر شفاء الغليل .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ واللغة تقتضى إثباتها .

(٣) فى الأصل : « وهو » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : « مالا شبهة » وقوله «ما» زيادة من الناسخ ، فان المعنى عليها غير ظاهر ؛ ولعل صواب العبارة ما أثبتنا اذ به يستقيم الكلام . والشبهة : الالتباس ، يريد أنه لا التباس فى حرمة أخذه .

(٥) لعله : « البذور » بالراء جمع بذر، وهو ما يعزل من الحبوب للزراعة .

(٦) فى الأصل : «يقتفون» بسقوط الراء .

ثم يَعقد المباشر على جميع ذلك جملةً و يشطُبها[1] بما يستخرجه منه ويحصّله . والذى تنعقد عليه الجملة هو ما تعيَّن عليه للديوان أَنجب زرعُه أو لم يُنْجِب . ومهما آستخرجه منه وحصّله وأحال به كَتَب به وصولا . فإذا غَلَّق[2] كلَّ آسمٍ ما عليه أجاز عليه إشارةَ التعليق، و إن بقِيَ عليه شيء ممّا تعيَّن عليه طَرَدَه للباقى . هذا حكم الأرض التى تُسجَّل بالغلّة ؛

وأما ما يُسجَّل بالنقد فإنه تَتَساوَى عليه ثلاثةُ أقساط أو قسطان : قسطٌ من ثمن البِرسيم الأخضر عند إدراكه و بيعه لربيع الخيل، وقسطٌ من الكتّان عند قلعه إن كان، وقسطٌ عند إدراك المُغَلّ والمَقاثئ، ومنهم من يسجِّل بالنقد الحاصر حملةً واحدةً فى وقت السجلّ؛ هذا حكم خراج الزراعة .

وأما الخراج الراتب ، فهو لا يكون إلا بالنقد عَينا[3] أو فضّة . وهو خراج السواقى والبساتين والنَّخيل ؛ وذلك أن أربابه يقاطعون[4] الديوان على فُدُن[5] معيَّنة بمبلغ معيَّنٍ عن كلّ فدان فى كلّ سنة يقومون به فى أوقات معلومة ، رَوِيَت الأرضُ أو شَرَّقت[6]؛ وهم يَحفِرون فى تلك الأراضى آبارا بقدر ما يعلمون أن المياه التى تطلع منها تُروِى تلك الأراضىَ، و يركِّبون على أفواه الآبار السواقىَ

(١) فى الأصل : «و يسطها» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .

(٢) فى الأصل : «علق» بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف لم نجد له معنى يناسب السياق ؛ وغلق بالغين المعجمة من التغليق ، وهو التتميم والتكميل والظاهر أنه عامىّ — كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر — فكأن المزارع اذا دفع كل ما عليه فقد أغلق باب المطالبة .

(٣) العين : ما ضرب من الدنانير .

(٤) يقاطعون، من القطيعة : وهى الضريبة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٦) ذكر فى مستدرك التاج أن مصدره التشريق ، ولذلك ضبطناه بتشديد الراء .

المتّخذة من أخشاب السنط وما ناسبه، المشهورةَ بالخرير[١] التى تُعين على رفع الماء و يسمّونها بديار مصر: المَحال[٢]، و بحماةَ: النواعير، إلا أن النواعير تدُور بالماء، وهذه تدور بالأبقار، و يزرعون عليها بتلك الأراضى ما أحبّوه واختاروه من أصناف المزروعات والغُروس لا يطالَبون عليها بغير الخراج المقرَّر، إلا أن ينْصِبوا القصبَ[٣] فلا يُقتصَر منهم عند ذلك على الخراج، بل للديوان على الأقصاب مقرَّرٌ يستأديه عن كلّ فدّان، و يُستأدَى خراجُ الراتب على أقساط فى زمن الثمار والأعناب والفواكه وعند ضَرْبِ الوَشْمة[٤] — وهى النِّيل الذى يُصبَغ به اللونُ الأزرق — وخراج الراتب يستأدَى ممن هو عليه، زَرَع أرضَه أو عَطّلها، وهو لا يبطل بوفاة المُقاطَع[٥] على الأرض، بل ينتقل على ورثته، و يطالَبون به أبدا ما تعاقبوا وتناسلوا، ولا يوضع عنهم إلا إن ابتلع البحرُ الأرضَ المُقاطَع عليها بعد أن يعملوا بذلك مشاريعَ[٦] تُثبِت عند حاكم البلد أن البحر ابتلَع[٧] تلك الأراضىَ بكمالها أو بعضها، ولا يَنهض مباشرُ الناحية أو ناظرُ العمل

---

(١) الخرير: صوت الماء.

(٢) فى كتب اللغة أن المحال والمحالة: البكرة العظيمة التى يستق عليها، سميت بذلك لأنها تدور فتنتقل من حالة إلى حالة.

(٣) نصب القصب: هو أنهم اذا هيأوا الأرض لزرعه يلقونه فيها قطعتين، قطعة مثناة وقطعة مفردة بعد أن تجعل الأرض أحواضا وتفرز لها جداول يصل الماء منها الى الأحواض، و يكون طول كل قطعة من القصب ثلاث أنابيب كوامل و بعض أنبوبة من أعلى القطعة و بعض أخرى من أسفلها خطط المقريزى ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق وسيأتى ذلك أيضا عند الكلام على زراعة القصب.

(٤) ضرب الوشمة: هو أن يضربوا شجرها بعد جفافه لينحت الورق عنه و يسقط.

(٥) المقاطع: هو الذى جعلت عليه قطيعة أى ضريبة يؤديها إلى الديوان.

(٦) فى الأصل: «مشارعا»، وهو تحريف؛ و يرشد الى ما أثبتنا ورود هذه الكلمة فى ص ٢٤٣ س ٣، ٤ من هذا السفر.

(٧) فى الأصل: «اقتلع» بالقاف؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ما سبق.

بوضعه مع وجود المحضر[1] الثابت[2]، بل يحضر المقاطع على الأرض أو من انتقلت اليه بالإرث أو الابتياع الى باب السلطان، ويرفع قصّةً الى الوزير بصورة الحال، ويوقّع عليها بقلمه أن يوضَع[3] عنه من خراج الراتب بقدر ما ابتلعه البحرُ بمقتضى المحضر. ويستمرّ حكمُ ما بقِيَ، ويكتب على ظهر قصّته: توقيعٌ شريفٌ سلطانيٌّ، ويُثبت بدواوين الباب السلطانيّ، ثم يُثبَت بديوان العمل الجامع، ثم ينزل فى ديوان البلد التى بها تلك الأرض، ويُوضَع عنه ذلك من الضريبة الديوانية. هذا حُكمُ الخراج بالديار المصريّة وقاعدتُه والعادة فيه.

وأما جهات الخراجىّ بالشام وكيفيّتها وما يعتمد عليه مباشروها — فإن قانون البلاد الشاميّة مبنىٌّ على نزول الغيث، ووقوعِ الأمطار فى إبّانها وأوقاتِ[4] الاحتياج اليها، فمن ذلك المطرُ المسمّى: الوَسمىّ، وهو الذى يقع فى فصل الخريف، وعند وقوع هذا المطر يُحَدُّ[5] شَقُّ الأراضى المكروبة[6] بالسِّكك[7]، ثم يُبذَر الحبُّ فيها، ويعاد شقُّ الأرض عليه ليَخفَى عن الطير[8] خشيةَ التقاطه، فإذا نزل عليه المطر الثانى (٥٠)

(١) المحضر: خط يكتب فى واقعة خطوط الشهود فى آخره بصحة ما تضمنه صدره؛ وهو اصطلاح حادث ليس من اللغة، كما فى القاموس وشرحه.

(٢) فى الأصل: «النايب» بالنون والياء؛ وهو تصحيف.

(٣) فى الأصل: «أو»؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٤) موضع هذه الكلمة فى الأصل حروف مطموسة تتعذر قراءتها، ولم يتضح لنا منها غير الواو الأولى والألف التى بعدها؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٥) فى الأصل: «يحد» بالحاء المهملة؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا؛ يقال: خدّ الأرض خدّا: إذا شقها.

(٦) المكروبة: المحروثة، يقال: كربت الأرض كربا وكرابا بكسر الكاف: إذا قلبتها وأثرتها للزرع.

(٧) السكك: جمع سكة بكسر السين، وهى حديدة المحراث التى يحرث بها.

(٨) فى الأصل: «الطين»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، كما يدل عليه التعليل.

بعد ذلك نَبَت و برَز إلى وجه الأرض، وهو عند ذلك يسمَّى : الأَحْوَى(١)، ثم لاتزال الأمطار تسقيه والأنواءُ تغذيه حتى يصير غُثاء، ثم يقع عليه بعد ذلك المطر المُسمَّى بالمطر الفاطم، وهو غالبا يكون فى شهر نَيسانَ، ثم يعقد فيه الحبُّ بعد ذلك، و ينتهى على عادة الزرع؛ هذا حكمُ ما يُزرع على الوَسْمىّ .

ومن أراضى الشأم [نواحٍ](٢) يَغِبّهـا(٣) الوَسمىُّ فيَزرع سُكّانُها(٤) الحبَّ عَفـيرا، ومعنى ذلك أنهم يزرعون فى الأرض الحبَّ قبـل إبّان الزرع و يَنتظِرون وقوعَ الأمطار عليـه ؛ ومن غريب ما آتّفق فى بعض السنين أنهم أَودَعوا آلحبَّ الأرضَ على عادتهم فلم تَسقط عليـه الأمطارُ فى تلك السـنة، فاستمرّ فى الأرض إلى العـام القابل، وأيس أهلُ البلاد منه، وزرعوا فى السنة الثانية شطرَ الأراضى التى كانت كِرابا غيرَ مزروعة ــ فإن عادتهم بسائر بلاد الشأم أن كلَّ فلّاحٍ يَقسِم الأراضىَ التى بيدِه شطرين، فيزرع شطرا، و يُرِيح شطرا، و يتعاهده بالحرث لتَقْرَعَ الشمسُ باطنَ الأرض، ثم يزرعه فى القابل و يُرِيح الشطرَ الذى كان به الزرع؛ هذا دأبهم، خلافا لأراضى الديار المصريّة، فإنها تُزرَع فى كلّ سـنة ــ فلمـا وقعت الأمطار نَبَت الشطران معا، وأَقبَلت الزراعاتُ فى تلك السـنة، فتَضاعَف المُغَلّ، وهـذا غريبٌ نادر الوقوع .

(١) الأحوى من النبات : ما يضرب إلى السواد من شدّة خضرته، وهو أنعم ما يكون منه .

(٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها .

(٣) يغبها : أى يتأخر عنها؛ والذى فى الأصل : «يقع بها»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق، فإن ما قبله من الكلام فيما إذا نزل المطر قبل الزرع، فيقتضى أن يكون مقابله فيما إذا تأخر نزول المطر عن الزرع .

(٤) فى الأصل : «مكانها»؛ وهو تحريف .

ومن أراضى الشام ما يسقَى بالمياه السارحة من الأنهار والعيون، وتكون مقاسمةُ أرضه أوفرَ من مقاسمة ما يسقَى بالأمطار، وقيمةُ الأملاك بها (١) أرفع وأغلَى من تلك، ويكون غالبا فى الأراضى المستَقِلة (٢)؛ والله تعالى أعلم .

والذى يعتمده مباشر الخراج ببلاد الشام أنه يبدأ بإلزام رؤساء البلاد بتغليق (٣) أراضيها بالزراعة والكِراب (٤)؛ ومصطلَحُهم فى ذلك أن يقولوا : أحمرَ وأخضرَ، يَعنُون بالأحمر : الكِراب، وبالأخضر : الزرع شَتويًّا أو صيفيًّا (٥)، ويَعنُون بالشَّتوىّ : القمحَ والشعيرَ والشُّوفانَ (٦) والفولَ والحِمَّصَ والعدسَ والكِرسنّة (٧) والجُلُبّان (٨) والبسِيلية

(١) لم يتضح لنا فى الأصل من هاتين الكلمتين غير بعض حروفهما وسائرها مطموس تتعذر قراءته ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا . (٢) فى الأصل : « المستقلة » ؛ وهو تصحيف . ويريد بالمستقلة : ما اطمأن من السهل وسفل .

(٣) فى الأصل : « تعليق » ؛ وهو تصحيف اذ لم نجد له معنى يناسب السياق ؛ ويريد بالتغليق التكميل والتتميم ؛ والظاهر أن استعماله فى هذا المعنى استعمال عامىّ ، كأن الشىء اذا كمل فقد أغلق باب الزيادة فيه ؛ وقد سبق ذلك أيضا فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ والحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٥١ من هذا السفر .

(٤) الكراب : الحرث . (٥) فى الأصل : «صيفيا أو شتويا» والأولى تقديم الشتوىّ كما أثبتنا إذ هو مقتضى صنيعه بعد فى ذكر النباتات الشتوية قبل الصيفية .

(٦) الشوفان ، ذكر فى بعض الكتب باسم السلت ، والسلت : ضرب من الشعير يتجرد من قشره ، ولعل المراد من ذلك نوع من الشوفان يسمى بالمقشر ، أى الذى يخرج عاريا من قشره ؛ والشوفان نبات من الفصيلة النجيلية ، وسيقانه تعلو من قدمين الى ثلاثة ؛ وهو أنواع كثيرة ، أشهرها الشوفان المستنبت ، وهو أهم علف للخيل ، وتعلفه أيضا الماشية والطيور ، فهو يسمن الغنم ، ويزيد فى اللبن ، ويكثر بيض الطيور ، ويصنع الفقراء فى بعض الأماكن خبزا من دقيقه لكنه ردىء ، ويتخذ من الشوفان نشاء ، ويرغل اهـ ملخصا من دائرة المعارف للبستانى .

(٧) الكرسنة : شجرة صغيرة لها ثمر فى غلف تعلفه الدوابّ ، وهى الكشنى .

(٨) الجلبان : هو من القطانى بتشديد الياء ، أى الحبوب التى تطبخ ، وقال ابن البيطار فى مفرداته ج ١ ص ١٦٤ ، ١٦٥ طبع المطبعة الأميرية : الجلبان هو من القطانى المأكولة ، وله قضبان مربعة سباطية تنبسط على الأرض ، وله ورق حوالى القضبان الى الطول وله نوار الى الحمرة تخلفه مزاود فيها حب مدوّر الى البياض حلو ، ويؤكل نيّا فى الربيع ، ثم يجف ويطبخ .

وهى التى تسمّى بمصر: البِسِلّى(١)، وبالساحل الطرابُلُسى: الحالبة؛ ويعنون بالصيفىّ: الذُّرَة والدُّخْن والسِّمسِم والأَرُزّ والحبّة السوداء والكُسْبَرة والمَقَاثئ(٢) والوَسْمة(٣) والقِرْطِم(٤) والقطن والقِنَّب(٥)؛ ويَكتُب عليهم بذلك مشاريح أنهم لايبوّرون شيئا من الأراضى ومن بوّر شيئا منها كان عليه القيام بِرَيْع(٦) الغامر(٧) من نسبة العامر؛ فإذا زُرعت الأراضى وبدا صلاحُ الزرع، وأخذ الفول فى العقد خرج الوكلاء على الزراعة إلى النـواحى يحفظون الزراعة من التّطرّق إلى شىء منهـا، ويلازمونها إلى أن تُحصَـد وتُنقَل إلى البيادر(٨)؛ فعند ذلك يخرج الأمر بحفظ ما يصـل إلى البيادر(٨)، ويأخذون فى الدّراس؛ فإذا تكامل وطابت البيادر ولم يَبقَ إلا التّذرِيَةُ أُخرِج مذريا — ووظيفة المذرّى أنه يلزمهم بتخليص الغـلال من الأقصال وتنظيفها؛ فإذا فعلوا ذلك وخَلَصت الغـلال من الأتبان والأقصال وصارت بيادرَ صافيـةً خرج والى العمل ومباشروه إلى تلك الجهـة، وتقدّموا(٩) بتوزيع بيادرها على ضريبة الناحيـة وعادتها فى المقاسمة، مناصَفةً — وذلك فى أراضى السَّقْى —، ومثالَثةً ومرابَعةً — وهو فى غالب

(١) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى مستدرك التاج.

(٢) المراد بالمقاثئ هنا نفس القثاء، وهو مجاز من اطلاق اسم الموضع وارادة ما يكون فيه.

(٣) الوسمة: ورق النيل الذى يصبغ به كما سبق فى صفحة ٢٥٤ س ٧ من هذا السفر.

(٤) القرطم: حب العصفر.

(٥) القنب: ضرب من الكتان، وهو الغليظ الذى تتخذ منه الحبال وما أشبهها.

(٦) فى الأصـل: «بربع العامر»؛ وهو تصحيف فى كلتا الكلمتين؛ والمراد بالغـامر الذى لا نبـات فيه.

(٧) لعل صوابه «بنسبة» بالباء مكان «من» كما يدل عليه ما ورد فى قوانين الدواوين صفحة ٣٧ طبع مطبعة الوطن؛ وعبارته: «اذا استعمل المزارع أرضا على أن يزرعها مشاطرة بعـد أن شملها الرىّ ثم بوّر شيئا منها وجب عليه القيام بخراجه بالنسبة لمتحصل المشاطرة» الخ.

(٨) البيادر: المواضع التى يداس فيها الفول والحنطة ونحوهما؛ واحده بيدر بفتح الباء.

(٩) يقال: «تقدّم إليه بالشىء» أى أمره به.

البلاد — ، ومخامسةً ومسادسةً — وذلك فى المزارع والنواحى الخالية من السكّان التى يزرعها المُستكْرون[1] — ، ومسابعةً ومثامنةً — وذلك فى النواحى المجاورة لسواحل البحر والمتاخمة لأطراف بلاد العدو ؛ فإذا فرغ توزيعها أخذ المباشرون ما يخصّ الديوانَ من التوازيع ، ثم يَحزِر[2] ما لعلّه تأخّر من الغلال فى عَرَصات البيادر والأقصال وأعقابِ التّبانات والمغائر، ويؤخَذ منه ما يخصّ الديوانَ من نسبة[3] المقاسمة، ويكمَّل على الفلّاح على حُكم ضريبة ذلك العمل[4]؛ وفى بعض النواحى يكون من المواسطة، فتُفرَد لها توزيعةٌ بمفردها ، ثم يؤخَذ من حاصل الفلّاح بعد الرسوم عشرُ ما بقى له ؛ وهذا غيرُ مطّرِد فى جميع البلاد ، فإنّ فى جهات الأوقاف والبِرّ وما يناسبها لا يؤخَذ العشرُ إلا من النصاب الشرعىّ؛ وفى نواحى الخواصّ والإقطاعات يؤخَذ ممّا بقى للفلّاح من كلّ عشرة أجزاء جزءا ممّا قلّ أو كثُر بحسابه؛ وفى بعض الأقاليم لا يُؤخَذ العشر من المزارعين الذّمّيّة ؛ وأما النواحى الإقطاعيّةُ والأملاكُ التى أعشارُها ديوانيّةٌ فمنها ما عليه ضريبةٌ مقرّرةٌ تؤخذ فى كلّ سنة زاد المُغَلّ أو نَقَص ، ومنها ما يُندَب له من يقف على النواحى ويَحزِر[5] ما بها من الغلال ويقدِّر العشرَ عنها ، ويكون هذا الحَزْرُ والزرعُ قائمٌ أو حصيدٌ قبل دِراسه ، ثم يستعاد بعد ذلك من الفلّاحين ما لعلّه (٥١)

---

(١) فى الأصل : « المشكرون » بالشين؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا .

(٢) يحزر : أى يقدر بالظن والحدس؛ والذى فى الأصل : « يحرز » ؛ وهو تصحيف، إذ لا يتأتى التحرير — وهو الضبط بدقة — فى هذه الحالة .

(٣) لعله « بنسبة » كما يدل عليه ما نقلناه عن قوانين الدواوين فى الحاشية رقم ٧ من صفحة ٢٥٨، فانظره .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل؛ ولم يتضح لنا المراد به فى هذا الموضع .

(٥) فى الأصل : « ويحرر »؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق؛ وقد سبق تفسير الحزر فى الحاشية رقم ٢ من هذه الصفحة .

عليهـم من التقاوى[1] والقُروض، وتكون بمفردها مرصَـدةً لتقاوى[1] السنة الآتيـة؛ ثم يُعتبَر ما يَتحصّل من الغـلال على آختلاف أصنافها بالكيل المتعـامَل به فى ذلك الإقليم، وتُعمَل بذلك مخازيمُ[2] على العادة مفصَّلة بالأسمـاء وأصلِ المقاسَمة والرسومِ والعشرِ وما لعلّه آستعيد من التقاوِى والقُروض؛ وعند تكامُل قَسْمِ نواحى كلِّ عملٍ يُنْظَم على المخازيم[2] عمـلٌ[3] بالمتحصِّل على ما نشرحه إن شاء الله تعـالى فى الأوضـاع الحسابيّة؛ هذا ما يعتمده فى الغلال.

وأما الحُزوبُ والزيتونُ والقطنُ والسُّمَّاقُ[4] والفسـتقُ والجوز واللّوز والأُرُزّ فإنّ الوكلاء تستمرّ على حفظ ذلك إلى أن يصـير فى بيادره، ويُقسَم على حُكم الضريبة ويحصَّل ويُورَد على المتحصّل؛

وفى بعض الأعمال الشاميّة نواحٍ مفصولةٌ[5] ومضمَّنةٌ[6] على أربابهـا بشىء معلوم يؤخذ منهم عنـد إدراك المُغَـلّ من غير توكيل ولا مقاسَمة، وهى نظيرُ المتأجَرات[7]

(١) تقدّم تفسير التقاوى فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر، فانظره.

(٢) فى الأصـل: «مخاريم» بالراء؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، فقد ذكر فى شفاء الغليل أن المخزومة: نوع من الدفاتر يخرق، مولّدة؛ وقد وردت هذه الكلمة فى شعر ابن نباتة يذم كاتبا، قال:

لم يدر ما مخزومة وجريدة * سبحان رازقه بغير حساب

وسيأتى كيفية عمل المخزومة فى صفحة ٢٧٤ من هذا السفر، فانظره.

(٣) المراد بالعمل نوع من القوائم يعمله كتّاب الدواوين بالكيفية التى سيأتى بيانها فى هـذا السفر عند الكلام على الأعمال وأنواعها.

(٤) السماق بالتشـديد: من شجر القفاف والجبال، وله ثمر حامض عناقيد فيهـا حب صغار يطبخ؛ قال أبو حنيفة: ولا أعلمه ينبت بشىء من أرض العرب إلا ما كان بالشأم؛ وهو شديد الحمرة.

(٥) انظر تفسير هذه الكلمة فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦١ عند شرحنا للفظ الفصل.

(٦) فى الأصل: «مذيمنة»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٧) فى الأصل: «المتأخرات»؛ وهو تصحيف.

بالديار المصرية؛ ولفظ الفصل[1] بالشأم كله كلمة فرنجيـة ، وآستمر آستعمالها فى البلاد الساحلية التى آرتجعت من أيدى الفرنج جريا على عادتهم .

وأما خراج العين فهو مقرر على البساتين والشجريات والكروم والمقاثئ ويستخرج على حكم الضريبة عند إدراك كل صنف .

ومن أبواب[2] الخراجى الخدم[3] التى تقدم ذكرها ، ومقرر القصب والبريد[4] والبسط ، وعشر العرق[5] ، وغير ذلك مما يطول شرحه ، الا أن جميع ما يستخرج من الأراضى منسوب الى الخراج .

ومن أبواب الخراجى الأحكار على ما فيها من آلاختلاف ؛ ومهما آستخرجه المباشر وحصله من ذلك يعتمد فى إيراده نحو ما شرحناه فى الهلالى : من إيراده فى تعليق المياومة ، وشطبه على الجريدة المبسوطة على أبوابه ؛ هـذا حكم الهلالى والحوالى والخراجى ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) لعل أصل هذه الكلمة فى اللغة الفرنسية (Vassal) فسال ومعناه التابع الذى أعطاه متبوعه إقطاعا نظير واجبات يؤديها ، كما فى معجمات هذه اللغة ، فكأن أهل الشأم اشتقوا منه لفظ (الفسل) وأرادوا به المعنى المصدرى ، أى التبعية ، ثم حرّفته ألسنتهم الى (الفصـل) كما هنا حسب نطقهم العربى واشتقوا منه لفظ (مفصولة) السابق فى صفحة ٢٦٠ س ١٠ .

(٢) فى الأصل : «إدراك» ، وهو تبديل وقع من الناسخ لا يستقيم به معنى الكلام ؛ ويرشـد إلى ما أثبتنا ما يأتى بعد فى السطر الثامن من هذه الصفحة .

(٣) فى الأصل : «تقرر» ، وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ، فقد تقدم ذكر هذه الخدم فى قوله فى ص ٢٤٥ من هذا السفر : «وما يستأدى من خدم الفلاحين» الخ .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل وخطط المقريزى ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد العلمى الفرنسى ، ولعله « البرود » بدليل عطف البسط عليه ، والبرود : الثياب ، وكان ما يؤخذ على الثياب معروفا فى مصر الى زمن قريب .

(٥) العرق : دبس التمر ، أى عسله .

وأما ما يشترك فيه الهلالىّ والخراجىّ ويختلف باختلاف أحواله بجهاتٍ، وهى المراعى والمصايدُ والأحكار ؛

أما المراعى (١) — فالذى يَرِد منها فى أبواب الهلالىّ ما آستقرّ حُكمه بجهة، وتَقرّر فى كل سنة، وصار ضريبةً مقرّرة؛ فمن المباشرين من يَقبضه على شهور السنة، ويستخرجه أقساطا، ويورده فى جملة أبواب الهلالىّ ؛ والذى يَرِد منه فى أبواب الخراجىّ هو ما يُستخرَج من أرباب المواشى فى كلّ سنة عند هبوط نيل مصر ونباتِ الكلإِ، فى مقابلة رعته مواشيهم من نبات الأرض، وهو يزيد وينقُص بحسب كثرة المواشى وقلّتها؛ وعادتُهم فيه أن يُندَب لمباشَرة ذلك مشدٌّ (٢) وشهود وكاتب، ويعدّوا الأغنام وغيرَها، ويَستخرِجوا من أربابها عن كلّ رأس شيئا معلوما بحسب ضريبة تلك آلجهة وعادتها؛ وهو على هذا الوجه لا ينبغى إيراده إلا فى أبواب الخراجىّ؛ ومن الكُتّاب من يورِده (٣) فى أبواب الهلالىّ، وهو غلط .

وأما المصايد (٤) — فمنها أيضا ما يورَد فى أبواب الهلالىّ كالنواحى التى تصاد

---

(١) فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٨١، ٩٥ طبع المعهد العلمى الفرنسى أن أوّل من قرر فى مصر مالا على المراعى وأدخلها الديوان أحمد بن محمد بن مدبر لما ولى خراجها، وذلك بعد سنة خمسين ومائتين .

(٢) لم نقف على ضبط هـذا اللفظ فيما راجعناه من الكتب التى ورد فيها، كما أنه لم يرد فيما بين أيدينا من كتب اللغة؛ فكأنه عامى، وبعض العامة فى مصر ينطقون به بكسر أوّله وفتح ثانيه؛ وسيأتى فى هذا السفر شرح ما يلزم المشدين الأعمال عند ذكر أرباب الوظائف .

(٣) فى الأصل : «ما»؛ وهو تحريف .

(٤) فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٨١، ٩٥ طبع المعهد العلمى الفرنسى ان أول من قرر مالا فى مصر على المصايد أحمد بن محمد بن مدبر لما ولى خراجها وأنه احتشم من ذكر المصايد وشناعة القول فيها فأمر أن يكتب فى الديوان : خراج مضارب الأوتاد ومغارس الشباك .

بها الأسماكُ على الدوام ، مثل ثغر دمْياط والبُرُلُّس (١) وجنادل (٢) ثغر أُسوانَ وأشباهِ ذلك بالديار المصريّة ، و بالشأم مثل نهر العاصى (٣) و بُحَيرة طَبَرِيّة ، وغيرِهما من الأنهار والبِرَك ؛ ومنها ما يَرِد فى أبواب الخراجىّ ، وهو ما يصاد من الأسماك عند هبوطِ نيل مصر ورجوعِ المـاء من المزارع الى بحر النيل ؛ والعادة فى ذلك اذا انتهت زيادة النيل وشرع المـاء فى مبادئ النقص سكَّروا (٤) أفواهَ التُّرَع ، وسدّوا أبوابَ القناطر التى عليها حتى يرجع المـاء (ويتكاثف مما يلى المزارع) (٥) ثم ينصبون الشِّباكَ ، و يصرفون المياه ، (٥٢)
فيأتى السمكُ وقد اندفع مع المـاء الجارى ، فيجد الشباكَ تَحُول بينه و بين الانحدار مع المـاء ، فيجتمع فيها ، ثم يُخْرَج منهـا الى البرّ ، فيوضع على نخاخ (٦) و يملّح و يودَع فى الأمطار ، وأكثرُ ما يكون ذلك فى طول الإصبع (٧) ونحوه ؛ وله أسماء : منها البُلُطىّ (٨)

(١) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى القاموس ؛ وضبطه ياقوت بفتحتين ؛ وهى بلدة بسواحل مصر من جهة الاسكندرية (شرح القاموس) .

(٢) الجنادل : موضع فوق أسوان بثلاثة أميال فى أقصى صعيد مصر قرب بلاد النوبة ، وهى حجارة ناتئة فى وسط النيـل (ياقوت) . وقال فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٩١ إنما هى الجبل الذى يتحدر عليه النيل بين منتهى مراكب النوبة فى انحدارها ومراكب مصر فى صعودها .

(٣) نهر العاصى : هو اسم لنهر حماة وحمص ، و يعرف بالمياس ، مخرجه من بحيرة قدس ، ومصبـه فى البحر قرب انطاكية ؛ واسمه قرب انطاكية : الارند (ياقوت) وذكر فى صبح الأعشى ج ٤ ص ٨٠ فى سبب تسميته بهذا الأسم أن غالب الأنهار تسق الأرض بغير دواليب ولا نواعير بل تركب البلاد بأنفسها ، وهذا النهر لا يسق إلا بنواعير تنزع المـاء منه .

(٤) سكّروا ، أى سدوا .

(٥) هـذه العبارة فى الأصل مطموسة الحروف تتعـذر قراءتها ، وقد أثبتناها عن خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمى الفرنسى .

(٦) النخاخ : جمع نخّ بتشديد الخاء ، وهو بساط طويل ، طوله أكثر من عرضه ؛ وقد شاع فى مصر إطلاقه على الحصير الذى يتخذ من البردىّ ونحوه ، وهو المراد هنا .

(٧) فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمى الفرنسى : «وفا دونه» .

(٨) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى مستدرك التاج ؛ وقال عنه : إنه أطيب الأسماك ، ويشبهون به المترعرع فى الشباب والنعمة .

والرّاىُ(١) والبُنّىّ(٢) وغيرُ ذلك ، وما يؤكَل منه طريًا بعد قَلْيه يسمّونه الإبسارية(٣) ؛ ومنها ما يكون بقدر الفِتْر ، ويسمّى الشال(٤) ، وهو يُملَّح أيضا(٥) ؛ فهـذا الذى يتعيّن إيرادُه فى أقلام الخراجىّ ، ومنهم من يورده فى الهلالىّ ، ومن الكُتّاب من يورد المصايدَ والمراعىَ قلما مستقلاّ بعد الجوالى وقبل الخراجىّ .

وأما الأحكار — فقد تقدّم الكلامُ عليهـا عند ذكرنا للهلالىّ .

وهـذه الاختلافات بين الكُتّاب هى بحسب آرائهـم وعاداتِ النـواحى وما استقرّت عليه قواعدها ؛ وإنما أوردنا ذلك على سبيل التنبيه عليه ، وذكرِ مصطلَح الكُتّاب فيه .

وأما أقصاب السكّر ومعاصرها — فهى(٦) تختلف بحسب الأماكنِ والبقاعِ والنواحى والديارِ المصريّة والشأم ، وتختلف أيضا فى الديار المصريّة بحسب الأعمال والنواحى والأراضى ؛ وقاعدتُها الكليّةُ التى لاتكاد تختلف فى الديار المصريّة أن تُختارَ لها الأراضى الجيّدةُ الدَّمِثةُ(٧) التى شمِلها الرِّىُّ وعلاها النيل ، ويُقلَع ما بها من الحَلْفاء وتُنظَّف ، ثم تُبرَش بالمقلِقلات — وهى محاريثُ كِبار — ستةَ وجوه ، وتجرَّف

(١) فى الأصل : «الزاى» ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما هو الشائع فى مصر ؛ ولم نجد الزاى بالمعجمة فيما لدينا من المظان . (٢) كذا ضبط هذا اللفظ فى القاموس .

(٣) كذا ورد هـذا اللفظ فى الأصل وخطط المقريزى ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمى الفرنسى ؛ وعامة مصر يقولون : «بسارية» بحذف الألف الأولى وكسر الباء ؛ والظاهر أنه ليس بعربىّ ؛ إذ لم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة .

(٤) كذا فى مسـتدرك التاج ؛ والذى فى الأصل : «الرشال» والراء زيادة من الناسخ .

(٥) فى الأصل : «نقضا» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٦) فى الأصل : «وهل» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام ؛ ويرشد اليه ما يأتى فى أقصاب الشأم صفحة ٢٧١ سطر ١٤ . (٧) الدمثة : السهلة اللينة .

حتى تُمهَّد، ثم تُبرَش ستةَ وجوهٍ أخرى وتُجرَّف — ومعنى البَرْش الحرث[1] — ، فإذا صَلَحتْ وطابتْ ونَعُمتْ وصارت ترابا ناعما وتساوت بالتجريف تُشَقّ عند ذلك بالمقلقلات، ويُرمى القصبُ فيها قطعتين : [ قطعةٌ ][2] مثناةٌ[3]، وقطعةٌ مفردة؛ وذلك بعد أن تُجعلَ أحواضا وتُفرزَ لها جداولُ يصل الماء منها الى تلك الأحواض، ويكون طول كلّ قطعة منها ثلاثةَ أنابيبَ كواملَ وبعضَ أنبوبة من أعلى القطعة وبعضَ أخرى من أسفلها؛ ويُختار برسم النَّصْب من الأقصاب ما قصرتْ أنابيبُها، وكثُرت عيونُها؛ فإذا تكامل النَّصْبُ أعيد الترابُ عليه؛ وصورة النصب أن تكون القطعة ملقاةً لا قائمة؛ ثم يُسقى من حال نصبه فى أول فصل الربيع فى كلّ أسبوع مرّة؛ فإذا نبت القصب وصار أوراقًا ظاهرةً على وجه الأرض نبتتْ معه الحَلْفاءُ والبَقْلةُ الحَمْقاء[4]، فعند ذلك تُعْزَق أرضُه — ومعنى العَزْق أن تُنْكَش الأرضُ وينظَّف ما نبت مع القصب — ويُتعاهد[5] بذلك[6] مرّةً بعد أخرى إلى أن يَغْزُر القصب ويقوى ويتكاثف، فلا يتمكّن العُزّاقُ من الأرض، فيقال فيه عند ذلك : طَرَدَ القصبُ عُزّاقَه، وذلك عند بروز الأُنْبوب منه؛ ومجموعُ ما يُسقى بالقادوس ثمانيةٌ وعشرون ماءً .

---

(١) لم نجد البرش بمعنى الحرث فيما راجعناه من كتب اللغة التى بين أيدينا؛ وكأن هذا الاستعمال عامىّ .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن خطط المقريزى ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق .

(٣) كذا فى خطط المقريزى ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق؛ والذى فى الأصل : «جفناه» وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٤) البقلة الحمقاء : هى المعروفة فى مصر بالرجلة؛ وإنما سميت بذلك لأنها تنبت على مجارى المياه يمسح عنها الماء فيقتلعها، ثم تعود فتنبت هناك أيضا .

(٥) فى كتب اللغة أن يتعهد أفصح من يتعاهد، لأن التعاهد إنما يكون بين اثنين؛ وأجازهما الفراء .

(٦) هذه الباء ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها، فإن المعنى ان القصب يتعاهد بذلك العمل؛ وستأتى هذه العبارة أيضا فى صفحة ٢٦٦ سطر ٩

والعادةُ أن الذى يُنصَب من الأقصاب على كلّ محالٍ[1] بحرانىّ[2] – أى مجاور للبحر[3] – إذا كان مُزاحَ[4] العِلّة[5] بالأبقار[6] الجياد مع قُرْب أرْشِيَة الآبار ثمانيةُ أفدنة ، ويحتاج إلى ثمانية أرؤس بقرا ، فإذا[7] كانت الآبارُ بعيدةً عن مجرَى النيل لا يَقُوم المَحال[1] بأكثر من ستة أفدنة إلى أربعة أفدنة ، فإذا طلع النيلُ وارتفع سُقِيَ القصب عند ذلك ماءَ الراحة ، وصفةُ ذلك أنه يُقْطَع عليه من جانب جسرٍ يكون قد أدير عليه ليقيَه من الغرق عند ارتفاع المـاء بالزيادة ، فيَدخُل المـاء من تلك الثُّلْمة التى فُرِضتْ من آلجسر ، و يعلو على وجه أرضه نحوا من شبر ، فتُسَدّ[8] عند ذلك ، ويُمنَع المـاء من الوصول إليــه ، ويُترَك ذلك المـاءُ عليه مقدارَ ساعتين أو ثلاثٍ إلى أن يَسخُن ، ثم يُصرَف عنه من جانبٍ آخرَ إلى أن يَنضُب ، ثم يجدَّد عليــه المـاءُ مرّةً أخرى ، يُتعاهد بذلك مرارا فى أيّام متفرّقة بقدر معلوم ، ثم يفطَم بعد ذلك ، هذا هو القصب الذى يوفَّى حقّه فى حرثه ونَصْبِه[9] وسَقْيِه وعَزْقِه وغيرِ ذلك ، فما نَقَص من ذلك كان المباشرُ قد أخَلَّ به إلا النصبَ على الرِّىّ وسقىَ ماءِ الراحة فإنه أمرٌ ربّانىٌّ لا قــدرة للبـاشر على آستجلابه .

---

(١) المراد بالمحال آلة الري المعــروفة بالساقية ، كما سبق ذلك فى صفحة ٢٥٤ سطر ٢ . والمحال والمحالة فى الأصل : البكرة العظيمة التى يستق بها ، كما فى اللسان والتاج مادة « محل » . (٢) قال ابن سيده : ان النسب إلى البحر بحرانىّ على غير قياس ، وقد ردّ عليه السهيلىّ فى ذلك وأنكر هذه النسبة انظر اللسان مادة (بحر) . (٣) فى الأصل : "أو" ، وهو تحريف . (٤) عبارة الأصل : « إذا كانت مزاحة » ، والذى يؤخذ من كتب اللغة أن المحال مذكر ، قال حميد الأرقط :

يردن والليل مرم طائره ٭ مرخى رواقاه هجود سامره

٭ ورد المحـال قلقت محاوره ٭

انظر اللسان والتاج مادة (محل) .

(٥) فى الأصل وخطط المقريزى ج ٢ ص ٧٧ طبع المعهد العلمى الفرنسى : « الغلة » ، وهو تصحيف لا يظهر به معنى الكلام . (٦) « بالأبقار » ، أى يدار بالأبقار ، فالمتعلق محذوف لفهمه من الكلام . (٧) هذه الفاء ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضيها . (٨) فى الأصل : « فيشتدّ » ، وهو تحريف . (٩) فى الأصل : « ونضبه » بالضاد المعجمة ، وهو تصحيف .

ولا غُنْيَةَ للقصب عن القَطِران قبل أن يحلوَ، فإنه يمنع السوسَ من الوصول إليه؛ وصفةُ ذلك أنهم يجعلون القَطِران فى قادوسٍ مبخوشٍ[1] من أسفله، ويُسَدّ ذلك البُخْشُ[1] بشىء من الحلفاء، ويُعلّق القادوسُ على جَدْوَل الماء، ويُمزَج القَطِران بالماء فيَقطُر من خلال ذلك البُخْش المسدود، ويمتزج قَطْرُه بالماء الذى يصل إلى القصب، ويحصل به المقصود.

وإن خشِىَ المباشر على القصب من فساد الفأر أدار حوله حيطانا رقيقة مقلوبةَ (٥٣ ب) الرأس إلى خارج أرض القصب تُسَمَّى حيطانَ الفأر، وتُصنَع من الطين المخلوط بالتبن فتمنع الفأرَ من الوصول إلى القصب، فإنه إذا تَسلَّق[2] فى الحائط وانتهى إلى آخرها منعتْه تلك الحافّةُ المقلوبةُ وأصابت رأسه فيسقُط إلى الأرض.

هذا ما يلزم المبَاشرَ الاحتفالُ به واعتمادُه فى أمر القصب.

فإذا كان فى أول كيهك من شهور القبط كُسِرت الأقصابُ وقُشِرتْ، ونُقِلتْ إلى المعاصر؛ وإذا كان فى أوان نصب القصب من السنة الثانية حُرِقتْ آثار الأقصاب وسُقِيتْ وعُزِقتْ كما تقدّم، فتنبت أرضُها القصبَ؛ ويسمّونه بمصر: الخِلْفَة، ويسمّون الأوّل: الرأس؛ وقنود[3] الخلفة فى الغالب أجودُ من قنود[3] الرأس.

---

## ذكر كيفية الاعتصار والطبخ وتقدير المتحصّل

الذى جرت عليه العادة بالديار المصرية أن الأقصاب إذا نُقِلت من المكسِر إلى المعصرة على ظهور الجمال أو الحمير وُضِعت فى مكان برسمها يسمّى دارَ القصب،

---

(١) مبخوش، أى مثقوب. والبخش: الثقب، ينطق به العامة بضم أوّله وسكون ثانيه؛ والظاهر أنه لفظ عامى إذ لم نجده فيما راجعناه من المظان، بل إن مادته لم ترد فى كتب اللغة التى بين أيدينا.

(٢) الذى وجدناه فى كتب اللغة التى بين أيدينا أن «تسلق» يتعدّى بنفسه لا بالحرف كما هنا؛ ولعله ضمن هذا الفعل معنى «صعد» فعدّاه «بفى».

(٣) القنود: جمع قند، وهو عسل القصب اذا جمد، وهو معرّب «كند».

بهـا وَتَرَاتٌ وحطبٌ ورجالٌ مُرْصَدون لإصـلاح القصب بالسكاكين الكبار التي[(١)] مقدارُ حديدها ثلثا ذراع، فى عَرْض سدس ذراع فى سُمْك إبهام، فينظِّفون عيدانَ القصب، و يقطعون من أعلاه ما ليس فيه حلاوة، ويسمّونه اللّكلوك[(٢)]، و ينظّفون اسفلَ العود ممّـا لعلّه به من عروق وطين؛ و يسمّى هذا الإصلاحُ التطهيرَ؛ ثم يُنقَل من تلك الوَتَرات الى وَتَرات أُخَر مؤبَّدةٍ بأعلى حائط عريضٍ مرتفع عن الأرض، أحدُ جانبي الحائط ممـا يلى دار القصب، والوجهُ الآخَرُ إلى بيتٍ آخر يسمَّى بيتَ النُّوب[(٣)]؛ وعلى ذلك الحائط رجالٌ جالسون فى مقاعدَ أُعِدّتْ لهم، وبأيديهم السكاكين التى ينظَّف بها القصب، والوَتَراتُ المؤبّدةُ أمامَهم، فيَجمَع الرجل منهم عدّةَ عيدان من القصب، و يضعها على الوَتَرة، ويَقطّعها قِطعا صغارا فتسقط فى بيت النُّوب[(٣)]؛ ثم تُنقَل من بيت النُّوب الى الحَجَر فى أفرادٍ[(٤)] تسـمَّى العِيارات[(٥)] متساويةِ المقـادير؛ فيوضع ذلك القصبُ المقطَّع تحت الحَجَر، ويَدُوُرُ الحَجَرَ عليه الأبقارُ الجِياد فيَعصره؛ و يَنزل ما يخرج منه من المـاء فى أبخاشٍ[(٦)] فى القاعدة التى تحت الحَجَر إلى مكانٍ ضَنكٍ[(٧)]

---

(١) فى الأصل: «الذى»؛ وهو تحريف.

(٢) لم نجد هذا اللفظ بالمعنى الذى ذكره فيما راجعناه من كتب اللغة، والظاهر أنه من ألفاظ العامة، وهم ينطقون به بفتح أوّله؛ ويسمونه أيضا: «الزعزوع».

(٣) لم نجد هذا اللفظ فيما راجعناه من المظان التى بين أيدينا؛ وقد أخبرنا بعض من لهم علم بالمعاصر القديمة لقصب السكر أنهم يسمون المكان الذى يغسل فيه القصب قبل عصره بيت النوبة؛ فلعله اصطلاح لهم.

(٤) الأفراد: أوعيـة تتخذ من خوص، واحده فرد بفتح فسكون؛ وهو لفظ شائع الاستعمال بين العامة فى مصر؛ ولم نجده بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة.

(٥) فى الأصل: "القبارات"؛ وهو تصحيف اذ لم نجد له معنى يناسب السياق.

(٦) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦٧ من هذا السفر.

(٧) فى الأصل: «مضنك»؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من كتب اللغة بمعنى الضيق بتشديد الياء كما هو المراد هنا.

مُعَدٌّ له ؛ فإذا انتهى ذلك القصب من العَصْر تحت الحَجَر نُقل إلى مكانٍ آخر ، ثم يجعل فى قفاف مُتخذة من الحَلْفاء مشَبَّكة الأسافل والجوانب، ويُلقى تحت دولاب التَّخت (١)، ويَدور الدولاب عليه بالأعواد حتى يأخذ حدّه، ويخرج ما بقى فيه من الماء ؛ ويجتمع ما تحصّل من ماء القصب من الحَجَر والتَّخت (١) فى مكان واحد ؛ ثم يُنقَل ذلك الماء فيصفَّى من مُنخُلٍ موضوعٍ فى قفص مُعَدٍّ له ، وينزل ما يخرج الى مكانٍ متصلٍ يسمّونه البَهو (٢)، له عِيارٌ معلومٌ محرَّر ؛ فإذا امتلأ من ذلك الماء المصفَّى نُقل إلى المطبخ، وصفِّىَ تصفية ثانية فى قِدْرٍ كبيرة يسمّونها الخابية يُصَبّ فيها بعد التصفية جميعُ ما كان فى البَهْو، وهو ستون مَطَرا (٣) من ماء القصب ضريبةُ كلّ مَطَر نصفُ (٤) قنطار بالليثىّ على التحرير — والرطل الليثىّ مائتا درهم — فيكون مافى الخابية ثلاثةَ آلاف رطل وهو ما كان فى البَهْو؛ ثم يوقَد عليها من خارج المعصرة إلى أن يغلىَ الماء غليانا كثيرا، وينقُص نقصا معلوما، فعند ذلك يبطل الوقيد (٥) عنها؛ فإذا سكن غليانُها نُقل ما فيها من الماء المسلوق فى بقاطِينَ كِبار، فى كلّ قرعة منها خشبةٌ منجورةٌ طويلةٌ كالساعد نافذةٌ فى جانبى القرعة، ويُصَبّ فى أكسية من الصوف

(١) لم نجد هذا اللفظ بالمعنى المراد هنا فيما راجعناه من المظان ؛ والظاهر أنه لفظ اصطلاحى معروف عند أصحاب المعاصر .

(٢) عبارة الأصل : «المهولة عيار» الخ وهو تحريف . والبهو : حوض مبنى ينزل فيه ما يصفى من العصير كما أنبأنا بذلك من له علم بمعاصر القصب ؛ والظاهر أنه لفظ اصطلاحى معروف بين هذه الطائفة اذ لم نجده بهذا المعنى فيما راجعناه من المظان .

(٣) كذا ضبط هذا اللفظ بالقلم فى كتاب المعرب والدخيل المحفوظ منه بدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة تحت رقم ٦٤ لغة وقال مؤلف هذا الكتاب : كأنها لغة مصرية، ولم أرها فيما وقفت عليه من كتب اللغة اهـ . وفى هامش كتاب مناقب الليث بن سعد لابن حجر ص ٥ طبع بولاق : أن المطروعاء معروف عند بعض أهل مصر .

(٤) فى مناقب الليث بن سعد ص ٥ طبع بولاق : أن المطر مائة وعشرون رطلا ؛ وفى هامش هذه الصفحة انه يسع مائة رطل مصرىّ تقريبا .

(٥) الوقيد مصدر كالوقود بضم الواو انظر لسان العرب .

تحتها دِنَانٌ كِبار فيصفَّى الماء منها تصفية ثالثة، ويستقرّ فى تلك الدِّنان؛ ثم يُنقَل من الدِّنَان فى دُسوت(1) إلى القُدور، فيُطبَخ فيها إلى أن يأخذ حدَّه من الطَّبخ؛ ويحتاج كلُّ حَجَر إلى خابية وثمانى قدور لطبخ ما يُعتصر تحت الحَجَر والتَّخْت؛ ثم يُنقَل بعد طبخه فى دُسوت(1) من النُّحاس، لكلِّ دَسْت منها قبضتان من الخشب مسمورتان فى أعلاه يقبض الرجل عليهما ليقيه حرارةَ الدَّسْت؛ ويُصَبُّ ذلك المطبوخ ـ ويسمَّى إذ ذاك المَحْلب ـ فى أباليجَ من الفَخَّار ضيِّقةِ(2) الأسافل، متسعةِ الأعالى، مبخوشٍ(3) فى أسفل كلّ أُبْلُوجة منها ثلاثةُ أبخاش(3) مسدودةٌ بقَشّ القصب، وهذه الأباليجُ موضوعةٌ فى مكان يسمَّى بيتَ الصبّ، فيه مصاطبُ مبنيّةٌ مستطيلة تشبه المذاود(4)، ويُجعل تحت كلّ أُبْلُوجة من تلك الأباليج قادوس يقطُر فيه ما يتخلّص من رقيق ذلك المَحْلب(5) ـ وهو العسل القَطْر ـ ثم يَخْدُمها الرجال بالكرانيب(6) مرّة بعد أخرى حتى تمتلئ تلك الأباليج، وهى تختلف، فمنها ما يسع أكثرَ من قنطار، وأقلّ (٥٤) منه؛ فإذا امتلأتْ وتكاملتْ خدمتها وأخذت فى الجفاف نُقِلت من بيت الصبّ الى بيت الدفن(7)؛ فتعلَّق فيه على قواديسَ يَقْطُر فيها ما بقِىَ من أعسالها .

---

(١) اطلاق الدسوت على القدور المتخذة من النحاس — كما هو المراد هنا — اطلاق عامىّ شائع الاستعمال فى مصر وغيرها من بلدان المشرق انظر تاج العروس .

(٢) فى الأصل : «رقيقة» ؛ وهو تحريف .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦٧ من هذا السفر .

(٤) المذاود : معالف الدواب ، واحده «مذود» وزان منبر .

(٥) فى الأصل : «المجلب» بالجيم ؛ وهو تصحيف ، والتصويب عن القاموس .

(٦) فى الأصـــل : «الركانيب» ؛ وهو تحريف لا معنى له . والكرانيب : المغارف ، واحده كرنيب ؛ وهو لفظ عامىّ شائع الاستعمال فى مصر حتى اليوم ، وفى مستدرك التاج : الكرنبـــة : المغرفة ، مصرية .

(٧) لعل وجه تسميته بيت الدفن أن الأباليج تستتر فيه وتتوارى مدّة حتى يقطر منها ما بقى من أعسالها .

وأما أوساخ الأقصاب التى تنظّف منها فى دار القصب فإنها تُعتَصَر على انفرادها، وتُطبَخ بمفردها، وتسمّى الخابية ، وهى أردأ من عسل القصب .

ولمـا يتحصّل من الاعتصار أسماءٌ وعِبَرٌ[1]: منها الضريبة، ومنها الوضعة[2]، ومنها اليد؛ فالضريبة عبارة عن ثمانى أيادٍ ؛ واليدُ ملءُ خابية ؛ والخابيةُ ثلاثة آلاف رطل من عصير القصب بالرطل الليثىّ كما تقدّم؛ فتكون الضريبة أربعةً وعشرين ألف رطل من المـاء، يَجمُد منها مع جَودة القصب وصلاحه من القَنْد خمسةٌ وعشرون قنطارا إلى خمســةَ عشرَ قنطارا ، ومن الأعسال اثنا عشر قنطارا إلى ثمانية قناطيرَ؛ ونهايةُ ما يتحصّل من الفــدان القصب ثلاثُ ضرائب : منها قَنْدٌ وقَطْرٌ ضريبتان ونصف وعسلُ خابيةٍ نصفُ ضريبةٍ مقدارها أربعة وعشرون قنطارا بالمصرىّ؛ ومن الأقصاب ما يفسد فلا يَجمُد طبيخُ مائه ولا يصير قَنْدا، فيُطبَخ عسلا، ويسمّونه المُرْسَل ؛

وهــذا الذى ذكرناه من الوَضْــع[3] والمتحصِّل والتسميةِ اصطلاحُ بلاد قوصَ من الصعيد الأعلى بالديار المصريّة، وهو وإن اختلف فى غيرها من البلاد فلا يبعد من هذا الترتيب .

وأما أقصاب الشأم — فهى تختلف أوضاعها بحَسَب البقاع والنواحى والأعمــال، فمنها ما هو بالسواحل الطَّرابُلُسيّة والبَيْروتيّة والعكّاويّة؛ ولهم اصطلاحٌ فى نصب الأقصاب واعتصارها : فمنها ما يُعتصَر بحجارة المـاء ، ومنها ما يُعتصر بالأبقار، ومنها ما يُعتصَر بالسِّهام[4]؛ وليس ذكرُها وبسطُ القول فيها من المهمّات التى

(١) يريد بالعبر المقادير، لأنها تعبر، أى توزن .

(٢) لم يذكر مقدار الوضعة كما ذكر مقدار الضريبة واليد فيما يأتى؛ ولم نقف على تعيين مقدارها فيما بين أيدينا من المظان .

(٣) فى الأصل : « الموضع »؛ وهو غير مستقيم ؛ والمراد بالوضع المصطلح .

(٤) السهام : الأعواد من الخشب .

تقتضى الأنصباب [1] اليهـا ؛ والذى قدّمنا ذكَره أيضا من أمر أقصاب مصر هو على الحقيقة فلاحةٌ ودَولَبةٌ [2] ، وليس هو كتابة ، وهو للباشر زيادةٌ على صناعته ، على أنه لايَستغنى عن معرفته والأطلاع عليه .

وعمــدةُ المباشر فى الأعتصار ضبطُ ما يتحصّل ، وحراستُه من السارق والخائن والمفرِّط ؛ ويلزم مباشرَ الأعتصار أن يَنظِم فى كلّ يوم وليـلة مخزومةً [3] بمـا آعتُصِر وبمـا تحصَّل ؛ فإذا انتهى الأعتصـار نَظَمَ عمـلا [4] شاملا لجميعـه على ما نشرحه فى الأوضاع الحسابيّة .

والقَنْد إذا جَفّ وأخذ حدّه من البياض نُقِل إلى مطابخ السكّر، فيُحَلّ بالمـاء وشىء من اللبن الحليب، ويُطبَخ فيصير منه السكّرُ البياضُ [5] والقُطارة؛ ويتحصّل من كلّ [6] قنطار من القَنْد ربعُه وسدسُه سكّرا ، وثلثُه وربعُه قُطارة؛ ومنه ما يُكرَّر ثانيا فيصير فى غاية البياض والنقاء، وقُطارتُه تقارب قَطرَ النبات؛ ومنه أيضا ما يُطبَخ نباتا؛

وهذه أمور جمليّة يُستدَلّ منها على المقاصد، والمباشَرةُ تشمَل مالا يمكن إيرادُه فى كتاب، وتُظهِر ما لا يكاد ينحصر بخطاب، فلنذكر الأوضاع الحسابيّة .

---

(١) لعل صوابه : « الأنصراف » .

(٢) الدولبة : العمل بالدولاب .

(٣) تقدم تفسير المخزومة فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ فانظره .

(٤) تقدّم بيان المراد بكلمة « العمل » فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٦٠ وسيأتى فى هذا السفر الكلام على الأعمال وأنواعها وكيفية كل نوع منها .

(٥) البياض : أى ذو البياض ؛ فوجه الوصف به ظاهر .

(٦) فى الأصل : «وذلك» ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق العبارة .

## ذكر أوضاع الحساب وما يسلكه المباشر ويعتمده فيها

أوّل ما يحتاج اليه كلُّ مباشر أن يضع له تعليقا ليوميّته، يذكُر فيه تاريخَ اليوم والشهر من السنة الهلاليّة، ويذكُر فيه جميعَ ما يتجدّد ويقع فى ذلك اليوم فى ديوانه: من مُحْضَر ومستخرَج ومُجْرَى ومُبتاع ومُباع(١) ومَبيع ومصروف، وما يتجدّد من زيادات فى الأُجَر والضمانات، وعطـلٍ، وتقريرِ أجائر، وترتيبِ أرباب استحقاقات على جهات، وتنزيلِ(٢) من يستخدمه، وصرفِ من يصرفه من أرباب الخدَم، وغير ذلك بحيث لا يُخِـلّ بشىء مما وقع له فى مباشَرته قلّ أو جلّ؛ وهـذا التعليق هو أصل المباشَرة، فمَن ضَبَطَ اليـومَ انضبط ما بعده(٣)؛ وكلُّ المباشرين فى وضعه سواء، يضع الشاهدُ(٤) فيه ما يضعه العامل(٥)، فإذا كان فى آخر النهار قوبل على مجموعه بين المباشرين، (٥٥) ويُساق ما يُحتاج إلى سياقته من العين والغلّة والأصناف .

(١) المبتاع: المشترى بفتح الراء . والمباع: الشىء المعروض للبيع، وهو من أبعت السلعة — بالألف فى أوّله — أى عرضتها لأن تباع .

(٢) التنزيل: كلمة شاع استعمالها بين العامة فى مصر بمعنى التولية والتنصيب — أى فى مقابلة العزل — فيقولون: « نزل السلطان فلانا فى العمل وعزل فلانا عنه »؛ وهذا هو المراد هنا أخذا من السياق . والتنزيل فى اللغة: الإحلال فى المنزلة؛ وما هنا منه .

(٣) فى الأصل: « ما نقده »؛ وهو تصحيف .

(٤) الشاهد هو الذى يشهد بمتعلقات الديوان نفيا وإثباتا انظر صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦ وسيأتى فى هذا السفر شرح ما يلزم الشاهد من الأعمال فى ذكر أرباب الوظائف .

(٥) العامل هو الذى ينظم الحسبانات ويكتبها؛ وقد كان هذا اللقب فى الأصل إنما يقع على الأمير المتولى العمل، ثم نقله العرف إلى هذا الكاتب وخصه به دون غيره صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦؛ وسيأتى فى هذا السفر شرح ما يلزم العامل من الأعمال فى ذكر أرباب الوظائف .

ثم يكتب العـامل مخزومةً يورد فيها المستخرَجَ والمُحضَر والمجرَى والمصروف[١]، ويرفعها على عدّة نُسَخ بحَسَب المسترفِعين؛ وإن شاحه[٢] المسترفِـعُ لَزِمه أن يوردها فيما أورده فى مياوَمته من سائر المتجدِّدات والأحوال، فيصير بها المستر فِعُ الغـائبُ كالمباشر الحاضر، وتَشمَل المخزومـةُ خَطَّ مَن هومباشر: مِن ناظرٍ مباشرةٍ فمَن دونَه؛ وقـد قدّمنا ذكرَ بسطِ الجرائد على الأموال والغلال، وكيفيّة خدمتها فى الأصول؛ ونظيرُ ذلك أن يبسُط أسماءَ أرباب الاستحقاقات وأربابِ المصاريف تِلوَ أصول الأموال ومضافاتهـا، ويضعَ لكلّ آسم ما يستحقّه مشاهرةً ومسانهةً عينا وغلّة، أو ثمنَ صنفٍ أو غيرَ ذلك؛ ثم يشطب قُبالَةَ كلّ آسمٍ ما قبضه مفصَّلا بتواريخه من جهة قبضه، لتَسهُل عليه بذلك محاسبةُ كلّ نفرٍ[٣] عند الاحتياج الى محاسبته كما شرحناه فى الأصول؛ ولا بدّ لكلّ مباشر من جريدة على هـذه الصفة تشتمل على الأصل والخصم؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

---

(١) فى الأصل : «والمضروب» ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «شاحه» وهذا ما يجب فيه الإدغام؛ وشاحه بتشديد الحاء، أى ناقشه؛ ومنه قولهم : «لا مشاحة فى الأصطلاح» أى لا مناقشة فيه ولا منازعة .

(٣) إطلاق النفر على الواحد كما هو المراد هنا إطلاق شائع بين عامة مصر، والذى وجدناه فيما بين أيدينا من كتب اللغة أن النفر الجماعة من الرجال من ثلاثة الى عشرة، وقيل : الى سبعة ؛ ولا تصح إرادته هنا كما لا يخفى .

## ذكر ما ينتج عن التعليق من الحسبانات بعد المخازيم(١)

وهى الخَتْمُ والتَّوالى والأعمالُ والسياقاتُ التى(٢) تلك كلّها شواهد الآرتفاع :

فأما الخَتْم — فتختصّ بجهات العَين من سائر الأموال ؛ وكيفيّتها أنه إذا مضت على المباشر مدّةٌ لا تتجاوز أحد عشر شهرا فما دون الشهر إلى عشرة أيام — وما دون(٣) الشهر لا يقع إلا عند آنفصال كاتب فى أثنـاء الشهر أو آقتراح مقترِح — نَظَمَ(٤) حسابا سَمّـاه الكُتّاب فى مصالحهم : الخَتْمة ، يَشرح فى صدرها ما مثالُه بعد البسملة : خَتْمة بمبلغ المستخرَج والمُجرَى من أموال الجهات ، أو المعاملةِ الفلانيّـة لآستقبال كذا ، والى آخر كذا ؛ ويَذْكُر أسماءَ المباشرين فيقول : بولايةِ فلان ، ونظرِ فلان ، ومشارَفةِ فلان ، وكتابةِ فلان ؛ ويَعقِد فى صدرها جملةً على ما آستخرجه فى تلك المدّة وأجراه من أصول الأموال ، يفصِّل ذلك بسنيه ، ويشرحه بجهاته وأسماءِ أربابه وتواريخِ مُحضَره ومُجرَاه ، إلى نهاية ذلك ؛ ثم يقول : وأضيف إلى ذلك ما وجبت إضافته ؛ يَبدأ بالحاصل المساق إلى آخر المدّة التى قبلها ، ثم يذكُر ما لعلّه آستخرجه من الجهات التى تَرِد فى باب المضاف ، وما ورد من أثمـان المبيعات والمصالحات والخدم ، وما لعلّه آقترضــه ، وما لعلّه حصَل من المواريث الحَشْريّة(٥) والمجتـذبات والتأديبات ، وما لعله آعتَدّ به لمعامَلةٍ أخرى ونُقِل عليه(٦) ، إلى غير ذلك من أبواب

(١) فى الأصل : « المخاريم » ، وهو تصحيف ، وقد سبق تفسير المخازيم فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ من هذا السفر ، فانظره .

(٢) فى الأصل : «الذى ذلك» الخ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٣) يظهر لنا أن هذه الجملة معترضة بين الشرط وجوابه ؛ فلذلك وضعناها بين خطين .

(٤) «نظم» جواب «لإذا» ؛ والذى فى الأصل : «ونُظم» ؛ والواو زيادة من الناسخ .

(٥) تقدّم تفسير المواريث الحشرية فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٩ من هذا السفر ، فانظره .

(٦) «ونقل عليه» ، أى ونقل محسوبا عليه ؛ وإرادة المؤلف لهذا المعنى سوّغت له ذكر « على » مكان «إلى» التى هى مقتضى اللغة .

المضاف على اختلافها . ممـا يطول شرحه لو آسـتُقصِى ؛ ثم يفذلك[1] على الأصـل والإضافة ؛ وإن صرف نقدا بنقدٍ ذَكَرَه بعـد الفذلَكة ، وآستقر بالجمـلة بعـده وإلّا فالفذلَكة بمفردها ؛ ثم يخصم تلك آلجملةَ بما لعلّه حَمَله أو نَقَله على[2] معاملة أخرى أو صَرَفَه ، ويذكُر آلحملَ بتواريخه ورسائله ، وآسم من حُمِل على يده ، والمنقولَ كذلك والمصروف بأسماء أربابه وتواريخه[4] ، ثم يسوق[3] إلى التحصيل إن آنطرد له حاصـل وإلّا فيقول فى آخرها : ولم يَبْقَ حاصلٌ فنذكرَه .

وقد آقتُرِح فى بعض الممالك الشاميّة فى بعض السنين على المباشرين أن يضمّنوا خَتَمهم ما يوردونه فى الأصل من جهات الأصول — كلِّ جهة من المسـتخرَج والمُجرَى — الأصلَ مختوما والخصمَ مفصَّلا بجهاته ؛ مثال ذلك أن يقول فى الأصل : الجهةُ الفلانيّة فى التاريخ الفلانىّ كذا [و] كذا درهما ، ويذكُرَ تحت ذلك التاريخ خصمَ تلك الجملة ؛ وفى الخصم إذا ذكَرَ آسمَ ربّ آستحقاق وما وَصَل إليـه فى كل تاريخ يقول : التـاريخ الفلانىّ ؛ ويعيِّن جهاته ؛ ويشطب المسترفِعُ الأصلَ على الخصم ؛ وفى هذا تضييق كثير على المباشر ، ولم يستقرّ ذلك ، وعادت آلأوضاعُ على ما بيّناه ؛ هذا مصطلَحُهم فى الختْم ؛ والله أعلم .

(٥٦) وأما التوالى — فهى إذا أُطلِقتْ أُرِيدَ بها توالى الغـلال ؛ وكيفيتها أنه إذا مضت مدّة على ماقدّمناه فى شرح الختَم نَظَم كاتب آلجهة حسابا للغلّة آسمـه التالى

---

(١) يقال : فذلك الحاسب حسابه اذا أنهاه وأجمله ؛ والفذلكة : جملة آلحساب ؛ وهو لفظ منحوت من قول الحاسب إذا أجمل حسابه : فذلك كذا وكذا .

(٢) ذكر «على» مكان «إلى» لإرادة المعنى الذى ذكرناه فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٧٥ .

(٣) هذه الكلمة فى الأصل مطموس بعض حروفها ؛ وسياق الكلام والحروف الواضحة منها يرشدان إلى ما أثبتنا .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر .

يَشرح فى صدره بعد البسملة : تالٍ بما انساق حاصلا من الغــلال بالجهة الفلانيّة إلى آخر المدّة الفلانيّــة ، مضافا مخصوما إلى آخر كذا ؛ ويذكُر أسماء المبـاشرين على ما تقــدّم، ثم يوصِل فى صدره ما آنساق إلى آخر المدّة التى قبلها من الغــلال على آختلافها ، ويفسِّر(١) الغلالَ بسنيها ، ويضيف اليــه ما لعلّه آنضاف(٢) من متحصِّلٍ ومبتاعٍ وقرضٍ وغيرِ ذلك ؛ ثم يفذلِك عليه ، ويذكُر بعد الفذلكة ما لعـلّه وقع من تبـديل صنف بصنفٍ لوجود ذلك الصنفـ وعدمِ غيرِه ، إما فيما قَبَضه أو فيما صَرَفه ، وما لعلّه أُبيع(٣) وثُمِّن ، وما لعلّه يُنقل من كيل إلى كيل ؛ ويستقِر بالجملة بعد ذلك على ثمن ما أُبيع(٣) وما آستقرّ من الغلال بعــد التبديل والتنقيل ، ويَستخرِج ثمن البيع بمقتضَى خَتْمة تلك المدّة ، وهى شاهــده ؛ ويخصِمُ بالمحمول والمنقول والمصروف على آختلافه ؛ ويفصِّل ذلك بتواريخه على ما شرحناه فى آلخَتْمة ، ويسوق الحاصلَ من الغلّة إن كان ؛ هذا مصطلَحهم فى توالى الغلال .

ولهم أيضــا توالٍ يسمّونها توالى الآرتفاع — تشتمل على العين والغلّة والأصناف ، ولا تُعمَل إلّا عند اقتراحها ؛ وصورتها أن يُوصِل فى صدر تالى الآرتفاع ما آنساق آخر الآرتفاع الذى قَبله من الحاصل والباقى عينا وغلّة ؛ ويفصّله بسنيه ؛ ثم يضيف اليــه ما آستُحِقّ فى تلك الســنة أصلا ومضافا ، ويخصم بالخصم السائغ المقبول ، ويطرده بعد ذلك إلى حاصلٍ وباقٍ .

---

(١) « يفسر » ، أى يوضح ويبين .

(٢) أنكر الحريرى فى درة الغوّاص أنه يقال : «انضاف» ؛ وقد ردّ عليه فى ذلك ، ووردت هذه الصيغة فى اللسان مادة «ملد» .

(٣) أبيع بالألف فى أوّله : أى عرض للبيع وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٧٣ من هذا السـفر .

ولهم أيضا توالى الاعتصار — وصورتها أن يُوصَل ما انساق حاصلا آخِرَ [المدّة][1] على الاعتصار أو تاليه[2]، ويضيف ما لعلّه تحصّل من قَطْرٍ وغيره، ويفذلك عليه، ويكرّر منه ويبيع، ويستقرّ بالجملة، ويخصم، ويسوق إلى الحاصل .

وأما الأعمـــال — وهي تختلف — : فمنها أعمال متحصّـــل الغلال والتقاوى، وأعمالُ الاعتصار، وأعمـــالُ المَبيع، وأعمالُ المبتاع، وأعمالُ الجَوالِى، وأعمالُ الخدم والتأديبات والجنايات[3] .

فأما أعمال الغلال والتقاوى — فكيفيّتها أن يَشرح فى صدر العَمل بعـــد البسملة ما مثالُه : عَمَلٌ بمـــا تحصّل من الغلال بالناحية الفلانيّة لمُغَلّ ســـنة كذا وكذا الخراجيّـــة ، المدرك فى شهور ســـنة كذا وكذا الهلاليّة، مضافا إلى ذلك ما وجبت إضافته، ويُوصِل فى صدره ما تحصّل من الغلال على اختلافها[4] وأ كيالها مفصّـــلا بأسماء الفلّاحين ؛ ويضيف إليـــه ما لعلّه استعاده من التّقاوى والفروض أو حصّله من رسوم أو غير ذلك ؛ ويفذلك عليـــه؛ فمن الكُتّاب من يسوقه بجملته حاصلا، ويخصم بمقتضى التالى ؛ ومنهم من يخصم بما حَمَلَه وصرفَه فى مدّة تحصيله للمُغَل، ويسوق ما بقى إلى الحاصل، ويَستغنِى بذلك عن تالى لتلك المدّة .

وأما عمل الاعتصار — فصورته أن يترجم فى صدره بعد البسملة بمـــا مثالُه : عَمَلٌ بما تحصّل من اعتصار الأقصاب بالجهة الفلانيّة لاعتصار أقصابِ سنةِ

(١) لم تَرِد هذه الكلمة فى الأصل ؛ والمعنى لا يتضح بدونها ؛ ويرشد الى هذه الكلمة ما سبق فى سطر ٣ من صفحة ٢٧٧ عند الكلام على توالى الغلال، فانظره .

(٢) فى الأصل : « تالله » ؛ وهو تصحيف .

(٣) فى الأصل : « والكتابات » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ما يأتى فى صفحة ٢٨٢ سطر ٧ .

(٤) فى الأصل : «وما» ؛ والواو زيادة من الناسخ .

كذا وكذا الخراجيّة؛ ويقول فى يمْنة العمل : عن كذا وكذا فدانا أو مَنظَرة(١) إن كان بالأغوار، أو قسما إن كان بالسواحل؛ ويفصّل الفُدُن بما فيها رأسا(٢) وما فيها خِلفة(٢) إن كان بمصر، ومقنطرا(٣) أو قائما(٤) إن كان بالشأم، ويبرز عن يَسرته بكمّية ما تَحصَّل فيقول : من أصناف الحُلو كذا وكذا قنطارا، ويفصّل ذلك بالقَنْد والأعسال على آختلافها : من المرسَلِ والقَطْرِ والحُرّ والأسطروس(٥) والمردودة؛ والمرسَلُ هو من القصب الذى لا يجمُد ولا يصير قَنْدا . والقَطْرُ هو ما يتحصّل من قَطْر أباليج القَنْد . والحُرُّ هو ما يتحصّل من أطراف الأقصاب، وهذه الأطراف يسمّونها بالشأم : العيكون(٦)، ولا يعتصرونها ألبتّة، بل تُرْصَد للنَّصب(٧)، فإنّهم يستغنون

---

(١) المنظرة فى الأصل : المرقبة، أى الموضع المشرف الذى يكون فيه الرقيب، والمراد هنا : مقدار من الأرض يمكن للحارث الذى يجلس فى المنظرة أن يراه ويحرس ما فيه من المزروعات .

(٢) تقدّم بيان الرأس والخلفة فى ص ٢٦٧ س ١٤ من هذا السفر، فانظره .

(٣) المقنطر : لفظ عامى معناه الملقى على قطره أى جانبه؛ يقولون : تقنطر أى وقع؛ وعربيته تقطّر بتشديد الطاء؛ انظر شرح القاموس مادة (قطر) وشفاء الغليل؛ والمراد بهذه الكلمة القصب المزروع أوّل مرة وهو المسمى بالرأس فى مصر؛ وذلك لأن طريقتهم فى زراعة القصب أن يضعوا قطعه فى الأرض ملقاة لا قائمة، كما سبق ذلك فى صفحة ٢٦٥ سطر ٧ و ٨ من هذا السفر . هذا ما يظهر لنا من معنى هذه الكلمة أخذا من السياق . وفى الأصل : «مقنطارا»؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٤) المراد بالقائم القصب الذى ينبت تاليا للقصب الأوّل، وهو الخلفة، وسمى قائما لأنه ينبت من الجذور القائمة فى الأرض بعد قطع القصب الأوّل .

(٥) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل فى هذا الموضع، وفيما يأتى بالشين المعجمة فى آخره مكان السين المهملة؛ ولم نقف على كلتا الكلمتين فيما راجعناه من المظانّ التى بين أيدينا .

(٦) لم نجد هذا اللفظ فيما بين أيدينا من مصادر اللغة ولا فى الكتب المدوّنة فى الألفاظ الدخيلة، ولعله : «العثكول»، تشبيها له بعثكول النخلة، وهو قنوها .

(٧) تقدّم تفسير نصب القصب فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٥٤ من هذا السفر، فانظره .

بها عن العيدان[1]، ومنهم من يسمّى الحُرّ المردودة . وأما الأسطروش[2] : فهو ما يُعمل
(٥٧) من جُرادة وجوه الأباليج حالَ الطبخ ، وما يتأخّر على البوَارى[3] عند خلعه بالشأم .
وأما الخابيـة[4] فهى ما يتحصّـل من الأوساخ والرِّيم[5] . والمرسَل والحُرّ والخابيـةُ
لا تُعرَف بالشأم ألبتّة ، وإنمـا يعرفون القَطْرَ والأسطروش[2] ؛ ثم يذكُر بعـد ذلك
تفصيلَ المتحصِّل بجهاته إن كان بمصر — يفصِّل كلَّ ساقية وقُدُنها وما يُحَصَّل منها
من الضرائب — وتفصيلَ الأقصاب الرأسِ والخِلفة ، ويذكُر آسمَ الطبّاخ ؛ ثم يبيع
من عرض ذلك ويُثمِّن ، ويستقِرّ بالجملة ، ويَحمِل ويَصرِف ويسوق إلى الحاصل .

وأما عمل المَبيع — فصورته أن يقول فى صدره بعد البسملة : [عمـلٌ][6]
بمـا بِيعَ من الغلال والأصناف بالجهة الفلانيـة لمدّة كذا وكذا ؛ ويَعقِـد على الثمن
جملة ، ثم يفصّلها بأصنافهـا ، يذكر عن يمْنة القائمة الصنفَ ، وفى الوسط السـعرَ
إن كان سعرا واحدا ، وإلّا فيقول مكانه : بأسعارٍ تُذكَر ، وفى اليَسْرة الثمنَ ،
ثم يفصّله بأسماء مبتاعيه ؛ فإذا كمّل ذلك أضاف ما آنساق له آخرَ العمل الذى قَبله

---

(١) فى الأصل : «الإيدان» ؛ وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٢) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٧٩ من هذا السفر .

(٣) البوارىّ بتشـديد الياء هى الحصر المنسـوجة من القصب ، واحده بورىّ وبارىّ ، فارسىّ معرّب . وقوله : «عند خلعه» : أى عنـد اخراج السكر الجامد من القوالب التى يوضع فيها ؛ وكأنهم كانوا عند اخراجه من القوالب يضعونه على الحصر ليكمل جفافه .

(٤) لم يذكر الخابيـة فى أصناف العسل التى سردها فيما سبق ؛ ولعلها هى المرادة بالمردودة السابق ذكرها ضمن أنواعه .

(٥) يريد بالريم فضول الشىء وزوائـده التى لا يعتنى بها لخستها ، وفى كتب اللغة : الريم بفتح الراء : الزيادة والفضل ، والعامة فى مصر يكسرون راءه .

(٦) هـذه الكلمة ساقطة من الأصل والسياق يقتضى اثباتها ، كما يرشد اليه ما سبق فى أعمال الغلال وأعمال الاعتصار وما يأتى بعد ذلك من الأعمال .

من أثمان المبيعات ؛ ويفصّل ذلك بأسماء من تأخّر عليه منها شيء إن كان ؛ ثم يفذلك على الجملة ، ويستخرج من عرضه بمقتضى ختم المدّة ، ويسوق إلى الباقى دون الحاصل .

وأما عمل المبتاع — فيقول فى صدره : عَمَلٌ بالمبتاع بالجهة الفلانيّة من الأصناف التى تُذكر لمدّة كذا وكذا ؛ ويعقد على ثمن المبتاع جملة يجعلها عن يَمْنة نصف القائمة ، ويبرز بالأصناف المبتاعة إن أمكن ، وإلّا فيقول : ما يُذكَر ؛ ويشرح ما ابتاعه صنفا صنفا بتواريخه ، وأسماء من ابتاع منهم ، وأسعاره ، ويضيف إلى جملة الثمن ما لعلّه تأخّر عليه من ثمن ما ابتاعه فى العمل الذى قبله ، ويفصّله بأسماء أربابه ؛ ويفذلك على ذلك ، ويخصم بما صرفه من عرضه بمقتضى ختم المدّة ، ويسوق إلى متأخّر أو فائض[1] إن كان قد سلف عليه [شيء][2] .

وأما عمل الجوالى — فيقول فى صدره ما مثاله بعد البسملة : عَمَلٌ بما وجب من مال الجوالى بالمعاملة[3] الفلانيّة لسنة كذا وكذا الهلاليّة مخصوما مساقا إلى آخر المدّة ؛ ويُوصل ما كان قد استقرّ من الأنفار[4] على ما تقدّم[5] ؛ ويضيف النوابت والطوارئ[6] بأسمائها ومللها ، وما لعلّه انساق باقيا إن كان ، وقلّما يكون ، ويفذلك

(١) يريد بالفائض : الزائد ، وهو من قولهم : فاض الماء إذا كثر حتى سال .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض فى الأصل يسع كلمة ؛ والسياق يقتضى اثباتها أو اثبات ما يفيد معناها .

(٣) الظاهر من سياق الكلام انه يريد بالمعاملة : الناحية والجهة ؛ وسيأتى هذا اللفظ فى مواضع أخرى من هذا السفر مرادا به هذا المعنى .

(٤) يريد بالأنفار : الأشخاص ؛ وإطلاق النفر على الشخص الواحد إطلاق عامىّ ، اذ لم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة التى بين أيدينا ؛ وقد سبق التنبيه على ذلك فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٧٤ من هذا السفر ، فانظره .

(٥) يشير بقوله : «على ما تقدّم» الى ما ورد فى صفحة ٢٤٣ سطر ٥ من هذا السفر ، فانظره .

(٦) انظر تفسير النوابت والطوارئ فى الحاشية رقم ٩ من صفحة ٢٤٢ من هذا السفر .

على ذلك ، ثم يذكر بعد الفذلكة من آهتدى بالإسلام ، أو هلك بالموت ، أو تَسحّب[(١)] إلى عملٍ آخر على ما قدّمناه[(٢)] من الاختلاف فى إيراد ذلك فى هذا الموضع ، والاستثناء به فى الصدر بالتعدية[(٣)] أو إيرادِه فى باب المحسوب ، وكلُّ ذلك سائغ فى الوضع ، ثم يستقِرّ بالجملة بعد ذلك ، ويستخرج بمقتضى الختَم ، ويسوق ما لعلّه آنساق إلى الباقى ، وإن عاد اليه متسحّبٌ[(٤)] أو نازحٌ وبيَـدِه وُصولٌ[(٥)] من مباشرِ عَمَلٍ آخَرَ اعتدّ له به ، وأَورَدَه فى باب المحسوب ، وفذلكه على الجملة .

وأما عمل الخـدم والجنايات والتأديبات — فصورته أن يُوصِـل فى صدر العمل بعـد الترجمة عليه ما تعيّن من أموال الخدم أو ما تقرّر من الجنايات والتأديبات ، يَذكُر فيه الأسماء والجرائم ، ويضيف إلى ذلك ما لعلّه آنساق قبل تقرير هذا المـال آخَرَ العمل الذى قبله ، ويفذلك عليه ، ويَستخرِج من عرِضه بمقتضى ختم المدّة ، ويَعتدّ بمـا لعلّه رُسِم بالمسامحة به ممـا كان قُرّر ، ويسوق ما ينطرد بعد ذلك إلى الباقى ، فهذه هى الأعمال .

وأما السياقات — فهى مختلِفة : فنها[(٦)] سياقة الأَسْرَى والمعتقَلين ، وسياقة الكُراع[(٧)] ، وسياقة الغلوفات ، وسياقات الأصناف والعُدَد .

---

(١) تسحب : أى هرب ، أخذا من السياق ، ولم نجده بهذا المعنى فيا راجعناه من كتب اللغة ، غير أنه شائع الاستعمال بين العامة فى مصر .

(٢) يشير بقوله : « على ما قدمناه » الى الخلاف بين الكتاب المذكور فى صفحة ٢٤٣ من هـذا السفر ، فانظره .

(٣) فى الأصل : « بالتقدية » ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا ، كما يرشد إلى ذلك ما سبق فى صفحة ٢٤٣ سطر ٦ من هذا السفر .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : « فيها » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٨٣ من هذا السفر .

فأما سياقة الأسرى والمعتقلين — فصورتها أن يوصل فى صدرها مدة من انساق عنده الى آخر المدة التى قبلها، و يفصلها بالمعتقلين وأسمائهم و جرائمهم، والأسرى ومللهم وأجناسهم، ويضيف اليها ما لعله تجدد عنده من معتقل أو أسير، و يفذلك عليها، ثم يذكر من أفرج عنه: إما بمقتضى المراسيم «فيذكر تواريخها وأسماء من حضرت على يده، ومن تسلم المعتقل» وإما بالهداية الى دين الإسلام من الأسرى (٥٨) «فيذكر اسم المهتدى وجنسه، ومن أى الملل كان، وتاريخ إسلامه والإفراج عنه، أو من فودى به، أو من تسحب[(١)]، أو من هلك بالموت بعد اعتبار ما يجب اعتباره فى الهالك، ويستقر بالجملة بعد ذلك، واستقرار الجملة هو الحاصل.

وأما سياقة الكراع[(٢)] — فهى سياقة تشتمل على الخيل والجمال والدواب والأبقار والأغنام، وصورتها أن يوصل الكاتب ما انساق عنده حاصلا آخر السياقة التى قبلها، و يضيف [الى][(٣)] ذلك ما لعله ابتاعه بتواريخه وأسماء من ابتيع منهم، وما لعله نتج، وما لعله اجتذب، و يفذلك على ذلك، ثم يذكر بعد ذلك ما باعه من عرض الجملة وما نفق[(٤)] وتنبل[(٥)] وذكى[(٦)]، ويستقر بالجملة على ما استقر من حيوان وجلود وثمن، ويصرف وينقل ما لعله صرفه أو نقله، و يسوق الى الحاصل.

---

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨٢ من هذا السفر.

(٢) الظاهر أن إطلاق الكراع على الدواب التى ذكرها إطلاق اصطلاحى فان فى كتب اللغة التى بين أيدينا أن الكراع اسم يجمع الخيل؛ ولم نقف على أنه يطلق على الجمال والأبقار والأغنام و يدل على أن هذا الاطلاق من مصطلحات الكتاب أن الخوارزمى ذكره فى كتاب مفاتيح العلوم ص ٥٩ طبع أوربا فى الكلام على مواضعات كتاب ديوان الخراج.

(٣) عبارة الأصل: «و يصيب ذلك» وفيها تحريف ونقص؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٤) نفق، أى مات.

(٥) فى الأصل: «تنيل»؛ وهو تصحيف؛ وتنبل بالبناء المجهول، أى اختير، يقال: فلان متنبل، أى يأخذ الأنبل فالأنبل؛ والمراد ما يختار من المواشى للقنية. (٦) ذكى، أى ذبح.

ويحتاج المباشر لذلك الى ملاحظة أحوال الأغنام ، ومعرفةِ أوقات نِتاجِهـا وما يكون منها توأمًا ، واستقبالِ النِّتاج لينضبط له نِتاجُ النِّتاج .

وأما سياقة العُلوفات — [ فصورتُها ](١) أن يوصل فى صدرها ما صرفه على الكُراع فى المدّة التى نَظم لها السِّياقة ، ثم يفصِّل ذلك كلَّ صنفٍ من الكُراع وعددَه فى الزيادة والنقص ، وما صرفه على ذلك النـوع فى كلّ مـدّة ، فى اليـوم كذا فى المدّة كذا ، والزيادة والنقص على حَسَب الاتفاق ، ويراعى فى ذلك ما تضـمّنتْه سـياقةُ الكُراع ؛ وإن صَرَف عُلوفةً لطارئٍ لا يسـتقرّ عنده ميَّزه فى التفصيل من المستقرّ فيقول : المستقرُّ كذا ، والطارئُ كذا إضافةً إلى هذه السياقة ؛ ولا فذلكةَ ، ويتجنّب أن يصرف عُلوفةً عن أيّامِ نقصِ(٢) الشهور الهلاليّة ، وهى ستةُ أيام فى السـنة فإن ذلك من المُخَرَّج اللازم ، وكذلك أيّامُ الربيع .

وأما سِياقات الأصناف والزَّرَدخاناه(٣) والعُدَدِ والآلاتِ والخزائنِ والبِيمارِستانات(٤) — فإنه لا يمكن استيعابُها لمؤلّف كتاب ، وقلّمـا عُمِلتْ فيما كَثُر ،

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما يرشـد اليه ما سبق فى السياقتين اللتين قبلها .

(٢) فى الأصل : « بعض » ؛ وهو تصحيف .

(٣) الزردخاناه ، أى بيت الزرد ، وهى الدروع ؛ وفى صبح الأعشى ج ٤ ص ١١ أن هذا اللفظ ربما أطلق على السلاح خاناه ، فقـد قال عند الكلام على السلاح خاناه مانصه : السلاح خاناه ومعناها بيت السلاح ، وربما قيل الزرد خاناه الخ .

(٤) البيمارستان : لفظ فارسى استعمله العرب ، ومعناه مجمع المرضى : وهذا اللفظ مؤلف من كلمتين : « بيمار » ومعناه المريض ؛ «وستان» ومعناه الموضع ؛ وأول من صنعه أبقراط ، وسماه : (أخشندوكين) انظر شفاء الغليل .

وإنما تعمل فيما قلّ من الأصناف؛ وصفتُها إذا أمكن عَمَلُها أن يوصل ما عنده من الأصناف مفصَّلة، ويضيف إليها ما ٱبتاعه أو ما وَصَل اليه، ويفذلكَ على ذلك ثم يذكر بين الفذلكة وٱستقرارِ الجملة ما يَرِد من الأبواب: من المنتقِل[1] والمستهلَك وغيرِ ذلك على كثرته ؛ وإذا ٱستُقصِىَ ما يَرِد بين الفذلكة واستقرارِ الجملة زاد على مائة باب لا يعرفها إلا أفاضلُ الكُتّاب ومن له حِذْقٌ بهذه الصناعة ، واختلفت مباشَراتُه وتكررتْ ؛ فاذا ذَكَر ما وقع عنده ٱستقرّ حينئذ بالجملة على ما قام عليه ميزان عمله ؛ ثم يخصم بما يَسُوغُ الخصمُ به ، ويسوق إلى حاصله .

فهذه هى الخِتَمُ والتَّوالِى والأعمالُ والسياقات؛ وهى شواهد الآرتفاع .

وأما الآرتفاع — فهو العملُ ٱلجامعُ الشاملُ لكلّ عمل ؛ وصورة وضعه أن يشرح الكاتب فى صدره بعد البسملة ما مثالُه : عملٌ بما اشتمل عليه ٱرتفاعُ المعامَلة[2] الفلانيّة لمدّة سنة كاملة، أوّلُها المحرّمُ سنةَ كذا وكذا، وآخرُها سَلْخُ ذى الحِجّة منها ، ممّا ٱعتُمِد فى إيراد ذلك الهلالىُّ والجَوالِى للسنة المذكورة، والخراجىُّ والأقصابُ لسنة كذا وكذا الخراجيّة، مضافا إلى ذلك ما وجبت إضافته، مفذلَكا عليه، وما ٱستقرّت عليه الجملة، مخصوما[3] مساقا إلى حاصل ، وما ٱعتُدّ به محسوبا إن كان، وما ٱشتملتْ عليه فذلكةُ الواصل، وما ٱنساق إلى الباقى والموقوف فى المدّة؛ ويذكر أسماءَ المباشرين كما قدّمناه فى الخَتْمة؛ وإن ٱنفصل أحدٌ من المباشرين

---

(١) فى الأصل : « من النقل » بصيغة المصدر ، والسياق يقتضى ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد : « والمستهلك » ولم يقل : والاستهلاك ويرشد الى ذلك أيضا ما يأتى بعد فى صفحة ٢٨٨ سطر ١٢ إذ قال : « والمتنقل من سنة الى سنة » الخ .

(٢) تقدّم تفسير المعاملة فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر، فانظره .

(٣) فى الأصل : « مخصوصا » وهو تحريف؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

فى أثناء تلك السـنة و باشرَ آخَرُ بعدَه قال : بمباشرة فلانٍ الى آخر المدّة الفلانيّـة وفلانٍ بعده الى آخر المدّة ؛ و يقول فى صدره عن يَسْرة نصف القائمة : ما مبلغُه من الذهب كذا ، ومن الدراهم كذا ، ومن الغلات كذا ، ومن الأقصاب كذا ، ومن الأصناف كذا ، ومن الكُرَاع كذا ؛ يفصِّل ذلك بسنيه ، ثم يأخذ فى تفصيل كلّ مال بجهاته ، فيبدأ بمال الهلالىّ ، يَذْكُر كلّ جهة ، وآسمَ مستأجِرِها أو ضامنها ، وآستقبالَ (٥٩)
عَقدِ إجارته أو تقريرِه ، و يوجب عليه فى الشهر وفى السنة ، الى أن يستوعب أبوابَ الهلالىّ ، و يشطب فى مسوّدته التى ينظمها لنفسه قُبَالةَ كلِّ جهةٍ ما آستخرجه بمقتضى خَتَماتِ المستخرَج ليقوم له ميزانُ كلّ جهة فى الباقى والفائض (١) ؛ ولا يلزمه هذا العملُ فى الحساب المرفوع منـه ؛ فاذا آنتهت أبواب الهـلالىّ ذكر الجَوالِى وآعتَمَد فيها كذلك ، ثم يذكر الخراجىّ ، و يفصّله بأقلامه وجهاته مستقصًى واضحًا جليًّا ، و يَعتمِد من الشطب قُبالةَ كلّ جهةٍ ما تقدّم شرحُه ؛ فاذا تحرّرتْ له جهاتُ الأصول قال : وأضيف الى ذلك ما وجبت إضافته ، و يعقـد على المضاف جملة ، و يذكر أبوابه يبدأ فيها بالحاصل والباقى المُساقَيْن (٢) آخرَ العمل الذى قَبْله ، و يعقد عليهما جملة ، ثم يقول : الحاصلُ كذا ، والباقى كذا ؛ و يفصِّل ما أمكن تفصيلُه من الحاصـل بسنيه و يفصِّـل الباقىَ بجهاته وأسماءِ أربابِه وسنيه وأسماءِ مباشريه إن أمكن ، و يشطب فى مسوّدته قُبالةَ كلّ آسم ما لعـلّه آستخرجه من عرض ما هو عليـه كما تقدّم ؛ ثم يذكر جهاتِ مضافِ السـنة الحاضرة ؛ يبدأ بمـا هو مستقرّ من الأموال التى تَرِد [فى] جهاتِ المضاف ، و يشطب قُبالةَ كلّ آسم ما تقدّم بيانه ؛ ثم يذكر بعد ذلك ما لعلّه وَصَل اليه أو آعتَدّ به : من الأموال والغلال على آختلافها ، وأثمانِ المبيعات

(١) فى الأصل : « القابض » ؛ وهو تصحيف ؛ وقد تقدّم شرح « الفائض » فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ .
(٢) فى الأصل : « المساق » بصيغة المفرد ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

والموار يث الحشريّة[1] والمجتذَبات والجنايات والتأديبات والقروض والأصناف المبتاعة، يستقصى أبوابَ المضاف على حسب ما ورد عنــده منها فى طول الســنة بمقتضى ما ورد فى الشواهد التى ذكرناها بحيث لا يخلّ منها بشىء .

ومن أبواب المضاف ما يضاف بالقلم — ولا أصــل له، بل يكمّله الـكاتب على نفســه فى حسابه لينطرد نظيرُه الى الباقى، ويقومَ به الميزان، وهو نظير التقاوى[2] والقـــروض ؛ وكُتّاب الشأم يفعلون ذلك دون كُتّاب الديار المصريّة ، وهم على الصواب فى إيراده، لأن الكاتب اذا أوردَ نظيرَ التقاوى[2] والقروض آنطرد له الى الباقى نظيرُ ذلك، وصحّ ميزان العمل، فإنه لا يمكن أن ينطرد الى الباقى إلا بإضافة نظيره، فاذا آنطرد الى الباقى وجب إيراده [فى] المضاف فى السنة الثانية وما بعدها الى أن يُستخرَج[2] ويحصَّــل ؛ وكُتّاب مصر يقتصرون فى ذلك على أعمــال التقاوى والقروض؛ والتحريرُ ما يورد كُتّابُ الشأم فى ذلك .

ومن وجوه المضاف الغريبة : آلمســتعادُ نظيرَ المُعاد، مثال ذلك أن يكون المبــاشر أحال ربَّ آســتحقاقٍ على ضامنِ جهةٍ بمبلغٍ بمقتضى وُصــولٍ[3] أجراه

---

(١) تقدّم تفسير المواريث الحشرية فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٩ نقلا عن صبح الأعشى فانظره ؛ وقال المقــريزى فى خططه ( ج ٢ ص ١١٠ ) طبع المعهد العلمى الفــرنسى انهــا هى التى يستحقها بيت المــال عند عدم الوارث؛ وقال قبل ذلك : إنهــا فى الدولة الفاطمية لم تكن كما هى اليوم من أجل أن مذهبهم توريث ذوى الأرحام، وأن البنت اذا انفردت استحقت المــال بأجمعه، فلما انقرضت أيامهم واستولت الدولة الأيوبية ثم الدولة التركية صار من جملة أموال السلطان مال المواريث الحشرية الخ.

(٢) التقاوى من الحبوب : ما يعزل لأجل البذر؛ وهى عامية .

(٣) الوصول بصيغة المصــدر : هو البطاقة المعروفة عندنا بالإيصال؛ وقد سبق فى الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر ان هذه الكلمة مولدة عامية انظر شفاء الغليل .

وٱعتَـدّ به لضامن تلك ٱلجهــة ، واعتَدّ على ربّ الاستحقاق بمبلغه ، وقَطَع الباقىَ والمتأخّرَ بعده ، وصدر حسابه بذلك ، فأعِيدَ[1] عليــه وُصولُه فى أثناء الســنة الثانية فمِثْلُ هــذا تجب إضافتُه و إضافةُ نظيرِه ، فيكون خصمُ إضافته الأولى المُعــادَ على الضامن ، وخصمُ الثانيــة الباقىَ المُساق ، ويكمّل لربّ الاستحقاق نظـير ذلك المبلغ فى محاسبته — على ما يأتى بيانه فى المحاسبات ؛ فاذا ٱستوعب ما ورد عنده من أبواب المضاف فَذْلَكَ على ذلك فيقول : فَذْلك الأصل وما أُضِيفَ اليه ؛ و يَعقِد على الفذلكة جملةً ، ومعناها أن يضمّ ما عَقَد عليــه الجملةَ فى صدر الارتفاع الى ما عَقَد عليه جملة المصاريف ، فتشتمل الفذلكة على الجملتين ، و يفصّل ذلك عينا وغلّة وأصنافا وكُراعا على ما تقدّم ، و يفصّل ماهو متميّز بسنيه ، وما لم يتميّز كالحواصل من العين والكُراع وغير ذلك يقول فيه : ما لم يتميّز بسنة ؛ و يشرحه ؛ ثم يذكر الأبواب التى تَرِد بين الفذلكة وٱستقرارِ الجملة على ٱختلافها بحَسَب ما وقع عنده منها ، يبدأ بالصرف من نَقْدٍ إلى نَقْد ، والمبدَّلِ من صنفٍ إلى صنف ، والمنتقِلِ من سنة إلى ســنة ، ومن كيلٍ إلى كيل ومن وزنٍ إلى وزن ، ومن عَدَدٍ إلى وزن ، ومن وزنٍ إلى عَدَد ، ومن صفةٍ إلى صفة وما وقع من مَبيع ومُثمَّنٍ[2] ونافقٍ ومستهلَك ، وغير ذلك ؛ وقد جَمَع بعض فضلاء الكُتّاب جميعَ ذلك وٱختصره فى لفظتين فقال : هو عبارة عن منقول ومعدوم ؛ و إذا نظرت إلى حقيقة هاتين اللفظتين وجدت جميع هذه الأبواب و إن كثرت مندرجة فيهما[3] ، كما أن جميع الكلام لا يتعدّى أن يكون ٱسما أو فعلا أو حرفا ؛ فإذا ٱنتهت هذه الأبواب قال : واســتقرّت الجملة بعــد ذلك على ... و يذكر ما ٱستقرّت عليه ٱلجملة بمقتضى

(١) فى الأصل : «فاعتد» ؛ وهو تصحيف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٢) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٨٣ من هذا السفر .

(٣) فى الأصل : « عنها » ؛ واللغة تقتضى ما أثبتنا .

قيام ميزانه، ويفصّله بسنيه، ثم يقول: آستُخرِج من ذلك وتحصّل... ويذكر المستخرَج بمقتضى الخِتَم، فيشرح ما آستقرت عليه جملةُ الخَتْمة الأولى، وما آشتملتْ عليه فذلكتُها بعد وضع آلحاصل من آلجهة الثانية وما بعدها لئلا يتكرر عليه (١)؛ ويحصّل بمقتضى الأعمال والتّوالي والسّياقات على هذا الحكم؛ ويفصّل آلمستخرَجَ والمتحصّل بسنيه، ثم يخصم ما آستخرجه وحصّله، فيبدأ فى الخصم بالحَمْل من الأموال، والحمولِ من الغلال والأصناف، والمُساقِ من الكُراع؛ ويتلوه ما لعلّه نَقَلَه على (٢) معاملة أخرى مفصّلا بأبوابه ومعقودِ آلجملة على كل باب فيها؛ فإذا تكامل له الخصم فى العين والغلّة والمواشى والأصناف ساق ما تأخّر من جملة ما آستخرجه وحصّله إلى حاصل، ويفصّله بالعينِ والغلّةِ والصنفِ وغيرِه، فيكون ما حمله ونَقَلَه وصَرَفَه وساقه إلى الحاصل خَصْمَ ما آستخرجه وحصّله؛ ثم يذكر بعد سياقة الحاصل ما لعلّه ورد عنده (٣) من المحسوب على آختلافه: من عُطْلة، ويذكر أسبابها، وما لعلّه ثبت من الجوائح (٤) الأرضيّة والسمائيّة (٥) بمقتضى المحاضر (٦) الشرعيّة إذا برزت المراسيمُ بالحَمْل على حكمها؛ فيذكر كلّ جهة وآسمَ مستأجِرِها أو ضامنها، وتاريخَ محضر الجائحة، وتاريخَ آلمرسوم بحمل الأمر على حكمه، وجملةَ آلمبلغ المتروكِ بسبب ذلك، وما لعلّه سوِمح به من البواقى المُساقة، وغير ذلك ممّا هو داخل فى باب

(١) لعل صوابه: «من الختمة» كما يرشد إليه السياق.

(٢) ذكر «على» مكان «الى» مع أن الفعل قبلها يقتضيها لإرادة المعنى السابق فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٧٥، فانظره.

(٣) فى الأصل: «عنه»؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا كما يرشد اليه التعبير بذلك فى السطر الخامس من صفحة ٢٨٨، فانظره.

(٤) عبارة الأصل: «نبت من الحوائج الأصلية»؛ وهو تحريف فى الكلمات الثلاث؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا؛ ويرشد إلى ذلك ما سبق فى صفحة ٢٣٢ س ١٢ من هذا السفر، فانظره.

(٥) ينسب إلى السماء فيقال: «سمائى» على لفظها، و «سماوىّ» بالواو اعتبارا بالأصل (المصباح).

(٦) انظر تفسير المحضر فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٥٥ من هذا السفر.

المحسوب ؛ وسائرُ المساحات تَرِد بعد سياقة الحاصل ، وتَرِد فى أماكنَ نذكرها بعد إن شاء الله تعالى؛ فإذا آستوعب الكاتب جملة ما عنده من المحسوب فى بابه قال بعـد ذلك : فتلك جملةُ آلمستخرَج والمتحصّـل والمحسوب ؛ ويعقِد عليـه جملة يفصّلها بسنيها وأقلامها؛ ويسمّون هـذه الفذلكةَ فذلكةَ الواصل؛ وما بقِىَ بعـد ذلك مما آستقرّت عليه آلجملةُ بعد هذه الفذلكة تعيّنتْ سياقتُه إلى الباقى والموقوف، فيطرده باقيـا وموقوفا، أو باقيا بغـير موقوف، معقودَ آلجمـلة ، مفصّلا بالسنينَ والجهات والأسماء والمباشَرات ، ويميّز ما يُرجَى آستخلاصُه وتحصيلُه منه وما لا يرجَى؛ وما آنعقد عليه الباقى والموقوفُ وآشتملتْ عليه فذلكةُ الواصل هو خَصْمُ ما آستقرّت عليه جملة الآرتفاع .

وأما الحواصل المعدومة المُساقة بالأقلام — ولا حقيقة لوجودها، وإنمـا يُورِدُها الكُتّابُ حفظا لذكرها ، كالحواصـل آلمسروقة وآلمنهوبة — فإنه إذا رُسِم بالمساحة بها فقد اختلفت آراء الكُتّاب فى إيرادها على وجوه كثيرة : منها ما يَسُوغ ، ومنهـا ما لا يجوز فعله ، ونحن نذكر أقوالَهم وطرقَهم فى ذلك ، ونوضح ما يجوز منها وما لا يجوز، ونذكر ما ينبغى أن يُسْلَك فيها : فمن الكُتّاب من يرى أن ينقُل هذا الحاصلَ بين الفذلكة واستقرارِ آلجملة من الحاصل الى الباقى، ولا يورده فى باب آلمســتخرَج ، ويطرده إلى الباقى، ويورده فى باب المسموح بعد سياقته الحاصلَ، وهذا لا يجوز، وفى إيراده على هذا الوجه غلطٌ وسوءُ صناعة، لأن آلحاصل لا يجوز نقله إلى الباقى، والباقىَ أيضا، فلا بدّ أن يكون بآسم إنسان أو أُناس، فإن ساقه باقيا باسم مباشِره فقد أتى بغير الواقع، وعَرّض المباشَر الى الغرامة، ولا يفيده، إذ[1] مرسومُ المساحة يتضمّن المساحةَ بحاصل معدوم ، وقد آنتقل هذا من تسمية الحاصل إلى الباقى .

(١) فى الأصل : « إذا » ؛ وما أثبتناه هو مقتضى اللغة .

ومن الكُتّاب من يرى آستثناءه من جملة آلمستخرَج، ثم يورده أيضا [فى][1] باب المسموح؛ وفى هذا أيضا ما فيه مِن نقلِه من الحاصل إلى غيره تسميةً، فإنه لا عِبرة عند ذلك بتسميته ولا بنسبته إلى الباقى والموقوف؛ و إن نُقِلَ فلا يجوز، لأن الحواصل لا يجوز نقلُها إلى تسمية أخرى ألبتّة؛ فهذه الوجوه لا تجوز فى صناعة الكتابة .

وأما الذى يجوز فى هـــذا فوجوه[2] : منها أن يكمّله الكاتب فى باب المستخرَج من ذلك، ويخصمَ إلى نهاية المصروف ، ويقولَ قبل سياقة الحاصل : ما نُقِل رُسِم[3] بالمسامحة به عن الحاصل المعدومِ المُساقِ بالقلم حفظا لذكره، بمقتضى مرسومٍ (٦١) تاريخُه كذا، ويشرح مقاصدَ المرسوم، وسببَ عدمِ الحـاصل، وجملتَه؛ ويكتفى[4] بذلك عن إيراده فى باب المســموح؛ ويَعقِد جمـلةَ الخصم على الحَمْـل والمصروفِ والمسموح به .

ومنها أنه إذا ساق الحاصلَ بعد الحَمْل والمصروف يقول : من جملة كذا بعـد مَأمَنه ما سومح به عن الحاصل المعـدومِ والمُساقِ بالقـلم؛ ويَشرح ما تقدّم، ويبرز بالحاصل بعد ذلك .

ومنها أن يستثنيَه عند ذكر المضاف[5]، فيقول عند إضافة الحـاصل ما صورتُه ! الحاصلُ المُساقُ إلى آخر السنة الحاليّة من جملة كذا بعـد مَأمَنه ماعُدِم فى تاريخ كذا

---

(١) فى الأصل : « فان » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «فرجوة» ؛ وهو تحريف .

(٣) عبارة الأصـل : « تاريخ مرسومه » ؛ وفى هاتين الكلمتين تقديم وتأخير لايستقيم بهما المعنى ويرشد إلى ما أثبتنا ما يأتى فى السطر الأوّل والثانى من صفحة ٢٩٢ ، فانظره .

(٤) فى الأصل : «والموصوف» ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : «عن» ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ، كما يرشد إليه قوله بعد : «فيقول عند» الخ .

وورَد فى سياقات الحـاصل حفظا لذكرِه، ورُسم بالمسامحة به بمقتضى مرسـوم شريف تاريخُه كذا؛ ويعيِّن جملةَ المسموح به، وهى جملةُ المعدوم، و يبرز بما بقى، ويستثنيه أيضا من المستخرَج عندما يَستشهِد بالخِتَم والتَّوالى والأعمال.

فهذه صورة نَظْم الارتفاع وشـواهِده التى قدّمناها قَبـله؛ والارتفاعُ هو جُلُّ العمل، وقاعدةُ الكتابة، والجامعُ لسائر ما يَرِد فى المعاملة .

وإن انفصل الكاتب أثنـاء السنة لزمه أن ينظِم لمـا مضى من السنة فى مبـاشرته حسابا يسمّونه بالشأم الملخَّص، و بمصر التـالىَ، وهو نظيرُ الارتفاع فى نَظْمه، إلا أنه يكون لمـا دون السنة، والملخَّص عند المصريّين هو الارتفاع، ويَلزَم الكاتبَ المباشرَ بعده عمـلُ ملخَّص أوتالٍ يتلوه لمـا بقِىَ من المدّة، ثم يعمل جامعـةً على الملخَّصين أو(١) التاليَـين، وهما شاهداها(٢)؛ و يسـتغنى الكاتبُ فى إيراد المستخرَج والمتحصِّل والمصروف عن الاستشهاد بالخِتَم والتَّوالى والأعمال، و يَستشهِد بهـذين الملخَّصين فيقول : ما تضمّنه ملخَّص مدّة كذا وكذا [ كذا(٣) ] وما تضمّنه ملخَّص مدّة كذا وكذا كذا؛ وقـد تكون الملخصات أكثرمن اثنين بحسب الاستبدال بالأعمال(٤) .

(١) فى الأصل : «و»؛ والسياق يقتضى العطف "بأو" كما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : « شواهدها »؛ وقواعد اللغة تقتضى ما أثبتنا؛ إذ به تحصل المطابقة بين المبتدإ والخبر .

(٣) هـذه الكلمة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضى إثباتها كما يرشد الى ذلك ورودها فى الجملة التى بعدها .

(٤) الظاهر أن الباء هنا بمعنى «فى» الظرفية، أى بحسب استبدال العمال بعضهم ببعض فى الأعمال .

## ومما يلزَم الكاتبَ رفعُه المحاسَبات — وتختلف :

فمنها محاسـبة أرباب النقود الجيشـيّة والمَكيلات والجامِكيّات(١) والجرايات، وأربابِ الوظائفِ والرواتبِ والصِّلات عما هو مستقرّ مشاهرةً أو مسانهة؛ وهذه المحاسبة تنظم من الجريدة المبسوطة على أسمائهم، المشتملة على كمّيّة استحقاقاتهم، المشطوبة بقُبوضهم؛ وصورةُ عملِها أن يقول الكاتب: محاسَبةٌ لأرباب النقدِ والمَكِيل والقَرارات(٢) والجامِكيّات والرواتبِ والصِّلات بالمعاملة الفلانيّة لاستقبال مدّة كذا، والى آخر كذا؛ ويَعقِد جملةَ صدرها على ما يُستحَقّ لهم فى تلك المدّة المعيّنة من عينٍ وغلّة وأصـناف، ويضيف الى تلك الجمـلة ما تأخّر لهم الى آخر المـدّة التى قبلها، ويفذلك على ذلك، ويُقبِضهم ما صَرَفَه لهم بمقتضى خِتَم المدّة وأعمالِهـا وتوالِيها، ويعتدّ عليهم بما لعلّه انساق فائضا(٣) على مَنْ قَبَض منهم زيادةً على استحقاقه فى المدّة التى قبلها، ثم يطرد ما انساق لهم الى متأخّر، وما انساق عليهم الى فائض، ثم يفصّل ذلك بالأسماء، فيضع الاسمَ ويذكره واستحقاقَه فى الشهر وعن المدّة، ويضيف اليه ما لعلّه تأخّر له إن كان، ويفذلِك عليه، ويخصم بقبضه، ويسوق إلى متأخّرٍ إن بقِيَ له، أو فائِض إن زاد قبضُه على استحقاقه؛ ومن كان منهم قد تعجّل قَبل تلك المدّة زيادةً على استحقاقه استُحِقّ له ما وجب له فى المدّة، واعتدّ عليه بما انساق فائضا(٣)؛ وما لعلّه صرفه له فى تلك المدّة يسوقه(٤) إلى متأخّر أو فائض(٣)، يفعل ذلك فى جميع الأسماء .

(١) قد سبق تفسير الجامكيات فى الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥، فانظره .

(٢) الظاهر أنه يريد بالقرارات : الاستحقاقات؛ وقد ورد لفظ «القرار» فى كتاب قوانين الدواوين صفحة ٢٠ سطر ٢٦ مرادا به هذا المعنى أخذا من سياق العبارة التى ورد فيها، فانظره .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر .

(٤) فى الأصل : «ويسوقه»؛ والواو زيادة من الناسخ فإن السياق يأباها .

وهذه المحاسبة إذا كان الكاتب مستمرَّ المباشرة عَمِلَها لسنة، وان ٱنفصل قبل ٱستكمال السنة أو ٱقترحها مقترِحٌ عليه لزمه عملُها؛ والله أعلم .

ومنها محاسبات أربابِ الأُجَر[(١)] والاستعمالاتِ[(٢)]، ويعتمد الكاتب فيها نظيرَ تلك، إلا أنه لا يُستحَقّ لكلّ نفرٍ[(٣)] إلّا بمقدار عمله، ويضيف إليه ما لعلّه تأخر له ويفذلك عليـه، ويخصمه بالقبض والاعتداد بالمُسْلَف ان كان؛ وهـذه المحاسبة (٦٢) على منوال تلك، إلا أنها تُعمل بمفردها .

ومما يلزم الكاتبَ رفعُـه ضريبةُ أصول الأموال ومضافاتهـا عن كلّ سـنة كاملة، يذكُر فيهـا كلَّ جهـةٍ من جهات الهـلالىّ، وٱسمَ مستأجِرِها أو ضامنِها، ومبلغَ إجارتها أو تقرير ضمانها مشاهرةً ومسانهة، واستقبالَ العقد، وتاريخَ الحجّة المكتَتَبة به، ويشطب[(٤)] قُبالتَها أسمـاءَ كُفلاءِ[(٥)] ضامنِ الجهة؛ ويذكُر الجوالىَ ويفصّلها بالأسماء والمِلل، ويفصّـل الخراجىَّ بجهاته وأقلامه، والأحكارَ بأسماء أربابها؛ وإن كان بتلك المعاملة[(٦)] شيء من نواحى الخاصّ

(١) فى الأصل : «اثبات»؛ وهو تحريف؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه ما سبق فى صفحة ٢٩٢ سطر ٢ من هذا السفر .

(٢) لعل صوابه «والعمالات» بضم العين، كما يقتضيه عطفه على الأجر؛ والعمالة : ما يأخذه العامل من الأجر على عمله .

(٣) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٧٤ من هذا السفر .

(٤) الظاهر أن المراد بالشطب هنا ما سبق بيانه فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر فانظره .

(٥) فى الأصل : «اقلاء»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، فإنه لا بد لضامن كل جهة من كفيل يكفل بما عليه من المال كما سبق ذلك فى صفحة ٢٢٩ من هذا السفر، فانظره .

(٦) تقدم تفسير المعاملة فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١، فانظره .

ذَكَرَ كلّ ناحية، واسمَ رئيسها، وحدودَها وعدّةَ فُدُنها[1] الرومية[2] والكادية[3] والعاطلة، وأسماءَ من بها من الفلّاحين القَرارِيّة[4]، وما يُبْذَرُه كلّ فدان من الشَّتْوىّ والصيفىّ، ورَيْعه فى الثلاث سنين المقبِلة[5] والمتوسّطة والجدبة، وشروطَ المقاسَمة، وما على كلّ فدان من الحقوق والرسوم، وما بها من المطلَق، وما فيهـا من جهات العين وما عليها من الخِدَم[6] والضيافات، وغير ذلك من معالمها بحيث لا يخلّ بشىء من جميع أحوال القـرية، بل يوضحها إيضاحا شافيا كافيا حتى يَعلَمَ الغائبُ عنها جليّةَ أمرها كالحاضر فيها.

فإذا تكامل ذكرُ جهات الأصل[7] فى هذه الضريبة ذَكَرَ جهاتِ المضاف الراتبة كالخِدَم وما يناسبها، وذَكَرَ فى آخرها ما تتعيّن إضافتُه من المتوفّر من العين والغلّة على آختلاف ضرائبه، وهذه القواعد تكون فى ضِياع الشام.

---

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

(٢) لم نجد للفظ الرومية معنى يناسب سياق الكلام، ولعل صوابه: «الردمية» بفتح فسكون، أى الأرض التى فيهـا الردم، وهو تراب يكون من الطين الذى يأتى به النيل عند فيضانه فى كل سنة، وهو مخصب للأرض ومصلح لزرعها؛ واستعمال هذا اللفظ فى ذلك شائع بين العامة فى مصر؛ والذى فى كتب اللغة أن الردم هو ما يسقط من الجدار المتهدم.

(٣) فى الأصل: «الكادنة»، وهو تحريف؛ ولعل صوابه ما أثبتنا؛ والكادية من الأرض: التى يبطئ نباتها.

(٤) القرارية، أى المقيمون، نسبة الى القرار.

(٥) فى الأصـل: «المقلة» وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق؛ ويريد بالمقبلة السنة التى تقبل بالنبات، أى تجىء به.

(٦) تقدّم بيان المراد بالخدم فى ص ٢٤٥ من هذا السفر، فانظره.

(٧) هذه الكلمة فى الأصل ناقص بعض حروفها؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

ويلزمه رفعُ المؤامَرات — وتُسمَّى ضرائبَ المستقرِّ إطلاقهُ — وهى تشتمل على أسماء من هو مرتَّبٌ على تلك المعاملة : من ربِّ نقدٍ ومَكِيلٍ ومقرَّرٍ[1] وصدقة، يذكر آسمَ كلِّ واحد وآستحقاقَه مشاهرةً ومسانَهة، ويعقد على ذلك جملةً فى صدر المؤامَرة مشاهرةً ومسانَهة ؛ فإن كان فى حصن ذكر فى صدر الأوراق عدّةَ أرباب الآستحقاقات ، ثم يفصِّلهم بوظائفهم وأسمائهم من الخرجية[2] والأَقْجِيَّة[3] وغيرهم .

ويلزمه رفعُ ضريبة مايُستأدَى من الحقوق ، يذكر فيها ما يستأديه ضامنُ كلِّ جهة من رسومها وحقوقها ، وما لعلّه يُستأدَى بالدّروب من الخَفْر[4] ، وغير ذلك من سائر مايُستأدَى من حقوق تلك المعاملة ، وما لعلّه يُقتَطع من أرباب النقود والمَكِيلات وغيرهم من الوفر والمقتطَع على آختلاف الضرائب، بحيث لايخلّ بشىء منها ، لتُعلَم بذلك أحوالُ تلك الجهة ، فلا يمكن للضُّمّان أن يستأدوا زيادة على ذلك، لما فيه من تجديد الحوادث على الرعيّة .

---

(١) فى الأصل : «ومولد» ؛ وهو تحريف ، ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٢) لم نجد من معانى هـذا اللفظ ما يناسب سياق الكلام فيما راجعناه من الكتب التى بين أيدينا ، وقد سألنا بعض من لهم علم بالمصطلحات التركية القـديمة فأخبرنا أن المراد بهذه الكلمة الذين يقبضون استحقاقهم حنطة ولحما ونحو ذلك من المأكولات ؛ ويرجح ذلك عطف الأقجية عليه .

(٣) المراد بالأقجية الذين يقبضون استحقاقهم نقودا ، وهو نسـبة الى الأقجة ، وهو لفظ تركىّ يراد به نوع من النقود ، كما فى معجمات هذه اللغة . والذى فى الأصل : «والأقجة» بدون ياء النسبة ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٤) "من الخفر" بيان «لما» يريد من أجرة الخفر، وهو الحراسة .

ومما يلزمه رفعُه فى كلّ سنة تقديرُ الآرتفاع — وهو الآرتفاع بعينه إلا أنه لا يضيف فيه حاصلا ولا باقيا، ولا يفصّل فيه الجوالىَ بالأسماء، بل يعقد الجملةَ فى صدره على ما يُستحَقّ بتلك المعاملة من جهات الأصول والمضاف، ويخصم بالمرتَّب عليها عن سنة كاملة، ويسوقه إلى خالص أو فائض(١)، ليَظهَر بذلك ميزانُ تلك الجهة .

هذا ما يَلزَم المباشرَ رفعُه مشاهرةً ومسانَهة .

ويلزمه فى كل ثلاث سنين رفعُ الكشوف الجيشيّة، يذكر فيها أسماء النواحى العامرة والغامرة، والقُدُنَ الكادية(٢) والعاطلةَ وما تقدّم شرحه فى الضريبة : مِن ذكرِ البِذَار والرَّبِع والشروطِ والمطلَقِ وغيرِه؛ ثم يذكر المتحصّل منها فى ثلاث سنين لثلاث مُغَلّات، يعقد على ذلك جملة، ويفصّله بسنيه وأقلامه، ولا يخلّ بشىء مما بكلّ ناحية من الحقوق الديوانيّة والإقطاعيّة، ويعقد فى صدر الكشف جملة على عدّة النواحى وعدّة القُدُن، وجملةَ جهات العين والغلّة، مفصّلا بالمعاملات(١)؛ هذه هى الحسابات اللازمة .

وأما المقترَحات — فلا يمكن ضبطها، إلا أنه مهما آقتُرِح مما يكون سائغَ الآقتراح مُمكنَ العملِ لَزِمَ الكاتبَ عملُه .

وحيث آنتهينا إلى هذه الغاية فلنذكر أرباب الوظائف .

---

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر .

(٢) فى الأصل : « الكادنة » ، وهو تحريف؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، وقد تقدم تفسير الكادية فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٩٥ من هذا السفر .

## ذكر أرباب الوظائف وما يلزم كلا منهم مع حضور رفقته ومع غيبتهم وما يسترفعه كل مباشر عند مباشرته وما يلزمه عمله

أما المشدّ[1] أو المتولّى — فالذى يَحتاج إلى استرفاعه عند مباشرته ضرائبُ أصول الأموال والمرتَّبُ عليها ليَعلَم حالَ المعامَلة، وما بها من الخالص، أو عليها من الفائض؛ ويسترفع أوراقا بالحاصِل والباق والفائِض والمتأخّر[2]، ليَعلَمَ أحوالَ الناس ومحاسباتهم، ويعلمَ ممّن يَطلُب وإلى من يَصرِف؛

والذى يلزمه عمارةُ البلاد، وآستجلابُ من نزح منها، وإقامةُ السطوة، وإظهارُ المَهابة والحرمة، وتسهيلُ السُّبل، وإقامةُ الخُفَراء عليها، وتشييدُ مَنار الشرع الشريف، والتسويةُ بين القوىّ والضعيف؛

ويلزمه آستخراجُ الأموال من سائر جهاتِها ووجوهِها المستحَقّة[3] فى مباشرته، والبواقى التى رُفِعتْ إليه بعد تحقيقها بحيث لا ينطرد إلى الباق الدرهمُ الفرد؛ ومتى آنساق فى مباشرته شىءٌ لزِمَه؛

ويلزمه تقريرُ الجنايات[4] والتأديبات على أرباب الجرائم لتنحسم بذلك مَوادُّ المفسدين.

---

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٢ .

(٢) فى الأصل : «والمتأجر» بالجيم؛ وهو تصحيف .

(٣) سياق العبارة يقتضى أن المراد بالمستحقة هنا ، المطلوبة منها الحقوق ؛ يقال : «استحقه» اذا طلب منه حقه انظر لسان العرب .

(٤) فى الأصل : «الجبايات» بالباء؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

وأما الناظر على ذلك — فيحتاج عند مباشرته الى آسترفاع ضرائب أصول الأموال ومضافاتها، والمستأدَى من الحقوق، وضرائبَ(١) بما آستقر إطلاقُه، وأوراق الحاصل والباقى، وأوراقِ الفائض والمتأخر، وتقديرِ الآرتفاع، والكشوف الجيشيّة، ويطالب بمخازيم(٢) المياومة لآستقبال مباشرته، والخَتم والتّوالى عند مضىّ المدّة، والأعمالِ وسائرِ الحُسبانات المتقدّم ذكرُها فى أوقاتها، وما لعلّه يقترحه ممّا يَسُوغ آقتراحُه ويمكن عملُه؛

والذى يلزمه الآجتهادُ فى عمارة نواحى آلخاصّ، وتمييز آلجهات ونمّوها(٣)، والنظر فى أحوال المعاملات(٤)، وإزاحةُ أعذارها، وتقرير قواعدها، وآختبار من بها من المباشرين، والكشف عن أحوالهم، وكَتْبِ(٥) كلّ واحد منهم بما يلزمه مباشرةً وعملا، ويتصفّح ما يَرِد عليه من الحُسبانات الصادرة عنهم؛ وينظُر فيما يتجدّد من أحوال المعاملاتِ(٤) وما يطرأ من الحوادث على آختلافها ممّا لا يحصره ضبط، بل هو بحسَب ما يقع؛ وإنما جعلنا هذه الإشاراتِ أُنْموذَجا يُستدَلّ بها على ما بعدها؛

ويقيّد بخطّه الآستدعاءاتِ والإفراجاتِ والمراسيمَ والتواقيعَ وغيرَ ذلك ممّا جرت به العادة: من الكتابة بالمقابلةِ والثبوتِ والتّمحِيةِ(٦) والآعتمادِ وغيرِ ذلك.

(١) ضرائب المستقر إطلاقه: هى التى تسمى عند الكُتّاب بالمؤامرات، كما سبق ذلك فى صفحة ٢٩٦ من هذا السفر مع بيان كيفية عملها، فانظره.

(٢) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠.

(٣) لعل صوابه: «وتميتها» كما يقتضيه العطف على «تمييز».

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر.

(٥) فى الأصل: "وكشف" وهو لا يستقيم مع قوله بعد: "بما يلزمه". ولعل صوابه ما أثبتنا؛ والمعنى أنه يكتب كل مباشر بما يلزمه من الأعمال ليسأل كل مباشر عن عمله وتكون عليه التبعة دون غيره فيما قصّر فيه.

(٦) فى الأصل: «التجهية»، وهو تحريف لا معنى له، وما أثبتناه هو المناسب لاصطلاحات الكُتّاب.

وأما صاحب الديوان — فإنه يسترفع مايسترفعه الناظر من المعالم خاصّة، وليس [له] أن يسترفع الارتفاعات ولا شواهدَها؛ فإن آسترفعها لزمه من دَرَكها(١) ما يلزم المستوفِى؛ وهو يكتُب على ما يكتب عليه الناظر، وله زيادةٌ على ذلك: وهى الترجمة على التذاكر والاستدعاءات، والكتابةُ على تواقيع المباشرين بأخذ خطوطهم عند آستخدامهم، والكتابةُ على محرَّراتهم بالتخليد، والكتابةُ على تذاكر المخرَّج والمردود الصادرةِ عن مستوفِى العمل بأن يجيب المباشرون عنها بما يَسُوغ قبولُه، والكتابةُ بقبول الجواب عند عَوده إن كان سائغا، والكتابةُ على الحساب الصادرِ عن المباشرين بتخليده [فى] ديوان الاستيفاء بعد أن يتصفّحه وتَظهَر له سياقةُ(٢) أوضاعه؛ وكلُّ عمل لا يكون له صاحبُ ديوانٍ قام الناظر بهذه الوظيفة إلّا الكتابةَ بقبول آلحساب.

وأما مقابِل الاستيفاء — وهو بمنزلة الشاهد فى ديوان الأصل — فله أن يسترفع المعالمَ لنفسه فى كلّ سنة، ويسترفعَ نتيجةَ الحُسبانات اللازمة التى تصدر الى الديوان العالى بالباب الشريف، ويضبُطَ(٣) مياومة المجلس، ويكتبَ على ما يكتب عليه المستوفِى، ويكتبَ على الحُسبانات الواصلة من جهة المباشرين بتاريخ حضورها إلى الديوان قبل تخليدها [فى] ديوان الاستيفاء، ويَسُدَّ(٤) بقلمه تواريخَ التذاكر والمراسيم، ويتصفّحَ ما يصدر عن المستوفى من المخرَّج والمردود

(١) الدرك: التبعة.

(٢) فى الأصل: «سباقة»، وهو تصحيف.

(٣) ضبط هذا اللفظ فى اللسان بضم الباء ضبطا بالقلم؛ وفى المصباح أنه من باب ضرب.

(٤) كذا ورد هذا اللفظ هنا وفى ص ٣٠٢ س ١١ من هذا السفر؛ ولم نقف على المعنى الاصطلاحى الذى يريده كتّاب الدواوين به.

ويطالِب بحمّل ما ثبت منه، ويطالِب أربابَ الخطوط والبُذول[١] بما يُستحق عليهم (٦٤) ويُنيب شادّ[٢] الدواوين عنه[٣]، ويكتُب فى كلّ يوم بما يطالب به ؛ واذا لم يكن للديوان مقابل قام المستوفى بوظيفته .

وأما المستوفِى — فله أن يسترفعَ سائرَ الحُسبانات اللازمة، وما تدعو إليه حاجته من المقترَحات فى المُدد الماضية والحاضرة ممّا يمكن عمله ، فاذا صار الحساب إليه مشمولا بخطّ صاحب الديوان بتخليده ومؤرّخا حضورُه بخطّ المقابِل تصفّحه وآستوفَى تفاصيلَه على جُمَلِه أصلا وخصما، وشَطَبَ ما يحتاج إلى شطبه — كلَّ عمل على شواهده — ونخرّج ورَدّ ما يتعيّن تخريجُه وردُّه ، وكتب بذلك مطالَعةً تُعرَض على المقابِل، فإذا وافقه عليها عُرِضت على صاحب الديوان وكَتَب بالإجابة عنها، ثم يطالِب المباشرَ بالإجابة عمّا تجب الإجابة عنه، وإضافةِ ما تجب إضافتُه [الى][٤] حساب المدّة التالية لتلك المدّة، وحَمْلِ ما يجب حملُه ؛ وتكون إضافتُه فى الحساب منسوبةً إلى قلم مستدرَكِه ؛ فإن أخّر آستيفاءَ الحُسبانات وشطْبَها وتخريجَ[٥] ما يَلُوح فيها ومضت عليها مدّة يمكن فيها العملُ، كان

---

(١) الظاهر أنه يريد بأرباب الخطوط والبذول : الذين يكتب لهم من السلطان ببذل شىء من الإقطاعات ونحوها .

(٢) شادّ الدواوين هو شخص يكون رفيقا للوزير متحدثا فى استخلاص الأموال وما فى معنى ذلك ؛ والعادة أن يكون أمير عشرة . انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢ فى شرح وظيفة شدّ الدواوين .

(٣) فى الأصل : «عليه» ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٥) فى الأصل : «ونخرج» وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا كما يرشد اليه ما ورد فى قوانين الدواوين صفحة ٨ طبع مطبعة الوطن ، فى الكلام على المستوفى إذ قال : «وإن ظهر أنه لم ينبه على وجوب مال أو استرفاع حساب أو آخر ما يجب تقديمه ، أو أهمل ما تعين تخريجه » الخ .

ما يتعيّن فيها لازما له إذا عُنِّتَ[1]، وإلا فتلزمه إعادةُ ماتناوله من الجامكيّة[2] عن تلك المدّة، ويطالَب مَن صدر عنه الحسابُ بما يلزمه ؛

ويتعيّن على المستوفي أنه إذا رُفِع اليه حسابُ معاملة تأمّل خطوطَ المباشرين[3] على عاداتهم، [و][4] نظر فيه[5] بعد ذلك، فإن تغيّرت عن العادة، فإن كان بزيادة تأكيد فلا بأس، وإن كان بإخلال مثلَ أن يكتُبَ الشاهدُ على الحساب بالمقابلة، وعادتُه أن يكتُب: «الأمرُ على ماشُرِح» يَلزَمه الكشفُ عن موجب ذلك ؛

ويَلزَم المستوفيَ ضبطُ مياوَمة المجلس، وكتابةُ الكشوف بخطّه والتذاكر ونُسَخ المحرَّرات، وتعيينُ الجهات لأربابها بعد كتابة الناظر بتعيين الجهة، وعليه نَظْمُ جوامع التقدير بعد عمل موازينها وتحريرها وشطْبِها على التقادير الصادرة عن المباشرين وجوامع الحواصل : من العَين والغلالِ والكُراع[6] والأصناف المعدودة والموزونة والمذروعة[7] والسلاح خاناه والعُدَدِ والآلاتِ وغيرِ ذلك، يَسُدّ على ما أمكن سدُّه جملة، ومالا يمكن نَثْرَه أقلاما يستشهد فيها بما رُفِع اليه من جهة المباشرين، وكذلك يَعتمِد في جامعة البواقي، يَعقِد عليها جملة، ويفصّلها بمعاملاتها وجهاتها وسنيها وأسماء

---

(١) عنت بالبناء للمجهول، أى شدّد عليه وأريد به العنت، وهو المشقة .

(٢) تقدّم شرح الجامكية فى الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر، فانظره .

(٣) «تأمل خطوط المباشرين على عاداتهم» . أى نظر فيها مطابقا لها على عاداتهم فى الكتابة .

(٤) فى الأصل، «نظر» بدون واو، والسياق يقتضى إثباتها .

(٥) «فيه»، أى فى الحساب السابق ذكره .

(٦) الكراع : هى الدواب «انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى»، وانظر سياقة الكراع فى صفحة ٢٨٣ من هذا السفر .

(٧) المذروعة، أى المقيسة .

مباشريها ، وما يُرجَى منها وما لا يُرجَى بمقتضى أوراق المباشرين ؛ وكذلك يَعتمد فى جامعة الفائض والمتأخّر وغير ذلك من الجوامع ؛

وعليه عملُ ما يُطلَب من الأبواب من المقترَحات والمطاوَلات ؛

ويَلزمه عملُ المقايَسات وفوائدِ المتأخّر، وغير ذلك من لوازم قلم الأستيفاء ؛

ويَلزَمه محاسباتُ أرباب النَّقْدِ والكيلِ المرتّبين على ما تَعيّن بقلم الأستيفاء، فيحاسبهم على استحقاقاتهم، ويَعتدّ[1] عليهم بما ثبت مما عيّنه لهم بقلمه ؛

ويَلزَمه التنبيهُ على خوالص المعامَلات وطلبها : حَملًا[2] الى بيت المال، أو حَوالةً على ما يعيّنه بقلمه ؛

ويلزمه تخريجُ تَفَاوُت[3] المُدد والمحلولات[4] وغير ذلك ؛

ويلزمه التفريعُ[5] بما يصل اليه من الخُوطات الجيشيّة لِوقته على ما جرت به العادة.

ووظيفة الأستيفاء كبيرة ، كثيرةُ الأعمال، لا تحصر لوازمها فى كتاب ، وانما هى بحسب الوقائع .

فاذا انفصل المستوفى من المباشرة فليس له أن يأخذ ورقةً من حسابه الذى استرفعه أو وضعه بقلمه، ويتلقّاه المباشرُ بعده .

---

(١) فى الأصل : «ويعتمد» ، والميم زيادة من الناسخ .

(٢) فى الأصل : «جملا» بالجيم ، وهو تصحيف .

(٣) «تفاوت المدد» ، أى ما توفر من الأموال عما فات من المدد ، كما يستفاد من قوانين الدواوين ص ٢٠ طبع مطبعة الوطن وقد ذكر صاحب قوانين الدواوين مثالا لذلك يوضح هذا المعنى ، فانظره .

(٤) يريد بالمحلولات : الاقطاعات التى انحلت عن أصحابها ولم تقطع لآخرين .

(٥) لعل صوابه : «التعريف» .

(٦٥) وأما المُشارِف — فله أن يسترفع عند مباشرته مَعالمَ الجهة ليستعين بها على المباشرة : من ضرائبَ وتقاديرَ[1] وحاصلٍ وباقٍ وفائِض ومتأخّرٍ وغيرِ ذلك ؛ وهو مطلوب بتحقيق الحواصل، وله الخَتْمُ عليها ؛ وهو مطلوب بنَظْم سائر الحُسبانات اللازمة والمقترَحة إن تَسحَّب[2] العامل أو مات، ومع وجود العامل إن كان قد آلتزم عند مباشرته العملَ؛ وتلزمه المقابَلةُ مع العامل على الحساب الصادر عنهما، وسِياقةُ التعليق معه ، والكِتابةُ على الوُصولات[3] والحُسبانات ؛ وهو مطلوب بجميع ما يُطلَب به العاملُ من المخرَّج وغيرِه .

وأما الشاهد — فيلزمه ضبطُ تعليق المياوَمة[3] ، والكِتابةُ على الوُصولات والحُسبانات؛ومتى فُقِد العاملُ والمُشارِفُ لَزِمه رفعُ آلحساب اللازم دونالمقترَحات؛ ولا بدّ له من جريدة مبسوطة على الأصل والخصم .

وأما العامل — فقد قدّمنا ذكرَ ما يحتاج إليه كلُّ مباشرٍ من ضبطِ تعليق المياوَمة[4] وبسْطِ الجريدة وخدمتِها فى الأصـل والخصم أوّلا فأوّلا ، والتيقُّظ لذلك وأنّ من أهمله فقـد قصّر فى مباشرته وأخَلّ بوظيفته ؛ والعاملُ أَحْرَى بجميع ذلك ممن سواه من سائر المستخدَمين،لما هو مطلوب به من نَظْمِ الحُسبانات وموقِعه[5] من

(١) يريد بالتقادير، تقادير الأرتفاعات ، وقد سبق الكلام على تقدير الأرتفاع فى صفحة ٢٩٧ من هذا السفر، فانظره . والذى فى الأصل : « مقادير » بالميم؛ وهو تحريف .

(٢) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨٢ من هذا السفر .

(٣) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .

(٤) فى الأصـل : «مياومة التعليق» وفى هاتين الكلمتين تقديم وتأخير وقعا من الناسخ ؛ والصواب ما أثبتناه، كما سبق فى سطر ٨ من هذه الصفحة ومواضع أخرى من هذا السفر .

(٥) فى الأصل : «ومتوقعه» ، ولعل صوابه ما أثبتنا إذ به يستقيم الكلام .

عملِ المقترَحات والأجوبةِ عن المخرَّج والمردود ، وأنه هو الملتزِمُ لذلك (١) دون غيره وأنه لا يَلزم من سواه شيءٌ من الأعمال مع وجوده .

وقد ذكرنا تلخيصَ قواعد هذه الكتابة والمباشِرين وأوضاعِهم ولوازمِهم والأوضاع الحسابيّة وغير ذلك من مَعالم المباشَرات، مجملًا غيرَ مفصَّل، وبعضا من كلّ، وقليلا من كثير، إذ لو استقصينا ذلك لطال ولتعذَّر لاختلاف المباشَرات والوقائع والأوضاع والآراء ؛ ولقد حصل الاجتماعُ بجماعة من مشايخ أهلِ هذه الصناعة ممّن اتّخذها حرفة من مبادئ عمره إلى أن طَعَنَ فى سنّه، وما منهم الا من يُخبِر أنه يَستجِدّ (٢) له فى كلّ وقت من أحوال المباشَرات ما لم يسمع به قبل، ولا طرأ له (٣) فيما سلف من عمره؛ فكيف يمكن حصرُ ما هو بهذه السبيل؟ ! وفيما نبّهنا عليه مَقْنَعٌ لطالب هذه الصناعة، والعمدةُ فيها على الدُّرْبة والمباشرة، وقد قيل :

ولا بدّ من شيخ يريك شخوصَها ... وإلّا فنصْفُ العلم عندك (٤) ضائعُ

---

كمل الجزء الثامن من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى
— رحمه الله تعالى — ويليه الجزء التاسع وأوّله :
ذكر كتابة الحكم والشروط

---

(١) فى الأصل : «بذلك» ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أن «التزم» يتعدّى بالباء .

(٢) «يستجدّ» بكسر الجيم، أى يتجدد؛ وفى المصباح أن استجد قد يستعمل لازما .

(٣) لم نقف فيما راجعناه من كتب اللغة على أنه يقال : «طرأ له» والذى وجدناه أنه يقال : «طرأ عليه»؛ ولعله ضمن «طرأ» معنى «وقع» فعدّاه باللام مكان «على» .

(٤) فى الأصل : «منك» ولا يستقيم الوزن به؛ ولعله تحريف صوابه ما أثبتنا .

## اســـــتدراك

راجعنا هذا الجزء بعد طبعه فبدت لنـا فى تفسير بعض ألفاظه معانٍ أخرى نرجّحها على ما كتبناه أوّلا فى حواشيه فرأينـا أن نستدركها فى آخره خدمة للعـلم وتتميما للفائدة .

| ص | س | |
|---|---|---|
| ٦٠ | ٩ | «بنوء المُرزِم» وكتبنا على قوله : «المُرزِم» ما نصه : المرزم : «من أرزم الرعد اذا اشتدّ صوته» ا ﻫ<br>ومع صحة هذا الضبط واحتمال اللفظ لذلك التفسير المتقدّم فإننا نرجّح أن يضبط : « لِمرزَم» بكسر الميم وفتح الزاى ، وهو من نجوم المطر قال فى اللسان : «المِرزَمان . نجمان من نجوم المطر ، وقد يفرد» . |
| ١٩٣ | ١١ | « من ضريبة وموافرة » وكتبنا على قوله : «وموافرة» ما نصـه : «فى الأصل : «ومؤامرة» بالميم ؛ وهو تحريف» ا ﻫ<br>وقد بدا لنـا بعدُ أنّ للفظ «المؤامَرة» معنًى مصطلحا عليه بين كتّاب الدواوين ، وتصح إرادته فى هذا الموضع ؛ فقد ورد فى مفاتيح العلوم ص ٥٦ طبع أوربا ما نصه : «المؤامرة عملٌ تُجمع فيه الأوامر الخارجة فى مدّة أيام الطمع ، ويوقّع السلطان فى آخره بإجازة ذلك ؛ وقد تُعمَل المؤامرة فى كل ديوان تجمع جميع ما يُحتاج اليه من استئمار واستدعاء توقيع» اﻫ وانظر صفحة ٢٩٦ من هذا الجزء . |
| ٢٠٢ | ٥ | «والبذول» ؛ وكتبنا على هذه الكلمة ما نصه : « كذا فى الأصل ؛ ولم نجد من معانى هذه الكلمة ما يناسب سياق ما هنا» ا ﻫ<br>ويظهر لنا أن البذول فى هذا الموضع جمع بذل ؛ والمراد ما يبذله السلطان من الإقطاعات لخواصّه وأجناده ؛ وقد نبهنا على هذا المعنى فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٠١ ، فانظره . |

| ص | س | |
|---|---|---|
| ٢٠٢ | ٨ | «مبقلة» وكتبنا على هذه الكلمة ما نصه : «فى الأصل : «مقبلة»، وفيه قلب صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه عطف المتوسطة والمجدبة عليه الخ» . |

ومع جواز ما اخترناه واستقامة الكلام به فقد بدا لنا أنه يصح أن يراد بقوله : «مقبلة»، السنة التى تقبل بالنبات، أى تجىء به. وقد ذكرنا هذا المعنى فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٩٥، فانظره .

| | | |
|---|---|---|
| ٢٠٣ | ١ | «ويحتاج الى أن يتعاهد مباشرى المعاملات» ولم نفسر لفظ المعاملات فى هذا الموضع، وقد فسرناه فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١، فانظره . |
| ٢٠٤ | ١٣ | كلمة «الزردكشية» وكتبنا عن هذه الكلمة ما نصه : «الزردكشية» هم لابسو الدروع ؛ وكش باللغة الفارسية معناه لابس انظر المعجم الفارسى الإنجليزى تأليف ستاين جاس مادة (كشيدن) . |

هذا ما كتبناه فى تفسير هذا اللفظ ؛ وقد وقفنا بعد ذلك على أنهم يريدون بالزردكاشية : صانعو الزرد والأسلحة انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢

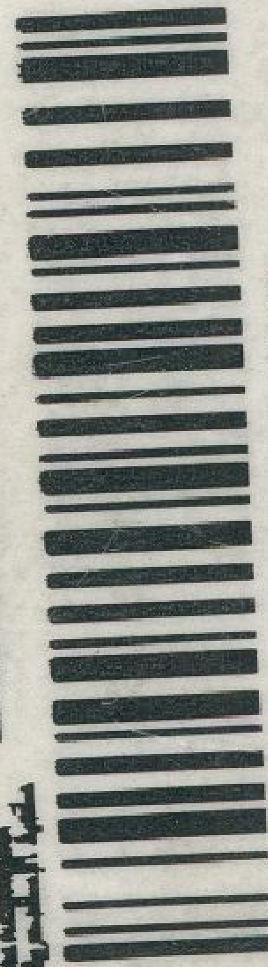
ونحن نرجح هذا المعنى ونؤثره على الأول .

| | | |
|---|---|---|
| ٢٢٩ | ٣ | قوله : «فإن تعذر فالوجه» وكتبنا فى تفسير هذه العبارة ما نصه : «الظاهر أنه يريد بالوجه هنا : الجاه ، أى إن تعذر الكفيل ذو المال والغنى قبلت الكفالة بذى اجاه وإن لم يكن غنيا» اه |

وقد بدا لنا بعد ذلك فى تفسير هذه العبارة معنى آخر نرجحه على الأول ، وهو أن الكفالة بالوجه هى أن يضمن الكافل إحضار المكفول بوجهه، أى بذاته، اذا طُلب منه أن يُحضره ؛ فمعنى العبارة إذن أنه إن تعذّر الكفيل بالمال قبلت الكفالة بأن يُحضر الكافل شخص المكفول .

# إصلاح خطأ

| ص | س | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ٤٦ | ١٤ | ذُكِرَ | ذَكَا |
| ٦١ | ٢٢ | حاضرة أى سابقة | حاضَره، أى سابَقه |
| «« | »» | التفضّل | الفضل |
| ١٢٣ | ١ | ونرجوا | ونرجو |
| ١٢٨ | ٥ | ونرجوا | ونرجو |
| ١٣٢ | ١٦ | كان كان صحيح | كان صحيح |
| ١٣٣ | ٥ | نرجوا | نرجو |
| ١٤٤ | ١٨ | أنّ | إنّ |
| ١٦٥ | ١٣ | أثارك | آثارك |
| ١٨٧ | ٢ | الرّضىّ | الرّضا |
| ٢٠٤ | ١٣ | والزّرَد كَشِيّة | والزّرد كاشِيّة |
| ٢٠٨ | ٢ | وأقدرَ | وأقدرُ |


Bibliotheca Alexandrina
03828803